الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في اليمن في عهد الدويلات المستقلة

من سنة (429هـ / 1037م)

إلى (626 هـ / 1228م)

تأليف

الدكتور: محمد عبده محمد السروري
أستاذ التاريخ الإسلامي المشارك
كلية الآداب - جامعة صنعاء

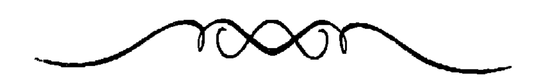
الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في اليمن
في عهـد الدويـلات المستقلـة
من سنة (429هـ / 1037م) إلي (626 هـ / 1228م)

تأليف

الدكتور: محمد عبده محمد السروري

أستاذ التاريخ الإسلامي المشارك

كلية الآداب ـ جامعة صنعاء



1997م

الطبعة الأولى 1997 م

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمـــة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه ومن تبعهم باحسان إلى يوم الدين وبعد..

دراسة التاريخ تعد من أهم الدراسات التي يجب أن يتوجه الاهتمام إليها، كما تعد الدراسة في التاريخ الحضاري من أهم الدراسات الحديثة وأمتعها لما تبرزه هذه الدراسة من مستوى رقي المجتمع أو تدهوره. ممثلاً في نظمه الإدارية والمالية والقضائية والعسكرية وأيضاً في حياته الاجتماعية، والعلمية، والاقتصادية. واليمن بحاجة إلى مزيد من إلقاء الضوء على تاريخها السياسي بشكل عام، وتاريخها الحضاري بشكل خاص.

وقد لقي تاريخ اليمن في الآونة الأخيرة جهوداً بارزة في البحث في تاريخه من قبل العديد من الباحثين العرب والأجانب، فظهرت عدة كتب وبحوث عن تاريخ اليمن سواء بشكل دراسات جادة ومنهجية لأساتذة أو بشكل دراسات جامعية أكاديمية لنيل درجتي الماجستير والدكتوراه من جامعات مصرية وعراقية وسعودية وغيرها من الجامعات العربية، أو من الجامعات الأجنبية.

وهذا البحث يعد أحد المساهمات التي تعالج جوانب التاريخ السياسي والحضاري لليمن في فترة محددة وهو عبارة عن قسمين أحدهما القسم السياسي. ويشمل عدة بحوث أعدها الباحث خلال عمله في جامعة صنعاء كمدرس للتاريخ الإسلامي وثانيهما القسم الحضاري وهو عبارة عن دراسة قدمت لجامعة القاهرة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ نوقشت سنة 1990م تحت عنوان (مظاهر الحضارة في الدول المستقلة في اليمن من سنة (439 - 626هـ)-(1047 -1228م).

واختيار فترة هذا البحث بذاتها وهي القرنين الخامس والسادس الهجريين، لها أهميتها من الناحية المذهبية والسياسية، فهي فترة مهمة بالنسبة لتاريخ اليمن، لأنه وجد بها عدة دويلات مذهبية وقبلية متصارعة سياسياً مع بعضها البعض. كما وجد بها دول عملت على توحيدها.

فالمذهب الإسماعيلي سيطر سياسياً على نجد اليمن منذ قيام دولة الصليحيين عام 429هـ/1037م فعلا شأنه. ثم تلاهم الزريعيون في عدن بينما كانت دويلات المذهب السني تسود في تهامة اليمن منذ بداية القرن الثالث الهجري في عهد بني زياد ثم بني نجاح في زبيد. كما سيطر ابن مهدي الخارجي على تهامة اليمن بعد النجاحيين. في حين ظلت الزيدية متواجدة في

صعدة، إلى أن قدم الأيوبيون فسيطروا على معظم اليمن منذ عام 569 هـ/إلى 626 هـ وفي ظل الحكم الأيوبي ساد المذهب الشافعي على معظم اليمن.

وفي المجال السياسي كانت اليمن منقسمة إلى عدة دويلات مختلفة الاتجاه. ففي المناطق التهامية كانت الدولة النجاحية التي أيدت العباسيين. وفي المناطق الجبلية كانت الدولة الصليحية التي أيدت الفاطميين، أما منطقة صعدة فقد كان بها الأئمة الزيدية الذين كانوا مستقلين عن الخلافتين. كما ظهرت عدة دول مختلفي التبعية السياسية هم الزريعيون في عدن، وآل حاتم في صنعاء وبنو مهدي في زبيد، ثم تلا هؤلاء جميعاً الأيوبيون فعملوا على توحيد اليمن.

وفي عهد كل من الصليحيين والأيوبيين إزدادت علاقة اليمن السياسية والاقتصادية بمصر. فكان لذلك أثره في تاريخ اليمن. ففي المجال المذهبي تأثرت اليمن بالمذهب الإسماعيلي الفاطمي. ثم استعاد المذهب السني مجاله في اليمن بسيطرة الأيوبيين عليها. وقضائهم على المذهب الإسماعيلي في كل من مصر واليمن. وأدت هذه العلاقة مع مصر أيضا إلى إزدهار الحركة التجارية ومركزها عدن .

هذا وقد واجه الباحث عدة صعوبات أولها ضخامة البحث ذاته زمنيا وموضوعيا. ففي إطار الفترة الزمنية شمل عصر الدولة الصليحية والأيوبية وما عاصرهما من دويلات، وهي ما تقارب القرنين من الزمان .

وفي إطار الموضوع شمل البحث الجوانب المتعددة للحياة السياسية ولمظاهر الحضارة من اقتصادية واجتماعية وعلمية وإدارية. هذه المواضيع جميعها متشعبة وكثيرة تطلبت مجهوداً كبيراً من الباحث.

والصعوبات الثانية هي ندرة المعلومات وخاصة المعلومات الإدارية والاقتصادية والاجتماعية، لعدم الاهتمام بتدوينها من جانب المؤرخين الأقدمين، مما استلزم قراءة مادة المصادر بكاملها للبحث عن الاشارات المتناثرة بين ثنايا الكتب مما يفيد موضوع البحث في جوانبه المذكورة.

والخلاصة أن هذه الدراسة ساهمت في إلقاء الضوء على الحياة السياسية وعلى جميع مظاهر الحضارة باليمن وهي بهذا تعطي فكرة واضحة عن الاستمرارية والحيوية لهذا الشعب اليمني العريق.

شمل القسم الأول وهو التاريخ السياسي ثلاثة أبواب تحدث الباب الأول عن الدولة الصليحية وفيه ثلاثة فصول عالج الفصل الأول دور علي الصليحي في قيام دولته ابتداءً من تعليمه واعتناقه المذهب الإسماعيلي. ثم تناول مراحله السياسية في دورها السري والسلمي والحربي. وصراعه لجميع قوى اليمن حتى انتصر عليهم ووحد اليمن تحت سلطانه.

أما الفصل الثاني فقد تحدث عن المكرم أحمد الصليحي منذ توليه السلطة بعد أبيه وصراعه ضد قبائل اليمن التي خرجت عن طاعة الصليحيين وصراعه مع بني نجاح والزيدية حتى تمكن من إعادة توحيد اليمن .

بينما تناول الفصل الثالث السيدة الحرة أروى الصليحية وحكمها لليمن بادئا من اسمها وتعليمها وزواجها ثم سياستها في عهد زوجها وبعد وفاته وأهم قادتها، ثم بلوغها أعلى مراتب الدعوة الإسماعيلية وانفصالها عن مصر .

وخصص الباب الثاني لدويلات صنعاء وعدن وزبيد وفيه أربعة فصول. الفصل الأول منه تحدث عن حكم الهمدانيين لصنعاء فركز على أهم أسرة حاكمة فيهم وهم أسرة حاتم اليامي الذي عمل على التوسع شمال صنعاء وتصارع مع الزيدية. ثم استكمل التحدث عن ابنه علي وعلاقته بالزيدية وصراعه مع الأيوبيين .

في حين أن الفصل الثاني منه تحدث عن الزريعيين في عدن وعلاقتهم مع بني معن والمكرم والسيدة . واستعرض اشتراك بني زريع في حكم عدن ثم انفصالهم عن الصليحيين في عهد السيدة، ثم انفراد الداعي سبأ بحكم عدن وتوسع ابنه محمد بن سبأ في شراء حصون بني الصليحي في اليمن الأسفل.

أما الفصل الثالث فقد تناول الدولة النجاحية في تهامة اليمن فتحدث عن مراحل قيامها ثم تحدث عن سيطرة الامراء على مقاليد الحكم وصراعهم مع الدولة الصليحية حول السيطرة على تهامة. ثم مرحلة سيطرة الوزراء على مقاليد السلطة وصراعهم مع بعضهم البعض حتى نهاية دولتهم.

بينما استعرض الفصل الرابع منه دولة بني مهدي في تهامة، فتحدث عن دور علي بن مهدي في إقامة دولته ابتداءً من مرحلة المسالمة ومرحلة حربه للدولة النجاحية حتى تمكنه من القضاء عليها وإقامة دولته ثم تناول توسع ابنائه في السيطرة على مناطق اليمن.

واهتم الباب الثالث في التحدث عن الحكم الأيوبي لليمن، فشمل خمسة فصول. تناول الفصل الأول الأسباب التي أدت الى الفتح الأيوبي لليمن. ومراحل سيطرته على مدن اليمن ومناطقه وتمكنه من القضاء على دويلات اليمن المتعددة.

وعالج الفصل الثاني منه قدوم طغتكين الأيوبي الى اليمن وسيطرته عليها واستكمل التحدث عن صراعه المستمر مع قوى اليمن القبلية المتعددة وقضائه عليها وتمكنه من توحيد اليمن تحت سلطان الأيوبيين.

في حين عالج الفصل الثالث منه تولى المعز للسلطة في اليمن وعلاقته بالقوى الأيوبية التي خرجت عنه وصراعه لهم كما تحدث عن صراعه مع الامام الزيدي في شمال صنعاء.

بينما استعرض الفصل الرابع وراثة الناصر بن طغتكين للحكم فتحدث عن دور الأتابك سُنْقُر في مساعدته في الحكم وعلاقة سنقر بالأيوبيين الخارجين عليه وعلاقته مع الإمام الزيدي. كما تحدث عن وردشار أو وردسار وولايته لصنعاء وصراعه مع الامام الزيدي في شمالها.

أما الفصل الخامس فقد كان الحديث فيه عن قدوم الملك المسعود الى اليمن وسيطرته عليها. كذلك تحدث عن صراعه مع الزيدية وتمكنه من توحيد اليمن. كما تناول عودته الى مصر وموته وتولي بني رسول لليمن ونهاية الحكم الأيوبي بها.

وبالنسبة للقسم الحضاري شملت هذه الدراسة على أربعة أبواب والخاتمة وقائمة المصادر وبعض الملاحق.

تناول التمهيد المسميات المختلفة للوحدات الإقليمية لليمن. أما الموضوع فقد جاء في أربعة أبواب كل منها مقسم إلى عدة فصول اقتضاها البحث.

الباب الأول بعنوان النظم الحضارية في اليمن في ثلاثة فصول. تناول الفصل الأول فيها نظام الحكم من حيث تبعية الدول المستقلة للخلافة العباسية أو الفاطمية أو الإمامة الزيدية. كما تحدث عن مبدأ الوراثة في منصب الإمارة والذي تعدى الى مناصب الولاية والوزارة والنيابة والقضاء.

واهتم الفصل الثاني ببحث النظام الإداري في هذه الدول. ورأينا كيف تسمى حكام الأقاليم بألقاب مختلفة من والي أو نائب أو أتابكية أو إقطاع، والنظامان الأخيران أدخله الأيوبيون إلى اليمن وكان يختار لحكم الأقاليم رجال من الأسرة الحاكمة أو من المخلصين للدولة. هذا الى

جانب منصب الوزارات والكتابة واختصاصاتها مع تطور الوزارة من وزارة تنفيذ الى وزارة تفويض في بعض الدول.

وأظهر الفصل الثالث نظام القضاء لدى جميع دويلات اليمن خلال فترة البحث، من حيث ذكر من تولى القضاء ونظام القضاء واجراءاته.

وعني الفصل الخامس بالنظام العسكري في اليمن من حيث عناصر الجند وأنواع الأسلحة المستخدمة آنذاك، والأساليب العسكرية المتعددة.

أما الباب الثاني فهو يتناول الحياة الاقتصادية في اليمن وفيه أربعة فصول. الفصل الأول خصص للنواحى الزراعية وتناول العوامل الطبيعية وأثرها من تضاريس وموارد مائية، كما استعرض ملكية الأراضي الزراعية من ملكية خاصة إلي ملكية الدولة إلي أراضي موقوفة، كما تحدث عن العمل الزراعي من طرق الري والتسميد والحرث والبذر والزرع والحصاد والمحاصيل الزراعية بالإضافة إلي المراعي الطبيعية والحيوانات. فضلاً عن تناوله دراسة تاريخية عن الأنماط الزراعية.

وفي فصل الصناعة كان الحديث عن المعادن والنشاط الصناعي من الصناعة المعدنية والصناعة الجلدية وصناعة المنسوجات إلي غيرها من الصناعات الأخري بالإضافة إلي الصباغة والزخرفة.

أما فصل التجارة فقد تعرض لبيان الطرق البحرية والبرية والبضائع المصدرة والمستوردة. كما أوضح في التجارة الداخلية أشهر المراكز التجارية في اليمن والأسواق الداخلية والحسبة، بالإضافة إلي المعاملات المالية والتجارية مثل العملة والموازين والمكاييل والمقاييس.

أما الفصل الرابع فهو ما خصص للنظام المالي وقد استعرض الموارد المالية الشرعية من عشور الأراضي الزراعية (الخراج) والزكاة والجزية. والموارد غير الشرعية من ضرائب ورسوم ومكوس، ومصادرات ومصالحات وغنائم بالإضافة الى نظام الضمان لتحصيل هذه الموارد ثم أوجه الانفاق أو المصروفات.

وشمل الباب الثالث الحركة العلمية والتعليمية في ثلاثة فصول. الفصل الأول الحركة التعليمية من حيث مراحل التعليم ومراكزه وطرق التدريس وموادها وكذا تمويل التعليم بالإضافة إلي منح الشهادات أو الإجازات، وتحدث الفصل الثاني عن الحركة العلمية من حيث مؤثراتها

الثقافية والمراكز العلمية المتعددة وخصائص الحركة العلمية من رحلات داخلية وخارجية في طلب العلم وظاهرة وراثة الفقه والنشاط العلمي في علوم الدين واللغة والآداب والتاريخ والجغرافيا.

وجاء الفصل الثالث عارضاً لجميع مذاهب اليمن مثل مذهب أهل السنة موكزاً على المذهب الشافعي، كما تحدث عن المذهب الزيدي وانقسامه إلى مطرفية ومخترعة، والمذهب الإسماعيلي وعلوه في عهد الصليحي، بالإضافة إلي المذهب الأباضي. ونشاط كل مذهب من تلك المذاهب وانتشارها في اليمن.

وتناول الباب الرابع الحياة الاجتماعية في أربعة فصول مبتدئاً بعناصر السكان ممثلة في رجال القبائل اليمنية في أصولها القبلية ثم العناصر الأجنبيةوأهل الذمة والرقيق.

وتحدث الفصل الثاني عن طبقات المجتمع ممثلة في طبقات عليا وتشمل الحكام والعلماء وكبار الملاك والتجار. والطبقات العامة وتشمل طبقة الجند والفلاحين وأرباب الحرف والصناع.

كما تناول الفصل الثالث الحياة الاجتماعية فتحدث عن الاحتفالات الدينية والشعبية والخاصة. والزواج واجراءاته، والأعياد والمواسم والمأكل والملبس. كما تناول العادات والتقاليد.

وجاء الفصل الرابع يبحث العمران موضحاً الاهتمام ببناء المدن والمساجد والمدارس والقصور والحصون والطرقات وغيرها.

أما الفصل الخامس والأخير من هذه الدراسة فقد اختص ببحث الأوقاف وأثرها في الحياة الاجتماعية باليمن.

أهم مصادر البحث:

هناك العديد من المصادر التي اعتمد عليها البحث وعلى راسها كتاب المفيد في أخبار صنعاء وزبيد لعمارة اليمني المتوفى سنة 569 هـ/1173م. وتظهر أهمية كتاب عمارة من أنه معاصر لكثير من الأحداث، ولأنه من أقدم المصادر التي تعرضت لأخبار اليمن، نقلت عنه الكثير من المصادر التي أتت بعده.

ويعتبر كتاب عمارة مصدراً هاماً للنواحي السياسية والإدارية لدويلات اليمن المستقلة وأهمها دولة الصليحيين وآل نجاح والزريعيين وآل مهدي. كما أنه مفيد في النواحي القضائية والمالية والعسكرية والاقتصادية والفكرية. حيث إنه أشار إلي بعض أنواع الضرائب كما أورد الكثير من المعلومات الهامة عن الأدباء والشعراء في اليمن وعن طبقاتهم الاجتماعية.

ومن المصادر التي أفادت البحث في النواحي السياسية والإدارية كتاب (بهجة الزمن في تاريخ اليمن) لتاج الدين عبدالباقي بن عبدالمجيد المتوفى سنة 744هـ/1343م تحقيق مصطفي حجازي نقلاً عن كتاب (نهاية الأرب) للنويري الجزء الثالث والعشرين. ثم ظهرت نسخة أخري من هذا الكتاب لنفس المؤلف تحقيق عبدالله الحبشي.

وبالمقارنة بين النسختين نجد أن هناك فرقاً كبيراً فيما بينهما فالنسخة التي حققها الحبشي أكثر تفصيلاً وذكراً للحوادث عن الدويلات اليمنية. وربما يرجع ذلك إلي أن النويري اختصر كتاب ابن عبدالمجيد أو نقله مختصراً عن كتاب آخر. وقد اعتمد البحث على النسخة التي حققها الحبشي.

ومن المصادر المهمة أيضاً كتاب (العسجد المسبوك فيمن ولى اليمن من الملوك) تأليف على بن الحسن الخزرجي المتوفى 812هـ/1410م والكتاب عبارة عن تاريخ عام لليمن منذ فجر الإسلام حتي عصر المؤلف واستفاد منه البحث في النواحي السياسية والإدارية ومن بعض الإشارات عن النواحي المالية والعسكرية والعمرانية.

كذلك استفاد البحث من كتابي عبدالرحمن بن علي بن الديبع المتوفى سنة 944هـ/1527م وهما كتاب (بغية المستفيد في تاريخ مدينة زبيد) وهو عبارة عن تاريخ عام لمدينة زبيد وكتاب (قرة العيون في أخبار اليمن الميمون) وهو عبارة عن تاريخ عام الدويلات اليمن منذ فجر الإسلام حتي عصره، والكتابان أفادا البحث في النواحي السياسية والإدارية، وبعض الإشارات عن النواحي العسكرية والمالية والعمرانية.

ومن المصادر الهامة في تاريخ اليمن كتاب (السمط الغالي الثمن في أخبار الملوك من الغز باليمن) لبدر الدين محمد بن حاتم المتوفى بعد سنة 702هـ/1302م تحقيق المستشرق الدكتور ركس سميث، يعد هذا الكتاب من أهم المصادر عن الحكم الأيوبي في اليمن استفاد منه البحث عن الأحوال السياسية ونظم الأيوبيين الإدارية والأنظمة الجديدة التي أدخلها الأيوبيون لليمن مثل نظام الإقطاع الإداري أو ما يسمي الإقطاع العسكري ونظام الأتابك، ونظام النواب، كما وجد في الكتاب إشارات إلي النواحي القضائية والعسكرية للأيوبيين في اليمن.

ومن المصادر التي أفادت البحث (تاريخ مدينة صنعاء) للرازي المتوفى بعد سنة 460هـ/1067م تحقيق حسين العمري ذكر فيه معلومات مهمة عن الحياة العلمية والاقتصادية والعمرانية.

كذلك استفاد البحث بكتاب (تاريخ وصاب) المسمى (الاعتبار في التواريخ والآثار) للوصابي المتوفى سنة 782هـ/1370م حققه عبدالله الحبشي، أورد معلومات مهمة عن النواحي الفكرية والعلمية لعلماء وصاب، كما اشتمل على بعض المعلومات في النواحي السياسية والإدارية للدولة النجاحية والدولة الصليحية وآل مهدي.

ومن الكتب المهمة في موضوع البحث أيضاً كتاب: (صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز) المسمى تاريخ المستبصر تأليف ابن محمد بن مسعود بن علي بن أحمد بن المجاور، البغدادي النيسابوري[1]، المتوفى بعد سنة 630هـ/ 1232م، تحقيق أوسكر لوففرين.

يعد هذا الكتاب من أهم المصادر التي تتعرض للنواحي الاقتصادية والاجتماعية في اليمن وخاصة فترة الزريعيين والأيوبيين، وتظهر أهميته أن مؤلفه عاش قريباً من الفترة المعاصرة لفترة الدراسة، فهو يقدم لنا معلومات متعددة عن النواحي الاجتماعية مثل الزواج والاحتفالات والعادات والمأكولات، كما أنه يقدم لنا معلومات متعددة عن النواحي الاقتصادية مثل الزراعة وأنواع الفواكه، وطرق المواصلات في أنحاء اليمن، كما انه يصف لنا صناعة الجلود في اليمن وصناعة الملابس في زبيد ويصف لنا حركة النشاط التجاري في عدن وصنعاء. فمثلاً يذكر لنا أنواع الصادرات وأنواع الواردات فيقدم قائمة بأنواع البضائع ومقدار العشور الذي يؤخذ عليها والبضائع التي تعفي من العشور ونوع المعاملات التجارية في عدن وطريقة التفتيش الدقيق بها. كما أنه يشير إلي البلدان التي تتعامل مع اليمن تجارياً. كذلك يقدم لنا أنواع المكاييل والموازين والمقاييس والعملة المستخدمة في اليمن في عصره. كما يشير إلي بعض المعلومات عن النواحي الإدارية لآل زريع والأيوبيين.

واستفاد البحث بكثير من الكتب الجغرافية من الذين عاشوا خلال القرون الثالث والرابع والخامس للهجرة، مثل المسالك والممالك لكل من ابن خرداذبه والاصطخري، وصورة الأرض

---

(1) ابن المجاور: صفة، ص: 252، د. أيمن فؤاد: مصادر، ص: 123.

لابن حوقل، والأعلاق النفيسة لابن رسته، وكتاب البلدان لليعقوبي، وأحسن التقاسيم للمقدسي، ونزهة المشتاق للإدريسي. فقد أوردت لنا هذه الكتب الجغرافية معلومات هامة عن النواحي الاقتصادية في اليمن، مثل طرق المواصلات التجارية ومحطاتها، وبعض الصناعات والسلع التجارية المستوردة والمصدرة، وذكرت مناطق وقري اليمن الزراعية وأنواع الزراعة بها. كما أوردت معلومات عن النواحي الإدارية في اليمن قبيل الدويلات المستقلة بها، فذكرت مخاليف اليمن المتعددة. وأشارت بعض هذه الكتب إلي النواحي المذهبية في اليمن مثل كتاب المقدسي الذي ذكر فيه مذاهب اليمن خلال القرن الخامس الهجري.

وأيضاًأوردت كتب الرحلات مثل رحلة ابن بطوطة المتوفى سنة 703هـ/1304م ورحلة ابن جبير المتوفى سنة 614هـ/1217م معلومات مهمة في النواحي الاقتصادية والاجتماعية في اليمن، وعن كيفية انتقال التجارة عبر البحار وصعوبتها وعلاقات البلدان التجارية باليمن. فمثلاً يورد لنا ابن جبير مسألة ظهور ميناء عيذاب كمركز تجاري فقال: (ورمنا في هذه الطريق إحصاء القوافل الواردة والصادرة فما تمكن لنا، ولاسيما القوافل العَيْذابية المتحملة لسلع الهند الواصلة إلي اليمن، ثم من اليمن إلي عيذاب. واكثر ما شاهدنا من ذلك أحمال الفلفل، فلقد خيل إلينا لكثرته أنه يوازي التراب قيمة)[2].

وهناك كتب كثيرة استفاد منها البحث مثل كتاب مسالك الإبصار لابن فضل الله العمري المتوفى سنة 749هـ/1349م وكتاب صبح الاعشي في صناعة الانشاء للقلقشندي المتوفى سنة 821هـ/1481م، فقد أورد هذان الكتابان معلومات مهمة في النواحي الاقتصادية مثل الصناعة والزراعة في اليمن، وقد نقل القلقشندي الكثير من معلوماته من كتاب مسالك الإبصار للعمري وأضاف إليها الكثير من المعلومات الإدراية عن اليمن.

كذلك استفاد البحث من كتب الهمداني المتوفى سنة 360هـ/970م. مثل كتاب صفة جزيرة العرب، وأجزاء كتاب الأكليل المنشورة، فقد أوردت هذه الكتب معلومات مهمة عن النواحي الاقتصادية في اليمن مثل صناعة البرود في الأكليل وأسلوب الزراعة والحرث والسقي وأنواع التربة وأنواع المزروعات وأنواع المأكولات في اليمن في صفة جزيرة العرب. وكذلك عن وجود أنواع المعادن في اليمن.

---

(2) ابن جبير: رحلةابن جبير، ص: 43.

ومن الكتب الهامة في موضوع البحث كتاب (ملح الملاحة في معرفة الفلاحة) للملك الأشرف عمر بن يوسف بن عمر بن رسول المتوفى سنة 696هـ/1296م أورد الكثير من المعلومات الزراعية الهامة، استفاد البحث بكثير منها مثل أماكن زراعة ونوع المحصولات الصيفية والشتوية، وأوقات الزراعة والحصاد وأنواع التربة وعملية الزراعة والسقي (الري) وغيرها.

وكانت كتب التراجم أو الطبقات من أهم المصادر التي أفادت البحث في النواحي الثقافية والمذهبية والتعليمية وتأتي في مقدمة هذه المصادر (طبقات فقهاء اليمن) لعمر بن علي بن سمرة الجعدي المتوفى سنة 586هـ/1190م تحقيق فؤاد سيد، والكتاب يستعرض فقهاء الشافعية في اليمن في صنعاء وعدن وتهامة منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم إلي عصره.

وتعد أهمية هذا الكتاب أنه معاصر لموضوع البحث فقد عاصر حكم الزريعيين وآل مهدي وبداية حكم الأيوبيين، فأورد لنا الكثير عن فقهاء وعلماء القرنين الخامس والسادس الهجريين. وعنه أخذت الكتب التي أتت بعده. والكتاب من أهم الكتب فائدة للبحث في النواحي الثقافية والتعليمية والدينية والمذهبية لليمن.

ومن كتب التراجم المهمة أيضاً كتاب (السلوك في طبقات العلماء والملوك) تأليف بهاء الدين محمد بن يوسف الجندي المتوفى سنة 732هـ/1332م تحقيق محمد.الأكوع والكتاب يترجم لفقهاء اليمن الشافعية وعلمائها منذ فجر الإسلام حتي عصره. وزعم أنه يعتمد في معلومات الكتاب على مصادر من سبقته من الكتب مثل طبقات ابن سمرة وتاريخ صنعاء للرازي إلا أنه يضيف معلومات كثيرة عليها استقاها من مصادر أخري وأضاف كثيراً من المعلومات للأشخاص الذين ترجمت لهم تلك الكتب.

ويعد الكتاب مصدراً مهماً للبحث في الحياة العلمية، لأنه يحتوي على الكثير من المعلومات في النواحي الفكرية والدينية والمذهبية، ويمتاز الكتاب بإيراد أسماء أماكن هؤلاء الفقهاء والعلماء مع ضبط أسماء المناطق والأعلام مما جعل للكتاب أهمية خاصة في تصحيح نطق الأسماء المتعددة.

ومن كتب التراجم كتاب (تحفة الزمن في ذكر سادات اليمن) لبدر الدين الحسين ابن عبدالرحمن بن محمد الأهدل المتوفى سنة 855هـ/ 1451م، تحقيق عبدالله الحبشي. اعتمد في تاليفه

لهذا الكتاب على كتاب السلوك للجندي بل يعد مختصراً له ثم أضاف إليه ترجمة العلماء منذ وفاة الجندي الى عصره. وقد استفاد البحث منه في الجوانب الفكرية والعلمية والمذهبية لليمن.

كذلك من الكتب المهمة التي استفاد منها البحث في الحياة السياسية والحياة الاقتصادية والحياة الفكرية. والحياة الاجتماعية كتاب (تاريخ ثغر عدن) لعبدالله الطيب بامخرمة (ت. 947هـ/ 1540م). والكتاب عبارة عن تراجم لكثير من العلماء والساسة الذين دخلوا عدن.

تلك هي أهم الكتب التي ترجمت لعلماء وفقهاء أهل السنة في اليمن. أما التراجم أو الطبقات التي ترجمت لأهل المذاهب الأخرى مثل المذهب الزيدي فأهمها هي مخطوطة (المستطاب في تاريخ علماء الزيدية الأطناب) والمسمى (طبقات الزهر في أعيان العصر)، أو (الطبقات الزيدية الصغرى) ليحيى بن الحسين المتوفى سنة 1100هـ/ 1688م. وهذا الكتاب أو المخطوط عبارة عن ترجمة لكثير من علماء الزيدية وفقهائها، والمخطوط من أهم المصادر للبحث في النواحي الثقافية والمذهبية للمذهب الزيدي ـ المطرفية والمخترعة ـ فهو يوضح نشأة المذهب الزيدي والشقاق المذهب المطرفي والمخترعة منه والصراع فيما بينهما. كذلك استفاد البحث بمخطوطة (الحدائق الوردية في مناقب الأئمة الزيدية) لحميد المحلي المتوفى سنة 652هـ/ 1254م.

كذلك استفاد البحث بمخطوطة مسلم اللحجي المسمى تاريخ مسلم اللحجي (ت. سنة 545هـ/ 1150م) الذي ترجم لعلماء المطرفية في اليمن في عصره وعصر مشائخه ومن سبقوه. وهي أهم مخطوطة ترجمت للمطرفية نقل أغلبها يحيى بن الحسين في طبقات الزيدية الصغرى.

كذلك يعد كتاب (أسرار الباطنية وأخبار القرامطة) لمحمد بن مالك الحمادي المتوفى سنة 470هـ/ 1077م من أهم الكتب التي تستعرض للمذهب الاسماعيلي في اليمن منذ ظهوره باليمن حتى قيام الدولة الصليحية.

ومن مصادر البحث عدة سير للأئمة الزيدية مثل سيرة الامام أحمد بن سليمان المتوفى سنة 566هـ/ 1170م للثقفي، وسيرة ذي الشرفين المتوفى سنة 485هـ/ 1092م للربعي، وسيرة الامام عبدالله بن حمزة المتوفى سنة 614هـ/ 1217م لمجهول، وكذلك سيرة الأمير السلطان المكرم (ت. سنة 577هـ) لمجهول.

وهذه السير أوردت معلومات مهمة عن العملة والنواحي الادارية للزيدية. كما أوردت معلومات مهمة عن الحياة السياسية للزيدية وعلاقتهم مع الصليحيين. ومن جانب سيرة المكرم فقد أوردت معلومات سياسية مهمة عن علاقة المكرم مع النجاحيين وعلاقته مع الزيدية.

هذا بجانب مصادر أخرى هامة وردت في قائمة المصادر.

المراجع الحديثة:

وجد الكثير من المراجع الحديثة كتبت عن اليمن بعضها ألف بطريقة علمية. وقد استفاد البحث منها سواء بالرجوع إليها مباشرة أو قراءتها والرجوع الى المصادر التي اعتمدت عليها تلك البحوث منها الآتي: (الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن) لحسين بن فيض الهمداني بالاشتراك مع د. حسين سليمان محمود، واستفاد البحث منه في النواحي السياسية والإدارية للصليحيين والزريعيين والنواحي المذهبية للإسماعيلية وكتاب (تاريخ اليمن الإسلامي في القرون الثلاثة للهجرة عصر الولاة) للدكتور محمد أمين صالح، استفاد البحث منه في الفصل الخاص بالنواحي الاقتصادية والاجتماعية لليمن، وله أيضاً عدة بحوث عن الزريعيين والصليحيين والنجاحيين وآل مهدي سترد أسماؤها والمجلات التي نشرت بها في قائمة المراجع. واستفاد البحث أيضاً بكتاب (الأيوبيين في اليمن) للدكتور محمد عبدالعال أحمد في النواحي السياسية والإدارية للأيوبيين في اليمن والنظم الأخرى مثل الإقطاع الاداري والعسكري والنواب ونظام الأتابك. كذلك استفاد البحث أيضاً في النواحي السياسية والاقتصادية والإدارية والإجتماعية للأيوبيين من كتابين هما: كتاب (الحجاز واليمن في العصر الإسلامي) للدكتور جميل حرب محمود حسين، وكتاب (الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في اليمن في العصر الأيوبي) لمحمد بن علي بن مسفر العسيري. واستفاد البحث في النواحي السياسية والإدارية والإقتصادية لبني زريع والأيوبيين في عدن بكتاب (عدن دراسة في أحوالها السياسية والاقتصادية 476 - 626هـ). كذلك استفاد البحث بكتاب (اليمن في ظل الإسلام) للدكتور عصام الدين عبدالرؤوف في النواحي السياسية والإدارية والإقتصادية والإجتماعية لليمن، وكتاب (تاريخ اليمن السياسي في العصر الإسلامي) للدكتور حسن سليمان محمود في النواحي الإدارية والسياسية. وكذلك استفاد البحث في النواحي السياسية للدولة النجاحية بكتاب الدكتور محمد عيسى الحريري (معالم التطور السياسي في دولة بني نجاح في اليمن وعلاقتهم بالصليحيين).

واستفاد البحث كذلك في النواحي المذهبية والدينية بعدة كتب منها: (تاريخ اليمن الثقافي) الجزء الرابع لأحمد حسين شرف الدين، وكتاب (تاريخ المذاهب الدينية في بلاد اليمن حتى نهاية القرن السادس الهجري) للدكتور ايمن فؤاد سيد، وكتاب (الحياة الفكرية في اليمن في القرن السادس الهجري) للدكتور محمد رضا الدجيلي.

هذا بجانب الكثير من المراجع والدوريات المذكورة في قائمة المراجع.

وبذلك نأمل أن نكون قد وفقنا في إعطاء صورة موضحة عن الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في اليمن خلال فترة الدراسة.



والله ولي التوفيق والهداية

القسم الأول
التاريخ السياسي

الباب الأول: الدولة الصليحية

الباب الثاني: دويلات صنعاء وعدن وزبيد

الباب الثالث: الحكم الأيوبي لليمن

الباب الأول
الدولة الصليحية

الفصل الأول: علي بن محمد الصليحي

الفصل الثاني: المكرم أحمد بن علي الصليحي

الفصل الثالث: السيدة الحرة أروى الصليحية

الفصل الأول

علي بن محمد الصليحي .

مقدمة :

في غياب الفكر الموحد لجميع الناس ثقافياً واجتماعياً وسياسياً وعدالته ، تظل العوامل الطبيعية والقبلية هي الأكثر تأثيراً والأكثر سيطرة على حياة الناس ، وإذا استعرضنا طبيعة اليمن الجبلية نجد أنها أثرت على حياة اليمنيين السياسية والإجتماعية والثقافية تأثيراً كبيراً على مدى عصورهم المختلفة وذلك في غياب الفكر الموحد لهم أو في وجود الخلاف السياسي .

فالشكل الجغرافي لليمن عبارة عن مناطق جبلية متعددة يتخلل هذه الجبال قيعان وأودية ضيقة أو متوسطة الإتساع ، وكل منطقة تنفصل عن الأخرى بحاجز جبلي يصعب اجتيازه عند الإنتقال من منطقة إلى أخرى . هذه التشكيلة أدت إلى انعزال المناطق اليمنية عن بعضها البعض.. فنشأت في كل منطقة منعزلة جماعة من الأفراد أصبحت هذه الجماعة عبر مرحلة من الزمن ترتبط مع بعضها البعض بقرابة أسرية، تطلبت الظروف في تلك المناطق أن يوجد الأفراد لأنفسهم انظمة تحميهم من الآخرين ، وأنظمة تنظم علاقتهم مع بعضهم البعض . فوجد لذلك ما يطلق عليه القبيلة . وبذلك تكون المنطقة الجغرافية المنعزلة هي التي أنشأت القبيلة. أو أن القبيلة نشأت من أسرة واحدة، فعبر مرحلة من الزمن أصبحت الأسرة تتكون من مجموعة كبيرة من الأفراد ، ونتيجة لتلك الظروف الطبيعية فقد أدت إلى التقليل من اللقاء بين القبيلة والقبائل الأخرى المجاورة لها وأدى ذلك إلى الإنعزال، فنشأت لكل منطقة منعزلة عبر مرحلة زمنية لهجة خاصة بها، أدى ذلك إلى تعدد لهجات المناطق اليمنية فأسهم ذلك في التباعد بين المناطق اليمنية المتعددة وتعميق النظام القبلي . لذلك أصبح لكل منطقة منعزلة قبيلة معينة لها حدودها الخاصة بها ، كما أصبح لها نظامها الخاص بها .

إلا أن هذه الحدود لم تظل ثابتة فقد أدى ازدياد أفراد القبيلة الواحدة عن امكانيات المنطقة المنعزلة اقتصاديا إلى البحث عن مناطق مجاورة للسيطرة عليها ، فتحول بذلك النظام

القبلي إلى نظام سياسي يتسع وينكمش بحسب قوة القبيلة وضعفها . وفي ظل الفكر الموحد تمكنت الجماعات من أن تكون دولة موحدة لليمن كلها ، فنشأت بها الحضارات المتنوعة وظلت حضاراتها قائمة ما دامت مستمرة على العدل وفكرها الموحد، وفي غياب العدل والفكر الموحد انهارت تلك الحضارات وعادت سيطرة العوامل الطبيعية والقبلية من جديد تسيطر على اليمن .

وبالنسبة للفترة الإسلامية فقد عمل الفكر الإسلامي على توحيد الناس ثقافياً واجتماعياً وسياسياً ، فساهم ذلك في وحدة اليمن والعالم الإسلامي في دولة واحدة استمرت طيلة عدة قرون ، إلا أنه نتيجة إتساع العالم الإسلامي وتنوع ذكاء الأفراد في معرفة مفاهيم الدين الإسلامي ، أدى إلى إنتشا العديد من المذاهب الدينية في العالم الإسلامي ، وعلى الرغم من تعدد المذاهب الدينية إلا أن وحدة الفكر الإسلامي ظلت هي الموحدة لهم ، فلم يكن من هذا التعدد المذهبي خلافاً يوجب الإختلاف عليه بل جعلته اجتهاداً في مجال الدين ، ولكن هذه الوحدة السياسية والدينية لم تستمر فقد عاد الإنقسام إليها بمسببات عدة ، فعندما تعددت رؤية المسلمين السياسية ظهر الخلاف فيما بينهم وتناقضوا، مما جعل المسلمين يدخلون في صراع مستمر وحروب دامية مع بعضهم البعض حول المفهوم السياسي فأدى ذلك إلى تفكك المسلمين بل وإلى تخلفهم .

وعلى الرغم من أن ساسة المسلمين حاولوا حل الخلاف السياسي بإغفال مفهوم الشورى وتسليم أكثر الفرق بالنظام الوراثي تجنباً للصراع حول السلطة . إلا أن هذا النظام الوراثي لم يحل المشكلة ، فقد عمق الصراع فيما بينهم أكثر وأظهر تباينات واضحة في خلافاتهم وتباعداً كبيراً فيما بينهم ، مما صعب في حل مشاكلهم السياسية . فالشيعة جعلوا السلطة وراثية في أسرة واحدة . فعمل الإسماعيلية والإمامية على جعل الوراثة في أولاد الحسين ، والزيدية جعلت السلطة وراثية في أولاد فاطمة ، وبالرغم من حصرهم السلطة وراثية في أسرة واحدة أو شخص واحد ، إلا أنه ظهر خلاف وتناقض فيما بينهم حول هذا المفهوم فحاربوا بعضهم البعض . أما أهل السنة فقد جعلوا السلطة في القرشيين وعمل الأمويون ثم العباسيون بعدهم على حصر السلطة وراثياً في أسرتهم ، فدخلوا في صراع

مستمر مع بعضهم البعض ، ومع القرشيين الآخرين مثل العلويين حول من يكون أحق بالوراثة . بينما جعل الخوارج السلطة في جميع العرب ولكنهم لم يتفقوا في هذا المفهوم فقد صارع بعضهم البعض وتوزعوا إلى عدة فرق كل فرقة فيهم تكفر الأخرى ولم يتخلصوا من نظام الوراثة فقد توارثوا السلطة فيما بينهم .

ونتج عن ذلك أن اتجه أصحاب كل مذهب سياسي يستقطب الأنصار بناء على فكرتهم المذهبية والسياسية ، فادعى أصحاب كل مذهب سياسي أنهم أصحاب الحق في تولى السلطة السياسية دون غيرهم من الفرق ، وأوردوا لذلك الأدلة والبراهين والحجج التي تؤيد رأيهم وتقنع بها أنصارهم . لذلك إستخدم أصحاب كل مذهب سياسي أسلوباً خاصاً بهم في دعوة الناس واستقطاب الأنصار إلى مذهبهم السياسي ، فالشيعة الإسماعيلية اتخذوا أسلوب الدعوة السرية ثم استخدموا القوة للوصول إلى السلطة ؛ أما الزيدية فقد استخدموا أسلوب الدعوة إلى الذات بظهور الإمام داعياً إلى نفسه بالإمامة وشاهراً سيفه ضد السلطة المخالفة له مذهبياً مدعياً أنه أحق بالسلطة من غيره من الناس ، بينما عمل أهل السنة على تأييد السلطة الموجودة من أموية وعباسية وغيرها ، معتقدين بمذهبهم الديني والسياسي وأخذوا يستمدون سلطتهم الشرعية منها فنشأ لذلك صراع مستمر وقتال مرير حول السلطة بين كل تلك الفرق.

ولم يكن هذا الصراع سببه الخلاف المذهبي الديني ، بل كان سببه الخلاف السياسي حول السلطة. لذلك فقد كان محور الصراع في الفترة الإسلامية في اليمن وغيرها هي السلطة أدى ذلك الخلاف السياسي والصراع حوله إلى عودة العوامل الطبيعية والقبلية في التغلب على أوضاع اليمن السياسية .

ومع تسليمنا بوحدة اليمن فكرياً وثقافياً واجتماعياً منذ فجر الإسلام حتى الآن ، إلا أن الخلاف السياسي والعامل القبلي ، وطبيعة اليمن الجبلية المعقدة أثرت على ذلك تأثيراً واضحاً وزاد في وضوح ذلك غياب الوحدة السياسية لليمن . وهنا سنعطي صورة عن وضع اليمن السياسي ثم المذهبي قبيل قيام الدولة الصليحية .

في بداية القرن الخامس الهجري كانت اليمن مفككة سياسياً ومجزأة إلى وحدات سياسية متعددة تحكمها زعامات قبلية مختلفة أهمها قبائل حِمْيَر وقبائل همدآن ، فاليمن الأسفل كان مقسماً بين قبائل حمير وكانوا غالباً ما يخضعون لحكام تهامة باعتبارهم ممثلين للخلافة العباسية . واليمن الأعلى كان مقسماً بين قبائل همدان والزيدية ، فقبائل همدان كانوا أحياناً يطيعون حكام تهامة وأحياناً يستقلون بالسلطة لانفسهم وتارة أخرى يطيعون الزيدية ، وإذا ما رسمنا خارطة سياسية توضح حكم الزعامات القبلية لليمن آنذاك وماطرأ عليها من تغير فهي كالآتي : -

1 - (بنومَعْن) وهم من ذي أصبح ثم من حمير حكموا عدن ولحج وأبين وحضرموت والشحر[1] .

2 - (بنو الكَرَنْدِي) وهم من حمير حكموا مخلاف المعافر ومخلاف الجَنَدْ بحصونها مثل السَّمَدَان والسَّوَأ والدُمْلُوة ، وصَبِرْ وذُخَر (جبل حبشي) ثم توسعوا نحو مخلاف جَعْفَر، فسيطروا على مخلاف عَنَّة (العدين) بمدنها مثل الْمُذَيْخِرَة وذي جبْلَة وحصونها مثل التَّعْكَر[2] .

---

(1) عمارة بن علي اليمني : تاريخ اليمن ص:86 . تحقيق محمد الأكوع ، مطبعة السعادة ، القاهرة ط2، 1976م ، عبد الرحمن ، بن الديبع : قرة العيون في اخبار اليمن الميمون ، ص:334 ، تحقيق محمد الأكوع المطبعة السلفية ، القاهرة،) يحيى بن حسين : غاية الأماني في اخبار القطر اليماني ، جـ1، ص:241 ، تحقيق عبد الفتاح عاشور ، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة 1968 م.

(2) عمارة : تاريخ اليمن، ص: 86، 87 ، ابن المجاور: صفة بلاد اليمن ، ص:72،73 ، تحقيق اسكارلو لفغرين ، طبعة لندن ، مطبعة بريل، 1951م ، عبد الرحمن بن محمد الوصابي: تاريخ أصاب المسمى الاعتبار في التواريخ والاثار، ص: 29 ، تحقيق عبد الله الحبشي ، دار العودة بيروت ط1 ، 1979م علي بن الحسن الخزرجي: العسجد المسبوك في من ولي اليمن من ملوك ص:105 ، مخطوط مصور دار الفكر ، دمشق ، صورة ثانية ، سنة 1981 . ابن الديبع: قرة العيون ص: 334-335 ، يحيى بن الحسين : غاية الأماني جـ1، ص:241 ، محمد بن إسماعيل الكبسي: اللطائف السنية في اخبار =

3 ـ بنو أصْبَح وهم من حمير حكموا المنـاطق الواقعة شرق وشمال مدينـة (إب) مثـل حصـن حَبٍّ (بعدان) وعَزّان وبيت عز والشِّعِر وأَنْـور والنقيـل والسَّحُول ، ثـم صـارت تلـك المناطق تحت حكم بني التبعي[3] .

الممـالك اليمنيـة، ص: 25 ـ 26 ، مطبعـة السـعادة ، مصـر ، 1983 م ، حسـين بـن فيـض الهمدانـي: الصليحيون والحركـة الفاطميـة في اليمـن ، ص: 63 ، دار المختـار ، دمشـق ، 1955 م ، د. محمـد عبـد العال : الأيوبيون في اليمن ص: 41- 62 ، الهيئة المصرية العامـة للكتـاب، 1980م ، السَّوَا : حصـن مـن أعمال تعز يسمى اليوم عزلة السوا مركزها النشمة، السَّمَدَان: حصن باليمن عظيم الخطر ، هـو اليـوم عزلة الشمايتين من أعمال تعز ، الدُمْلُوة: حصن عظيم باليمن يقع في جنوب الجند وهو مـن الصلـو مـن أعمال تعز ، صَبِرْ: اسـم الجبل الشامخ العظيم المطـل علـى تعز فيـه عـدة قـرى وحصـون ، ذخـر: جبـل بالمعافر باليمن أو مقاطعة كبيرة من المعافر ويسـمى اليـوم جبـل حبشـي ، التعكـر: قلعـة حصينـة عظيمـة باليمن من خلاف جعفر مطلة علـى ذي جبلـةٌ ، مخـلاف الجنـد: يسـمى اليوم تعـز ، والمعـافر: الحجريـة مـن أعمـال تعـز ، ومخـلاف جعفـر : اب ، ومخـلاف عَنّـة: العديـن مـن أعمـال اب (القـاضي إسمـاعيل الأكوع: البلـدان اليمانيـة عنـد يـاقوت الحمـوي ص: 144 ، 145 ، 109 ، 161 ، 55 ، 201 ، يـاقوت الحموي: معجم البلدان ، دار صادر ، بـيروت 1957م ، جـ2، 34، 471 ، جـ3 : 246 ، 270 ، 392 ، البغـدادى : مراصـد الاطـلاع ، دار احيـاء الكتـب العربيـة ، مصـر ، 1954م ، ص: 265 ، 534 ، 729 ، 735 ، 832 .

(3) عمـارة: تـاريخ اليمـن، ص: 87 ـ 89 ، ابـن المجـاور : صفـة بـلاد اليمـن ، ص: 72ــ73 ، الوصـابي : الاعتبـار، ص:29 ، الخزرجي : العسـجد ، ص:105 ، ابـن الديبـع: قـرة العيـون ، ص: 335 ـــ 336 ، يحيى بن حسـين : غايـة الأمـاني ، جـ1 ص: 241 ، الكبسـي : اللطـائف ، ص: 25 ـ 26 ، محمـد عبـد العـال: الأيوبيـون في اليمـن ، ص: 41 ـ 42 ، حصـن حـب : حصـن مشـهور في مخـلاف بعـدان مـن اعمـال اب ، عـزان : مـن حصـون ريمـة بـاليمن ، بيـت عـز : مـن حصـون اليمـن في بعـدان ، خُـدَد : حصـن في مخلاف جعفـر بـاليمن وهـو مـن ناحيـة حبيـش مـن أعمـال اب ، حصـن الشـعر : في ناحيـة النادرة متصل ببعدان شـرقاً ، أنـور : حصـن بـاليمن مـن مخـلاف قيضـان ، وهـو في ناحيـة المخـادر مـن أعمال اب ، النقيل : هـو نقيـل صيـد وهـو بـين مخـلاف جعفـر وحقـل ذمـار ، ويسـمى اليـوم سمـارة ، السحول : كان أحد مخاليف اليمن ، وهـو حقـل يبـدأ مـن سـفوح مدينـة اب الشـمالية ويمتـد شمـالاً إلى رحـاب ، الشـوافي : مخـلاف مـن ذي الكـلاع قـرب العديـن ، الأكـوع : البلـدان اليمانيـة ، ص: 33 ، 135 ، 102 ن 46 ، 280-281 ، الهمداني : الصليحيـون ،ص: 63 هــ6 ، ابـن الديبـع : قـرة العيـون ، ص:337، جـ2، ياقوت الحموى: معجم البلدان ، جـ1: 273، 2 ـ 348، 3-195، 4- 118 ، 5- 303 =

4 - (بنووائل) وهم من الكلاع ثم من حمير حكموا المناطق الواقعة غرب وشمال مدينة ذي جبْلَة مثل مخلاف وُحَاظَـة بحصونهـا مثـل يَرْيَـسْ ودَهْـرَان ويَفُـوْز وعِـزَّان والخضـراء وشعب ومدينتهم شاحط ثم حـل محلهـم بنـو التبعي في الشـمال وبنـو الكَرَنْـدِي في الجنوب(4) .

5 - (بنو التبعي) وهم من حمير حكموا المنـاطق الشـمالية لمدينـة ذي جبلـة مثـل حصـن خدد (جبـل حبشـي) والشـوافي أولا ، ثـم توسـع حكمهـم نحـو المنـاطق الشـمالية والشـرقية لمدينـة إب، فسـيطروا علـى حصـن حـب (بعـدان) وعـزان والشـعر والسحول(5) .

6 - (بنو عبد الواحد) وهم من حمير أيضاً حكموا المنـاطق المجـاورة لبـاجل مثـل أعمـال بُرَع والعَمَد ولَعْسَان (6) .

= البغـدادى : مراصـد الاطـلاع ، ص: 126 ، 453 ، 696 ، 938 ، 1388 . يحيـى بـن حسـين : غايـة الأماني ، جـ1 ص: 241 .

(4) عمـارة : تـاريخ اليمـن ص:90 ــ91 ، ابـن المجـاور: صفـة بـلاد اليمـن،ص: 72ــ73 ، الوصـابي: الاعتبـار،ص: 29 ، الخزرجي: العسـجد ، ص: 105 ، ابـن الديبـع: قـرة العيـون، ص: 335 ــ 336 ، يحيى بن حسـين: غاية الأماني، جـ1 ص: 241 ، الكسـبي : اللطـائف،ص:25 ــ26 ، محمـد عبـد العـال: الأيوبيون في اليمن، ص: 41ــ42 ، حصـن يريـس: أحـد حصـون مخـلاف وحاظـة ، دهـران : مـن قـرى اليمن وهو حصن في عزلة بني عوض من حبيش من أعمال إب ، يفـوز : مـن حصـون حمـير في مخـلاف جعفر الذي يسمى اليوم إب ، شعب : جبل باليمن أو حصن في جبل حضراء أعلى جبل حبيش ،عزان: من حصون ريمة باليمن ، الخضراء : حصن باليمن في جبل أوصاب مـن أعمـال زبيـد أو مقاطعـة حسـنة أعلى جبل حبشي، ظفرْ: حصن في جبل وصـاب من أعمال زبيـد بـاليمن، القـاضي الأكـوع: البلـدان اليمانية ، ص: 284، 110 ، 297 ، 103 ، 180 ، 195 . ابن الديبع : قـرة العيـون ، ص: 339 ، هـ1 ، ص: 338 هـ1 ، يحيى بن الحسين : غاية الأمـاني ، هــ ص. 241 ، يـاقوت الحمـوى: معجـم البلـدان 2 -391 ، 4-118 ، 5-439 ، البغدادي . مراصد الاطلاع ، ص: 545 ، 938 ، 1481.

(5) الخزرجي : العسـجد ، ص: 105 ، ابـن الديبـع: قـرة العيـون ، ص: 335 ــ 337 ، محمـد الحـداد : التاريخ العام لليمن ، جـ2: 229 .

(6) عمارة . تاريخ اليمن ، ص: 94 ، الحداد : التاريخ العام ، ص: 229 .

7 ـ وبالنسبة لقبائل همدان فقد حكم قوم منهم حصن أَشْيَح (آنس) ومُقْرَى ومخاليفها[7].

8 ـ (صنعاء وما حولها) حكمها كل من آل الضحاك الهمداني وأبي الفتوح الخولاني والأئمة الزيدية وقد دار صراع كبير بين هذه القوى الثلاث حول السيطرة على صنعاء ، وكانت كل قوة من هذه القوى الثلاث تسيطر على صنعاء لبعض الوقت إلا أن آل الضحاك كانوا أكثر تلك القوى سيطرة عليها[8] .

9 ـ (صعدة وما حولها) كانت تحت حكم الأئمة الزيدية[9] .

10 ـ (مغارب اليمن الأعلى) أو مغارب صنعاء تحت سيطرة بني شاور [10] .

11 ـ (حصن مسار) تحت حكم قوم من حراز [11] .

12 ـ (تهامة) كانت تحت حكم بني نجاح وكانوا يوالون الخلافة العباسية [12] .

وعند بدء إعلان علي الصليحي قيام دولته في العقد الرابع من القرن الخامس الهجري كانت أهم الزعامات القبلية الحاكمة لليمن هم (بنو معن) في عدن ،(وبنو الكرندي) في المعافر ، (وبنو التبعي) في السحول ، (وبنو نجاح) في تهامة ، (وبنو شاور) في مغارب اليمن الأعلى ، (والزيدية) في صعدة ، و(آل الضحاك الهمداني) في صنعاء .

---

(7) عمارة : تاريخ اليمن ، ص: 93 ، ابن الديبع : قرة العيون، ص: 240 ، الخزرجي : العسجد المسبوك ، ص: 105 ، اشيح : حصن منيع عالي جداً في جبال اليمن ويعرف اليوم بحصن ظفار من أعمال آنس، ومقرى : مخلاف مكون من مخلاف المنار من أعمال آنس ، ومن ناحية مقرى عنس وبعض مخلاف وادى الجار من أعمال ذمار . إسماعيل الأكوع: البلدان اليمنية ، ص: 29 ، 272 .

(8) ابن عبد المجيد : بهجة ، ص: 64 ، الخزرجي : العسجد ، ص: 50 ، يحيى بن حسين : غاية الأماني ، 242/1 .

(9) يحيى بن حسين : غاية الأماني : 1/ 234 ـ 235 .

(10) ابن الديبع : قرة العيون ، ص: 244 .

(11) عمارة : تاريخ اليمن ، ص: 94 .

(12) ابن الديبع : قرة العيون ، ص: 334 .

ومن ناحية الوضع المذهبي لليمن في بداية القرن الخامس الهجري فإنه نتيجة لطبيعة اليمن الجبلية وبعدها عن مركز الخلافة العباسية ، فقد كانت محطة جذب لجميع الفرق الإسلامية ، لذلك انتشرت فيها جميع المذاهب الإسلامية ، فمذهب الإسماعيلية انتشر في مغارب اليمن الأعلى فضلاً عن نجران وعسير [13] ، ومذهب الأباضية انتشر في غرب صنعاء في شظب [14] ، وفي حضرموت ، أما الزيدية فقد انتشرت في صعدة وما حولها بينما انتشرت مذاهب أهل السنة في بقية اليمن [15] .

قيام الدولة الصليحية:

وفي أثناء هذا التفكك السياسي والتعدد المذهبي لليمن وبالتحديد في الربع الثاني من القرن الخامس الهجري ظهرت شخصية يمنية تعتنق المذهب الشيعي الإسماعيلي ، يدعى علي بن محمد الصليحي ، يعلن قيام دولة جديدة في اليمن تسمى الدولة الصليحية ، ويعلن الولاء الإسمي للخلافة الفاطمية في مصر وقد أدت هذه الشخصية دوراً بارزاً في تاريخ اليمن السياسي خلال هذه الفترة حيث يرجع إليها الفضل الأكبر في قيام الدولة الصليحية وتوحيد اليمن ، وباستعراض أدوار علي الصليحي في قيام الدولة الصليحية مبتدئين بمعلمه سليمان الزواحي فهي كالآتي :

---

(13) محمد بن مالك الحمادي : كشف أسرار الباطنية ، ص: 37 ، 75 ، 36 . تحقيق د/ زينهم ، دار الصحوة ، مصر ، ط1 : 1986 م ، مسلم اللحجي : شيء من أخبار الزيدية ،ق5، 20 ، صورة لدى الباحث ، الحسن بن أحمد الهمداني : الأكليل جـ1، ص: 329 . تحقيق محمد الأكوع ، مطبعة السنة المحمدية ، القاهرة ، 1963م ، د. محمد أمين صالح: تاريخ اليمن الإسلامي (عصر الولاة) ص: 178 مطبعة الكيلاني، القاهرة، ط1، 1975م.

(14) مسلم اللحجي : شيء من أخبار الزيدية ، ق5 ، 20 .

(15) عمربن علي بن سمرة: طبقات فقهاء اليمن ،ص: 80 ، 87-88 ، تحقيق فؤاد سيد دار القلم – بيروت ، د ت ، محمد بن يوسف الجندي : السلوك في طبقة العلماء والملوك حـ1، ص: 249 ، تحقيق محمد الأكوع ، نشر ج ع.ي وزارة الاعلام ، ط1، 1983 م ، الحسين بن عبد الله الأهدل : تحفة الزمن في تاريخ اليمن ، ص: 242 ، تحقيق عبد الله الحبشي ، منشورات المدينة ، دار التنوير للطباعة بيروت ط1 ، 1986 م .

سليمان الزواحي :

ظل دعاة الإسماعيلية في اليمن مستمرين بالدعوة سراً ، تنتقل من شخص إلى آخر إلى أن تولى رئاسة الدعوة فيها أحد شخصيات حمير هو سليمان بن عبد الله الزواحي وذلك في عهدي الحاكم وعهد الظاهر الفاطميان [16] ، أي فيما بين سنوات (400 هـ إلى 427 هـ) وقد اتصف سليمان الزواحي بكثرة المال والجاه [17] . وبكرم النفس والتعامل الطيب مع الأفراد حيث (كان يكرم الناس ويتلطف بهم) [18] . هذه الصفات جعلت سليمان الزواحي يؤدي دوراً بارزاً في استمالة الكثير من أهل مغارب اليمن الأعلى وأهل حراز إلى مذهبه الإسماعيلي ، وكان أهمهم علي بن محمد الصليحي الآتي ذكره والذي كون دولة إسماعيلية في اليمن .

أ ـ المرحلة المبكرة لعلي الصليحي :

* نسبـــه :

ولد علي بن محمد الصليحي في قرية (قَتَرْ) من أعمال حراز [19] في سنة 403 هـ /1012م) [20] ، وينتسب إلى قبيلة الأصلوح من بلاد حراز [21] وإلى آل الصليحي من بني

---

(16) الحمادي : كشف ،ص: 80 ، ابن عبد المجيد : بهجة اليمن ،ص: 74 ، عماد الدين ادريس الحمزي : تاريخ اليمن من كتاب كنز الأخيار في معرفة السير والأخبار،ص: 77 ، تحقيق عبد المحسن مداعج ، مؤسسة الشراع العربي ، الكويت ، 1992 م .. يوضح الحمزي أن دعوة سليمان الزواحي استمرت في عهد الحاكم والظاهر والمستنصر ، ص: 77 .

(17) ابن عبد المجيد : بهجة الزمن ص: 74 ، ادريس الحمزي : تاريخ اليمن كنز الأخيار ، ص: 77 .

(18) الحمادي : كشف ، ص: 80 .

(19) الهمداني : الصليحيون ،ص: 65 ، مصطفى غالب : أعلام الاسماعيلية ،ص: 403 ، دار اليقظة العربية ، بيروت ، 1964 م .

(20) مصطفى غالب : أعلام الاسماعيلية ، ص: 403 .

(21) الهمداني : الصليحيون ،ص: 64 ، العرشي : بلوغ المرام ص: 24 ، الواسعي : تاريخ اليمن ،ص: 172 ، وحراز من حمير ، عرشي 24 .

عبيد بن أوام بن حجور ثم من همدان ، وهم بيت من الآخروج بين حضور وهوزن [22] وقد اتصف هؤلاء الصليحيون بأنهم أمجاد كرماء [23] .

تعليمـــه:

من الأمور الأكثر أهمية معرفة مدارس أبرز قادة اليمن آنذاك ، أمثال علي الصليحي ودور هذه المدرسة في تكوين عقله وفكره السياسي والمذهبي ، فقد نشأ علي الصليحي في بيت عرف بالعلم والتقوى [24] ، فوالــده قـاضي حـراز ، وأهـم شـخصية تولـت تعليمـه هـو سليمان الزواحي الذي كان على علاقة طيبة بأبيه ومقربا إليه ، فقد كـان سـليمان الزواحـي يفد كثيراً علـى قـاضي حـراز السـني محمـد الصليحـي ، يلاطفـه ويتقـرب إليـه وذلـك نظـراً (لرئاسته وسؤدده وصلاحه وعلمه)[25] ، مما جعل قاضي حـراز يثـق بـه كثـيرا ويعهـد إليـه بتعليم ابنه علي الصليحي.

ولكثرة مخالطة سليمان الزواحي للقاضي محمد الصليحي وتعليمه لابنه ، أدرك ذكـاء علي الصليحي وفطنته وهو دون البلوغ . فاجتهد على تدريسه العلوم الإسـلامية ، ولمـا كـبر علي الصليحي أخذ سليمان الزواحي (يخلو به ويحدثه على ما عنده من مذهب[26]) . واستمر على ذلك (حتى استماله وغرس في قلبه ولبه ما غرس من علومه وأدبه ومحبة مذهبـــه)[27]

---

(22) أبو محمد الحسن الهمداني : الأكليل جـ10 ، ص: 99 ، تحقيق محب الدين الخطيب ، المطبعة السلفية القاهرة ، 1368 هـ ، الهمداني : الصليحيون ، ص: 64 .

(23) أبو محمد الحسن بن يعقوب الهمداني : صفة جزيرة العرب ، ص: 211 ، تحقيق محمد الأكوع ، دار الآداب ، بيروت ، ط 3 ، 1403 هـ - 1983 م .

(24) الهمداني : الأكليل ، جـ 99/10 .

(25) مصطفي غالب : أعلام الاسماعيلية ، ص: 42 .

(26) عمارة : تاريخ اليمن ، ص: 96 ، الخزرجي : العسجد ، ص: 56 ، ابن الديبع : قرة العيون ، ص: 242 ، الهمداني : الصليحيون ، ص: 68 ، يحيى ابن الحسين : غاية ، 1 - 248 .

(27) الخزرجي : العسجد ، ص. 56 ، ابن الديبع : قرة العيون ، ص : 243 ، عبد الله الطيب بامخرمة:ثغر عدن ، ص: 191 ، بيروت دار الجيل ، عمان ، دار عمار ، ط2 ، 1987 ، الهمداني : الصليحيون ص : 68 ، د . مصطفي غالب ، أعلام الاسماعيلية ، ص 403 ، د. حسن سليمان =

حدث ذلك دون علم أبيه وقومه [28] . وطبيعي أن يكون ميل علي الصليحي إلى المذهب الإسماعيلي دون علم أبيه وقومه ، وذلك بسبب مرور الدعوة الإسماعيلية بدور الستر ، وخوفاً عليه من أبيه لأن أباه محمد الصليحي كان سني شافعي المذهب وقاضي حراز ، وحرصاً عليه من معارضة قومه له ، لأن مذهب قومه كان مذهب أهل السنة وهم على عداء مع الإسماعيلية .

زواجـــه :

يعد زواج علي الصليحي ظاهرة فريدة ، فيها نوع من الطرافة والغرابة ، وهي تعطي صورة عن الحالة المالية لرجل تمكن من أن يحكم اليمن كلـه ، إن دل ذلك على شيء فإنما يدل على عقليته ومقدرته على عدم اليأس من أكبر الأمور وأصغرها ، فبالرغم من أن عليا الصليحي كان ابنا لقاضي حاز ، وأنه من آل الصليحي الموصوفون بالنجدة والكرم إلا أنه لم يكن صاحب ثراء عريض آنذاك ، فقد وصف عمارة حالته بأنه : (تقلبت به الأحول في مبادي عمره من خفض إلى رفع ومن ضر إلى نفع)[29] . ومن ذلك أنه عندما بلغ علي الصليحي الحلم أو مبلغ الرجال ، وأراد الزواج من إبنة عمه أسماء بنت شهاب ، غال أبوها عليه في مهرها ، فحاول علي الصليحي الإتجاه إلى ملوك بني معن في عدن وآل الكرندي في السَّوأ من المعافر ، للاستعانة بهم في تدبير المهر [30] ، وكانت عادات العرب آنذاك ينجدون من يطلبهم الإعانة ممن يتعرضون لصولة الدهر ونكباته ، مثل تحمل الديات [31] .

= محمود: تاريخ اليمن السياسي في العصر الاسلامي ، ص: 172 ، بغداد ، المجمع العلمي العراقي ، ط1 ، 1969 م .

(28) عمارة : تاريخ اليمن ، ص: 96 ، الخزرجي : العسجد ، ص: 56 ، ابن الديبع : قرة العيون ، ص: 243 ، الهمداني: الصليحيون ، ص: 68 .

(29) عمارة : تاريخ اليمن ، ص: 97 ، الهمداني: الصليحيون ، ص: 65 .

(30) عمارة : تاريخ اليمن ، ص: 98 ـ 99 ، الهمداني: الصليحيون ، ص: 66 ، الحداد : التاريخ العام ، ص: 215 .

(31) الهمداني : الأكليل ، جـ 2 - 66 .

ولما سار علي الصليحي نحوهم ، ووصل إلى زبيد مساءً، دخل أحد مساجدها المجاورة لفرج السحرتي ،.وجلس يقرأ القرآن وأثناء ذلك خرج فرج السحرتي إلى المسجد يتفقد أحوال الغرباء النازلين عليه ، وكان (من أهل المعروف والصدقات الواسعة)[32] . ومن عادته أن يتفقد أحوال الضيوف سراً عن وكلائه وخدمه ، فلما رأى فرج السحرتي رجلا غريباً يقرأ القرآن ذهب إليه وطلب منه تناول طعام العشاء عنده ، وفي البداية تجاهل علي الصليحي دعوة فرج السحرتي لإكرامه ، وقال في ذلك شعراً من قول الشاعر المتنبي قوله:

من علم الأسود المخصي مكرمة .:. أعمامه الغر أم أخواله الصيد

ومع ذلك فإن فرج السحرتي لم يلمه على ذلك ، واصر على أخذه إلى منزله ، فلما أكرمه طلب منه أن يقص عليه سبب نزوله تهامة فأخبره علي الصليحي بقوله: (إن لى عما يقال له شهاب وله ابنة يقال لها أسماء قليلة النظير في الجمال معدومة المثل في الأدب والعقل خطبتها إليه فاشتط في مهرها)[33] ، ولما سمع فرج السحرتي قصته دفع إليه (مالاً جزيلاً أضعاف ما التمس الصليحي وجهز العروسين جميعاً أحسن جهاز يحتفل الملوك به لعقائلهم ، وأعاده إلى عمه فتزوج بأسماء) [34] .

ومن الواضح أن هذه القصة حدثت قبل أن يعهد سليمان الزواحي برئاسة الدعوة وأمواله لعلي الصليحي ، كما أنها كانت بعد موت أبيه القاضي محمد الصليحي ، إذ أنه ليس من المعقول أن يكون أبوه موجوداً ويترك ابنه يذهب في طلب المال من بني معن أو بني الكرندي أو فرج السحرتي ، ولا غال عليه شهاب في مهر ابنته ، إذ أن المهر الذي طلبه

---

(32) عمارة: تاريخ اليمن، ص: 98 ، الوصابي : الاعتبار ، ص: 31 ، الهمداني : الصليحيون: ص: 66 ، الحداد: التاريخ العام ص: 251 .

(33) عمارة: تاريخ اليمن، ص: 98 ، الوصابي : الاعتبار ، ص: 31 ، الخزرجي : العسجد، ص: 56 ، الهمداني : الصليحيون: ص: 66 ، الحداد: التاريخ العام ص: 251 .

(34) عمارة: تاريخ اليمن، ص: 98 ، الوصابي : الاعتبار ، ص: 31 ، الهمداني : الصليحيون: ص: 66 ، الحداد: التاريخ العام ص: 251 .

شهاب كان كثيراً لا يقدر على تدبيره علي الصليحي [35] بسبب موت إبيه وحداثة سنه .

ب ـ المرحلة السياسية لعلي الصليحي .

1 ـ الدور السري :

رئاسة الدعوة :

بعد أن نجح سليمان الزواحي في استماله علي الصليحي إلى مذهبه الإسماعيلي ، وثق به وقربه إليه ، فتوطدت العلاقات بينهما واطمأن إلى ذلك ، واستمر سليمان في نشر الدعوة الإسماعيلية في اليمن سراً حتى عهد بنقل رئاسة الدعوة إلى علي الصليحي ليكمل مشوار المسير في الدعوة بنفس الطريقة السرية ، وذلك عندما شعر سليمان الزواحي بقرب أجله أوصى برئاسة الدعوة الإسماعيلية إلى علي الصليحي ، وأوصى له بجميع كتبه [36] . (وأعطاه مالا جزيلا كان قد جمعه من أهل مذهبه) [37] . كما أوصى أهل مذهبه بالسمع والطاعة له [38] بذلك أصبح علي الصليحي داعية إسماعيلية . وكما يبدو أن ذلك كان سنة 427 هـ / 1035 م) بداية تولى المستنصر الخلافة . بعد ذلك عكف علي الصليحي على دراسة المذهب الإسماعيلي حتى تضلع في معارفه (وأصبح فقيهاً في مذهب الإمامية (الإسماعيلية) مستبصراً في علم التأويل) [39] .

---

(35) عمارة : تاريخ اليمن ، ص: 99 .

(36) عمارة : تاريخ اليمن ، ص: 96 ، عبد الباقي عبد المجيد : بهجة الزمن في تاريخ اليمن ، ص: 74 ، بيروت ـ دار الفكر المعاصر ، ط1 ، 1988 م ، يحيى ابن الحسين : غاية ، 1 ـ 248 ، الوصابي : الاعتبار ، ص: 31 .

(37) ابن عبد المجيد : بهجة الزمن ، ص: 74 ، الخزرجي : العسجد ، ص: 56 ، ابن الديبع : قرة العيون ،ص: 242 ، بامخرمة : ثغر عدن ، ص: 191 ـ 192 ، ادريس الحمزي: تاريخ اليمن كنز الأخبار، ص: 77 ، الهمداني : الصليحيون ، ص: 69 ، د. حسن سليمان : تاريخ اليمن السياسي في العصر الإسلامي، ص: 174، حريرى : معالم ، ص: 28 .

(38) الحماوي : كشف ، ص: 81 .

(39) عمارة : تاريخ اليمن ، ص: 97 ، الخزرجي : العسجد ، ص: 56 ، ابن الديبع : قرة العيون ، =

حجــــه :

ومنذ أن بلغ الحلم بعلي الصليحي بدأ يستخدم اسلوب الحج حقلا لنشر مذهبه الإسماعيلي [40] ، وميدانا لوصوله إلى السلطة ، وذلك بعمله دليلاً للحج (على طريق السروات) والطائف لعدة سنين لا يحج بالناس أحد غيره [41] ، استغرق في هذا العمل ما يقارب الخمس عشرة سنة [42] ، واتصل خلال عمله هذا بأنصارمذهبه الإسماعيلي في أنحاء اليمن ، عن طريق الإلتقاء بهم في الحج ، فتعرف عليهم وعرف إمكانية تحويل الدعوة الإسماعيلية من دورها السري إلى دورها العلني .

استطلاعه الأمر :

وفي الوقت الذي بدأ فيه علي الصليحي يتطلع إلى السياسة والحكم ، توجه في شبابه إلى مدينة حيس يستطلع أخبار عبدي مرجان وهما نجاح وأنيس أو نفيس، وذلك أثناء حربهما من أجل السلطة في تهامة والتي دامت عدة سنوات. وذلك كما يبدو فيما بين سنة 426 هـ إلى سنة 428 هـ . فلما مر على بعض من يعرفه تنكر عنهم ، فخلع ثيابه ولبس ثياب سلاط (بائع سليط) من معصرة من إحدى معاصر حيس[43] ، وبعد معرفة أخبار نجاح وأنيس عاد إلى حراز . وكما يبدو أن صراع نجاح وأنيس حول السلطة في تهامة دفعت علي الصليحى إلى الإهتمام بإظهار دعوته وتكوين دولة له.

= ص: 243 ، با مخرمة : ثغر عدن ، ص: 192 ، الوصابي: الاعتبار ، ص: 31 .

(40) مصطفي غالب : اعلام الإسماعيلية ، ص: 403 ، الهمداني : الصليحيون ، ص: 69 .

(41) عمارة: تاريخ اليمن، ص: 97 ، الخزرجي: العسجد ، ص: 56 ، با مخرمة : ثغر عدن ، ص: 192 ، الوصابي : الاعتبار ،ص: 30 ، الحمزي : تاريخ اليمن كنز الاخيار، ص: 77 .

(42) عمارة : تاريخ اليمن ، ص: 100 - 101 - ابن عبد المجيد: بهجة الزمن ، ص: 75 ، ابن الديبع : قرة العيون، ص: 243 ، با مخرمة : ثغر عدن ، ص: 192 ، يحيى بن الحسين : غاية، جـ1 – 248 ، ابن خلدون. تاريخ ، ص: 137 .

(43) عمارة: تاريخ اليمن، ص 100 .

2 ـ الدور السلمي :

حين أدرك علي الصليحي أنه سوف يستفيد من سمعة ومكانة أبيه القاضي محمد الصليحي لدى أهل حراز كونه كان يطيعه أربعون ألف رجل منهم [44] ، وذلك لإتصافه بأنه كان (حسن السيرة مرضي الطريقة مطاع في أهله ، وجماعته ولا يخرجون عن أمره) [45] عمل على بدء إظهار دعوته سلميا فوقف أهل حراز هؤلاء إلى جنبه .

مبايعته :

وفي هذا الدور بدأ علي الصليحي بإظهار الدعوة الإسماعيلية بطريقة سلمية دون مجابهة أي قوة ، وكانت بداية ذلك بعد أن تولى رئاسة الدعوة الإسماعيلية بوصية من سليمان الزواحي له ، والتفاف الإسماعيلية كلهم حوله ، ففي حج سنة 428 هـ / 1036 م بايعه في مكة على القيام بالدعوة ستون رجلا من الإسماعيلية ، ممن كانوا وجهاء في عشائرهم وفي منعة من قومهم لكثرة عددهم [46]، فساهم ذلك في نقل الدعوة الإسماعيلية من دور الستر إلى دور الظهور السلمي.

تحصنه :

فبعد عودة علي الصليحي من الحج مع من بايعه من أنصاره الإسماعيلية ، طلع جبل

---

(44) عمارة : تاريخ اليمن ، ص: 95 .

(45) الخزرجي : العسجد ، ص: 56 ، ابن الديبع : قرة العيون ، ص: 242 .

(46) عمارة : تاريخ اليمن ، ص: 101 - 102 ، الخزرجي : العسجد، ص: 56 ، ابن الديبع : قرة العيون ، ص: 243 ، ص:244 ، با مخرمة : ثغر عدن ص: 192 ، أحمد المطاع: تاريخ اليمن الاسلامي، ص: 226 ، تحقيق الحبشي ، بيروت ، دار التنوير، ط1، 1986م ، سعيد عوض باوزير : معالم تاريخ الجزيرة العربية، ص: 190 ، عدن، مؤسسة الصبان، ط2 ، 1966 م ، عبد الرحمن ابن خلدون: تاريخ اليمن المنقول من العبر ، ضمن تاريخ اليمن لعمارة: تحقيق حسن سليمان محمود ، دار النشاء ، شارع الجيش ، القاهرة ، 1957 م ، ص: 137 .

مسار للمرة الأولى في شوال سنة 429 هـ / 1037 م ، بغرض تحصينه ، ولما علمت القو السياسية اليمنية المجاورة له بطلوعه وأصحابه حصن مسار ، استنكروا عمله ذلك واتجهوا إليه مسرعين بجموعهم الكثيرة (فأحاط به عشرون ألف ضارب سيف)[47] .

فحاصروه وقبحوا عمله وشتموه ، وقالوا له : (إما نزلت وإما قتلناك أنت ومن معك بالجوع)[48] ، رأى علي الصليحي أنه غير قادر على مقاومة هذه القوى الكبيرة فاستخدم معهم اسلوب المهادنة والمسالمة فقال لهم (إني لم أفعل ما فعلت إلا خوفاً عليكم أن يملك هذا الجبل علينا وعليكم ، فإن تركتموني أحرسه وإلا نزلت إليكم)[49] ، فاقتنعوا بكلامه هذا وانصرفوا عنه فأخذ علي الصليحي يبني حصن مسار بناء منيعاً ، بوضعه دربا محكماً على أنحاء الحصن ، فلم تمض غير أشهر قليلة حتى أكمل تحصينه[50] بذلك يكون علي الصليحي قد بدأ في إعلان الخطوة الأولى نحو بدء قيام دولته .

دخوله صنعاء:

وفي هذا الدور السلمي تمكن علي الصليحي من دخول صنعاء في سنة (432 هـ /1040م) وذلك أثناء انعدام وجود سلطة القبائل الهمدانية ، والخولانية ، والأئمة الزيدية ، وغيرهم على صنعاء ، بسبب احتدام الصراع القبلي حول تولي السلطة بها حيث كانت صنعاء تخلو من وجود سلطة بها في بعض السنوات ، من ذلك أنها خلت على فترات منها في

---

(47) عمارة : تاريخ اليمن ، ص:117 ، الخزرجي: العسجد، ص: 56 ، ابن الديبع : قرة العيون ، ص: 244 ، بامخرمة : ثغر عدن ، ص: 192 ، الوصابي: الاعتبار، ص: 32 .

(48) عمارة : تاريخ اليمن ، ص: 117 ، ابن عبد المجيد : بهجة الزمن ، ص: 75 ، الخزرجي : العسجد ، ص: 56 ، ابن الديبع : قرة العيون ، ص:244 ، بامخرمة : ثغر عدن ، ص: 192 ، الهمداني : الصليحيون ، ص: 75 ، الحداد : التاريخ العام ، ص: 217 .

(49) عمارة : تاريخ اليمن ، ص:117 ، الخزرجي: العسجد، ص: 56 ، ابن الديبع : قرة العيون ، ص: 244 ، الوصابي: الاعتبار، ص: 32

(50) عمارة : تاريخ اليمن ، ص:117 ، الخزرجي: العسجد، ص: 56 ، ابن الديبع : قرة العيون ، ص: 244.

مـا بـين سـنة 429 هـ /1037م إلى 431 هـ/1039م ، يوضـح ذلـك ابـن عبـد المجيـد بقولـه : (فدخل ابن أبي حاشد صنعاء ثم خرج منها فتعطلت مـن السـلطنة إلى سـنة 431 هـ/1039م [51] ، وما بين سنة 432 هـ / 1040 م إلى سنة 437 هـ / 1045 م حيث يقول ابـن عبـد المجيـد أيضاً :(وصنعاء خالية من السلطنة إلى شـوال سـنة 437 هـ /1045 م) [52] . كمـا عـبر عـن ذلك صاحب الأبناء بقوله: (من سنة 405 هـ إلى سنة 448 هـ عم الخراب صنعاء وغيرها من بلاد اليمن لكثرة الخلاف والنزاع وعدم اجتماع المملكـة الواحـدة ... وأظلـم اليمـن وكـثر خرابه وفسدت أحواله ... وكانت صنعاء وأعمالها كالحرقة لها في كل سـنة أو شـهر سـلطانا غالباً عليها ، حتى ضعف أهلها وانتقلوا إلى كل ناحية)[53] ، كذلك عـبر عـن ذلـك الربعـي بقوله: (بقي الناس في ظلمة وفتن وزلازل ومحن مـن سـنة أربـع وأربعمائـة إلى تسـع وثلاثـين واربعمائة)[54] .

ضرب عملة جديدة:

وفي هذه الفترة التي دخل فيها علي الصليحـي صنعـاء أصـدر بهـا عملـة نقديـة هـي الدينار ، كتب عليها ضُرِب في صنعاء سنة 433 هـ كما كتب عليهـا اسـم الداعـي علي بـن محمد فقط دون ذكر الخليفة الفاطمي ، إلا أنه كتب عليهـا المـأثورة الشـيعية المعروفـة وهـي: (علي ولي الـله)[55]، مما يدل على أن علياً الصليحي في هذا الدور السـلمي لم يعلـن إظهـار

---

(51) ابن المجيد : بهجة الزمن ، ص: 70 .

(52) ابن المجيد : بهجة الزمن ، ص: 71 . ، الخزرجي وابن الديبع يذكران أن صنعـاء خلـت مـن السـلطنة إلى سنة 439 هـ بدلاً من 437 هـ التي ذكرها ابن عبد المجيد والأصح ما ذكره ابـن عبـد المجيـد ، لأن الإمـام الزيدي الديلمي دخل صنعاء سنة 437 هـ .

(53) الهمداني : الصليحيون ،ص : 63 ، عن - انباء - دار 27 - 27 .

(54) مفرج بن احمد الربعي : سـيرة الأمـيرين الشـريفين ، تحقيـق رضـوان السـيد ، وعبـد الغني محمـود ، دار المنتخب العربي ، بيروت ط 1، 1413هـ - 1993 م ، ص: 72 .

(55) د. محمد أبو الفرج العش ، المسكوكات في الحضارة العربية الاسلامية ، مجلة الاكليـل اليمنية، ص: 43، وزارة الاعلام صنعاء ، العدد الخامس ، سبتمبر 1981م

التبعية للخلافة الفاطمية ، واكتفي بإظهار الإنتماء الشيعي والإسماعيلي بتلك العبارة ، وربما يكون سبب ذلك تولي المستنصر الخلافة الفاطمية وهو طفل فظل يترقب ثبوت سلطته ، أو بسبب عدم إثارة القبائل اليمنية ضده حتى يتمكن من تثبيت أقدامه وتكوين قوته .

سياسة المهادنة :

من أهم ما فكر به الصليحي مسالمة القوى اليمنية ، حتى يتمكن من تقوية نفسه ، ففي أثناء هذا الدور السلمي عمل علي الصليحي على مكاتبة نجاح حاكم تهامة ، وذلك بهدف مهادنته وملاطفته والعمل على الإستكانة لأمره ، لأنه كان يخشاه ويخافه [56] باعتباره ممثلا للخلافة العباسية ومدافعاً عن مذهب أهل السنة في اليمن، ومع طاعته تلك لنجاح فإنه كان كاتماً (لما يضمره من الدعوة)[57] . ويعمل الحيلة في إظهار أمره [58] وإعلانه التبعية للخلافة الفاطمية، فاستمر أمر علي الصليحي يستفحل شيئاً فشيئاً[59] حتى بدأ الدور الحربي.

3 ـ الدور الحربي:

عندما أحس علي الصليحي أنه قادر على إعلان قيام دولة له ، بما يملك من قوة وملاءمة الظروف له بدأ يتحول من دور المسالمة إلى دور استخدام القوة فاتجه إلى طلوع حصن مسار للمرة الثانية (ليلة الخميس للنصف من جمادي الأولى سنة تسع وثلاثين وأربعمائة) مع أنصاره البالغ عددهم تسعمائة وخمسين رجلاً [60] وجاهر بإعلان إظهار

---

(56) عمارة : تاريخ اليمن ، ص: 117 ، بامخرمة : ثغر عدن ، ص: 193 .

(57) عمارة : تاريخ اليمن ، ص: 117 .

(58) ابن عبد المجيد : بهجة الزمن ، ص: 75 ، بامخرمة : ثغر عدن ، ص: 193 .

(59) عمارة: تاريخ اليمن ، ص: 117 ، ابن عبد المجيد: بهجة الزمن ، ص: 49 ، الخزرجي: العسجد، ص:56 ابن الديبع : قرة العيون ، ص: 344 ، بامخرمة : ثغر عدن ، ص: 193 ، الهمداني: الصليحيون ص:73.

(60) الحمادي : كشف أسرار الباطنية ، ص: 81 ، يذكر ابن سمرة أن ثورة علي الصليحي في حصن مسار كانت في شوال من سنة 439 هـ ، الطبقات ،ص: 97 ، بينما يذكر ابن عبد المجيد أنها كانت في ثالث جمادي الآخرى ، بهجة الزمن ، ص: 72 ، أما عبد الله الثور فيذكر أنها كانت في شهر ذي

الدعوة إلى الخليفة المستنصر الفاطمي معد بن الظاهر صاحب مصر [61] .

وقبل بدء الدور الحربي راسل علي الصليحي الخليفة المستنصر الفاطمي بمصر ، معلناً موالاته له . وطالباً منه الإذن بإظهار الدعوة في اليمن فعاد رد الخليفة الفاطمي بالسماح لعلي الصليحي بإظهار الدعوة . فلما وصل الرسل إلى المهجم من تهامة عائدين من مصر ، طلع علي الصليحي حصن مسار ، فوصلوا إليه إلى الحصن بعد يومين من طلوعه [62] .

وكما يتضح أن علياً الصليحي كان يهدف بمراسلته هذه المرة إلى الخليفة المستنصر الفاطمي هو إشعار الخليفة عن أموره أولاً، وإشعار الخليفة بالوقوف معه ضد العباسيين ثانياً. وذلك لكي يتمكن من تأمين جانبه من العباسيين في حالة تفكيرهم إرسال جيش نحو اليمن بإعتبارها تابعة لهم .

وفي بداية هذا الدور أيضاً كان علي الصليحي قد بدأ بمراسلة أنصاره الإسماعيلية إلى أماكن كثيرة ومواضع مختلفة ومتباعدة في أنحاء اليمن ، يستدعيهم الحضور إليه لموعد حدده لهم [63] هو موعد ظهوره في حصن مسار في جمادي سنة 439هـ / اكتوبر (1047م) ، فاستجابت له شيعته ، فوصلوا إليه من أنحاء اليمن مصطحبين معهم الكثير من الأموال[64]

القعدة ، هذه اليمن ، ص: 378، والأصح هي رواية الحمادي لمعاصرته علي الصليحي، بينما ابن الأثير يذكر أن ظهور علي الصليحي باليمن كان في سنة 447 هـ، وهذا يخالف الأحداث التي ذكرها مؤرخوا اليمن ، ولكن الذي يبدو أن ابن الأثير يشير إلى دخول علي الصليحي صنعاء سنة 447 هـ بعد عودته من تهامة ، وجعلها عاصمة له ، ابن الأثير : الكامل ، جـ9 :614 ، كذلك يذكر الربعي ، ص: 73 ، أن ثورة الصليحي في شهر جمادي دون أن يذكر اليوم ، والهمداني في الصليحيون ، ص: 73 ، يوافق الحمادي ، أما كل من عمارة ، ص: 101 ، والخزرجي ، ص: 56 ، وابن الديبع ، ص: 243 ، ويحيى ابن الحسين ،ص: 247 ، فهم يذكرون السنة فقط دون ذكر الشهر أو اليوم .

(61) ابن الديبع : قرة العيون ، ص: 244 ، الجندي: السلوك ، 486/2 ، بامخرمة: ثغر عدن ، ص: 193 ، ابن خلدون: تاريخ ، ص: 137 .

(62) الهمداني : الصليحيون ، ص: 75 - 76 نقلا عن ادريس . عيون الأخبار ، 7 - 7 .

(63) الحمادي : كشف ، ص: 81 .

(64) محمد بن يوسف الجندي : السلوك في طبقات العلماء والملوك ، 2/ 476 ، الخزرجي : العسجد ، =

ومن هذه القبائل التي وصلت إليه جمع كبير من مناطق عسير ، ونجران ، مثل قبائل سنحان ، وَيَام ، وجَشْم ،[65] وجُنَبْ ، [66] ونَهَد ، [67] وهُبَيْرَة المسماة بالحجازين [68] ، وهم من حمير وهمدان [69] . وبالطبع كان قدوم تلك القبائل المناصرة لعلي الصليحي على فترات ، حيث كانت كل فترة تفد جماعة منهم .

وفي هذا الدور بدأ الصراع العسكري أو القتال فيما بين علي الصليحي والقوى اليمنية الأخرى . فقد شعرت القوى اليمنية المختلفة بخطورة ظهوره ، فبدأت تتجمع في تكتلات متعددة لمقاومته وخاصة في المناطق المجاورة لهم . وقد بذل علي الصليحي مجهوداً كبيراً في إظهار الدعوة الإسماعيلية ، فحارب قبائل اليمن المتعددة حرباً شديداً حتى تمكن من تكوين دولته . ويمكن تقسيم الدور الحربي أو صراع علي الصليحي إلى أربع صراعات:

1 ـ صراعه مع زعامات قبائل اليمن الأعلى .

2 ـ صراعه مع الزيدية .

3 ـ صراعه مع زعامات قبائل اليمن الأسفل .

4 ـ صراعه مع نجاح .

= ص: 56 ـ 57 ، ابن الديبع : قرة العيون ، ص: 244 ، الفضل المزيد على بغية المستفيد في اخبار مدينة زبيد ، ص: 55 ، تحقيق د. يوسف شلحد ، بيروت ، دار العودة ، 1983م ، بامخرمة : ثغر عدن ، ص: 192، حسن سليمان : تاريخ اليمن السياسي ، ص: 57 .

(65) ابن عبد المجيد : بهجة الزمن ، ص: 75 ، الخزرجي : العسجد ، ص: 57 .

(66) الحمادي : كشف أسرار الباطنية ، ص: 84 ، المطاع : تاريخ اليمن ، ص: 228 .

(67) المطاع : تاريخ اليمن الاسلامي ، ص: 228 .

(68) ابن عبد المجيد : بهجة الزمن ، ص: 75 ، هناك قبائل أخرى من سنحان جنوب شرق صنعاء ، وجنب شرق ذمار ، لذلك سمو سنحان وجنب في نجران وعسير بالحجازين، وجنب وسنحان من قبائل مذحج ، ونهد من حمير ، ويام من همدان .

(69) عبد الواسع بن يحيى الواسعي :ـتاريخ اليمن المسمى فرجة الهموم والحزن في حوادث وتاريخ اليمن ، ص: 172 ، الدار اليمنية للنشر ، ط 4، 84م .

أولاً : صراعه مع زعامات قبائل اليمن الأعلى .

في الوقت الذي أعلن فيه علي الصليحي إظهار موالاته للفاطميين سياسياً ومذهبياً خرجت القبائل اليمنية المتعددة معلنة محاربته ، لأن ذلك يشكل خطراً سياسياً ومذهبياً على تلك القبائل ، التي كانت تحاول الإحتفاظ بسلطانها القبلي والمذهبي على مناطقها . لذلك فإن أول من شعر بهذا الخطر السياسي والمذهبي وبدأ يتجه لمقاتلته،قبائل مغارب اليمن الأعلى المجاورة له ، والتي تجمعت إلى رئيسهم جعفر بن عباس الشاوري تحثه على القتال [70] ، لأنه كان يحكم تلك المناطق وكان مجاباً بها ، كما اتجه هو الآخر إلى تحريض قبائل مغارب اليمن الأعلى للقتال معه ، لأنه شعر بخطورة ظهور علي الصليحي المخالف له في المذهب ، حيث كان الشاوري شافعي المذهب ، فتجمع إليه الكثير من القبائل يقدرون بثلاثين ألف رجل ،وشارك في هذه التجمعات الشريف جعفر بن القاسم العياني [71] فساروا جميعاً نحو علي الصليحي المتحصن في مسار ، فلما قاربوا الحصن خرج إليهم علي الصليحي لمقاتلتهم فدارت معركة شديدة بين الطرفين في شعبان من نفس السنة وهي سنة 439 هـ (1047م) انتهت بإنتصار علي الصليحي وقتل جعفر الشاوري وكثير من أصحابه [72] منهم منيع بن إسحاق الهمداني من بني حماد في جماعة من بني عمه بالجحادب [73] والذي ساعد علي الصليحي في الإنتصار على الشاوري في هذه المعركة، أن مناطق الشاوري المسيطر عليها كانت من

---

(70) مفرج بن أحمد الربعي : سيرة ذي الشرفين ، ص: 72 - 73 .

(71) ابن عبد المجيد : بهجة الزمن ، ص: 75، الخزرجي: العسجد ، ص: 57 ، ابن الديبع : قرة العيون، ص: 344 ، بامخرمة: ثغر عدن ، ص: 192 ، د. حسن سليمان : تاريخ اليمن السياسي ، ص: 177 – 178 ، محمد زبارة أئمة اليمن، 92/1 ، تعز ، مطبعة الناصر ، 1952م ، الحداد : التاريخ العام ، ص: 219 – 220 ، الحمزي: كنز الأخبار ، ص: 78 .

(72) ابن عبد المجيد : بهجة الزمن ، ص: 75 ، الخزرجي : العسجد ، ص: 57 ، ابن الديبع: قرة العيون ، ص: 344 ، الحمزي : كنز الأخبار ، ص: 78 ، يذكر كل من الخزرجي وابن عبد المجيد وابن الديبع أن الشريف جعفر بن القاسم قاتل مع الشاوري وصاحب تاريخ اليمن المجهول يورد العبارة التالية:(فقتل ابن عباس ومعه خلق عظيم وانهزم جعفر) مما يدل على اشتراك جعفر مع الشاوري ، ق: 163 .

(73) مفرج الربعي: سيرة ذي الشرفين ، ص: 73 ، عمارة : تاريخ اليمن ، هامش، ص: 107

أهم مناطق انتشار المذهب الإسماعيلي منذ عهدِ ابن حوشب ، فلم يخلصوا له في المعركة رغم كثرة عددهم . وبعد هذا الإنتصارِ فسح المجال أمام علي الصليحي في الظهور والتوسع .

وبعد تحقيق هذا النصر على الشاوري تحقق لعلي الصليحي الإستقرار في حصن مسار لأن الشاوري كان أهم زعيم قبلي في تلك المنطقة المجاورة له فكتب إلى الإمام المستنصر الفاطمي معلنا إظهار الدعوة الإسماعيلية ومعلناً ولاءه له ، وللتعبيرا عن هذا الولاء (وجه إليه بهدايا سبعين سيفاً مقابضها عقيق واثني عشرة سكيناً نصلها عقيق لأن للعقيق عندهم قدراً لأنه لا يكون إلا في اليمن ، وخمسة أثواب وشي وجام عقيق وفصوص عقيق مع إهليج كابلي ومسك وعنبر) . وبعث تلك الهدايا مع رجلين من قومه هما خاله أبو سبأ أحمد ابن المظفر الصليحي ووالد السيدة أحمد بن محمد الصليحي ، وبعد أن تسلم المستنصر تلك الهدايا رد على علي الصليحي بأن بَعث إليه (برايات وألقاب وعقد له الولاية) [74] على اليمن . كذلك رد المستنصر على علي الصليحي في سجل له أبدى فيه عدم رضاه بما استولى

---

(74) الحمادي : كشف أسرار الباطنية ، ص: 12، الجندي : السلوك ، جـ2، ص: 486 ، ابن الديبع : الفضل المزيد ، ص: 55 - 56 ، بامخرمة : ثغر عدن ، ص: 47، 193 . اختلفت المصادر في ذكر الهدايا التي بعث بها علي الصليحي إلى المستنصر والسنة التي بعث بها وطلب الاستئذان في إظهار الدعوة فالحمادي ،ص: 81-82 ، يذكر أن علياً الصليحي ارسل الهدايا بعد أن استقر في حصن مسار سنة 439 هـ / 1047م دون أن يذكر الطلب بالاستئذان بإظهار الدعوة ، وعمارة ،ص: 118 – 119 ، يذكر أن عليا الصليحي كتب إلى المستنصر سنة 453 هـ / 1158م دون أن يذكر الهدايا وكل من الخزرجي ،ص: 57 ، ابن الديبع ، ص: 346 ، بامخرمة ، ص: 193 ، يحيى ابن الحسين ن 253/1 ، يجمعون بين الروايتين أو يخلطون بين الامرين فهم يذكرونِ الهدايا وطلب الاستئذان معاً ، وأنه كان سنة 453هـ /1158م أما الجندي ،486/2 ، فهو يذكر أن علياً الصليحي أرسل بالهدايا فقط وذلك بعد فتحه لصنعاء ولم يذكر طلبه بإظهار الدعوة بينما يذكر أن رد المستنصر لعلي الصليحي يشمل الاذن له بإظهار الدعوة ، وعقد له الولاية على اليمن . والذي يتضح أن علياً الصليحي كان على اتصال مستمر مع المستنصر فكان يخبره بكل أمر يجد عليه ويطلب رأيه في ذلك وهو ما يعبر عن طلب الاستئذان كما كان يرسل له الهدايا باستمرار وعلى ذلك فقد أرسل هدايا وطلب الاذن عندما سيطر على حصن مسار وقبله وبعده.

عليه الصليحي بقوله : (قولوا للداعي علي أني لا أرضى أن اقتصر على ملك حراز والحصن الذي ملكه فيها وهو يملك حصون اليمن قاصيها ودانيها عن قريب)[75] .

إقامة المراكز :

واستكمالا لذكر صراع علي الصليحي مع الزعامات في اليمن الأعلى ، يأتي دور الزعامات المسيطرة على صنعاء وصراعها مع علي الصليحي ، فقد حاولت تلك الزعامات القبلية استخدام اسلوب منع أنصار علي الصليحي من الوصول إليه عبر بلادهم . ففي سنة 442 هـ (1050م) عندما أرادت جماعة علي الصليحي الوصول إليه وحاولت العبور إليه من أنحاء متفرقة من اليمن وخاصة من سنحان ، ويام ، وجنب ، المسمى بالحجازين . اقام زعماء القبائل على أنصار علي الصليحي المراكز من جميع أنحاء بلادهم ومنعوهم الطريق والوصول إليه ، وعلى رأس هؤلاء الزعماء الذين أقاموا المراكز المنصور بن أبي أسعد بن أبي الفتوح الخولاني ، الذي أقام عليهم الحراس في كل مكان وكلف عبد الأعلى بالإغارة عليهم ، ولما عبروا من حدود مذحج وصاروا بوعلان هجم عليهم عبد الأعلى وقتل منهم أكثر من مائة رجل ، ومع ذلك فقد وصلت إليه أنصاره بطرق متعددة مثل بذل المال وغيره[76] .

توسع الصليحي :

أما من جهة الصليحي فإنه بعد تحقيقه الكثير من الانتصارات ، حاول التوسع بالسيطرة على الحصون المجاورة له ، ففي جمادي الأولى سنة 443 (1051م) اتجه نحو حصن حضور أو ما يسمى (بيت خولان) أو (جبل النبي شعيب) فأخذه ثم اتجه نحو حصن (يناع بالحيمة الداخلية) وهو أحد مواضع بني الصليحي في الأخروج فسيطر عليه بمساعدة أبي

---

(75) حسن سليمان محمود : الصليحيون في اليمن وعلاقتهم بالفاطميون في مصر ، رسالة دكتوراه ، جامعة القاهرة ، 1952م .

(76) مجهول: تاريخ اليمن في الكوائن والفتن وملوك حميروفي رجال الحديث من الصحابة والتابعين، ص:173 ، امبروزيانا ـ مخطوط رقم 15 .

الحسن مهلهل بن جناح الحميري وذلك بعد قتل الكثير من الأحبوب وأهل جبل ينـاع ممن وقفوا لقتاله ، منهم ابن أبي العسكر والعطاب في جماعة من وجوه تلك المناطق[77] .

معركة صوف :

ونتيجة لهذه الانتصارات المتعددة التي حققها علي الصليحـي وتوسعه ، إرتـاع أهـل اليمن ، وشعرت القوى المختلفة في اليمن الأعلى بخطورته ، فـاجتمع الكثير مـن النـاس مـن حمير وبني الحارث وهمدان في عدد من رؤسائهم إلى السـلطان حاشـد بـن يحيى أمـير صنعـاء ورئيس همدان ، وقرروا الاتجاه لمحاربة علي الصـليحي ، فسـاروا جميعاً إلى قتالـه علـى شـكل فرق، فالفرقة الأولى وهي مجموعة من الهمدانيين، سارت على رأسها أحد رؤسائهم وهو عبد الأكبر بن وهيب الهمداني الذي كان يعد من أصحاب البأس والشدة والنجدة ، فهجم علـى الجبل المصاقب لجبل(بيت خولان) وغنم الكثير مما فيه، ثم انسحب سالماً بعـد أن قتـل منهـم مجموعة كبيرة،وممن قتل منهم شاعر بني الصليحي ولسانهم محمد بن جعفر بن راسان[78]، أما بقية العسكر وهم الفرقة الثانية فقد ساروا بقيادة زعيمهم أمير صنعاء أبو حاشد بن يحيى بـن الضحاك حتى وصلوا (يازل) في وادي (صوف). ومن جهـة علـي الصليحي فقـد وقـف يرقـب تحركـات هـذه القـوة القبليـة واتجاههـا نحـوه ، فلمـا وصلـوا (وادي صـوف) نـزل عليهم بجيشه في هجوم كاسح تمكـن مـن الحـاق الهزيمـة بهـم [79] قتـل منهـم مـا يقـدر بـألف

---

(77) مفرج الربعي : سيرة ذي الشرفين ، ص: 74- 75 ، مجهـول : تـاريخ اليمـن ، ق: 173، عمـارة : تاريخ اليمن ، هامش ،ص:111 ، يذكر مفرج الربعي صاحب السيرة أن سيطرة علي الصليحـي علـى ينـاع في سنة 444 هـ بينما يذكر صاحب تاريخ اليمن لمؤلف مجهول أنها كانت سـنة 443 هـ وهـي المرجـع لأنـه أورد اسم الشهر الذي وقعت فيه .

(78) مفرج الربعي : سيرة ذي الشرفين ، ص: 75 ، عمارة : تاريخ اليمن ، هامش ، ص: 111 .

(79) مفرج الربعي : سيرة ذي الشـرفين ، ص: 75 ـ 76 ، المطـاع : تـاريخ اليمـن الاسـلامي ، ص: 231 ن، عمارة: تاريخ اليمن ، هـامش، ص: 111 ـ 112 ، (صـوف) قريـة مـا بـين الحيمـة وحضـور ، في غاية الاماني ، جـ1،ص: 249 ، وقرية بين حضور بلد بني شهاب في قرة العيون ، ص: 245 ، وكمـا يبـدو أن بلدة بني شهاب هي الحيمة .

رجل [80] على رأسهم قائدهم وهو أبو حاشد في عدة من الرؤساء والسلاطين ، وغنم ما كان معهم من الخيل والسلاح والعدد والرماح وغيرها [81] . وكانت تلك المعركة في يوم الأحد من شهر ربيع الأول 444 هـ (1052م) [82] بهذه المعركة وهي وقعت (صوف) يكون علي الصليحي قد أكمل القضاء على أغلب رؤساء القبائل في اليمن الأعلى من همدان وحمير وخولان وبني الحارث وغيرهم ، إذ يضرب المثل في اليمن بهذه الواقعة ويقال (قتلة صوف) [83] فازداد استفحال أمره وطار ذكره في أنحاء اليمن [84] وأصبحت صنعاء مفتوحة أمامه .

ويرجع السبب في انتصار علي الصليحي في هذه المعركة إلى مكان القتال ، حيث أن هذه القوى الكبيرة اتجهت نحوه وقاتلته في مناطق ضيقة وغير محصنة ، فلم تتمركز في مواقعها الحصينة ، وقد نوه إلى ذلك أحد اشراف الحماديين من همدان وهو حتروش الذي نصحهم بعدم مفارقة قاع سَهْمَان بقوله :(لا أراكم أن تفارقوا مواضعكم . وإن هبط إليكم القوم أخذتهم الخيل في هذا القاع ، وإن وقفوا كنتم أصبر فأبوا إلا التقدم) [85] . كما يرجع إلى أسلوب القتال الذي قام به علي الصليحي ، إذ أنه هجم عليهم مباغتة في وادي صوف

---

(80) ابن عبد المجيد : بهجة الزمن ، ص: 75 ، الخزرجي : العسجد ، ص: 57 ، ابن الديبع : قرة العيون ، ص: 245 ، هؤلاء ذكروا عدد القتلى ، أما صاحب سيرة ذي الشرفين لم يذكر عدد القتلى بل اكتفي بذكر (وقتل في ذلك خلق كثير) ص: 76 .

(81) مفرج الربعي: سيرة ذي الشرفين ، ص: 76، ابن عبد المجيد : بهجة الزمن ، ص: 75 ، الخزرجي : العسجد، ص:57 ، ابن الديبع: قرة العيون ، ص: 245 ، ادريس عماد الدين : لا يذكر قتل أبي حاشد في معركة (صوف) بل يذكر أن علياً الصليحي سيطر على صنعاء ودخل أبو حاشد في طاعته عيون، جـ7، ص: 15 ، نقلا عن الصليحين هامش ، ص: 81 .

(82) مفرج الربعي : سيرة ذي الشرفين ، ص: 76 ، يورد صاحب تاريخ اليمن لمؤلف مجهول أن معركة(صوف) كانت في خمس بقين من جمادي الأولى سنة 443 هـ ، ق: 173 .

(83) ابن عبد المجيد : بهجة الزمن ، ص: 75 ، الخزرجي : العسجد ، ص: 57 ، ابن الديبع : قرة العيون ص: 245 ، الحداد : التاريخ العام ، ص: 221 .

(84) المطاع : تاريخ اليمن الاسلامي ، ص: 231 .

(85) المطاع : تاريخ اليمن الاسلامي ، ص: 228 - 229 نقلا عن مسلم اللحجي .

الضيق مما أربكهم وجعلهم غير قادرين على الدفاع عن أنفسهم . كذلك يرجع إلى ــ القوى فقد كانت قوات علي الصليحي متماسكة لاعتقادها بمذهب الاسماعيلية ، بينما كانت قوات حمير وهمدان وخولان غير متماسكة لأن هذه القبائل ظلت في صراع مستمر مع بعضها البعض حول السيطرة على صنعاء منذ ما قبل قيام علي الصليحي [86] .

دخول الصليحي صنعاء :

بعد أن أسفرت معركة صوف 444 هـ / 1052م عن قتل أمير صنعاء وزعيم همدان ابي حاشد بن يحيى الضحاك أصبحت صنعاء مفتوح أمام علي الصليحي ، فأسرع في الاستيلاء عليها دون مقاومة من أحد، وظلت منذ ذلك التاريخ تحت نفوذ الصليحيين [87]. وعلى الرغم من دخول علي الصليحي صنعاء والسيطرة عليها إلا أنه سرعان ما غادرها في نفس السنة ، بعد أن ترك عليها مؤيديه يحكمونها بإسمه ، وسار نحو (بيت خولان) ومنها توجه نحو مدينة زبيد في تهامة ، فمكث بها فيما بين سنة 444 هـ - 447 هـ /1052 - 1055م ثم عاد إلى صنعاء بسبب خوفه من سيطرة الزيدية عليها بعد أن علم بتحركهم إليها [88] .

وفي اثناء دخول علي الصليحي صنعاء هذه المرة أي سنة 447 هـ حاول إخضاع الكثير من القبائل ، فقام بإرسال حملات إلى منطقة (عجيب) وغيرها [89] كما أنه توجه بقواته مع الكثير ممن أطاعه من أهل المشرق نحو يحصب ورعين (يريم ورداع) حيث دارت فيها عدة معارك شديدة بينهم أدت إلى قتل الكثير منهم ، انتهت بإلزامهم بطاعته ، ثم عاد إلى صنعاء ، وأقام بها أياماً ، ثم خرج بمن أطاعه من يحصب ورعين وجماعة من أهل المشرق وهمدان نحو بلاد حمير ، فأطاعه مغارب اليمن الأعلى كله [90] .

---

(86) الخزرجي : العسجد ، ص: 50 ، ابن الديبع : قرة العيون ، ص: 231 .

(87) ابن عبد المجيد : بهجة الزمن ، ص: 75 ، الخزرجي : العسجد ، ص: 57 .

(88) مفرج الربعي : سيرة ذي الشرفين ، ص: 76 ، المطاع: تاريخ اليمن ، ص: 233 .

(89) مفرج الربعي : سيرة ذي الشرفين ، ص: 93 .

(90) مجهول : تاريخ اليمن، ق173 ، يبدو أن قتل الامام الديلمي كان في نفس هذه الفترة عندما تحرك علي الصليحي نحو يحصب ورعين حيث قتل فيها وذلك فيما بين سنة 448 هـ - 449 هـ .

ثانياً ـ صراعه مع الزيدية :

على الرغم من وجود علاقة مشتركة بين الإسماعيلية والزيدية في المفهوم السياسي ، بأن الفريقين ينتميان إلى الشيعة مع فارق أن الزيدية تعتقد أن الإمامة يجب أن تكون في أولاد الحسن والحسين معاً ، بينما تحصر الإسماعيلية الإمامة في أولاد الحسين فقط من أحفاد إسماعيل بن جعفر الصادق ، إلا أنه حدث عداء كبير وواضح بين الفرقتين ، وشكلت الزيدية عائقاً كبيراً أمام توسع الدولة الصليحية واستقرارها ، فتحارب الطرفان حروباً عدة في عدة مواقع ومناطق في اليمن ، وهنا نستعرض المعارك التي حدثت بينهما .

أول هذه الصراعات هي اشتراك جعفر بن القاسم العياني مع جعفر الشاوري في قتال علي الصليحي عندما ثار في حصن مسار سنة 439 هـ /1047م مباشرة [91] حيث اتجه جعفر بن القاسم نحو حصن الاخروج وانتزعه من أصحاب الصليحي ، ولما قتل الشاوري ترك حصن الأخروج هارباً من قوات الصليحي [92] . ومن جهة القبائل فإنه بعد قتل الشاوري الذي يعد من أهم زعماء مغارب اليمن الأعلى ، اتجهت أغلب قبائل اليمن الأعلى مشارقه ومغاربه للإستعانة بالأشراف الزيدية لمقاتلة علي الصليحي فاستعانوا بالشريف جعفر بن القاسم العياني وأبنائه وقد دارت عدة معارك بين علي الصليحي من جهة وبين جعفر بن القاسم العياني وأبنائه والقبائل اليمنية من جهة أخرى من ذلك الآتي :

معركة المحارم :

اشترك في معركة المحارم الكثير من قبائل اليمن الأعلى مناصرين للزيدية في حربهم ضد علي الصليحي، فقد اجتمعت رؤساء من همدان وحمير ورؤساء مغارب اليمن الأعلى ووجوه الأحيوب واتفقوا على اللقاء في(بيت معدن)(بلدة في حضور)بهدف الاتجاه لقتال علي

---

(91) ابن عبد المجيد : بهجة الزمن ، ص: 75 ، الخزرجي : العسجد ، ص: 57 ، ابن الديبع : قرة العيون ، ص: 244 ، ويبدو أن اغفال صاحب سيرة ذي الشرفين ذكر اشتراك جعفر بن القاسم يرجع إلى عدم تزعم جعفر لهذه المعركة، أطلق عليهم الاشراف لأنهم احتسبوا للإمامة الزيدية ولم يدعو لأنفسهم بها.

(92) الهمداني : الصليحيون ، ص: 78 .

ـسيحي ، حضر هذا اللقاء الأمير جعفر بن القاسم وأولاده عبد الله وأبو حاشد بن يحيى بن الضحاك ، وتم الإتفاق بينهم على اختيار الأمير عبد الله بن جعفر قائداً لجموعهم ليتقدم بهم إلى نواحي الحيمة - حضور - لمقاتلة علي الصليحي ، وذلك لخبرته بمسالك تلك المناطق ولأن بعض أهلها عشيرته ، فقادهم الامير حتى وصل بهم إلى منطقة (المحارم) من عزلة الحدب بالحيمة حيث التقت بهم جموع علي الصليحي ، فدار بها قتال شديد انتهي بهزيمة القوى المتحالفة ضد علي الصليحي وقتل الكثير منهم ، وأُخِذ الأمير عبد الله بن جعفر أسيراً ، وحُمِل إلى حصن مسار فأقام بها مدة، ثم أُطْلِق سراحه بعد أن تعهد بعدم الخروج على علي الصليحي وقتاله [93] . ومن المرجح أن هذه المعركة كانت سنة (443 هـ/1009م) .

ويبدو أن اتجاه القبائل اليمنية للإستعانة بالأشراف الزيدية ، هو لغرض إبطال الفكر الإسماعيلي الباطني الذي ينتمي إليه الشيعة عن طريق إظهار المعارضة له من الشيعة أنفسهم مخالفة لهم في المفهوم السياسي وهم الزيدية ، وأن القبائل بدأت تميل إلى الزيدية لقربها من أهل السنة ، فذهبت لمساعدتهم في محاربة الإسماعيلية لبعدهم عن فكر أهل السنة والزيدية معاً. وأن المصلحة هي التي جمعت القبائل اليمنية بالزيدية، باعتبار أن الإسماعيلية هي العدو المشترك لكل من القبائل اليمنية والزيدية فاشترك الجميع في محاربتها .

معركة صيد البرار:

وبعد هزيمة الأمير عبد الله بن جعفر وأصحابه عاد الأشراف الزيدية والقبائل اليمنية لقتال علي الصليحي بقيادة شخصية أخرى ، فقد اجتمعت رؤساء حمير وهمدان مرة أخرى واتجهوا إلى جعفر بن القاسم العياني والد الأمير السابق ، وطلبوا منه المسير لحرب علي الصليحي بهدف المدافعة عن بلدانهم منه ، فنهض بهم الأمير جعفر وساروا حتى وصلوا إلى

---

(93) مفرج الربعي: سيرة ذي الشرفين ، ص: 73 ــ 74 ، مجهول : تاريخ اليمن ، ق: 173 ، أحمد المطاع: تاريخ اليمن الاسلامي، ص: 230 ، عمارة : تاريخ اليمن ، ص: 107 ، يذكر صاحب تاريخ اليمن لمؤلف مجهول ان هذه المعركة وهي (المحارم) كانت بعد سيطرة علي الصليحي على يناع سنة 443 هـ ق: 173 ، وذكر كل من الربعي والمطاع أن هذا اللقاء كان في بيت معدي كرب بينما ذكرها =

(صيد البرار) في ريدة حيث التقوا بجيش علي الصليحي الذي خرج هو الآخر لقتالهم ، فدارت فيها معركة كبيرة بين الطرفين كانت نهايتها انتصار علي الصليحي وهزيمة جيش الأمير جعفر وأسره وقتل الكثير من أصحابه من وجهاء حمير وهمدان ، يزيدون عن ثلاثمائة رجل ، منهم أنيس بن يعقوب الهمداني ، وعبد الرحمن بن حسان الحوالي ، وعلي بن عبد الله الأكبر وغيرهم ، وبعد المعركة نُقِل الأمير جعفر أسيراً إلى حصن مسار حيث أقام بها مدة ثم أطلقوا سراحه بعد أن تعهد هو الآخر (بأن لا ينصب له حرباً ولا يقاتل له حزباً) [94] ومن المحتمل أن تكون هذه المعركة سنة 443 هـ (1051م) .

كذلك حاولت الأشراف الزيدية الإستمرار في القتال فعندما كان علي الصليحي في زبيد فيما بين(444هـ / 1052م ـ 447هـ /1055م) حاول الشريف الفاضل (القاسم بن جعفر) هدم منازل الإسماعيلية بالإضافة إلى حصونهم في بني الحذيفي بالحيمة والبون ، ولما خاف الشريف الفاضل بعمله هذا من علي الصليحي ذهب يحرض الناس على قتاله ، والإتجاه للسيطرة على صنعاء فنهض معه خمسمائة رجل أمَّرَ عليهم أخاه الحسين وابن عمه عيسى وساروا إلى صنعاء . وقد حاول علي الصليحي من زبيد مكاتبة انصاره من رؤساء القبائل في صنعاء والبون وغيرها، أن يحثوا الناس بعدم اشتراكهم بالخروج مع الشريف الفاضل وأن يستميلوهم بالأموال ، حتى يصل إليهم ، ولما علمت أنصار الشريف الفاضل بقدوم علي الصليحي نحو صنعاء افترقوا عنه ، وبقي في نفر قليل مما اضطره للخروج من صنعاء هارباً والسير إلى بلد بني صريم ، فدخل علي الصليحي صنعاء في ذي القعدة سنة 447 هـ /1055م دون مقاومة من أحد [95] .

= الأكوع في بيت معدن نفس الصفحات .

(94) مفرج الربعي: سيرة ذي الشرفين ، ص: 74 ، المطاع : تاريخ اليمن الاسلامي ، ص: 230 ، عمارة: تاريخ اليمن ، هامش،ص: 108 .

(95) مفرج الربعي:سيرة ذي الشرفين، ص:93 ، المطاع: تاريخ اليمن الاسلامي ، ص: 233 ، عمارة: تاريخ اليمن ، هامش ، ص: 113 ـ 115 ، يذكر صاحب تاريخ اليمن لمؤلف مجهول أن دخول علي الصليحي صنعاء عند قدومه من تهامة إليها في ذي الحجة من سنة 447 هـ ، ق: 173 ، بذلك يختلف مع =

وقعة حاز :

ومع هذا فقد عادت الحرب مرة ثالثة بين الأشراف الزيدية وأنصارهم من جهة وبين الصليحيين من جهة أخرى ، وذلك بعد أن دخل علي الصليحي صنعاء سنة 447 هـ /1055م وهرب منه الشريف الفاضل بن جعفر بن القاسم إلى بلاد صريم ، كما هرب منه رؤساء همدان وتوزعوا في بني صريم وبلد بن الدعام ، منهم سلامة بن الضحاك ،وعلى بن دغفان وغيرهم ، وآنذاك اتجهوا إلى تجميع العسكر من حاشد وبكيل وطلبوا من الشريف الفاضل الخروج معهم لمحاربة علي الصليحي ، فساروا جميعاً على رأسهم قيس بن وهيب وعلي بن دغفان ، حتى وصلوا منطقة (حاز) بالجوف من همدان ، بينما اتجهت قوات علي الصليحي نحوهم ، لما سمعوا بتجمعهم لحربه ، فوصلت قواته (قراتل) بجوار حاز وفيها دارت معركة كبيرة بين الجيشين وذلك في المحرم من سنة 448 هـ / 1056م انتهت هي الأخرى بانتصار علي الصليحي وهزيمة الشريف الفاضل ومن معه من قبائل همدان وقتل الكثير من رؤسائهم ، منهم علي بن دغفان وقيس بن وهيب مع جماعة من وجوه القبائل الآخرين [96] .

حصار الهرابة :

بعد هذه المعركة مباشرة اتجه الشريف الفاضل ومن معه من رؤساء القبائل، مثل جشم بن عبد الأعلى بن الدعام، والربيع بن الروية، ودغفان بن دغفان، وعباد بن شهاب صاحب الهجر بالاحبوب وغيرهم، نحو حصن(الهرابة)في بلاد وادعه لتحصين انفسهم من قوات علي الصليحى الذي سار في أثرهم يتبعهم ويفرض عليهم الحصار من كل جوانب الحصن، فشدد

= الربعي في الشهر الذي دخل فيه الصليحي صنعاء .

(96) مفرج الربعي : سيرة ذي الشرفين ، ق: 13 ، أحمد المطاع : تاريخ اليمن الاسلامي ، ص: 234 ، محمد الحداد : التاريخ العام لليمن في موكب الاسلام(1) جـ2 ، ص: 222 - 223 ، بيروت ، دار التنوير ط1، 1986م ، عمارة : تاريخ اليمن ، هامش ، ص: 115 ، عصام الدين الفقيه : اليمن في ظل الاسلام، ص: 182 ، ذكر الأكوع بدلاً عن (قراتل) (قرمل) وعند الكبسي (قواتل) ، ص: 32 ، ويبدو أن ذلك أخطاء مطبعية .

عليهم الحصار ونصب نحوهم المنجنيقات والعرادات[97]. وفي هذا الحصار حاول الشريف الفاضل الاستعانة بأمراء مكة. فأرسل الشريف عيسى بن عباس لطلب العون من شريف مكة شاكر بن أبي الفتوح الحسيني، فعاد دون مساعدة[98] ودام الحصار لمدة سبعين يوماً، وذلك خلال شهري جمادى الأولى والآخرة وحتى العاشر من رجب سنة 448هـ /1056م. خلالها وقعت العديد من المناوشات والقتال بين الطرفين. ولم يتركهم علي الصليحي إلا بعد أن استسلموا. وأخذ الشريف الفاضل أسيراً معه وقاده الى صنعاء[99] حيث ظل بها إلى أن اطلقه علي الصليحى سنة 450هـ /1058م[100]

وترجع انتصارات علي الصليحي على تجمعات القبائل اليمنية مع الأشراف الزيدية إلى عدم الوفاق السياسي فيما بينهم ، حيث أن هذه القبائل ظلت في صراع مستمر مع الزيدية ومع بعضها البعض فظلت محافظة على شكلها القبلي بهدف المحافظة على سلطانها دون التسليم للأئمة الزيدية بالخضوع والطاعة ، مما جعل اشتراكهم هذا مع الأشراف ضد علي الصليحي اشتراك مصلحة ضد عدو مشترك دون وجود إخلاص في مناصرة الزيدية فتحقق لهم جميعاً الإنهزام .

ومن ناحية صراع الأئمة الزيدية مع علي الصليحي فقد كان صراعه مع الإمام أبي الفتوح الديلمي الذي قدم من طبرستان إلى اليمن سنة 437 هـ /1045م ودعا لنفسه بالإمامة

---

(97) المطاع: تاريخ اليمن، ص: 234 ـ 235 ، عمارة : تاريخ اليمن ، هامش ، ص: 115 ـ 116 ، محمد إسماعيل الكبسي : اللطائف السنية في أخبار الممالك اليمنية ، ص: 32 ، القاهرة ، مطبعة السعادة ، 1983م ، الهمداني : الصليحيون ، ص: 82 - 83 ، الجرافي : المقتطف، ص: 77 ، عصام الفقه: اليمن في ظل الاسلام ، ص: 182 ، الحداد : التاريخ العام ، ص: 222 (الهرابة) أكمة في بلاد وادعة الظاهرة بحاشد ، الكبسي : اللطائف، ص: 32 ، وهي بحوث .

(98) المطاع : تاريخ اليمن ، ص: 236 .

(99) المطاع: تاريخ اليمن، ص235-237، عمارة: تاريخ اليمن، هامش ص116، د. حسن سليمان: تاريخ اليمن السياسي، ص179.

(100) عمارة:تاريخ اليمن، هامش ص116،يذكر كل من يحي بن حسين والكبسي،أن إطلاق الشريف الفاضل من سجن علي الصليحى من صنعاء كان سنة 449هـ، غاية الأماني، ج1ص252، اللطائف ص32.

بها ، فأيدته جماعة من أهل اليمن من صعدة وصنعاء وذمار ، ولما ظهر علي الصليحي أحجم عن تأييد الإمام الديلمي الكثير منهم ، فخاف على نفسه من علي الصليحي ، وظل يتنقل من بلد إلى آخر ، مثل بلاد خولان وبلاد عنس وغيرهما ، وفي أثناء تنقله هذا اتجه إليه علي الصليحي لمحاربته وذلك بعد أن سيطر على صنعاء والكثير من المناطق المجاورة لها ، وقضى على أغلب زعامات اليمن الأعلى ، من أهمها زعامة أبي حاشد بن يحيى الضحاك الذي كان زعيم همدان وأمير صنعاء. فالتقى معه بنجد الحاج في رداع ، حيث دارت فيها معركة كبيرة بين الطرفين انتهت بقتل الإمام الديلمي والكثير من أصحابه يقدرون بنيف وسبعين رجلا وذلك في سنة 444 هـ / 1052م . أو سنة 446 هـ /1054م [101] .

ثالثاً : صراعه مع زعامات قبائل اليمن الأسفل .

السيطرة على بلاد الكرندي:

تأتي هذه المرحلة لعلي الصليحي بعد أن تمكن من القضاء على معظم رؤساء اليمن الأعلى وأصبحت مناطقهم خاضعة لسلطانه ، فسار نحو السيطرة على اليمن الأسفل ، ففي المحرم من سنة 450 هـ / 1058م اتجه علي الصليحي نحو يعفر بن أحمد الكرندي الذي كان مسيطراً على المَعَافِر والدَّمْلُوة، والجَنَد والتَّعَكر(ذي جبلة)فحاصره في السَّوا التي كان مقيماً بها، واستمر الحصار لمدة تسعة أشهر، انتهي هذا الحصار بتسليم يعفر الكرندي نفسه لعلي الصليحي، حيث قاده معه أسيراً إلى صنعاء[102]واسكنه فيها كرهينة مثل بقية حكام اليمن، واستمر فيها إلى سنة 459 هـ/1066م

---

(101) الكبسي: اللطائف، ص31، يحي ابن الحسين: غاية الأماني، 250/1، المطاع: تاريخ اليمن الإسلامي، ص231، زبارة: أئمة اليمن:93/1 ، الهمداني: الصليحيون ، ص:82 ، الواسعي: تاريخ اليمن ، ص:184 ، الحداد : التاريخ العام لليمن ، 222/2 ، الشور : هذه اليمن ، ص: 280 ، تذكر أغلب المصادر أن قتل الإمام الديلمي كان سنة 444 هـ بينما يذكر صاحب البسامة أن قتله كان في سنة 446 هـ والذي يبدو أن قتله كان فيما بين سنة 448 هـ إلى 449 هـ عندما اتجه علي الصليحي إلى يحصب (يريم ورداع) للسيطرة عليها ، انظر زبارة : أئمة اليمن ، جـ1/ 93 .

(102) مفرج الربعي: سيرة ذي الشرفين، ص: 109، المطاع : تاريخ اليمن الاسلامي ، ص: 237 ، يحيى بن الحسين يذكر أن نزول علي الصليحي نحو بني الكرندي كان سنة449هـ ويبدوا أن نزول علي الصليحي نحو بني الكرندي كان في أواخر سنة 449 هـ عن طريق زبيد وكانت بداية محاصرة بني لكرندي في المحرم من سنة 450 هـ ، كذلك يذكر صاحب سيرة ذي الشرفين أن الشريف الفاضل =

حينما اتجه علي الصليحي بهم إلى الحج وقتل فيها [103]. وقد خاض علي الصليحي عدة معارك في تلك المناطق منها معركة في السمدان ومعركة في ريمة المناخي (المذيخرة) وغيرهما انتهت بانتصاره واخضاعها لسلطانه [104] كما استولى على حصن صبر وحصن الدملوة [105] كذلك سيطر على المناطق التابعة لبني التبعي مثل حب (بعدان) والشعر والسحول والشوالي [106] وذلك كما يبدوا في سنة 451 هـ/ 1059م.

السيطرة على عدن :

وفيما بين سنة 451 هـ وسنة 452 هـ توجه علي الصليحي إلى الجند ومنها سار نحو بني معن في عدن فاستولى عليها وعلى أبْيَن وأحْوَر ، وذلك بعد أن هرب منها بنو معن تاركين مدنهم تقع تحت سيطرة جيش الصليحي ، إلا أنه لم يطل بهم الهرب ، فقد سارعوا في العودة إلى علي الصليحي مسَلمين له الأمر وباذلين له الطاعة ، فقبل طاعتهم وترك لهم حكم عدن وفرضتها (مينائها) [107] مع المناطق التابعة لهم مثل لحج وأبين وحضرموت والشحر مقابل دفع مائة ألف دينار سنوياً [108] ويُعَدُّ بنو معن الوحيدين من الزعامات القبلية الذين تركهم علي الصليحي نوابا له في منطقة حكمهم ، وذلك يرجع إلى خبرتهم في إدارة ميناء عدن التي كانت آنذاك أهم موانى اليمن ومن أهم موانى العالم الإسلامي. وبعد تولية علي الصليحي لبني معن على عدن أخذ أحدهم رهينة عنده ، ثم عاد إلى مخلاف جعفر

= نزل مع علي الصليحي لمحاصرة بني الكرندي بينما يذكر صاحب غاية الأماني أن الشريف الفاضل استأذن من علي الصليحي للاتجاه للحج أثناء ما كان في زبيد سنة 449 هـ، الربعي: سيرة ذي الشرفين ص: 109 ، يحيى بن الحسين : غاية الأماني ، جـ1، ص: 252 - 253 .

(103) عمارة : تاريخ اليمن ، ص: 127 ، الجندي : السلوك ، جـ2 ، ص: 448 .

(104) ابن الديبع : قرة العيون ، هامش ، ص: 245 ، ريمة المناخي: جبل فوق المذيخرة من ناحية الغرب المقحفي، ص: 283 .

(105) الهمداني : الصليحيون ، ص: 85 ، الحداد : التاريخ العام ، ص: 224 .

(106) الهمداني : الصليحيون ، ص: 85 ، الجرافي : المقتطف ، ص: 78 ، الحداد : التاريخ العام ، ص: 224 .

(107) الهمداني : الصليحيون ، ص: 86 ، نقلا عن رسائل القمي : 19 - 22 .

(108) الخزرجي : العسجد ، ص: 84 ، ابن الديبع : قرة العيون ، ص: 304 - 305 .

ومنه عاد إلى صنعاء . ثم توجه إلى تهامة فاستولى عليها [109] .

رابعاً : صراعه مع نجاح .

لم يكن متوقعا من دولة نجاح في تهامة أن تقف موقفاً متقاعساً من قيام دولة علي الصليحي الإسماعيلية في الجبال ، على اعتبار أن نجاحاً كان ممثلاً عن الخلافة العباسية في اليمن كلها ومدافعاً عن أهل السنة فيها ، إذ أن الخلافة العباسية كانت قد منحت نجاحاً تقليداً على اليمن وفوضت إليه أمر تولية القضاة والعمال بها [110]. ولكن واقع الحال هو الذي حتم ذلك ، فالذي حدث هو أن نجاحاً ترك علياً الصليحي يتوسع في المناطق اليمنية المختلفة ويسيطر عليها المنطقة تلو الآخرى ، دون أن يحشد قواته لمنعه من ذلك وكما يتضح أن السبب في ذلك يرجع إلى الآتي :

1 ـ انحصار سلطة نجاح في تهامة فقط ، وعدم توفر الإمكانات المالية التي تمكنه من تكوين جيش يفرض سلطته على اليمن كله ، ولأنه اعتمد في تكوين جيشه على السودان النوبيين والأحباش ولم يعتمد على أهل اليمن ، وهؤلاء من الصعب جلبهم آنذاك في حالة قلة امكانياته المالية .

2 ـ سيطرة زعماء المناطق الجبلية على مناطقهم واستقلاهم بها مالياً عن نجاح [111] وإن ظلوا معلنين له الولاء الإسمي ويبذلون له الطاعة [112]

3 ـ ضعف الخلافة العباسية : فقد كانت الخلافة تمر بحالة ضعف أواخر العهد البويهي وبداية العهد السلجوقي ، فلم تستطع إرسال جيش إلى اليمن لمساعدة نجاح ، فقد وصلت الخلافة الفاطمية إلى الشام وسيطرت عليه ، ولم تتمكن الخلافة العباسية من صدهم عن ذلك ، بل أن البساسيري استغل صراع السلاجقة مع بعضهم البعض وغيابهم عن مركز الخلافة العباسية ، فسيطر على بغداد في ذي القعدة سنة 450 هـ

---

(109) الهمداني : الصليحيون ، ص: 86 ، نقلا عن رسائل القمي : 19 ـ 22 .

(110) ابن الديبع : قرة العيون ، ص: 334 .

(111) ابن الديبع : قرة العيون ، ص: 334 ـ 341 .

(112) عمارة : تاريخ اليمن ، ص: 191 .

/ 1058م وفرض على الخليفة القائم بأمر الله العباسي الإقامة الجبرية في مدينة (عنة). كما أنه سيطر على واسط والبصرة وظل في سيطرته تلك يخطب للفاطميين لما يقرب من عام [113] وهذا ما يمثل عن حالة ضعف الخلافة العباسية وهي الفترة التي عاصرت أحداث علي الصليحي ونجاح في اليمن وهنا سنتحدث عن العلاقة بينهما .

في المرحلة الحربية أبقى علي الصليحي علاقته مع نجاح علاقة طيبة فكانت بينهما مصالحة على المسالمة ، لذلك لم يتدخل نجاح ضد علي الصليحي خلال حربه مع القوى المختلفة في اليمن الأعلى ، ولكن هذه العلاقة لم تظل حسنة فيما بينهما ، ففي سنة 442 هـ/1050م أقام نجاح مراكز وحواجز لمنع الطريق عن انصار علي الصليحي من الوصول إليه من قبائل سنحان ويام وجنب الحجازين [114] وذلك بسبب مكاتبة الإمام الديلمي لنجاح ، وتحريضه على الوقوف ضد علي الصليحي ، مما أدى إلى تدهور العلاقة فيما بينهما [115]. وكرد فعل لما قام به نجاح فقد اتجه علي الصليحي نحو زبيد ودخلها سنة 442 هـ /1050م وضرب عملة بها هي الدينار يحمل عبارة ضرب في زبيد سنة 442 هـ ويحمل اسم علي بن محمد ولقب الخليفة الفاطمي المستنصر (المعد) مع كلمة سيف وهو (سيف المعد) [116] ثم تصالح مع نجاح في نفس السنة وهي سنة 442 هـ /1050م [117] وبعدها ترك زبيد متجها إلى مسار . ويبدوا أن هذا الصلح تم نتيجة لاتجاه علي الصليحي ونجاح إلى المسالمة ولظروف قواتهما ، وعدم استقرار حكم علي الصليحي في مسار وما حولها من بلاد حراز . ومن خلال العملة السابقة يتضح إظهار موالاة علي الصليحي للفاطميين .

---

(113) خليل السامرائي وطارق فتحي : تاريخ الدولة العربية الاسلامية في العصر العباسي، دار الكتب ، الموصل، العراق ، 1988 م ، ص: 219 .

(114) مجهول : تاريخ اليمن ، ق: 173 .

(115) الهمداني : الصليحيون ، ص: 82 .

(116) د. محمد العش : المكسوكات في الحضارة العربية الاسلامية ، مجلة الأكليل ، ص: 43 ، لقب الخليفة المستنصر كان (معد أبو تميم) .

(117) مجهول : تاريخ اليمن ، ق: 173 .

وتعتبر معركة صوف سنة 444 هـ /1052م فاتحة عهد جديد لعلي الصليحي سهلت له السيطرة على صنعاء وغيرها ففي الأشهر الأخيرة من سنة 444 هـ /1052م اتجه علي الصليحي من صنعاء إلى بيت (خولان) ومنها نزل إلى تهامة وسيطر على زبيد وأزاح سلطان نجاح عنها ومكث فيها إلى سنة 447 هـ /1055م [118] وفيها أصدر عدة دنانير نصفها كالآتي: في الوسط (الوجه) : المستنصر بالله أمير المؤمنين .

في الوسط (الظهر) : الإمام معد أبو تميم .

المدار الوجه:1ـ محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله.

2 ـ أمر به ألأمير المظفر نظام المؤمنين .

المدار الظهر: 1 ـ ضرب هذا الدينار بزبيد سنة خمس وأربعين وأربعمائة .

2 ـ لا إله إلا الله محمد رسول الله ، علي ولي الله .

بالإضافة إلى ضرب هذا الدينار سنة 445 هـ / 1053م فقد ضرب عدة دنانير أخرى بنفس الوصف منها سنة 447 هـ /1055م وسنة 451هـ /1059م [119] .

ومن الملاحظ أن عليا الصليحي أعلن في هذا الدور الحربي إظهار موالاته للفاطميين وهذا ما تشير إليه العملة السابقة الذكر والتي أصدرها في زبيد سنة443هـ،والتي ذكر فيها لقب المستنصر فقط وهو معد بن تميم، والعملة التي صدرت سنة444 هـ/1052م والتي ذكر فيها اسم المستنصر بالله صراحة مع ذكر لقبه ، الإمام أبو معد كما هو مذكور سابقاً ، كما يظهر فيها لقب علي الصليحي مثل الأمير المظفر ونظام المؤمنين . مما يدل على أن هذه الألقاب وصلت إليه بعد معركة صوف سنة 444 هـ /1052م. ويتضح من ذلك أيضاً أن السلطان علي الصليحي استمر في زبيد من أواخر سنة 444 هـ أما بداية السنة نفسها فقد كانت تحت سيطرة نجاح يشير إلى ذلك عملة أصدرها نجاح بها. وهي الدينار كتب عليه ضرب في زبيد سنة 444 هـ وتحمل اسم الخليفة القائم بأمر الله العباسي واسم علي بن مظفر

---

(118) مفرج الربعي : سيرة ذي الشرفين ، ق: 7 ، ص: 76 ، المطاع : تاريخ اليمن ، ص: 233 .

(119) د. محمد العش : المسكوكات ، مجلة الأكليل ، ص: 43 .

الزيادي، والمؤيد نجاح نصير الدين. وفي أثناء سيطرة علي الصليحي على زبيد من المرجح أن سلطة نجاح كانت محصورة في مناطق شمال زبيد فقط ، وهي مناطق (الكدرا والمهجم والواديين) [120] وهما وادي مور وبيش ، وهذه الأعمال هي جُلّ أعمال تهامة شمال زبيد ، وهي الأعمال التي تولاها نجاح قبل قيام دولته [121] وذلك يرجع إلى أن مدينة الكدرا أصبحت مقر حكم بني زياد وبني نجاح ، منذ أن قام الحسن بن سلامة بتجديدها وتحصينها حيث وردت في عهد حُكْم مرجان لها عبارة (صاحب الكدرا) [122] ويقصد بها حاكم تهامة ، كما أورد الخزرجي العبارة التالية: (وكانت وفاة نجاح في سنة 452 هـ /1060م في مدينة الكدرا) [123] وهي إشارة واضحة على استقرار نجاح فيها .

معركة الزرائب :

كذلك وقعت معركة قوية في تهامة بين علي الصليحي من جهة وابن طرف من جهة أخرى ، وذلك حينما اجتمع إلى ابن طرف الكثير من أنصاره من ملوك الحبشة وهم (النجاحيون) والسودان يقدرون بحوالي عشرين ألف رجل ، فلما سمع علي الصليحي بتجمعهم في بلاد بني طرف ، اتجه إليهم مع مجموعة تقدر بألفين وسبعمائة فارس ، فالتقى الطرفان في منطقة (الزرائب) حيث دارت بها معركة كبيرة انتصر فيها علي الصليحي [124].

ومن الواضح في هذه المعركة أن الأعداد مبالغ فيها ، فغير معقول أن ينتصر ألفان وسبعمائة على عشرين ألف،كما أن هناك إختلافاً في تحديد زمن هذه المعركة،فعمارة يورد أنها كانت في سنة460هـ/1067م بترجيح الرواية الخاطئة بموت علي الصليحي سنة473هـ

---

(120) ابن عبد المجيد : بهجة الزمن ، ص: 40 .

(121) الخزرجي : العسجد ، ص: 103 ، ذكرت هذه العبارة اثناء ما كان نجاح متولياً هذه الأعمال من قبل مرجان قبل تكوين دولته .

(122) ابن عبد المجيد : بهجة الزمن ، ص: 67 .

(123) الخزرجي : العسجد ، ص: 57 .

(124) عمارة : تاريخ اليمن ، ص: 123 ــ 124 ، الهمداني : الصليحيون ، ص: 83 ــ 84 ، نقلا عن عيون الأخبار ، ص: 7 - 14 ، الوصابي : الأخبار ، ص: 34 .

/1080م [125]. وإدريس يذكر أنها كانت في سنة 450 هـ /1058م [126] وفي أثناء هذه الفترة يوضح الربعي أن عليا الصليحي اتجه في المحرم من سنة 450 هـ / 1058م نحو يعفر بن أحمد الكرندي وحاصره في السوا في المعافر لمدة تسعة أشهر[127] ويرجح الأكوع أنها كانت سنة 447 هـ (1056م) أثناء ما كان علي الصليحي في زبيد [128]. ولكن الذي يظهر أنها كانت أواخر سنة 448 هـ (1056م) توجد إشارة إلى ذلك لدى ابن عبد المجيد بقوله عن علي الصليحي :(وكان سبب قتله أنه لما استولى على زبيد سنة 448 هـ / 1056م وقتل نجاح بالسم) [129]، وهي إشارة إلى العداوة بين نجاح وعلي الصليحي وإلى نزوله إلى زبيد سنة 448 هـ/1056م وقتل نجاح وقد يقصد بزبيد هنا تهامة ، وورد أيضا تواجد علي الصليحي في بداية سنة 448 هـ /1056م في بلاد حاشد محاصراً الأشراف الزيدية في (الهرابة) وهي قرية من بلاد بني طرف ومن المحتمل أنه بعد هذه المعركة نزل إلى معركة (الزرائب) .

موت نجاح :

ومن الأساليب السياسية التي عمد إلى تطبيقها علي الصليحي هي سيطرته على جميع مناطق اليمن ، وتوركه لنجاح في تهامة آخر من يتجه إليه ، بينما كان من المتوقع أن ينهي دولته أولا ، ولكنه بعد أن قضى على زعامات اليمن كلها ، عمل على القضاء على نجاح بقتله بالسم عن طريق الجارية التي أهداها إليه ، فمات مسموماً في الكدرا سنة 452 هـ [130] / 1060م والسبب في ذلك كما يبدوا يرجع إلى الآتي :

---

(125) عمارة : تاريخ اليمن ، ص: 134 .

(126) الهمداني : الصليحيون ، ص: 83 ، نقلاً عن عيون الأخبار : 7 / 14 .

(127) مفرج الربعي : سيرة ذي الشرفين ، ص: 18 ، عمارة : تاريخ اليمن ، هامش ، ص: 124 .

(128) عمارة : تاريخ اليمن ، ص: 124 .

(129) ابن عبد المجيد : بهجة الزمن ، ص: 77 .

(130) عمارة:تاريخ اليمن، ص:117 ـ 118، الخزرجي: العسجد، ص:57 ، ابن عبد المجيد : بهجة ، ص: 77 ، الجندي : السلوك ص: 486 ، ابن الديبع : قرة العيون ، ص. 246 ، المطاع : تاريخ اليمن الاسلامي ، ص: 239 ، الحداد : التاريخ العام ، ص: 226 ـ227 ، ابن خلدون : تاريخ ، ص: 137 ـ 138 .

أولاً: حرص علي الصليحي على عدم إثارة الخلافة العباسية رغم ضعفها ، كون نجاح كان ممثلا عنها في اليمن .

ثانياً: إرادة علي الصليحي تأمين ظهره من المناطق الجبلية المحصنة طبيعياً ، فسيطر عليها أولا، بعدها يصبح سهلا عليه السيطرة على تهامة لعدم تحصينها طبيعيا.

مرحلة ما بعد موت نجاح :

تأتي هذه المرحلة من أهم مراحل تأسيس الدولة (الصليحية الإسماعيلية) في اليمن ، فبعد أن تمكن علي الصليحي من القضاء على أغلب الزعامات في معظم اليمن بالأسر أو بالقتل وغيره وعلى رأسهم نجاح، كتب إلى الامام المستنصر سنة 453هـ/ 1061م يخبره بنجاح إظهار الدعوة ويستأذنه في إعلان قيام الدولة في اليمن وكعادته أرسل مع الرسل هدايا جليلة منها سبعون سيفاً قوائمها من عقيق فلما وصلت إلى المستنصر استجاب لطلبة فعقد له بولايه اليمن ومنحه الألقاب والرايات[131] وبذلك كسب علي الصليحي الصفة الشرعية بإقامة دولته، بعد أن كسب الصفة الشرعية بتولي رئاسة الدعوة الإسماعيلية الفاطمية وإظهارها.

وفي الوقت الذي أكمل فيه علي الصليحي السيطرة على أغلب مناطق اليمن وأزاح سلطان الزعامات القبلية عنها ، اتجه للاستيلاء على تهامة سنة 454هـ /1062م من مولى نجاح واسمه كهلان ، الذي تولاها بعد موت نجاح سنة 452 هـ (1060م) والذي مكث في حكمها سنتين نيابة عن أولاد نجاح الذين كانوا لم يبلغوا بعد سن تولي السلطة، فاستولى عليها علي الصليحي ، وبذلك يكون قد تمكن من السيطرة على تهامة ، وهي من آخر المناطق اليمنية التي سيطر عليها [133] .

---

(131) الجندي : السلوك ، جـ1، ص: 486، الخزرجي: العسجد، ص: 57 ، بامخرمة: ثغر عدن، ص:193، الكبسي : اللطائف ، ص: 33 ، حسن ابراهيم: تاريخ الدولة الفاطمية، ص:240، النهضة المصرية، القاهرة، ط 5، 1993م، الحريري : معالم ، ص: 36 .

(133) عمارة : تاريخ اليمن ، ص: 192 ، الخزرجي : العسجد ، ص: 106 ، تذكر أكثر المصادر أن سيطرة علي الصليحي على تهامة كان سنة 455 هـ ولكن المرجح أنه سيطر عليها سنة 454هـ لأن هذه المصادر نفسها تورد أن كهلان تولى تهامة لمدة سنتين بعد موت نجاح سنة 452 هـ .

كذلك استأذن علي الصليحي المستنصر الفاطمي للذهاب إلى مكة لإخضاع أمرائهاوإعادتهم إلى سلطان الخليفة الفاطمي لأن شريف مكة محمد بن جعفر بن أبي هاشم كان متقلباً في موالاته بين الخلافة الفاطمية والخلافة العباسية ويرجع ذلك إلى أن مكة كانت بحاجة إلى المعونة المالية . فالخلافة التي تمنحهم الأموال يعلنون الطاعة لها، لذلك كان محمد بن جعفر بن أبي هاشم موالياً للمستنصر الفاطمي ، ثم تحول إلى موالاة الخلافة العباسية فخطب للخليفة القائم العباسي ، فلما وصل علي الصليحي إلى مكة في حج سنة 454 هـ /1062م أزاح الاشراف عن السلطة [134] وقام بكسوة الكعبة بثياب بيضاء (الديباج الأبيض) كما رد الحلي إلى الكعبة التي أخذها بنو الطيب عندما سيطروا عليها بعد موت شكر الحسيني[135]. وذلك بعد أن سيطر عليها الصليحي ، وعامل الأشراف بالحسنى حتى بذلوا له الطاعة ثم طلب منهم أن يختاروا والياً عليها . فأعاد الوالي السابق محمد بن جعفر بن أبي هاشم إلى حكم مكة ، لأنه بذل الولاء والطاعة للخليفة المستنصر ، فمنحه الصليحي الأموال والسلاح [136] بذلك يكون علي الصليحي أهم أعوان الخلافة الفاطمية في الجزيرة العربية .

وبعد أن سيطر علي الصليحي على أغلب مناطق اليمن اتجه إلى الإستيلاء على منطقة (صعدة) التي كانت خارجة عن نفوذه بوجود أولاد الناصر فيها فاستولى عليها بعد التخلص من حاكمها، وهي آخر منطقة في اليمن يسيطر عليها علي الصليحي ، وبها أكمل

---

(134) الهمداني : الصليحيون ، ص: 88 ـ 93 ، عصام الدين : اليمن في ظل الاسلام ، ص: 152 ــ 153 تورد أغلب المصادر أن عليا الصليحي حج سنة 455 هـ بينما يذكر ادريس أن حجه كان سنة 454 هـ ويرجح الهمداني هذا الرأى لوجود سجلين يحكيان عن حج علي الصليحي أحدهما مسجل رقم (7) كتب في شهر ربيع الآخر سنة 455 هـ بعد عودة علي الصليحي من مكة والآخر سجل رقم (4) رد للخطابين الذين بعث بهماعلي الصليحي بعد عودته من مكة صدر الأول بصنعاء وأرخ في شهر شعبان سنة 455 هـ وصدر الثاني بالهجر وأرخ في شهر شوال من نفس السنة ، الصليحيون ، ص: 90 ، وكما يبدوا أن علياً الصليحي حج سنة 454 هـ لاخضاع الأشراف كما حج سنة 455 هـ للتأكد من استمرار ولائهم .

(135) بامخرمة : ثغر عدن ، ص: 193 ، الهمداني : الصليحيون ، ص: 91 .

(136) الهمداني الصليحيون ـ ص: 92 ، عصام الدين الفقي : اليمن في ظل الاسلام ، ص: 152 - 153

سيطرته على جميع اليمن ، يشير إلى ذلك النص التالي(ولم تمض سنة 455 هـ إلا وقد ملك من مكة إلى حضرموت سهلا وجبلا فامتنعت عليه صعده بعض التمنع بأولاد الناصر ، ثم أنه لما قتل القائم فيها ، ملكها)[137] وكما يظهر أن هذه السيطرة كانت فيما بين سنة 454 هـ /1062م وسنة 455هـ /1063م.

بذلك يكون علي الصليحي قد وحد اليمن تحت سلطانه ، وهذا التوحيد لم يتمكن من تحقيقه الكثير من زعماء اليمن ممن حكموها قبل علي الصليحي . وذلك لأن حُكم اليمن كان موزعاً بين قبائلها المتعددة ، عبر عن ذلك العرشي بقوله :(ولم يقع لأحد فيمن ملك اليمن ما وقع لعلي بن محمد الصليحي ، فإنه استولى على اليمن سهله وجبله وشماله وجنوبه وغربه وشرقه في المدة اليسيرة وقهر ملوكه)[138] كما عبر عنه عمارة بقوله : (وذلك أمر لم يعهد مثله في جاهلية ولا إسلام) [139] .

لقد أكمل علي الصليحي في سنة 455 هـ / 1063م تأسيس دولته التي شملت اليمن كلها ، فاستقر في صنعاء وجعلها عاصمة لدولته ، فبنى فيها الدور والقصور ، وسكن بها وقومه ومن أخذهم معه من أسرى من حكام اليمن الذين أزال ملكهم ، ويبدوا أن اتخاذ علي الصليحي صنعاء مقراَ لحكمه يرجع إلى أن صنعاء كانت منطقة تنافس بين القوى اليمنية المتعددة الطامحة في السلطة ، من همدان وحمير وخولان والتي تتمركز حول صنعاء ، لذلك اتخذها علي الصليحي مقراً له لمنع هذه القبائل من إعادة السيطرة على صنعاء وتكوين دويلات لها ، لأن السيطرة على صنعاء من أي قبيلة مجاورة لها يجعلها تطمع في التوسع نحو

---

(137) ابن الديبع : قرة العيون ، ص: 246 - 247 ، انظر الجندي : السلوك ، جـ2/ 486 ـ 487 ، الخزرجي : العسجد ، ص: 58 ، يذكر أحمد شرف الدين أن علياً الصليحي قبل القائم بصعدة نائباً له بها إذ يقول: (إلا مدينة صعدة فقد تمنع أولاد الناصر بعض التمنع ثم أنه قبل القائم فيهم كنائب على صعدة) اليمن عبر التاريخ ، ص: 199 .

(138) حسين بن أحمد العرشي : بلوغ المرام في شرح مسك الختام فيمن تولى ملك اليمن من ملك وإمام، ص: 26 ، مصر ، 39م ، عصام الدين : اليمن في ظل الاسلام ، ص: 154 .

(139) عمارة : تاريخ اليمن ، ص: 119 ، الخزرجي : العسجد ، ص: 57 ، عصام الدين : اليمن =

المناطق الأخرى ، مما يشكل خطورة على أغلب المناطق ، بالإضافة إلى مسببات أخرى مثل اعتدال جوها وتوسطها اليمن وغيرها ، ورغم نجاح علي الصليحي بهذه الفكرة في حياته إلا أنها لم تكن عاصمة موفقه للدعوة الإسماعيلية بعد موته ، وذلك لأن قبائل صنعاء والقبائل التي حولها كانوا لا يؤمنون بالفكر الإسماعيلي كما كانوا في صراع دائم حول السيطرة على صنعاء ، ولذلك انتقلت عاصمتهم بعد موت علي الصليحي من صنعاء إلى ذي جبلة .

ولعل أهم الأسباب التي أدت إلى نجاح علي الصليحي في تكوين دولته على جميع القوى اليمنية وتوحيد اليمن تحت سلطته يرجع إلى عدة مسببات منها الآتي :-

1 ـ شخصية علي الصليحي :

تميز علي الصليحي بصفات تؤهله تولي السلطة السياسية إذ يوصف بصفات حسنة مثل : الذكاء والتواضع والشجاعة والشهامة وغيرها ، كما اتصف بالأعمال الطيبة مثل العفو والتسامح وغيرهما ومن تلك الصفات التي اتصف بها علي الصليحي قولهم عنه : (وكان علي بن محمد الصليحي من أعيان اليمن وسادتها وأذكياء الملوك ودهاتهم وكان شاعراً فصيحاً بليغاً)[140] كما وصفوه بقولهم (وكان علي الصليحي حازماً عازماً جوادا شجاعا ممدحا ، وكان متواضعاً لا يمر بقوم إلا أشار إليهم بالسلام فطنا ما يخبر بشيء إلا ويصح فصيحاً بليغاً شاعراً)[141] بالإضافة إلى ذلك قولهم عنه : (وكان الصليحي شهما شجاعاً مقداماً)[142] وهذه الصفات الحسنة هي التي جعلته يحقق الكثير من الانتصارات ويحقق توحيد اليمن .

2 ـ حسن معاملته للقوى اليمنية :

كذلك ترجع انتصارات علي الصليحي إلى أسلوبه في التعامل مع القوى اليمنية

= في ظل الاسلام ، ص: 154 .

(140) الجندي : السلوك ، ص: 487 ، الخزرجي : العسجد ، ص: 58، ابن الديبع : قرة العيون ، ص: 251 ، الفصل المزيد ، ص: 56 .

(141) بامخرمة . ثغر عدن ، ص: 195 .

(142) الحمادي : كشف أسرار الباطنية ، ص: 81

المختلفة ، ومن ذلك أن ابا النور جهور صمم على مقاومة علي الصليحي عندما بدأ يتوسع في السيطرة على حصن حضور ويناع ، فاعتصم أبو النور جهور بحصن لهاب بحراز ، وقام بأسر جماعة من أنصار الصليحي منهم القاضي لمك بن مالك الحمادي ، ولكنه فك أسره عندما لقي محاصرة شديدة من جيش الصليحي كما حاول جهور الإستعانة بنجاح حاكم تهامة ، وتوسع في الاستيلاء على (حصن زبار) بحراز من أنصار الصليحي ، إلا أنه لم يتمكن من المحافظة على ما تحت يديه من حصون بسبب عدم حصوله على مساعدة من نجاح وعدم مقدرته على مقاومة علي الصليحي ، فاضطر إلى تسليم نفسه لعلي الصليحي فعفي عنه وأطلق سراحه [143] . كما كان لا يحقد على أحد من أعدائه ومحاربيه ، بل يحترمهم ويقدرهم ومن ذلك أنه عندما تحارب مع الشريف الفاضل وحاصره في الهرابة ، اتجه إليه الشريف الفاضل للتفاهم معه حول تسليم نفسه ، فلما قرب من علي الصليحي (نهض لاستقباله ماشياً وأكرمه وعظمه)[144] ثم عفي عنه .

كذلك عامل الأشراف الزيدية الذين أشهروا سيوفهم ضده ، معاملة طيبة ، من ذلك معاملته مع جعفر بن القاسم العياني وأبنائه ، عبد الله ومحمد ، الذين قادوا حملات متتالية ضده مع جمع كبير من قبائل اليمن الأعلى ، وعندما تمكن علي الصليحي من الانتصار عليهم أخذهم أسرى معه إلى صنعاء فاكرمهم بها دون عقابهم بشيء ، بل عفي عنهم جميعاً وأطلق سراحهم كما سبق ذكره [145] .

وأيضاً تعامل مع حكام اليمن الذين أزال سلطانهم بمعاملة تختلف عن المعاملات السابقة ، إذ أنه أخذهم معه إلى صنعاء كرهائن لديه واسكنهم معه وكان يأخذهم معه حيثما اتجه ، وذلك خوفاً منهم ومن قبائلهم أن يثوروا عليه [146] .

---

(143) الهمداني : الصليحيون ، ص: 79 - 80 .

(144) المطاع : تاريخ اليمن الاسلامي ، ص: 236 .

(145) الربعي : سيرة ذي الشرفين ، ق:6 ، المطاع : تاريخ اليمن الاسلامي ، ص: 230 ، 237 .

(146) الجندي : السلوك ، 487/2، الخزرجي : العسجد ، ص: 58 ، ابن الديبع : قرة العيون ، ص: 252 ، الفضل المزيد ، ص: 56 .

كما أنه كان يتعامل مع من لم يحاربه من سكان اليمن ويدخل في طاعته بالإستعانة بهم وإبقائهم في سلطانهم نواباً له ، فذلك ما فعله مع بني معن في عدن حينما أبقاهم على حكمهم.وذلك ليتحاشى دخوله في الحرب مع جميع قوى اليمن من ناحية ، ومن ناحية أخرى لكي يطمئن قوى اليمن إليه كي تسلم له بالطاعة حفاظاً على سلطانهم دون محاربته (147).

وكذلك لم يتعصب لمذهبه الإسماعيلي فقد عامل أهل المذاهب الأخرى بالتسامح الديني فترك لهم حريتهم المذهبية في ممارسة شعائرهم الدينية وفقا لمذاهبهم ، من ذلك ما أمر به واليه علي زبيد أسعد بن شهاب حين بعثه إليها أن يحسن السيرة مع أهلها ففعل أسعد ما أمره به علي الصليحي (فسمح لأهل السنة في إظهار مذهبهم (148) كما عامل ابن نجاح ومواليه الذين أُطْلِق عليهم الحبشة وهم من يتهم بالدولة ـ أي موظفي الدولة ـ بالصفح والإحسان حتى زرع محبته في قلوب الناس)(149) .

واستخدم أيضاً علي الصليحي أسلوب المكاتبة مع رؤساء القبائل اليمنية بالإنضمام إليه وعدم الدخول معه في حرب أو عدم مناصرة أعدائه ومحاربيه ، وكان يستميلهم إليه بمنحهم الأموال أو السلطة على مناطقهم ، من ذلك ما فعله مع رؤساء قبائل اليمن الأعلى حينما أراد الشريف الفاضل السيطرة على صنعاء أثناء ما كان علي الصليحي في زبيد فقد كاتب رؤساء تلك القبائل ومنحهم الأموال وبالفعل تمكن من إفسادهم عن مناصرة الشريف الفاضل فافترق أصحابه عنه ولم يتمكن من السيطرة على صنعاء فدخلها علي الصليحي دون قتال سنة 447 هـ /1055م ودون وجود الشريف الفاضل بها (150) .

وكذلك ترجع إنتصار علي الصليحي إلى اتجاهه إلى تكوين دولته على أساس مذهبي وهو المذهب الإسماعيلي الذي اعتقد به واعتقدت به انصاره الإسماعيلية والذين اتجهوا إليه

---

(147) الخزرجي : العسجد ، ص 83 ، ابن الديبع : قرة العيون ، ص: 304 .

(148) عمارة : تاريخ اليمن ، ص: 121 ، اس الديبع : الفضل المزيد ، ص: 57 ، عند عمارة بدلاً من اظهار مذهبهم كلمة اظهار اديانهم .

(149) الخزرجي : العسجد ، ص: 58 ، ابن الديبع : قرة العيون ، ص: 248 .

(150) أحمد الربعي : سيرة ذي الشرفين ـ ق: 13 .

من أنحاء اليمن لمناصرته بالمال والسلاح والأفراد ، فقدموا إليه أموالا جليلة ، وقاتلوا معه، منهم قبائل يام وجنب وجشم وسنحان المسمون بالحجازين وغيرهم من قبائل اليمن من همدان وحمير ومذحج [151] ، أما القبائل الأخرى رغم اعتقادها بمذاهب أكثر إنتشارا من مذهب علي الصليحي لم يحاولوا تكوين دولتهم على أساس مذهبي لأنهم كانوا في صراع قبلي مستمر حول السلطة ، وهذا ما جعل علي الصليحي يحقق النصر عليهم .

3 ـ وضع اليمن القبلي :

يعتبر وضع اليمن القبلي أحد الأسباب الهامة في مساعدة علي الصليحي في تكوين دولته، إذ أن السلطة في اليمن كان يحكمها الإنتماء القبلي ، وهو الذي شكل الوضع السياسي لليمن إبان تلك الفترة وما بعدها ، فقد ظهر هذا العامل القبلي في الساحة السياسية لتاريخ اليمن الإسلامي منذ بداية القرن الثاني الهجري ، عندما سمح المأمون بإقامة دولة مستقلة في اليمن بإسم بني زياد في تهامة وعندما سمح لبعض قبائل اليمن بحكم صنعاء نيابة عن العباسيين باسم بني شهاب ، ثم تطور هذا العامل القبلي إلى أن صار صراعاً محتدما بين جميع القبائل اليمنية وهو ما يتمثل بالصراع حول السلطة ، وخاصة عندما عجزت الخلافة العباسية عن المحافظة على سلطانها في اليمن ، وأوضح دليل على ذلك ما أوردته المصادر بقولها : (وقامت الفتنة على صنعاء بين همدان وخولان وحمير والأبناء وبني شهاب ، في كل شهر لها أمير وعليها رئيس وفي أكثر أوقاتها تخلو من السلطنة ، والغالب عليها آل الضحاك إلى سنة أربعمائة)[152] .

4 ـ طبيعة اليمن الجبلية :

كما ترجع انتصارات علي الصليحي إلى استفادته من طبيعة اليمن الجبلية التي تميزت بكثرة جبالها . فاستعان لذلك بخبرته الشخصية وخبرة انصاره الذين قدموا من أنحاء اليمن.

---

(151) ابن عبد المجيد : بهجة الزمن ، ص: 75 ، الخزرجي : العسجد ، ص: 57 ، الواسعي : تاريخ اليمن ، ص: 172 .

(152) ابن عبد المجيد : بهجة الزمن ، ص: 64 ، الخزرجي : العسجد ، ص: 50 ، ابن الديبع : قرة العيون ، ص: 231 ، يحيى بن الحسين : غاية الأماني ، ص: 234 ـ 235 .

بمعرفة مسالك ودروب جبال اليمن وسهولها ، وقد استخدم لذلك أسلوبا عسكرياً يتناسب مع تلك المناطق الجبلية ويتمثل هذا الأسلوب في عدة طرق أحدها : تحصين المناطق الجبلية العالية والتحصن بها لحماية نفسه من هجمات القبائل المتألبة عليه ، وقد قام بتحصين الكثير من حصون المناطق اليمنية بالإضافة إلى مركزه الرئيسي حصن مسار. وثانيها: الهجوم المفاجئ على القوات المحاربة له ، وذلك عندما تتقدم إليه تلك القوى لمحاربته وتحاول استخدام أسلوب المحاصرة ضده لم يتح لها الفرصة لذلك.حيث أنه يقوم بالاسراع على شن الهجوم المباغت عليها من أماكن لا تتوقعها بحيث يضمن لنفسه النصر ، بالرغم من قلة أعداد جنده وكثرة أعداد الجيش المحارب له ، وذلك ما حدث في معركته مع الشاوري ومعركة صوف . وثالثها: إستخدامه أسلوب المحاصرة لقوات أعدائه وتشديده الحصار عليهم حتى يستسلموا له ، ومن ذلك محاصرته لمن تحصن بالهرابة لمدة سبعين يوماً ومحاصرته لبني الكرندي في السوا لمدة تسعة أشهر ، حتى استسلموا له وقادهم أسرى لديه [153]. وقد تمكن بهذه الأساليب من أن يسيطر على اليمن (سهله ووعره وبره وبحره)[154] . تلك هي أهم الأسباب التي ساعدت الصليحي في تكوين دولته .

أسلوب الصليحي في حماية تكوين دولته :

ومن أساليب علي الصليحي في التعامل مع القوى اليمنية بهدف حماية تكوين دولته الجديدة عملية أخذ الرهائن . فقد استمر علي الصليحي فترة طويلة يقاتل القبائل اليمنية مقاتلة شديدة من أجل تكوين دولته،حتى تمكن من الانتصار عليهم وإقامتها(وكان من هؤلاء من ظفر به أقبح الظفر ومنهم من سلم له على تقية)[155]كما سبق توضيحه.

واستخدم علي الصليحي أسلوباً قبلياً في التعامل مع هذه القبائل وهو نظام الرهائن ، فقد أخذ زعماء قبائل اليمن الحاكمة آنذاك الذين أزال سلطانهم كرهائن عنده ، وأسكنهم

---

(153) أحمد المطاع : تاريخ اليمن الاسلامي ، ص: 235 ، 237 .

(154) عمارة : تاريخ اليمن ، ص: 119 .

(155) مسلم اللحجي : تاريخ مسلم اللحجي ، ص: 178 ، مخطوط مصور ، صور لدى الباحث .

معه في مقر حكمه وعاصمته صنعاء ، وذلك خوفاً من خروج هذه القبائل عن طاعته ، لأنّ القبائل اليمنية كانت دائمة الخروج والثورات والحروب ، فكان نظام الرهائن ضمانا لاستقرار سلطان علي الصليحي وعدم خروج القبائل عليه ،[156] يشير إلى ذلك مسلم اللحجي بقوله :(كان الصليحي قد أسر ملوك اليمن فكانوا حوله وكأنهم لا يفارقونه خوفاً على الخلاف عليه)[157] كما أشار إلى ذلك النص التالي:(لما قهر ملوك اليمن ألزمهم ألا يفارقوا ركابه حيث كان، بعد أن توثق منهم بالرهائن والايمان)[158] وكان هذا الاسر ناتجاً عن حروب طويلة لعلي الصليحي مع القبائل اليمنية المتعددة وحول هذا الأسر إلى رهائن كي لا يترك لهذه القبائل فرصة العودة إلى حربه مرة أخرى بعد حروبه الكثيرة معهم ، وغالباً ما كان هؤلاء الرهائن من القبائل التي قاومته والتي حاربهم حتى أزاح سلطانهم وممن لا يثق بهم من القبائل . وحتى القبائل التي أعلنت الطاعة والاستسلم له ولم تحاربه والتي ترك لها السلطة في مناطقها فقد أخذ منها الرهائن .

أسلوب الصليحي في التولية :

أما عملية التولية فقد قام علي الصليحي بتولية المناطق (وأعمال الحصون والجبال لقوم يثق بهم)[159] وغالباً ما كان هؤلاء من أصحاب مذهبه الإسماعيلي وأقاربه الذين وقفوا معه في حروبه المتعددة مثل بني الصليحي،وبني شهاب،وبني الزواحي وغيرهم من حمير، وهمدان، ومذحج.

ومن ضمن حركة التولية التي قام بها علي الصليحي في اليمن ، وَلّى الحسين بن مهلهل الحميري حصن الأخروج بحراز ، وَوَلّى قريبه عبد الله بن علي الصليحي حصن خدد ببلاد حبيش ، ووَلّى أخاه السلطان عبدالله بن محمد الصليحي حصن التعكر بذي جبلة كما ولّى ابنه أحمد المكرم على الجند وما حولها[160] ، وكذا وَلّى عبدالله بن موسى بن عيسى بن

(156) الجندي : السلوك ، 487/2، ابن عبد المجيد : بهجة ، ص: 76 ، الخزرجي: العسجد، ص: 58 .

(157) تاريخ مسلم اللحجي ، ص: 177 .

(158) الجندى: السلوك 487/2 ، الخزرجي: العسجد ، ص: 58 .

(159) عمارة: تاريخ اليمن ، ص: 126 .

(160) الهمداني: الصليحيون ، ص: 107 ، عصام الدين. اليمن في ظل الاسلام ، ص: 155 ، الحداد: تاريخ اليمن العام ، 227/2-228 .

هارون مخلاف البياض بحجة[161] ، وولّى صعدة أحمد ابن المظفر الصليحي وولى حصن مسار علي بن مالك بن شهاب وولّى يحصب ورعين وعنس إسماعيل بن أبي يعفر الصليحي[162] .

كذلك ولّى زبيد وأعمالها التهامية صهره أسعد بن شهاب الذي إتجه إليها ودخلها سنة 456 هـ/ 1063م وقد أتصف أسعد بحسن السيرة مع الرعية فترك لأهل السنة حرية إظهار مذاهبهم دون التعرض لهم ، كما ولّى علي الصليحي إلى جانبه في تلك الأعمال ثلاثة رجال أعواناً له الأول: أحمد بن سالم الذي كان إليه أمر العمال من وادي حرض إلى قرب عدن ، وكانت مهمته الاتصال بالعمال واستخراج الأموال منهم، ووضع حسابات لهذه الأموال وتقديمها إلى أسعد بن شهاب ، والثاني: القاضي أبو محمد ابن أبي عقامة وكانت مهمته القيام بالأمور الشرعية ، والثالث: أبو الحسين علي بن محمد القم وكانت مهمته كتابة الإنشاء ، ومن المرجح أن أسعد بن شهاب قد تولى زبيد وأعمالها ولاية ضمان يدفع خلاله ألف ألف دينار سنوياً[163] .

وعن كيفية تولى أسعد بن شهاب لزبيد وأعمالها التهامية هناك قصة يوردها عمارة وهي: أن علياً الصليحي كان قد حلف أن لا يوليها إلا لمن يدفع له مائة ألف دينار فحاولت زوجته أسماء أخت أسعد أن تأخذ هذا المبلغ من خزانة زوجها، فاخذته وأعطته زوجها كي يولي آخاها أسعد تلك الأعمال ، فعمل برأيها وولاه[164] . ويبدو من خلال هذه القصة أن علياً الصليحي كان يريد أن يولى الأعمال التهامية لرجل موثوق به ، ولاية ضمان يدفع له فيها مبلغ محدد من المال وهو مبلغ مائة ألف دينار سنوياً ، وعليه مؤنة الجيش وعماله وموظفيه ، وحلف لذلك فارادت زوجته أسماء كي يولي آخاها أخذ هذا المبلغ من خزانة زوجها، فأخذته وأعطته إياه كتبرئة ليمينه .

---

(161) مسلم اللحجي: تاريخ مسلم اللحجي ، ص: 195 .

(162) مجهول: سيرةالسلطان المعظم الأمير الأجل المكرم، ص: 44 ، 50 ، 75 / مخطوط مصور لدى الباحث .

(163) عمارة: تاريخ اليمن ، ص: 121 - 123 .

(164) عمارة: تاريخ اليمن ، ص: 120 ، الخزرجي: العسجد ، ص: 58 ، ابن الديبع: قرة العيون ص: 7- 248 ، الفضل المزيد ، ص: 56 ، با مخرمة: ثغر عدن ، ص: 193 .

ألقاب علي الصليحي :

وللتعبير عن العلاقة الطيبة بين الخلافة الفاطمية بمصر والدولة الصليحية باليمن، فقد منح الخليفة المستنصر الفاطمي علياً الصليحي ألقاباً فخمة تَدَرَّج في منحها له ، بحسب المعارك التي انتصر فيها علي الصليحي ، فبعد انتصاره سنة 444 هـ . لقب (بالمظفر في الدين . نظام المؤمنين) . ومنذ عام 445 هـ حتى عام 448 هـ منحت له الألقاب التالية: (سيف الإمام المظفر في الدين نظام المؤمنين علي بن محمد الصليحي) وبعد ذلك أضيف إليه لقب «تاج الدولة» . وما بعد سنة 455 هـ وهي السنة التي أكمل سيطرته على اليمن كلها لقب بعدة ألقاب، فظهر لقبه سنة 457 هـ / كالأتى :

« الأمير ، الأجل ، الأوحد ، أمير الأمراء ، عمدة الخلافة ، شرف المعالى ، تاج الدولة ، سيف الإمام ، المظفر في الدين ، نظام المؤمنين ، علي بن محمد الصليحي» [165] .

ومن الملاحظ في هذه الألقاب أنها عبارة عن مدح وإطراء وتبجيل لعلي الصليحي إعتادت الخلافة الفاطمية منحها لكبار رجال دولتها .

نهايـــة علي الصليحـي :

وردت ثلاث روايات حول قتل علي الصليحي وكل رواية تختلف عن الأخري على النحو التالى:

1 ـ الرواية الأولى :

أوردها (عمارة) وفحواها هي أن سعيداً الأحول خرج من (دهلك) مغاضباً لأخيه جياش حين نهاه عدم الغدر بصاحب (دهلك)، فاتجه نحو زبيد واستتر عند أحد السوقة كان محباً لآل نجاح واسمه الرئيس ملاعب الخولاني، ثم كتب إلى أخيه جياش يطلب قدومه من دهلك إلى زبيد لاستعادة ملكهم وقتال علي الصليحي، فقدم جياش إلى أخيه، ثم ظهر سعيد الأحول في زبيد في سبعين رجلاً لا فرس لواحد منهم ولا سلاح، إلا مسامير من الحديد مركبة في جريد النخل ، لذلك قام سعيد الأحول بقتل جندياً وأخذ فرسه[166] .

---

(165) عن ألقاب علي الصليحي. انظر السجلات المستنصرية.

(166) عمارة: تاريخ اليمن ، ص: 192 ـ 193 .

وفي التاسع من ذي العقدة ، اتجهوا لقتال علي الصليحي عن طريق الساحل متحاشيين الطريق السلطانية ، وهي الطريق الرسمي للحج والتي سلكها علي الصليحي، وذلك خوفاً من ملاقاة العساكر واكتشاف أمرهم ، وقد ساروا في هذا الطريق لمدة ثلاثة أيام حتى وصلوا المهجم ، ولما سمع حاكم زبيد بخروج سعيد الأحول كتب إلى علي الصليحي يخبره بذلك ، وبعث بعدهم خمسة آلاف من رماة الحراب من الأحباش الذين كانوا من موالى بني نجاح وعبيدهم وأولاد عمومتهم وذلك للقضاء على سعيد الأحول وأخيه ومن معهما . وأدرك ذلك سعيد الأحول، فاتجه طريقاً مخالفاً لهذا الجيش، فساروا حتى وصلوا إلى المخيم الذي يقيم به علي الصليحي فدخلوه دون أن يعرفهم الناس إلا عبدالله الصليحي لاعتقادهم أنهم من جملة العساكر[167] .

أما عبدالله أخو علي الصليحي الذي عرفهم فقد ركب فرسه وقال لأخيه إركب (فهو والله الأحول بن نجاح الذي جاءنا به رسالة أسعد من زبيد فقاتلهم حتى قتل). وبالنسبة لعلي الصليحي لما أدرك بوجود سعيد الأحول لحقه يأس من الحياة فلم يبرح مكانه حتى قتله سعيد الأحول ولم يشعر الناس إلا بقتله. كما قتلوا الكثير من بني الصليحي . وأسروا أسماء بنت شهاب زوجة علي الصليحي، وأدخلوها زبيد بعد ثلاثة أيام ثم أن سعيداً الأحول أرسل رسله إلى الخمسة آلاف التي أرسلها أسعد الصليحي لقتاله ومن معه يقول لهم: (إن الصليحي قد قتل وأنا رجل منكم والعز عزكم فاطاعوه)[168] . والواقع أن رواية (عمارة) هذه غير معقولة بأن يخرج سبعون رجلاً بدون سلاح ويقتلون علي الصليحي ومن معه وهم ممن اتصفوا بالشجاعة والتمرس على القتال. كما أنه غير معقول أن يصل خبرهم إلي علي الصليحي دون أن يستعد لقتالهم ويحمى نفسه منهم.

2 ـ الرواية الثانيـــة :

يوردها إدريس ملخصها أنه عندما تمكن علي الصليحي من قتل نجاح والسيطرة على تهامة هرب أبناؤه إلى أرض الحبشة (دهلك) . وقد حاول سعيد الأحول الإنتقام لأبيه

---

(167) عمارة: تاريخ اليمن ، ص: 193 ـ 195 .

(168) عمارة: تاريخ اليمن ، ص: 195 ـ 197

واستعادة ملكه على تهامة ، فبعث الجواسيس ، وكانت أخبار علي الصليحي تأتيه في كل وقت،ولما عزم الصليحي على الحج سنة459هـ/(1066م)وصلت إليه أخباره(فخرج من البحر معارضاً له في خمسة آلآف حربة من الحبشة قد انتقاهم) فخرجوا بساحل المهجم وساروا منه حتى وصلوا مخيم علي الصليحي في المهجم منتصف النهار (والناس مفترقون في خيامهم غير مستعدين لحرب ولا خائفين منه) فهجم مع جماعته على مخيم علي الصليحي ، فادركوه عندما كان يحاول ركوب الخيل ، فقتلوه وقتلوا أخاه عبد الله بينما اتجهت بقية جيش الأحباش نحو مخيم من رافق علي الصليحي ، فقتلوا من قدروا عليه واستولوا على جميع خزائن علي الصليحي وأمواله(وكان قد اصطحب معه أموالاً جليلة قيل كان يقصد بها مصر)[169] .

هذه الرواية أكثر الروايات تصديقاً وأكثرها معقولية وتتناسب مع سير الأحداث ، وهي أن المؤامرة تمت بسرية من خارج اليمن ، فقدم الجيش الكثيف إليها عندما كان علي الصليحي يسير نحو الحج بأمان دون توقع أي هجوم عليه. فقتلوه في المهجم كما هو موضح.

3 ـ الرواية الثالثة :

هي رواية صاحب سيرة المكرم ومضمونها كالآتي :

كان علي الصليحي قد ولى حصن مسار رجلاً من عبيد نجاح واسمه فرج البيشي (كان يظهر من التودد والنصح وإظهار المنافع) ما حمل علي الصليحي من أن يقربه ويدنيه منه ويوليه حصن مسار ، فلما تولى فرج حصن مسار أبطن لعلي الصليحي الغدر ، فكان يخلو كثيراً بأصحابه العبيد دون بقية العرب ويحرضهم على الغدر بعلي الصليحي ، فحرض العبيد الموجودين بحراز وصنعاء، ولما لم يتمكن العبيد في صنعاء من تدبير مؤامرتهم وإظهار أمرهم لقلتهم وكثرة العرب بها، اتجه إلى عبيد زبيد يحرضهم على الغدر بعلي الصليحي، وقد لقي من الكثير منهم استجابة، منهم سعيد الأحول، ولذلك دعا فرج رماة الحراب وجمعهم بسعيد الأحول وقال لهم : (هذا ابن ملككم وأنتم إن قمتم معه فإنكم تنتصرون من العرب

---

(196) الخزرجي : العسجد ، ص: 59 ، نقلا عن ادريس .

وتأخذون بثأركم)[170] .

استمر فرج البيشي يحرض رماة الحراب خفية في كل من مسار وصنعاء وزبيد ، وقد تركزت دعوته على زبيد أكثر من غيرها من المناطق لكثرة العبيد فيها وكان يقول لهم: (كم تملككم العرب وتستخدمون لها وتذلون وقد صرتم في جمع تمتنعون به وتعزون)[171] .

لم تظل دعوة فرج البيشي لعبيد الحبشة مخفية ، فقد أُكتشف أمره وألقي القبض عليه وأرسل إلى علي الصليحي بصنعاء . ونتيجة لاستخدام السرية في دعوته فقد حاول إِنكار ما قام به وأبدى استعداده للقبض على بني نجاح ، فتركه علي الصليحي يتجه إلى زبيد للقبض عليهم ، ولما وصل إلى زبيد أخبر بني نجاح أن أمره قد إنكشف وأنهم يقومون بالدعوة بأنفسهم ، ولما لم يُلق القبض على بني نجاح كما قال لعلي الصليحي ، ومحاولته دعوة عبيد زبيد لمناصرة بني نجاح ، القي القبض عليه واليها أبو السعود بن أسعد بن شهاب وكتفه ثم سلمه لعلي الصليحي عند مروره بتهامة للذهاب إلى الحج ، فساقه معه محبوسا إلى أن وصل إلى (العمد) ضربت عنقه ، وذلك في يوم الخميس التاسع من ذي القعدة سنة 459هـ/ (1067م) . وبقتله إزدادت العبيد في النفور[172] .

ومن ناحية سعيد الأحول فإنه اتجه سرا لدعوة انصاره الحبشة في زبيد لمقاومة الصليحيين ، ولما علم علي الصليحي بأخباره أرسل إليه العيون ليلقوا القبض عليه فاختفي وأكثر الحرص في الإستتار ، مرة كان يختفي عند فرج البيشي في مسار ومرة أخرى كان يختفي في زبيد ينتقل من بيت إلى بيت[173] .

وعندما ألقي القبض على فرج البيشي واتجه علي الصليحي نحو الحج منفرداً بقلة من أصحابه دون اصطحاب جيش معه، أدرك سعيد الأحول أنه لا بقاء له على الخفية والإستتار

---

(170) مجهول سيرة المكرم ، ص: 24 .

(171) مجهول . سيرة المكرم ، ص: 25 .

(172) مجهول : سيرة المكرم . ص: 27 - 28 ، أبو السعود بن أسعد بن شهاب بن جعفر الصليحي تولى أمر زبيد بعد أسعد بن شهاب .

(173) مجهول : سيرة المكرم ، ص: 85 .

فدعا أصحابه ورماة الحراب بزبيد للقيام معه لاستعادة ملكه ، فحملوا سلاحهم وظهروا بزبيد يوم الأربعاء الثامن من ذي القعدة سنة 459 هـ/ (1067م) فهجموا على دار الوالي أبي السعود وأحمد بن أسعد بن شهاب الصليحي وأخذوا جميع ما كان معهما من الأموال والعدة والسلاح وغيره ، وقتلوا من لقوا بزبيد من أهل حراز ، فكانت السيطرة على زبيد وعلى ذلك فإن هذه الأموال والخيول والسلاح التي استولوا عليها كانت عونا لهم على محاربة علي الصليحي.

بعد السيطرة على زبيد مباشرة قام الأحول بمراسلة أصحاب الحبشة في زبيد للاتجاه معه لقتال علي الصليحي كما خرج هو ومن معه من زبيد نحو المناطق الشامية أو الشمالية لإدراك علي الصليحي الذي خرج للحج عن طريق تهامة [174] ذلك ما كان من سعيد الأحول ونصيره فرج البيشي .

أما بالنسبة لعلي الصليحي فإنه لما أراد الحج في موسم سنة 459 هـ/ (1067م) أمر السلاطين والأمراء والقادة ومن معه من الذين كانوا يريدون الحج معه أن يتقدموا قبله رويداً رويداً حتى لا يزدحموا في مناهل المياه ، فساروا بناءً على ذلك منذ خروجهم من صنعاء ، وبقي علي الصليحي في جماعة قليلة من جنده ممن يحملون الحراب وفي نفر من بني عمه [175].

فلما خرج علي الصليحي للحج رافق تلك القلة ، ولم يكن معه من قبائل اليمن المسمون بالحجازيين والذين هم أكثر اليمنيين إسماعيلية ونصره له ، ولا من حمير ولا من كبار رجاله وأهل النجدة والبأس أحد يسيرون معه ، لأنهم تقدموا في الطريق عليه فمنهم من صار في المقدمة ، مثل القاضي عمران بن فضل اليامي ، والحسين بن عمرو السنحاني في جماعة من يام، وسنحان ، وآخرون ، ومنهم من صار بذهبان مثل عامر بن سليمان الزواحي ، ومدافع بن حسين الجنبي في جنب وحمير ويوسف بن زايد السنحاني وموسى بن حذيفة الجنبي ، أما أثقال علي الصليحي من الخيول والجمال والأموال فهي كانت مبثوثة من المهجم

---

(174) المصدر نفسه ، ص: 28 .

(175) المصدر نفسه ، ص: 24 .

إلي الهجر ، تسير رويداً رويداً وهو يسير معها بالقليل من جنده العبيد رماة الحراب وبني عمه وأخواه إبراهيم وعبد اللـه وزوجته أسماء بنت شهاب [176] .

ولما وصل علي الصليحي المهجم يوم الجمعة العاشر من ذي القعدة وصلته أخبار تفيد أن سعيداً الأحول وأنصاره من رماة الحراب ، قد نهبوا بيت الدولة في زبيد وقتلوا الحرازيين الذين بها واتجهوا لقتاله فدعا عبيده رماة الحراب الذين معه وأعلمهم خبر العبيد وما فعلوه في زبيد وأنهم قادمون إليه لحربه ، فانتدبوا أنفسهم للخروج للقائهم وأظهروا استعدادهم للإتجاه لقتالهم ، بينما كانوا يبطنون شيئاً آخر ، فلما سمح لهم علي الصليحي للإتجاه لحربهم ساروا في طريقهم نحو زبيد ، ولما عرفوا أن سعيداً الأحول وجماعته قادمون إلى المهجم لقتال علي الصليحي عن طريق الجادة (عرجوا عن طريقهم لئلا يلقونهم ، وخافوا إن كانوا معهم ويختلطوا بهم فتكون الدائرة عليهم فيحيق بهم جميعاً المكر) لذلك أرسلوا من يتتبع أخبارهم ، فلما تحقق لهم أن سعيداً الأحول وجماعته يريدون الإتجاه نحو علي الصليحي والبلاد الشامية ، راسلوهم وأخبروهم أنه لوحده وعليهم إدراكه سريعاً قبل أن يلحق باصحابه فلا يستطيعون له ، فاسرعوا إليه فأدركوه خارج المهجم ضحى يوم السبت الحادي عشر من ذي القعدة من سنة 459 هـ/ 1067م). فهجموا عليهم وقاتلوهم قتالاً شديداً انتهي بإنتصار الأحول وقتله لعلي الصليحي وأخويه إبراهيم وعبد اللـه والكثير من غيرهم من الصليحيين [177] .

هذه الرواية قد تكون صحيحة من جانب واحد هو دور سعيد الأحول في زبيد وأنصاره ، ومن جانب آخر فهي غير صحيحة. أن يصطحب علي الصليحي العبيد معه ، وأن

---

(176) المصدر نفسه ، ص: 28 - 29 .

(177) مجهول سيرة المكرم ، ص: 30، ممن قتل مع علي الصليحي وأخواه عمر بن حاشد بن جعفر الصليحي ومسلم بن كديس ابن عبد الله الصليحي ، وحاشد بن جعفر بن حاشد الصليحي، ومالك بن إبراهيم الصليحي ، وأحمد بن قاسم بن عبد اللـه ، ابن أحمد بن قاسم بن جعفر أخو القاضي أسعد عبد اللـه الصليحي ، ومحمد ابن يعلي بن المظفر الصليحي ، وعمر ابن موسى بن أبي حدية الجنبي ، ورروح بن سليمان اليامي ، وعلي بن زيد اليامي وخيران بن ربيع اليامي ، مجهول : سيرة المكرم ، ص: 31 .

يرسلهم لقتال أبناء عمومتهم عبيد زبيد، وأن يظل بدون حماية وخاصة بعد أن عرف أن سعيداً الأحول وأنصاره قادمون إليه .

والذي يظهر من خلال تلك الروايات أن علياً الصليحي لم يكن يعلم بمؤامرة سعيد الأحول وأنصاره ولا دعوتهم السرية في زبيد أو غيرها ، سواء عندما كان في صنعاء أو عندما كان في الطريق أثناء سيره إلى الحج ، ولم يصله خبرهم لأنه من غير المعقول أن تصل إليه أخبار سعيد الأحول عندما ظهر في زبيد وأنه متجه إليه لقتاله ويهمل هذا الخبر دون أن يحرص على نفسه،ولا اصطحب معه جنداً لحمايته من العبيد ، والرواية المقبولة بشكل أكثر هي أن جياشاً قدم بجيش كثيف من الحبشة دون أن يعرف به أحد . أما خروج سعيد الأحول بسبعين فرداً بغير سلاح فغير معقولة ، إلا إذا اعتبرنا أنه خرج من زبيد بذلك العدد عندما وصلت له أخبار مؤكدة تخبره أن جياشاً بجيشه منتظرون له بساحل المهجم . فاكتفي سعيد الأحول بأخذ الأفراد السبعين، وذلك لأنه عرف أن علياً الصليحي سار بقلة من أهله ولم يصطحب جنداً معه .

ومن جهة تصورنا لمجمل تلك الروايات يتضح لنا أن نهاية علي الصليحي كانت كالآتي:

اتصف علي الصليحي بكثرة الذهاب إلى الحج وقد كان يحج سنوياً في بعض الفترات وخاصة قبل تكوين دولته [178] وبعد تكوينها واستتباب الأمن والإستقرار فيها ، وكان من أهدافه في الحج هي تفقد طريق الحجيج للقيام بإصلاحها [179]، حيث بنى جزءا منها يوضح ذلك ابن المجاور بقوله :(الجنابة هي ثلاث قباب مبنيات بالآجر المحكوك والجصي ..... وبناء الأمير علي الصليحي وأراد أن يبني من زبيد إلى مكة في كل مرحلة من المراحل مسجداً ورباطاً يذكر به بعد موته ولازال يبني إلى أن وصل المهجم)[180] كذلك كان هدفه من الحج الإلتقاء بأصحاب مذهبه الإسماعيلية في مكة لتعريفهم أخباره ومعرفة أخبارهم والتشاور معهم

---

(178) عمارة : تاريخ اليمن ، ص: 100 - 111 .

(179) الهمداني : الصليحيون ، ص: 101 - 102 .

(180) ابن المجاور : صفة بلاد اليمن ، ص: 75 .

في أمور المذهب وغيرها من الأهداف ، كما اتصف بالإستمرار بإرسال الهدايا للمستنصر الفاطمي رمزاً للولاء والطاعة له .

لذلك عندما قارب موسم حج سنة 459 هـ/1067م) استخلف علي الصليحي ابنه المكرم في حكم اليمن ، واتجه نحو الحج ، واصطحب معه زوجته أسماء بنت شهاب وجماعة من قومه بني الصليحي يقدر عددهم بمائة وسبعين رجلاً [181]، بالإضافة إلى خمسين حاكماً من حكام اليمن الذين أزال حكمهم وأخذهم للإقامة معه في صنعاء كرهائن ، وأعداد قليلة أخرى. ساروا الجميع على شكل فرق متباعدة نسبياً لتجنب الإزدحام حول آبار المياه ، كذلك اصطحب معه في حجه هذا هدايا جليلة لإرسالها للمستنصر الفاطمي وهي عبارة عن (خمسمائة فرس مجنوبة عليها مراكب الفضة وخمسمائة هجين عليها أكواب الفضة)[182] وخمسين دواة من ذهب وفضة وغير ذلك من الزينة التي لا تنحصر)[183] .

وكان علي الصليحي قد وثق من استقرار حكمة على اليمن منذ أن أكمل سيطرته عليها سنة 455 هـ/1063م، حيث لم تعد توجد قوة فيها تستطيع إزاحته منها فأمن من ذلك ، ولما كان من عادته الاستمرار إلى الحج لم يكن يتوقع هجوم أي قوى عليه ، فقد سار نحو مكة في تلك السنة 459هـ/1067م بألفي فارس ساروا مفترقين عن بعضهم البعض وكان هدفهم الحج وليس غيره ، دون اصطحاب قوات كبيرة من قواته الكثيرة العدد[184] .

---

(181) الجندي : السلوك ، 487/2 ، اختلفت المصادر في ذكر عدد بني الصليحي الذين رافقوا علي الصليحي إلى الحج فعمارة وابن عبد المجيد وابن الديبع ، يذكرون أنهم كانوا مائة وستين رجلاً (تاريخ اليمن ص:126 ، بهجة الزمن ،ص: 76 ، الفضل المزيد،ص: 57) بينما يذكر الجندي أنهم مائة وسبعون رجلاً السلوك 487/2 ، أما الخزرجي فهو يذكر الروايتين معاً، بأن علياً سار في مائة وستين أو مائة وسبعين من آل الصليحي) العسجد ، ص: 58 ، وتضاف إلى تلك الروايات رواية أخرى أوردها ابن الديبع وبامخرمة قولهما بأن علياً الصليحي سار إلى الحج (في مائة وخمسين أو سبعين من آل الصليحي) ، قرة العيون ، ص: 350 ، ثغر عدن ،ص: 194 .

(182) ابن الديبع : قرة العيون ، ص: 250 .

(183) بامخرمة : ثغر عدن ، ص: 194 .

(184) الخزرجي : العسجد، ص: 59 ، ابن الديبع : قرة العيون ، ص: 252 ، الفضل المزيد ، ص: 57 .

أما من ناحية أولاد نجاح فبعد أن سيطر علي الصليحي على تهامة هربوا منها إلى جزيرة دهلك الحبشية، وظلوا يترقبون الفرصة للعودة إليها ، ومن أجل ذلك خططوا لوضع كمين للتخلص من علي الصليحي ، وكان موسم الحج هو أنسب الوقت لذلك ، لمعرفتهم استمرار علي الصليحي السير إلى الحج دون اصطحاب قواته ، وذلك للعداوة التي كانت بينهما بسبب إنهاء علي الصليحي للدولة النجاحية بقتل نجاح وسيطرته على زبيد وأعمالها التهامية ، والتي أدت إلى زوال ملكهم وهروبهم خوفا منه [185] أو اختفاء بعضهم في زبيد هروبا من القضاء عليهم [186] .

وقد ظل جياش في دهلك ، أما سعيد الأحول فقد عاد إلى زبيد على أثر خلاف حدث بينه وبين أخيه جياش حينما نهاه جياش بعدم الغدر بصاحب دهلك [187] ، وقد ظل سعيد الأحول في زبيد مختفيا يتتبع اخبار علي الصليحي من خلال جواسيسه المنتشرة في زبيد وتهامة وغيرها ، حيث كانت أخباره تصله في كل وقت وكان يراسل أخاه جياشاً إلى دهلك ويخبره بأخبار علي الصليحي ، كما كان يعد لإعلان الثورة في زبيد [188] . وعندما تحقق لسعيد الأحول عزم علي الصليحي على الحج سنة 459هـ/1067م . قام بتجهيز الكمين فكتب لأخيه جياش يخبره بذلك وطلب منه أن يقدم إليه مع أنصارهم وواعدهم اللقاء في ساحل المهجم ، فجمع جياش حوله خمسة آلآف حربة يجيدون الرمي بالحراب انتقاهم من أقوياء الناس وسار بهم عن طريق البحر حتى وصل ساحل المهجم [189] .

فلما وصلت أخبار جياش إلى سعيد الأحول أنه وصل ساحل المهجم بجيشه بالإضافة إلى علمه بنزول علي الصليحي تهامة ، وسيره على طريق الجادة السلطانية نحو الحج وبرفقته

---

(185) الخزرجي : العسجد ، ص: 59 ، ابن الديبع : الفضل المزيد ، ص: 57 .

(186) يحيى ابن الحسين : غاية الأماني ، 1/ 256 .

(187) عمارة : تاريخ اليمن ، ص: 192 .

(188) الخزرجي : العسجد ، ص: 106 ، ابن الديبع : قرة العيون ، ص: 253 ، الفضل المزيد ، ص: 57 .

(189) الخزرجي : العسجد ، ص: 59 ، ابن الديبع : قرة العيون ، ص: 253 ، الفضل المزيد ، ص: 57 ، ابن عبد المجيد : بهجة الزمن ، ص: 77 .

القليل من الأفراد دعا أصحابه للتجمع إليه فلما تجمعوا إليه أعلن عن ثورته في زبيد، فاتجه نحو دار الإمارة واستولى على جميع الأموال التي كانت بحوزة واليها الأمير أبو السعود بن شهاب [190] ولم ينتظر إكمال السيطرة على زبيد ، بل ترك هذه المهمة لأنصاره الذين طلب منهم أن يكملوا جمع أنصارهم ويسيطروا على زبيد ويمدوه بخمسة آلآف رامي حراب يسيرون بعده عن طريق الجادة السلطانية .

وبعد أن تمكن سعيد الأحول من إعلان الثورة في زبيد، اتجه مسرعاً بسبعين رجلا من ثقاته للإنضمام إلى جيش أخيه جياش الكثير العدد والإتجاه للحاق بعلي الصليحي فسار طريق الساحل حتى وصل ساحل المهجم ، حيث التقى هناك بقوات أخيه ، ومنها ساروا جميعاً نحو مخيم علي الصليحي الذي وصل إليه وهو (ضيعة الدهيم وبئر أم معبد في مدينة المهجم) والذي مكث فيه للإستراحة من عناء السفر ولقضاء وقت القيلولة تجنبا من وهج الحر [191] حيث كان من عادة المسافرين على تلك الطرقات تجنب السفر في منتصف النهار والإستراحة والسير في الأوقات الأخرى .

وعلى حين غفلة من علي الصليحي وجماعته أثناء استراحتهم في ذلك النهار وعدم استعدادهم للحرب هجم عليهم سعيد الأحول وجياش بقواتهما فجأة ، حيث لم يشعر بهم الناس إلا وقد قتل فيها علي الصليحي وأخوه عبد الله والكثير من قومهما في معركة غير متكافئة ، وذلك في 11 من شهر ذي القعدة سنة 459هـ سبتمبر /1067م وأسر الكثير من قوم علي الصليحي منهم زوجته أسماء التي أخذوها أسيرة معهم إلى زبيد كما غنموا كل الأموال التي اصطحبها علي الصليحي معه كهدايا للمستنصر الفاطمي وهي أموال جليلة [192] كما سبق ذكرها وهكذا كانت نهاية علي الصليحي مؤسس الدولة الصليحية .

---

(190) مجهول : سيرة المكرم ، ص: 28 .

(191) عمارة : تاريخ اليمن ، ص: 127 ، الخزرجي : العسجد ، ص: 59 ، ابن الديبع : قرة العيون ، ص: 253 ، الفضل المزيد ، ص: 57 .

(192) عمارة : تاريخ اليمن ،ص: 127 ، ابن عبد الميد : بهجة الزمن ،ص: 77 ، الخزرجي : العسجد ، ص: 59 ، ابن الديبع : قرة العيون ، ص: 255 ، الفضل المزيد ، ص: 57 ، يحيى ابن الحسين : غاية =

الخاتمة:

يمثل قيام الدولة الصليحية نموذجاً رائعاً في توحيد اليمن في دولة واحدة ، ففي بداية القرن الخامس الهجري ، الحادي عشر الميلادي . ظهر علي بن محمد الصليحي متصفاً بالذكاء منذ طفولته ، فكان ذلك حافزاً لسليمان الزواحي أن يهتم بتدريسه الدين الاسلامي على المذهب الإسماعيلي ، فأدى ذلك بعلي الصليحي أن يصبح مذهبه إسماعيليا ، على عكس أبيه الذي كان على مذهب أهل السنة.

ومنذ العقد الثالث للقرن الخامس الهجري شهدت اليمن تحولات مذهبية وسياسية كبيرة . فلما بلغ علي الصليحي مبلغ الرجال أسندت إليه رئاسة الدعوة الإسماعيلية ، فحول الدعوة الإسماعيلية في اليمن من دور الاستتار إلى دور الظهور وذلك في سنة 429 هـ/ 1037م ، وبذلك أخذت الدعوة الإسماعيلية تنتشر سريعاً في أنحاء اليمن لدى أنصارهم الإسماعيلية . فأسهم ذلك في الانتقال بالدعوة إلى الدور السياسي .

وفي سنة 439 هـ ـ 1048م بدأ علي الصليحي يبذل ما بوسعه لتكوين دولة له في اليمن فقاد أتباعه الإسماعيلية بشجاعة نادرة . وصارع القوى المذهبية والسياسية المتعددة في اليمن

الأماني،1/257 ، بالنسبة لليوم الذي قتل فيه علي الصليحي يورد عمارة في تاريخه ، ص: 126 ، أنها كانت يوم السبت الحادي عشر من شهر ذي القعدة ، وبالنسبة للسنة التي قتل فيها علي الصليحي ، فذكر كل من يحيى ابن الحسين في غاية الأماني :1/ 255 ـ 257 ، وأحمد شرف الدين في اليمن عبر التاريخ ، ص: 197 ، وعبد الله الثور في هذه اليمن ، ص: 280 أن قتل علي الصليحي كان سنة 458هـ بينما يذكر كل من الجندي في السلوك ،2/487 ، وابن الديبع في الفضل المزيد ، ص: 57 ، أن قتله كان سنة 473 هـ وذلك تمشياً مع إحدى روايتي عمارة التي أوردها ورجح أحداهما بقوله:(أن قتله كان في يوم السبت الثاني عشر من ذي القعدة سنة 473هـ وقيل سنة 459هـ ، وهي رواية صحيحة) تاريخ اليمن ، ص: 126 . أما زبارة في أئمة اليمن ، 1/ 94 ، فيقول : ولم تظل مدة علي بن محمد الصليحي بعد الأمير حمزة فقد قتل في تهامة في ذي القعدة من تلك السنة سنة تسع وخمسين وأربعمائة على أرجح الأقوال في ذلك) ونستخلص من ذلك كله أن الرواية الأكثر ترجيحاً هي رواية ابن عبد المجيد في بهجة الزمن ، ص: 76 ، الخزرجي في العسجد، ص: 58 ، وابن الديبع في قرة العيون ، ص: 248 ، والتي تحكي أن قتل علي الصليحي كان في سنة 459 هـ .

مثل قوى المذهب الزيدي في شمال صنعاء والتي تمركزت في صعدة وما حولها . وقوى النجاحيين ممثلي الخلافة العباسية والتي جعلت تهامة مركزاً رئيسياً لها . والقوى القبلية في كل من صنعاء وما حولها واليمن الأسفل في كل من مخلاف جعفر (أب) ومخلاف الجند (تعز) وعدن . ولم يأت عام 455 هـ/1063م إلا وقد كون علي الصليحي دولة إسماعيلية شملت اليمن كله . وبذلك يعتبر علي الصليحي الشخصية الوحيدة آنذاك التي تمكنت من توحيد اليمن كله . وهذه أهم ميزة تميزت بها قيام الدولة الصليحية في اليمن . وذلك حدث لم يعهده اليمن في العصرين الجاهلي والاسلامي كما عبر عنه عمارة اليمني وغيره من المؤرخين . لأن اليمن كان مقسماً إلى عدة دويلات مذهبية وسياسية وقبلية .

وعلى الرغم من ميل علي الصليحي إلى مذهب الإسماعيلية وحكم اليمن كلها بهذا المذهب. إلا أنه ترك لجميع أهل اليمن الحرية الدينية والمذهبية فيما يعتقدون من مذاهب . ولم يحاول إجبارهم على اعتناق مذهبه الإسماعيلي . كما اتصف بالتعامل الطيب مع جميع قوى اليمن .

ومن أهم النتائج التي حققها علي الصليحي بقيام دولته الصليحية باليمن هي أن الدولة الصليحية بمذهبها الإسماعيلي استمرت تحكم اليمن لما يقرب من قرن كامل مع الاستمرار في موالاتها للفاطميين بمصر . وأن الدويلات التي ظهرت في اليمن بعد الدولة الصليحية استمرت تحاول العمل على توحيد اليمن كله تحت سلطانها. وعلى ذلك كان قيام الدولة الصليحية في اليمن على يد الداعي علي الصليحي .

الفصل الثاني
المكرم أحمد بن علي الصليحي

المقدمة:

ورث المكرم أحمد بن علي الصليحي السلطة في اليمن بعد أبيه ، مستمراً في إعلان موالاته الاسمية للفاطميين ، وقد أدى دوراً بارزاً في إعادة توحيد اليمن تحت سلطانه ، بعد أن بدأت الزعامات القبلية اليمنية تخرج عن سلطان الصليحيين بعد قتل أبيه علي الصليحي سنة 459هـ /1067م ، وفي هذه الصفحات القليلة سنتحدث عن سياسة المكرم في هذا التوحيد ، وتعامله مع القوى اليمنية منذ توليه السلطة وحتى نهاية حكمه .

ولاية العهد :

من الأمور الهامة للفاطميين والصليحيين آنذاك التأكد من انتقال السلطة إلى من يأتي بعدهم من الأفراد . وكان مألوفاً آنذاك أن يخلف الابن أباه في الحكم ، فجريا على توريث السلطة لدى الخلفاء الفاطميين ، فقد عملوا على تشجيع ذلك في الدويلات التي تدين لهم بالطاعة المذهبية ، مثل الصليحيين في اليمن ، لذلك بادر علي الصليحي بطلب تولية ولاية العهد لابنه من الخليفة المستنصر الفاطمي ، فأرسل إليه سجلا يجعل الأمير المكرم ولياً للعهد بدلا من أخيه المتوفى في المحرم من سنة 458 هـ/ديسمبر 1066م فوصل ذلك السجل في شهر ربيع الآخر سنة 458 هـ/مارس 1066م أثناء ما كان علي الصليحي في أبين[1] وبذلك أصبح المكرم يحمل الصفة الشرعية في حكم اليمن بعد أبيه وفي توليه رئاسة المذهب الإسماعيلي فيها.

توليه السلطة:

وفي الوقت الذي توجه فيه علي الصليحي إلى الحج في سنة 459 هـ/ديسمبر 1067م عهد بتولي حكم اليمن إلى ابنه الأمير أحمد المكرم وأوصاه (بالعدل وحسن السيرة والسياسة

---

(1) الهمداني : الصليحيون، ص: 96 ، 304 ، نقلا عن عيون الأخبار 78/ 80—81 ، حسن سليمان : تاريخ اليمن السياسي ، ص: 184 ، أمين صالح: علاقة الدولة الصليحية بالخلافة الفاطمية، ص: 64 .

وتقوى اللـه في الجهر والسريرة ، والعمل بأعمال الشريعة وإقامة دعائمها والإئتمار بأوامرها والانتهاء عن محارمها)[2] وجعل إلى جانبه خاله أحمد بن المظفر بن علي الصليحـي، ليساعده في إدارة الدولة ، واستبقى معهما في صنعاء عدداً من الجند يقـدرون بـ (ستمائة رجـل مـن الحجازيين والحرازيين[3]) أما بقية الجند فقد كانوا متمركزيـن في حصـون اليمـن المتعـددة ، وعندما وصل علي الصليحي إلى المهجم في تهامـة فاجـأه سـعيد الأحـول وعـدد مـن جنـوده فقتلوه في نفس السنة فانتهت بذلك أهم شخصية كونت الدولـة الصليحيـة في اليمـن ليتـولى مكانه شخصية أخرى هي ابنه المكرم ، وأيدت الخلافة الفاطمية هذه التولية فبعثت كتاباً إليـه وصله في شهر شعبان سنة 460 هـ/ يونيو 1068 م عبر فيه عن أسفه لوفاة والده وعهد إليـه بشئون الدعوة (4) .

وضع اليمن بداية عهد المكرم :

لما وصلت الأخبار إلى مسامع المكرم بقتل أبيه في المهجم وأسر والدته أسمـاء ، ارتـاع من هذا الخبر ، وحزن منه ، وأدرك مدى تحمل مسئولية أعباء إدارة الدولـة ، إذ أصبـح مـن واجبه الاتجاه للثأر لأبيه وتخليص أمه من الأسر ، كما أصبح مـن واجبـه المحافظـة علـى نفـوذ الدولة الواسعة التي تركها له أبوه ، فتطلب الأمر منه الاسراع في التجهيز للقتـال ، فاتجـه إلى خزائن السلاح فأخرج ما كان بها وأمر الناس بالاستعداد للحرب(5) .

ومن جهة القبائل اليمنية ، فسرعان مـا طـارت الأخبـار إليهـا بقتـل علي الصليحـي وانتشر الخبر سريعاً في أنحاء اليمن، فاعلنت الكثـير مـن القبـائل خروجهـا عـن طاعـة المكـرم والاستقلال بسلطانها عنه بشكل ينذر بزوال الدولة الصليحيـة،ومنهـم أهـل حضـور، وأهـل حراز وأهل يحصب ورعين وعنس ومشرق خولان ، وبلاد حمير ومغارب اليمن الأعلى[6].

---

(2) عمارة : تاريخ اليمن تحقيق كاي ترجمة حسن محمود ، ص: 323 ، نقلا عيون الأخبار 88/7 .

(3) مجهول: سيرة الأمير المكرم، ص: 23 - 24 ، مخطوط لدى الباحث ، الهمداني: الصليحيون، ص: 114.

(4) سرور: النفوذ الفاطمي ، ص: 80 ، عصام الدين : اليمن في ظل الاسلام ، ص: 167.

(5) مجهول: سيرة الأمير المكرم ، ص: 23 - 24 .

(6) مجهول : سيرة المكرم ، ص: 35 - 36 .

بالإضافة إلى عودة ظهور دولة بني نجاح في تهامة ، وبني الكرندي في مخلاف الجند ، والمعافر . وبني معن في عدن ولحج وأبين [7] . والأئمة الزيدية في شمال صنعاء [8] . كذلك تعرضت الكثير من حصون بني الصليحي إلى الحصار منها حصن التعكر حاصره بنو نجاح ، وحصن مسور وحصن مسار ، وحصن كحلان وهران ، حاصرتها القبائل المجاورة لتلك الحصون ، وأمتد العصيان إلى أن وصل إلى مدينة صنعاء نفسها وهي مقر إقامة المكرم [9] بذلك اختلت الأحوال السياسية لليمن بداية عهد المكرم غاية الاختلال . والسبب في ذلك يرجع إلى أن القبائل اليمنية أرادت العودة إلى حكم نفسها والتخلي عن الحكم المركزي للدولة الصليحية، كما يرجع إلى تحريض بني نجاح للقبائل اليمنية بالتمرد ضد الصليحيين . فقد عمل سعيد الأحول على إطلاق الرهائن الذين كانوا مع علي الصليحي . مثل وائل بن عيسى الوحاظي ، وعلي بن معن ، وابن الكرندي [10] فلما عادوا إلى بلادهم استقلوا بها . كما يرجع ذلك إلى الخلاف المذهبي بين قبائل اليمن والمكرم .

جابه المكرم تلك التمردات والخلافات بشيء من الصبر والحكمة والشجاعة ، والاصرار على المحافظة على ما حققه أبوه من سلطان [11] وهذا ما يلاحظ من خلال ما اتصف به المكرم ، فقد اتصف بالشجاعة وكرم الاخلاق [12] فوصفه عمارة بقوله : (كان فصيحاً شجاعاً مشهوراً بالثبات والإقدام إذا زلت الأقدام ، ولم يكن في زمانه من يتعاطى

---

(7) بامخزمة : ثغر عدن ، ص: 42 .

(8) الربعي : سيرة ذي الشرفين ، ص: 142 ، الكبسي : اللطائف ، ص: 33 .

(9) رسائل القمي 36 ــ 72 نقلا عن الهمداني الصليحيون ملحق رقم 6 ، ص: 311 ، الهمداني: الصليحيون، ص: 113 ، مصطفي غالب: أعلام الإسماعيلية، ص: 118 ، الحداد : التاريخ العام ، ص: 238 ، محمد العقيلي: المخلاف السليماني :ص33/2 .

(10) عمارة : تاريخ اليمن، ص: 127 ، الجندى : السلوك، 488/2 .

(11) مجهول : سيرة المكرم، ص: 26 .

(12) الهمداني : الصليحيون ، ص: 113 .

حمل رمحه وسيفه لشدة قوته وعظم خلقته [13]) فبدأ يراسل القبائل المناصرة له للحضور إليه لمقاتلة أعدائه ، ثم توجه إلى محاربة الخارجين عن سلطانه ، فتتالت انتصاراته عليهم حتى أعادهم إلى الطاعة [14].

ويمكن تقسيم صراع الأمير المكرم من أجل القضاء على التمردات وإعادة توحيد اليمن تحت سلطانه ، إلى ثلاثة أقسام هي : أولاً: صراعه مع القبائل اليمنية ، ثانياً: صراعه مع بني نجاح ، ثالثاً: صراع مع الزيدية .

أولاً: صراعه مع القبائل اليمنية .

على الرغم من قلة الجند الذين كانوا مع المكرم في صنعاء ، إلا أنه لم يقف مكتوف الأيدي حتى تصل إليه انصاره لمساعدته ، ولكنه بدأ يوجه جنده إلى المناطق القريبة من صنعاء ، بهدف إجبار قبائلها على الالتزام بطاعة المكرم ، ومنعها من التحرك نحو صنعاء لمحاصرتها والسعي لاسقاطها ، لأنها تعد مركزاً مهمًا للصليحيين بما تحويه من أموال وذخائر فأرسل المكرم قائده أحمد بن المظفر الصليحي في ستمائة من الحجازيين وأهل حراز لقتال حضور غرب صنعاء ، وسرعان ما أيقن هؤلاء بعدم جدوى الحرب فعادوا إلى طاعة المكرم ، بذلك هدأت تمرداتهم ، فتركهم أحمد بن المظفر وعاد إلى صنعاء [15].

وما كاد القائد أحمد بن المظفر يعود من حضور إلى صنعاء ، حتى أرسله المكرم نحو مشرق خولان في سبعمائة من الجند ، فقاتلهم قتالاً شديداً حتى انتصر عليهم ، وقتل منهم جماعة كبيرة ، ولم يكف عن قتالهم حتى التزموا بالسمع والطاعة للمكرم . وبذلك توقف تمرد تلك المنطقة ، فعاد إلى صنعاء مصطحباً معه عدة رؤوس ممن قتل منهم [16].

ومن جهة أنصار المكرم قواد علي الصليحي الذين ساروا معه للحج وتقدموا عليه في

---

(13) عمارة : تاريخ اليمن ، ص: 129 ، بامخرمة : ثغر عدن ، ص: 39 ، مصطفي غالب : اعلام الإسماعيلية ، ص: 124 - 125 .

(14) مجهول : سيرة المكرم ، ص: 46 .

(15) مجهول : سيرة المكرم ، ص: 35 .

(16) مجهول : سيرة المكرم ، ص: 35.

الطريق ، مثل عامر بن سليمان الزواحي ، ومدافع بن الحسن الجنبي ، وموسى بن أبي حذيفة ويوسف بن زائد السنحاني ، ومالك بن شهاب بن جعفر وغيرهم [17] . فإنهم ما أن سمعوا بقتل علي الصليحي وهم في طريقهم إلى الحج ، حتى أسرعوا في العودة نحو صنعاء لمناصرة المكرم ، فاستفاد المكرم من عودتهم ، وكانوا سنداً له في حربه ضد الخارجين عليه [18] . وقد تمكن هؤلاء القادة من إعادة الكثير من المناطق اليمنية إلى طاعة المكرم .

وهكذا تقوى مركز المكرم الحربي بعد عودة قادة الدولة الصليحية ، فبدأ يرسلهم إلى المناطق البعيدة عن صنعاء ، بهدف إعادة قبائلها إلى طاعة الدولة الصليحية بقيادة المكرم ، فبعث إسماعيل بن أبي يعفر الصليحي ، وسبأ بن أحمد بن المظفر الصليحي في الخامس من شهر ذي الحجة سنة 459 هـ /أكتوبر 1067م نحو المخالفين له في مناطق يحصب ورعين وعنس . وهي المناطق التي كان إسماعيل بن أبي يعفر متولياً عليها ، فدار قتال شديد بين الفريقين ، أسفر عن تمكن الصليحيين من الانتصار عليهم ، وعلى أثر ذلك التزم أهل تلك المناطق بالعودة إلى طاعة المكرم [19] .

كما أرسل المكرم عامر بن سليمان الزواحي إلى بلاد حمير ومغارب اليمن الأعلى ، وهي المناطق التي كان متولياً عليها ، للقضاء على تمرد قبائلها ضد المكرم ، وما أن وصل إليهم ، حتى تسارع وجوه حمير فيها إلى طاعته وطاعة المكرم، ولم يتمرد منهم إلا قلة، قاتلهم عامر الزواحى حتى ألزمهم العودة إلى طاعة المكرم [20].وبذلك أصبحت تلك المناطق ضمن

---

(17) مجهول : سيرة المكرم ، ص: 35 ، رسائل القمي 36 – 72 ، ملحق رقم 6 الصليحيون ، ص: 312 مصطفي غالب : اعلام الإسماعيلية ، ص: 119 ، العقيلي: المخلاف السليماني ، 2/ 33 ، الحداد : التاريخ العام .238/2 - 239 .

(18) مجهول : سيرة المكرم ، ص: 35 - 36 .

(19) مجهول : سيرة المكرم ، ص: 45 ، رسائل القمي 36 – 72 ، ملحق رقم 6 الصليحيون ، ص: 312 مصطفي غالب : اعلام الإسماعيلية ، ص: 120 .

(20) مجهول : سيرة المكرم ، ص: 45، رسائل القمي 36 – 72 ، ملحق رقم 6 الصليحيون ، ص: 313 ، الهمداني : الصليحيون ، ص: 116 ، مصطفي غالب : اعلام الإسماعيلية ، ص: 120 ، حسن سليمان: =

الداخلين في طاعة المكرم.

ولم يبق خارجاً عن طاعة المكـرم في اليمـن الأعلـى ، إلا حصـن مسـار وحـراز وهـي أماكن بدء إنطلاق قيام الدولة الصليحية ، والتي كان سعيد الأحول قـد أغـرى أنصـاره فيهـا على التمرد ضد المكرم فاتجـه أحمـد بـن المظفـر الصليحـي ، وعـامر بـن سـليمان الزواحـي ، وإسماعيل بن يعفر الصليحي نحوها وأثناء سير هؤلاء القادة انضـم إليهم خـارج مدينـة صنعـاء مدافع الجنبي وكافة الجنبيين مع يوسف بن زائد السنحاني وكافة السنحانيين ومـن بقـي مـن صنعاء من الهمدنيين[21] .، فسـاروا جميعـاً تجـاه حـراز ولمـا رأي أهلهـا هـذا الحشـد الكبـير ، أسرعوا في إعلان طاعتهم للمكرم منهم أهل كرار ومجيج وبـني سـهل ، ولم يخـرج عـن هـذه الطاعة إلا قائد منهم هو أسعد بن تبع من بني يعلا ، الذي كان محاصراً لمسار ، فقد هرب إلى بني نجاح في زبيد ، فأصبح من السهل على هذا الجمع الكبير السـيطرة علـى حصـن مسـار ، فدخلوه دون قتال[22] وأقاموا في حِراز ثمانية أيام يرتبون أحواله وأموره ثم اتجهـوا نحـو بكيـل فحاربوهم حتـى أعـادوهم إلى طاعـة المكـرم ثـم عـادوا إلى صنعـاء في صفـر سـنة 460 هـ / ديسمبر 1067م[23] .

بذلك تمكن المكرم من سرعة القضاء على التمردات والخلافات التي أحدثتها القبـائل في اليمن الأعلى ، في مدة زمنية قـاربت نحـو الأربعـة الأشـهر . وتعـود سـرعة تمكـن المكـرم القضاء عليها، إلى النظام القبلي في اليمن ، فقد جـابهت كـل قبيلـة جيـش المكـرم منفـردة ، وذلك بسبب عدم استطاعة هذه القبائل التكتل نتيجة عدائها وصراعها مع بعضهـا البعـض . وعادةً ما كان التكتل القبلي يلقى الفشل بسبب ذلك الصراع ، كذلك كان إعـلان التمـرد من تلك القبائل دون المقدرة المالية والبشرية على المقاومة والحـرب لجيـش الدولـة الصليحيـة

= تاريخ اليمن ،ص: 187 ، العقيلي : المخلاف السليماني، 24/2 .

(21) مجهول : سيرة المكرم ، ص: 50 ، رسـائل القمي 36 ـ 72 ، ملحق رقـم 6 الصليحيـون ، ص: 313 ، مصطفي غالب : اعلام الإسماعيلية ، ص: 121 ، حسن سليمان : تاريخ اليمن ،ص: 187 ـ 188.

(22) مجهول : سيرة المكرم ، ص: 50 ـ 54 .

(23) مجهول : سيرة المكرم ، ص: 57 ، رسائل القمي 36 ـ 72 ، ملحق رقم 6 ، الصليحيون ، ص: 313 =

كما أن هذه التمردات كانت تقودها قلة من أفراد القبائل وليس جميع أفرادها ، لذلك سرعان ما كانوا يعودون إلى طاعة الدولة الصليحية عندما يرون جيشاً قادماً إليهم ، وذلك ما حدث عهد المكرم. كذلك تعود سرعة قضاء المكرم على تلك التمردات إلى أنه بعث إلى تلك المناطق ولاتها السابقين مثل عامر الزواحي الذي كان متولياً على حمير ومغارب اليمن الأعلى وكان مقر إقامته شبام كوكبان ، وإسماعيل بن أبي يعفر الصليحي الذي كان متولياً على يحصب ورعين وعنس ، فأدى هذان القائدان دوراً بارزاً في إعادة تلك المناطق إلى طاعة المكرم .

السيدة الحرة أسماء بنت شهاب :

كان أهم هدف للأمير المكرم تخليص أمه أسماء من الأسر الذي وقعت فيه بعد قتل زوجها في المهجم سنة 459 هـ / سبتمبر 1067م من قبل سعيد الأحول النجاحي ، الذي أخذها وأنزلها دار شحار وأوكل من يحرسها فيه[24] وقبل الخوض في كيفية تخليص أسماء من الأسر ، لابد لنا من إعطاء صورة عن شخصيتها ودورها في سياسة الدولة الصليحية .

صفاتها:

اتصفت أسماء بنت شهاب بأنها كانت (من أعيان النساء وحرائرهن وكرائمهن)[25] وكانت إذا حضرت مجلساً لا تستر وجهها عن الحاضرين[26] تلك كانت عادتها منذ عهود زوجها علي الصليحي وذلك (لسمو قدرها عمن تحتجب عنه النساء)[27] .

سياستها:

وتعد الحرة أسماء من النساء القلائل اللوتي لعبن دوراً كبيراً في المساهمة في السياسة في اليمن ، فكان علي الصليحي يعتمد عليها كثيراً كما (كان يثق بها ثقة لكمالها ، فوكل

---

(24) الجندي : السلوك ،448/2 .

(25) الجندي : السلوك ،448/2 . بامخرمة : ثغر عدن ،ص: 193 .

(26) عمارة: تاريخ اليمن ص: 133 ، الهمداني : الصليحيون ،ص: 67 ، نقلا عن الأزدي: الدول المنقطعة ، ورقة 69 .

(27) عمارة : تاريخ اليمن ،ص: 133 ، مصطفي غالب : اعلام الإسماعيلية ، ص: 123 .

إليها أمر تدبير الدولة ، ولم يخالف في أغلب أمورها ، ويجلها اجلالاً عظيماً [28] . وذلك لِمَا كان يوجد فيها من الحزم والتدبير ما لم يكن من نساء زمانها [29]).

من ذلك أن الحرة أسماء طلبت من زوجها أن يولي أخاها أسعد بن شهاب أعمال زبيد وتهامة ، وكان علي الصليحي قد أقسم يميناً أن لا يولي تهامة إلا لمن وزن له مائة ألف دينار [30] . فاستجاب لطلبها وولى أخاها أعمال تهامة ، بعد أن كَفَّرَت عن يمينه بإعطائه ذلك المبلغ من خزانته [31] .

وقد كان أسعد بن شهاب ومالك بن شهاب يتلقيان أوامر الولاية من علي الصليحي وزوجته أسماء حيث يقول أسعد بن شهاب عن علي ابن القم قوله: (فجعله الصليحي معي وزيراً وكاتب انشاء وأمرني هو ومولاتنا أسماء أن لا أقطع برأي دون رأيه) [32] .

كرمها :

واهتمت أسماء كثيراً بإكرام رجال دولتها ، فمنحت الكثير منهم العطايا والهدايا والصلات يتضح ذلك من النص التالي : (وكانت أسماء من الكرم والسؤدد تمنح الجوائز السنية الجزيلة للشعراء والصلات في سبيل المرؤة والخير [33]).

فقد كانت أسماء هي التي تستلم مالية تهامة وقدرها ألف ألف دينار سنوياً [34] . أي مليون دينار وهذا المبلغ كانت أسماء تصرفه كيفما تشاء لشئون قصرها ولمن في القصر من الجواري والخدم والحشم وفي سبيل الخير من صلات ومروات وغيره ، وكمثال لما تصرفه أسماء صلة . كان عامل تهامة أحمد بن سالم يحمل من زبيد إلى صنعاء ألف ألف دينار كل سنة

---

(28) الهمداني : الصليحيون ، ص: 67 ، نقلا عن الأزدي : الدول المنقضعة ، ورقة 69 .

(29) الجندي : السلوك ، 487/2 ، الهمداني : الصليحيون ، ص: 67 .

(30) عمارة : تاريخ اليمن ، ص: 120 ، الهمداني : الصليحيون ،ص: 87 .

(31) عمارة : تاريخ اليمن ، ص: 120 .

(32) عمارة : تاريخ اليمن ، ص: 123 .

(33) عمارة : تاريخ اليمن ،ص: 99 ، الهمداني : الصليحيون ، ص: 67 .

(34) عمارة . تاريخ اليمن ، ص: 123 .

وكان لا يرجع من عندها إلا بصلة قدرها خمسون ألف دينـار . فكـان والي زبيـد يقسـم هـذا المبلغ بينه وبين أصحابه [35] .

وكمثال آخر للصلات والوفادات التي كانت تقدمها أسماء للعرب ولرجال دولتها ، فإن عامل تهامة أحمد بن سالم أوفده في إحدى السـنوات والي تهامـة مـالك بـن شـهاب علـى المكرم وعلى أسماء ومعه مالية تهامة المذكورة آنفاً وهو ألف ألف دينار، (ففرقـت أسمـاء علـى وفود العرب معظمه فنتف ابن سالم لحيته وقال دخلت النار في جمع هذا المال ثـم صـار إلى مـا صار إليه) [36] .

فرددت عليه أسماء ببيت من الشعر هو :

إذا المال لم تصرفه في مستحقه ∴ فما هو إلا حسرة ووبال

وحتى لا تغضب أسماء عامل تهامة أحمد بن سالم ، كتبت إلى أخيها والي تهامـة مـالك بن شهاب تأمره أن يحتسب لابن سالم عشرين ألف دينار من مالية السنة الحاضرة آنذك صلـة له وبرا به [37] وهكذا كانت أسماء تكرم رجالها وتمنحهم الصلات .

وكمثال للمكافآت التي كانت أسماء تقدمها لرجال دولتهـا ، فعندمـا انتصـر الجيـش الذي نزل إلى تهامة لتخليصها مـن الأسـر سـنة 460 هـ / 1067 م وهبت أخاهـا مـالك بـن شهاب قائد مسيرة الجيش مائة ألف دينار وهو إرتفاع مالية عدن ، كمـا وهبـت عمهـا قـائد الميمنة مائة ألف دينار أخرى وهو إرتفـاع ماليـة كوكبـان وحوشـان [38] . وعلـى ذلـك كـان إسهام أسماء في إدارة الدولة .

وكذلك كان يُدعى لأسماء على منـابر اليمـن ، وذلـك مـا يوضحـه بامخرمـة بقولـه : (وكان يُدعى لها على المنابر فيخطب أولاً للمستنصر ثم للصليحي ثم للحرة فيقال: (اللهم

---

(35) عمارة : تاريخ اليمن ، ص: 123 .

(36) عمارة : تاريخ اليمن ، ص: 134 .

(37) عمارة : تاريخ اليمن ، ص: 135 ، الوصابي :الاعتبار ، ص: 37 - 38 .

(38) عمارة : تاريخ اليمن ، ص: 133 ، الوصابي : الاعتبار ، ص: 37 .

أدم أيام الحرة الكاملة السيدة كافلة المؤمنين)[39] . وهكذا أُكْرِمت أسماء وعُظِمّت وذلك إنعكاساً لعظمة قدرها ورجاحة عقلها وكفاءتها في إدارة الدولة وعمل الخير . وبذلك أعطت أسماء نموذجاً مثالياً عن مقدرة المرأة ودورها في ذلك العصر .

ثانياً : صراع المكرم مع بني نجاح .

على أية حال اتخذ الصراع بين النجاحيين والصليحيين طابعاً مذهبياً ، بين أنصار أهل السنة والخلافة العباسية وهم النجاحيون ، وبين أنصار الإسماعيلية والخلافة الفاطمية وهم الصليحيون . وفي عهد المكرم الصليحي تمثل الصراع بأكثر من مسبب ، فبالإضافة إلى العامل المذهبي فقد تمثل بأنه صراع من أجل تخليص المكرم لأمه من الأسر ، والثأر لأبيه علي الصليحي من سعيد الأحول النجاحي ، فضلاً عن محاولة كل طرف فرض سلطانه على اليمن كله أو جزء منه، لذلك دار قتال شديد بين الطرفين في عهدي المكرم وسعيد الأحول ومن تبعهما من الصليحيين والنجاحيين طيلة بقاء الدولتين في اليمن . وهنا نستعرض ذلك الصراع في عهد المكرم .

كان حلماً من أحلام النجاحيين إعادة اليمن كلها إلى سلطانهم وتبعيتها للخلافة العباسية ، فبعد أن قتلوا علي الصليحي وسيطروا على تهامة ، حاولوا أثناء إنشغال المكرم بقتال قبائل اليمن الأعلى ، أن يتجهوا إلى اليمن الأسفل ، فاتجه بلال وأبو الفتوح ، إبني نجاح مع الكثير من أنصارهما إليها ، لقتال الصليحيين وإخراجهم منها . فساروا إلى (الجند) ثم إلى (ذي أشرق) في طريقهم إلى حصن (التعكر) في ذي جبلة لمحاصرة أسعد بن عبد الله الصليحي الذي كان متولياً للحصن وإخراجه منه ، ولما علم بهم أسعد أخرج إليهم جيشاً كبيراً قابلهم (بذي أشرق) فقاتلهم بها قتالاً شديدا انتهي بانتصار الصليحيين وغنيمتهم للكثير من الأموال ، وهزيمة بني نجاح وهروبهم نحو (الجند) واستمر

---

(39) بامخرمة تغز عدن ص: 194 ، الهمداني: الصليحيون ، ص: 67 ؛ نقلا عن ابن الجوزي : مرآة الزمان ، 12 / ورقة 88 ب . سرور . النفوذ الفاطمي ، ص: 78 .

الجيش الصليحي يتابعهم ويطاردهم إلى (الجند) حتى أجبرهم على العودة إلى زبيد [40] . وبذلك تمكن الصليحيون في اليمن الأسفل من هزيمة تجمع أنصار النجاحيين دون مساعدة من المكرم .

نزول زبيد للمرة الأولى:

في الوقت الذي جدد فيه النجاحيون القتال ضد الصليحيين بقتل علي الصليحي في المهجم ، حاول جياش أن يتجنب القتال معهم ، فطلب من أخيه سعيد الأحول ، أن يحسن إلى السيدة أسماء ويفك أسرها وأن يعفو عن بني الصليحي الذين أسرهم في المهجم ، وعن الرهائن من سلاطين اليمن ، والاكتفاء بأخذ الثأر من علي الصليحي وأخيه فقط ، وأشار على أخيه جياش :(أن يكتب على يديها إلى ولدها المكرم بن علي الصليحي إنا أدركنا ثأرنا واسترجعنا ملكنا وقد أَحَسَّنا إليك بصيانة أمك والعفو عن بني عمك) [41] . ولكن سعيد الأحول رفض طلب أخيه ، وقال بيتاً من الشعر هو :

لا تقطعن ذنب الأفعى وتتركها ∴ إن كنت شهماً فاتبع رأسها الذنبا

ثم أمر بقتل من أسر من الصليحيين، فقتلوا جميعاً [42] فأثار ذلك زيادة العداوة بين الصليحيين والنجاحيين . ومن المحتمل أن سعيداً الأحول كان يقصد من إبقاء أسماء أسيرة لديه ، الضغط على مكرم لكي لا يحاربه خوفاً على أمه من القتل والتوصل معه إلى اتفاق ينهي الحرب بينهما ، ويترك بني نجاح يحكمون تهامة ، إلا أن قتل علي الصليحي ومن أسر من الصليحيين لم يمر على النجاحيين بسلام ، فقد جعل الصليحيين أكثر اصراراً على قتالهم .

ومن جهة أسماء فإنها حاولت الكتابة لإبنها المكرم من سجنها في زبيد تطلب نجدتها فتلطفت إلى رجل مشرقي أو شحاذ ، فاعطته رغيفاً به رسالة إلى المكرم ، وفيها حاولت أسماء كسب عواطف القبائل اليمنية ضد بني النجاح ، وأثارة النخوة والحمية والشهامة فيهم،

---

(40) مجهول : سيرة المكرم ، ص: 57 ، الهمداني : الصليحيون ، ص: 119 .

(41) عمارة : تاريخ اليمن ، ص: 198 - 199 ، العرشي : بلوغ المرام ، ص: 25 ، الهمداني : الصليحيون، ص: 126 .

(42) عمارة : تاريخ اليمن ،ص: 200 ، الهمداني : الصليحيون ، ص: 126 .

وذلك عن طريق إدعائها كذباً أنها قد صارت حبلى من سعيد الأحول الذي لم يفعل ذلك حقيقة ، لأنه لم يراها قط ولم يعرفها ، وطلبت من المكرم سرعة النزول إليها وتخليصها من الأسر قبل أن يصيبها العار والفضيحة ، فلما قرأ المكرم الكتاب على رؤساء القبائل اليمنية نهضوا من فورهم في الاتجاه نحو زبيد [43] .

أما من جهة المكرم فإنه بعد أن تمكن من إصلاح الأمور في صنعاء ، والقضاء على جميع التمردات والخلافات من قبائل اليمن الأعلى ، عزم على الذهاب إلى مدينة زبيد [44] بهدف الثأر لأبيه وتخليص أمه من الأسر ، وبدأ بذلك العمل عندما رجع قواده أحمد بن المظفر الصليحي ، وعامر بن سليمان الزواحي ، وإسماعيل بن أبي يعفر الصليحي من حراز وبكيل ، حيث اجتمع بهم واستشارهم في الاتجاه نحو زبيد ، فأجمع رأيهم على النزول إليها ، واتفقوا أن يبدأ سيرهم إليها يوم 19/ صفر سنة 460 هـ / ديسمبر 1067م ، وانضم إلى هذا التجمع عمران بن المفضل اليامي ، والحسين بن عمران في جماعة من سنحان ، ونهد ، ويام، وشاكر [45] .

بعد ذلك استخلف المكرم على صنعاء إسماعيل بن أبي يعفر الصليحي وساروا نحو زبيد بتلك الجموع الكبيرة عن طريق (حراز) ثم (العمد) وفي طريقه تلك كاتب أهل حراز يدعوهم إلى الذهاب معه إلى زبيد لقتال بني نجاح ، فتسارعوا إلى طاعته . ولما وصل (العمد) أخذ يستعرض تلك الجموع فأقبلت تعرض نفسها (بين يديه مواكب وقبائل) مبتدئين بأهل الحجاز ، ثم حمير ، ثم حراز ، ثم خولان ، فبلغ عددهم ، ما بين (عشرة آلاف

---

(43) عمارة: تاريخ اليمن ، ص: 128 ، الحمزي : كنز الأخيار ، ص: 79 ، ابن خلدون : تاريخ ، ص: 138 ، الجندي: السلوك ، 488/2 ، ابن عبد المجيد : بهجة، ص: 78 ، ابن الديبع : قرة العيون، ص: 355 - 357 ، بامخرمة : ثغر عدن ، ص: 39- 40 ، يحيى بن الحسين : غاية الأماني ، ص: 258/1 ، العرشي: بلوغ المرام ، ص: ص: 25 ، الواسعي: تاريخ اليمن ، ص: 172 ، الخزرجي : العسجد ، ص: 59 - 60 ، المطاع : تاريخ اليمن ، ص: 247 .

(44) رسائل القمي ، ص: 36 - 72 ، ملحق رقم 6 ، الصليحيون ، ص: 313 .

(45) مجهول . سيرة المكرم ، ص: 57 - 58 ، الهمداني: الصليحيون ، ص: 120 .

راجل وفارس) (46) (وثلثمائة ألف رجل وأربعمائة فارس (47)). والغرض من هذا العرض هو حصر جنده لمعرفة عدد الذاهبين معه للقتال ، لأن المكرم كان كلما سار في الطريق إلى زبيد خطب في الناس يعرفهم أنهم سيقدمون على الموت . فمن أراد الاتجاه معه للقتال فليأت ومن أراد الرجوع فليرجع (48) لذلك ذكر عمارة أنه رجع من ذلك الجند ألف وأربعمائة فارس ، وبقي معه ألف وستمائة فارس(49) بينما ذكر الخزرجي ، وبامخرمة أنه يقال أنه لم يرجع أحد من ذلك الجند(50) .

ومن الملاحظ أن المصادر لم تتفق على عدد جيش المكرم فصاحب سيرة المكرم ، يذكر أنهم ثلثمائة ألف رجل وأبعمائة فارس ، وصاحب عيون الأخبار يذكر أنه نزل بعشرة آلآف راجل وفارس بينما يذكر آخرون أن عدد جيشه كان ثلاثة آلآف فارس غير الرجل (51) ، في حين أن عمارة ذكر أن جيشه كان ثلاثة آلآف فارس فقط (52) ، والذي نخلص من ذلك أن عدد جيش المكرم كانوا كثيرين ، بغض النظر عن عددهم ، وأن استجابة القبائل للنزول مع المكرم ، كانوا حسب ما ذكرته السيرة ثلثمائة ألف ، بينما الذين نزلوا معه إلى زبيد أقل من ذلك العدد. إذ أنه من غير المعقول أن ينزل إلى تهامة بذلك العدد الكبير ، وأما رواية عمارة بإن عدد جيشه ألف وستمائة فارس أو ثلاثة ألف فارس فغير معقول أن ينزل بهم تهامة .وخاصة أن جياشاً وسعيداً الأحول جهزا خمسة آلآف حربة عند قتلهما علي

---

(46) عمارة : تاريخ اليمن ، تحقيق كاي ، ص: 325 ، نقلا عيون الأخبار، 99/7 .

(47) مجهول : سيرة المكرم ، ص: 59 .

(48) عمارة : تاريخ اليمن ، ص: 129 ، الجندي : السلوك ، 488/2 ، الخزرجي : العسجد ، ص: 60 ، ابن الديبع: قرة العيون ، ص: 257 ، بامخرمة: ثغر عدن ، ص: 40 ، الحداد: التاريخ العام ، 240/2 .

(49) عمارة: تاريخ اليمن ، ص: 128 - 129 ، الجندي : السلوك ، ص: 488/2 .

(50) بامخرمة : ثغر عدن ، ص: 40 ، الخزرجي : العسجد ، ص: 60 .

(51) ابن عبد المجيد : بهجة ، ص: 78 ، الخزرجي : العسجد ، ص: 60 ، ابن الديبع : قرة العيون ، ص: 257 ، يحيى بن الحسين: غاية الأماني ، 259/1 . المطاع : تاريخ اليمن ، ص: 249 .

(52) عمارة : تاريخ ، ص: 129 .

الصليحي ، لذلك فلا بد أن يجهز المكرم أكثر من ذلك العدد ، ويمكن أن نقبل الرواية الثالثة التي تذكر أن المكرم نزل تهامة بثلاثة آلآف فارس غير الراجل ، وعدد الرُجّل بالطبع يزيدون عن عدد الفرسان. أو الرواية التي تذكر أنه نزل بعشرة آلآف راجل وفارس .

وأثناء سير المكرم في طريقه هذه إلى زبيد ألقى خطبة على أصحابه وضح فيه هدفه من النزول إلى تهامة فقال فيها: (إننا لم ننزل لغرض من الدنيا نصيبه ، ولا مال نخزنه ، ولا لشيء نذهب به من متاع الدنيا ، سوى إدراكنا ثأرنا من هؤلاء العبيد ، واستنقاذ حريمنا ، لا لقصد إضرار بأحد من الناس ، ولا لتغيير شيء مما يملكون ، ولا تَعَدٍ على زروعهم ومواشيهم ونحن في طريقنا[53]).

استمر المكرم وجنده في السير من (العمد) إلى الحلفاء من وادي سهام فوصلها يوم الأربعاء لست بقين من شهر صفر سنة 460 هـ / ديسمبر 1067 م . ومنها سار إلى (المقطع) ثم سار إلى أن وصل إلى الحد بين رمع وزبيد ، فقام بتميز جيشه بهدف معرفة كل قبيلة لأفرادها وجهة عملها، فجعل كل قبيلة في جهة ، فكان الحجازيون في ناحية، وحمير في ناحية ثانية والحرازيون في ناحية ثالثة [54] ، وباتوا ليلتهم في تلك المنطقة متيقظين، بسبب قربهم من النجاحيين، وفي الصباح اتجهوا نحو زبيد من ناحية بابها الشرقي، المسمى باب الشبارق، وذلك بعد أن عبأ المكرم جيشه تعبئة قبيلة وعسكرية معاً، حيث جعل المكرم نفسه في القلب مع قبيلة سنحان ونهد وحمير ، مع من أَمَّرَ عليهم مثل أحمد بن المظفر الصليحي ، وعامر بن سليمان الزواحي، وأبو الحسين بن مهلهل بن الدعام، والحسين بن عمرو السنحاني، وجعل في الميمنة قبيلة يام وجنب، أَمَّرَ عليهم عمران بن المفضل اليامي ، ومدافع بن الحسن الجنبي، ومحمد بن علي بن جبر اليامي ، وفي الميسرة جعل الحرازيين مع جماعة من أهل المشرق من خولان وغيرهم ، أَمَّرَ عليهم مالك بن شهاب الصليحي[55] في المقابل عبأ سعيد

---

(53) إدريس : عيون الأخبار ، 97/7 ، نقلاً عن الصليحيون ، ص: 12 ، عمارة كاي ، ص: 325 .

(54) مجهول : سيرة المكرم ، ص: 61 .

(55) مجهول : سيرة المكرم ، ص: 62 ، العقيلي : المخلاف السليماني ، 35/2 ، تذكر بعض المصادر أنه (كانت ميمنة العرب لأسعد بن شهاب والميسرة لعمه .... .. وسار المكرم في القلب) دون تحديد =

الأحول النجاحي جيشة على شكل كراديس ، فجعل في الميمنة كردوسين وفي الميسرة كردوسين ، وفي القلب كردوس وكردوس جعله كميناً وراء الحائط ، وكان عددهم ما بين ثمانية عشر ألفاً [56] وعشرين ألفاً [57] .

والهدف من هذه التعبئة العسكرية ترتيب الجيش لضمان تحقيق النصر ، وقد كانت التعبئة أحد الأساليب المتبعة في ذلك العهد ، وهي عبارة عن خطة تنظيمية لادارة المعركة ، والغرض منها تشكيل الجيش المقاتل إلى فرق أو كراديس أو جماعات أو غيره ، بحيث يكون لكل فرقة أو كردوس علم خاص به ، فيفيد العلم معرفة الأفراد اتجاههم في السير في المعركة وتقدمهم وانسحابهم ، وإذا حدث اختلاف أو انهزام ، فعلى كل فرقة العمل على التجمع حول علمها . كذلك يحدد لكل فرقة أو كردوس مكان قتال معين بحيث لا يتعداه ، مثل الميمنة أو الميسرة أو القلب ، لذلك وجب أن يكون لكل فرقة أو كردوس قائد معروف للجند،هو الذي يأمرهم بالقتال أو التوقف أو الهجوم أو الانسحاب أو تغيير المكان أو غيره، ولابد أن يكون القائد لدية الكفاءة والمعرفة بالقواد الآخرين للاشتراك معاً في العمل القتالي، كما يجب أن يكون لكل فرقة أو كردوس معرفة ببعضهم البعض معرفة جيدة وعددهم ، حتى لا يحدث أن يقتل الجيش الواحد بعضه البعض ، وحتى يتمكنوا من إسعاف من يجرح أو غيره ، كذلك يجب أن يكون للجيش الواحد زي مميز ليساعد أفراد الجيش سرعة التعرف على زملائهم ، حتى لا يتجهوا إلى محاربة بعضهم البعض ، ولذلك كانت التعبئة من أهم

= أسماء الأمراء وأسماء القبائل ، عمارة : ص: 131 - 132 ، ابن الديبع ، ص: 358 ، بامخرمة ،ص: 40 ، الخزرجي ، ص: 60 .

(56) مجهول : سيرة المكرم ،ص: 62 ، الهمداني : الصليحيون ،ص: 123 ، مصطفي غالب: أعلام الإسماعيلية ، ص: 122 .

(57) عمارة : تاريخ اليمن ، 131 ، ابن عبد المجيد : بهجة ، ص: 87 ، الحمزي : كنز الأخبار ، ص: 79 ، ابن خلدون : تاريخ اليمن ، ص: 138 ، الجندى : السلوك ، 488/2 ، الخزرجي : العسجد ، ص: 60 ، بامخرمة : ثغر عدن ، ص: 40 ، يحيى بن الحسين : غاية الأماني ، 1/ 259 ، الكبسي : اللطائف ، ص: 36 ، المطاع : تاريخ اليمن ، ص: 249 ، الواسعي: تاريخ اليمن ، ص: 172 ، ويضيف الجندي، =

العوامل التي تحقق النصر .

بعد هذه التعبئة من قبل الجيشين استعداداً للمعركة، كان لابد من أن ينشب القتال فيما بين الطرفين ـ لذلك التقى الجيشان على باب زبيد الشرقي يوم الإثنين التاسع والعشرين من شهر صفرسنة 460 هـ / ديسمبر 1067 م فدار قتال شديد استمر حتى الظهر ، أسفر عن انكسار الميمنةِ والميسرة لقوات النجاحيين وانهزامهم ، واستمر جيش المكرم يتابع هجومه تجاه المنهزمين حتى قتل أكثرهم ، وهرب الباقون فأتاح ذلك فرصة للمكرم وجيشه دخول زبيد للسيطرة عليها ومتابعة قتال النجاحيين (58) .

وفي ذلك الوقت جعل المكرم أكبر همه تخليص أمه من الأسر ـ فأسرع نحوها بجزء من جنده إلى (دار شحار) الذي كانت مسجونة فيه ، وذلك خوفاً من أسراع النجاحيين إليها قبله ، وأصابتها بضرر وإخراجها منه وهروبهم بها ، فسبقهم إلى أمه أسماء وخلصها من الأسر ، أما بقية جيشه فقد اتجه لمتابعة مطاردة النجاحيين (59) وقد أتاحت فرصة انشغال المكرم بتخليص والدته من الأسر ، أن يتمكن أولاد نجاح من الهرب وينجون من القتل(60) .

وبعد تخليص المكرم لوالدته من الأسر ، اتجه نحو دار عمه عبد الله بن محمد الصليحي ، وأمر الجند بالكف عن القتال وعن نهب مدينة زبيد ، لأن الكثير من جنده بعد انتصارهم علي النجاحيين اتجهوا إلى نهب المدينة (61) وهي ظاهرة غير محمودة أن ينهب من

= ص: 2/ 488 ، أن عددهم عشرون ألف أو واحد وعشرون ألفاً .

(58) عمارة : تاريخ اليمن ، ص: 132 ، الجندى : السلوك ، 2/ 488 ، الخزرجي: العسجد ، ص: 60 ، ابن عبد المجيد بهجة ، ص: 78 ، بامخرمة : ثغر عدن ، ص: 40 ، مصطفي غالب : أعلام الإسماعيلية ، ص: 122 ، العقيلي: المخلاف السليماني ، 2/ 36 ، يحيى بن الحسين : غاية الأماني ، 259/1 ، الكبسي : اللطائف ، ص: 36 ، المطاع: تاريخ اليمن ، ص: 249 ، الحداد : التاريخ العام ،241/2 .

(59) مجهول : سيرة المكرم ، ص: 62 ، عمارة : تاريخ اليمن ، ص: 132 ، 133 ، ابن عبد المجيد : بهجة ، ص: 78 ، الجندي : السلوك ، 2/ 488 ، بامخرمة : ثغر عدن ، ص: 40 .

(60) رسائل القمي ، ص: 37 - 72 ، ملحق رقم 6 ، الصليحيون ،ص : 314 .

(61) مجهول : سيرة المكرم ، ص: 65 - 71 .

لم يشارك في القتال مثل المدنيين والتجار ، لذلك منعهم المكـرم . أما أموال النجاحيين فقد غنمها المكرم وكانت كثيرة ، فحسب وصف القمي .(أنـه غنـم مـالاً مـا لا يمكـن نعتـه ولا يتأتى وصفه [62]).

ومن الأمور التي ساعدت المكرم على تحقيق النصر ، أن المكرم نزل إلى تهامـة بجيـش أكثر من جيش سعيد الأحول ، كما ساعد المكرم أنه وأنصاره قـاتلوا بهـدف الثأر وتخليـص أسماء من الأسر ، فكانوا أكثر شـدة في القتـال مـن النجـاحيين . كذلـك سـاعد المكـرم علـى النصر إثارة العداوة بين قبائل اليمن الجبلية والمولدين الأحباش في تهامة ، وهذا ما يتضح من خلال تصرف المكرم بعد دخوله زبيد ، فقد أمر بقتـل مـن كـان بهـا مـن المولديـن الأحبـاش وترك العرب [63] .

أقام المكرم في (زبيد) إلى السابع من شهر ربيع سنة 460 هـ / يناير 1068 م ثـم اتجـه نحو (القحمة) لقتال بني نجاح ، الذين اتجهوا إليها مـن أنصـارهم ، وجعلـوا أنفسـهم كمينـاً للحرة أسماء لكي يلقوا القبض عليها وإعادتها إلى الأسر مرة أخرى ، وذلـك لما علمـوا أنهـا ستتجه طريق صنعاء في عدد قليل من الجند ومعها الأموال والأنفال الكثيرة ، ولكن الأخبـار وصلت إلى المكرم بوجودهم في (القحمة) فأسرع إليهـم [64] . ولمـا عـرف بنـوا نجـاح سـير المكرم نحوهـم ، سـارعوا نحـو زبيـد في طريـق مغـاير لطريـق المكـرم ، لكـي يخلفـوه إلى زبيـد فيسيطرون عليها ، وإذا عاد المكرم إليها ، خرجوا منها وهكذا [65] .

ولما وصل المكرم إلى (الدومة) قرب القحمة ، وصله كتـاب مـن إسمـاعيل بـن يعفـر الصليحي ، واليه على صنعاء يخبره فيه أن القاسم بن جعفر الزيـدي نقـض عهـده ، واسـتغل عدم وجود المكرم ، فأخذ يحشد الكثير مـن اتباعـه ودعاتـه للاتجاه بهـم نحـو السـيطرة علـى

---

(62) رسائل القمي : 36 - 72 ، ملحق رقـم 6 ، الصليحيـون ، ص: 314 ، العقيلـي : المخـلاف السـليماني ، 2/ 27 .

(63) عمارة : تاريخ اليمن ، 134 .

(64) مجهول : سيرة المكرم ، ص: 71 .

(65) مجهول : سيرة المكرم ، ص: 73 .

صنعاء ، كما أخبره فيه أن المرض أشتد عليه وأن الحجازيين والحرازيين بصنعاء حدث بينهم نزاع وساءت العلاقة بينهم فخاف المكرم من ازدياد ظهور المخالفين له من القبائل المتعددة المتواجدة حول صنعاء، وخاف أن يتمكنوا من السيطرة على صنعاء ، فأسرع بالاتجاه نحوها تاركاً تهامة للنجاحيين(66) ، فوصل صنعاء في السادس والعشرين من ربيع الأول سنة 460 هـ/ فبراير 1068 م(67)، بذلك عادت سيطرة بني نجاح لزبيد ، أما المكرم فقد اكتفى من نزوله لهذه المرة الأولى تخليص أمه من الأسر ، وترك الثأر لأبيه لمعركة أخرى . وبعد وصول المكرم إلى صنعاء بفترة قصيرة توفي واليه عليها إسماعيل بن يعفر الصليحي(68) .

وبهذا الانتصار الذي حققه الصليحيون على النجاحيين، كتب الخليفة المستنصر الفاطمي سجلاً في شهر ربيع الأول 461هـ / فبراير سنة 1069م أرسله إلى المكرم يهنئه فيه بانتصاره على سعيد الأحول جاء فيه:(فلله درك أيها الأجل لقد زكي غرسك وطاب، وحق أمل أمير المؤمنين في تقديم قدمك وما خاب، فاعلم أنك خليفته في بلاد اليمن، وعماده وعدته وسناده، وقر عيناً بما أعطاك الله من الرتبة السنية والدرجة العلية(69)) ولقبه في هذا السجل بأمير الأمراء .

اتجاه المكرم إلى اليمن الأسفل لقتال انصار النجاحيين :

لم يقف الصراع بين المكرم والنجاحيين وأنصارهم ، فقد ظهر للمكرم عدو آخر هم زعامات اليمن الأسفل ، متعاونين مع بني نجاح ، إذ أن سعيداً الأحول حاول الاستعانة بهم للتقارب المذهبي فيما بينهم ، كونهم كانوا يدينون لنجاح بالولاء والطاعة . لأنه ممثلاً للخلافة العباسية، وقد كان علي الصليحي أخذ زعامات اليمن رهائن عنده ، فلما ذهب إلى

(66) مجهول. سيرة المكرم ، ص: ص: 73 ، الهمداني : الصليحيون ، ص: 125 ، 314 ، العقيلي : الخلاف السليماني ، 2/ 37 .

(67) رسائل القمي، ص: 36 ـ 72 ، ملحق رقم 6 ، الصليحيون ، ص: 314 ، الهمداني الصليحيون ، ص: 126 ، حسن سليمان تاريخ اليمن ، ص. 187 ، الحداد : التاريخ العام ، 2/ 242 .

(68) رسائل القمي ، ص: 36 - 72 ، ملحق 6 ، الصليحيون ، ص: 315 ، الهمداني الصليحيون ، ص: 126 ، عند الهمداني الصليحيون : 26 ربيع الآخر . وفي رسائل القمي 1 ربيع الآخر .

(69) السجلات المستنصرية ، ص: 198 ، عصام الدين . اليمن في ظل الاسلام ، ص: 168 .

الحج أخذهم معه خوفاً من خروجهم ضد ابنه المكرم ، لكنه حدث ما كان يخشاه ، فقد أقدم سعيد الأحول على قتله ،وإطلاق سراح الرهائن على رأسهم ثلاثة من زعامات اليمن الأسفل ، هم وائل بن عيسى الوحاظي ، وعلي بن معن وابن الكرندي [70] . فلما عاد هؤلاء إلى مناطقهم استقلوا بها معلنين خروجهم عن طاعة المكرم وتعاونهم مع سعيد الأحول ، فشكل ذلك خطراً على الصليحيين ، ففي أثناء ما كان المكرم يصلح أمور مغارب اليمن الأعلى ، وصلته عدة كتب تشرح حال اليمن الأسفل .

فالكتاب الأول يفيد أن الحسن بن المغيرة التبعي وأبا العباس بن أسعد السخطي وأبا إسماعيل الكلالي ، اتجهوا لمناصرة النجاحيين ، فنزلوا إلى (الحمراء) في جبل الشعر بجمع كبير من أهل يحصب ورعين وزُبَيْد ، وعددهم ثلاثون ألف راجل ومائة فارس ، أغلبهم بغير سلاح، وأنهم أخربوا ما اجتازوا به من البلاد،واحرقوه ونهبوا أموال الرعية ومواشيهم [71] .

وكان هدفهم من ذلك الحشد هو القضاء على نفوذ الصليحيين في حصن التعكر من ذي جبلة ، ولكن أسعد ابن عبد الله الصليحي والي الحصن ، أرسل إليهم جيشاً بلغ أربعة آلآف رجل وثمانون فارساً ، بقيادة علي بن سويد وعبد الله بن معمر ، فقاتلوهم قتالاً شديداً ، حتى انتصروا عليهم ، وقتلوا أكثر من ألف رجل منهم [72] .

أما الكتاب الثاني فيفيد أن سعيداً الأحول طلع من تهامة بجيش كبير ، نحو مخلاف جعفر بناء على مكاتبة تلقاها من جماعة من سلاطين اليمن الأسفل هم التبعي والسخطي ووائل بن عيسى واليحصبيين والرعينيين وجميع سلاطينهم ، يشرحون له استعدادهم لمناصرته وأنهم قد صاروا في سوق الجبجب من أحاظه ويطلبون سرعة حضوره إليهم [73] .

بينما الكتاب الثالث يذكر فيه أن الأخوين بلال وأبا الفتوح ابني نجاح اتجهوا إلى

---

(70) عمارة : تاريخ اليمن ، ص: 127 ، الجندي : السلوك ، 2/ 488 ، ابن الديبع : قرة العيون ، ص: 342.

(71) مجهول : سيرة المكرم ، ص: 82 .

(72) مجهول : سيرة المكرم ، ص: 82 ، الهمداني : الصليحيون ، ص: 128 .

(73) مجهول : سيرة المكرم ، ص: 83 ، الهمداني : الصليحيون ، ص: 129 .

يعفر الكرندي وتحالفوا معه لقتال الصليحيين ، فجمعوا جيشاً كبيراً عسكروا به في (الجند) مقابلاً لجيش أسعد بن عبد الله الذي كان معسكراً بذي أشرف [74] .

كذلك إحتوت هذه الكتب على شكوى الصليحيين في مخلاف جعفر وحصن التعكر للمكرم ، تحكي ضعف عساكرهم وقلتهم أمام تلك التجمعات الكبيرة ، ويطلبون فيها من المكرم سرعة الاتجاه إليهم لمناصرتهم [75] .

بعد أن تتالت رسائل الصليحيين من اليمن الأسفل تستعجل المكرم الحضور لمناصرتهم ، أسرع المكرم نحوهم بسبب حرصه على الاحتفاظ بتبعية اليمن الأسفل لسلطانه وعزله من مساعدة النجاحيين فخرج من صنعاء في اليوم الثالث من جمادي الآخر سنة 461 هـ / مارس 1069 م وسار عبر مشرق خولان ثم (بينون) في عنس ، فلما وصله عرض على أهله الأمان ، فرفضوا ، فلجأ إلى الضغط عليهم بالاتجاه إلى تخريب بعض مزارعهم ، وهذا عمل غير إنساني أو ديني ، ولكنه استخدم ذلك من أجل إجبار أهل تلك المناطق على الطاعة مما جعلهم يضطرون إلى التسليم وطلب الأمان ، وبذل الطاعة له فأمنهم [76] .

ثم اتجه يوم 23 / جمادي الآخرة نحو بلاد حمير من يحصب ورعين وعنس ومذحج وأثناء سيره في تلك الطريق خضعت له بعض القبائل مثل بني صعب من عنس وبني الحارث ومذحج [77] وضمن بذلك عدم إشتراك هؤلاء في الحرب مع التكتل القبلي لحمير ويحصب ، وسار حتى وصل قرية (دلاب) ولما علمت جموع تلك القبائل بقدوم المكرم نحوهم أسرعوا إلى التحصن بجبال تلك المناطق ، أما السلطان الحسين بن المغيرة التبعي ، وأبو العباس السخطي مع معظم اليحصبيين والرعينيين والعنسيين مع بعض النجاحيين ، فقد تحصنوا في حصن (الشعر) وعندما عرف المكرم أماكن تحصنهم قرر الاتجاه نحو أهم مراكز تحصنهم ،

---

(74) مجهول : سيرة المكرم ، ص: 83 ، الهمداني : الصليحيون ، ص: 128 .

(75) مجهول : سيرة المكرم ، ص: 83 ، الهمداني : الصليحيون ، ص: 128 .

(76) مجهول : سيرة المكرم ، ص: 89 ، الهمداني : الصليحيون ، ص: 198 ، حسن سليمان : تاريخ اليمن ،ص: 190 - 191 (بينون) وادي في عنس وهو حصن أسعد الكامل ، سيرة المكرم ، ص: 89 .

(77) الهمداني : الصليحيون ، ص: 129 .

فسار نحو حصن (الشَّعِر) فلما قرب منه عبأ جيشه للقتال بهدف تنظيم جيشه لضمان تحقيق النصر ، فجعل أهل الحجاز وأهل حراز وخولان يسيرون نحو ميسرة الجبل ، وأمَّر عليهم علي بن مالك بن شهاب الصليحي ، وجعل أبا الحسن بن مهلهل بأصحابه مع جماعة من الخولانيين ، يسيرون نحو وسط الجبل ، أما المكرم نفسه مع جماعة من الخولانيين وجماعة من الحجازيين فقد ساروا نحو ميمنة الجبل[78] والتفت تلك الجماعات حول الحصن تحاصره ، ثم اتفقوا على طلوع الحصن للقتال في سحر يوم 26 جمادي الأخرى فلما صعدوا الجبل بحسب الموعد ، دار قتال شديد بين الطرفين منذ فجر ذلك اليوم ، إنتهي بانتصار المكرم[79] وهروب بني نجاح إلى زبيد ، أما التبعي والسخطي والكلالى والحوالى ، فقد راسلهم المكرم ، وعرض عليهم الأمان فقبلوا ذلك فأمنهم[80] .

ومن الملاحظ أن هذا التجمع القبلى لم ينظم من قبل زعمائه ، ولم يعملوا على تعبئة هذا التجمع للقتال ضد المكرم ، لذلك فشلوا في تحقيق النصر على الصليحيين ،حيث كان من السهل على المكرم هزيمتهم والزامهم الطاعة ، وبذلك تمكن المكرم من القضاء على أنصار النجاحيين في تلك المنطقة .

ثم اتجه نحو حصن (التعكر) بذي جبلة ومعه السخطي والتبعي ، ولما وصلوا إليها إستأذن منه التبعي للذهاب إلى قرية (المشعب) فلما أذن له المكرم هرب إلى بني نجاح في زبيد ، أما المكرم فقد أقام أسبوعاً في ذي جبلة يدبر أمرها ثم عاد إلى صنعاء[81] فدخلها في اليوم السابع من شعبان[82] سنة 461 هـ / مايو 1069 م .

وكما يتضح أن هذه القبائل التي تجمعت لمناصرة بني نجاح في منطقة (الشعر) قد تعهدت بعدم محاربة المكرم وعدم الوقوف مع سعيد الأحول رغم ميلها المذهبي إليه ، ولم يقف

---

(78) مجهول: سيرة المكرم، ص: 90 -91 (دولاب) قرية عامرة ذو نواس كان يسكنها سيرة المكرم، ص:90.

(79) مجهول : سيرة المكرم ، ص: 91 ، الهمداني : الصليحيون ، ص: 129 .

(80) مجهول : سيرة المكرم ، ص: 92 - 93 ، حسن سليمان : تاريخ اليمن ، ص: 191 .

(81) مجهول : سيرة المكرم ، ص: 93 ، الهمداني : الصليحيون ، ص: 129 .

(82) ـ الهمداني : الصليحيون ، ص: 129 ، حسن سليمان : تاريخ اليمن ، ص. 191 ، العقيلي : =

خارجاً عن طاعة المكرم إلا الحسين بن المغيرة التبعي الذي ظل مسانداً لبني نجاح ، وهذا ما سنلاحظه من خلال حرب المكرم لسعيد الأحول فيما بعد هذه الحرب ، وبذلك ضمن المكرم أن يدخل الحرب مع سعيد الأحول بدون أن تقف هذه القبائل معه باستثناء التبعي ، وهذا ما كان يسعى إليه المكرم .

نزول المكرم إلى زبيد مرة ثانية :

ظل الصراع مستمراً بين الطرفين ، فمن جهة النجاحيين فقد حاول سعيد الأحول طلب النجدة من أهل السهول والجبال لمناصرته ضد الصليحيين ، فتجمع حوله حشود كثيرة من الخيل والرجال ، كما أجاب دعوته السلطان حسين بن مغيرة التبعي ، فسار سعيد الأحول بجموعه نحو اليمن الأسفل [83] . ومن جهة المكرم فإنه لم يهدأ له بال ما دام سعيد الأحول مسيطراً على تهامة يحرض الناس ضده ، ولم يثأر لأبيه منه ، فأخذ يدعوا أنصاره لحرب النجاحيين فتسارعت أنصاره إلى التجمع إليه فنزل بهم نحو زبيد للمرة الثانية في غرة شهر رمضان سنة 461 هـ / يونيو 1069 م بهدف الثأر لأبيه ، فلما وصل (العمد) وصله عامر بن سليمان الزواحي في حمير ، وابو الحسين مهلهل في أهل حضور ، ومحمد بن إبراهيم الصليحي في أهل مسور وأهل مغارب اليمن الأعلى ، بالإضافة إلى ألفين من أهل حراز ، بذلك التجمع بلغ جيش المكرم حين استعرضهم في (العمد) عشرة آلآف رجل وستمائة من الفرسان [84] .

استمر المكرم في سيره نحو (الحلفاء) ثم (المقطع) ومنها أرسل جواسيسه إلى زبيد يستطلعون له أخبار سعيد الأحول ، فعاد جوابهم بأن سعيداً الأحول خرج من زبيد مع جيشه نحو مخلاف جعفر أو عدن في غرة شهر رمضان ، عدا أخيه جياش وبعض أنصارهم فإنهم اتجهوا نحو (المهجم) لذلك تجنب المكرم دخول زبيد لأن هدفه الثأرلأبيه من سعيد

= المخلاف السليماني ، 2/ 38 ، الحداد : التاريخ العام ، 2/ 243 ، رسائل القمي ، ص: 36ـ 72 ، ملحق رقم 6 ، الصليحيون ، ص: 315 ، يذكر أن دحول المكرم صنعاء في الخامس من شعبان .

(83) رسائل القمي ، ص: 36 - 72 ، ملحق رقم 6 ، الصليحيون ، ص: 315 .

(84) مجهول : سيرة المكرم ، ص: 107 ، رسائل القمي ،ص: 36ـ72 ، ملحق رقم 6 ، الصليحيون ، ص: 315 ، الهمداني : الصليحيون ص: 131 .

الأحول وليس السيطرة عليها فاتجه إلى مطاردة سعيد الأحول ، مقتفياً أثره نحو المناطق التي سار إليها ولما وصل قرب حيس وصلته الأخبار أن سعيداً الأحول مقيم (بالجند) وأن أهم قائد له وصاحب رأيه الحسين بن مغيرة التبعي ، فسار المكرم نحوهم [85] .

وفي أثناء تجمع سعيد الأحول وأنصاره في (الجند) أشار عليهم إبن المغيرة أن يتجهوا إلى ناحية (دلال) في بعدان ، ثم يطلعوا حصن (الشعر) ويتجهوا نحو صنعاء لخلوها من المكرم وجيشه ، بينما أشار عليهم أحد رجال الأحول بأن يتجهوا نحو طريق الساحل إلى زبيد ، وإذا لحق بهم المكرم ساروا نحو طريق الشام (شمال زبيد) ، وإذا تابع المكرم سيره نحوهم نحو الشام ، عادوا نحو اليمن (الجنوب) وهكذا يظلون يراوغون المكرم ، ولكن ابن المغيرة رفض هذا الرأي ، وقبل سعيد الأحول رأي ابن المغيرة ، فاتفقوا على الذهاب إلى (الشعر) فساروا إليها [86] .

وفي الوقت الذي كان فيه النجاحيون وأنصارهم في الشعر ، وصلهم خبر أن المكرم قارب الوصول إليهم ، فحاولوا التحصن في الجبال ، فابن المغيرة اتجه إلى حصنه المعروف (بالقرانح) أما سعيد الأحول فقد سار إلى قرية تعرف (بالحمادي) من الشعر بفرقة من جيشه ، بينما الفرقة الثانية حاولت السير إلى تهامة عبر طريق نقيل صيد ، بقيادة أخويه بلال ومالك ابني نجاح ، للسيطرة عليها بعد خروج المكرم منها [87] .

ومن جهة المكرم فإنه لما وصل إلى الجند ، أرسل إلى مخلاف جعفر يسأل عن سعيد الأحول ، فوصل إليه الخبر أنه سار نحو (دلال) فسار المكرم نحو ذي أشرق في طريقه لمتابعة الأحول وجيشه ، وأثناء سيره في تلك الطريق قسم جيشه إلى فرقتين ، فرقة اتجهت نحو (الشعر) بقيادة المكرم نفسه في جماعة كبيرة من همدان وأهل حراز ، والفرقة الأخرى سارت في إتجاه نقيل صيد (سمارة) بقيادة عامر بن سليمان الزواحي والحسين بن عمرو السنحاني

---

(85) مجهول : سيرة المكرم ، ص: 108 ، العقيلي : المخلاف السليماني ، 2/ 39 .

(86) مجهول : سيرة المكرم ، ص: 108 - 109 .

(87) مجهول : سيرة المكرم ، ص: 110 .

ومدافع الجنبي في سنحان وجنب وحمير ، وذلك بهدف الإلتفاف على جيش بني نجاح ، فلما ساروا في هذا الطريق التقوا بذلك الجيش في نقيل صيد فقاتلوهم قتالاً شديداً ، أسفر عن هزيمة بني نجاح وقتل الكثير منهم على رأسهم بلال ومالك إبني نجاح [88] . أما المكرم فإنه سار نحو (الشعر) فلما أشرف عليها تجنب مقاتلة ابن المغيرة واتجه لمحاربة سعيد الأحول في (الحمادي) وفي تلك الأثناء لم يحاول ابن المغيرة مناصرة سعيد الأحول وكما يبدو أنه حوصر ، وكان بنوا نجاح قد حاولوا بدء السير نحو حقل قتاب ، بهدف تجنب محاربة المكرم ، ولكن جيش المكرم أدرك مؤخرتهم فناوشهم ، مما اضطرهم إلى التحصن في (ذروة) المقابل للشعر ، إلا أن هذا التحصن لم يحميهم من جيش المكرم ، الذي أسرع في متابعتهم إلى (ذروة) فقاتلهم قتالاً شديداً ، انتهي بهزيمة النجاحيين وهروب سعيد الأحول محاولاً النجاة بنفسه ، ولكنه لم يفلح في ذلك ، فقد سار خلفه رجل من أنصار المكرم من قبيلة شاكر إسمه عزيز بن حسين بن أبي الحجاج ، فأدركه أسفل قرية (مابة) من الشعر فقتله وأجتز رأسه [89] . وذلك في شهر رمضان من سنة 461 هـ / يونيو 1069 م وبذلك تمكن المكرم من الثأر لأبيه ومن قتل معه من الصليحيين .

ومن الملاحظ في هذه المعركة أن الحسين التبعي لم يقم بأي دور فعال مع سعيد الأحول في (الشعر) وهي المنطقة التي يحكمها ، ومن المحتمل أنه قد حوصر في حصنه (القرانح) من قبل جيش المكرم ، بهدف منعه من مساعدة سعيد الأحول ، حتى يتمكن من الثأر لأبيه علي الصليحي من النجاحيين ، أما سعيد الأحول وجيشه فمن المحتمل أن الحصون التي صعدوا إليها كانت غير محصنة جيداً لأنها لو كانت محصنة لظل الحصار مفروضاً عليها لعدة أيام أو أشهر ، ومن المحتمل أيضاً أن جيش سعيد الأحول تفرق في اللكام والحصون

---

(88) مجهول : سيرة المكرم ، ص: 111 ، رسائل القمي ، ص: 36 – 72 ، ملحق رقم 6 ، الصليحيون . ص: 316 ، الهمداني : الصليحيون ، ص: 131 .

(89) مجهول : سيرة المكرم ، ص: 111 ، الهمداني : الصليحيون ، ص: 131 ، مصطفى غالب : أعلام الإسماعيلية ، ص: 124 ، وقبر سعيد الأحول موجود في نجد قيظان بالشعر ، طبقات ابن سمرة ، ص: 104 .

للإحتماء بها ولم يكن مجتمعاً في منطقة واحدة ، مما سهل على المكرم الاتجاه إلى مكان سعيد الأحول دون غيره . ومن الملاحظ أننا لم نجد أي إشارة إلى أن سعيداً الأحول قد عبأ جيشه للقتال ، وهي الخطة التنظيمية للمعركة ، مما جعل جيشه غير قادر على تحقيق النصر أو الدفاع عن أنفسهم ، كما أننا نجد أن جيش سعيد الأحول والحسين التبعي فوجئوا بقدوم المكرم ، مما اربكهم وجعلهم غير قادرين على تنظيم صفوفهم والدفاع عن أنفسهم إذ أن القتال دار في نفس اليوم الذي وصل إليهم به المكرم ، وقد أسرع إلى مناوشة مؤخرتهم ، لأنهم كانوا عازمين على الذهاب من تلك المنطقة ، ومن المرجح أن جيش المكرم كان أكثر من جيش سعيد الأحول ، إذ أن سعيداً الأحول لو كان معه جيش كبير لبقي في زبيد وتحصن بها ، ولكنه ذهب إلى طلب المساعدة من أهل الجبال ، ولَم يكن الحسين التبعي قادراً على مساعدته وحمايته بقلة من أفراده ، وخاصة أن المكرم جيش جمعاً كبيراً من القبائل يفوق عدد جيش التبعي وسعيد الأحول ، ومن الملاحظ أن المكرم وجيشه كان هدفهم الأول وهمهم الكبير هو الثأر لعلي الصليحي ، لذلك قاتلوا بصلابة ، واهتموا في الاتجاه نحو المكان الذي كان سعيد الأحول متحصناً فيه دون غيره من الحصون .

نزول المكرم إلى زبيد مرة ثالثة :

وما أن تمكن المكرم من الثأر لأبيه بقتله سعيد الأحول ، حتى أسرع في الاتجاه نحو زبيد للسيطرة عليها وإعادتها إلى حكم الصليحيين ، فاتجه إليها من (الشعر) عبر (الحمراء) وذي جبلة فوصل زبيد في التاسع والعشرين من شهر رمضان سنة 461 هـ / 1069 م . وفي غرة شوال صَلّى العيد في زبيد [90] .

وما كادت تمضي أربعة أيام على بقاء المكرم في زبيد ، حتى ولى عليها سبأ بن أحمد الصليحي وأسرع في الاتجاه نحو (المهجم) شمال زبيد ، لمحاربة جياش بن نجاح ومن انضم إليه لمناصرته ، وظل يتابعهم ويطاردهم من منطقة إلى أخرى حتى أخرجهم إلى أقصى بلاد اليمن ثم عاد إلى زبيد يوم الجمعة الثالث عشر من ذي القعدة من سنة 461 هـ / أغسطس

---

(90) مجهول : سيرة المكرم ، ص: 112 - 113 ، حسن سليمان : تاريخ اليمن ، ص: 191 .

1069 م[91] . وبذلك تمكن من إنهاء دولة بني نجاح من تهامة وإعادة سيطرته عليها ، بعد أن خلص أمه من الأسر وثأر لأبيه .

وبعد أن طارد المكرم النجاحيين في المهجم والهجر وغيرها من تهامة وعاد إلى(زبيد) كما سبق ذكره ولى على (الهجر) محمد وعلى ابني مالك بن شهاب ، وأثناء ما كان المكرم في (زبيد) وصله أبو القاسم بن أبي النور وابن أبي العسكر بسجل من الخلافة الفاطمية ، تبارك له بنصره على النجاحيين . بعد ذلك ولى المكرم على (زبيد) مالك بن شهاب الصليحي،وعاد إلى صنعاء فوصلها في الثاني من ذي الحجة سنة461هـ/ سبتمبر 1069 م[92] .

الاختلاف في الأقوال عن أسر أسماء بنت شهاب :

والملاحظ أن عمارة وبعض المؤرخين ذكروا أن الحرة أسماء بنت شهاب بقيت في أسر سعيد الأحول في زبيد مدة سنة كاملة[93] . إذ أنه يشير إلى أن الرسالة التي بعثت بها أسماء من زبيد ، وصلت إلى المكرم في شوال من سنة 461 هـ / يوليو 1069م[94] وعلى ذلك فعمارة يذكر أن المكرم نزل زبيد مرة واحدة فقط. بينما صاحب سيرة المكبرم يذكر أن المكرم نزل زبيد ثلاث مرات خلال سنة 460 هـ وسنة 461 هـ / 1069م . ففي المرة الأولى نزل المكرم زبيد في صفر سنة 460 هـ / ديسمبر 1069 م تمكن خلالها من تخليص أمه من الأسر ، وذلك بعد أربعة أشهر من أسرها ، وفي المرة الثانية نزل زبيد في شهر رمضان سنة 461 هـ / يونيو 1069 م للثأر لأبيه، في حين أنه نزل زبيد للمرة الثالثة للسيطرة عليها آخر يوم من رمضان ، حيث صَلّى بها العيد في غرة شوال سنة 461 هـ / يوليو 1069م[95] أما

---

(91) مجهول : رسائل القمي ، ص: 36 ـ 72 ، ملحق رقم 6 ، الصليحيون ص: 316 ، الهمداني : الصليحيون ، ص: 131 ، حسن سليمان : تاريخ اليمن ، ص: 191 - 192 .

(92) مجهول : سيرة المكرم ، ص: 122 - 126 .

(93) عمارة : تاريخ اليمن ، ص: 127 - 128 ، الخزرجي : العسجد ، ص: 59 ، ابن الديبع قرة العيون ، ص: 255 ، بامخرمة : تعز عدن ، ص: 39 ، يحيى بن الحسين : غاية الأماني ،258/1 .

(94) عمارة : تاريخ اليمن ، ص: 128 .

(95) مجهول : سيرة المكرم ، ص: 113 - 114 .

الجرافي فله رأي آخر إذ يذكر أن أسماء قد أطلق سراحها بعد ثمانية أشهر من أسرها [96] .
ومن ذلك يتضح أن عمارة دمج المرات الثلاثة لنزول المكرم زبيد في مرة واحدة . في حين أن صاحب سيرة المكرم أوضح أنه نزل ثلاث مرات كما سلف ذكره ونتيجة للخلاف في عدد المرات ، كان من الطبيعي والمنطقي أن يختلفوا في زمن خروج أسماء من الأسر . فصاحب السيرة ذكر أنه خلصها في المرة الأولى أي في صفر سنة 460 هـ / ديسمبر 1069م بينما ذكر عمارة أنه خلصها في شوال 461 هـ / 1069 م على اعتبار أنه ذكر أن المكرم نزل زبيد لمرة واحدة هي هذه المرة. لذلك فإن رواية صاحب سيرة المكرم هي الأكثر تصديقاً .

اختلاف الأقوال عن قتل سعيد الأحول :

ومن الملاحظ أيضاً أن المصادر لم تتفق على زمن قتل سعيد الأحول ، ولكنها اتفقت على مكان قتله. فمن حيث المكان فجميع المصادر أجمعت على أنه قتل في (الشعر) في أحد حصونها [97] . ومن حيث تاريخ قتله فالمصادر مختلفة في ذلك فعمارة وبعض المؤرخين ذكروا أنه قتل سنة481 هـ/ 1088م [98] بينما ذكرصاحب سيرة المكرم أنه قتل سنة461 هـ / 1069م [99] ومن حيث الأحداث فهي متقاربة في بعض سياقها ومختلفة في أسماء قادتها وطريقة تنفيذها ، فمن حيث التقارب يذكرون أن الصليحيين ساروا إلى زبيد ثم ساروا يتابعون سير سعيد الأحول منزلاً بمنزل حتى وصلوا إلى جبل (الشعر) ومن حيث الاختلاف في أسماء قادتها وطريقة تنفيذ ذلك ، فعمارة وبعض المؤرخين يذكرون أن السيدة الحرة أروى هي التي

---

(96) الجرافي : المقتطف ، ص: 79 ، ولي اللطائف ، ص: 35 ، يذكر أنها قعدت في السجن ثمانية أشهر أو سنة ، (الشعر) ناحية تابعة لقضاء النادرة .

(97) عمارة : تاريخ اليمن ، ص: 144 ، ابن سمرة : طبقات ، ص: 104 ، الخزرجي : العسجد ، ص: 62 ، ابن الديبع : قرة العيون ، ص: 264 يحيى بن الحسين : غاية الأماني ، 1/ 255.

(98) عمارة: تاريخ اليمن،ص:142، الخزرجي: العسجد، ص: 62 ، ابن الديبع : قرة العيون ، ص: 263 .

(99) مجهول : سيرة المكرم ، ص: 111 ، الهمداني : الصليحيون ، ص: 131 .

قتلت سعيد الأحول [100] بينما صاحب السيرة يذكر أن الذي قتلـه هـو المكـرم [101] . وقصـة قتل السيدة الحرة لسعيد الأحول كما أوردها عمارة ملخصها الآتي :

أشتركت السيدة الحرة أروى مع الحسين التبعي صاحب (حصـن الشـعر) في تدبير حيلة لقتل سعيد الأحول ، فكتبت إليه تعلمه أن يكتب إلى سعيد الأحول إلى زبيد ، يخبره أن المكرم قد أصابه الفالج وعكف على اللذات فأصبح غير قادر على إدارة أمور الدولة ، حيـث أوكل بإدارتها إلى إمرأته السيدة الحرة ، ويخبره أيضاً أنه أقوى حكام اليمن آنذاك وأنه أحـب إليه والي المسلمين من الصليحيين الإسماعيلية ، ويخـبره كذلـك أنـه سـيتعاون معـه علـى قتـال الصليحيين حيث قال له : (فإن رأيت أن تطبـق علـى ذي جبلـة أنـت مـن تهامـة ونحـن مـن الجبال فنستريح منه وترجع إليكم البلاد بأسرها فأفعل فدولتكم أحب إلى المسلمين من هؤلاء الخوارج [102]) لذلك بادر سعيد الأحول في الطلوع حسب الموعد الذي حدده له ابن التبعي، فخرج من زبيد نحو ذي جبلة في ثلاثين ألف حربـة ، وأثنـاء ذلـك كتبـت السـيدة الحـرة إلى أسعد بن شهاب وعمران بن المفضل اللذين استخلفهما المكـرم علـى صنعـاء عنـد انتقالـه إلى ذي جبلة ، تخبرهما أن يخلفا سعيد الأحول على زبيـد في ثلاثـة آلآف فـارس ، ويتبعـوا أثـره منزلاً بمنزل ففعلوا ذلك . ولما وصل سعيد الأحـول إلى تحـت حصـن (الشـعر) أطبـق عليـه الجيشان فقتلوه ومن معه [103] .

أما صاحب سيرة المكرم فيذكر أن المكرم هو الذي نزل إلى زبيد وظـل يتـابع سـعيداً الأحول منزلاً بمنزل حتى لحق به في (الشعر) فحاربه حتى قتله ، بينمـا اتجـه عـامر الزواحي بجيشه نحو نقيل صيد (سمارة) فالتقى ببعض جيش النجـاحيين فقاتلهم حتى تمكن مـن قتـل

---

(100) عمارة : تاريخ اليمن ، ص. 143 - 144 ، الخزرجي : العسـجد ، ص: 59 – ابن الديبع . قرة العيـون ، ص: 263 - 265 .

(101) مجهول : سيرة المكرم ، ص: 113 - 114 .

(102) عمارة . تاريخ اليمن ، ص: 142 - 143 .

(103) عمارة : تاريخ اليمن ، ص: 143 - 144 ، الخزرحـي : العسـجد ، ص: 59 ، ابن الديبع : قرة العيـون ، ص: 263 - 265 ، العرشي : بلوغ المرام ، ص: 26 .

أخوي سعيد الأحول وهما بلال ومالك ابني نجاح[104] كما سبق ذكره .

كذلك لم تتفق المصادر عن هروب النجاحيين بعد معركتهم مع المكرم في (زبيد) فبعض المؤرخين ذكروا أن سعيداً الأحول ومن معه من بني نجاح وأنصارهم قد أعدوا خيولاً على الباب الغربي لزبيد المسمى بباب النخل ، فلما انهزموا من قبل المكرم سنة 460 هـ / 1069 م هربوا إلى جزيرة دهلك[105] ، أما صاحب سيرة المكرم فيذكر أنهم لم يهربوا إليها بل ظلوا في تهامة كما سبق توضيحه .

وبالنسبة لابن خلدون فهو يذكر أن المكرم هو الذي كتب لصاحب حصن(الشعر) بأن يغري سعيد الأحول ضد المكرم وانتزاع ذي جبلة منه . فلما سار سعيد الأحول في ثلاثين ألفاً من الحبشة كَمِنَ له المكرم تحت حصن الشعر فقتله[106] .

ومما تقدم نستخلص الآتي :

1 ـ أشار عمارة : أن الحسين التبعي كتب إلى سعيد الأحول يخبره بالطلوع إلى ذي جبلة فكان من المتوقع أن يلتقيا بها لقربها من زبيد ، وليس في (الشعر) .

2 ـ وذكر عمارة أن الحسين التبعي تعاون مع السيدة الحرة لقتل سعيد الأحول في حين أن ابن سمرة ذكر أن الحسين بن المغيرة ، وأحمد بن عبد الله الكرندي كانا من أهل السنة وأكثر الناس مجانبة لما عليه الصليحيين من السمعلة[107] أي الإسماعيلية ، ولذلك لا يمكن أن يكون الحسين بن المغيرة التبعي قد اشترك مع السيدة الحرة التي تنتمي إلى المذهب الإسماعيلي ، ضد سعيد الأحول الذي ينتمي إلى مذهب أهل السنة الذي ينتمي إليه الحسين التبعي .

3 ـ وأورد عمارة أيضاً أن أسعد بن شهاب كان متولياً لصنعاء سنة 481 هـ / يوليو 1088م في حين أن بعض المصادر ذكرت أن أسعد مات في شعبان سنة 456 هـ /

---

(104) مجهول : سيرة المكرم ، ص: 111 .

(105) عمارة : تاريخ اليمن، ص:132 ، الخزرجي: العسجد ، ص:60 ، ابن الديبع : قرة العيون ، ص:259 .

(106) ابن خلدون : تاريخ ، مج 4 ، ص: 463 .

(107) ابن سمرة : طبقات ، :. 105 .

يونيو 1064م[108] .

4 ـ كذلك ذكر عمارة وبعض المؤرخين أن الحسين بن المغيرة التبعي هو الذي اشترك مع السيدة الحرة لقتل سعيد الأحول سنة 481 هـ / 1088م كما سبق ذكره بينما ورد في كتاب ابن سمرة أن الحسين بن المغيرة التبعي صاحب حصن (القرانح) في الشعر مات سنة 478 هـ / 1085م[109] . وبذلك انتفي اشتراكه مع السيدة الحرة سنة 481 هـ / 1088 م .

5 ـ وأشار عمارة ومن أخذ عنه أن المكرم كان موجوداً في سنة481هـ/1088م،حينما دبرت السيدة الحرة الحيلة ضد سعيد الأحول ، وذكرت أنه عكف على اللذات، في حين أن بعض المصادر ذكرت أن المكرم توفي سنة 477 هـ / 1084م[110] .

ومن خلال ما سبق نعتقد أن الذي قتل سعيداً الأحول هو المكرم وذلك في سنة 461هـ/1069م،وليست السيدة الحرة أي أننا نميل إلى تصديق رواية صاحب سيرة المكرم لأنها أكثر معقولية،بينما لا نصدق رواية عمارة ومن أخذ عنه بسبب التناقضات التي أشرنا إليها.

واستكمالاً لذكر الأحداث فبالرغم من ذلك فقد ظل الحسين بن المغيرة التبعي مناصراً للنجاحيين ، فوصلت إلى المكرم أثناء ما كان في تهامة ثلاث رسائل في 16 شوال سنة 461هـ / 1069م ، الأولى من السيدة أسماء ، والثانية من عبد الله بن إسماعيل بن أبي يعفر والي يحصب ورعين وعنس ، والثالثة من كديس الصلحي ، تخبرنه أن الحسين التبعي أشاع لدى عشيرته وقبائله أن سعيداً الأحول ابن نجاح لم يقتل ، فصدقته أغلب المناطق التي يحكمها ، وأظهر أكثرهم التمرد والعصيان ضد ولاة المكرم في تلك المناطق[111] . إلا أن المكرم لم يهتم بتحريك جيشه نحوهم وأمام هذه الإشاعة فهل قتل سعيد الأحول حقاً أم لا ؟ وما نعتقده أنه قتل كما سبق ذكره .

---

(108) الهمداني : الصليحيون ، هامش رقم 4 ص: 87 .

(109) ابن سمرة : طبقات ، ص: 104 .

(110) الهمداني : الصليحيون ، ص: 141 ، نقلاً عن عيون الأخبار لإدريس .

(111) مجهول : سيرة المكرم ، ص: 114 .

ثالثاً : صراعه مع الزيدية .

الإمام أبو حمزة :

أدى مقتل علي الصليحي في ذي القعدة سنة 459 هـ/سبتمبر 1067م إلى عودة ظهور الزيدية بمساعدة بعض القبائل اليمنية ، وإتجاههم لحرب المكرم ، أملاً في القضاء عليه وإقامة دولة زيدية ، فقد ظهر الإمام حمزة بن أبي هاشم يدعو لنفسه بالإمامة ، بتحريض من بني شهاب الذين حسنوا له القيام ضد المكرم مستغلين خلاف أغلب القبائل اليمنية له ، واصفين للإمام (إن لم يفعل ذلك سبقه إليه غيره) فيذهب عنه الفخر ، فنهض معهم وسار يدعو الناس إليه فأجبته الكثير من قبائل بكيل وبني بحير ونهم ووداعة وذبيان ، حتى صاروا جمعاً كبيراً حوله ، وكاتبوا كل من حول صنعاء يدعوهم إلى مناصرتهم ، واتجهوا نحو صنعاء للسيطرة عليها [112] بجمع كبير يقدر بثمانية آلآف مقاتل مع عدد كبير من الخيل [113] واثقين أنهم قادرون على دخولها بدون قتال كبير، فساروا حتى بلغوا منطقة(المنوى) في أرحب [114].

وعندما علم المكرم بهذا التجمع القبلي المناصر للزيدية ، دعا قائده عامر بن سليمان الزواحي الذي كان في مغارب اليمن الأعلى ، فوصل إليه يوم الثلاثاء 19/ ذي الحجة سنة 459هـ / اكتوبر 1067م ، في خمسمائة من حمير وألف رجل من صنعاء ، وانضم إليه أحمد بن المظفر الصليحي بجمع كبير من عساكر الصليحيين [115] بلغ عددهم ألف وخمسمائة فارس

---

(112) مجهول : سيرة المكرم ، ص: 46 ـ 47 ، الهمداني : الصليحيون ، ص: 117 ، الإمام حمزة هو الحسن ابن عبد الرحمن بن يحيى بن عبد الله بن الحسن بن القاسم بن إبراهيم ، الواسعي ، ص: 85 .

(113) مجهول : سيرة المكرم ، ص: 47 ، زبارة : أئمة اليمن ، 94/1 ، يحيى بن الحسين :غاية الأماني :255/1 الهمداني : الصليحيون ، ص: 117 .

(114) مجهول : سيرة المكرم ، ص: 46 ــ 47 ، يحيى بن الحسين : غاية الأماني : 1/ 255 ، المطاع : تاريخ اليمن ، ص: 241 ـ 246 ، الحداد : التاريخ العام : 2/ 358 ، وادي المنوى بأو سان من بلاد أرحب وهي على مسافة مرحلة كاملة شمال إلى الشرق ، من صنعاء ، زبارة:أئمة ، ص: 94 ، أو على نصف مرحلة في الشرق من صنعاء سيرة، ص. 46 ــ 47 ، (والمنوى) في بلاد أرحب من بلد الخشب ، اللطائف ، ص: 33 ـ 34 ، الجرافي ، ص: 78 .

(115) مجهول.سيرة المكرم،ص:47،مصطفي غالب:أعلام الاسماعيلية،ص:121،الهمداني،الصليحيون ص:117.

وخمسة عشر ألف راجل [116] فساروا جميعاً نحو الإمام الزيدي .

ولما أدرك الإمام حمزة وأنصاره قدوم جيش المكرم ، أخذوا يستعدون للقتال فسيطروا على جانبي (وادي المنوى) وجعلوا على الأكمة الشرقية عدداً من أصحابهم ، وعلى الأكمة الغربية عددا آخر ، وأخذت الخيل مضيق الوادي ، وشددوا حراسة الطرق لمنع نفوذ الجيش الصليحي منها [117] . أما جيش الصليحيين نفسه فقد اتجه لاطباق الحصار عليهم ، فأخذوا أسفل الوادي وأعلاه [118] . واتجه عامراً الزواحي بحمير نحو الأكمة الغربية [119] . فاشتد القتال بين الطرفين ، رمى خلالها جيش الصليحيين جيش الإمام بالنبل والحجارة، فقتلوا منهم ثمانمائة رجل ووقف بجانب الإمام سبعون شيخاً من همدان ، تقاتل معه حتى قُتِلُوا وقُتِل الإمام حمزة وولده [120] . بذلك حقق الصليحيون الانتصار على الزيدية وأقام عامر الزواحي يصلح أمور تلك البلاد سبع عشرة يوماً ثم عاد إلى صنعاء فدخلها في 19 محرم من سنة 460 هـ / نوفمبر 1067م [121] وهكذا حقق الصليحيون أول انتصار لهم على بداية ظهور الزيدية بقيادة الإمام أبي حمزة .

عودة الشريف الفاضل إلى اليمن :

وما أن وصلت الأخبار إلى مسامع الشريف الفاضل القاسم بن جعفر إلى المدينة بقتل علي الصليحي في ذي القعدة سنة 459 هـ / سبتمبر 1067م حتى أسرع في العودة نحو اليمن

---

(116) زبارة: أئمة اليمن، ص:94 ، يحيى بن الحسين: غاية الأماني:1/255، الهمداني: الصليحيون، ص:117.

(117) مجهول : سيرة المكرم ، ص: 47 ، الكبسي : اللطائف ، ص: 33 - 34 .

(118) زبارة : أئمة اليمن ، ص: 94 ، يحيى بن الحسين : غايةالأماني: 1/ 255 .

(119) مجهول : سيرة المكرم ، ص: 47 .

(120) مجهول : سيرة المكرم ، ص: 47 – 48 ، يحيى بن الحسين : غاية الاماني : 1/ 255 – 256 ، زبارة : أئمة اليمن : 1/ 94 ، الكبسي : اللطائف ،ص: 33 – 34 ، الجرافي : المقتطف ، ص: 78 ، الهمداني : الصليحيون ، ص: 118 ، عصام الدين الفقي : اليمن في ظل الاسلام ، ص: 183 .

(121) مجهول : سيرة المكرم ، ص: 49 .

قبل أن يتأكد من صحة ذلك الخبر ، فسار نحو (مكة) فلما قرب منها تحاشى دخولها لأن أبا البقاء وزير الصليحي كان قد دخلها مصطحباً معه الأموال والرجال مقدمة لمجيء الصليحي إليها . واستمر الشريف الفاضل يتابع سيره نحو اليمن ، وكان كلما سار من منطقة إلى أخرى لقى أخباراً مطردة بقتل الصليحي، ولما وصل(ترج) لقي أخباراً مؤكدة بقتله فاطمأن لذلك وأعطاه ذلك فرصة على التخلي عن تعهداته بعدم حرب الصليحيين ، كما أعطاه ذلك حافزاً على الذهاب إلى أماكن أنصاره في اليمن ، فسار حتى وصل حقل(صعدة)حيث اجتمعت إليه الكثير من القبائل [122] بهدف مناصرته على محاربة الصليحيين وتكوين دولته .

وبالنسبة لذي الشرفين محمد بن جعفر فإنه بعد أن تأكد من قتل الصليحي بدأ يظهر أمره فبعث إلى أخيه الشريف الفاضل ، يخبره بذلك ، ويطلب منه مناصرة الإمام أبي حمزة بن هاشم ، فوصله كتابه عندما وصل إلى صعدة ، فعمل على تجميع أنصاره لمناصرة الإمام ، ولكن لم تمض أيام قليلة حتى وصل إليه العلم بقتل الإمام أبي حمزة ، فحزن لذلك وتراجع عن القيام ضد الصليحيين ولكنه عاد إلى محاربتهم حيث ذهب إلى عيان فوصلها في شهر ذي الحجة سنة 459هـ/أكتوبر 1067م . وعندما وصل إليها توافدت إليه شيعته من وادعة وقبائل بني الدعام وبني بحير وجماعة من نهم يحرضونه على القيام وفي البداية حاول رفض طلبهم ولكنه تراجع ، وقبل طلبهم لما رأي كثرة تجمعهم حوله وذلك بعد أن تعهدوا له بدفع الخمس من أموالهم.ومشاركته بخيولهم ورجالهم [123] .

المصالحة :

ولم تلبث الظروف آنذاك أن أدت إلى خلق مصالحة مؤقتة بين الطرفين ، وذلك بسبب محاولة كل طرف العمل على التهيئة لحل مشاكله ، فمن جهة الزيدية فقد كانوا بحاجة إلى إعداد أنفسهم الإعداد الكافي وتجميع أكبر قدر من الانصار حولهم . وبالنسبة للمكرم فإنه كان بحاجة إلى الذهاب إلى زبيد لتخليص أمه من الأسر ، لذلك سعى الطرفان إلى

---

(122) الربعي : سيرة ذي الشرفين ، ص: 139 - 142 .

(123) الربعي : سيرة ذي الشرفين ، ص: 142 - 144 ، المطاع : تاريخ اليمن ، ص: 247 - 248 .

المصالحة [124] .

وقد اختلفت مصادر الطرفين حول تحديد من الذي بدأ يطلب المصالحة ، فصاحب سيرة المكرم ذكر أن الشريف الفاضل هو الذي بدأ يطلب المصالحة ، وبعث لذلك أخويه محمداً وحسناً ابني جعفر بن القاسم رسولين إلى المكرم ، يخبرانه بتعهده أنه لا يصل إليه سوء من جهة الشريف الفاضل ولا من أحد قرابته ولا عسكريته ، فقبل المكرم ذلك ، وبعث أحد كتابه يستوثق منه لذلك ويأخذ عهده وميثاقه على الوفاء والطاعة للمكرم [125] .

أما صاحب سيرة ذي الشرفين فقد ذكر أن المكرم هو الذي طلب من الشريف الفاضل القدوم إليه لمصالحته ، وذلك بسبب اتجاه المكرم إلى (زبيد) لتخليص أمه من الأسر ، وقد توجه ذو الشرفين واخوه الحسن لاتمام هذه المصالحة مع والي صنعاء آنذاك إسماعيل بن أبي يعفر الصليحي ، ووافق الشريف الفاضل على هذه المصالحة ووقع عليها . ومن أجل التزامه بهذه المعاهدة ترك الشريف الفاضل ولده محمد بن القاسم رهينة في صنعاء لدى الصليحيين [126] .وكانت المصالحة تهدف إلى جعل نقبل عجيب حداً فاصلاً بين الطرفين [127] . ومهما يكن من أمر فإن المصالحة تمت لتتيح لكل طرف أن يتمكن من تجهيز قواته لبدء الصراع في مرحلة قادمة.

نقض المصالحة :

ما كادت تمضي على المصالحة عدة أيام حتى نقضت ، وقد اتهم كل طرف منهما الآخر بأنه هو الذي نقض المصالحة ، فصاحب سيرة ذي الشرفين يذكر أن أحمد بن مظفر الصليحي هو الذي بدأ بإنكار هذه الهدنة والمحادة وذلك بعد رجوعه من تهامة (لأن البلاد التي وقعت عليها الحدود مما كان في يديه) [128] . وأما صاحب سيرة المكرم فقد ذكر أن

---

(124) الربعي : سيرة ذي الشرفين ، ص: 144 .

(125) مجهول : سيرة المكرم ، ص. 58 - 59 .

(126) الربعي : سيرة ذي الشرفين ، ص: 144 - 146 ، المطاع : تاريخ اليمن ، ص: 248 - 249 .

(127) المطاع : تاريخ اليمن ، ص: 249 .

(128) الربعي : سيرة ذي الشرفين ، ص: 156 .

الزيدية هم الذين بدأوا في نقض هذه المصالحة بعد خروج المكرم من صنعاء بعدة أيام ، حيث أرسل إسماعيل بن أبي يعفر الصليحي والي صنعاء كتاباً إلى المكرم يخبره بعدم التزام الشريف الفاضل بالمعاهدة وأنه جمع جيشاً كبيراً ، واتجه بهم نحو صنعاء للسيطرة عليها مستغلاً غياب المكرم عنها ، فوصلت رسالته إلى المكرم أثناء ما كان في (الدومة) من تهامة يطارد النجاحيين المنهزمين [129] . فلما قرأ الرسالة أسرع في العودة نحو صنعاء .

والذي يتضح أن سعيداً الأحول بن نجاح هو الذي حرض الشريف الفاضل على نقض المعاهدة ، فقد أرسل إليه رسولين يخبرانه بالتعاون معه لمحاربة المكرم واللقاء إلى صنعاء ، فكان ذلك فرصة للشريف الفاضل أن ينهي مصالحته مع المكرم فاستجاب له وأرسل معهما صنوه الشريف الأجل أحمد بن جعفر ، والقاضي عيسى بن الحسين للاتفاق مع سعيد الأحول على موعد لقائهما لحرب المكرم ، ثم عاد من تهامة إلى الجوف بعد أن اتفقا على الميعاد المحدد ليوم معلوم ، ومعهما عدة هدايا وألفين دينار شهابية من سعيد الأحول للشريف الفاضل ، ولكن لم تتمكن الزيدية والنجاحيون من التعاون لقتال المكرم ، إذ سرعان ما وصل إلى الزيدية الخبر بعد ذلك بقتل سعيد الأحول [130] .

فكرة المهدى المنتظر :

ولقد استخدم الشريف الفاضل عند دعوته للإمامة الزيدية في اليمن فكرة (المهدي المنتظر) وهذه الفكرة ليست مستوحاة من الفكر الزيدي، وإنما هي فكرة اعتقد بها أصحاب المذهب الإمامي والإسماعيلي في بداية تكوينهما. فالإسماعيلية استخدموها في بداية دعوتهم في كثير من البلدان ، فأوصلتهم هذه الدعوة إلى النجاح في تكوين دويلات سياسية لهم مثل دولة علي بن الفضل في اليمن ، ودولة القرامطة في البحرين والشام والعراق ، والدولة الفاطمية في المغرب ثم مصر .

وقد إدعى الشريف الفاضل أن عمه الحسين بن القاسم العياني حياً لم يمت وأنه غائب

---

(129) مجهول : سيرة المكرم ، ص: 73 .

(130) الربعي : سيرة ذي الشرفين ، ص: 148 .

وسيعود ليملأ الأرض عدلاً وسلاماً ، وأنه قد حان وقت ظهوره وعودته آنذاك ، باعتباره المهدي المنتظر [131] .

والحسين بن القاسم هذا كان قد ظهر يدعو لنفسه بالإمامة في اليمن سنة393هـ/ 1002م ودخل في صراع مع ابن الضحاك الهمداني ، ومن ضمن أهم الحروب التي دارت بينهما حرب سنة 404هـ/1013م والتي جمع فيها جيشاً كبيراً ، واتجه به لمحاربة ابن الضحاك الذي استعد هو الآخر لحربه ، فجمع جيشاً أكثر من جيش الإمام من أهل الجهات المخالفة له ، فالتقى الطرفات في (ذي بين) حيث وقعت بينهما حرب شديدة ، أسفرت عن هزيمة الإمام وهروبه إلى الجوف ، ولكن هذه الهزيمة أعطت الإمام حافزاً على العودة للحرب مرة أخرى ، بهدف تحقيق النصر ومحو هزيمته السابقة ، فرجع إلى بلد الصيد (البون) في مائة فارس ، ثم سار بهم إلى (ريدة) وما أن سمعت قبائل همدان بعودة الإمام للحرب ، حتى خرجت لقتاله ، فالتقت به في (وادي البون) وحاربته حرباً شديداً انتهت بتمكين بني حماد من قتله في صفر سنة 404هـ / أغسطس 1013م [132] .

وعند قتل الحسين بن العياني لم يصدق أصحابه بموته ، فظل هذا الاعتقاد الخاطي ينتشر لدى الكثير(من جهلة شيعته ونحوهم من يزعم أنه حي لم يقتل وأنه المهدي المنتظر) [133] ولم يكن هذا الاعتقاد محصوراً لدى الجهلة من أتباع الامام ، بل شمل أشرف الزيدية أنفسهم ، يوضح ذلك الخزرجي بقوله: (وكان على هذا الاعتقاد كثير من الأشراف) [134] . وكانت أهم مناطق لانتشار هذه الفكرة مغارب صنعاء [135] .

---

(131) مجهول : سيرة المكرم ، ص: 75 ، الهمداني الصليحيون ،ص: 127 .

(132) زبارة : أئمة اليمن ،ص: 84-85 ، الخزرجي: العسجد ، ص: 52 ، يحيى بن الحسين : غاية الأماني :239/1 . المحلى : الحدائق الوردية ، ص: 64 .

(133) المحلى : الحدائق الوردية ، ص: 64 ، زبارة : أئمة اليمن ، ص: 85 ، الخزرجي: العسجد ، ص: 52 ، ابن الديبع: قرة العيون ، ص:234 ، يحيى بن الحسين ، غاية الأماني ، ص: 239/1 .

(134) الخزرجي : العسجد ، ص: 52 .

(135) الخزرجي : العسجد ، ص: 52 .

وهذه الفكرة بدأ بنشرها الامام الحسين بن القاسم العياني نفسه منذ سنة 401هـ/1011م. فاستجاب له الكثير من أهل اليمن الأعلى يوضح ذلك النص التالى: (ثم وصل الامام الحسين بن الامام القاسم ابن علي إلى قاعة سنة إحدى وأربعمائة وادعى أنه المهدي المنتظر الذي بشر به الرسول صلى الله عليه وسلم فأجابته حمير وهمدان وسائر أهل المغرب) [136] ومنذ ذلك التاريخ انتشرت هذه الفكرة حتى عهد المكرم .

والذي يتضح أن الزيدية آنذاك وخاصة الشريف الفاضل أخذوا يقلدون الإسماعيلية بالدعوة إلى المهدي المنتظر ، لأنها حققت نجاحاً في المجال السياسي ، وهذا ما تسعى إليه الزيدية ، فكانت المناطق التي انتشر فيها الفكر الإسماعيلي في مغارب اليمن ، هي الأكثر تقبلاً لفكرة المهدي المنتظر التي نشرتها الزيدية إلا أن هذه الدعوة انقرضت فيما بعد القرن السابع الهجري [137] وادعت الأئمة الزيدية الذين ينكرون هذا الاعتقاد أن الحسين بن القاسم العياني (اختلط عقله في آخر عمره) [138] .

حرب الصليحيين والزيدية في شمال صنعاء سنة 460 هـ :

كانت بداية الحروب بين المكرم والشريف الفاضل حول حدود المصالحة بين الطرفين وتشجيع الزيدية لقبائل شمال صنعاء على التمرد ضد المكرم ، ودعوتهم في ظهور المهدي المنتظر ، فما أن وصل المكرم إلى صنعاء حتى أسرع في مكاتبة الشريف الفاضل يلومه على ما فعل بعدم التزامه بالمصالحة ، ويستنكر تشجيعه لقبائل ذيبان على أخذ الطعام (الحبوب) على المكرم ، فرد عليه الشريف الفاضل بأن هذه القبائل تدخل ضمن المحادة التي حددت له ، ويطلب منه عدم معاقبتهم ، فغضب المكرم من ذلك الرد ، واتجه لمعاقبة قبائل (ذيبان) فخرج من صنعاء في شهر ربيع سنة 460 هـ / يناير 1068 م . وسار نحوها فدخلت قواته عدة قرى منها ، أجبر أهلها على الخضوع له [139] .

---

(136) الخزرجي : العسجد ،ص: 51 ، ابن الديبع ، ص: 232 .

(137) الخزرجي : العسجد ، ص: 52 .

(138) الخزرجي : العسجد ، ص: 52 ، ابن الديبع : قرة العيون ، ص: 234 - 235 .

(139) مجهول : سيرة المكرم ، ص: 77 - 78 ، الكبسي : اللطائف ، ص: 36 (ذيبان) قبيلة في بلاد =

وفي الوقت الذي وصل فيه المكرم بقواته إلى (ذيبان) تسارعت القبائل من بني الدعام وبني بحير ونهم إلى المحطة التي عسكر بها المكرم في (السمط) من بني بحير معلنة ولاءها وطاعتها له ، وملتزمين بعدم طاعة الشريف الفاضل وباذلين الانقياد له والخروج معه للحرب في كل مخرج ، إلا تهامة فهم في الخيار[140] . من ذلك نجد أن المكرم اهتم بالاتجاه نحو القبائل الخارجة عن سلطانه ، فحاربهم حتى تمكن من إعادتهم إلى طاعته .

وبالنسبة لأحمد بن مظفر الصليحي فقد أنكر المحادة بعد عودته من تهامة ، وتوجه نحو البون لمحاربة الزيدية سنة 460هـ / 1068م . وأوضح أن البلدان التي وقعت عليها المحادة تدخل ضمن البلدان التي يسيطر عليها ، فسار إلى بلد وادعة حتى وصل إلى(المدحك) ثم سار منها إلى (أثَافِت) وأثناء ما كان في (أثافت) توجه الشريف الفاضل بقواته إلى(شُوَابَة) وكان يريد التوجه لمقاتلة ابن مظفر الصليحي إلى (أثافت) ولكن رجاله نصحوه بعدم فعل ذلك ، لعدم توفر القوة الكافية لمحاربة الصليحيين ، ومن جهة أحمدالصليحي فقد أرسل بعض قواته تحت قيادة محمد بن إبراهيم الصليحي لمحاربة الزيدية هناك ، فسارت هذه القوة حتى وصلت (المنقل من خرفان) وفيها هجم عليه جماعة من الزيدية ، فدار قتال شديد بين الطرفين أسفر عن هزيمة الصليحيين ، بسبب افتراق قواتهم ، فانسحبت هذه القوة المنهزمة إلى (أثافت) بعد ذلك قرر أحمد الصليحي الانسحاب من أثافت إلى صنعاء . أما الشريف الفاضل فبعد خروج الصليحيين من (أثافت) توجه إليها وأخرب دار بني الصليحي بها ، ثم عاد إلى (شوابة) ثم إلى الجوف[141] أعطى هذا الانتصار في موقعة خرفان الزيدية دافعاً على الاقدام على محاربة الصليحيين .

حاولت الزيدية الاستمرار في القتال، فعندما توجه الشريف الفاضل إلى (شوابة)

= أرحب المقحفي ، ص: 254 .

(140) مجهول : سيرة المكرم ، ص 79 - 81

(141) الربعي : سيرة ذي الشرفين ، ص: 156 – 158 ، المطاع تاريخ اليمن ، ص: 252 ، (أثافت) في بلاد حاشد بالشرق من مدينة خمر ، المقحفي ، ص: 13 .

سنة 460هـ /1068م . علم أن أحمد بن مظفر (بذروة) فأرسل إلى أخيه يستمده لمقاتلته ، فبعث إليه جماعة من أنصاره ، سار بهم إلى (ورور) وفيها اجتمع إليه الكثير من ذيبان وسفيان وبني بحير ونهم وبني الدعام ، فاتفق رأيهم على المسير إلى ذيبين لمحاربة الصليحيين . ومن جهة أحمد بن مظفر فقد انتقل من(ذروة) إلى (يناعة) وكان في قلة من أصحابه ، فأرسل إلى صنعاء يطلب المدد من المكرم ، فأرسل إليه جيشاً التقى بجيش الزيدية في (بركة مذود) قرب ذيبين ، حيث دار فيها قتال شديد أسفر عن هزيمة الزيدية ، وهروب الشريف الفاضل إلى الجوف[142] وعودة أحمد بن مظفر إلى صنعاء . وقد سميت هذه الواقعة بواقعة (ذيبين) .

التحصن في شهارة :

في الوقت الذي شعرت الزيدية فيه بشدة القتال بين قبائل اليمن والمكرم سنة 460هـ/1068م رأت أنه لابد من أن يتجهوا إلى تحصين أنفسهم من هجمات القوى المعادية لهم ، فعمدوا على اختيار منطقة محصنة طبيعياً إضافة إلى بعدها عن الصليحيين ووجود قبائل مناصرة لهم ، فاختاروا حصن (شهارة) شمال حجة كمركز يحتمون به ، فاستغلوا إنشغال الصليحيين في قتالهم ضد قبائل اليمن الأعلى ، وضد النجاحيين وأنصارهم في اليمن الأسفل ، فذهبوا إلى الاستيلاء على هذا الحصن في شهر رمضان سنة 460هـ/يوليو 1068م بواسطة الاتفاق والمساعدة من مشايخ الاهنوم في تلك المنطقة[143] . وبذلك تم للزيدية التحصن في شهارة .

وما أن تمكنت الزيدية من الاستيلاء على حصن شهارة ، حتى أسرعت إلى أنصارها

---

(142) الربعي : سيرة ذي الشرفين ، ص: 160 ـ 161 ، (ذي بين) مدينة بالشمال الغربي من صنعاء بمسافة 94 كم من قضاء عمران ، (ذروة) حصن منيع يطل على ذي بين من بلاد حاشد ، (شوابة) وادى من أعمال ذي بين (يناعة) بلد وواد في ناحية خارف بقضاء حمر ، المقحفي ، ص: 25 ، 366، 717 .

(143) الربعي : سيرة ذي الشرفين ، ص: 148 – 149 ، المطاع : تاريخ اليمن ، ص: 251 – 252 ، الكبسي : اللطائف ، ص: 36 ، عصام الدين ، اليمن في ظل الاسلام ، ص: 183 ، شهارة : جبل مشهور في بلاد الأهنوم شمال حجة ، المقحفي ، ص: 365 .

تحرضهم على الاسقرار في هذا الحصن ، فانتقلت إليه كثيرة من أنصار الشيعة الحسينية وبعض قبائل نهم وسفيان وغيرهم ، ثم أمر الشريف الفاضل أخاه ذا الشرفين الاتجاه للتمركز في هذا الحصن ، فذهب إليه وعمل على ترتيبه ، وأرسل العمال على أنحاء شهارة[144] . بذلك تمكنت الزيدية من إيجاد مركز محصن لها . ثم بدأت نشاطها السياسي في التوسع نحو المناطق المجاورة لشهارة .

حصار شهارة :

بعد أن مضت سنتان على تحصن الزيدية في حصن شهارة شمال حجة حاول الصليحيون مقاومتهم ، ولكن دون الدخول في صراع مع قبائل المناطق التي تواجدت بها الزيدية، لأن هذه القبائل لم تكنْ كلها مناصرة للزيدية، ولكن بعضاً منها، لذلك ظهر صراع الصليحيين ضد الزيدية ضعيفاً آنذاك ففي سنة462هـ/1069م.توجه الصليحيون بقيادة المكرم نحو(شهارة) ففرضوا عليها الحصار من جميع جهاتها،إذ أنهم أقاموا حولها أحد عشر مركزاً[145] ولكن لم يلبث المكرم أن أدرك صعوبة الاستيلاء على شهارة في فترة قصيرة ، فعاد نحو صنعاء تاركاً استمرار الحصار لبعض قواته بقيادة السلطان سبأ بن أحمد الصليحي وأبوا الحسين بن جناح وبعض الحجازيين فظل الحصار لمدة خمسة أشهر، واثناء الحصار عمل جياش بن نجاح على مناصرة الزيدية بالمال،فكان يبعث للشريف الفاضل ألف دينار شهرياً[146] .

وخلال المحاصرة استمرت عمليه شن الغارات والحروب المتقطعة بين الطرفين ، بلغت سبعين وقعه ، كانت آخرها وقعة (أقر) التي انتصرت فيها الزيدية وقتل فيها الكثير من الناس بلغ عددهم ما يزيد على الثمانمائة رجل[147] . بعدها انسحب الصليحيون إلى صنعاء . وقد أدى انتصار الزيدية على الصليحيين في شهار إلى إقبال العديد من القبائل

---

(144) الربعي : سيرة ذي الشرفين ، ص: 149 - 150 ، المطاع : تاريخ اليمن ، ص: 251 - 252 .

(145) الربعي : سيرة ذي الشرفين ، ص: 165 - 166 ، المطاع : تاريخ اليمن ، ص: 257 .

(146) الربعي : سيرة ذي الشرفين ، ص: 175 — 184 ، المطاع : تاريخ اليمن ، ص: 252 ، الكبسي : الطائف، ص: 36 .

(147) الربعي . سيرة ذي الشرفين ، ص: 167 - 177 ، يحيى بن الحسين : غاية الأماني: 1/ 262 .

المجاورة لها ، معلنة ولاءهاوطاعتها للزيدية[148] ومن الملاحظ أن المكرم وجيشه أدركوا أن قبائل شهارة هم الذين ساعدوا الزيدية على السيطرة على حصن (شهارة) ووقفوا لمناصرتهم ، لذلك ترك المكرم وجيشه محاصرتهم وعادوا إلى صنعاء تجنباً للدخول في قتال معهم .

استيلاء الزيدية على صعدة :

ساهمت الأحداث في صعدة على قدوم الزيدية إليها ، فقد حدث خلاف بين أولاد الهادي وأهل صعدة بشأن الخطبة في مسجدها لبني الصليحي ، إذ تزعم أهل صعدة كبارهم وصاحب الرأي فيهم جعفر بن الحسن الشمري ، حيث أجمع أهل الرأي فيها على الذهاب إلى صنعاء للاتفاق مع بني الصليحي على تدعيم حكمهم في صعدة . وآنذاك توجه رجلان من أولاد الهادي مع جماعة من الربيعيين إلى الشريف الفاضل ، يطلبون منه المساعدة لمنع أهل صعدة من طاعة الصليحيين والذهاب إليهم . وأثناء خروج أهل صعدة نحو صنعاء اعترضتهم الزيدية في(مذاب) بحرف سفيان ، فعادوا منها إلى برط ، ثم عادوا إلى صعدة[149] وأمروا خطيباً لهم بالصعود إلى منبر الهادي للخطبة لبني الصليحي ، فعارضهم على ذلك أولاد الهادي ، فوقع بين الطرفين مشاجرة أسفرت عن حدوث بعض الجراحات ، وتَغُلب أهل صعدة عليهم وطلوع خطيبهم المنبر والدعوة فيه للأمير المكرم .

وسرعان ما وصل هذا الخبر إلى الشريف الفاضل إلى شهارة ، فأمر القاسم بن إبراهيم بن سليمان على تجهيز الجيش من(الجوف)كما جهز هو جيشاً آخر من الاهنوم ، والتقى الجيشان في (الحيط) أسفل وادي مذاب ، ثم ساروا نحو صعدة ، فوصلوها في إحدى ليالي رمضان سنة 462هـ/يوليو 1070م فحاصروها من جميع أبوابها ، ثم دخلوها واستولوا على دار الامارة فيها ، ثم ضربوا الطبول والآبواق فارتاع الناس لذلك ، وأقبلوا في الصباح معلنين ولاءهم للزيدية وباذلين لهم الأموال والسلاح ، أما التجار فقد سجنهم

---

(148) الربعي : سيرة ذي الشرفين ، ص: 184 .

(149) الربعي : سيرة ذي الشرفين ،ص: 189 ـ 193 ، يحيى بن الحسين : غاية الأماني:262/1، المطاع: تاريخ اليمن ، ص: 260 .

الشريف الفاضل في درب الناصر ، كما ألقى القبض على زعيمهم جعفر بن الحسن الشمري وأرسله إلى(شهارة) فظل في سجنها إلى سنة 470هـ / 1077م بذلك تمكنت الزيدية من الاستيلاء على صعدة ، بعدها عاد الشريف الفاضل إلى شهارة (150) .

ونتيجة لأن السيطرة على صعدة كانت نتاجاً عن صراع قبلي فيما بين قبائلها واستعانة بعضهم بالزيدية ، فقد ترك المكرم والصليحيون الذهاب لاسترجاعها ، وخاصة أنهم قد أهملوا الاهتمام بصعدة عندما سحبوا واليها أحمد بن مظفر الصليحي ليتولى صنعاء بجانب المكرم أثناء ذهاب علي الصليحي للحج .

التوسع في حجه :

1 ـ طلوع مسور :

أسهم الخلاف القبلي بين بني المنتاب وبني شاور حول السيطرة على مسور حجة وتمكن الزيدية من الاستيلاء على (شهارة) على خروج المناطق المجاورة لها عن طاعة الصليحيين ، وميلهم إلى الزيدية ، من ذلك أهل (مسور) حيث كتب السلطان المنصور بن الحسين بن المنتاب في شهر رمضان سنة 464 هـ/مايو 1072م إلى الشريف الفاضل وأخيه ذي الشرفين يخبرهما أنه دخل في طاعتهما ، وأنه سيعمل على الاستيلاء على(حصن مسور) ويطلب منهما نصرته، فكان ذلك فرصة ثمينة للزيدية أن تتوسع بسلطانها،فاستجاب لطلبه وما أن تمكن المنصور بن المنتاب من السيطرة على مسور حتى أسرع في الكتابة إلى ذي الشرفين يستعجله القدوم إليه، وذلك بسبب خوفه من بني صليح وبني عمه وقرابته وبقية العشائر هناك من محاولتهم استعادة الحصن، فأسرع ذو الشرفين بجيش كبير سار بهم نحو مسور ، فلما وصل إليه انتشر الخبر بوصوله فأقبلت عشائر مسور معلنة له الطاعة والولاء (151) بعدها استقر ذو الشرفين في مسور وهكذا ساهم الصراع القبلي بين بني المنتاب

---

(150) الربعي : سيرة ذي الشرفين ، ص: 191ـ193 ، يحيى بن الحسين : غاية الأماني: 1/ 262 ـ 263 ، المطاع: تاريخ اليمن ، ص: 260 ، عصام الدين : في ظل الاسلام ، ص: 184 .

(151) الربعي: سيرة ذي الشرفين، ص 200 ، يحيى بن الحسين . غاية الأماني : 264/1 ، المطاع: تاريخ اليمن، ص: 261 ، عصام الدين : اليمن في ظل الاسلام، ص: 184 .

وعشيرته في استيلاء الزيدية على مسور .

حاولت بنو شاور وهم المنافسون لبني المنتاب في امتلاك حصن مسور ، عدم دفع خراج أراضيهم للزيدية ، فأرسل ذو الشرفين إلى أخيه الشريف الفاضل يطلب تجميع أنصارهم والقدوم لمحاربة بني شاور ، فحضر الشريف الفاضل بجيشه ودارت معركة كبيرة بين الطرفين أسفرت عن انتصار الزيدية وانهزام بني شاور[152] وبذلك توطدت سلطة كل من بني المنتاب والزيدية في مسور بمساعدة كل منهما الآخر .

لم تتوقف المعارضة القبلية للزيدية في تلك المنطقة ففي سنة 464هـ/1072م عارضت الزيدية ، بنو عامر في جبل الساعد من بلد حجور بحجة ، بقيادة السلطان حسين بن مفلح العامري ، فأرسل ذو الشرفين إلى أخيه الشريف الفاضل الذي خرج إليهم بجيشه فقاتلهم حتى هزمهم ، وقتل قائدهم حسين بن مفلح[153] . وبعد ذلك الانتصار أقبلت الكثير من العشائر في تلك الجهات على طاعة الزيدية ، منهم من تهامة بنو مشعل ، وبنو شابرة ، ونمرة ، وصاحب عمدة صحار ، وأسعد بن عراف من المهجم[154] . بذلك عملت التجمعات القبلية على تأييد الزيدية والخضوع لها والهروب من سلطان الصليحيين .

وبعد أن وطدت الزيدية سلطانها في مسور حجة بمساعدة قبائلها ، اتجهوا للتوسع في المناطق المجاورة لها والتابعة للصليحيين فتوجهت الزيدية نحو حصن القفل(بحفاش) لمقاتلة من به من بني الصليحي ، فساروا حتى وصلوا إلى الحصن فحاصروه من جميع جهاته ، بعد ذلك طلعت فرقة الشريف الأجل نحو الجبل فالتقت بعسكر السلطان محمد بن إبراهيم الصليحي ، فدار قتال شديد بين الطرفين أسفر عن هزيمة الصليحيين وقتل الكثير منهم ، من بينهم السلطان عبد القاهر بن الحسين الهمداني ، والقوا القبض على السلطان أبي الحسين بن إبراهيم الصليحي ، والسلطان محمد بن إبراهيم الصليحي ، ووزيرهما عبد الخالق ،

---

(152) الربعي : سيرة ذي الشرفين ، ص: 201 ، عصام الدين : اليمن في ظل الاسلام ص: 184 .

(153) الربعي : سيرة ذي الشرفين ، ص: 204 ، المطاع : تاريخ اليمن ، ص: 261 .

(154) الربعي : سيرة ذي الشرفين ، ص: 207 .

وغنمت الزيدية الكثير من أموالهم وسلاحهم[155] وهكذا توسعت الزيدية نحو المناطق التابعة للصليحيين دون أن يتمكن المكرم من تقديم أي مساعدة لهم. وبعد ذلك عادت الزيدية إلى مسور ، وارسلوا بالأسرى إلى(شهارة)[156] وخلال تلك الفترة شعرت الزيدية بعد توسعها ذلك ، أنه حان لها أن تصدر عملة نقدية يتعامل بها أتباعها والتخلي عن استخدام عملة الصليحيين. ففي سنة 464هـ/1072م عملت الزيدية على إنشاء دار لضرب العملة في(شهارة)[157] وهي ما تعبر عن إقامة دولتهم بكيانها الخاص المستقل ، وهكذا توسعت دولة الزيدية ، ومن الملاحظ أن المكرم لم يحاول استعادة مناطق حجة والمناطق المجاورة لها ، وذلك بسبب أن السيطرة على تلك المناطق تمت عن طريق الصراع القبلي فيما بين قبائلها .

ما كادت تمضي مدة سنتين على استيلاء الزيدية على مسور والمناطق المجاورة لها في حجة بمساعدة قبائلها ، حتى حدث الخلاف بينهم وبين بني المنتاب حول تبعية المناطق التي فتحت في تلك الجهات . لذلك أرسل ذو الشرفين الذي كان قد جعل حصن مسور مقراً له إلى أخيه الشريف يطلب سرعة حضوره لحل هذا الخلاف . وحرصاً من الشريف الفاضل أن تظل مسور وحجة تابعة للزيدية ، فقد أسرع في الاتجاه نحوها بهدف حل المشكلة ، ولما حضر إليهم ، أراد إدخال الثقة بين ذي الشرفين والحسين بن المنتاب ، فأمر ابن المنتاب أن يحلف اليمين لذي الشرفين على طاعته[158] . ولما حلف له حكم الشريف الفاضل أن تكون لابن المنتاب مخاليف مسور التي كانت تعرف في عصر أبيه من قديم الزمان ولا يعودها إلى غيرها مما أفتتحه الأمير ذو الشرفين من البلدان[159] .

---

(155) الربعي : سيرة ذي الشرفين ، ص: 214 ، يحيى بن الحسين : غاية الأماني :1/264 ، المطاع: تاريخ اليمن، ص: 261 .

(156) الربعي : سيرة ذي الشرفين ، ص: 215 ، يحيىبن الحسين : غاية الأماني: 1/ 264 - 365 .

(157) الربعي: سيرة ذي الشرفين ، ص: 212 - 213 ، المطاع : تاريخ اليمن ، ص: 262 .

(158) الربعي : سيرة ذي الشرفين ، ص: 215 - 216 .

(159) الربعي : سيرة ذي الشرفين ، ص: 216 .

إلا أن هذا الحل لم يكن مقنعاً للمنصور بن المنتاب لأنه كان يريد (أن يكون الأمر كله إليه) بحيث تكون له مسور وما جاورها ، ولاعتين وحملان ، وأردان ، وعيان ، وقيلاب، والتهائم، كما أن هذا الحل لم يكن مقنعاً لذي الشرفين لأنه كان يتحمل تكاليف الانفاق على الجند والحراس في مسور ، حيث كان يجلبها من أعمال شهارة . إلا أن الشريف الفاضل أراد من أخيه التنازل عن بعض الأمور والإغماض عنها ، وانتهي الأمر بحل المشكلة حسب ما اقترحه الشريف الفاضل السابق الذكر ، وحتى لا يعود الخلاف بين الطرفين ، قعد الشريف الفاضل آنذاك في مسور ، بينما قعد ذو الشرفين في الطويلة [160] .

والذي يتضح من ذلك أن الشريف الفاضل كان يهدف من خلال الزام ابن المنتاب بحلفه اليمين ، هو استمرار طاعته للزيدية ، ولا يمنع من تركه يحكم المناطق التابعة لآبائه . ما دام مطيعاً للزيدية ولو إسمياً ، أما ذو الشرفين فقد كان يريد أن تكون السيطرة الفعلية له على تلك المناطق لعدة أسباب منها شحن تلك المنطقة بالجند لمقاومة الصليحيين ، وأن الانفاق عليهم من مالية شهارة .

التوسع في غرب صنعاء:

طلوع حصن يناع :

بسبب الخلافات القبلية حول السيطرة على (حصن يناع) بين بني جناح أدى إلى أن يلجأ أحد سلاطينها لطلب مساعدة الزيدية ضد بني عمه الموالين للصليحيين مستغلاً ظهور الزيدية ، ففي سنة 464 هـ / 1072م توجه السلطان محمد بن ورقاء من بني جناح من (يناع) إلى مسور معلناً تأييده للزيدية ، ويطلب منهم مناصرته للاستيلاء على (حصن يناع) فكان ذلك فرصة للزيدية أن يصبح لها تواجد في تلك المنطقة فوافقت على ذلك ، ولما عاد السلطان محمد بن ورقاء إلى بلاده ، تمكن من طلوع (حصن يناع) وأنزل من مكان به من خدم بني عمه السلطان أبي الحسين بن جناح الموالى للصليحيين ، ثم كتب إلى ذي الشرفين يطلب سرعة نجدته ، فأرسل له حمدان بن القاسم ، فسار إلى الحيمة ، ولما وصله علم

---

(160) الربعي : سيرة ذي الشرفين ، ص: 216 .

أن بني الصليحي قدموا من صنعاء إلى يفاعة ، كما علم أن محمد بن ورقاء نزل من الحصن وأصبح الحصن خالياً من الفرقتين ، لذلك وقف حميدان مكانه يستطلع الأخبار [161] .

وفي غضون ذلك طلعت جماعة مؤيدة للزيدية جبل حضور (النبي شعيب) فاستولوا عليه فادرك الصليحيون أنهم غير قادرين على مقاومة الزيدية وقبائل المنطقة فأرادوا العودة إلى صنعاء ، وأثناء انسحابهم هجم عليهم بعض أهل حضور ، كما نزل من في جبل النبي شعيب فقاتلوا بني الصليحي حتى هزموهم وقتلوا الكثير منهم ، فضلاً عن غنيمتهم للكثير من أموالهم [162] .

وبعد مضي سنتين من سيطرة الزعامات القبلية المناصرة للزيدية على (حصن يناع) حاول الصليحيون بقيادة المكرم سنة 466 هـ/1073م الذهاب نحو (يناع) لاسترجاعها من الزيدية ، فساروا حتى وصلوا (عرذيب) فعسكروا بها ، ومنها ذهبت جماعة منهم للسيطرة على جبل (النبي شعيب) كذلك حرضوا قبائل حراز للقتال معهم ، فخرج أهل حراز حتى وصلوا وادي شم ، فالتقت بهم جماعة من أنصار الزيدية فقاتلوهم في (شم) حتى انتصرت الزيدية عليهم [163] . وآنذاك لم تهمل زعامات الزيدية من مناصرة الزعامات القبلية الموالية لها في (يناع) بل أسرع ذو الشرفين في التوجه إليها لخوفه من تمكن الصليحيين من استعادتها ، فسار إليهم في شهر رجب سنة 466 هـ / مارس 1074 م بجمع كبير من قواته ، تمكن من دخول الحصن قبل بني الصليحي ولكنه لم يبق في الحصن غير ، سبعة أشهر ، انتهت بتمرد أهل يناع عليه ، ونزوله منه [164] .

---

(161) الربعي : سيرة ذي الشرفين ، ص: 220 ، يحيى بن الحسين : غاية الأماني 1/ 265 ، المطاع : تاريخ اليمن ، ص: 262 ، عصام الدين ، اليمن في ظل الاسلام ، ص: 185 ، يناع / حصن منيع في عزله الجدعان بالحيمة الداخلية ، المقحفي ، ص: 707 .

(162) الربعي : سيرة ذي الشرفين ، ص: 220 ، يحيى بن الحسين : غاية الأماني : 265/1 ، المطاع: تاريخ اليمن ، ص: 262 .

(163) الربعي:سيرة ذي الشرفين، ص:225، يحيى بن الحسين:غاية الأماني:266/1،المطاع:تاريخ اليمن،ص:263.

(164) الربعي : سيرة ذي الشرفين ، ص. 230 .

السيطرة على شمال صنعاء :

شعر الصليحيون بالضعف أمام التجمعات القبلية مع الزيدية ضدهم ، من ذلك عبد الله بن محمد اللهابي وهو أحد قادة السلطان أحمد ابن مظفر، وكان متولياً من قبله على حصن (ذروة) قرب ذيبين ، وعندما علم باستيلاء الزيدية على (يناع) خاف على نفسه منهم فنزل من حصنه سنة 464هـ/1071م متجهاً نحو صنعاء ، فلما وصل منطقة الصيد (البون) اشتبكت معه جماعة من أهلها ممن كانوا مناصرين للزيدية ، فقاتلوه قتالاً شديداً حتى قتلوا الكثير من رجاله ، أما هو فقد خلص بنفسه وهرب منهم [(165)] ولما علمت الزيدية بنزوله من الحصن ، توجهوا إليه بقوات كثيرة ، فحاصروا من بقي به من الصليحيين ، ثم اقتحموا الحصن بالقوة وسيطروا عليه [(166)] .

لذلك أظهرت القبائل استعدادها لمناصرة الزيدية ضد الصليحيين ، ففي سنة 465 هـ/ 1072م طلبت قبائل (زجان) من الشريف الفاضل عندما كان معسكراً في (مدار) أن يساعدهم على السيطرة على حصن (ذمرمر) قرب صنعاء ، وإخراج بني الصليحي منه ، فأرسل معهم جماعة من أصحابه ، فساروا نحو الحصن فسيطروا عليه ، وأخذا من به من الصليحيين أسرى ، ثم تولى الحصن رجل من الشيعة الموالين للزيدية اسمه سبأ بن شمر من جنب [(167)] بذلك أصبحت الزيدية تشكل خطراً على صنعاء عاصمة الصليحيين .

السيطرة على شمال غرب صنعاء :

حاولت الزيدية التوسع في الاستيلاء على حصون شمال غرب صنعاء ، إما بقواتها أو عن طريق تحريض القبائل ضد الصليحيين ، ومساعدتها على الاستيلاء على حصونها منهم . فلما كان ذو الشرفين في الطويلة ، توجهت قواته نحو حصن (يريم بالرجم) فاستولوا عليه بالقوة بعد حصار دام شهرين ، انتهي بقتل الكثير ممن كانوا في الحصن وأسر

---

(165) الربعي : سيرة ذيى ذي الشرفين ، ص: 220 - 221 .

(166) الربعي : سيرة ذي الشرفين ، ص: 221 ، يحيى بن الحسين : غاية الأماني : 1/ 265 ـ 266 ، (ذمرمر) حصن بالشمال الشرقي من صنعاء بمسافة 8 كيلو متر ، المقحفي ، ص: 255 .

(167) الربعي : سيرة ذي الشرفين ، ص: 224 ، (الرجم) ناحية من الطويلة ، المقحفي ، ص: 263 .

الباقين[168] .

ومن جهة الزعامات القبلية فقد استمرت في إعلان موالاتها للزيدية ، والاستعانة بهم من أجل السيطرة على حصونها . ففي سنة 465 هـ / 1072م وصل مشائخ (حضور) قرب (ثلاء) إلى ذي الشرفين إلى الطويلة ، يطلبون مساعدته للاستيلاء على حصن(حضور المصانع) فأرسل معهم جماعة من أصحابه تمكنوا من السيطرة عليه[169] .

كذلك وصل إلى ذي الشرفين سنة 465هـ/1072م إلى (عُر براود) جماعة من الحميريين ، يطلبون منه مساعدتهم على السيطرة على حصن (بكر) فأرس معهم جماعة من رجاله ساعدوهم على السيطرة عليه[170] .

كما وصل إلى ذي الشرفين إلى (عرِّ عستن) مشائخ الاعدار ، سنة 465هـ/1072م يطلبون منه إرسال بعض أنصاره للسيطرة على حصن (القُرَانع) فأرسل معهم الحسن بن علي العلوي التهامي والياً على الحصن[171] .

كذلك استغل أهل(ثُـلا) فرصة وجود الشريف الفاضل في(شوابة) سنة 465 هـ /1072م فاتجهت إليه جماعة منهم طالبين منه إمدادهم بالجند للسيطرة على حصن ثلا لخوفهم من سبق الصليحيين الاستيلاء عليه ، فأرسل معهم جماعة من أنصاره بقيادة الشيخ محمد بن كليب الحدي ، تمكنوا من طلوع الحصن قبل بني الصليحي ، وآنذاك حاول المكرم وعامر الزواحي محاصرة حصن (ثلا) ومراسلة من في الحصن من أنصارهما ولكن أنصار الزيدية ألقت القبض عليهم وسجنتهم ، واستمرت القبائل والزيدية ترسل الإمدادات لمناصرة أهل

---

(168) الربعي : سيرة ذي الشرفين ، ص: 222 .

(169) الربعي : سيرة ذي الشرفين ، ص: 221 ـ 222 ، (حضور المصانع) هو حضور الشيخ جبل شامخ في القرب الشمالي من صنعاء مطل على مدينة ثلاء، المقحفي، ص: 180 .

(170) الربعي : سيرة ذي الشرفين ، ص: 222 ، (بكر) حصن يحاذي كوكبان ويطل على مركز الطويلة ، المقحفي . ص: 83 .

(171) الربعي : سيرة ذي الشرفين ، ص: 222 (القرانع) حصن يطل على مدينة الطويلة ، المقحفي ، ص: 511 .

ثلاء ، فلما تعذر على المكرم والزواحي الاستيلاء على حصن (ثلا) دون الخوض بحرب طويلة معهم. فضلا الانسحاب وتركا القبائل والزيدية تسيطر على الحصن [172] .

ومن الملاحظ أن المكرم والصليحيين تركوا الدخول في صراع مع القوى القبلية المستعينة بالزيدية في شمال وشمال غرب صنعاء ، والتي ظهرت لتصارع قوى قبلية أخرى ، حول تولي حصون مناطقها ، رغم تمركز عامر الزواحي في شبام كوكبان قريباً من تلك الحصون التي استولت عليها القوى القبلية ، ورغم خروج المكرم بقواته إلى شهارة ثم انسحابه منها ، وذلك تجنباً من الدخول في صراع قبلي لا تستفيد منه الدولة الصليحية مالياً وعسكرياً .

هجوم الزيدية على صنعاء من الغرب والشمال :

في الوقت الذي كان الصليحيون فيه يريدون استعادة حصن (يناع) سنة 466هـ/1073م حاولت الزيدية فتح جبهة على بني الصليحي من جهة شمال صنعاء ، وذلك بهدف تخفيف هجوم بني الصليحي على (يناع) فقد نزل الشريف الفاضل من (مسور) وسار نحو (ثلاء) فجمع الكثير من أنصاره الشيعة والهمدانيين والبكيليين ، وسار بهم حتى نزل في سهل (علمان) قرب صنعاء ، وشن الغارات على الصليحيين ، فوصلت غاراته إلى (الجراف) وإلى مزارع (شعوب) فخاف منه أهل صنعاء فأغلقوا أبوابهم ، ثم توجه الشريف الفاضل نحو حصن (ذمرمر) في شهر رمضان سنة 466هـ / 1074م . ومنه شن الغارات المتعددة على صنعاء حتى وصلت غاراته أبواب صنعاء [173] .

وفي نفس الوقت الذي كانت الزيدية فيه تهاجم شمال صنعاء ، حاولوا تشديد القتال على الصليحيين من جهة غرب صنعاء ، فعمل ذو الشرفين على مكاتبة بني شهاب لمناصرته ، فاستجابوا له ، إلا أنه لم يثق بهم ، فتركوا عنده ستة رهائن من سلاطينهم دليلاً على التزامهم

---

(172) الربعي : سيرة ذي الشرفين ، ص: 223 – 224 ، (ثلا) على بعد 45 كيلو متراً من صنعاء بالشمال الغربي ، المقحفي ، ص: 99 قرب شبام كوكبان .

(173) الربعي : سيرة ذي الشرفين ، ص: 231 ، يحيى بن الحسين : غاية الأماني ،ص: 266 -267 ، =

بعناصرته ، ثم ساروا إلى (بيت يرام) في بني مطر في شعبان سنة 466هـ/ابريل 1074م . وفيها اتفقوا على تقسيم جمعهم ذلك إلى ثلاثة فرق ، فرقة تذهب إلى (قرن عنتر) وفرقة تذهب إلى (فيفان) أما الفرقة الثالثة فتبقى في (بيت يرام) ومن جهة الصليحيين فقد حاولوا الاتجاه نحو(قرن عنتر) فحاصروه ، وأرادوا طلوع الحصن والاستيلاء عليه بالقوة ، فدارت معركة كبيرة بين الطرفين ، انتهت بهزيمة الصليحيين وانسحابهم نحو صنعاء ، فلحقت بهم أنصار الزيدية تطاردهم حتى وصلوا إلى نقيل (حدة) قرب صنعاء كذلك استمر ذو الشرفين يشن الغارات المتعددة على الصليحيين من تلك الجهة حتى وصلت غاراته إلى غيل البرمكي بصنعاء[174] ، والواقع أن هذا الهجوم المركز على صنعاء من قبل الزيدية والقبائل المناصرة لها ، جعلت الصليحيين يفكرون في نقل عاصمتهم من صنعاء إلى ذي جبلة كما سيتضح فيما بعد .

انتهاء الزيدية :

على أن العلاقة الطيبة التي قامت بين الدولة الزيدية والقبائل لم تظل مستمرة على ذلك ، فمثلما كانت الزعامات القبلية هي العامل المساعد لمناصرة الزيدية ، فقد كانت عاملاً مساعداً على انتهاء سلطانها على الكثير من المناطق اليمنية ، فقد تخلت القبائل عن مناصرة الزيدية فجأة ، بل واتجهت لمحاربتهم ، فمن جهة عشائر مغارب اليمن ، فقد كان (فسادهم بسبب العمال واستلحاق الأموال وسوء السياسة)[175] . وقد قاموا بمراسلة جميع العشائر من جميع البلدان على التعاون والتآمر معهم على الفساد ضد الزيدية ، فاستجابوا لهم ، أما من جهة عشائر أهل المشرق فقد استمالهم بنو الصليحي بالأموال . ولما شعر ذو الشرفين بتمرد القبائل ضدهم ، عمل على النزول من حصن (يناع) الذي كان متمركزاً فيه ، فخاف أن يصطدم بالمفسدين أثناء سيره في الطريق ، فكتب إلى أخيه الشريف الفاضل يطلب إمداده بالجند ، فأرسل إليه جماعة كبيرة من قادته وجنده ، وبعد أن وصلوا إليه إلى (يناع) خرجوا مع

= المطاع : تاريخ اليمن ، ص: 263 .

(174) الربعي سيرة ذي الشرفين ، ص: 236 - 237 .

(175) الربعي · سيرة ذي الشرفين ، ص: 237 ، المطاع : تاريخ اليمن ، ص: 265 .

ذي الشرفين في شهر محرم سنة 467 هـ / أغسطس 1074م ، وساروا عبر طريق (سهمان) في بني مطر ، حتى وصلوا إلى قرية (حضور المصانع) حيث التقوا بها بالشريف الفاضل ، ومنها صعدوا حصن (ثلاء)[176] . وبذلك انتهت سيطرة الزيدية عن غرب صنعاء دون أن يبذل الصليحيون أي مجهود في ذلك .

وفي الوقت الذي كان الشريف الفاضل فيه وأخوه في ثلاء . وصل إليه مشائخ (مسور) بحجة، يخبرونه بخلاف أهل (مسور) عنه ففضل الذهاب لقتالهم بدلاً من قتال الصليحيين ، وسار بجيشه إلى حصن مسور ثم توجه لقتال من بحوله من المفسدين عليه ، فلما وصل إلى (المَشْوَرَة) قاتله أهلها قتالاً شديداً أسفر عن هزيمة الزيدية وقتل الكثير منهم ، وانسحاب الشريف الفاضل إلى (أقر) في شهارة[177] ، بعد ذلك أيقنت الزيدية عدم مقدرتها على محاربة القبائل مع الصليحيين ، لأن القبائل كانوا يمثلون الدعامة الأساسية لقوة الزيدية ولذلك تخلى قادة الزيدية وشرفائهم وسلاطينهم عن ما كان بأيدهم من الحصون فنزلوا منها وساروا إلى مقرهم الأساسي في شهارة،وآنذاك فضل الشريف الفاضل التخلي عن السياسة والحرب نهائياً والاتجاه إلى الزراعة[178] . وقد علل يحيى بن الحسين تخلي الشريف الفاضل وأخيه ذي الشرفين عن الحرب بقوله:(وأعرضا عن الحرب لما كثرت عليهما مواد الأجناد،ورأوا تغير أحوال الرعية)[179] .

نهاية الشريف الفاضل :

وعلى أثر تمرد القبائل ضد الزيدية ، فضل الشريف التخلي عن الحرب والاتجاه إلى الزراعة ، فتوجه إلى ضيعة(عمران) بالجوف وعمل على إعادة غيل الخارد إلى مجراه القديم الذي كان يمر بهذه الضيعة ، وقسم المزرعة ثلاثة أقسام ، قسم لبني نهم ، وقسم لبني الدعام

---

(176) الربعي : سيرة ذي الشرفين ، ص: 238 ، المطاع : تاريخ اليمن ، ص: 265 .

(177) الربعي : سيرة ذي الشرفين ، ص: 238 - 240 ، المطاع : تاريخ اليمن ، ص: 266 .

(178) الربعي : سيرة ذي الشرفين ، ص: 242 ، المطاع : تاريخ اليمن ، ص: 266 .

(179) يحيى بن الحسين : غاية الأماني ،ص : 267/1 .

والقسم الثالث له ولصنوه ذي الشرفين[180] ، وبدأ العمل على عمارة الساقية والدرب وداراً له ، إلا أن هذا التقسيم لم يقتنع به بنو نهم ، وبدلاً من اتجاههم إلى مطالبة الشريف الفاضل بإعادة التقسيم ، اتجهوا إلى التخلص منه ، فأثناء ما كان العمل جارياً على إصلاح الدرب والساقية ، استغل الرافضون لهذا التقسيم نزول الشريف الفاضل ليستحم في الغيل ، فهجموا عليه وقتلوه ، ونهبوا ما كان معه من السلاح [181] وكان قتله في ذي الحجة سنة 468هـ / 1076م [182] . وبذلك انتهت أهم شخصية زيدية قاومت المكرم .

حاول ذو الشرفين الثأر لأخيه الشريف الفاضل ففي سنة 469هـ/1076م كتب إلى جميع القبائل القدوم لمناصرته بأخذ الثأر ، فقدم إليه جمع كبير من القبائل سار بهم نحو (الجوف) فقاتلهم قتالاً شديداً حتى تمكن من قتل الكثير منهم وأخذ الثأر لأخيه ، ثم عاد إلى شهارة [183] .

موت ذي الشرفين :

ظل ذو الشرفين في(شهارة) وقد حاول العديد من المرات استعادة مكانة ، الزيدية السياسية والعسكرية ولكنه لم يتمكن من ذلك ، ثم داهمه المرض سنة 473 هـ / 1080م وظل المرض يعاوده مراراً حتى داهمه للمرة الأخيرة سنة 478هـ/1085م فمات منه وذلك في المحرم من سنة 478 هـ/ابريل 1085م [184] .

نخلص مما تقدم إلى أن المكرم اهتم بمحاربة الزعامات القبلية في اليمن الأعلى خلال عامي 460هـ - 461 هـ مثل (ذيبان) شمال صنعاء ، وحمير مغارب صنعاء ، وهي القبائل التي

---

(180) الربعي : سيرة ذي الشرفين ، ص: 243 .

(181) الربعي : سيرة ذي الشرفين ، ص: 246 .

(182) يحيى بن الحسين : غاية الأماني: 268/1 ، المطاع : تاريخ اليمن ،ص: 266 - 267 ، الكبسي : اللطائف ، ص: 73 - الواسعي: تاريخ اليمن ، ص: 185 .

(183) الربعي : سيرة ذي الشرفين ، ص: 246 - 256 ، الكبسي : اللطائف ، ص: 37 .

(184) الربعي : سيرة ذي الشرفين ، ص: 279 - 280 ، يحيى بن الحسين : غاية الأماني: 1/ 270 ، المطاع تاريخ اليمن ، ص 269 ، الكبسي : اللطائف ، ص. 38

اغرتها الزيدية على الخروج ضد المكرم ، ونشـرت فيهـا فكـرة المهـدي المنتظـر ، كمـا اهتـم بمحاربة زعامات اليمن الأسفل ، مثل بني التبعي والكـلالي ، وابـن وائـل الوحـاظي ويحصـب ورعين وعنس وهي القبائل الـتي حرضهـا بنـو نجـاح لرفـض طاعـة المكـرم ، وقـد تمكـن مـن الانتصـار علـى هـذه القبـائل الـتي حاربهـا وإعادتهـا إلى الخضـوع لسـلطانه ، كذلـك اهتـم باستخلاص أمه من الأسر من زبيد ، والثأر لأبيه والصليحيـين مـن سـعيد الأحـول ، وإعـادة سيطرة الدولة الصليحية على تهامة ، وإنهاء الدولة النجاحية منها .

أما بالنسبة لصراع بني المنتاب وبني شـاور في مسـور حجـة سـنة 464 هـ / 1071 م حول السيطرة عليها ، وميل بني المنتاب للزيدية ، وتوسعهم في السيطرة على المناطق المجـاورة لها ، فإن المكرم لم يتدخل بهذا الصراع ، على اعتبـار أنـه صـراع قبلـي تـرك أمـره إلى قبـائل المنطقة نفسها .كما كان ذلك موقف المكرم تجاه صراع بني جناح حول السيطرة على حصن (يناع) بالحيمة سنة 464هـ / 1071م ففي البداية لم يتدخل في ذلك الصراع ، ولكن عاد إلى التدخل في هذا الصراع سنة 466 هـ / 1073م فحاول استعادة هذا الحصن لقربه من صنعاء ، إلا أنه فشل في استعادته . ولنفس السبب السابق وهو عدم دخول المكرم في الصراع القبلـي فقد توقف عن الدخول في الصراع مع الزيدية والقبائل المناصرة في توسعهم في شمال غـرب صنعاء سنة 465 هـ / 1072م .

والذي يبدو أن المكـرم تـرك الدخـول في الصـراع مـع قبـائل اليمـن الأعلـى الموالـية للزيدية ، لأن القبائل كانت دائمة الخروج والعصيان . وهذا يكلف المكرم ودولته الكثير من الانفاق يفوق مقدرة تلك المناطق المالية ، كمـا أن الحاميـات الـتي تركهـا المكـرم في حصـون اليمن الأعلى المتعددة لم تكن قادرة على الاسـتمرار في القتـال بعددهـا القليـل . لذلـك تـرك الصليحيون الدخول في صراع قبلي في تلك المناطق ، لعدم جدوى ذلك الصراع .

والواقع أن الدولة الصليحية عندما عملت على عدم الدخول في صـراع مـع القبـائل المناصرة للزيدية في عهد المكرم،جعلت هذه القبائل والزيدية يتوسعون كثيراً نحو مدينة صنعاء لاسقاطها، فهاجموها من أطرافها الشـمالية الغربيـة سـنة 466 هـ / 1073م كـادت تسـقط في أيديهم . إلا أن هذا التحالف القبلي مع الزيدية لم يدم ، فقد أحجمت القبائل عن منـاصرتهم

للزيدية بل اتجهوا لمحاربتهم ، مما أدى إلى نهاية السيطرة الزيدية على الكثير من مناطق اليمن الأعلى

ألقاب المكرم:

بعد الانتصار الذي حققه المكرم على النجاحيين ، منحه الخليفة المنتصر الفاطمي عدة ألقاب إضافية إلى ألقابه السابقة التي منحت له منذ توليه ولاية العهد . وهذه الألقاب هي الآتي :(الأجل ، الأوحد ، المنصور ، العادل ، المكرم ، عمدة الخلافة ، تاج الدولة ، سيف الإمام ، المظفر في الدين ، نظام المؤمنين ، عماد الملة وغياث الأمة ، شرف الايمان ، مؤيد الاسلام ، عظيم العرب ، سلطان أمير المؤمنين وعميد جيوشه أبي الحسن أحمد بن الأجل) [185] ومن الملاحظ أن المكرم ورث عدة ألقاب من أبيه مثل عمدة الخلافة ، تاج الدولة ، نظام المؤمنين . كما أن هذه الألقاب وردت جميعها منذ سنة 461 هـ وما تلاها من سنوات سجلات المراسلة له من الخلافة الفاطمية سنة 468 هـ وسنة 476 هـ [186]

المكرم وبنو معن :

كان تخلي قبائل اليمن الأعلى عن خروجها ضد المكرم ، وتخليها عن مناصرتها للزيدية في مطلع عام 466 هـ / 1074م فرصة للمكرم أن يتوجه إلى عدن لاعادتها لسلطانه، وكان بنو معن قد استقلوا بها منذ قتل علي الصليحي سنة 459 هـ . ولم يتمكن المكرم من الاتجاه إليهم ، بسبب محاربته لبني نجاح والزيدية مع قبائل اليمن الأعلى . فلما هدأت الحروب المعادية للمكرم ، توجه إلى عدن وكان ذلك في شعبان سنة 467 هـ/مارس 1075م ولما قارب الوصول إليها خاف منه حاكمها محمد بن معن ، فهرب منها أواخر شعبان من نفس تلك السنة ، واتجه نحو (أحور) فاتاح ذلك فرصة للمكرم أن يستولي على عدن ولحج وأبين وسبأ صهيب وجميع قرى ما بين عدن ، والفرضة (الميناء) [187] .

وآنذاك رأي محمد بن معن أنه لا يمكن له أن يقاوم المكرم وأن يبقى خارجاً عن سلطانه

---

(185) السجلات المستنصرية ، ص: 140 ، 143 ، 206 .

(186) السجلات المستنصرية ، ص: 140 ، 143 ، 206 . انظر حسن ابراهيم: الدولة الفاطمية، ص: 243.

(187) روضة الجحوري ،ورقة 485 ، عمارة : تاريخ اليمن ، ص: 173 هامش .

لذلك فكر في الاتجاه إلى المكرم لمصالحته ، ورأى المكرم من جهته أنه لابد من الاستعانة ببني معن وإنهاء حربه معهم ، فصالحهم ، بعد هذه المصالحة ، استقر محمد بن معن في أبين . وكما يبدو أن المصالحة كانت تهدف أن تقسم مالية عدن أو الضرائب المفروضة على التجارة ، بين الطرفين . لذلك ترك المكرم فيها القاضي حاتم بن الغشيم اليامي نائباً له ، كما ترك محمد بن معن ابن الدهاني نائباً له بها [(188)] .

استمرت هذه المصالحة سنة وأربعة أشهر ثم نقضت ، وذلك كما يبدو بسبب قتل حاتم بن الغشيم اليامي لابن الدهاني في ذي الحجة من سنة 468 هـ/يوليو 1075م مما جعل محمد بن معن يتجه للسيطرة على عدن ، فأدى ذلك إلى إساءة العلاقات بينه وبين المكرم . اضطر المكرم أن يتجه إلى عدن للمرة الثانية في نفس الشهر وهو ذي الحجة من سنة 468 هـ/يوليو 1075م ، فاستولى عليها وعلى أبين ولحج. وبالرغم من ذلك فقد عاد بنو معن مرة أخرى إليها فصالحهم المكرم في نفس السنة، على أن يتركوا للمكرم باب عدن ونصف قوانينه (أي نصف مالية ضرائب ميناء عدن) علاوة على تركهم له مناطق العارة ولحج وأبين. وفي هذه المرة ترك المكرم بنو زريع حكاماً على عدن ، يجمعون الأموال ويقسمونها بين المكرم وبني معن. أما محمد بن معن فقد استقر في منطقة (أحور) وهي المنطقة التي هرب اليها في المرة الأولى والثانية مع المعنيين والعامريين وأهل أبين . وظل مقيماً لمدة خمس سنوات من أواخر سنة 468هـ حتى سنة 473 هـ ، ثم عاد مع من كان معه الى أبين واستقر بها الى أن تجدد القتال بينه وبين أنصار المكرم في سنة 478 هـ / 1085م ، فوقعت بينهما معركتان بخنفر(أبين) المعركة الأولى وقعت في شهر صفر من سنة 478 هـ / مايو 1085م ، والمعركة الثانية في شهر جمادى الآخرة سنة 478 هـ / يوليو 1085م كان النصر فيهما حليف الصليحيين [(189)] .

انتقال عاصمة المكرم الى ذي جبلة:

نتيجة استمرار قتال الزيدية مع قبائل اليمن الأعلى ضد المكرم ، ومحاولتهم شن

---

(188) روضة الجحوري ،ورقة 485 ، عمارة : تاريخ اليمن ، ص. 173 هامش .

(189) روضة الجحورى، ورقة 485 - 486، عمارة: تاريخ اليمن، ص 173 هامش.

الغارات المتعددة على صنعاء ، فكر المكرم وزوجته السيدة الحرة أروى في نقل عاصمتها من صنعاء المهددة بالسقوط والحروب المستمرة ، الى منطقة أكثر امناً وهدوءاً فاختاروا ذي جبلة

وكانت الفرصة مناسبة للصليحيين للانتقال منها عندما امتنعت القبائل مناصرتها للزيدية ، مما جعل الزيدية نفسها تعتزل محاربة المكرم سنة 467 هـ / 1074م هذا بينما توفت الحرة أسماء بنت شهاب الصليحية في نفس سنة 467 هـ / 1074م [190].

وقد بذلت السيدة الحرة دوراً كبيراً في اختيار هذا المكان فأوردت المصادر قصة هذا الانتقال. اذ جاء فيها أن السيدة كانت قد نزلت الى ذي جبلة فاعجبت بها وبطباع أهلها ، وقررت اتخاذها عاصمة لها ، فلما عادت الى صنعاء (قالت للمكرم أرسل يامولانا على أهل صنعاء فليحتشدوا في غد ليحضروا الى هذا الميدان فلما حضروا قالت له أشرف عليهم انظر ماذا ترى فلم يقع طرفه الا على بروق السيوف ولمع البيض والأسنة).

ولما توجهت الى ذي جبلة قالت له احشد أهل ذي جبلة ومن حولها فلما تجمعوا صبيحة اليوم الثاني قالت .. أشرف يامولانا وانظر فلم يقع طرفه إلا على رجل يجر كبشاً ويحمل ظرفاً مملوء بالسمن فقالت العيش بين هؤلاء أصلح)[191] (لأن ذلك أقر للملكة وثبوت قواعدها ، وأسهل جانباً في مصادر الأمور ومواردها ، وهي متوسطة بين اليمن الأعلى والأسفل ، وبها يخصب العيش ويطيب المحل)[192].

ويتبين مما سبق أن كثرة الحروب في صنعاء وما حولها ، جعلت المكرم وزوجته السيدة الحرة يفكرون في الانتقال منها الى ذي جبلة ، لميل أهلها الى المسالمة والاستقرار والطاعة . فضلاً عن تميز ذي جبلة بالخصب والنماء . ولما انتقلت السيدة الحرة اليها أمرت ببناء الدار الأولى مسجداً جامعاً وهو المسجد الجامع الثاني،أما المكرم فقد بني بها داراً أخرى

---

(190) العرشي: بلوغ المرام، ص 26، الواسعي: تاريخ اليمن، ص 173، الهمداني: الصليحيون، ص 135.

(191) عمارة: تاريخ اليمن، ص 139، الخزرجي: العسجد، ص 62، ابن الديبع: قرة العيون، ص 263، الهمداني: الصليحيون، ص 136.

(192) الهمداني: الصليحيون، ص 136، نقلاً عن عيون الأخبار، 122/7.

سميت بدار العز الكبيرة[193] هذا بينما بني دار العز الأولى عبدالله الصليحي سنة 458هـ حين اختط ذي جبلة[194].

اصدار العملة:

بعد أن تمكن المكرم من إعادة نفوذه على عدن وتوابعها وانتقاله الى ذي جبلة بعد موت السيدة أسماء ، وانتهاء مقاومة الزيدية والقبائل له في اليمن الاعلى ، امتد حكمه على اليمن كله ، فأصدر عمله نقدية في سنة 467 هـ ثم في سنة 477 هـ / 1084م . سميت بالدينار الملكى نسبة الى الملك المكرم ، وقد كتب على هذه العملة العبارة الاتية :ـ

1 ـ على الوجه الأول: لا إله إلا الله محمد رسول الله على ولى الله

2 ـ على الوجه الثانى: الملك السيد المكرم عظيم العرب سلطان أمير المؤمنين[195].

وهذه العبارة تدل على أن المكرم أصبح الحاكم الوحيد في اليمن وتدل أيضاً على استمرار موالاته للشيعة الاسماعيلية الفاطمية.

الولاة:

وَلّى المكرم أهم قواده على المدن والحصون الهامة ، وجعل ما حول هذه المدن والحصون من مناطق تابعة لها . وكمثال لتولية المكرم وتوزيع الاقاليم في عهده ، فقد تولى صنعاء وما حولها أحمد بن المظفر الصليحي ، ولما نزل المكرم الى تهامة وَلّىً عليها إسماعيل بن أبي يعفر، وبعد موت هذا الوالى عادت ولاية صنعاء لأحمد بن المظفر، وكانت الكثير من حصون شمال صنعاء تابعة له مثل (ـذمرمر) و (ذروة) حيث كان متولياً عليه السلطان عبدالله بن محمد اللهابي ، الذي كان أحد كفاة السلطان أحمد بن المظفر، كما كان السلطان

---

(193) عمارة: تاريخ اليمن ، ص 142، الخزرحي: العسجد، ص 62، ابن الديبع: قرة العيون ، ص 262، يوضح عمارة ان دار العزة الكبير بناها المكرم سنة 480 هـ ، وهذا خطأ إذ أن المكرم مات سنة 477هـ . والصحيح أنه بناها فيما بين سنة 468 هـ وسنة 470 هـ.

(194) عمارة ك كاي ، ص 225 ، هامش 3.

(195) عمارة: تاريخ اليمن ، هامش رقم 3 نقلا عن مخطوطة ، عمارة رقم (ط) .

أحمد بن أسعد اللهابي متولياً على حضور وتابعاً لوالي صنعاء [196].

أما عامر بن سليمان الزواحي فقد كان متولياً على مغارب صنعاء ، ومركزه شبام كوكبان، وكانت أغلب مناطق حجة والمحويت والطويلة وثلا وما حول شبام من مناطق وحصون تابعة له، فحصن(حُفاش)كان متولياً عليه السلطان محمد بن إبراهيم الصليحي [197]. ولما قتل عامر الزواحي تولى أعماله ابنه سليمان بن عامر وهو أخو السيدة الحرة من أمها.

بينما وَلّى المكرم على تهامة مالك بن شهاب الصليحي، وكان مركزه مدينة (زبيد) وولّى على (المهجم) محمد بن مالك وعلى (المهجر) علي بن مالك وجعلهما تابعين لأبيهما في زبيد [198].

كذلك ولى المكرم أسعد بن عبدالله الصليحي على حصن التعكر في ذي جبلة خلفاً لأبيه، وجعل المُذَيْخِرَةَ واب والجند (تعز) والمعافر تابعة له كما وَلّى على يحصب ورعين وعنس عبدالله بن إسماعيل الصليحي خلفاً لأبيه، وجعل ذمار ويريم وعنس ورداع تابعة له، فولى الى جانبه على (هران) حماد بن منيع بن كديس الصليحي [199]. أما عدن وأبين ولحج وحضر موت والشحر فقد كانت تابعة لبني معن في عدن، ثم ولاها المكرم بني زريع.

على أن هؤلاء الولاة لم يظلوا ثابتين في أماكن ولاياتهم فقد تولى أعمالهم آخرون، فعندما انتقل المكرم الى ذي جبلة وَلّى على صنعاء عمران بن المفضل اليامي، وجعل الى جانبه أبو السعود بن شهاب [200] وكما يظهر أن هذه التولية بعد موت أحمد بن المظفر. أما حصن التعكر في ذي جبلة، فقد وَلّى عليه أبا البركات بن الوليد الحميري، ووَلّى أخاه أبا الفتوح الحميري حصن تعز، بينما وَلّى أسعد بن عبدالله الصليحي ولاية (ريمة) عوضاً عن حصن

---

(196) يحيى بن الحسين: غاية الأماني، 1 / 265.

(197) يحيى بن الحسين: غاية الأماني، 1 / 264.

(198) الهمداني: الصليحيون، ص 132، عمارة كاي، ص 226.

(199) مجهول: سيرة المكرم، ص 89.

(200) الهمداني: الصليحيون، ص 137.

التعكر[201]. كذلك وَلّى على حصن أشيح سبأ بن أحمد الصليحي.

نهاية المكرم:

اختلف المؤرخون حول السنة التي مات فيها المكرم، فعمارة يذكر أنه مات سنة 484 هـ / 1091م[202] بينما يذكر ابن سمرة أنه مات سنة 479هـ/1086م أو سنة 480هـ/1087م[203] في حين أن ادريس يذكر أنه مات في شهر جمادى الأولى من سنة 477هـ/1084م[204]. ويؤيد هذا الرأي الأخير السجلات المستنصرية، فقد كتب المستنصر سجلاً في شهر ربيع إلى السيدة الحرة أروى وإلى ولدها علي بن المكرم يقلده ما كان متقلداً له من الدعوة الهادية والاحكام والمظالم في سائر أعمال اليمن[205].

وعلى ذلك فوفاة المكرم كانت سنة 477 هـ / 1084م. ولما قارب المكرم أجله أوصى برئاسة الدعوة الاسماعيلية الى الأمير سبأ بن أحمد الصليحي[206] وهي وظيفة لا تتقلدها إمرأة في نظر بعض المؤرخين، أما السلطة الزمنية في حكم الدولة الصليحية في اليمن، فقد تولتها السيدة الحرة أروى وأيدتها الخلافة الفاطمية[207] وهكذا كان حكم المكرم لليمن ونهايته.

الخاتمة:

بالرغم من حداثة سن المكرم جين تولى أمر الدولة الصليحية، إلا أنه أبرز كفاءة عالية في إدارة شئون الدولة فقد كانت أغلب قبائل اليمن أعلنت العصيان ضده مما جعل دولته تصبح وشيكة السقوط، ولكنه ناضل من أجل أن لا تسقط دولته حتى تمكن من القضاء على

---

(201) ابن الديبع: قرة العيون، ص 269.

(202) عمارة: تاريخ اليمن، ص 146.

(203) ابن سمرة: طبقات فقهاء اليمن ، ص 122.

(204) الهمداني: الصليحيون، ص 141، عمارة كاي، ص 227 - 228، هـ، نقلاً عن ادريس ج 7.

(205) السجلات المستنصرية، ص 158.

(206) عمارة: تاريخ اليمن، ص 146.

(207) عمارة كاي، ص 288، أحمد شرف الدين: اليمن عبر التاريخ، ص 201، حسن محمود: تاريخ اليمن، ص 288، أمين صالح: العلاقة، ص 67.

ذلك العصيان وإعادة القبائل اليمنية الى طاعته، وتخليص أمه من الأسر والثأر لأبيه من سعيد الأحول. وذلك بفضل وقوف جماعة من قادة الدولة الصليحية بجانبه، مثل عامر الزواحي وأحمد بن المظفر الصليحي، وإسماعيل بن أبي يعفر وغيرهم. فقد بذل هؤلاء القادة جهوداً كبيرة في انتصار المكرم والمحافظة على دولته من السقوط، وذلك عن طريق اشتراكهم في القضاء على زعامات اليمن القبيلة التي حاولت الإستقلال عن سلطان المكرم .. كما ساهم هؤلاء القادة في إعادة توحيد اليمن مرة أخرى تحت حكم المكرم.

ويعتبر المكرم من الشخصيات القوية التي جعلت الدولة الصليحية متماسكة ، فقد التف حوله جميع قادة الدولة الصليحية مع جميع أنصارهم الإسماعيلية. فناصروا المكرم على مخالفيه حتى انتصروا عليهم والزموهم لطاعته . ولم يحدث في عهده أن وجد خلاف في صفوف الدولة الصليحية . مما سهل على المكرم من إعادة توحيد اليمن تحت سلطانه.

ومن الملاحظ أن المكرم استخدم أسلوباً مغايراً لأبيه في التعامل مع قبائل اليمن، فهو لم يعمل على أخذ الرهائن من الزعامات القبلية ، وربما يعود ذلك الى محاولته كسب رضا القبائل اليمنية ، وإعطائهم فرصة التخلي عن عداوتها للدولة الصليحية، كما يعود إلى إعطاء هذه القبائل الثقة بالتعامل مع الدولة الصليحية دون اللجوء الى أخذ ضمانات منهم، مثل الرهائن وغيره. ولذلك ترك المكرم وقاداته الدخول في صراع مع الزعامات القبلية لليمن الأعلى حين حدث صراع قبلي بين قبائلها حول الموالاة للصليحيين فترك مناصرة أنصاره وذلك تجنباً لزيادة حدة الصراع القبلي. وجعل للقبائل حرية الإختيار في تحديد تبعيتها، فأدت هذه السياسة الى عودة القبائل بنفسها الى طاعة الدولة الصليحية دون أن يبذل المكرم أي مجهود حربي في ذلك، وذلك بسبب عدم مقدرة الزيدية المالية في المحافظة على مناطق نفوذهم.

وعلى الرغم من أن المكرم بذل مجهوداً كبيراً في محاربة القبائل والنجاحيين حتى ألزمهم لطاعته واستخدم الشدة والقسوة في قتالهم . إلا أنه كان يميل الى المسالمة فقد ترك محاربة قبائل اليمن الأعلى في هجومهم على صنعاء من غربها وشمالها حتى كادت تسقط في أيديهم فلم يتشدد في قتالهم، وذلك يعود الى موت أغلب قواده مثل إسماعيل بن

أبى يعفر، وأحمد بن المظفر، وعامر الزواحي، فضلاً عن إصابة المكرم بالفالج وهو ارتعاشة يديه وبشرة وجهه كما يعود الى اتجاهه الى المسالمة وترك الحرب، ولذلك اتجه الى ذي جبلة وجعلها عاصمة له بدلاً عن صنعاء وذلك لميل أهل ذي جبلة الى الطاعة والمسالمة، وذلك ما يدل على أن المكرم كره استخدام الحرب ومال الى الاستقرار والمسالمة، وهكذا كانت إدارة المكرم للدولة الصليحية.

الفصل الثالث

سيدة الحرة أروى الصليحية

تميزت فترة حكم الدولة الصليحية في اليمن بظهور أهم شخصية نسائية تتولى الأمور السياسية للدولة. هي الحرة الملكة السيدة أروى بنت أحمد الصليحية، التي حكمت اليمن لفترة طويلة تقدر بخمس وخمسين سنة. وهي الفترة التي تمتد من سنة 477 هـ / 1084م حتى سنة 532 هـ / 1138م. إذ أنها تعمرت 92 سنة. وكان ذلك الحكم بفضل ما امتازت به من عقلية ذكية وحكمة عالية. وما كسبته من علم ومعرفة. أعطاها ذلك شخصية قوية، ومقدرة فائقة على إدارة الأمور السياسية للدولة الصليحية في اليمن. وسوف نتحدث في الصفحات التالية عن حياة هذه السيدة الحرة وحكمها لليمن.

اسمها:

بالنسبة لإسمها معظم المصادر اليمنية توضح أنها كانت تسمى (سيدة بنت أحمد الصليحية)[1]. ما عدا إدريس صاحب عيون الأخبار، والوصابي صاحب تاريخ وصاب فهما يذكران أن اسمها (أروى بنت أحمد الصليحية)[2]. وقد دارت كتابات بين القاضي الأكوع وعارف تامر تناقش اسمها. ملخصها أن القاضي الأكوع يذكر أن اسمها (سيدة) مستنداً على ما سمتها المصادر اليمنية. بينما يذكر عارف تامر أن اسمها (أروى) مستنداً على تسميتها من صاحب عيون الأخبار.

وبالعودة إلى الرسائل أو السجلات المستنصرية التي دارت بين هذه السيدة وحكام مصر ، والإطلاع عليها لمعرفة إسمها. نجد أن هذه السجلات لم تذكر صراحة أسماء النساء المُرْسِلات للرسائل من مصر مثل أم المستنصر وأخته وابنة الظاهر. أو المُرْسَل إليهن الرسائل الى اليمن مثل السيدة أسماء بنت شهاب والسيدة الحرة الصليحية. نوضح ذلك بالآتي:

---

(1) عمارة: تاريخ اليمن / ص: 137 / الخزرجي: العسجد، ص: 61، ابن عبدالمجيد: بهجة، ص: 79، ابن الديبع: قرة العيون، ص: 264.

(2) ادريس: عيون الأخبار، 207/7، الوصابي: تاريخ وصاب، ص: 38، الهمداني: الصليحيون، =

1 ـ النوع الأول: أسماء المُرْسِلات.

في هذا النوع ورد ثلاثة سجلات، كل سجل مرسل من امرأة في مصر الى امرأة أخرى في اليمن. لم تذكر هذه السجلات اسماء نساء مصر أو اليمن صراحة بل ذكرت ألقابهن. ففي السجل رقم (51) المرسل من أم المستنصر الى السيدة الحرة لم يذكر اسمها صراحة بل جاء فيه: (من السيدة الملكة والدة الإمام المستنصر بالله أمير المؤمنين، عرض علينا أيتها الحرة المخلصة السديدة)[3]. كما ورد في السجل رقم (28) قوله: (من السيدة أخت الإمام)[4] لم يذكر اسمها. كذلك ورد في السجل رقم (52) المرسل من ابنة الظاهر الى الحرة السيدة الصليحية لقبها دون ذكر اسمها جاء فيه: (من السيدة الطاهرة، الشريفة، الملكة، الكريمة، الرؤف، الرحيمة، ابنة الظاهر لا عزار الله أمير المؤمنين، الى الحرة الملكة السيدة السديدة المخلصة)[5].

النوع الثاني: أسماء المُرْسَل إليهن.

في هذا النوع من السجلات لم تذكر اسماء نساء اليمن صراحة بل ذكرت ألقابهن. ففي السجل رقم (55) المؤرخ في شهر جمادى الآخرة سنة 461 هـ / مارس 1069م والسجل رقم (65) المؤرخ في شهر رمضان سنة 461 هـ / يونيو 1069م. كتب الخليفة المستنصر الفاطمي في هذين السجلين الى السيدة أسماء بنت شهاب الصليحية وخاطبها بالحرة دون ذكر اسمها صراحة بقوله في السجلين العبارة الآتية: (من عبدالله .... أمير المؤمنين الى الحرة، الزكية، التقية، الفاضلة، كافلة المؤمنين، الساعية في مصالح الدين أم الأمراء المنجبين)[6].

وبالنسبة للحرة الصليحية تدرجت الخلافة في منحها الألقاب على ثلاث مراحل

= ص :191، حسن محمود: أروى ملكة اليمن، 84.

(3) السجلات، ص: 169.

(4) السجلات، ص: 96.

(5) السجلات، ص: 171.

(6) السجلات، ص: 180، 208 ـ 209.

نوضحها بالآتي:

1 ـ مرحلة مخاطبتها (بالحرة). في بداية المراسلات بين الخلافة الفاطمية في عهد الخليفة المستنصر وبين الحرة الصليحية منذ سنة 471 هـ حتى سنة 478 هـ. خاطبتها هذه السجلات باسم (الحرة) فقط دون أن تذكر اسمها حيث أوردت هذه السجلات العبارة الآتية: (.... الحرة، المخلصة، المكينة، ذخيرة الدين، عمدة المؤمنين، كهف المستجيبين، ولية أمر المؤمنين)[7]. وردت هذه العبارة في السجلات رقم (51) المؤرخ في صفر سنة 471 هـ / أغسطس 1078م والسجل رقم (44) المؤرخ في شوال سنة 472 هـ / مارس 1080م، والسجل رقم (46) المؤرخ في شهر ربيع الآخر سنة 478 هـ / يوليو 1085م[8].

2 ـ مرحلة مخاطبتها (بالحر السيدة) وردت هذه المخاطبة في السجل رقم (14) المؤرخ في ربيع الأول سنة 478 هـ / يونيو 1085م، والسجل رقم (48) المؤرخ في ربيع الأول أيضاً سنة 478 هـ / يونيو 1085م، خاطبتها السجلان بالعبارة الآتية: (..... الحرة السيدة، المخلصة، المكينة، السديدة)[9].

3 ـ مرحلة مخاطبتها (بالحرة الملكة السيدة) وردت هذه المخاطبة في عدة سجلات، وهي السجلات المرسلة منذ سنة 480 هـ / 1087م، حتى نهاية حكم السيدة لليمن، حيث أوردت هذه السجلات العبارة الآتية: (الحرة، الملكة، السيدة، المخلصة، المكينة، السديدة) وجاءت هذه العبارة في السجلات رقم (36، 38، 45، 49، 52) وهي السجلات الصادرة سنة 480 هـ / 1087م، والسجل رقم (50) الصادر سنة 482 هـ / 1089م، والسجلان رقم (35، 43) الصادران في سنة 489 هـ / 1096م[10].

مما تقدم يتضح لنا أن كلمة (الحرة) أطلقت على السيدة الصليحية في عهد زوجها

---

(7) السجلات، ص: 76.

(8) السجلات، ص: 169، 151، 156 ـ 157.

(9) السجلات، ص: 62، 162.

(10) انظر السجلات.

المكرم أي منذ سنة 471 هـ حتى سنة 478 هـ. أما كلمة (الحرة السيدة) فقد أطلقت عليها في فترة بداية تولى ابنها علي بن المكرم وكانت وصية عليه، وهي الفترة ما بين سنة478هـ حتى سنة 480هـ. بينما أُطْلِقَت عليها كلمة (الحرة الملكة السيدة) منذ سنة 480 هـ حتى نهاية حكمها. وهي الفترة التي شاركت فيها ابنها السلطة، والفترة التي انفردت فيها بتولي السلطة في اليمن.

من ذلك كله من المرجح أن الصليحية كان اسمها (أروى) بدليل عدم ذكر اسم أسماء بنت شهاب، وأم الخليفة المستنصر وأخته وابنة الظاهر صراحة في السجلات المستنصرية. بالاضافة الى ذكر اسم (اروى) صراحة لدى كل من صاحب عيون الأخبار والوصابي، واللذين عاشا في فترة قريبة من الدولة الصليحية. فقد أورد أدريس على لسانها أنها قالت: (أنا أروى ابنة أحمد بالأمس ولي عهد المسلمين واليوم أمير المؤمنين)[10م]

ومن المحتمل أن تكون كلمة (السيدة) لقب لأروى الصليحية ولكنه نتيجة لكثرة استخدام أهل اليمن لهذا اللقب أصبحت كلمة (سيدة) اسماً لها. أي أن اللقب حل محل الاسم الأصلي لكثرة استخدامه فأصبح اللقب هو الاسم الأصلي.

وعلى أية حال مهما كان اسمها سواءً أكانت تسمى (سيدة) أم تسمى (أروى) فهذا لا يغير شيئاً من الأحداث التاريخية لتلك المرأة الصليحية التي حكمت اليمن. ولا داعي للجدل الطويل حول اسمها. أهو ذا أم ذاك. أما بالنسبة لما نرجحه فيمكن أن يكون اسمها الكامل هو (الحرة الملكة السيدة أروى بنت أحمد بن محمد بن القاسم الصليحية).

أبوها:

أبو السيدة أروى هو أحمد بن محمد بن القاسم الصليحي، أرسله علي الصليحي مع وفد، منهم أحمد بن المظفر الصليحي الى الخليفة المستنصر الفاطمي الى مصر. يطلبون الإذن له بإظهار الدعوة الإسماعيلية في اليمن[11]. وقد اختلفت المصادر في الفترة التي ذهب بها ذلك الوفد الى مصر. فالرأي الأول يذكر أن الوفد ذهب اليها بعد طلوع علي الصليحي

(10م) انظر عيون الأخبار، 207/7 ، عن الهمداني: الصليحيون ، ص: 191 .

(11) الحمادي: كشف، ص: 82، بامخرمة: ثغرعدن، ص. 47، الجندي: 486/2.

حصن مسار[12]. أي سنة 439 هـ / 1047م. والرأي الثاني يذكر أنه ذهب اليها بعد أن تغلب علي الصليحي على صنعاء وأخراج همدان منها[13] أي سنة 444 هـ/1052م. والرأي الثـالث يذكر أنه ذهب بعد سنة 453 هـ / 1061م [14] أي بعـد سـيطرة علـي الصليحـي علـى معظـم اليمن. وما نرجحه هو الرأي الثاني بعد تمكن علي الصليحي من السيطرة على صنعاء 444هـ / 1052م. وكان رد الخليفة المستنصر الفاطمي لعلي الصليحي مع ذلك الوفد، أنه بعـث اليـه (برايات وألقاب وعقد له الولاية) على اليمن [15].

وبعد عودة أحمد بن محمد الصليحي من مصر عمل في عدن نائبـاً عـن علـي الصليحـي. بجانب حكامها بني معن.وأثناء عمله ذلك تهدمت فوقه البيت التي كان يسكنها بعدن، فمات بها[16].وكان ذلك في طفولة الحرة السيدة أروى[17] لأنها ولدت سنة440هـ/1048م[18].

أمها:

أم السيدة أروى هي الرداح بنت الفارع بن موســى الصليحيـة تزوجـت بعـد مـوت زوجها الأول أحمد بن محمد الصليحي بزوج آخر اسمه عامر بن سليمان الزواحي. فأنجبت لـه ولدًا سمي سليمان بن عامر الزواحي وهو أخو السيدة من أمها[19] حيث وقف بجانبها في كثير من المواقف العسكرية والسياسية .

---

(12) الحمادي: كشف،ص:81.

(13) الجندي: السلوك، 486/2.

(14) بامخزمه: تغرعدن، ص: 47.

(15) الحمادي: كشف، ص: 82، الجندي، 486/2.

(16) بامخزمه: تغرعدن، ص: 47، الجندي: السلوك، 493/2.

(17) الهمداني: الصليحيون، ص: 142. يوضح ابن الديبع في قرة العيون، ص: 261، أن أبا السـيدة الحـرة هـو الذي تولى تربيتها.

(18) عمارة: تاريخ اليمن، ص 137، الجزرجي: العسـجد، ص: 61، حسـن محمـود: أروى، ص 13. العقيلـي: المخلاف السليماني، 40/2، يذكر الخزرجي في العسجد ص: 61، أن مولد السيدة كان سنة 444 هـ.

(19) عمـارة : المفيـد، ص: 137، الخزرجـي: العسـجد، ص:61، الوصـابي: الاعتبـار، ص: 38، الهمدانـي: الصليحيون، ص: 143، حسن محمود: تاريخ اليمن، ص: 193.

كفالتها:

تولت السيدة اسماء بنت شهاب الصليحية مهمة كفالة السيدة أروى بعد موت ابيها وتزوج أمها، فعملت على تربيتها التربية الفاضلة (وتأديبها وتهذيبها) على أحسن وأكمل وجه[20].

صفاتها الجسمية:

اتصفت السيدة الحرة أروى الصليحية بسمات جمالية رائعة، فقد وصُفِت بأنها كانت (بيضاء اللون مشربة بحمرة، مديدة القامة، معتدلة البدن، تميل الى السمنة، كاملة المحاسن جهورية الصوت) [21].

إكرام علي الصليحي لها:

أولى علي الصليحي اهتماماً كبيراً بالسيدة الحرة أروى الصليحية منذ طفولتها. وذلك لما اتصفت به من ذكاء ورجاحة عقل. أوضح ذلك عمارة بقوله: (إن الصليحي كان يخصها من الإكرام في حال صغرها بما لا يماثلها فيه أحد ويقول لأسماء أكرميها فهي والله كافلة ذرارينا وحافظة هذا الأمر على من بقي منا) [22].

تعليمها:

لقيت الحرة السيدة أروى اهتماماً كبيراً في تعليمها. فقد تعلمت في دار أسماء بنت شهاب المعارف الدينية وغيرها من المعارف التي كانت سائدة آنذاك، حتى أصحبت (قارئة

---

(20) الوصابي: الاعتبار، ص: 38، الخزرجي: العسجد، ص:61، الهمداني: الصليحيون ص: 143، مصطفى غالب: أعلام الاسماعيلية، ص: 143 - 144، أيمن فؤاد: المذاهب، ص: 150.

(21) عمارة: المفيد، ص: 137، الوصابي : الاعتبار، ص: 38، الخزرجي: العسجد، ص: 61، ابن الديبع: قرة العيون، ص: 261، الهمداني: الصليحيون، ص: 143، حسن محمود: تاريخ اليمن، ص: 194، مصطفى غالب: أعلام الاسماعيلية، ص:144، الحداد:التاريخ العام،ص:245، العقيلي:المخلاف السليماني،ص:41.

(22) عمارة: المفيد ، ص: 138، الجندى: السلوك: 493/2 ، الوصابي: الاعتبار، ص: 38 ، ابن الديبع. قرة العيون، ص:261، الهمداني:الصليحيون، ص:143،حسن محمود: تاريخ اليمن، ص:193، أروى ص. 41 ، الحداد: التاريخ العام، ص:225، أيمن فؤاد: المذاهب ، ص:150 ، ابن عبد المجيد: بهجة ص:79

كاتبة تحفظ الأشعار والأخبار والتواريخ)[23]. كما أصبحت (عارفة بالأنساب ..... وأيام العرب)[24]. (وما أحسن ما كانت تلحق بين سطور الكتاب في اللفظ والمعنى)[25]. أي كان (لها تعليقات وهو امش على الكتب مما يدل على غزارة علمها)[26].

وقد وصفها إدريس بقوله: (كانت الملكة الحرة (متبحرة في علم التنزيل والتأويل والحديث عن الأئمة والرسول عليهم السلام ... وكان الدعاة يتعلمون منها وراء الستر ويأخذون عنها ويرجعون إليها)[27].

صفاتها العقلية :

اتصفت السيدة الحرة أروى من الناحية العقلية بأنه كان (يقال لها بلقيس الصغرى لرجاحة عقلها وحسن تدبيرها للملك وكانت تفضل بالمعروف على كثير من الملوك)[28].

كما اتصفت السيدة الحرة أروى بأنها: (كانت امرأة فاضلة ذات نسك وورع وفضل وكمال عقل وعبادة وعلم، تفوق الرجال فضلاً عن ربات الحجال)[29]. وقد مدحها

---

(23) عمارة: المفيد ، ص:137 ، الجندي: السلوك: 493/2 ، الوصابي: الاعتبار ، ص:38 ، الخزرجي: العسجد ، ص: 61 ، الهمداني: الصليحيون ، ص:143 ، مصطفي غالب: أعلام الإسماعيلية ، ص: 144 حسن محمود: أروى ، ص: 14 .

(24) الخزرجي: العسجد ، ص: 61 .

(25) عمارة: المفيد ، ص: 137 .

(26) الهمداني: الصليحيون ، ص: 143 ، العقيلي: المخلاق السليماني ، ص: 41 ، مصطفي غالب: أعلام الإسماعيلية ، ص: 144.

(27) ادريس: عيون الأخبار، 208/7 ، الهمداني : الصليحيون ، ص:143 ، حسن محمود: أروى ص:14 - 15 مصطفي غالب: أعلام الإسماعيلية ، ص: 144 .

(28) الجندي: السلوك ، 493/2، الخزرحي: العسجد ، ص: 61 ، ابن الديبع: قرة العيون ، ص: 261 ، حسن محمود: تاريخ اليمن ، ص: 194 ، أروى ، ص: 14 ، الحداد: التاريخ العام ، ص: 245 ، أحمد شرف الدين: اليمن عبر التاريخ ، ص: 202 ، مصطفي غالب: أعلام ، ص: 144 .

(29) ادريس: عيون الأخبار ، 122/7 ، الهمداني: الصليحيون ، ص: 143 – 144 ، حسن محمود: تاريخ اليمن ، ص: 194 ، أروى ، ص: 15 ، مصطفي غالب: أعلام ص: 144.

الشاعر في هذا الشأن بقوله:

وما التأنيث لاسم الشمس عيب :. ولا التذكير فخرٌ للهلالي.

كما أورد عنها ادريس قوله: (وقد استحقت التقديم والتفضيل على الفضلاء من الرجال ، وكان الإمام المستنصر أصدر إليها أبواب دعوته. فأفادها في علوم الدعوة ورُفعت عن حدود الدعاة إلى مقامات الحجج) [30] كما سيأتي ذكره .

زواجهـــا :

ونتيجة لما اتصفت به الحرة السيدة أروى من الذكاء والعقل والعلم والأدب والفضيلة. وتربيتها من قبل أسماء وإكرامها من قبل علي الصليحي. فكان لابد لهما من أن يختاراها زوجة لولدهما أحمد المكرم. لذلك تزوجت الحرة أروى بأحمد المكرم في عهد ابيه علي الصليحي[31]. وذلك في سنة 458 هـ / 1066م. حين تولى المكرم منصب ولاية العهد من ابيه ومن الخلافة الفاطمية. وكان عمرها آنذاك 18 سنة[32]. وقد أصدقها علي الصليحي في هذا الزواج مالية عدن ، التي كانت تقدر بمائة ألف دينا سنوياً[33]. وقد ظل هذا المبلغ يرفع إلى الحرة السيدة سنوياً لفترة طويلة. حتى استقل بنو زريع في عدن . وكانت تصرف هذا المبلغ في شئون قصرها وحواشيها وخدمها . وبالنسبة لذريتها فقد أنجبت للمكرم أربعة أولاد اثنين بنين هما علي ومحمد واثنتين بنات هما فاطمة وأم همدان . [34] .

سياستها في عهد زوجها :

تأثرت الحرة السيدة أروى بمربيتها أسماء بنت شهاب الصليحية في الاهتمام بالأمور السياسية والمساهمة فيها . وكان أول بداية ظهور مساهمتها في الأمور السياسية للدولة في

---

(30) ادريس: عيون الأخبار ، 131/7 ، الهمداني: الصليحيون ، ص: 144 ، مصطفى غالب: أعلام ، ص: 144 - 145 .

(31) عمارة: المفيد ، ص: 147 .

(32) الهمداني: الصليحيون ، ص: 147 ، مصطفى غالب: أعلام ، ص: 145 .

(33) الوصابي: الاعتبار ، ص: 38 ، الهمداني: الصليحيون ، ص: 147 ، مصطفى غالب: أعلام ، ص:145.

(34) عمارة : المفيد ، ص: 137 ، الخزرجي : العسجد ، ص: 61 .

عهد زوجها المكرم ، وذلك عندما توفت الحرة أسماء بنـت شـهاب سـنة 467 هـ / 1074م . أوضح ذلك عمارة بأنه لما ماتت أسماء أم المكرم ((فوض الأمر إلى زوجته هذه الملكة السـيدة بنت أحمد)). وذلك بسبب إصابته بمرض الفالج وهو إرتعاشـة يديـه وبشـر وجهـه . ودرايـة الحرة السيدة بالأمور السياسية . ((فاستبدت بالأمر)) [35] .

وبالنسبة للمكرم نفسه كما توضح المصادر فقد أخلد إلى الراحة وإلى الاسـتمتاع إلى الغنى والشراب . ولم يهتم كثيراً بالأمور السياسية لدولته . لذلك تولت الحرة السـيدة أروى مهمة الاهتمام بالأمور السياسـية للدولـة . ونظـراً لذلـك أرادت الحـرة السيدة مـن زوجهـا المكرم عدَم معاشرتها لتتفرغ لمهمة إدارة الدولة . أوضح ذلك عمارة بقوله: ((يقال ... أنها استعفته في نفسها وقالت له : إن امرأة تراد للفراش لا تصلـح لتدبـير أمـر ، فدعـني ومـا أنـا بصدده ، فلم يفعل)) [36] .

والواقع أن هذا الكلام غير معقـول . إلا إذا اعتبرنـا أن ذلـك القـول يخص زواجهـا الثاني من سبأ بن أحمد الصليحـي بعـد مـوت المكـرم ، فيمكـن تصديـق ذلـك ، أمـا بالنسـبة للمكرم فلا يمكن أن نصدقه وذلك للآتي: أولاً: لورود كلمة ((يقال)) أي أن عمـارة غـير متأكد من هذا القول . وثانياً: لورود كلمة ((لم يفعل)) أي أن المكرم لم يقبل ذلك الطلب. وثالثاً: أن المكرم لما مات سنة 477 هـ / 1084م كان لديه أربعة أولاد بعضهـم كـانوا في سـن الطفولة مما يدل دلالة واضحة عدم صحة ذلك الخبر في عهد المكرم .

وعن أهم المساهمات السياسية التي شاركت بها الحرة السيدة أروى في عهد زراجها المكرم حسب ما توردها المصادر هي .أولاً: تحريضها المكرم لنقل عاصمته من صنعاء إلى ذي جبلة . وثانياً: مشاركتها في التآمر على سعيد الأحول . نوضح ذلك بالآتي :

1 ـ المساهمة الأولى : انتقال العاصمة إلى ذي جبلة .

كانت الحرة السيدة أروى والمكرم قد زارا ذي جبلة عدة مرات قبـل مـوت أسمـاء .

---

(35) عمارة : المفيد ، ص: 138 ، الخزرجي: العسجد ، ص: 62 .

(36) عمارة : المفيد ، ص: 138 ، الخزرجي : العسجد ، ص· 62 ، حسن محمود: تاريخ اليمن ، ص: 196.

فاعجبت السيدة بها . ولما ماتت أسماء وتولت الحرة السيدة مشاركة زوجها في الأمور السياسية لإدارة الدولة ، حرضته على الانتقال إلى ذي جبلة لجعلها عاصمة له . وذلك نتيجة تمتع ذي جبلة بالخصب والنماء وكثرة المزروعات . وميل أهلها إلى المسالمة . فضلا عن إزدياد حدة الصراع القبلي حول صنعاء والذي كان يهدد عاصمة الصليحيين بالسقوط. لذلك كله فضلت السيدة الانتقال إلى ذي جبلة وقد أوردت المصادر قصة هذا الانتقال بالآتي :

نتيجة لموت أسماء بنت شهاب وتفويض المكرم أمر الدولة لزوجته الحرة السيدة أروى وإعجابها بذي جبلة . ارتحلت من صنعاء لوحدها بجيش كبير وتركت بها المكرم ، وذهبت إلى ذي جبلة ، فبنت بها دار العز . وكما يتضح أن السبب في ترك المكرم لزوجته الحرة ترحل لوحدها هو انشغاله بحرب القبائل المجاورة لصنعاء ، والتي كانت تناصر الزيدية . وكانت ذي جبلة مدينة بين غيلين جاريين في الشتاء والصيف وأول من أختطها كمدينة عبد الله بن محمد الصليحي سنة 458 هـ/1066م [(37)] .

ولما عادت الحرة السيدة أروى إلى صنعاء أرادت أن تقنع المكرم بالانتقال إلى ذي جبلة بطريقة واقعية وعملية . فطلبت منه أن يدعو أهل صنعاء وما حولها للاجتماع بهم . فعمل برأيها وطلبهم للحضور إليه . فلما حضروا قالت له : ((إشرف عليهم انظر ماذا ترى فلم يقع طرفه إلاّ على بروق السيوف ولمع البيض والأسنة)) مما يدل على أن حياة هذه القبائل كانت تعتمد على الحرب والقتال .

ولما نزلت الحرة السيدة أروى مع المكرم إلى ذي جبلة طلبت منه أن يجمع أهل الجهات المجاورة لها . فلما اجتمعوا إليه قالت له: ((إشرف يامولانا وانظر ماذا ترى . فلم يقع طرفه إلاّ على رجل يجر كبشاً ويحمل ظرفاً مملوءا بالسمن فقالت له العيش بين هؤلاء أصلح))[(38)] . وذلك ما يدل على أن أهل ذي جبلة وما حولها كانوا قبائل تميل إلى المسالمة لا

---

(37) عمارة المفيد، ص:139، الخزرجي: العسجد ، ص:62، ابن الديبع: بغية ، ص: 60.

(38) عمارة: المفيد ، ص:139 - 141، ابن المجيد: بهجة الزمن، ص: 79 - 80، الوصابي: الاعتبار، ص: 39 ،

يرغبون بالحروب . لذلك فضلت العيش بينهم .

من ذلك يتضح أنه على الرغم من أن الدولة كانت بحاجة إلى مقاتلين لحمايتها . وهذا ما كانت تتصف به صنعاء وما حولها . إلا أن استمرار القتال والحرب . وخاصة إذا تحولت هذه الحروب ضد الدولة نفسها . فذلك مؤشر على القضاء على الدولة ونهايتها . وهذا ما شعرت به الحرة السيدة أروى والمكرم حينما رأيا أن قبائل صنعاء وما حولها اتجهوا إلى مناصرة الأئمة الزيدية ومحاربة الدولة الصليحية . وهذا يشكل خطورة كبيرة على دولتهما . لذلك فكرا في نقل عاصمتهما إلى المناطق المسالمة . لأن الدولة بحاجة إلى المسالمة أكثر من الحرب . إذ أن الحضارة واستقرار الدولة وطاعة نظامها لا يمكن أن يتحقق إلا بوجود سِلْم وعدم استمرار الحرب . لذلك كله فضلت الحرة السيدة أروى وكذلك المكرم نقل عاصمتهما من صنعاء إلى ذي جبلة .

وقد أوضح العرشي أن سبب انتقال المكرم وزوجته السيدة إلى ذي جبلة هو حرب الزيدية لهم بقوله:((ورحل بنو الصليحي من (صنعاء) لما أصابها من المحاصرات ، والموارده والمصادرة ، وكان خروجه منها خروج كراهية لا خروج استيلاء ، وبقي بها عمالهم حتى قالت (السيدة بنت أحمد): ما خرجت صليحية ، وهي لا تملك شيئاً ، إلا الصفر من الأقراط يعني النحاس))[39] .

وعلى الرغم من نقل المكرم عاصمته من صنعاء إلى ذي جبلة . إلا أنه لم يهمل الأمور السياسية لليمن الأعلى . فقد كان (يطلع صنعاء فيقيم بها ثم ينزل إلى ذي جبلة)[40] وذلك بهدف الإحتفاظ بحكمه على تلك المنطقة .

= الخزرجي: العسجد ، ص: 62 ، ابن الديبع: قرة العيون ، ص: 263 ، بغية المستفيد ، ص: 60 .

(39) العرشي : بلوغ المرام ، ص: 37 .

(40) ابن عبد المجيد : بهجة ، ص: 80 .

2 ـ المساهمة الثانية: التآمر على قتل سعيد الأحول .

اشتركت الحرة السيدة أروى في التآمر على قتل سعيد الأحول النجاحي وقصة هذا الاشتراك كما حكاه عمارة ومن أخذ عنه . أنها دبرت مؤامرة لقتل سعيد الأحول بالاشتراك مع الحسين التبعي صاحب حصن الشعر . نورد محتوى هذا التآمر بالآتي :

لما حلت سنة 481 هـ/ 1088م كتبت الحرة السيدة إلى الحسين التبعي تخبره بمراسلة سعيد الأحول النجاحي وإخباره بأن دولته أحب إليه من دولة الصليحيين . وأن المكرم قد أصيب بالفالج وعكف على الاستمتاع بالغناء والشراب ، وترك أمور الدولة إلى زوجته الحرة السيدة أروى تديرها كيفما تشاء ، وأوضح له الحسين التبعي أنه سيساعده على القضاء على دولة الصليحيين وطلب منه أن يجهز جيشاً من (زبيد) ويطلع به إلى حصن (الشعر) في موعد حدده له ، حيث سيلتقي به فيه . ومن الشعر سيتجهان إلى ذي جبلة للقضاء على المكرم . فأعجب سعيد الأحول النجاحي بهذه الفكره وجهز جيشاً مكوناً من ثلاثين ألف جندي ، وسار بهم حسب الموعد المحدد له إلى حصن الشعر . وعند طلوعه ذلك أمرت السيدة الحرة والي صنعاء عمران اليامي أن يخلف سعيد الأحول إلى زبيد في ثلاثة ألف مقاتل ففعل ذلك . كما أنها جهزت من عندها من ذي جبلة جيشاً واتجهت به إلى حصن (الشعر)

ولما وصل جيش سعيد الأحول إلى أسفل الحصن أطبق عليه الجيشان من كل جهة وهما جيش السيدة الحرة وجيش الحسين التبعي فقاتلوه قتالاً شديداً حتى هزموا جيشه وقتلوه [41]

هذه الرواية غير معقولة أن تحدث بتلك الكيفية لعدة أسباب منها أولاً: أن عدد جيش سعيد الأحول غير معقول أن يكون تعدادهم ثلاثين ألف مقاتل . إذ لو كان لديه ذلك العدد لاكتفي بمقاتلة الصليحيين دون الاستعانة بالحسين التبعي . ومنها ثانياً: أن ذي جبلة كانت أقرب لسعيد الأحول من (الشعر) . وكان من المتوقع أن يوعده الحسين التبعي للإلتقاء قرب ذي جبلة وليس في الشعر . ومنها ثالثاً: وهو الأهم أن موعد طلوع سعيد

---

(41) عمارة : المفيد، ص: 142 ، 145 ، الخزرجي : العسجد ، ص: 62-63 ، الوصابي: الاعتبار ، ص: 39 ، ابن الديبع : قرة العيون ، ص: 264 ، بغية ، ص: 60 - 61 ، المطاع: تاريخ اليمن ، ص: 270 - 272 ،

الأحول وهو سنة 481 هـ / 1088م كان مناقضاً لوجود المكرم والحسين التبعي على قيد الحياة . إذ أن السجلات المستنصرة حددت موت المكرم في أواخر سنة 477 هـ / 1085م . كما أن الحسين التبعي مات سنة 478 هـ/1086م . وبذلك لا يمكن أن تكون حدوث هذه القصة في ذلك الوقت ، وبذلك العدد من الجيش، ولكن من المحتمل أن تكون السيدة الحرة أروى اشتركت مع زوجها المكرم والحسين التبعي في التآمر على سعيد الأحول النجاحي سنة 461 هـ / 1069م ، وليس سنة 481 هـ/1088م . وإذا صح ذلك فتكون السيدة الحرة قد اشتركت في المساهمة بقتل سعيد الأحول آنذاك .

سياسة الحرة السيدة أروى بعد موت زوجها :

1 ـ تولية ابنها على بن المكرم:

حين توفي المكرم أحمد بن علي الصليحي أسند أمر الدعوة الاسماعيلية إلى الداعي سبأ بن أحمد الصليحي[42] وهذا شيء طبيعي أن يسند الدعوة الإسماعيلية إلى أحد رجال الدولة الصليحية الأقوياء . إلاّ أن الحرة السيدة أروى أرادت أن تكون الدعوة الاسماعيلية من نصيب ابنها وذلك حسب القاعدة الاسماعيلية التي توصي بتو ريت الحكم والدعوة للأبناء . لذلك كاتبت السيدة الخلافة الفاطمية تطلب منها منح ابنها الطفل التقليد بالدعوة الإسماعيلية وتوليته الأمور السياسية باليمن . فوافق الخليفة المستنصر الفاطمي على ذلك ، وارسل ثلاثة سجلات سنة 478 هـ / 1085 م يقلد فيها علي بن المكرم الدعوة والسلطة في اليمن نوضحها بالآتي :

= الحريرى :معالم، ص: 51 ـ 52 .

(42) عمارة: المفيد ، 146 . الخزرجي: العسجد، ص: 63 ، ابن الديبع : قرة ، ص: 265 ، يحيى بن الحسين: غاية الأماني ، 274/1 . حسن محمود : أروى ، ص: 23 ، يذكر أحمد شرف الدين في اليمن عبر التاريخ، ص: 201 ، أن المكرم أسند الوصية في الملك إلى روحته السيدة الحرة أروى الصليحية . وفي الدعوة إلى ابن عمه سبأ بن أحمد بن المظفر الصليحي . ويوافق هذا الرأى أمين صالح في العلاقة بين الصليحيين والفاطميين ، ص: 67 .

في السجل رقم (14) والمؤرخ في غرة شهر ربيع الأول سنة 478 هـ / يونيو 1085م أرسل الخليفة المستنصر الفاطمي ، هذا السجل إلى عبد المستنصر علي بن المكرم يقلده فيه أمور الدعوة في اليمن جاء فيه : ((وأمره أن يقلدك النظر فيما كان أبوك تقلده من الدعوة الهادية والأحكام في اليمن وسائر الأعمال المضافة إليه براً وبحراً وسهلا ووعراً))[43] .

كذلك أوصى الخليفة المستنصر في هذا السجل جميع أنصار الدعوة الاسماعيلية باليمن طاعة علي بن المكرم بقوله فيه: ((وأن يصل أوامر أمير المؤمنين إلى كافة الأولياء المؤمنين ، رجال الدعوة الميامين ، كثرهم الله ، وأعزهم بعضدك والإئتمار لأوامرك ، والازدجار بزواجرك ، وأن يجزيك عن جميع نظمه من تلك البلاد والمعاقل ، والحصون والأعمال ، الدانية والقاصية على الرسم المعهود من طاعة أمير المؤمنين فيك ، وأن يجمع كلمتهم على الإتفاق في نصرتك ، والجهاد قدامك ، والتبرؤ من المارقين الذين يبدون الشنآن لك ، وأن يسالموا من سالمت ، ويعادوا من عاديت ، ويحاربوا من حاربت ... ومن خرج منهم عن هذا التمثيل من كافة الأولياء المؤمنين والناس أجمعين ، برئت منه ذمة الدعوة وحقت عليه كلمة البعد من الرحمة))[44] .

وفي السجل رقم [48] المؤرخ في شهر ربيع الأول أيضاً سنة 478 هـ / يونيو 1085م ، أرسل الخليفة المستنصر الفاطمي هذا السجل إلى الحرة السيدة أروى يشرح فيه توريث ابنها الدعوة ويقلده أمر اليمن جاء فيه :((فرأى أن لا يجرد الدعوة من نصابها ولا يجليها من أربابها ولا يعدل بها عن الناشئين فيها المتعلقين بوثيق أسبابها فاصطنع والد الماضي ـ رحمة الله ـ الذي هو ولدك ... عبد المستنصر ... ونصبه منصبه ... فتألف بكتب تقليد ولدك الدعوة الهادية والأحكام ، على نية تضاهي ما كان لأبيه))[45] .

---

(43) السجلات ، ص: 61 ، حسن محمود: أروى ، ص: 23 ـ 24 ، عصام الفقي : اليمن، ص: 169 .

(44) السجلات ، ص: 61 ـ 62 .

(45) السجلات ، ص: 163 .

كذلك أرسل الخليفة المستنصر الفاطمي السجل رقم (46) والمؤرخ في شهر ربيع الأخر سنة 478 هـ/يوليو 1085م إلى السيدة الحرة أروى يعرفها بمعرفته بوفاة المكرم وأنه يحول المكاتبات التي يرسلها إلى ابنها علي ابن المكرم الملقب بعبد المستنصر . ويؤكد لها تقليده له علي اليمن كله وريثاً لأبيه جاء فيه قوله :((وقد كان أمير المؤمنين بما أطلع على وفاة الأجل المكرم ـ رحمه الله ـ وانتقاله إلى دار رضوانه وكرامته ... وخرج أمره بمكاتبته الأجل ، المكرم ـ ولدك ... وأن له من المفاخر شرف الدعوة وتنقلها في بيته من علو ذروة فانتقض له أن يورثها عن سلفه ويحلىّ جيده بها . ويزداد بتقليدها له في شرفه ، ونصبه منصب الماضي ـ رضوان الله عليه ـ وقلده ما كان قلده من الدعوة الهادية والاحكام والمظالم في سائر أعمال اليمن))[(46)] .

من خلال ما تقدم نجد أن الخليفة المستنصر الفاطمي عمل بعد موت المكرم على تقليد ابنه علي بن المكرم الذي كان طفلا لا يتجاوز عمره عشر سنوات[(46م)]أمر الدعوة في اليمن . إضافة إلى الأمور السياسية والإدارية . وأنه منحه هذا التقليد كوريث لوالده حتى لا تخرج الدعوة عن مؤسسيها بني الصليحي . كما أنه حول المكاتبات باسمه . وبذلك تكون الخلافة الفاطمية قد وقفت بجانب علي بن المكرم كوريث شرعي، وإلى جانب أمه السيدة الحرة .

لم يقبل جمع من الأفراد من اليمنيين على رأسهم سبأ بن أحمد الصليحي أن يتولى علي ابن المكرم أمر الدعوة الإسماعيلية والسلطة في اليمن . وهو طفل لا يتجاوز العشر سنين . بينما وقف إلى جانب توليته جمع آخر على رأسهم سليمان بن عامر الزواحي والسيدة الحرة أروى . لذلك انقسم انصار الدولة الصليحية في اليمن إلى قسمين . هم آل الصليحي بقيادة سبأ بن أحمد الصليحي وآل الزواحي بقيادة سليمان بن عامر الزواحي والسيدة الحرة . فدار صراع بين الطرفين منذ نهاية سنة 478 هـ / 1085م حتى بداية سنة 480 هـ/1087م .

---

(46) السجلات ، ص: 157 - 158 .

(46م) حسن محمود : أروى ، ص: 25 ، عارف تامر ملكة اليمن ، ص: 65 .

وخلال فترة هذا الصـراع أرسـلت السـيدة الحـرة أروى عـدة مكاتبـات إلى الخلافـة الفاطمية مع عدة رسل هم نعيم الشاعر الهلالي ، وسعدالله ورفيقه الشيرازي . وكاتبها ابي نصر سلامة بن الحسن . وضّحت السيدة في هذه المراسلات تصارع الزواحيـين والصليحيـين حول تولى الدعوة والسلطة في اليمن . وطلبت من الخلافة الفاطمية الوقوف بجانبهـا وتدعيـم تولية ولدها أمر الدعوة والسلطة في اليمن . انتهي هذا الصراع بحل الخلاف بين الطرفين عـن طريق زواج السيدة الحرة بسبأ بن أحمد الصليحي نورد قصة هذا الزواج بالأتي:

قصة زواج الحرة السيدة أروى الصليحية من سبأ الصليحي.

بعد أن تأزمت الأمور بـين الزواحيـين والصليحيـين لمـدة سـنتين انتهـت هـذه الأزمـة بقبول السيدة الحرة أروى الزواج من سبأ بن أحمد الصليحـي وذلـك كمـا يتضـح في آواخـر سنة 479 هـ / 1087م. وقصة هذا الزواج كما أروده عمارة ومن أخذ عنه بالأتي:

طلب سبأ بن أحمد الصليحي الزواج من السيدة الحرة أروى بعد موت زوجها المكرم فرفضت طلبه في البداية . فغضب من ذلك سبأ بن أحمد فجهز جيشاً لمحاربتها وسار بهـم مـن مقره في حصن أشيح إلى مقرها في ذي جبلـة . وآنـذاك وقـف بجـانب السـيدة الحـرة أخوهـا سليمان الزواحي . ولما وصل جيش سبأ بن أحمد إلى ذي جبلـة نشـبت الحـرب بـين الطرفـين لعدة أيام . ونتيجة لذلك القتال والصراع اقترح سـليمان بـن عـامر الزواحـي عـرض قضيـة الزواج على الخليفة المستنصر الفاطمي وتحكيمه في ذلك حيث قال لـه ((واللـه لا أجـابتك إلى ما تريد إلا بأمر المستنصر باللـه)) فقبل سـبأ الصليحـي ذلـك . وتوقفـت الحـرب بينهـم وأرسلوا رسولين إلى الخلافة الفاطمية بمصر . هـما القاضي الحسن بـن إسمـاعيل الأصفهـاني ، وأبو عبد اللـه الطيب. لذلك رجع سـبأ الصليحي مـن ذي جبلـة إلى مقـره حصـن أشيـح في انتظار الرد .

وبالنسبة للرسولين فقد عادا من الخلافة الفاطمية بمصر بموافقة الخليفة المستنصر على زواج السيدة الحرة أروى من سبأ بن أحمد الصليحي . وتأكيداً لتلك الموافقـة أرسـل الخليفـة الفاطمي مع الرسولين أستاذاً مـن لديـه يعـرف بحـامل المذبـة ((أو الـدواة)) . ولمـا وصلـت الرسل إلى حصن أشيح أرسل سبأ الصليحي معهم رسـوله البجلـي . فسـار الرسـل جميعـاً إلى

السيدة الحرة إلى ذي جبلة . فلما وصلوا إليها أبلغها الأستاذ سلام الخليفة المستنصر الفاطمي ومدحها ((بوحيدة الزمن وسيدة ملوك اليمن)) ثم أقرأها رسالة الخليفة التي تقول: ((وقد زوجك مولانا أمير المؤمنين من الداعي الأوحد المنصور المظفر عمدة الخلافة أمير المؤمنين أبي حمير سبأ بن أحمد بن المظفر بن علي الصليحي على ما حضر من المال وهو مائة ألف دينار عيناً وخمسون ألف أصناف من تحف والطاف وطيب وكساوي)) . ولكن السيدة الحرة تذمرت من ذلك وحاولت عدم القبول به . إزاء ذلك اتجه إليها وزيرها زريع بن أبى الفتح والأصفهاني وغيرهما لإقناعها بالزواج فظلوا يلاطفونها حتى قبلت الزواج . وتعبيراً عن فرحة سبأ الصليحي بذلك استمرت احتفالات الزواج لمدة شهر[47] .

وكما يتضح من المراسلات التي دارت بين الحرة السيدة والخلافة الفاطمية أن تجهيز سبأ الصليحي لجيشه من مقره أشيح وذهابه إلى ذي جبلة كان سببه التمسك بأحقيته في تولي الدعوة الإسماعيلية باليمن بناء على عهد المكرم له بذلك . وليس بسبب رفض الحرة السيدة الزواج منه . وأن وقوف سليمان بن عامر الزواحي والسيدة الحرة ضد سبأ الصليحي كان سببه تمسكهما بتولية الخلافة الفاطمية وتوريثها الدعوة الإسماعيلية والسلطة في اليمن لعلى بن المكرم . وليس بسبب عدم قبول السيدة الزواج . ونتيجة لمطالبة كل من سبأ الصليحي وسليمان بن عامر الزواحي والسيدة ، أو كل من الطرفين بأحقية تولي أمر الدعوة الإسماعيلية والسلطة في اليمن ، وطول مدة الصراع ، كان الحل الأمثل لحل الخلاف فيما بينهم هو فكرة زواج الحرة السيدة أروى بالداعي سبأ بن أحمد الصليحي . ولذلك طلبوا استشارة الخليفة المستنصر الفاطمي في ذلك الزواج . فوافق الخليفة على الزواج إذا قبلت الحرة السيدة بذلك . دون أن يكون ذلك الزواج بأوامر مفروضة من الخليفة . لذلك ظل وزيرها والأصفهاني وغيرهما يلاطفونها حتى قبلت الزواج .

---

(47) عمارة: المفيد ، ص: 150 – 152 . الوصابي: الاعتبار ، ص: 40 – 41 ، الحمزي: كنز ، ص: 81 . الخزرجي العسجد ، ص 64 - 65 ، ابن الديبع. قرة العيون . ص: 267 – 268 . يحي بن الحسين: غاية الأماني ، 276/1 - 277 ، المطاع: تاريخ اليمن . ص: 276 – 277 ، أيمن فؤاد: المذاهب ، ص: 153 ، أمين صالح. العلاقة ، ص: 68 - 69 .

وعلى الرغم من زواج الحرة السيدة أروى من الداعي سبأ بن أحمد الصليحي إلاّ أنها لم تكن راغبة بهذا الزواج بعد موت زوجها المكرم ، نتيجة لاهتمامها بالأمورالسياسية للدولة الصليحية . لذلك طلبت الحرة السيدة من سبأ الصليحي استعفائها فقالت له وليس للمكرم كما أورد عمارة: ((إن امرأة تراد للفراش لا تصلح لتدبير أمر فدعني وما أنا بصدده))[48] . لذلك قعد سبأ الصليحي فترة قصيرة في ذي جبلة ثم غادرها عائداً إلى مقره في أشيح .

وهناك رواية تذكر أن سبأ الصليحي لم يقعد في ذي جبلة بعد احتفالات الزواج غير أيام قلائل وذلك بسبب تجاهل الناس له في ذي جبلة وتعظيم الحرة السيدة ، حيث كان كل واحد يقول: ((مولاتنا مولاتنا ما حقر نفسه وندم على خطبتها وأرسل سبأ إلى الحرة بالسر أن تأذن له في الدخول إلى دار العز ليتوهم الناس أنه دخل بها ففعلت ذلك وأما كثير من أهل جبلة فيزعمون أنه اجتمع بها ليلة واحدة ثم ارتحل))[49] . وبالرغم من عدم تصديقنا لهذه الرواية إلاّ أنها تدل على أن الزواج استهدف حل مشكلة سياسية في اليمن بإنهاء الصراع بين الزواحيين والصليحيين وليس ناتجاً عن رغبة مسبقة بالزواج .

ونتيجة لحل الأزمة السياسة في اليمن بالزواج . وقبول سبأ الصليحي بتوريث الدعوة والسلطة لعلي بن المكرم وطاعته له . أرسل الخليفة المستنصر الفاطمي سنة 480 هـ / 1087م ثلاثة سجلات أحدها إلى عبد المستنصر علي بن المكرم . والثاني إلى الزواحيين والصليحيين والثالث إلى الحرة السيدة . تؤكد هذه السجلات استمرار وقوف الخلافة الفاطمية بجانب السيدة الحرة وابنها علي بن المكرم وأنها تورثه الدعوة والسلطة في اليمن . كما توضح جواز تولية الأطفال للدعوة الإسماعيلية والسلطة . وتطلب هذه السجلات من جميع اليمنيين طاعة الحرة السيدة وابنها . نورد محتوى هذه السجلات بالأتي:

في السجل الموجه من الخليفة المستنصر الفاطمي إلى علي بن المكرم وهو السجل رقم (37) والمؤرخ في شهر ربيع الأول سنة 480 هـ / 1087م جاء فيه ثلاثة أفكار هي:

---

(48) عمارة: المفيد ، ص: 138 ، الخزرجي: العسجد ، ص: 62.

(49) عمارة: المفيد ، ص: 152 .

1 - الفكرة الأولى: تحكى عن تأكيد الخلافة الفاطمية على توريث الدعوة الإسماعيلية والسلطة باليمن لعبد المستنصر علي بن المكرم . نصها الأتي: ((وكان حقيقياً من أمير المؤمنين أن يورثك من الدعوة تراث ابيك وجدك ...... من نصبك منصب ابيك وتقليدك الدعوة الهادية في سائر أعمال اليمن وما يليه سهلاً ووعراً وبراً وبحراً))[50] .

2 - الفكرة الثانية: تتحدث عن تكليف علي بن المكرم إبلاغ جميع السلاطين والأنصار باليمن طاعته وطاعة أمه الحرة السيدة أروى ذكر ذلك السجل بقوله: ((وأمره أن يخص سائر السلاطين والأولياء والمؤمنين ...... على الاستمرار على مضافرتك وأن يقودهم إلى تباعتك في الطاعة ومناصرتك ومناجدتك ...... وإعلام الكبير والصغير أن من أطاعك وأطاع والدتك الحرة الملكة ...... وانقاد بعقادتكما .... أطاع أمير المؤمنين))[51] .

3 - الفكرة الثالثة: توضح أن يبلغ علي بن المكرم جميع المستنكرين على توليته وهو طفل. أنه يجوز تولية الأطفال الدعوة الإسماعيلية والسلطة. لأن المستنصر الفاطمي تولى الخلافة الفاطمية وعمره ست سنوات . وضح ذلك السجل بقوله: ((لأن الله فوض أمير المؤمنين الخلافة وسنه دون الثمان سنين وجده علي بن الحسين ـ صلى الله عليه ـ تولى الخلافة وعمره تسع سنين وقد جاز هذا في الأمامة وهي الدرجة التي تلي النبوة . فيكيف الدعوة التي لأمير المؤمنين أن يتصرف فيها على اختياره ويفوضها إلى من يرتضيه ويختاره))[52] . من ذلك يتضح أن الخلافة الفاطمية مُصِرَّة على توريث السلطة في اليمن لابن المكرم رغم صغر سنه وطفولته .

---

(50) السجلات ، ص: 124 .

(51) السجلات ، ص: 126 - 127 .

(52) السجلات ، ص: 127 ، حسن محمود ، أروى ، ص: 25 .

وفي السجل رقم (38) والمؤرخ في شهر ربيع الأول أيضاً سنة 480 هـ / 1087م. والمرسل من الخليفة المستنصر الفاطمي إلى المتصارعين من الزواحيين والصليحيين وغيرهم. أورد فكرتين هما:

1 ـ الفكرة الأولى: يثني الخليفة المستنصر على الزواحيين والصليحيين مناصرتهم للدعوة الإسماعيلية ويطلب منهم عدم الإختلاف والإفتراق ذكر ذلك السجل بقوله: ((من عبدالله .... الإمام المستنصر بالله ، أمير المؤمنين ، إلى كافة السلاطين الصليحيين والزواحيين ، والمشائخ الحجازيين ، وطوائف المؤمنين الميامين ، كثرهم الله ونصرهم ..... ولما عرف أمير المؤمنين ما كان منكم في النصرة من حميد المساعي ، ومأثور مواقفكم في حماية الدعوة ، وما أنتم عليه من الالتزام بشرائط الطاعة ، والعمل بعلائق الوفاء والديانة والمناصحة ، شكر لكم هذه المناقب ، التي تقلدتم بها قلائد التقوى ، ونلتم بها ، الدنيا والآخرة .... وأمير المؤمنين يأمركم بالجري على هذا السنن المشكور ، والاعتماد المأثور وأن تعتمدوا الإئتلاف ، والتحذير من عواقب المقاطعة والإختلاف .....))[53] .

2 ـ الفكرة الثانية: يطلب الخليفة المستنصر من الزواحيين والصليحيين وأنصار الدعوة الإسماعيلية باليمن ، طاعة ومناصرة علي بن المكرم ووالدته الحرة السيدة . وعدم مخالفتهما وضح ذلك السجل بقوله: ((وبحكم ذلك فهو يفرض عليكم التدين بطاعة داعيكم .... عبد المستنصر ...... ويأمركم أن تعتمدوا الجد والتشمير في متابعته ومناصرته. ومشايعته . ومضافرته ، والإزماع والجهاد تحت رايته ، .... وأن تخلصوا النيات في موافقته وطاعة والدته: الحرة الملكة السيدة ، ..... وَحَرَّم عليكم كافة السلاطين المقدمين، والمؤمنين الديانين مخالفتها والرد لأمرها والقعود عن مناصرتها .والادهان في طاعتها والتأخر عن أمثلتها فمن خالف هذه المراسم فقد

---

(53) السجلات ، ص: 128 - 129 .

مرق من ألدين ، وتعرض لمساخط أمير المؤمنين وخسر الدنيا والدين))[54] . يدل ذلك أن السيدة الحرة أصبحت صاحبة النفوذ والسلطة إلى جانب ابنها وأن على جميع سلاطين اليمن طاعتها ومناصرتها.

وفي السجل رقم(36)والمؤرخ في شهر ربيع الأول كذلك سنة480هـ/1087م والمرسل من الخليفة المستنصر الفاطمي إلى الحرة السيدة . أورد ثلاثة أفكار هي:

1 - الفكرة الأولى: يؤكد في هذا السجل الخليفة المستنصر للحرة السيدة على توريث الدعوة الإسماعيلية والسلطة في اليمن لابنها علي بن المكرم بعد وفاة والده. فقال: ((ولما كان من قضاء الله تعالى على خليلك الملك الأجل ، المكرم - رحمة الله عليه - ما كان ، علم أمير المؤمنين بانتقاله بادر إليك بنصب ولدك ...... عبد المستنصر .... فنصبه وأصدر التقليد بموضعه وأورثه رتبته ، حراسة للدعوة الهادية أن لا تزال مستقرة في بيتها واقرارها .... في أغمادها وأنصبها))[55] .

2 - الفكرة الثانية: أوضح الخليفة المستنصر للحرة السيدة أنه تحدث مع رسولها أبي نصر سلامة بن الحسن وأطلع على المكاتبات السابقة منها بشأن المشاجرة التي حدثت بين الزواحيين ويشكر فيه موقف سبأ بن أحمد الصليحي من حسن طاعته . أوضح ذلك السجل بقوله: ((وأما ما كان شجر بين السلطانين الأجلين أبي حمير سبأ بن أحمد الصليحي وأبي الربيع سليمان بن عامر الزواحي .... فقد عرف أمير المؤمنين ما تكررت به مكاتبات مع نعيم الشاعر الهلالي، ثم مع سعد الله ورفيقه الشيرازي وهذه النوبة ، وشافه رسولك أبونصر - ..... بما كان من تسديد السلطان أبي حمير سبأ في جميع ما جرى بينه وبين السلطان أبي الربيع من المنافرة والمشاجرة وما أَفَضْتَ فيه على السلطان أبي حمير سبأ في الثناء والتزكية والإطراء ، وما قَرَظْتَه به من حسن الطاعة ولين قيادة في الموافقة والمبايعة ، وإيفائه على ما طلب منه من

---

(54) السجلات ، ص: 131 - 132

(55) السجلات ، ص: 119 .

المسامحة والمساعدة))[56] .

3 ـ الفكرة الثالثة: موافقة الخليفة المستنصر على ما ترتضيه السيدة من حل لقضية الخلاف الدائر في اليمن بين الصليحيين والزواحيين حيث قال: ((وقد كان أمير المؤمنين ند بك من قبل ويند بك ، وفوض ، ويفوض إليك ، ويرتضي سداد رأيك لفصل هذه القضية ، وإعادة الأمر فيها إلى الصورة المرضية العائدة بإطفاء الثائره وحسم مادة ما شجر بين المذكورين من النقاء))[57] .

من الملاحظ من السجل رقم (36) أن الحرة السيدة أصبحت صاحبة النفوذ والسلطة وذلك لما تتمتع به من عقلية ذكية وحكمة . جعلت الخليفة المستنصر الفاطمي يفوض إليها أمر حل مشكلة اليمن التي حدثت بين الزواحيين والصليحيين . كما جعلته يرتضي ما تتوصل إليه السيدة من حل لهذه المشكلة مما يدل على أن السيدة الحرة أروى أصبحت منذ سنة 480 هـ/1087م متولية للأمور السياسية في اليمن ، نظراً لصغر سن ابنها علي بن المكرم.

ومن خلال ما تقدم من المراسلات التي دارت بين مصر واليمن ، نستنتج أن الخلاف والصراع الذي دار بين الزواحيين والصليحيين في اليمن بدأ منذ نهاية سنة 477 هـ / 1085م وهي السنة التي توفي بها المكرم وعهد بها بتولي الدعوة الإسماعيلية باليمن للداعى سبأ بن أحمد الصليحي ، وبداية سنة 478 هـ/ 1085م وهي السنة التي عهدت بها الخلافة الفاطمية بتولية علي بن المكرم الدعوة الإسماعيلية والسلطة في اليمن . واستمر حتى نهاية سنة 479 هـ / 1087 وهي السنة التي قبلت بها الحرة السيدة الزواج من الداعي سبأ الصليحي. وبداية سنة 480 هـ / 1087م وهي السنة التي انتهى فيها الصراع بين الزواحيين والصليحيين في اليمن.

وأن ذلك الصراع كان سببه ادعاء كل طرف بأحقيته بتولي الدعوة والسلطة في

---

(56) السجلات ، ص: 120 - 121 .

(57) السجلات ، ص: 121 .

اليمن . فالصليحيون على رأسهم سبأ بن أحمد الصليحي كانوا يدَّعون بأن سبأ الصليحي أحق بالدعوة لأن المكرم عهد إليه بذلك . ولأن علي بن المكرم كان طفلاً لا يجوز له تولي الدعوة ، لعدم مقدرته على تحمل أعبائها . أما الزواحيون وعلى رأسهم سليمان بن عامر الزواحي والحرة السيدة فقد كانوا يدَّعون أن علي بن المكرم كان أحق بتولي الدعوة لأن الخليفة المستنصر الفاطمي عهد إليه بذلك . وأنه في نظر هؤلاء والخليفة أنه يجوز تولية الأطفال الدعوة والسلطة . كما سبق ذكره .

وخلال فترة هذا الصراع ظلت المراسلات قائمة بين الحرة السيدة في اليمن والخليفة المستنصر الفاطمي بمصر . كان موقف الخلافة الفاطمية الوقوف بجانب السيدة الحرة وابنها علي بن المكرم ومساعدتهما . فأكدت مراراً على أحقية علي بن المكرم في تولي الدعوة والسلطة في اليمن وراثيا رغم صغر سنه . لأن تولية الأطفال الدعوة والسلطة جائز لدى الفكر الإسماعيلي . وحاولت الخلافة الفاطمية إقناع اليمنيين المعارضين لتولية الأطفال ، بجواز توليتهم . كما أكدت الخلافة مراراً لجميع الزواحيين والصليحيين وأنصار الدعوة الإسماعيلية في اليمن بطاعة علي بن المكرم ووالدته الحرة السيدة . وشكرت الخلافة الفاطمية طاعة سبأ الصليحي لعلي بن المكرم . كما أيدت إنهاء الصراع بين الزواحيين والصليحيين ، وشكرت الحرة السيدة لمقدرتها على حل ذلك الخلاف . وفوضت إليها حل مشاكل اليمن .

كذلك نستنتج من تلك المراسلات أنه على الرغم من استمرار المراسلات بين اليمن ومصر حول الصراع الدائر في اليمن . أن حل الخلاف بين الزواحيين والصليحيين جاء من اليمن نفسها وليس من الخلافة الفاطمية . وذلك بقبول سبأ بن أحمد الصليحي طاعة علي بن المكرم . وموافقة الحرة السيدة أروى على الزواج من سبأ الصليحي . وذلك من خلال شكر الخلافة الفاطمية لطاعة سبأ لعلي بن المكرم وارتضاء الخلافة بما حلت الحرة السيدة تلك المشكلة .

وعلى الرغم من انتهاء الصراع في اليمن بين الزواحيين والصليحيين إلاّ أن الخلافة الفاطمية استمرت في إرسال السجلات إلى اليمن تؤكد فيها دعمها لأنصارها فأرسل الخليفة

المستنصر الفاطمي إلى عبد المستنصر الفاطمي سجلاً برقم (22) مؤرخ في ذي القعدة سنة 481 هـ / يناير 1089م أورد فيه أربعة أفكار هي:

1 ـ الفكرة الأولى: أوضح الخليفة المستنصر فيها وقوفه بجانب علي بن المكرم وأمه الحرة السيدة حيث قال فيه: ((ولا يزال أمير المؤمنين شاداً لأواخيك فصدر أوامره وللحرة والدتك الملكة السيدة))[58] .

2 ـ الفكرة الثانية: يشكر فيها الخليفة المستنصر طاعة علي بن المكرم له . وذلك من وفق استعراضه للرسائل المتبادلة بينهما حيث جاء فيه: ((وأنه عرض بحضرة أمير المؤمنين كتابك ، جواب ما كان صدر إليك على يد الشيخ أبي نصر سلامة بن حسين كاتبك ـ ...... ـ ووقف أمير المؤمنين عليه حامداً لله جلت آلاؤه على ما خصه فيك من الاستقامة ، مسروراً بما سهله الله من ضم كلمة الاتفاق واستواء نظامه ، فأما إعترافك بشكر ما أولاكه أمير المؤمنين من إقرار الدعوة منك في نصابها ، وإحكام وثائقها وأسبابها ، وقدرك .... فأمير المؤمنين يرعى خدمة أبيك وجدك فيك))[59] .

3 ـ الفكرة الثالثة: يشكر الخليفة سلاطين اليمن على طاعتهم لعلي بن المكرم بقوله ((وأما وصول الشيخ أبي نصر المذكور بالسجلات والملطفات الى كافة السلاطين والمؤمنين بجزيرة اليمن بالإئتمار لأمرك وشكرك لمساعيهم وإشادتك بما يوجههم بحضرة أمير المؤمنين ويحظيهم ، واختصاص السلطان سبأ بن أحمد الصليحي في ذلك بما أقر عينه من نباهة التمييز ، واحلاله محل الأمير العزيز))[60] .

4 ـ الفكرة الرابعة: إقتناع الخليفة المستنصر بالحل الذي تم بين الزواحيين والصليحيين وإنتهاء الشجار بينهم بقوله عن ذلك: ((وكمل بورود أوامر أمير المؤمنين تمامه ، من زوال ما كان شجر ، بين سبأ بن أحمد الصليحي ، وسليمان بن عامر الزواحي

---

(58) السجلات . ص 80 .

(59) السجلات ، ص: 81 .

(60) السجلات ، ص. 81 .

وانقشاع ما كان غشي أمير المؤمنين بذلك من الضباب وخمود ما كان تأجج من نار الفتنة التي أغلق دونها الباب ، وعود الأمر فيما بينهما إلى أجمل عوائد الاتفاق))[61] . وهكذا شرح السجل رقم (22) معرفة الخليفة المستنصر لما جرى في اليمن . وشكر فيه طاعة كل من علي بن المكرم وسبأ الصليحي . كما أوضح السجل اطمئنان الخليفة لانتهاء الصراع بين الزواحيين والصليحيين في اليمن.

علاقة اليمن بالدعوة الإسماعيلية بالهند وعُمان:

وبالنسبة لتبعية الهند وعُمان في الدعوة الإسماعيلية لليمن في عهد الحرة السيدة أروى. فقد أرسل الخليفة المستنصر الفاطمي إلى الحرة السيدة سجلاً برقم (50) ومؤرخ في العشر الأواخر من ذي القعدة سنة 481 هـ / يناير 1089 . يشكرها فيه على حسن اهتمامها بهذه الجهات وتولية من تراه صالحاً للدعوة الإسماعيلية فيها ، جاء فيه: ((فإنه عرض بحضرة أمير المؤمنين كتابك المضمَّن كتاب وفاة داعيه بالهند ...... وأنه خلّف ولدين ذوي دين وتقية واستصلاح للخدمة . وأن الموماً إليه منهما: أحمد الأكبر لتمييزه وحميد طريقته ، وصدق حاجة المؤمنين هناك إلى داع يجمع شملهم على الطاعة ويؤنس وحشتهم ، بعد وفاة داعيهم الذي كان له حسن الأثر ، موثراً بحسن الولاء والتباعة ، ثم شفعت ذلك بما اعتمده المعروف بإسماعيل بن إبراهيم الداعي كان بعمان من التخلي عن الخدمة والركاض في طلب التجارة ، وبقي المؤمنون شتاتاً بعد بعده وانفصاله ، وأن سبط حميد الدين المتوفى خَلَّفَ ولداً يسمى حمزة يصلح للاستخدام عوض المذكور ، إلى غير ذلك مما وقف أمير المؤمنين عليه ، وأحمد لك تنبهك على هذه المصالح وتفقدك أحوال الدعوة والدعاة في ذلك الأطراف والنواحي ، وعلم أنك يقظة لما عاد بقيام أمر الدين ووطد مهاده ، وعلى سلطان الدعوة ورفع عماده))[62] .

---

(61) السجلات ، ص: 81 - 82 .

(62) السجلات ، ص: 168 .

من خلال ذلـك النص نجد أنه نظراً لأن الحرة السيدة أصبحت صاحبة النفوذ والسلطة في اليمن ـ أوكلت إليها الخلافة الفاطمية أمر تولية الدعاة في الهند وعُمان والأشراف عليهما . لذلك عمل الخليفة المستنصر برأي الحرة السيدة بتعيين الشخصين المذكورين في الهند وعُمان وأصدر أوامره إلى أمير جيوشه بدر الجمالي باصدار تقليد لهما بقوله:((وأوعز أمير المؤمنين إلى فتاه: السيد الأجل ، أمير جيوشه ...... باصدار التقليدين عن مجلس نظره ، باسم كل من الداعيين المذكورين ..))[63] .

ونتيجة لتبعية الهند وعُمان لليمن واهتمام الحرة السيدة بهذه الجهات فقد أوكل الخليفة المستنصر الفاطمي لها حرية التولية لمن تشاء وإدارة تلك الجهات كما تريد . حيث جاء في السجل (50) قوله: ((وأنت قد جعل إليك أمير المؤمنين النظر في تلك البلاد والأعمال ومراعاة دُعاتها ، وانتظام حال الدعوة فيها ، ومعونتهم بما يصلح خدمهم ، ويؤكد أمرهم ، ويجب أن تندبي من تخيرتيه للتوجه إلى هناك ، وإنفاد كتبك بما تطيب به النفوس ، وتنشرح له الصدور بالرعاية وتسديدها ، والمطالعة بما يحتاج إليه من مصالحها . فاعلمي ذلك وأعملي بحسبه ، إن شاء الله والسلام عليك ورحمة الله وبركاته))[64] .

مما سبق يتضح أن الخلافة الفاطمية أوكلت إلى الحرة السيدة أروى منذ سنة 480 هـ/ 1087م تولى أمور السلطة في اليمن . كما جعلتها مسئولة عن تولية الدعاة في الهند وعُمان . وبذلك ارتفعت الحرة السيدة إلى (مقامات الحجج) وهي من أعلى مراتب الدعوة الإسماعيلية . نذكرها فيما بعد .

وقد ظلت السيدة الحرة تحكم اليمن إلى جانب ابنها علي بن المكرم منذ وفاة ابيه المكرم . إلاَ أن ابنها لم تطل به الحياة فقد مات علي الأرجح سنة 484 هـ / 1091م أما أخوه الأصغر محمد بن المكرم فقد مات قبل أخيه وذلك في سنة 480 هـ / 1087م كما يبدو . وبعد موت علي بن المكرم تولت أمه السيدة الحرة اليمن بنفسها دون أن يستطيع أحد من

---

(63) السجلات ، ص: 168 .

(64) السجلات ، ص: 169 .

قادة الصليحيين أو سلاطين اليمن معارضة حكمها . بسبب وقوف أخيها سليمان الزواحي إلى جانبها وكذلك الخلافة الفاطمية . وما كانت تتمتع به من عقلية وحكمة. لذلك أصبحت السيدة الحرة هي الحاكم الفعلي لليمن منذ وفاة ابنها حتى وفاتها سنة 532 هـ / 1138م حيث لقبت ((بوحيدة الزمن)) و((سيدة ملوك اليمن))[65] .

أهم قادة الحرة السيدة :

ساهمت جماعة من القادة في مناصرة السيدة الحرة وابنها . وتدعيم سلطانهما ونفوذهما في اليمن . مثل سبأ بن أحمد الصليحي ، وأخيها سليمان الزواحي والمفضل بن أبي البركات وابن عمه أسعد بن أبي الفتوح . ومبعوث الخلافة الفاطمية إلى اليمن ابن نجيب الدولة . نورد هنا أهم أدوارهم بالأتي:

1 ـ سبأ بن أحمد الصليحي: كان سبأ بن أحمد الصليحي أحد أنصار المكرم وقف بجانبه ضد الزيدية وقبائل اليمن الأعلى وضد النجاحيين . ولاّه المكرم حصن أشيح وما حوله من الحصون . فجعل سبأ أشيح مقر سلطانه . وكانت أهم الحصون التابعة له في تلك المنطقة هي حصن مقري ووصاب ونعمان وقوارير والظفر والشرف وذو الريشة وظفار وريمة ومخاليفها. وهذه الحصون مطلة على تهامة ومقابلة لزبيد[66] .

وعندما شعر المكرم بقرب أجله سنة 477 هـ / 1085م أوصى برئاسة الدعوة الإسماعيلية في اليمن إلى سبأ بن أحمد الصليحي . نظراً لأنه كان من أهم شخصيات بني الصليحي آنذاك . إلاّ أنه لم يتمكن من الاحتفاظ بهذا المنصب لظهور منافسين له في تولي هذا المنصب . كما سبق ذكره .

ومن أهم المشاكل التي نشأت بين سبأ بن أحمد الصليحي والحرة السيدة أن سبأ حاول التمسك بوصية المكرم له بتولية الدعوة الإسماعيلية في اليمن . إلاّ أن الخلافة الفاطمية

---

(65) عمارة: المفيد ، ص: 151 .

(66) عمارة: المفيد ، ص: 148 ، ابن عبدالمجيد: بهجة ، ص: 80 ، الحمزني: كنز ، ص: 81 ، وابن الديبع: بغية ، ص: 59 ، الخزرجي: العسجد ، ص: 64 ، يحي بن الحسين: غاية الأماني: 274/1 ــ 275 ، الكبسي: اللطائف ، ص: 40 ، الجرافي: المقتطف ، ص: 80 ، المطاع: تاريخ اليمن ، ص: 275 =

وسليمان الزواحي والمفضل بن أبي البركان وقفوا بجانب تولية الدعوة والسلطة لابن السيدة علي بن المكرم . فحاول سبأ الاستيلاء على السلطة بالقوة ، فدار صراع قصير بين الطرفين انتهى بحل الصراع بينهما بقبول السيدة الزواج من سبأ وقبول سبأ طاعة ابنها . كما سبق توضيحه .

أما أهم الأدوار التي ناصر بها السلطان سبأ بن أحمد الصليحي سلطان الحرة السيدة وابنها علي بن المكرم . هو محاولته الاستيلا على تهامة . وذلك نتيجة لأن السلطان سبأ بن أحمد الصليحي كان مستولياً على الحصون القريبة من تهامة وزبيد . فدار صراع طويل ومستمر بينه وبين جياش النجاحي . حول السيطرة على تهامة . وكما يبدوا أن هذا الصراع استمر من سنة 472 هـ / 1079م حتى سنة 476 هـ / 1083م . وخلال هذه الفترة كانت تهامة تحكم ستة أشهر من قبل الصليحيين وستة أشهر من قبل النجاحيين . حيث كان الصليحيون ينزلون تهامة إذا كان النسيم أو الجو بارداً فيها ، فيحكمونها طيلة فصلي الشتاء والربيع . أما إذا تغير النسيم أو اشتدت الحرارة في تهامة خلال فصلي الصيف والخريف . فالصليحيون لا يستطيعون البقاء في تهامة بل يرحلون عنها إلى الجبال . وكان رحيلهم عنها لعدة أسباب منها انتشار الوباء بها أو شدة الحرار أو اتجاه النجاحيين لقتالهم.

وأثناء ذلك الصراع وإقامة جند سبأ الصليحي في تهامة كان سبأ : ((يجبي خراجها ولا يؤذي أحداً من الرعايا بظلم ولا غيره وكان يحتسب للعمال بما يقبض منهم جياش في أشهر الصيف والخريف)) . كذلك كان جياش عندما يتمكن من استعادة تهامة من الصليحيين: ((يحتسب للعمال واجبات الأموال بما قبضه منهم سبأ في شهور الشتاء والربيع)) .

ونتيجة لأن أهل زبيد وتهامة كان أغلبهم من أهل السنة وهو المذهب الذي كان النجاحيون ينتمون إليه . فقد كانوا يكرهون حكم الصليحيين لهم . ويميلون إلى قبول حكم النجاحيين . أوضح ذلك عمارة بقوله: ((وإذا عاد جياش إلى زبيد نشرت المصاحف

= ، الحداد: التاريخ ، ص: 248.

وابتهلت له الرعايا بالدعاء وظهرت الفقهاء وتطاولت العلماء))[67] .

معركة الكظائـم :

تعتبر معركة الكظائم التي وقعت علـى بـاب زبيـد الشـرقي ، مـن أهـم المعـارك الـتي دارت بين سبأ الصليحي وجياش النجاحي . وكان حدوثها بسبب تدبير جياش ووزيره خلف بن أبي طاهر حيلة للقضاء على سبأ الصليحي حسب رأى عمارة اليمني محتوها الأتي:

أشار الوزير خلف بن أبي طاهر على جياش أن يصادر ماله ويحبسـه ويـولى مكانـه في الوزارة محمد بن العقاري . وأوضح خلف لجياش أنه بعد أن يحبسه سينقب السـجن ويهـرب منه إلى سبأ الصليحي ويحرضه على النزول إلى تهامة . والهـدف مـن ذلـك كسـب ثقـة سـبأ لمناصرته ضد جياش . وعندما نفذ جياش الخطـة وحبـس وزيـره . هـرب الوزيـر خلـف مـن السجن إلى سبأ الصليحي وحرضه على النزول إلى تهامة: ((وضمن له الخبرة والمكـائد مـا يقطع به دابر جياش)) .

وكان الوزير خلف أثناء تحريضه لسـبأ الصليحـي يكتـب إلى جيـاش سـراً ويخبره أن يظهر التراخي والعجز . ويحاول استعطاف سبأ ومدارته بأن يعطيه نصف مالية تهامـة شـريطة أن يتوقف عن مناصرة الوزير خلف ويبعده من عنـده . وذلـك بهـدف إيهـام الصليحيـين أن النجاحيين لا يملكون قوة وخائفين منهم .

لذلك أطمأن سبأ الصليحي لعدم مقدرة جياش قتاله فجهز جيشـاً كبـيراً مكونـاً مـن ثلاثة آلاف فارسٍ وعشرة آلاف راجل من ضمنهم القاضي عمران اليامي والي صنعاء . ولمـا سار جيش الصليحيين نحو زبيد ووصلـوا إليهـا عسـكروا خارجهـا مـن ناحيـة بابهـا الشـرقي منتظرين قدوم الصباح ليبدءوا به المعركة .

---

(67) عمارة: المفيد ، ص: 148 - 149 ، ابـن عبدالمجيـد ، بهجـة ، ص: 80 ، ابـن الديبـع: قـرة العيـون ، ص: 266 ، بغيـة ، ص: 59 ، الخزرجي: العسـجد ، ص: 64 ، يحي بـن الحسـين: غايـة الأمـاني ، 275/1 ، الجرافي: المقتطـف ، ص: 80 ، المطـاع: تـارخ اليمـن ، ص: 276 ، حســن محمـود: أروى ، ص: 27 ، الحريرى : معالم ، ص: 56 .

وبالنسبة لجياش النجاحي فقد استعد للمعركة واستعان لقتالهم بالشريف القاسم بن غانم بن وهاس صاحب المخلاف السليماني، ومولى سعيد الأحول ريحان الكهلاني . واثناء عسكرة الصليحيين خارج باب زبيد ، أعد القائد ريحان الكهلاني كميناً لهم حيث هجم عليهم ليلاً على حين غرة منهم ورماهم بالحراب والسهام . فأهلك الكثير من جيش الصليحيين وهزمهم . وقتل جماعة من قادتهم منهم عمران اليامي وأخٍ لسبأ يسمى قيس بن أحمد الصليحي ومحمد بن مهنا الصليحي . وحتى سبأ نفسه كان سيهلك نتيجة عقر فرسه. إلا أنه هرب مترجلاً في الليل، وأدركه أحد أفراده فحمله على فرسه. قبل أن يهلك.[68] وكان حدوث هذه المعركة في يوم الجمعة الخامس من ذي الحجة سنة 479 هـ / مارس 1087م. في موضع يسمى الكظائم[69] . بعد هذه المعركة لم يحاول سبأ النزول إلى تهامة . وبذلك أصبح النجاحيون مسيطرين عليها دون منازع .

وكما يتضح أن رواية عمارة هذه لا يمكن أن تتم بتلك الكيفية أن يدبر الوزير خلف حيلة لنزول سبأ الصليحي إلى تهامة . والحقيقة كما يوضحها بامخرمة أن خلافاً حقيقيا حدث بين خلف وجياش أدت إلى هروب خلف إلى سبأ الصليحي ومحاولته التعاون معه للقضاء على جياش. ولكنهما لم يتمكنا من ذلك [70] وسنوضح ذلك في فصل الدولة النجاحية.

اتصف سبأ الصليحي بأنه كان جواداً شاعراً[71] مدحه كثير من الشعراء وممن مدحه الشاعر الحسين بن علي بن القم بعدة قصائد منها قوله:

---

(68) عمارة: المفيد ، ص: 149 - 150 ، الوصابي: الإعتبار ، ص: 41 ، الهمداني: الصليحيون ، ص: 152 – 154 ، حسن محمود: أروى ، ص: 27 — 28 ، الكبسي: اللطائف ، ص: 40 ، العقيلي: المخلاف السليماني ، 2/42-43 ، الحريرى: معالم ، ص: 57 - 58 .

(69) الهمداني: الصليحيون ، ص: 152 ، يذكر أحمد شرف الدين في اليمن عبر التاريخ ، ص: 202 ، أن معركة الكظائم كانت سنة 484 هـ .

(70) با مخرمة: ثغر عدن ، ص: 102 - 103 .

(71) عمارة: المفيد ، ص: 146 ، الخزرجي: العسجد ، ص: 63 .

إن ضامك الدهر فاستعصم بأشيح .:. أو أزرى بك الفَقْرُ فاستمطر بنان سبأ

ما جاءه طالب يبغي مواهبـــــــه .:. إلاّ وأزمع منه فقرُهُ هربـــــــا

بني المظفر ما أمتدت سماء عــــلا .:. إلاّ وألفيتم أفقهـا شهبــــــــا

إن امرأ كنت دون الناس مطلبــــه .:. لأجدر الناس أن يحظـى بما طلــبا

وقول ابن القم أيضاً :

وما يلتقي صدق الوداد وطاعـــــة .:. العذول ، ولا جود ابن أحمد والجَدْبُ

كريم إذا جادت فواصل كفــــــه .:. تيقنت أن البخل ما يفعـل السحـب

أجار فلا خوف ، واحيا فـلا ردى .:. وجاد فلا فقر ورام فلا صُعَــــبُ

كتبت إليـه والمفاوز بينــــــــنا .:. وكان جوابي جود كفيه لا الكُتْــبُ

ومن شعر ابن القم كذلك :

معاليك لا ما شيدتـه الأوائــــل .:. ومجدك لا ما قاله فيـــك قائـــل

وما المجد إلاّ حيـث هممت قاصداً .:. وما النصر إلاّ حيث تنـزل نـــازِل

مليك يقض الجيش والجيش حافل .:. ويخجل صوب المزن والغيث هاطــل

سحاب عواديه لُجَين وعَسْجـــد .:. وليث عواديه قنا وقنابــــــل[72]

وكذلك مدحه الحسين القمي بقوله:

ولما مدحت الهِزْ بريّ ابن أحمــــد .:. أجاز وكافاني على المدح بالمــــدح

فعوضني شعراً بشعري ، وزادني .:. عطاءَ ، فهذا رأس مالي ، وذا ربحـي

شققت إليه الناس حتى لقيتــــه .:. فكنت كمن شق الظلام إلى الصبــح

فقبح دهر ليس فيــه ابن أحمـد .:. ونزه دهر كان فيـه من القبــح[73]

وعن ألقاب سبأ بن أحمد الصليحي فقد لقب بالأتي: ((الأمير الأجل الأوحد المنصور

---

(72) عيون الأخبار ، 7/142 ـ 143 ، الهمداني: الصليحيون . ص: 159 ـ 160 ، حسن محمود: أروى ، ص: 38 - 39 ، العقيلي. المخلاف السليماني. 2/ 44

(73) عمارة: المفيد ، ص: 147 . الهمداني. الصليحيون . ص 161 . حسن محمود: أروى ، ص: 39 .

المظفر عمدة الخلافة أمير الأمراء أبي حمير سبأ بن أحمد بن المظفر بن علي الصليحي))[74] . مما يدل على أنه كان أهم قائد للسيدة الحرة وابنها وأمير أمراء اليمن آنذاك .وبالنسبة لوفاة سبأ الصليحي فقد كانت وفاته في سنة 491 هـ / 1098م.

2ـ سليمان الزواحي: ورث سليمان الزواحي السلطة بعد أبيه عامر الزواحي على مناطق مغارب اليمن الأعلى. مثل شبام كوكبان والمناطق المجاورة لها. وكان أهم زعماء حمير في تلك المنطقة. فضلاً عن أنه كان زعيم آل الزواحي الذين كانوا مع آل الصليحي من أهم دعاة الإسماعيلية في اليمن. وهو أخو السيدة الحرة من أمها، ظل مناصراً لها ولإبنها في تولي السلطة في اليمن ضد طموح سبأ الصليحي السياسي في حكم اليمن.

ونظراً لدور آل الزواحي في مناصرة الدعوة الإسماعيلية في اليمن ووقوف سليمان بجانب السيدة الحرة لم يتمكن سبأ الصليحي من انتزاع السلطة منها. وعلى ذلك فقد كان حكم السيدة الحرة لليمن قوياً بمناصرة أخيها سليمان الزواحي لها. كما أن اليمن الأعلى في عهده ظل خاضعاً لسلطان الصليحيين.

ولما توفى سليمان بن عامر الزواحي وذلك سنة 492 هـ/ 1099م. وقبله بسنة سبأ الصليحي انتهى بذلك أهم قائدين للسيدة الحرة. وعلى أثر وفاتهما استقلت صنعاء عن سلطان السيدة الحرة والصليحيين[75].

3ـ أسرة آل أبي البركات الحميري:

كان أسعد بن عبد الله الصليحي متولياً لحصن التعكر . فلما انتقل المكرم إلى ذي جبلة . نقل أسعد إلى حصون ريمة وأعمالها . وَوَلّى على التعكر أبا البركات بن الوليد الحميري . كما وَلّى أخاه أبا الفتح الحميري حصن تعز[76] . وظلت بعد ذلك ولاية حصني التعكر وتعز وراثية في أسرة آل أبي البركات .

---

(74) عمارة: المفيد ، ص: 146 .

(75) ادريس: عيون الأخبار، 168/7، الهمداني: الصليحيون، ص: 161، الخزرجي: العسجد، ص: 65.

(76) عمارة: المفيد ، ص: 154 ـ 155 ، الوصابي: الاعتبار ، ص: 42 ، الخزرجي: العسجد ، ص: 65.

وعلى الرغم من أن عمارة أوضح أن سبب نقل أسعد بن عبدالله الصليحي من حصن التعكر إلى حصون ريمة هو سوء سيرته . إلاّ أن ذلك غير معقول وكما يتضح أن أسرة آل أبي البركات كانت أحد الزعامات القبلية في مخلاف جعفر مالوا إلى المذهب الإسماعيلي . فنالوا ثقة الصليحيين ، ولما انتقل المكرم إلى ذي جبلة اعتمد عليهم في تدعيم نفوذه في اليمن الأسفل وجعلهم أهم أنصاره . فولهم حصني التعكر وتعز واستعان بهم في كثيرة من حروبه . وكما يبدو أنه حدث اتفاق بين المكرم وأسرة أبي البركات على منحهم حكم التعكر وتعز وراثياً مقابل استمرار طاعتهم ومناصرتهم لآل الصليحي .

ولما توفي المكرم وتوفي بعده أبو البركات الحميري وَلّت السيدة الحرة حصن التعكر لإبنه خالد بن أبي البركات . وكان خالد على علاقة طيبة بالفقيه الشافعي عبدالله بن المصوع. فكان يداوم على الذهاب إلى خالد إلى حصن التعكر كونه حاكماً على بلدته ذي السفال . وكان خالد يترك الفقيه يدخل عليه دون حجابة . وعلى الرغم من تلك العلاقة الطيبة بين الاثنين ، واتصاف الفقيه ابن المصوع بأنه كان فقيهاً فاضلاً ذا دنيا واسعة لم يكن له طموح في السلطة أو المال . إلاّ أنه استحل دم خالد بن أبي البركات والى التعكر . وأقدم على قتله بعد سنتين من ولايته . والسبب في ذلك اعتناق خالد للمذهب الإسماعيلي ومغالاته فيه[77] . وكان ذلك في حدود سنة 480 هـ / 1087م[78] .

المفضل بن أبي البركات:

بعد أن قتل خالد بن أبي بركات ولت السيدة الحرة مكانه على حصن التعكر أخاه المفضل بن أبي بركات. وكان المفضل منذ صغر سنه يعمل بمهنة الوصافة في قصري المكرم والسيدة الحرة، أوضح ذلك عمارة بقوله: (والمفضل يومئذ يتوصف للملك المكرم بذي جبلة وهو من صغار الدار الذين يدخلون على الحرة الملكة في رسائل المكرم والحوائج بينهما)[79] .

---

(77) الخزرجي: العسجد ، ص: 66 ، ابن الديبع: قرة العيون ، ص: 269 ـ 270 ، يحي بن الحسين: غاية الأماني ، ص: 279 ، المطارع: تاريخ اليمن ، ص: 280 .

(78) ابن الديبع: قرة العيون،ص: 269 ـ 270.

(79) عمارة:المفيد، ص: 155، الخزرجي: العسجد، ص: 66، حسن محمود: أروى ص: 40.

لذلك ولته السيدة حصن التعكر.

ثأر المفضل لقتل أخيه:

أول عمل للمفضل بن أبي البركات بعد توليته التعكر هو الانتقام لمقتل أخيه. فعلى الرغم من أن الفقيه ابن المصوع أقدم على قتل خالد دون أن يشترك معه أحد من الفقهاء أو يشاورهم على قتله. وأنه قتل بعد قتل خالد مباشرة من قبل جنوده في الحصن. الا أن المفضل لم يكتف بذلك. فقد صادر أموال الفقيه وأراضيه وبساتينه في ذي السفال. وأظهر عداوة ضد فقهاء الشافعية في مخلاف جعفر وعمل على تتبعهم. وخاصة فقهاء ذي السفال. فهرب منه معظمهم خوفاً من سطوته عليهم (80).

ومن أهم أعمال المفضل لمناصرة السيدة الحرة بداية توليته التعكر أنه وقف بجانبها ضد سبأ الصليحي في صراعها معه حول تولية الدعوة والسلطة في اليمن. فقد جهز المفضل جيشه وسار لمحاربة سبأ الصليحي. الا أن هذه الحرب توقفت بسبب تحكيم الخليفة المستنصر الفاطمي (81).

أما أهم الأعمال العسكرية التي ناصر بها المفضل السيدة الحرة بعد موت سبأ الصليحي وسليمان بن عامر الزواحي. أنه قام بالقضاء على تمردات عمرو بن غرفطة الجنبي وغيره من القبائل. كما قام بالقضاء على استقلال بني زريع في عدن. فضلاً عن قيامه بالقضاء على محاولة علي بن سبأ الصليحي الذي سعى إلى وراثة السلطة على حصون ابيه نوضح ذلك بالآتي:

لما مات السلطان سبأ الصليحي والسلطان سليمان بن عامر الزواحي حاولت قبيلة جنب بقيادة عمر بن عرفطة الجنبي، وقبائل سنحان وعنس وزُبَيْد الخروج عن طاعة السيدة الحرة فاتجه اليهم المفضل بن أبي البركات بجيشه فحاربهم حتى تمكن من إعادتهم إلى طاعة السيدة الحرة (82).

---

(80) الخزرجي: العسجد، ص:66، المطاع: تاريخ اليمن، ص: 280.

(81) عمارة: المفيد، ص: 156، الخزرجي: العسجد، ص: 67، أيمن فؤاد، المذاهب، ص: 159.

(82) عمارة: المفيد، ص: 156.

كذلك استغل بنو زريع في عدن موت السلطانين سبأ الصليحي وعامر الزواحي فحاولوا قطع المائة ألف دينار التي كانت تدفع سنوياً للسيدة الحرة. فنزل المفضل بن أبي البركات اليهم بجيشه لمحاربتهم فتمت المصالحة بينهم على أن يدفع بنو زريع للسيدة نصف المبلغ السابق وهو خمسون ألف دينار [83].

أما بالنسبة لشمس المعالي علي بن سبأ الصليحي الذي حاول أن يتولى السلطة على الحصون التي كانت تابعة لأبيه. فقد وقفت السيدة الحرة ضده، ووجهت المفضل لمحاربته وانتزاع حصن قيظان منه. وقد أورد عمارة قصة صراعه مع السيدة بالآتي:

كان علي بن سبأ متزوجاً ابنت الحرة السيدة. واسمها فاطمة بنت المكرم. وكان متولياً لحصن قيظان، ولما تزوج علي بن سبأ زوجة ثانية على زوجته الأول ابنت السيدة الحرة. كتبت إلى أمها تستنجد بها. فأرسلت اليها السيدة جيشاً بقيادة المفضل بن أبي البركات. فحاصر علي بن سبأ حصاراً شديداً حتى أخرجه من ملكه بالحصن بأمان على نفسه. أما زوجته ابنت السيدة فقد لبست زي الرجال وخرجت من حصن زوجها بحماية عسكر المفضل ثم أرسلها الى أمها السيدة [84].

والواقع أن قصة زواج علي بن سبأ التي أوردها عمارة سابقاً لم تكن هي السبب الحقيقي في الخلاف الذي دار بينه وبين السيدة الحرة. وإنما الخلاف الحقيقي هو أن علي بن سبأ أراد أن يحل محل ابيه بعد موته في توليه حصونه في اليمن وراثياً. فوقفت السيدة ضده. وقد صادف خلاف علي بن سبأ مع السيدة بحدوث زواجه على زوجة أخرى فوق ابنتها فاطمة مما جعل فاطمة تميل الى مناصرة أمها السيدة الحرة. ولذلك كله أرسلت السيدة المفضل بن أبي البركات للقضاء عليه.

وبعد أن تمكن المفضل انتزاع حصن قيظان من علي بن سبأ. حاول اللجوء الى الخلافة الفاطمية بمصر. فذهب الى الوزير الفاطمي الأفضل بن بدر الجمالى يطلب مساعدته

---

(83) عمارة: المفيد، ص: 156، الحمزي: كنز، ص: 82، الواسعي: تاريخ اليمن، ص: 174.

(84) عمارة: المفيد، ص: 153 ـ 154، الوصابي: الاعتبار، ص :41.

(فلم يلتفت اليه ولم يكرمه). فعاد علي بن سبأ الى اليمن واتجه للإستيلاء على بعض حصون أبيه بالقوة. إلا أن المفضل دس عليه من قتله بالسم سنة 495هـ / 1102م [85] وبذلك تخلص المفضل والسيدة من علي بن سبأ.

لذلك كان المفضل أحد رجالات السيدة الحرة المخلصين لها. لأنه تربى في قصرها. وكان يطيعها ويعمل على تنفيذ الأوامر التي تأمره بها، أوضح ذلك عمارة بقوله: (والمفضل يتصرف عن أوامرها ويدخل اليها مع خواص وزرائها والأئمة والأكابر من عبيدها) [86]. لذلك كان المفضل من أهم رجالات قصر السيدة الحرة وقادتها.

وكانت السيدة الحرة تجل المفضل وتكرمه و (تواصل بره بما يحسن عنده موقعه من الجواري المغاني والكساوي والطيب والعبيد والأستاذين وغير ذلك). ولم تزل هذه حالته معها طيلة حياته (ومن لامها فيه أو حذرها منه لم تسمع كلامه). [87]

ثم ارتفعت مكانة المفضل حتى أصبح أهم رجل في الدولة الصليحية وأهم رجل لدى السيدة الحرة وخاصة بعد موت سبأ الصليحي وسليمان بن عامر الزواحي، حتى صار المفضل: (هو رجل الدولة ومدبرها والمرجوع الى رأيه وسيفه والحرة لا تقطع أمراً الا به فعظم ذلك شأنه وعلت كلمته) حتى: (لم يبق في اليمن من يساويه ولا يساميه) [88].

ومن أهم أعمال المفضل تجاه موظفي الدولة أنه كان: (ينظر أحوال الأعمال والعمال ويجيب عن كل كتاب وصل الباب). وبالنسبة للرعايا فإنه كان يفتح بابه لكل الناس ويعتني بمن (اجتمع ببابه من الوفود ويصل اليه القوي والضعيف) [89].

وبالاضافة الى أن حصن التعكر كان من أهم حصون اليمن المنيعة فقد كان: (مقر

---

(85) عمارة: المفيد، ص: 153 – 154.

(86) عمارة: المفيد، ص: 155، الخزرجي: العسجد، ص:67.

(87) عمارة: المفيد، ص: 156، الخزرجي: العسجد، ص:68، حسن محمود: أروى، ص: 42.

(88) عمارة: المفيد، ص: 156، الخزرجي: العسجد، ص:66، حسن محمود: تاريخ اليمن، ص: 199، أروى، ص: 41.

(89) عمارة: المفيد، ص: 157.

دخائر بني الصليحي التي صارت اليهم من ملـوك اليمـن) وكـانت السـيدة الحـرة تستخدمه مصيفاً لها: (فكـانت تطلـع اليـه في أيـام الصيـف فتقيـم بـه وإذا بـرد الوقـت سـكنت بـذي جبلة)[90].

وعندما أرادت الحرة السيدة التدخـل بمـا يهـم الحصـن مـن الأمـور وخاصـة الأمـور العسكرية نصحها المفضل بعدم فعل ذلك بقوله لها: (انظري الى ما كان في هـذا الحصـن مـن دخائر فأنزل به إلى دار العز أو فاعزليه في بعض هذه القصور وأما هـذه الحجـر يعـني التعكـر فاتركيه لي فلا طاعة لك عليَّ فيه بعد اليوم). يدل ذلك على أن المفضل بدأ يحد مـن سـلطان السيدة الحرة. وعلى الرغم من قناعتها بكلام المفضل، وعدم التدخـل في الأمـور العسـكرية، ولابما في الحصن: (ونزلت الى ذي جبلة ولم تغـير مـن الأحـوال شـيئاً). الا أنهـا غضبـت مـن تصرف المفضل نحوها فتركت طلوع الحصن للتصيف بـه. فحـاول المفضـل إقناعهـا بـالطلوع حيث (كان ينزل اليها ويترضاها في طلوع الحصن كعادتها فلا تفعل)[91].

نزول المفضل إلى تهامة ونهايته:

نتيجة لصراع أولاد جياش حول السلطة في تهامة. أدى ذلك الى أن يلجأ الأستاذون والوصفان بمولاهم منصور بن فاتك بن جياش الى المفضل بن أبي البركات والسيدة الحـرة الى التعكر في ذي جبلة سنة 503هـ / 1109م. يطلبون منهما مساعدتهم على استعادة سـلطانهم من عبد الواحد بن جياش. مقـابل إعطـائهم ربـع محصـول ماليـة بـلاد تهامـة علـى نصرتهـم. فاستقبلتهم السيدة الحرة والمفضل وأكرما مثواهم. وقبلا مساعدتهم.[92] ومن الملاحظ هنا أن أعداء الأمس أصبحوا أصدقاء اليوم.

---

(90) عمارة: المفيد، ص: 155، الوصابي: الاعتبار، ص: 43،الخزرجي: العسجد، ص:67.

(91) عمارة: المفيد، ص: 156، الخزرجي: العسجد، ص: 67 ــ 68، المطاع: تـاريخ اليمـن، ص: 281، حسـن محمود: أروى، ص: 41 ــ 42.

(92) عمارة: المفيد، ص 157، ادريـس: عيـون الأخبـار، 179/7، الخزرجـي: العسـجد، ص 68، ابـن الديبـع: بغية المستفيد، ص: 64، يحي بن الحسين: غاية الأماني،283/1، الهمداني: الصليحيون، ص: 164، حسـن محمود: أروى، ص: 43 ــ 44. الحريري : معالم ، ص: 65.

رأى المفضل أن ذلك فرصة له لاستعادة تهامة وضمها الى نفوذ الصليحيين في عهده. فجهز جيشاً كبيراً وسار بهم نحو زبيد. فحارب عبدالواحد بن جياش حتى هزمه. وأعاد منصور بن فاتك الى سلطته. وآنذاك حاول المفضل أن يغدر بأهل تهامة ويستولي على السلطة. وكان كلما طلب منه منصور بن فاتك الخروج من زبيد ماطل في ذلك. الا أن الاستيلاء على التعكر جعله يترك تهامة.

استغل فقهاء ذي جبلة خلو حصن التعكر من المفضل، وطول إقامته في تهامة. فأعلنوا الثورة عليه واستولوا على الحصن. وقد ساعدهم على ذلك أن المفضل ترك على حصن التعكر حين نزل زبيداً نائباً له يسمى الجمل اتسم بالدين [93]. (وكان جماعة من فقهاء الشافعية يخالطونه الى التعكر) [94]. ولما حانت الفرصة للثورة صعد سبعة من الفقهاء منهم محمد بن قيس الوحاظي، وعبدالله بن يحي، وعم عمارة إبراهيم بن زيدان الذي تزعم الثوار حيث كانت اليه البيعة فاستولوا على الحصن من الجمل نائب المفضل.

وكان الرعايا من أهل السنة قد اتفقوا مع الفقهاء على مناصرتهم حيث أشاروا عليهم بأنهم إذا وصلوا الى رأس الحصن أشعلوا النار دليلاً على نجاحهم في الاستيلاء على الحصن، فلما نجح الفقهاء في الاستيلاء على الحصن، أوقدوا النار ليلاً. فاستعدت الرعايا ولم يصبح الصبح إلا وقد صار عشرون الف رجل منهم على باب الحصن. وبذلك ساعدت الرعايا على استيلاء الفقهاء على حصن التعكر [95].

ولما وصل الخبر الى المفضل بن أبي البركات إلى زبيد في تهامة أسرع في العودة الى التعكر في ذي جبلة. لأنه كان يوجد به دخائره وأمواله وسراريه فوصل الى حصن عزان. ثم حاصر الفقهاء في التعكر. وآنذاك كانت خولان حاولت الوقوف بجانب الفقهاء إلا أنها غيرت رأيها فتركت مناصرتهم. ولما رأى الفقهاء الموجودين في الحصن محاصرة المفضل لهم وعدم مناصرة خولان لهم. دبروا حيلة لقتل المفضل وهي إخراج سراريه وحضاياه على

---

(93) عمارة: المفيد، ص: 157، الوصابي: الاعتبار، ص: 43، الحريرى: معالم، ص: 66.

(94) ادريس: عيون الأخبار، 7/179.

(95) عمارة: المفيد، ص: 158، ادريس: عيون الأخبار، 7/179.

السطوح. حيث قال إبراهيم بن زيدان: (لن أموت حتى أقتل المفضل ثم أهلاً بالموت فعمد الى حظاياه من السراري فأخرجهن في أكمل زي وأحسنه وجعل بأيديهن الطارات وأطلعهن على سقوف القصور بحيث يشاهدهن المفضل ويسمع هو ومن معه من تلك الأمم أصواتهن).

ولما نظر المفضل الى سراريه وحضاياه بتلك الصورة لم يتحمل رؤية ذلك الموقف لأنه كان (أكثر الناس غيرة وأنفة فقيل إنه مات في تلك الليلة) حزناً عليهن وعلى نفسه (وقال آخرون: امتص خاتماً) مسموماً كان معداً عنده فمات منه. وكان ذلك في رمضان سنة 504 هـ / مارس 1111م [96]. ومن المستنتج من ذلك أنه من المستبعد أن يكون المفضل قد مات غيرة على خظاياه وسراريه، أو مسموماً من قبل نفسه، ولكن من المحتمل أنه مات مسموماً من قبل أعدائه الذين كانوا قد اندسوا بين صفوف جنده، ويعلل الأكوع أن ثورة الفقهاء في التعكر كانت من تدبير السيدة الحرة، بسبب سوء العلاقة بينهما أواخر عهده [97]. وهكذا كانت نهاية المفضل سواءً بالقتل بالسم أو غيره.

ومهما يكن من أمر فإن المفضل اتصف بأنه كان (حازماً عاقلاً شجاعاً شهماً له عدة مكارم وجملة مفاخر، ولكنها دون الداعي سبأ بن أحمد. وكان جواداً ممدوحاً، قصده الشعراء من الأماكن البعيدة) فمدحوه من ضمنهم مواهب بن جديد المغربي مدحه بقصيدة منها:

يامالك الديـن والدنيـا وأهلهمـا	ومن بعزتـه الاسـلام ممتسـك
قد قيل جاور لتغنى البحر أو ملكاً	وأنت يابن الوليد البحر والملك

كما مدحه القاضي أبوبكر اليافعي بقصيدة منها قوله:

وأقل مكرمـة لـه وفضيلـة	إجراؤه للغيـل في الأجنـاد

---

(96) عمارة: المفيد، ص 168، الوصابي: الاعتبار، ص: 43، ادريس: عيون الاخبار، 179/7 — 180، الخزرجي: العسجد، ص 68، ابن الديبع: قرة العيون، ص: 273، يحي بن الحسين، غاية الأماني: 283/1، المطاع: تاريخ اليمن، ص: 280 ـ 281، حسن محمود: أروى، ص: 44 ـ 45، الحداد: التاريخ العام، ص: 259.

(97) عمارة: المفيد هامش، ص: 157 ـ 158.

شق الجبال الشامـــخات كأنهـــا   كانت معالمهـــا متـــون وهـــاد[98]

أما أهم أعماله العمرانية فإنه (حفر في الصفا حفراً عديدة، وخـرق بعضهـا الى بعـض وأجرى الماء فيها) كما أجرى الغيل من خنوة الى الجند. كذلك جدد بناء المقدمـة والجنـاحين من مسجد الجند[99] .

السيدة وفقهاء التعكر:

ولما مات المفضل سنة 504هـ / 1111م. اتجهـت السـيدة الحـرة لحـل مشـكلة ثـورة فقهاء التعكر وإنزالهم من الحصـن، فجهـزت جيشـاً كبـيراً وسـارت بهـم الى قـرب الحصـن فعسكرت في منطقة (الربادي). وقامت السيدة بمراسلة الفقهاء وملاطفتهم على ترك الحصن. وبعد المراسلات المتعددة تم الاتفاق بين السـيدة والفقهـاء علـى أن تمنـح السـيدة الأمـان لهـم وتتركهم يأخذون الأموال التي كانت موجودة بالحصون كغنيمة لهم، مقابل تخلي الفقهاء عـن الحصن وعودتهم الى طاعتها. واشترطوا عليها أن ترحـل بجيوشـها مـن جـوار الحصـن وتـولي عليه من تشاء، وضماناً لتنفيذ ذلك طلبوا أن يبقوا في الحصن مع الـوالي الجديـد حتـى تصـل غنائمهم التي غنموها من الحصن مأمنهم فوافقت السيدة على ذلك، وقد كانت الأموال التي غنموها من الحصن كثيرة حيث بلغ نصيب عم عمارة إبراهيم بـن زيـدان (مـن العـين خمسـة وخمسين الفاً)[100] من الدنانير.

بنو الزر الخولاني:

قبل موت المفضل بن أبي البركات بفترة قصيرة قدمت عدة قبائل من خولان صعـدة الى مخلاف جعفر بلغ عددهم ستة الآف قوس أو رمات بالأقواس. وكانوا من بني بحر وبني

---

(98) الخزرجي: العسجد، ص 66 ـــ 67، الهمداني: الصليحيـون، ص: 165 ـــ 166، حسـن محمـود: أروى، ص 45 ـ 46.

(99) الخزرجي: العسـجد، ص: 67، ابـن الديبـع: قـرة العيـون، ص 270 ـــ 272، الهمدانـي: الصليحيـون، ص:166.

(100) عمـارة: المفيـد، ص: 159، ادريـس: عيـون الاخبـار: 180/7، عنـد صـاحب عيـون الاخبـار وفي بعـض نسخ عمارة خمسة وعشرون الف دينار.

منبه وبني مروان وبني رازح وشعب وبني جماعة، ففرقهم المفضل على حصون المخلاف واستحلفهم على الطاعة. ومنذ ذلك الوقت أصبحت (خولان مستظهرة ولهم صولة وكلمة) في مخلاف جعفر. وكما يتضح أن السيدة هي التي طلبت قبائل خولان القدوم اليها وذلك للحد من نفوذ المفضل وجعْلهم جيشا لها .

ولما مات المفضل أتاح ذلك فرصة لبني مروان بقيادة المسلم بن الزر الخولاني أن يسيطروا على حصن (خدد) جبل (جبشي) بالقوة من واليه عبدالله بن يعلى الصليحي ويأخذون جميع ما معه من الأموال، ومع استيلاء المسلم على حصن خدد بالقوة إلاّ أنه أعلن طاعته للحرة السيدة واتصل بها وبحواشيها وطلب منها أن توليه بدلاً عن المفضل. وتأكيداً على طاعته وولائه لها رهن عندها ولديه عمران وسليمان. ونتيجة للعلاقة الطيبة بينها وبينهما حاولت السيدة تزويجهما من بعض حواشيها اللواتي كن عندها.

ولما مات المسلم بن الزر الخولاني تولى حصن (خدد) ابنه سليمان أما عمران فقد ظل رهينة عند السيدة الحرة. بعد ذلك دبر عمران وسليمان حيلة للسيطرة على حصن التعكر، وهي أن عمران خطب ابنة القائد فتح بن مفتاح الصليحي والي حصن التعكر، وفي يوم الزفاف غدر عمران وسليمان بفتح بن مفتاح فألقيا القبض عليه. ونقلاه بأمواله من حصن التعكر الى حصن آخر هو حصن شار القريب منه، أما التعكر نفسه فقد سيطر عليه عمران. وكان ذلك في يوم الأحد 12 شهر ربيع الأول سنة 509هـ/ 1115م. ومع تلك السيطرة فقد ظل عمران موالياً للسيدة الحرة يبذل لها الطاعة والخدمة.

ونتيجة لتلك السيطرة (امتدت أيدي خولان على الرعايا وغيرهم وعاثوا وأفسدوا). وآنذاك حاولت السيدة الحرة الاستعانة بقبائل أخرى. فكانت كلما طغت خولان أرسلت الى عمرو بن عرفطة الجنبي، تطلب منه إيقاف خولان عن طغيانهم فيأتي الجنبي اليها بجيشه ويسيطر على الأماكن التي يحكمها بنو الزر الخولاني. ولا يخلصهم من الجنبي إلاّ الاتجاه الى السيدة الحرة والتضرع اليها برفع الجنبي عن بلادهم، فَتَأْمُر الجنبي الرحيل عن مناطقهم، وذلك أنها تكتب (بخطها الى عمرو بن عرفطة الجنبي وفيها إذا وقفت على أمرنا فارتحل عن

بلاد بني الزر مشكوراً) فيرتحل عمرو عنهم [101] وهكذا ظلت حالة بني الـزر الخولانـي مـع السيدة الحرة والجنبي.

4 ـ أسعد بن أبي الفتوح:

كذلك حاولت السيدة الحرة بعد موت المفضل الاستعانة بـابن عمـه أسـعد بـن أبـي الفتوح فولته قيادة جيشها. وكان أسعد متولياً لحصني تعز وصبر ووراثياً بعد أبيه، ولكنـه ظـل مقيماً في تعز. بعد ولاية السيدة له قيادة الجيـش ولم ينتقـل الى ذي جبلـة. وقـد نـاصر أسـعد السيدة ضد بني زريع في عدن، والذين كانوا قد امتنعوا لما مات المفضل عن دفع نصف المبلـغ السابق الذكر أي اتفق معهم على دفع خمسة وعشرين الف دينـار سنوياً للسـيدة الحـرة. ولم يزل أسعد متولياً لتعز (حتى غدره رجلان من أصحابه فقتلاه بين النـاس في حصـن تعز سـنة 514 هـ / 1120م) [102].

5 ـ ابن نجيب الدولة:

عندما رأت السيدة الحرة تسلط خولان على ذي جبلة وما حولها وصعوبة الاسـتعانة بالقبائل الأخرى ضدهم، وعدم قيام قائدها أسـعد بـن أبـي الفتـوح بالانتقـال إلى ذي جبلـة، ومنع قبائل خولان من التسلط على الرعايا، وتفضيله البقاء في تعز، فضـلاً عـن عـدم وجـود قائد من البيت الصليحي تستعين به لقيادة الدولة. أرسلت السيدة إلى الخلافة الفاطمية بمصـر تطلب منها مساعدتها لتولي الأمور العسكرية في اليمن.

لذلك أرسل الخليفة الأمر باحكام اللـه ووزيره الأفضل بن بـدر الجمـالي سنـــة 513 هـ / 1119م. علي بن إبراهيم ابن نجيب الدولـة الى اليمـن فسـار ومعـه عشـرون فارسـاً مـن

---

(101) عمارة: المفيد، ص: 160 ـ 162، الوصابي: الاعتبـار، ص: 44، المطـاع: تـاريخ اليمـن، ص: 255، • الهمداني: الصليحيون، ص 167.

(102) عمارة: المفيد، ص: 174، الخزرجي: العسجد، ص: 68، ابـن الديبـع: قـرة العيـون، ص: 274، يحي بـن الحسين، غاية الأماني، 283/1 ـ 284، الهمداني: الصليحيون، ص: 167 ـ 168، حســن محمـود: تـاريخ اليمن، ص: 200، أروى، ص: 49 ـ 50، العقيلي: المخلاف السليماني، 45/20، الحداد: التـاريخ العـام، ص: 162 ـ 263.

الفرقة المسمى الحجرية. ومن الملاحظ من ذلك أن الخلافة الفاطمية وكذا السيدة الحرة كانت بحاجة الى قيادة عسكرية وليس الى جيش. لذلك أرسلت الخلافة القائد ابن نجيب الدولة مع عدد قليل من الأفراد.

وكان ابن نجيب الدولة يعمل في مصر (على خزانة الكتب الأفضلية وكان غزير الحفظ مستبصراً في المذهب) الاسماعيلي [103]. وقد لقبته الخلافة (الأمير المنتخب عن الخلافة فخر الدولة العلوية الموفق في الدين داعي أمير المؤمنين). واكتسب معرفة عن أحوال أهل اليمن عن طريق التقائه في جزيرة دهلك بأحد رجال الكارم (التجار) المسمى محمد بن ابي العرب الداعي. فأفاد ذلك ابن نجيب الدولة [104].

ولما وصل ابن نجيب الدولة الى ذي جبلة جعلته السيدة الحرة صاحب (بابها وحافظاً لها) [105] أي حاجبها وحارساً لها، وفي بداية تعامل ابن نجيب الدولة مع أهل اليمن لم يحسن التصرف. فقد ضرب بالعصا أحد رجال بني الزر الخولاني (حتى أحدث في ثيابه). إضافة الى ذلك قام بسجنه واسمه سليمان بن عبيد، أدى ذلك الى غضب بني الزر الخولاني. فاتجهوا الى الزحف الى ذي جبلة للإنتقام من ابن نجيب الدولة واستخراج صاحبهم. الا أن أحمد بن سليمان الزواحي ابن أخي السيدة الحرة تدَخّل في حل المشكلة، فأخذ الخولاني بالقوة من ابن نجيب الدولة، وأرضاه بالخلع. وأرسله الى قومه. فهدأت خولان وتوقفت عن الزحف الى ذي جبلة لمقاتلة ابن نجيب الدولة [106].

وفي ذلك الوقت إنضم الى ابن نجيب الدولة لمناصرة السيدة الحرة أربعمائة من همدان[107]

---

(103) عمارة: المفيد، ص: 162، الوصابي: الاعتبار، ص. 45، الخزرجي: العسجد، ص: 68 ــ 69، الهمداني: الصليحيون، ص: 168، ايمن فؤاد: المذاهب، ص: 161.

(104) عمارة: المفيد، ص: 162 ــ 163، الهمداني: الصليحيون، ص. 168 ــ 169، عصام الفقي: اليمن، ص: 174، ايمن فؤاد: المذاهب، ص: 161.

(105) الخزرجي: العسجد، ص: 69، أمين صالح: العلاقة، ص. 71.

(106) عمارة: المفيد، ص: 163.

(107) الخزرجي: العسجد، ص: 69، الحمزي: كنز، ص: 82، ابن الديبع: قرة العيون، ص: 275، يحيي بن الحسين: غاية الأماني، 285/1، الهمداني: الصليحيون، ص: 169، حسن محمود. أروى، ص: 51، =

وثلاثمائة فارس من بني حماس وسنحان. فولى عليهم الطوق الهمداني[108]. بعد ذلك اتجه ابن نجيب الدولة الى إخضاع القبائل التي بدأت تخرج عن طاعة السيدة. فبدأ بالقبائل القريبة من ذي جبلة. فاتجه شرقها نحو أهل متيم . كما اتجه نحو أهل السهلة والشوافي فأخضعهم لطاعة السيدة الحرة[109].

أدت حملات ابن نجيب الدولة الى تقوية وتعزيز جانب السيدة الحرة فانقمع (أهل اليمن عن الطمع في أطراف بلادها) كما أدت الى إقامة الحدود، وعدله في الرعايا، وعدم بسط يديه على أموالهم. وأدت أيضاً الى توقف أيدي الرعاع (المفسدين) عن أخذ أموال الناس (فأمنت البلاد ورخصت الأسعار)[110].

ولما مات الوزير الأفضل الفاطمي في رمضان سنة 515هـ / نوفمبر 1121م. وتولى الوزراة الفاطمية المأمون البطائحي (قوى ابن نجيب الدولة وشد أزره وكتب اليه بالتفويض) على الجزيرة اليمنية. وأرسل اليه (أربعمائة قوس أرمني وسبعمائة أسود).

وعندما عززت الخلافة الفاطمية ابن نجيب الدولة بالجند والتفويض على اليمن إزدادت قوته. فأمرته السيدة الحرة أن يسكن معهم في منطقة الجند لأنها (وطيئة الحافر ومتوسطة في الأعمال). (فضاق الأمر به على سلاطين الوقت وهم سليمان وعمران ابناء الزر ومنصور بن المفضل وسبأ بن أبي السعود ومفضل بن زريع)[111].

غزو ابن نجيب الدولة لتهامة:

وفي الوقت الذي كثر فيه جيش ابن نجيب الدولة حاول استعادة تهامة لسلطان السيدة الحرة من النجاحيين فقرر غزوهم سنة 518 هـ/1124م. ولما وصل الى بـــــاب زبيد

= الحداد: التاريخ العام، ص: 263.

(108) عمارة: المفيد، ص: 164، الخزرجي: العسجد، ص: 69، الهمداني: الصليحيون، ص: 169، الحداد: التاريخ العام، ص: 162.

(109) عمارة: المفيد، ص: 164.

(110) عمارة: المفيد، ص: 164، الخزرجي: العسجد، ص: 69، الهمداني: الصليحيون، ص: 169.

(111) عمارة: المفيد، ص:164، الخزرجي:العسجد، ص:69، ابن الديبع. قرة العيون، ص: 275، الهمداني: =

المسمى القرتب دارت معركة كبيرة بين الطرفين أسفرت عن هزيمة ابن نجيب الدولة وكان سبب هزيمته أن عشرة رماة من أصحابه استأمنوا من أهل زبيد وانضموا اليهم في حربهم، فلما وقعت الحرب رمى أحدهم بسهم أنف الفرس الذي كان مع ابن نجيب الدولة. فشب الفرس وارتفعت مقدمته الى أعلى. مما أدى الى سقوط ابن نجيب الدولة على الأرض. فانهزم جيشه على أثر سقوطه، وقتل جمع كبير من جيش السودان والأرمن. أما ابن نجيب الدولة نفسه فلما سقط على الأرض (قاتلت عنه همدان أشد القتال) حتى أنقذه رجل منهم يسمى السباعي. وولوا هاربين إلى الجند[112]. وبعد أربعة أشهر من وقعة زبيد توجه ابن نجيب الدولة الى ذي جبلة فغزا بلاد سليمان بن الزر الخولاني مما يدل على أن علاقة السيدة الحرة ببني الزر الخولاني قد ساءت آنذاك.

لم يكتف ابن نجيب الدولة بما حل له من هزيمة في زبيد بل اتجه بعدها الى قتال بني زريع لاجبارهم على طاعة السيدة الحرة، ولما ذهب اليهم التقى في منطقة الجوة بالمفضل بن زريع فدارت معركة كبيرة بين الطرفين في أكمة بني سلمة في دمنة خدير. أسفرت عن هزيمة ابن نجيب الدولة. وطعنه من قبل أحد عبيد مسعود بن زريع المسمى مسافر بعد سقوطه من فرسه، لأنه كان لا يحسن الفروسية وبعد هذه الهزيمة عاد ابن نجيب الدولة الى الجند[113].

محاصرة ابن نجيب الدولة بالجند:

ونتيجة لتهور ابن نجيب الدولة في إقحام جيش الدولة الصليحية في معارك خاسرة لامته السيدة الحرة على افعاله وتصرفاته فساءت العلاقة بينهما، مما أدى بابن نجيب الدولة إلى إعلان الثورة ضدها واتهامها بالخرف حيث قال عنها أنها: (قد خرفت واستحقت عندي أن يحجز عليها)[114] إزاء ذلك التصرف من ابن نجيب الدولة لم تقف السيدة الحرة مكتوفة

= - الصليحيون، ص: 170، ايمن فؤاد، ص: 162 .

(112) عمارة: المفيد، ص: 164 — 165، الخزرجي: العسجد، ص 69. الحمزي: كنز، ص: 82 — 83، الوصابي: الاعتبار، ص: 45، حسن محمود : أروى ، ص: 54 - 55 .

(113) عمارة: المفيد، ص: 165 - 166.

(114) عمارة: المفيد، ص: 166، ابن عبد المجيد: بهجة، ص: 81، الخزرجي: العسجد، ص: 69، الهمداني: =

الأيدى فقد عزمت على مقاومته، واستعانت لذلك بالعديد من سلاطين اليمن لأنهم (كانوا تحت طاعتها لا يخالفها منهم أحد فيما تأمرهم به من حرب أو صلح)[115]. منهم سليمان وعمران ابنا الزر وسبأ بن أبي السعود والمفضل بن زريع والمنصور بن المفضل بن ابي البركات، وكان هؤلاء السلاطين يكنون العداء لابن نجيب الدولة لتسلطه عليهم فاتجهوا نحوه إلى الجند في نهاية سنة 519 هـ حسب قول عمارة أو في المحرم سنة 520 هـ حسب قول الخزرجي. فحاصروا بها ابن نجيب الدولة ومن معه من همدان والذين كانوا نحو أربعمائة فارس لفترة قصيرة من الزمن[116].

وبعد أن شددت القبائل الحصار على ابن نجيب الدولة استنجد بالسيدة الحرة لفك الحصار عنه، فكتبت الى عمرو بن عرفطة الجنبي تطلب حضوره. فلما حضر اليها خيم بجيشه في ذي جبلة كما بعثت الى زعماء القبائل، فلما حضروا إليها إلى ذي جبلة فرقت عليهم عشرة الآف دينار مصرية، وقالت (للرسل اشيعوا في العسكر ، أن ابن نجيب فرق في الناس عشرة الآف دينار مصري). لذلك طالبت القبائل من زعمائها تفريق الدنانير المصرية عليهم. ولكن زعماء القبائل لم يفرقوها عليهم مما أدى بالقبائل الى الارتحال عن محاصرة ابن نجيب الدولة، بذلك انتهى الحصار عليه[117].

والواقع أن فك الحصار بتلك الكيفية غير قابلة للتصديق ولكن ما يمكن أن نستنتجه أن القبائل مع زعاماتها جاءت لمحاصرة ابن نجيب الدولة بناءً على طلب من السيدة الحرة. ولما استنجد بها ابن نجيب الدولة لفك الحصار عنه، أرادت السيدة صرف القبائل والزعامات عن

= الصليحيون، ص: 171، حسن محمود: أروى، ص: 55، يحي بن الحسين: غاية الأماني، 286/1.

(115) الخزرجي: العسجد، ص: 69.

(116) عمارة: المفيد، ص: 166، ابن عبد المجيد: بهجة، ص: 81، الوصابي: الاعتبار، ص: 45، الخزرجي: العسجد، ص: 69، ابن الديبع: قرة العيون، ص: 275 - 276، الهمداني: الصليحيون، ص: 171، حسن محمود: أروى، ص: 55، يحي بن الحسين: غاية الأماني، 286/1.

(117) عمارة: المفيد، ص: 167، الوصابي: الاعتبار، ص: 45، ابن عبد المجيد: بهجة، ص، 81، الحمزى: كنز، ص: 83، الخزرجي: العسجد، ص: 69، الهمداني: الصليحيون، ص:171، حسن محمود:أروى، ص: =

المحاصرة، فوزعت الدنانير المصرية عليهم كمكافأة لهم أو بدلاً عن الغنائم التي وُعِدُوا بها وطلبت منهم فك الحصار وعلى ذلك انتهى حصار ابن نجيب الدولة.

القبض على ابن نجيب الدولة:

أورد عمارة أن سبب القبض على ابن نجيب الدولة يتمثل بالآتي : في أواخر وزارة المأمون البطائحي أرسل رسولاً الى اليمن يسمى الأمير الكذاب كان يحمل السيف، فلما وصل اليها اجتمع بابن نجيب الدولة في ذي جبلة في مجلس حافل بأهل اليمن فأهمل ابن نجيب الدولة إكرام الرسول أو ضيافته فحدثت مشاجرة كلامية بين الاثنين أدت الى غضب كل منهما من الآخر [118].

ونتيجة لتشاجر الشخصين انضم كثير من أعداء ابن نجيب الدولة الى الرسول واشتكوا اليه بتصرفات ابن نجيب الدولة نحوهم فحاول الرسول أن يكيد لابن نجيب الدولة، تؤدي إلى غضب الخلافة الفاطمية منه فحرض أهل اليمن على الشكوى بتصرفات ابن نجيب الدولة، إلى الخليفة الأمر الفاطمي وأنه دعاهم الى فرقة النزارية ـ التي تدعي أن نزار أحق من الأمر بالخلافة وتأكيداً لذلك ضربوا سكة نزارية باليمن دليلاً على صدق كلامهم فأوصلها الرسول الى الخليفة الآمر [119].

ولما وصلت شكوى أهل اليمن الى الخليفة الآمر الفاطمي أرسل أحد رجاله المسمى الموفق ابن الخياط مع مائة فارس من فرقة الحجرية الى اليمن للقبض على ابن نجيب الدولة، وما أن علم ابن نجيب الدولة بقدوم ابن الخياط للقبض عليه حتى ذهب الى بلدة بني زُبَيْد للإمتناع بها والإحتماء بأهلها الا أن أعداؤه دخلوا على السيدة وقالوا لها: (احتفظي بابن

= 56، يحي بن الحسين: غاية الأماني، 286/1.

(118) عمارة: المفيد، ص: 167 ـ 168، الخزرجي: العسجد، ص: 70، ابن الديبع: قرة العيون، ص:276، الهمداني: الصليحيون، ص: 172 ، حسن محمود: أروى، ص: 57.

(119) عمارة: المفيد، ص: 168، ابن عبد المجيد: بهجة، ص: 81، الحمزى: كنز، ص: 83، الخزرجي: العسجد، ص:70، ابن الديبع: قرة العيون، ص: 167، الهمداني: الصليحيون، ص: 172، حسن محمود: أروى، ص: 57 ـ 58.

نجيب الدولة فإن الامام لا يطلبه إلا منك). لذلك تمارضت السيدة الحرة وأرسلت اليه الشريف محمد بن الحوالي يطلب حضوره اليها إزاء ذلك حضر ابن نجيب الدولة من بني زبيد الى ذي جبلة فاحتفظت به السيدة وقيدته [120].

وعندما وصل ابن الخياط رسول الخلافة الفاطمية من عدن إلى ذي جبلة يطلب تسليم ابن نجيب الدولة، رفضت السيدة الحرة تسليمه للرسول. ولما أصر على القبض عليه قالت له: (أنت حامل كتاب فخذ جواب وإلا فاقعد حتى اكتب الى مولانا ويعود الجواب). ولكن أحد رجالها حذرها سؤ السمعة، بالنزارية وظلوا يحاولون إقناعها على تسليم ابن نجيب الدولة الى أن قبلت تسليمه، بعد أن استوثقت له بعهود من ابن الخياط بعدم معاقبته وكتبت الى الخليفة الآمر تطلب منه العفو عن ابن نجيب الدولة، لذلك سيرت اليه كاتبها محمد بن الأزدي. وأرسلت معه هدية اليه وهي عبارة عن (بدرة قيمة الجواهر التي فيها أربعون ألف دينار) [121]. وكان القبض على ابن نجيب الدولة سنة 520 هـ / 1126م حسب قول الوصابي [122].

بعد ذلك سار ابن الخياط من ذي جبلة بمن معه من الجند ومعهم ابن نجيب الدولة وكاتب السيدة، فلما فارقوها قيدوا ابن نجيب الدولة وشتموه وأهانوه وعذبوه وسفروه من عدن الى مصر في مراكب سواكنية أول شهر رمضان، أما كاتب السيدة فقد سفروه بعده بخمسة عشر يوماً فغرق في باب المندب [123]. وبالنسبة لابن نجيب الدولة فقد وصل الى القاهرة بمصر ثم قتل مع المأمون البطائحي سنة 522 هـ / 1128م. [124] وفي رأي ثاني أن ابن

---

(120) عمارة: المفيد، ص: 170، الهمداني: الصليحيون، ص: 172 - 173.

(121) عمارة: المفيد، ص: 170، الخزرجي: العسجد، ص: 70، ابن الديبع: قرق العيون، ص: 277، يحي بن الحسين: غاية الأماني، 287/1، حسن محمود: أروى، ص: 58، عصام الفقي: اليمن، ص: 176، ايمن فؤاد، المذاهب، ص: 163.

(122) الوصابي: الاعتبار، ص: 46.

(123) عمارة: المفيد، ص: 170 ــ 171، الخزرجي: العسجد، ص: 70، ابن الديبع: قرة العيون، ص: 277، يحي بن الحسين: غاية الأماني، 287/1، عصام الفقى: اليمن، ص: 176 - 177.

(124) ايمن فؤاد: المذاهب، ص: 174.

نجيب الدولة لم يقتل بل شُهِرَ به في القاهرة سنة 524هـ / 1130م، وفي رأى ثالث أن مصيره غير معروف [125] والمرجح سجنه وقتله.

ونستنتج من خلال ما تقدم أنه نتيجة لتصرفات ابن نجيب الدولة الخاطئة مع السيدة الحرة وأهل اليمن اشتكوا به للخليفة الآمر الفاطمي فلما تأكد للرسول صدق شكوى أهل اليمن عاد الى مصر مصطحباً معه شكوى أخرى منهم وعملة نزارية لذلك أرسل الخليفة الآمر الفاطمي ابن الخياط للقبض على ابن نجيب الدولة فتم القبض عليه وأرسل الى مصر حيث قتل بها.

بلوغ السيدة مرتبة حجة:

في عهد الخليفتين المستنصر والمستعلي الفاطميين كانت السيدة الحرة متولية للسلطة السياسية ومسئولة عن الدعوة الاسماعيلية في اليمن، إضافة الى تبعية الهند وعمان لها، وفي عهد الخليفة الآمر باحكام الله بلغت السيدة الحرة الى أعلى مراتب الدعوة الإسماعيلية. وهي مرتبة حجة. أوضح ذلك النص التالي:(فرفعت بذلك عن حدود الدعاة الى مقامات الحجج، وكفلت كافة المؤمنين والدعاة الميامين والحدود والمستجيبين خير كفالة، وأوضحت البرهان في ولاية الأئمة عليهم السلام، وأظهرت معالم الدعوة للتابعين وأبانت وما وهنت لما أصابها في سبيل الله) [126].

وعن اعتراض بعض الناس تولية الاناث رتبة الحجة أوضح السلطان الخطاب بن الحسين أحد أقطاب الدعوة بقوله: (نقول إن القمص البشرية الجسمانية لا قول بها ولا عمل عليها ... إنا نجد من هو ظاهر بقيص الاناث هو في أعلى الرتب وأشرفها كالزهراء البتول ... وخديجة بنت خويلد ... ومريم ابنت عمران، ونجد أيضاً بالعكس ... إن الذكر والأنثي من القمص البشرية لا يعرب عن حقيقته ولا يهدي الى طريقته بل المعرب والهادي الظاهر لها

---

(125) الهمداني: الصليحيون، ص: 173، عن أخبار مصر لابن ميسر، ص: 70، حسن محمود: أروى، ص:59.

(126) ادريس: عيون الاخبار، 141/7، الهمداني: الصليحيون، ص: 180، حسن محمود: تاريخ اليمن، ص: 203، أروى، ص: 67.

... وهو ما يظهر من الأفعال في الطاعات والقبول ... ومن أفعال الخير ... فإن ظهر عنه خبر لا شر فيه، وطاعة لا معصية معها، وولاية لا مكابرة بعدها، وقبول لا يمازحه رد، ... وقع العلم بأنه قد رسخ عنده ما ألقى اليه وقبله وأثمر منه ...)[127]. يدل ذلك على جواز تولية الاناث أعلى مراتب الدعوة الاسماعيلية عند أصحاب هذا الفكر.

ولاة القضاء عهد السيدة:

وبالنسبة للقضاء في عهد السيدة الحرة، فقد تولى منصب قاضي قضاة الاسماعيلية باليمن القاضي لَمَكْ بن مالك الحمادي، كما قام بمساعدتها في شئون الدعوة ولقب في عهدها (داعي بلاغ) أو داعي دعاة الاسماعيلية. والقاضي لمك هذا بعثه علي الصليحي إلى مصر لدراسة المذهب الاسماعيلي فدرس بها خمس سنوات ثم عاد الى اليمن بعد وفاة الصليحي. فتولى في عهد المكرم قاضي قضاة اليمن وظل متولياً لهذا المنصب في عهد السيدة الحرة إلى أن توفي في 27/ جمادي الأخرى سنة 510هـ/ 6 أكتوبر 1116م . فتولى بعده قاضي قضاة الاسماعيلية ابنه يحي بن لمك الحمادي. واستمر في هذا المنصب الى أن توفي في 28 / جمادى الآخرة سنة 520 هـ / يوليو 1126م [128].

وبعد ذلك تولى قاضي قضاة الاسماعيلية وداعي دعاتهم في اليمن للسيدة الحرة القاضي الذؤيب بن موسى الوادعي الهمداني، حيث أصدرت السيدة والقاضي يحيى بن لمك تقليداً له بذلك نوضحه بالآتي: (اجتمع عدة من سلاطين اليمن الى قاضي القضاة وداعي الدعاة يحي بن لمك ... فحين اجتمعوا عند القاضي الأجل يحي بن لمك أعلن بالتعريف بفضل الداعي ذؤيب بن موسى وعالي مقامه، وأنه العاضد له والخالف له بعد انقضاء أيامه، وتلا على السلاطين والمؤمنين التقليدين من الحرة الملكة السيدة ولية أمير المؤمنين، وكافة أوليائه الميامين، ومن داعي الدعاة وقاضي القضاة يحي بن لمك ذي الحجة الماضية البراهين، فسمع أهل الفضل والديانة قول الحرة الملكة حجة الامام الآمر، وقول داعيه يحي بن لمك ولم يكن

---

(127) الهمداني: الصليحيون، ص: 144، عن رسالة بغاية المواليد.

(128) الهمداني: الصليحيون، ص: 180 - 181، حسن محمود: تاريخ اليمن، ص: 203 - 204.

منهم جاحد ولا مكابر) [129].

ألقاب السيدة الحرة:

منحت السيدة الحرة عدة ألقب أولى هذه الألقاب صادر من الخلافة الفاطمية في السجلات المرسلة اليها وهي كالتالي: (الحرة، الملكة، السيدة، السديدة، المخلصة، المكينة، دخيرة الدين، عمدة المؤمنين، كهف المستجيبين، ولية أمير المؤمنين، وكافلة أوليائه) [130]. وثاني هذه الألقاب كتبتها المصادر اليمنية وهي: (الحرة، الملكة، السيدة، الرضية، الطاهرة، الزكية، وحيد الزمن وسيدة ملوك اليمن، عمدة الاسلام، خالصة الامام ودخيرة الدين، عصمة المسترشدين، كهف المستنجدين، ولية أمير المؤمنين، كافلة أوليائه الميامين) [131]. تدل هذه الالقاب على أن السيدة الحرة كانت لها مكانة عالية لدى الخلافة الفاطمية ولدى أهل اليمن.

مدح الشعراء للسيدة:

مدح السيدة الحرة عدة شعراء منهم السلطان الخطاب الذي مدحها بعدة قصائد منها قوله الآتي:-

فما أنا الا السيف هزني القضا ... وقد الهب الأيام عزم غراري

فمن مبلغي؟ مولاتنا بنت أحمد ... نهايتي القصوى وقطب مداري

أمولاتنا حقت لديك نصيحة ... حقيقة أعلام بغير تماري

ومنها قوله:

ورمت رضى المنصور فيما أتيته ... إذا فارقت درى قشور محاري

فهل لي بمولاتنا منك عاضد ... معزبة يضحى زنادي وأري

أمولاتنا لا تتركيني بقفرة ... وحيد الأعداء تروم دياري

---

(129) ادريس: عيون الأخبار، 7/187 - 188، الهمداني: الصليحيون، ص 182.

(130) السجلات، ص: 118، سجل رقم 36.

(131) عمارة: المفيد، ص: 151، الخزرجي: العسجد، ص: 64، ادريس: عيون، 7/218.

ومنها قوله:

من مبلغ مولاتنـــا بنت أحمـــد ... كهف النجاة ومطلع الأنـوار

ومقرنا بيد الامام الأمري المنصور ... نجــــل العترة الأطهــــار

والشم من قحطـــان حيث تبوأت ... في المجـــــد خير مبوأ وقرار

قومي وأنصاري الذين اذا يـــدي ... علقت بهم غنت عن الأنصار

ومنها قوله:

كوحيدة الزمن التي أضحى التقى ... وشعارها من محضة ودثارهـا

رضى الأئمـــة سعيهـا فتوطدت ... أركان دولتها وقر قرارهـــا

وتواصلت بركاتهـــا موصولـــة ... منها حبائل ما استزام مغارها

ومنها قوله:

انتم بنو الأصلوح جوهر يعرب ... وسواكم أصدافها ومحارهـا

ولأنت يا ابنـة أحمد ينميك من ... تلك اللاتي الفائقات كبارها

أنقذتم اليمن الذي كـانت بـه ... ظلم الضلالة طافياً تبارهـا[132]

كذلك مدحها الشاعر الحسين بن علي القم بقصيدة منها قوله:

أعلى الأنام أبـاً وأكرم طيبـــة ... وأتم أعـراقاً وأصلـب عودا

لو كان يعبد لجلالـــة في الورى ... بشر لكانتِ ذلك المعبـــودا

أو كان في أثوابهـا بلقيس مــا ... هابت سليمـــان ولا داودا

وإذا الوفود تأخرت، وفدت عطا ... ياها، فكانت بالوفود وفودا

هي رحمة اللـه التي مــا ماؤهـــا ... ثمدا ولا معروفهــا مجحـودا

هي رحمة اللـه التي ما زالت مــن ... فوق البرية ظلها ممـــــدودا[133]

علاقة السيدة بالخليفة الآمر:

وعن علاقة السيدة الحرة بالخليفة الآمر باحكام اللـه الفاطمي، فقد كانت علاقة

---

(132) السلطانان: ديوان السلطانين، ص: 167 ـ 170؛ الهمداني: الصليحيون، ص: 145 ـ 146

(133) الهمداني. الصليحيون، ص: 146، عن الحسين بن القم ورقة 5 ـ 6.

طيبة وحميمة إذ أن السيدة في عهده أصبح يطلق عليها (حجة الامام الآمر) لذلك كـــانت المراسلات بينهما مستمرة تحكي عن ما يجري في بلادهما سواء السياسية أو غيرها من الأمور مثل التهاني والتبريكات وإرسال الهدايا وغـيره، مـن ذلـك طلبـت السـيدة الحـرة مـن الآمـر باحكام اللـه الفاطمي مساعدتها في إدارة شئون اليمـن العسـكرية فأرسـل اليهـا ابـن نجيـب الدولة كما سبق ذكره، كذلك أرسل الخليفة الآمر الى السيدة الحرة رسـالة بمناسـبة مولـوده الجديد الذي سماه الطيب بقوله لها: (من عبداللـه ووليه الآمن المنصور، أبي علي الآمر باحكام اللـه، أمير المؤمنين الى الحرة ، الملكة الطاهرة الزكية، وحيدة الزمن، سـيدة ملـوك اليمـن ... فانعم اللـه ... بأن رزقه مولوداً زكياً رضياً براً تقياً وذلك في الليلة المصبحة بيـوم الرابـع مـن شهر ربيع الآخر سنة أربع وعشرين وخمسمائة ... وسمـاه الطيـب لطيـب عنصـره وكنـاة أبـا القاسم)[134]. كذلك ظلت السيدة الحرة وفية لعلاقتها بالخليفة الآمر وابنه الطيب.

انفصال السيدة عن مصر:

ولما قتلت فرقة النزارية الخليفـة الآمـر باحكـام اللـه في ذي القعـدة سـنة 524 هـ / اكتوبر 1130م، وتولى بعده الخلافة ابن عمه الحافظ، انقسمت الدعوة الاسماعيليـة بمصـر الى فرقتين أحدهما الفرقة الطيبية نسبة الى الطيب بن الآمـر والـتي جعلـت الإسـكندرية مقراًهـا، والأخرى الحافظية نسبة الى الخليفة الحافظ والتي جعلـت القـاهرة مركـزاً لهـا، وبعـد صـراع قصير تغلبت الحافظية على الطيبية بمصر وأصبح الخليفة الحافظ صاحب السـيادة بمصـر[135]. وكما يتضح أن سبب هذا الانقسام هو عدم التزام الإسماعيلية بفكرهـم الاسمـاعيلي القـاضي بانتقال السلطة أو الخلافة في الأبناء، وعدم انتقالها من أخ الى أخ أو من ابن عم الى ابـن عـم، ولذلك حدث الخلاف.

وبالنسبة لليمن فقد ظلت السيدة الحرة على ولائها للدعوة الطيبية رغم انتهائها مـن مصر التزاماً منها بالفكر الاسماعيلي القاضي بأحقية الأبناء في تـولى الخلافـة أو السـلطة، وقـد

(134) ادريس: عيون الأخبار، 192/7 ـ 193، الهمداني: الصليحيون، ملحق رقم 9، ص: 321 ـ 322، حسن محمود: أروى، ص: 70 - 71.

(135) ايمن فؤاد: المذاهب، ص: 171.

حاول الخليفة الحافظ الفاطمي مراسلة السيدة الحرة بهدف إبقاء تبعيتها له، ولكن السيدة رفضت ذلك أوضح هذا الموقف إدريس بقوله: (وكان عبدالمجيد يكاتب الحرة الملكة ابنة أحمد حجة الأئمة في الجزيرة اليمنية ذات الرتبة السنية من ولي عهد المسلمين وابن عم أمير المؤمنين) ثم كتب اليها (من أمير المؤمنين) فاستنكرت السيدة الحرة ذلك وقالت: (أنا أروى ابنة أحمد بالأمس ولي عهد المسلمين، واليوم أمير المؤمنين، لقد جرى في غير ميدانه وأدعى أمراً يبعد عن مكانه)[136].

يتضح من ذلك عدم رغبة السيدة مولاتها للحافظ الفاطمي، وبذلك انفصلت تبعية السيدة لمصر في الدعوة الاسماعيلية في عهد الحافظ، وأصبحت اليمن مركزاً رئيسياً للدعوة الطيبية الاسماعيلية، لذلك أوصت السيدة الحرة بالثروة الموجودة لديها لإنفاقها في سبيل الدعوة الطيبية[137].

أهم أعمال السيدة الحرة:

للسيدة الحرة أعمال خيرية كثيرة منها:

أوقفت أراضي كثيرة لرعي المواشي، وأوقفت أراضي واسعة في نواحي ذي جبلة وحقل كتاب (قتاب) تصرف غلاتها لشراء الفحول من البقر، كما عملت على تعبيد الطرقات منها تعبيد الطريق من رأس جبل سمارة الى السياني، كذلك أنشأت عدة مدارس منها مدرسة في ذي جبلة لتدريس الحديث مثل كتاب الصحيحين كما بنت الكثير من المساجد منها المسجد الجامع في ذي جبلة ومسجد الضربة في يريم وغيرهما[138].

وفاة السيدة:

وبعد أن حكمت السيدة الحرة اليمن لأكثر من خمسين عاماً توفيت في غرة شعبان

---

(136) الهمداني: الصليحيون، ص. 191، ادريس: عيون الاخبار، 207/7، حسن محمود: أروى، ص. 84. عصام الفقى: اليمن، ص: 178، الحداد: التاريخ العام، ص: 244.

(137) انظر وصية السيدة الحرة في ملحق رقم 9 من كتاب الصليحيين، ص: 323 - 330.

(138) الهمداني: الصليحيون، ص: 205 - 206، حسن محمود: تاريخ اليمن، ص: 205 – 207، أروى، ص: 93 - 94، العقيلي. المخلاف السليماني، 45/2، الحداد: التاريخ العام، ص. 266.

من سنة 532 هـ / ابريل 1138م (139)، وقد رثاها جماعة من الشعراء في عدة قصائد منهم الشاعر القاضي حسين بن عمران اليامي بقوله:

وقفت على قبر الوحيدة وقفة	وقد زين منها مسجد وستور
فقبلته واستعنت رباً ترابه	وعاود قلبي رنة وزفير
وسألت دموع العين مني كأنها	بشط مجاري المقلتين سطور
والله منها روح قدس تميزت	فصارت بأعلى الدائرات تطير
ومن جود بحر بالعطايا نواله	على معتقيه عسجد وحرير

كما رثاها القاضي محمد بن أحمد بن عمران اليامي بقوله:

نأت ربت القصر الشريف عن القصر	فأبأس راجي النصر فيه عن النصر
اذا اجتث دهر الشر دوحة روضة	فقضبانها لا تستقم على الهصر
فصاروا بلا نور يتيهون في العمى	وذلك تمثيل لما كان في مصر

كذلك رثاها السلطان الخطاب في قصيدة بقوله:

أمولاتنا يامن بباهر نورها	تجلين عن أبصارنا الظلمات
أجلك عن موت بروحك نازل	وأنت لأرواح الأنام حشاة
بصرت بأمر منك ما بصرت به	عيون لهم في غيها وسنات (140)

الخاتمة:

وُهبت السيدة الحرة عقلية ذكية مكنتها حكم اليمن لفترة طويلة، وقد تولت السيدة حكم اليمن الى جانب ابنها علي بن المكرم ووقفت الخلافة الفاطمية وجمع كبير من اليمنيين

(139) الخزرجي: العسجد، ص: 71، الهمداني: الصليحيون، ص: 207، حسن محمود: تاريخ اليمن، ص: 206، أروى، ص: 95، الواسعي: تاريخ اليمن، ص: 174، قال الخزرجي في العسجد، ص: 71، أن السيدة الحرة ماتت سنة 532 هـ وعمرها 88 سنة أي أنه يجعل ميلادها سنة 444 هـ وهذا مخالف لقول عمارة الذي يجعل ميلادها سنة 440 هـ وعلى قول عمارة يكون عمر السيدة الحرة حين وفاتها 92 سنة وهو الأصح .

(140) الهمداني: الصليحيون، ص: 208 - 210، حسن محمود: تاريخ اليمن، ص: 207 - 208.

الى جانبها في ذلك، وتمكنت خلال مرحلة حكمها مع ابنها أن تقف ضد محاولة قائد الصليحيين سبأ بن أحمد الصليحي في حكم اليمن بدلاً عن المكرم، ولما عجز سبأ بن أحمد عن مقاومتها أعلن الطاعة لها ولابنها. وعندما توفي ابنها علي بن المكرم أصبحت السيدة الحرة هي الحاكم الفعلي لليمن ولم يستطع أحد معارضتها في ذلك، بسبب التأييد لها من قبل جمع كبير من اليمنيين ومن الخلافة الفاطمية في حكمها لليمن، وقد أضافت الخلافة الفاطمية اليها الأشراف على الدعوة الاسماعيلية في الهند وعمان. كما أن الخلافة الفاطمية وقفت الى جانبها في جميع مراحل حكمها لليمن وأيدتها في كثير من مواقفها واعتمدت عليها في حل جميع القضايا السياسية وأمور الدعوة الإسماعيلية في اليمن وغيرها.

وخلال حكم السيدة الحرة لليمن وقف الى جانبها في الأمور العسكرية جماعة من القادة وحينما ازدادت قوات هؤلاء القادة عملت السيدة على الحد من تصرفاتهم بالاستعانة ضدهم بالقادة الآخرين، مثل استعانتها بالمفضل وسليمان الزواحي ضد سبأ بن أحمد الصليحي، واستعانتها بجماعة من سلاطين اليمن مثل المفضل بن زريع وابن أبي الغارات والمنصور بن المفضل ضد ابن نجيب الدولة كما أنها عملت على الحد من سيطرة القبائل على مناطقها بالاستعانة بالقبائل الأخرى، مثل استعانتها بقبيلة جنب بقيادة عمرو بن عرفطة الجنبي ضد قبيلة الزر الخولاني التي بدأت تسيطر على ذي جبلة وتظلم الرعايا بها. كما وقف الى جانبها في إدارة القضاء والدعوة الاسماعيلية جماعة من القضاء مثل القاضي لمك بن مالك الحمادي، وابنه يحي بن لمك وغيرهما.

وقد ظلت السيدة الحرة وفية للخلافة الفاطمية بمصر وخاصة تجاه الخليفة الآمر باحكام الله الفاطمي، فلما تولى الحافظ الخلافة الفاطمية دون اتباع نظام الفكر الاسماعيلي بتوريث الأبناء السلطة، وأزاح الطيب بن الآمر عن تولي الخلافة، انفصلت السيدة الحرة عن مصر وعملت على نشر الدعوة الطيبية في اليمن والهند، وبانتهاء السيدة الحرة انتهت الدولة الصليحية في اليمن. أما الدعوة الطيبية فقد استمرت في بعض مناطق غرب صنعاء. وتحولت من دور الظهور إلى الدور السري.

وكما يتضح أن من أهم الأسباب التي أدت إلى نهاية الدولة الصليحية هي عدم إتاحة السيدة الحرة الفرصة للقادة الصليحيين تولي السلطة في اليمن . فضلا عن محاولة السيدة الحد من سيطرة القادة وازدياد قوتهم بالاستعانة ضدهم بالقادة الآخرين وإضافة إلى ذلك انفصالها عن الخلافة الفاطمية .

الباب الثاني
دويلات صنعاء وعدن وزبيد

الفصل الرابع: الهمدانيون في صنعاء

الفصل الخامس: الزريعيون في عدن

الفصل السادس: الدولة النجاحية في تهامة اليمن

الفصل السابع: دولة بني مهدي في تهامة اليمن

الفصل الرابع

الهمدانيون في صنعاء

بعد موت السلطان سبأ بن أحمد الصليحي سنة 491 هـ / 1098م وموت السلطان سليمان بن عامر الزواحي سنة 492 هـ / 1099م الذي كان يحكم مغارب صنعاء استقلت صنعاء عن حكم الصليحيين وحكمتها ثلاث أسر همدانية، فيما بين سنة 492 هـ /1099م حتى سنة 590 هـ / 1194م أولهم آل الغشيم، والثانية آل القبيب، والثالثة آل حاتم اليامي، نلخصها في الصفحات التالية.

1 - آل الغشيم:

أول من حكم صنعاء مستقلاً عن الصليحيين سنة492 هـ/1099م،السلطان حاتم بن الغشيم المغلسي الهمدالي، الذي كان كما يوصف من أهل الكفاءة المعدودين من همدان[1] وهو من قبيلة يام وكان يعمل نائباً لعلي الصليحي بعدن بجانب بني معن[2] وكما يتضح أن استقلاله بحكم صنعاء كان بسبب الخلاف الذي حدث بين الصليحيين والزواحيين بداية عهد السيدة الحرة وتوقف همدان عن مناصرتهم،فسعت كل زعامة من همدان تبحث عن إيجاد سلطة مستقلة بها في مناطقها.

ومن أهم الأحداث في عهد السلطان حاتم الغشيم أن ابنه محمد عمل على جمع همدان وغزا بهم لجران عن طريق مأرب فأستباحها ثم عاد الى صنعاء[3] . وكما يبدو أن سبب غزوه لنجران هو استنجاد بعض القبائل المتحالفة معه أو المناصر له، ضد أعدائهم القبائل الأخرى، فذهب الى نجران لمناصرة أصدقائه وتأديب أعدائهم، أما اتساع سلطان آل الغشيم الى نجران آنذاك فمن المعتقد أنه لم يكن قد وصل الى تلك المنطقة.

استمر حاتم بن الغشيم يحكم صنعاء وعلى علاقة طيبة بهمدان دون أن تخالفه في حكمه

---

(1) ابن عبدالمجيد: بهجة الزمن، ص: 87، الخزرجي: العسجد، ص: 71، ابن الديبع: قرة العيون، ص: 284، حسن سليمان: تاريخ اليمن، ص: 234، الحداد: تاريخ اليمن، ص: 318.

(2) عمارة: المفيد، ص: 173 عن الحجوري ومساكن قبيلة يام في نجران.

(3) ابن عبد المجيد: بهجة، ص: 88، الحمزى: كنز، ص: 86، الخزرجي: العسجد، ص: 72، يحي بن الحسين: غاية، ص: 280.

وظلت مطيعة له حتى وفاته سنة 502 هـ / 1108م. وبعد وفاته تولى الأمر ابنه عبدالله، ولكنه مات مسموماً بعد سنتين من ولايته، فتولى بعده أخوه معن، وأثناء حكم معن هذا لصنعاء تجبر على همدان وقسى عليهم فشمل ظلمه لأكثر رجالاتهم مما أدى بهمدان الى استنكار تصرفه ذلك، فاجتمعت سنة 510 هـ / 1116م بقيادة القاضي أحمد بن عمران اليامي وقررت عزله عن حكم صنعاء [4]. وبذلك انتهت أسرة آل الغشيم عن حكم صنعاء، وكما يبدو أن سبب تجبر معن على همدان هو اتهامهم بقتل أخيه بالسم.

2 ـ آل القبيب:

بعد أن اجتمعت همدان على عزل معن بن الغشيم اختارت هشاماً بن القبيب اليامي الهمداني، وولته أمر صنعاء فذهب اليها بجمع كبير من همدان فحاصروا معنًا بها، وانتهت المحاصرة بتسليم معن نفسه للقاضي أحمد بن عمران وتنازله عن السلطة مقابل منحه الأمان، فمنح ذلك وطلع جبل (براش). وبذلك تولى هشام بن القبيب أمر صنعاء بمساعدة همدان له، واستمرت همدان تطيع هشام وهو يحكمهم وفقاً لما يرغبون به الى أن مات فتولى السلطة بعده أخوه حماس، وفي عهد حماس هذا غزا قبيلة (جنب) في ذمار وعنس فخاض معهم معركة كبيرة في منطقة (هران)، أسفرت عن قتل الكثير من الطرفين. وكما يبدوا أن السبب في غزو قبائل (جنب) هو استمرار العداء القبلي بين قبائل اليمن. وبعد موت الحماس في رمضان سنة 527 هـ / يوليو 1133م اختلف أولاده وإخوته حول تولى السلطة، فاعتزلت همدان عن مناصرتهم وعزلتهم عن تولية صنعاء سنة 533 هـ / 1138م [5]. وبذلك انتهت الأسرة الثانية عن حكم صنعاء.

3 ـ آل حاتم اليامي:

بعد أن تنازع آل القبيب حول تولى السلطة في صنعاء اجمعت همدان سنة 533 هـ/1138م على اختيار السلطان حاتم بن أحمد بن عمران بن المفضل اليامي الهمداني، نظراً لما كان يتصف به من حكمة وصلاح ليتولى أمرهم، وقد اجتمع معه سبعمائة فارس من همدان وساروا معه الى

---

(4) الخزرجي: العسجد، ص: 72، ابن الدبيع: قرة العيون، ص: 287، يحي بن الحسين: غاية، ص: 282 - 285، الكبس: اللطائف، ص: 42 - 43، الحداد: التاريخ العام، 2/320.

(45) الخزرجي: العسجد، ص: 73، يحي بن الحسين: غاية، ص: 294، الحداد: التاريخ العام، ص. 320.

صنعاء فسيطروا عليها، وبذلك تولى حاتم اليامي أمر صنعاء [6].

وتعد أسرة آل حاتم اليامي هذه من أهم الأسر التي حكمت صنعاء آنذاك كما أنها تعد من أهم الأسر التي ناصرت الصليحيين في إقامة دولتهم، فقد كان عمران اليامي جد حاتم هذا أحد أنصارهم وخاصة في عهد المكرم والسيدة. حيث تركه المكرم والياً على صنعاء حينما ذهب الى ذي جبلة، وظل والياً عليها فترة طويلة، وخلال ولايته لصنعاء استعان به سبأ بن أحمد بن المظفر الصليحي لقتال آل نجاح في زبيد، فنزل اليها لمناصرة سبأ وخاض معه معركة الكظائم سنة 479 هـ 1086م حيث قتل في هذه المعركة كما سبق ذكره.

ومن أهم الأحداث التي قابلت آل حاتم صراعهم مع الإمام أحمد بن سليمان، وصراعهم مع الدعاة الاسماعيلية نوردها بالآتي:

1 - صراع حاتم مع الامام:

صادف تولي حاتم اليامي حكم صنعاء ظهور الإمام أحمد بن سليمان الذي دعا لنفسه بإمامة الزيدية في سنة 532 هـ / 1138م. فأجابه في دعوته كل من الجوف وصعدة ونجران وبلاد الظاهر وعيان ووادعة وغيرها من المناطق المجاورة لصعدة [7]. وظل مستمراً في هذه المناطق ينشر الفكر الزيدى ويقضي على المخالفين له، لذلك اصطدمت قوات حاتم بقوات الامام حول توسيع نفوذ كل منهما في السيطرة على اليمن الأعلى. فقد كانت حدود حاتم اليامي تمتد من نقيل الغابرة في الحدا الى بركة الجوب في البون من عمران [8]. وكان يريد توسيع سلطته نحو مناطق أخرى، بينما كان الإمام أحمد بن سليمان يسعى نحو صنعاء. لذلك نشأ صراع كبير بين الطرفين، وزاد من تعميق الصراع اختلافهما مذهبياً حيث كان الامام زيدياً وحاتم اليامي إسماعيلياً.

وقد زاد من محاولة الطرفين التوسع في مناطق اليمن الأعلى هو أنهما ظهرا بعد موت السيدة الحرة سنة 532 هـ /1138م. وانتهاء نفوذ وسلطان الدولة الصليحية من هذه المناطق، حيث

---

(6) الخزرجي: العسجد، ص: 74، ابن الديبع: قرة العيون، ص: 288، يحي بن الحسين: غاية، ص: 297..

(7) الخزرجي: العسجد، ص: 74، ابن الديبع: قرة، ص: 290 - 291، الجرافي: المقتطف، ص: 126.

(8) ابن عبدالمجيد: بهجة، ص: 88 - 89، الحمزي: كنز، ص: 86 – 87، الخزرجي: العسجد، ص: 74، ابن الديبع: قرة العيون، ص: 289.

كان ذلك فرصة مناسبة لأن يوسع الطرفان نفوذهما في هذه المناطق ويقيما دولتهما لذلك احتدم الصراع بين الطرفين.

وكان بداية الصراع العسكرى بين حاتم اليامي والامام أحمد بن سليمان هو سعى حاتم اليامي في قتل الشيخ محمد بن عليان في سوق سَهْمَان على يد رجل من يام في سنة 545 هـ / 1150م بسبب تحريض الشيخ للإمام السيطرة على صنعاء [(9)]. فبدأ الإمام في الانتقال الى عمران في نفس سنة 545 هـ / 1150م للإتجاه نحو صنعاء، فلما علمت بعض قبائل اليمن الأعلى في اتجاهه لمحاربة حاتم اليامي انضمت لمناصرته أعداد كبيرة منهم، من بني شهاب وأهل حضور فضلاً عن بعض من سنحان وجنب، وذلك بسبب العداء القبلي بين القبائل اليمنية، فذهب الإمام الى بيت بوس جنوب صنعاء فعسكر بها في انتظار الفرصة المناسبة لبدأ قتال أمير صنعاء. فبدأ بإرسال أحد أفراده الى صنعاء ليستطلع له أخبارها وأخبار أميرها، ويعمل على تحريض الزيدية بها، وكان إرساله تحت ستار أنه يشتري له منها ورقاً وصابوناً، فلما علم حاتم اليامي بالرسول طلب حضوره إليه ثم أعطاه رسالة للإمام يلومه فيها على تصرفه ذلك، وأرسل اليه شعراً يقول فيه:

أبالورق الطلحي تأخذ أرضنا ... ولم تشتجر تحت العجاج رماح

وتأخذ صنعاء وهي كرسي ملكنا ... ونحن باطراف البلاد شحاح [(10)]

تدل تلك الأبيات على أن حاتماً أخبر الامام أن الاستيلاء على صنعاء ليس سلماً ولا سهلاً ببعث الرسل لشراء الورق أو غيره، ولكنه بسفك الدماء وخوض القتال وإظهار الشجاعة، فهل لديه استعداد لذلك وهو بمثابة التهديد للإمام من التفكير في دخول صنعاء.

وعلى أثر ذلك بدأت المعارك بين الطرفين، فلما تأكد الإمام بعد عودة رسوله أن قواته قادرة على دخول صنعاء اتجه بهم اليها في نفس سنة 545 هـ / 1150م . فدار قتال شديد بين

---

(9) يحي بن الحسين: غاية الأماني، ص: 301، الكبسي: اللطائف، ص: 37، العرشي: بلوغ المرام، ص: 38، كريم: عدن، ص: 163.

(10) الخزرجي: العسجد، ص: 75، ابن الديبع: قرة، ص: 291، يحي بن الحسين: غاية، ص: 302، زبارة: أئمة، ص: 98، الكبسي: اللطائف، ص: 47، العرشي: بلوغ المرام، ص: 39، المطاع: تاريخ اليمن، ص: 322، الواسعي: تاريخ اليمن، ص: 188، حسن سليمان محمود: تاريخ اليمن، ص: 234 – 235، الحداد: التاريخ العام، 322/2.

الطرفين انتهى بهزيمة حاتم اليامي، لعدم مناصرته من همدان كلها ولأن جمعاً كبيرا من أهل السرار ممن صاروا من أهل صنعاء انضموا الى مناصرة الامام، ولما رأى حاتم اليامي هزيمة جيشه طلب من الامام الأمان له ولأصحابه فأمنه وقال في هزيمته شعراً قوله:

غلبنا بني حواء بأساً ونجدة ولكننا لم نستطع غلب الدهــر

فلا لوم فيما لا يطاق وانما يلام الفتى فيما يطاق من الأمر (11)

وبعد أن تمكن الامام من السيطرة على صنعاء ولّى عليها القاضي جعفربن أحمد بن عبدالسلام (12). أما السلطان حاتم اليامي فقد اتجه بعد هزيمته الى المنظر بالروضة وأقام فيه فترة قصيرة. ثم اختلف مع الامام واتجه الى حصن الظفر جنوب شبام كوكبان. حيث عمل على جمع همدان واتجه بهم نحو صنعاء، فدار قتال شديد بين قواته وقوات الامام تحت حصن (براش) الذي تحصن به الامام (13).

لم تحسم هذه المعركة الصراع بين الطرفين. فقد اتجه حاتم اليامي الى الرحبة سنة546هـ/1151م. وفيها اجتمعت اليه الكثير من همدان مناصرين له ضد الامام، فلما علم الامام بتجمعهم أرسل اليهم جمعاً من قبيلة (جنب) فحاربوا همدان حتى هزموهم. ثم اجتمعت همدان بكاملها مرة أخرى لمناصرة حاتم اليامي في نفس السنة. بسبب خلافهم مع الامام. واتجهوا لمحاربته فدار قتال شديد بين الطرفين أسفر عن هزيمة جيش الامام ودخول همدان والسلطان حاتم صنعاء والسيطرة عليها (14). بعد ذلك ظل حاتم مسيطراً على صنعاء ولم يتمكن الامام من استعادتها رغم المحاولات المتكررة.

وأثناء ذلك عمل الامام على الاستعانة بقبائل (جنب) في ذمار. ولما وصل اليهم انضم اليه ثلاثمائة فارس منهم. الا أنه نتيجة للعداء بين قبائل (جنب) نفسها فقد انضم الى حاتم اليامي تسعمائة من (جنب) المعادين لمن انضموا الى الامام بقيادة عبدالله بن يحي فحدثت معركة كبيرة

---

(11) الخزرجي: العسجد، ص: 75، ابن الديبع: قرة العيون، ص: 292، يحي بن الحسين: غاية، 302/1، زبارة: أئمة، ص: 98، الكبسي: اللطائف، ص: 48، المطاع: تاريخ اليمن، ص: 323، حسن سليمان محمود: تاريخ اليمن، ص: 235، الحداد: التاريخ العام، ص: 323.

(12) زبارة: أئمة، ص: 98، الجرافي: المقتطف، ص: 84.

(13) يحي بن الحسين: غاية الأماني، 301/1.

(14) يحي بن الحسين: غاية الأماني، 305/1.

بين الطرفين في موضع يسمى (القليس) في بلاد ذمار، انتهت المعركة بهزيمة انصار الامام[15].

ولما رأى الامام أن قبائل (جنب) متعادية وغير متحدة وذلك بسبب القتال الذي كان بينهم. ووجود قتول كثيرة بينهم؛ أراد أن يصلح بينهم ويجمعهم على كلمة واحدة. فضرب لهم موعداً لاجتماعهم. ولما علم حاتم اليامي بذلك أراد أن يمنع (جنب) عن مناصرة الامام. فذهب بنفسه الى (ذمار) فوصل اليهم في نفس يوم ميعاد اجتماعهم الذي حدده الامام. وأثناء ذلك الاجتماع قال لهم حاتم: (حياكم الله ياوجوه العرب) (وصلناكم ياوجوه العرب لأمر لكم فيه شرف ولنا فيه عز الى حين). ثم قال : (لما علمت أنكم في طلب صلاح وأخذ ذمم بينكم وهدم قتول من عشائركم رأيت أن ألمّ شملكم وأقطع عنكم ما تحاذرون واتحمل من مالي ديات قتلاكم)[16]. فقبلت (جنب) أن يدفع حاتم اليامي دية قتلاهم وشكرته على ذلك، وانتهت مشكلة الصراع بينهم. وبذلك فوت حاتم اليامي على الإمام فرصة وقوف قبيلة (جنب) الى جانبه.

وفي ذلك الوقت رأى الطرفان عدم جدوى الحرب. فاتفق الامام وحاتم على المصالحة حيث التقى الاثنان في بيت الجالد في بلاد الخشب شمال صنعاء وتمت المصالحة على توقيف القتال بينهما. واشترط الامام على السلطان حاتم اليامي أن يمنع الخطبة للاسماعيلية الباطنية في صنعاء. وأن يسمح بإظهار مذهب الهادي بها وهو المذهب الزيدي[17]. وكما يتضح أن حاتم اليامي سمح بالحرية المذهبية في صنعاء دون أن يتحامل على الزيدية أو يتعصب للاسماعيلية.

وعلى الرغم من تلك المصالحة الا أن الحرب تجددت بين الطرفين ففي سنة 550 هـ /1155م. اتجه الامام أحمد بن سليمان نحو بلاد ذمار فجمع ثلاثة الآف من قبائل مذحج وغيرها، واتجه بهم نحو صنعاء لمحاربة السلطان حاتم اليامي الذي استعد هو الأخير لمحاربة الامام. فالتقى الطرفان في منطقة (الشرزة) في بلاد سنحان. حيث دار بها قتال شديد بين الطرفين أسفر عن انتصار الامام الزيدي وأنصاره وانسحاب جيش حاتم الى صنعاء للتحصن بها فتابعه الامام الى أسوار صنعاء الا أنه لم يتمكن من دخولها. فقد انسحب الى بيت بوس ثم سار الى سناع[18].

---

(15) يحي بن الحسين: غاية، 305/1، زبارة: أئمة، ص: 99، المطاع: تاريخ اليمن، ص: 328 - 329.

(16) الخزرجي: العسجد، ص: 76، ابن الديبع: قرة، ص: 294.

(17) يحي بن الحسين: غاية، 308/1، المطاع: تاريخ اليمن، ص: 332.

(18) يحي بن الحسين: غاية الأماني، 310/1، زبارة: أئمة، ص: 104، الكبسي: اللطائف، ص: 39، المطاع: =

ومع تلك الحروب فقد عادت المصالحة من جديد بين الطرفين ففي سنة 553 هـ / 1158م. طلب حاتم اليامي مصالحة الامام فتمت المصالحة بينهما على نفس شروط المصالحة الأولى [19]. وهي ترك الحرية المذهبية لأهل صنعاء والمناطق التي يحكمها حاتم اليامي.

2 - علي بن حاتم:

في رمضان سنة 556 هـ / أغسطس 1161م مات السلطان حاتم اليامي وتولى السلطة في صنعاء ابنه علي بن حاتم [20]. وعند توليه السلطة حاولت بعض قبائل همدان التخلي عن مناصرته. وذهبت الى تولية محمد بن حماس بن القبيب الى داره بجي القطيع بصنعاء فحرضته على تولى حكم صنعاء وبايعته. وتجمع منهم سبعمائة فارس في باب شعوب. وذلك أثناء غياب علي بن حاتم في وادي (ضهر). ولما علم السلطان علي بن حاتم بذلك أسرع اليهم في مائة فارس اضافة الى انصاره الآخرين فتمكن من دخول صنعاء. وقاتل في شوارعها همدان قتالاً شديداً أسفر عن قتل أخ للسلطان حاتم اسمه عمران فخافت همدان من انتقام علي بن حاتم والثأر لأخيه، ولكن السلطان علي بن حاتم وهب همدان دم أخيه وطلب توقيف القتال والذهاب لدفنه، فتوقفت همدان عن القتال وعادت الى مناصرة السلطان علي بن حاتم. وبذلك انتهت مخالفة همدان له [21].

صراع السلطان علي بن حاتم مع دعاة الاسماعيلية:

وبالرغم من أن علي بن حاتم كان أحد قادة الاسماعيلية، الا أنه دخل في صراع مع دعاتهم. ففي سنة 561 هـ / 1166م. حدث صراع بين السلطان علي بن حاتم اليامي والداعي حاتم بن ابراهيم الحامدي الذي تولى أمر الدعوة الاسماعيلية (الطيبية) في اليمن في سنة 557 هـ/ 1162م خلفاً لأبيه. والذي كان مقيماً في شبام حراز (مناخة). وكما يتضح أن سبب الصراع بين الطرفين ناتج عن أن السلطان علي بن حاتم تخلى عن مناصرة الاسماعيلية. أو تقاعس عن تأييدهم،

= تاريخ اليمن، ص: 336 ـ 337، (الشرزة) منطقة بين قرية شيعان وقرية اسناف في سنحان، زبارة ص:104، عند المطاع ص:336، وزبارة ص: 114، أن معركة الشرزة كانت في شهر شعبان سنة 552هـ.

(19) المطاع: تاريخ اليمن، ص: 339.

(20) الخزرجي: العسجد، ص: 80، ابن الديبع: قرة العيون، ص: 296، الكبسي: اللطائف، ص: 51.

(21) الخزرجي: العسجد، ص: 80، ابن الديبع: قرة العيون، ص: 296 ـ 297، يحي بن الحسين: غاية، ص: 314، الحداد: تاريخ اليمن العام، ص: 327 - 328.

لاعتقادهم بالدعوة للإمام المستور الذي هو الطيب. بينما تحمس الداعي حاتم الحامدي لنشرالدعوة الاسماعيلية. واستجاب لدعوته كثير من قبائل همدان وأهل حراز وغيرهم [22].

وأثناء الصراع انتقل الداعي حاتم بن إبراهيم الحامدي (من حراز الى ريعان ولؤلؤة ليكون قريباً من حرب السلطان علي بن حاتم) [23]. ولكن السلطان علي بن حاتم هاجم الداعي الى ريعان. مما جعل الداعي يضطر الى الاتجاه نحو كوكبان وكان تابعاً لبني الزواحي. وأثناء ذلك استعان الداعي حاتم بالسلطان سبأ بن يوسف اليعبري في حراز ضد السلطان علي بن حاتم. فكان له دور كبير في مساعدة الداعي وبقائه في شبام لفترة طويلة [24]. أما السلطان علي بن حاتم فقد استمر في الاتجاه لمحاربة الداعي. وذهب اليه الى شبام كوكبان حيث عمل على تخريب مدينة شبام وما حولها من القرى. واستمرت الحرب بين الطرفين لمدة ثلاث سنوات.انتهت بتمكن السلطان علي بن حاتم من السيطرة على حصن شبام كوكبان من أبي النور علي بن الزواحي في سنة 564هـ/ 1168م [25]. وكذا الحصون المجاورة له مثل العروس والظفر وبكر.وبذلك امتد سلطان علي بن حاتم الى مغارب صنعاء.

ونتيجة لذلك انقسمت همدان بين مؤيد للداعي حاتم الحامدي الذي كان يدعو الى الاسماعيلية (الطيبية) ومؤيد للسلطان علي بن حاتم الذي ترك الحرية المذهبية في مناطق نفوذه. ومؤيد للدعوة الحافظية التي اعتقد بها الزريعيون في عدن. وفي هذا الشأن عاتب السلطان علي بن حاتم الداعي حاتم الحامدي بقوله له: (اظهر دينك، واجمع أهل دعوتك ولا تفرق همدان وتحملهم على العداوة والشنآن) [26].

علي بن حاتم والزيدية:

اتسمت علاقة السلطان علي بن حاتم بالزيدية بالعلاقة الطيبة والمناصرة. ففي سنة 557هـ/ 1163م اتجه المطهر بن الامام أحمد بن سليمان الى صنعاء لطلب النجدة من السلطان علي بن حاتم

---

(22) الخزرجي: العسجد، ص: 81، ابن الديبع: قرة العيون، ص: 299.

(23) الخزرجي: العسجد، ص: 81 - 82، ابن الديبع: قرة العيون، ص: 299 - 300.

(24) الهمداني: الصليحيون، ص: 275.

(25) الخزرجي: العسجد، ص: 82، الحداد: تاريخ اليمن، ص: 332.

(26) الهمداني: الصليحيون، ص: 274، عن نزهة.

ضد أهل صعدة فانجده [27]. وفي سنة 565هـ / 1169م استنجد به أولاد الامام أحمد بن سليمان على أثر إلقاء القبض على ابيهم من قبل الأشراف القاسميين، وكان الامام قد خرج آنذاك في قلة من رجاله الى لقاء جماعة من أهل الظاهر ووادعة، فاستغل ذلك القاسميون فهجموا على الامام عند وصوله الى تلك المنطقة سنة 565 هـ / 1169م وألقوا القبض عليه وسجنوه في (أثافت) بخمر. فاستنجد أولاده بالسلطان علي بن حاتم حيث عمل على الكتابة الى القاسميين يطلب منهم إطلاق سراح الامام فأطلقوا سراحه، وذهب الى (حوث) وأقام بها الى أن مات في شهر صفر سنة 566هـ / 1170م [28] وبذلك ناصر السلطان علي بن حاتم الزيدية بعكس ابيه الذي حاربهم.

توسع السلطان علي بن حاتم:

عمل السلطان علي بن حاتم على توسيع نفوذه في اليمن الأعلى والقضاء على الزعامات القبلية فيها، فقد اتجه نحو السلاطين بني سلمة بن الحسن الكندي أصحاب حصن بيت بوس الذين استولوا عليه بعد انتهاء الدولة الصليحية، وحاربهم عدة مرات وذلك بسبب مساعدتهم للإمام الزيدي أحمد بن سليمان. وكانت آخر الحرب بين الطرفين سنة 565هـ / 1169م تمكن فيها السلطان علي بن حاتم من الاستيلاء على بيت بوس بعد حرب شديدة معهم. أدت الى هزيمتهم وتخليهم عن حصن بيت بوس له [29].

استمر السلطان علي بن حاتم بالتوسع فبعد أن توفي الأمام أحمد بن سليمان اتجه السلطان بجيشه سنة 566هـ / 1170م نحو بلاد وادعة والظاهر وأثافت بخمر فحارب أهلها حرباً شديدة انتهت بطلب أهلها الأمان منه فأمنهم [30]. بعد ذلك قدم مشائخ بني الكم ابن محمد الى السلطان علي بن حاتم الى صنعاء في شهر ذي الحجة سنة 566هـ / اغسطس 1171م. وسلموا له حصن أو مصنعة (أثافت) [31] وبذلك امتد سلطان علي بن حاتم الى البون شمال صنعاء. كذلك وصلة سلطة

---

(27) الخزرجي: العسجد، ص: 81، الحداد: تاريخ اليمن، ص: 328 - 329.

(28) الخزرجي: العسجد، ص: 82، ابن الديبع: قرة العيون، ص: 301 - 302، يحي بن الحسين: غاية، ص: 317 - 318، زبارة: أئمة، ص: 106 - 107، الحداد: تاريخ اليمن، ص: 328 - 329.

(29) الخزرجي: العسجد، ص:82، ابن الديبع: قرة العيون، ص: 300، يحي بن الحسين: غاية، ص:317 -318.

(30) الخزرجي: العسجد، ص. 82، ابن الديبع: قرة العيون، ص: 302.

(31) الخزرجي: العسجد، ص: 83.

السلطان علي بن حاتم أو نفوذه في بعض السنوات الى معظم اليمن الأعلى مثل الجوف وصعدة[32] بالاضافة الى مغارب صنعاء حيث وصلت سلطته الى حجة وشبام وحراز وغيرها. بذلك يعتبر السلطان علي بن حاتم من أشهر سلاطين آل حاتم. بعد هذه المرحلة قدم الأيوبيون الى اليمن وسوف نتحدث عن علاقتهم بالأيوبيين فيما بعد.

وقد مدح الشاعر أبو الحسن أحمد بن علي الأسواني السلطان علي بن حاتم بقوله[33]:

لإن أجدبت أرض الصعيد أو أقحطوا	فلست أنال القحط في أرض قحطاني
وقد كفلتْ لي مأرب بمأربي	فلست على أسوان يوماً بأسوان

خاتمة:

وكما يتضح من استعراضنا لحكم الهمدانيين لصنعاء، أنه عندما بدأت الدولة الصليحية تتجه نحو الضعف والإنهيار أواخر عهد السيدة الحرة بموت أهم قوادها مثل سليمان بن عامر الزواحي وسبأ بن أحمد الصليحي عادت الزعامات القبلية الى السيطرة على بعض المناطق اليمنية. حيث ظهرت ثلاث أسر همدانية تستقل بحكم صنعاء وهم جميعاً ينتمون الى قبيلة يام الهمدانية التي كانت تسكن نجران، والتي اعتنقت المذهب الإسماعيلي مبكراً وناصرت الصليحيين في اقامة دولتهم. وأهم هذه الأسر الثلاث هم أسرة حاتم اليامي أولهم حاتم الذي تولى حكم صنعاء بعد موت السيدة الحرة مباشرة. والذي استغل نهاية الدولة الصليحية فاتجه الى توسيع نفوذه في شمال صنعاء ثم جاء أبناؤه من بعده فشمل سلطانهم الكثير من مناطق اليمن الأعلى.

وقد جابه حاتم اليامي هذا ظهور الإمام الزيدي أحمد بن سليمان الذي ظهر يدعو الى نفسه بالإمامة الزيدية في صعدة في نفس الوقت الذي تولى به حاتم اليامي لصنعاء. وقد استمر الصراع بينهما فترة طويلة حول توسيع كل منهما مناطق نفوذه. ونتيجة لذلك الصراع فقد ظل الإمام مسيطراً على مناطق صعدة والجوف وما حولهما. بينما استمر حاتم اليامي مسيطراً على صنعاء وما حولها.

وبعد موت حاتم اليامي ورثه في تولي السلطة على صنعاء ابنه علي بن حاتم وهو من أشهر من حكموا صنعاء من أسرة الياميين إذ أن نفوذه امتد الى الكثير من مناطق اليمن الأعلى مثل شبام

---

(32) الخزرجي: العسجد، ص: 81، ابن الديبع: قرة العيون، ص: 298.

(33) عمارة: المفيد ، ص: 38 ، با مخرمة: ثغر عدن ، ص: 37 .

كوكبان وذيبين وحراز (مناخة) والطويلة والمحويث وحصن أشيح وغيرها.

وعلى الرغم من ظهور عدة شخصيات قوية آنذاك يحكمون اليمن الأعلى مثل الإمام أحمد بن سليمان وحاتم اليامي وابنه علي. الا أن أي واحد منهم لم يتمكن من توحيد اليمن أو حتى توحيد اليمن الأعلى تحت نفوذه. وهو الهدف الذي كان كل حاكم في اليمن يسعى الى تحقيقه. وذلك بسبب العداء المذهبي والقبلي. وعدم توفر الامكانات المادية والبشرية لهم.

وفي عهد علي بن حاتم هذا دخل الأيوبيون اليمن فحاربوهم حتى تمكنوا من إنهاء حكمه على صنعاء وما حولها من المناطق وبذلك انتهى حكم الهمدانيين لصنعاء.



الفصل الخامس

الزريعيون في عدن

مقدمة:

1 - بنو معن وعلي الصليحي: كان بنو معن يحكمون عدن ولحج وأبين والشحر وحضر موت[1] . فلما استولى عليها علي الصليحي، أبقاهم حكاماً عليها، نظراً لمعرفتهم إدارة ميناء عدن التجاري. مقابل إعطائه مائة ألف دينار سنوياً. ومن أجل التزام بني معن بطاعة علي الصليحي أخذ منهم أحد أبناءهم رهينة عنده[2] . ولما تزوج المكرم من السيدة الحرة سنة 458 هـ/1066م، جعل علي الصليحي مالية عدن ومااناهجها صداقاً لها. وأمر بأن ترفع إليها سنوياً لتصرفها في شؤون قصرها وحواشيها وخدمها، والتزم بنو معن على دفع ذلك المبلغ إلى السيدة سنوياً. وظلوا مطيعين لعلي الصليحي طيلة حكمه لليمن[3] .

وعندما ذهب علي الصليحي إلى الحج سنة 459 هـ/1067م أخذ معه الرهائن من حكام اليمن (خوفاً منهم أن يثوروا على البلاد[4]). إلا أنه حدث عكس ما كان يهدف إليه. فقد قتل علي الصليحي في تلك السنة وعاد هؤلاء الرهائن إلى بلادهم من ضمنهم ابن معن، فما أن وصل ابن معن إلى عدن حتى أعلن استقلاله بها وعدم طاعته للمكرم الصليحي. وكما يتضح أن هناك إتفاقاً حدث بين بني نجاح وهؤلاء الرهائن على عدم طاعة المكرم والثورة ضده.

2 - بنو معن والمكرم: لم يتمكن الملك المكرم من الإسراع في النزول إلى عدن لإعادة بني معن إلى طاعته. بسبب انشغاله باخضاع القبائل المتمردة عليه في اليمن الأعلى. وانشغاله في الاتجاه لتخليص أمه من الأسر والثأر لأبيه. فأتاح ذلك الفرصة لحكام عدن الاستقلال بحكم مناطقهم لعدة سنوات. فاول من حكمها مستقلاً عن المكرم هو السلطان عباس بن معن الذي

---

(1) الخزرجي: العسجد، ص: 83.

(2) عمارة: المفيد، ص: 127.

(3) عمارة: المفيد ، ص:174، ابن المجاور: صفة بلاد اليمن، ص:121، ابن عبدالمجيد: بهجة الزمن، ص:82، الخزرجي: العسجد، ص:83، ابن الديبع: قرة، ص:304، بامخرمة: ثغر عدن، ص:118، حسن سليمان محمود: تاريخ اليمن، ص:222، كريم: عدن، ص:94 - 95.

(4) عمارة: المفيد، ص:127.

حكمها ثلاث سنوات من أواخر ذي الحجة سنة 459 هـ / 1067 م حتى سنة 462 هـ/1070م. ثم خلفه بعد موته أخوه السلطان محمد بن معن[5]. وهو الذي صارع المكرم عدة مرات ملخصة الآتي:

في الوقت الذي تمكن فيه المكرم من تحقيق اخضاع قبائل اليمن الأعلى وتخليص أمه من الأسر والثأر لأبيه . اتجه نحو عدن للسيطرة عليها ، وذلك في سنة 467 هـ / 1075 م .ولما علم حاكمها محمد بن معن بنزول المكرم نحوه أدرك أنه غير قادر على مقاومته. فهرب من عدن ومعه العامريون في أواخر شهر شعبان سنة 467 هـ / مارس 1075م الى منطقة (أحور). وبذلك سيطر الملك المكرم على عدن بسهولة. وعلى الرغم من ذلك فقد عمل المكرم على مصالحة السلطان محمد بن معن. على أن تكون نصف مالية عدن ومنطقة لحج والعارة وسبأ صهيب بلحج وأبين وجميع قرى مابين منطقة عدن وميناءها تابعة للمكرم. وأن يكون نصف مالية عدن وشرق أبين وغيرها من المناطق التابعة لعدن تابعة للسلطان محمد بن معن. لذلك عاد بعد المصالحة ابن معن واستقر في أبين. ومن أجل ذلك ترك الملك المكرم أحد رجاله نائباً له في عدن هو القاضي حاتم بن الغشيم اليامي بينما ترك السلطان محمد بن معن ابن الدهاني نائباً له بها[6].

لم تستمر تلك المصالحة قائمة بين الطرفين فقد عاد الخلاف بينهما بعد سنة وأربعة أشهر من المصالحة. بسبب اقدام القاضي حاتم بن الغشيم على قتل ابن الدهاني المناصر لابن معن في ذي الحجة سنة 468 هـ / يوليو 1075. فأغضب ذلك محمد بن معن وجعله يتجه الى الاستيلاء على عدن من القاضي حاتم بن الغشيم. فأدى هذا الموقف الى تجديد الصراع بين ابن معن والمكرم الصليحي. فقد نزل المكرم الى عدن بجيشه. وحين علم ابن معن بنزوله هرب مرة أخرى الى (أحور). وبعدها جددت المصالحة بينهما على أن يسلم بنو معن باب عدن ونصف قوانينه (نصف ضرائب مالية عدن التجارية). إضافة الى تسليم منطقة العارة ولحج وأبين . وأن لا يكون لمحمد بن معن أي نائب له في عدن ـ وكما يتضح أن المقصود بنصف قوانينه هي الضرائب الإضافية التي فرضتها دولة بني معن على ميناء عدن التجاري . وهي غير العشور التجارية ـ . وبعد تلك

---

(5) عمارة: المفيد، هامش، ص:173، عن الحجوري.

(6) عمارة: المفيد، هامش: ص:173، عن الحجوري.

المصالحة اتجه محمد بن معن نحو(أحور) ومعه العامريون وأهل أبين . فأقاموا بها خمس سنين [7] أما المكرم فقد ولى على عدن هذه المرة المسعود والعباس ابني الكُرَّم اليامي . وعاد إلى ذي جبلة . وبعد ذلك بدأت مرحلة جديدة بين بني معن وبني الكرم أو ما يسمون بالزريعيين .

تولية بني الكُرَّم اليامين لعدن :

بعد مصالحة الملك المكرم لبني معن أواخر سنة 468 هـ / 1075م ، أو أوائل سنة 469 هـ 1075م وَلّى على جباية أموال عدن بني الكُرّم اليامين . أحدهما العباس الذي جعل إليه المكرم حصن التعكر (جبل حديد) مقرا له . وجعل إليه جباية الأموال التجارية القادمة من البر . والآخر هو المسعود الذي جعل إليه المكرم حصن الخضراء في (حقات) مقراً له ،وجعل إليه جباية الأموال التجارية القادمة من البحر . كما جعله متولياً على أمر المدينة [8] وقد ألزم المكرم كل من العباس والمسعود على التعهد بدفع مالية عدن إلى السيدة الحرة وقدرها مائة ألف دينار سنوياً . فكان المسعود يدفع خمسين ألف دينار والعباس يدفع خمسين ألف دينار [9] .

وكان سبب تولية المكرم للعباس والمسعود أمر عدن لانتمائها إلى الدعوة الإسماعيلية وتقديم الخدمات لها . فقد كان لهما سابقة في دخول الدعوة ، وفضلاً كبيراً في مناصرة علي الصليحي في إقامة دولته ودعوته الاسماعيلية . ومجهودا كبيراً في مناصرة ابنه المكرم في تخليص أمه من أسر النجاحيين والثأر لأبيه منهم [10] .

وينتسب بنو الكُرَّم أو بنو زريع إلى همدان بن جشم بن يام بن أصبا [11] . وهؤلاء (بنو

---

(7) عمارة: المفيد، هامش، ص:173، عن الحجورى.

(8) عمارة: المفيد، ص:172 - 174، ابن المجاور: صفة، ص:121 ـ 124، ابن الديبع: قرة، ص:304 ـ 305، الحمزى: كنز، ص:84، بامخرمة: ثغر عدن، ص:119. الوصابي: الاعتبار، ص:64، كريم: عدن، ص:98، الحداد: تاريخ اليمن، ص:295.

(9) الجندى: السلوك، 501/2.

(10) عمارة: المفيد، ص:172، ابن المجاور: صفة، ص:121، الجندى: السلوك، 501/2، الخزرجي: العسجد، ص:84، ابن الديبع: قرة، ص:304، الجرافي: المقتطف، ص:81.

(11) عمارة: المفيد، ص:172، ابن المجاور: صفة، ص:121، بامخرمة: ثغر عدن، ص:118، الجندى: السلوك. 506/2، كريم: عدن، ص:96.

الكُرّم يعرفون بآل الذئب وهم بعد بني الصليحي بقية العرب في اليمـن)[12] . وتعد قبيلة همدان ويام من أهم القبائل والأسر التي خدمت الدولة الصليحية وفكرها الإسماعيلي في اليمن .

بنو الكُرّم أو بنو زريع وبنو معن :

عندما اتجه السلطان محمد بن معن إلى (أحـور) أواخـر سـنة 468 هـ / 1075م أو أوائل سنة 469 هـ / 1075م ـ للإقامة بها بعد مصالحته للملك المكرم سار معه العامريون وأهل أبين كما سار معه يعفر بن العباس بن معن . وبعد قعودهم خمس سنين عادوا إلى أبين سنة 473 هـ/ 1080م . وفي أواخر عهد السلطان محمد بن معن تجـدد القتـال بينـه وبـين بـني زريـع اليـاميين (أل الكـرم) والصليحيين . ففي 19 / من شهر صفر سنة 477 هـ / يونيـو 1084 م وقعت المعركة الأولى بخنفر (أبين) بين الطرفين . كما وقعت المعركة الثانية بينهم في 19 / جمادي الأخرة سنة 478 هـ / سبتمبر 1085م .[13] ومن الملاحظ من هاتين المعركتين أنهما لم تحسما الخلاف بين الطرفين ولم تحققا أي غلبة لأحد الجانبين .

استمر بنو معن يحكمون شرق أبين وأحور وحضر موت لمدة سنوات فبعد المعركـة الثانيـة بخنفر (أبين) توفي السلطان محمد بن معن في 21 / من شهر جمادي الآخرة سنة 478 هـ / سبتمبر 1085م . فتولى السلطة بعده يعفر بن العباس بن معن ، ثم تولى بعده عدة أشخاص من بني معن هم أخوه زريع بن العباس بن معن سنة 485هـ/ 1092م لمدة خمس سنوات عدا عدة أشهر . وبعده تـولى السلطة سبأ بن زريع بن العباس بن معن سنة 491 هـ / 1098م . لخمس سنوات وعدة أشـهر . ثـم تولى بعده المسعود بن العباس بن معن وقتـل في شـهر ربيـع الأول سـنة 501هـ / أكتوبـر 1107م . فتولى بعده مسعود بن زريع بن العباس بن معن ومات سنة 511هـ / 1117م[14] . وخلال حكم بني معن الفترة هذه لأبين وأحور حدث صراع بينهم وبين بني (زريع) الياميين أو بـني الكـرم . لعـدة مرات . انتهت بانتهاء دولة بني معن وتوسيع نفوذ بني (زريع أو الكرم) في مناطقهم .

تناقض أقوال المصادر:

وردت في المصادر اليمنية بعض التناقضات حول ذكر بعـض شـخصيات الدولـة الزريعيـة

---

(12) عمارة: المفيد، ص:177، كريم: عدن، ص:96 ـ 97.

(13) عمارة: المفيد، هامش، ص:173 عن الحجورى.

(14) عمارة: المفيد، هامش، ص:176 عن الحجورى.

في عدن وعلاقتها بالسيدة الحرة نوردها في الآتي :-

ذكر الوصابي أن البهاء بن زريع وأبا الغارات هما اللذان امتنعا عن دفع الأموال المقررة للسيدة . فأرسلت إليها قائدها المفضل فصالحهما على النصف . كما أورد أنهما قتلا على باب زبيد سنة 503 هـ/ 1109م حينما اشتركا مع المفضل لقتال النجاحيين . كذلك أوضح أن أبا السعود بن زريع هو الذي عاصر محمد بن أبي الغارات بقوله عن ذلك :(ثم البهاء بن زريع بن العباس وأبو الغارات بن مسعود بن المكرم . ثم تغلبا على السيدة في عدن . ثم اصطلحوا على نصف ارتفاع عدن للسيدة . فلما قتلا مع المفضل ابن أبي البركات الحميري في باب زبيد سنة ثلاث وخمسمائة ولي في عدن ابنه أبو السعود بن زريع ومحمد بن أبي الغارات بن مسعود)[15] . وهذا القول مناقض لأخبار المصادر الآتي ذكرها .

فبالنسبة لعمارة اليمني فقد ذكر أن المفضل بن أبي البركات حارب زريع بن العباس وابن عمه أبا الغارات بقوله :(تغلب على عدن زريع بن العباس وأبو الغارات بن مسعود فسار المفضل بن أبي البركات إلى عدن وجرت بينه وبينهما حرب كان أخرها المصالحة على نصف ارتفاع عدن)[16] .

هذا القول يناقضه عمارة نفسه في الصفحة التالية لقوله السابق بقوله : (فإن المفضل بن أبي البركات نزل في بعض غزواته إلى زبيد وكان معه زريع بن عباس وعمه مسعود بن الكُرّم وهما يومئذ صاحبا عدن فقتلا جميعاً على باب زبيد ثم ولي الأمر بعدهما بعدن أبو السعود بن زريع وأبو الغارات بن مسعود)[17] .

ومن الواضح أن المفضل نزل زبيد سنة 503 هـ / 1109م . ومات سنة 504هـ / 1110م بعد عودته مباشرة من معركة زبيد إلى ذي جبلة . فغير معقول أن يكون المفضل حارب زريع بن العباس وأبا الغارات حسب ذلك القول . كما أن عمارة أورد أن أبا الغارات قُتل مع زريع . ثم أورد أن أبا الغارات تولى مع أبي السعود . فكيف يعقل أن يقتل ثم يتولى، فهذا غير معقول هو الآخر . ولا يمكن أن نتهم عمارة بهذا الخطأ . ولكن هذا قد يكون من خطأ النساخ بإيراد اسم

(15) الوصابي: الإعتبار، ص:64.

(16) عمارة: المفيد، ص:174 .

(17) عمارة: المفيد، ص:175 .

الابن بدلا عن الأب في العبارة الأولى .

أما ابن الديبع وبامخرمة فهما يذكران أن المفضل حارب أبا السعود بن زريع وأبا الغارات بن مسعود وأجبرهما على المصالحة على نصف ما كانا يرفعانه للسيدة بقولهما:(فانتقل أمر عدن إلى ولديهما أبي السعود بن زريع وأبي الغارات بن مسعود فتغلبا على الحرة فبعثت إليهما المفضل في جيش عظيم فقاتلهما ثم اتفق الأمر على نصف الخراج خمسين الف دينار كل سنة) .

هذا الخبر ينافي قولهما في نفس الصفحة حيث قالا : (فلما بعثت السيدة المفضل بن أبي البركات إلى زبيد كتبت إلى زريع وعمه مسعود أن يلقاه بزبيد فلقياه وقاتلا معه وقتلا على باب زبيد)[18] . فكيف يكون المفضل حارب أبا السعود وأبا الغارات وهما قد توليا السلطة بعد ابنيهما اللذين قتلا على باب زبيد سنة 503هـ ومات المفضل بعدهما مباشرة سنة 504 هـ دون أن يتمكن من النزول إلى عدن بعد معركته في زبيد .

كذلك أورد الحمزي (أن المفضل غزا تهامة وعدن مراراً)[19] وإذا اعتبرنا أن المفضل نزل زبيد قبل سنة 503هـ / 1109م . وقتل في هذه المعركة زريع ومسعود .ثم تولى بعدهما ابناهما أبو الغارات وأبو السعود وأمتنعا عن دفع مالية عدن . فنزل إليهما المفضل وصالحهما . يمكن أن نعتبر ذلك صحيحاً . ولكن لم تشر المصادر إلى وجود معركة كبيرة خاضها المفضل مع النجاحيين قبل سنة 503 هـ . ولذلك لا نميل إلى ترجيح هذا الاحتمال .

وما نستنتجه مما سبق نورده في المرحلة الأولى لحكم بني زريع أو بني الكُرّم لعدن، وعلاقتهم مع السيدة الحرة الآتي ذكرها .

المرحلة الأولى لدولة بني الكُرّم أو بني زريع :

تتحدث هذه المرحلة عن بني الكُرّم اليامين . واستمرارهم في تقاسم السلطة وتوريثها لأبنائهم منذ ولايتهم لعدن سنة 469هـ/1076م ،حتى سنة 532هـ/1138م عندما استقل بها بنو زريع عن الصليحيين. وهي ما يمكن تسميتها بالفترة الأولى لحكم بني زريع لعدن أو بالمرحلة الأولى لدولة بني زريع أو بفترة علاقة بني زريع بالسيدة الحرة نوردها بالآتي:

ظلت جباية الأموال التجارية وتولية عدن يتورثها الأبناء عن الأباء فكانت جباية الأموال

---

(18) ابن الديبع: قرة، ص:305، بامخرمة: ثغر عدن، ص:119.

(19) الحمزي: كنز، ص:82.

التجارية البرية لأبناء العباس . وجباية الأموال التجارية البحرية وولاية عدن يتورثها أبناء المسعود . وظلوا ملتزمين في طاعتهم للدولة الصليحية . ورفع مالية عدن المقدرة بمائة ألف دينار سنوياً إلى السيدة في عهدي الملك المكرم والسلطان سبأ بن أحمد الصليحي .

فلما مات العباس سنة 479 هـ / 1086م ورثه في السلطة ابنه زريع بن العباس وكان معاصراً لعمه المسعود في حكم عدن . فعمل على توسيع سلطانه في السيطرة على حصن الدملوة في الصلو . فسيطر عليه في شهر رمضان سنة 480 هـ / نوفمبر 1087م [20] . وكما يبدو أن سبب استيلائه على الدملوة هو تأمين القوافل التجارية البرية القادمة من والي عدن فضلا عن زيادة محصوله المالي . وقد ساعده في ذلك التوسع صراع الصليحيين والزواحيين حول السلطة .

ولما مات سبأ الصليحي سنة 491هـ / 1098م امتنع زريع بن العباس اليامي وعمه المسعود عن دفع مالية عدن إلى السيدة الحرة فأرسلت إليهما قائدها المفضل بن أبي البركات فحاربهما عدت مرات . انتهت بالمصالحة على دفع خمسين ألف دينار وهو نصف المبلغ السابق [21] وكما يتضح أن السبب في رفض بني الكُرّم اليامين دفع المبلغ إلى السيدة الحرة . ومصالحة المفضل لهما بالنصف هو ضعف النشاط التجاري آنذاك وقلة الواردات المالية لهما نتيجة الصراع العسكري بين النجاحيين والصليحيين . والذي أثر على القوافل التجارية العابرة من عدن وإليها عبر تهامة .

وفي الوقت الذي أرادت فيه السيدة الحرة والمفضل بن أبي البركات إعادة منصور بن فاتك النجاحي إلى السلطة في زبيد . كتبت السيدة إلى حكام عدن سنة 503 هـ/1109م . وهما زريع بن العباس وعمه المسعود تطلب منهما أن يلقيا المفضل بجيشهما في زبيد . وبالفعل لبيا طلبها دليلا على طاعتهما لها . فسارا إلى زبيد وقاتلا قتالا شديداً انتهى بقتلهما على باب زبيد في نفس السنة التي قدما فيها [22] .

---

(20) الخزرجي: العسجد، ص:84، ابن الديبع: قرة، ص:305، كريم: عدن، ص:100 - 101.

(21) عمارة: المفيد، ص:174، ابن المجاور: صفة، ص:122، الجندى: السلوك، 501/2، الوصابي: الإعتبار، ص:64، الديبع: قرة، ص305.

(22) عمارة: المفيد، ص: 175، ابن المجاور: صفة، ص:122، الخزرجي: العسجد، ص:84، ابن الديبع: قرة، ص:305، بامخرمة: ثغر عدن، ص: 119، كريم: عدن، ص:104 - 105.

وبعد موتهما تولى حكم (عدن) ابناهما أبو السعود بن زريع وأبو الغارات بن المسعود وحاولا الاثنان بعد موت المفضل سنة 504هـ / 1110م الإمتناع عن دفع الخمسين ألف دينار المخصصة للسيدة سنوياً . فأرسلت إليهما قائدها أسعد بن أبي الفتوح الحميري فحاربهما ثم صالحهما على دفع خمسة وعشرين ألف دينار[23] .

استمر بنو الكُرّم اليامبون يتقاسمون السلطة في عدن ويتورثونها. فحين توفي أبو الغارات بن مسعود سنة 510هـ /1116م . تولى ابنه محمد بن أبي الغارات السلطة مكانه في حكم عدن وما يدخل إليها من الأموال التجارية عن طريق البحر . وبعد وفات أبو السعود بن زريع تولى ابنه سبأ بن أبي السعود السلطة بدلاً عنه في حكم التعكر (جبل حديد) وما يدخل من الأموال التجارية عن طريق البر[24] .

وخلال حكم هذين السلطانين توسعا في الإستيلاء على مناطق جديدة. فمن جهة سبأ بن أبي السعود فقد توسع في السيطرة على المناطق التي كانت تحت حكم بني الكرندي في اليمن الأسفل . فاستولى على مناطق كثيرة من أعمال الجند والمعافر مثل الرما وسامع ومطران ويمين وذبحان . بالاضافة إلى الدملوة[25] . أما محمد بن المسعود فقد توسع نحو السيطرة على المناطق التي كان يحكمها بنو معن في أبين وأحور وغيرهما . وبالنسبة لمنطقة لحج فقد تقاسم مناطقها كل من سبأ بن أبي السعود الذي أخذ منطقة بني أبة بلحج . وعلي بن أبي الغارات الذي أخذ منها منطقة الرعارع[26] .

استقلال بني الكُرّم (بني زريع)عن الصليحيين:

حاول بنو الكُرّم في عدن عدة مرات عدم دفع المخصصات المالية المحددة للسيدة الحرة .

---

(23) الوصابي: الإعتبار، ص:64، عمارة: المفيد، ص: 174، ابن المجاور: صفة، ص:122، الجندى: السلوك، 493/2 ـ 494، الخزرجي: العسجد، ص:84، ابن الديبع: قرة، ص:305، أمين صالح: بنو معن وآل زريع في عدن، ص:325،

(24) الجندى: السلوك، 501/2، ابن الديبع: قرة، ص:305 ـ 306.

(25) عمارة: المفيد، ص:177، الجندى: السلوك، 501/2، ابن عبدالمجيد: بهجة، ص:82، الخزرجي: العسجد، ص:84، ابن الديبع: قرة، ص:306، بامخرمة: ثغر عدن، ص:119.

(26) عمارة: المفيد، ص:178 ـ 179، ابن الديبع: قرة، ص:307.

بهدف الاستقلال عن الصليحيين ولكنهم لم يتمكنوا بادئ الأمر . وعندما استولى بنو الزر الخولاني على حصن التعكر في ذي جبلة في شهر ربيع الأول من سنة 509هـ/ يوليو 1115م استغل بنو الكُرّم (بنو زريع) في عدن هذه الفرصة . فعمل سبأ بن أبي السعود ومحمد بن أبي الغارات على الاستقلال عن حكم السيدة . وعملا على الامتناع عن دفع الخمسة والعشرين ألف المخصصة لها . ولم تتمكن السيدة إرسال جيش إليهما بسبب ضعف قواتها واستيلاء بني الزر على حصن التعكر بذي جبلة [27] وبذلك استقل بنو الكُرّم (زريع) عن الصليحيين .

وفي ذلك الوقت حاول ابن نجيب الدولة إعادة بني الكرم (زريع) في عدن إلى سلطان السيدة الحرة فاتجه نحوهم بجيشه سنة 519 هـ / 1125م فخاض معهما معركة كبيرة في منطقة الجؤة قرب الدملوة . أسفرت عن هزيمة ابن نجيب الدولة وانسحابه نحو الجند [28] .

وعندما تولى الحافظ الفاطمي أمر الخلافة الفاطمية بمصر سنة 524 هـ/ 1130م . امتنعت السيدة الحرة عن طاعة الحافظ . وتولت القيام على نشر الدعوة الطيبية في اليمن والهند وقالت :(حسب بني الصليحي ما علموا من أمر مولانا الطيب) [29] مما يدل على الاكتفاء عن موالاة الفاطميين .لذلك تركت السيدة الحرة أمر الدعوة الحافظية إلى سبأ بن أبي السعود بن زريع [30] . ومن جهة الخليفة الحافظ الفاطمي فقد أوكل إلى سبأ بن أبي السعود الزريعي القيام بأمر الدعوة الحافظية الإسماعيلية في عدن . وبالفعل عمل سبأ على القيام بالدعوة الحافظية في عدن [31] . وبذلك أعلن حكام عدن مولاتهم للفاطميين بمصر . ولذلك أطلق على سبأ الزريعي اسم الداعي

---

(27) عمارة: المفيد، ص:174 ـ 175، أمين صالح: المرجع السابق، ص: 326، كريم: عدن، ص:109، في بعض نسخ عمارة ذكر أن بني الزر سيطروا على التعكر سنة 505 هـ ، وعند الوصابي، ص:64، أنهم سيطروا على التعكر سنة 507 هـ ، وعند ابن سمرة أنهم سيطروا على التعكر سنة 515 هـ، عمارة هامش، ص:161.

(28) عمارة: المفيد، ص:165، أمين صالح: المرجع السابق، ص:327، كريم: عدن، ص:112، يورد أمين صالح أن المعركة كانت سنة 518 هـ.

(29) عمارة: المفيد، ص:239.

(30) الجندي: السلوك، 494/2.

(31) أيمن فؤاد: المذاهب الدينية في اليمن، ص:186.

ولقب من الخلافة الفاطمية بعدة ألقاب هي :(الداعي الأوحد المظفر مجد الملك وشرف الخلافة عضد الدولة سيف الامام تاج العرب ومقدمها داعي أمير المؤمنين سبأ بن أبي السعود بن زريع)[32] .

2 ـ المرحلة الثانية لدولة بني زريع:

تميزت هذه المرحلة بظهور أسرة واحدة تحكم عدن هي أسرة آل زريع الذين أطلق اسمهم على جميع حكام عدن . وقد استمرت هذه المرحلة من سنة 532 هـ / 1138 م حتى سنة 569 هـ/1174م . نوضحها بالآتي.

انفراد الداعي سبأ بالحكم في عدن: عندما توفي محمد بن أبي الغارات سنة 524 هـ/1130م خلفه أخوه علي بن أبي الغارات . واثناء معاصرته لابن عمه الداعي سبأ بن أبي السعود الزريعي . حدث فيما بين الاثنين صراع حول السلطة في عدن . فسعى الداعي سبأ إلى الإنفراد في تولي السلطة . والسبب في ذلك الصراع حسب ما تصف المصادر حدوث خلافين فيما بينهما . أحدهما: حدوث الخلاف حول الماء والحطب الذي كان يجلب إلى عدن من خارجها . لأن المياه في عدن نفسها كانت مالحة . وأرضها لا يوجد بها أشجار . لذلك كان أهلها يجلبون الماء والحطب من خارجها .[33] والآخر: حدوث خلاف حول جباية الأموال في عدن . فقد كان حكم مدينة عدن لعلي بن أبي الغارات إضافة إلى تحصيل الأموال التجارية القادمة من البحر . وقد أوكل لهذا العمل أحد نوابه واسمه علي بن محمد الجزري. بينما كان لسبأ بن أبي السعود جباية الأموال التجارية القادمة من البر . فأوكل لهذا العمل نائبه أحمد بن غيات الهذلي . فأشتط ابن الجزري في قسمة الأموال لابن الهذلي. وكذلك (امتدت أيدي أصحاب علي بن أبي الغارات إلى ظلم الناس وعاثوا وأفسدوا وأطلقوا الأقوال بذمة الداعي سبأ)[34] .

---

(32) عمارة: المفيد، ص:177، أمين صالح: المرجع السابق، ص:327 ـ 328.

(33) ابن المجاور: صفة، ص:124.

(34) عمارة: المفيد، ص: 178، الحمزي: كنز، ص:84، ابن المجاور: صفة، ص:124، ابن عبدالمجيد: بهجة، ص:82 ـ 83، الجندي: السلوك، 501/2، ابن الديبع: قرة، ص: 306، حسن سليمان محمود: تاريخ اليمن، ص:224، الحداد: تاريخ اليمن، ص:296، المحصلات التجارية سماه ابن المجاور الدخل والخرج.

وآنذاك حاول الداعي سبأ عدم التسرع في محاربة ابن عمه علي بن أبي الغارات. فازدادت صولة أصحاب علي بن أبي الغارات وظلمهم للناس إلى الحد الذي لا يستطيع فيه الداعي سبأ التحمل. وخاصة عندما كاد احتمال الداعي سبأ يوصله إلى خروج السلطة من تحت يديه . لذلك قرر الاتجاه لمحاربة ابن عمه علي بن أبي الغارات. فاستمرت الحرب سنتين من سنة 330هـ / 1136م حتى سنة 332هـ/1138م[35] .

ومن الملاحظ أنه رغم حدوث الخلاف حول الماء والحطب وقسمة الأموال . فإنها لم تكن هي الأسباب الحقيقية لتحريك الصراع ، لأن حكم (عدن) نفسها كان من اختصاص علي بن أبي الغارات. وقسمة الأموال كانت واضحة . حيث كانت لعلي بن أبي الغارات جباية الأموال القادمة من البحر . وكانت لسبأ بن أبي السعود جباية الأموال القادمة من البر . وذلك لا يسبب الخلاف بين الطرفين . وإن حدث الخلاف فمن السهل حله .

والواقع أن الخلاف الحقيقي حدث حول التوسع في السلطة ، فالداعي سبأ بن أبي السعود بعد أن أصبح داعية للخلافة الفاطمية في اليمن . أراد توسيع نفوذه ونشر الدعوة الإسماعيلية في أغلب مناطق اليمن مما أدى إلى معارضة سلطان ابن عمه على مناطقه. فضلا عن أن الداعي سبأ أراد أن تكون (عدن) عاصمة لنفوذه لأهميتها . وأراد السيطرة عليها لأنه كان مقيماً في الدملوة وهي لا توافق طموحه في جعلها عاصمة له. لذلك حدث الصراع بين الطرفين.

وفي بداية الصراع بين سبأ وابن عمه علي بن أبي الغارات حاول صاحب جزيرة كيش (قيس) في الخليج مهاجمة عدن بعدة سفن حربية وجيش كبير نزلوا في صيرة . وذلك بهدف تحويل التجارة من عدن إلى كيش . وأثناء هجومهم على عدن . لم يكن يوجد بها جيش يقاومهم . لأن سبأ بن أبي السعود كان في الدملوة وعلي بن أبي الغارات في الرعارع بجيشهما يحاربان بعضهما البعض . أما أهل عدن فقد هربوا من بيوتهم للتحصن بجبال عدن خوفا من جيش صاحب جزيرة كيش. إلا أن هذه الحملة لم تتمكن من تحقيق أهدافها. فبعد شهرين من حصار عدن وتخويف أهلها. انتهى مصير الحملة بالإنهزام. وذلك عن طريق حيلة وضعها لهم قائد قلعة الخضراء بعدن.

---

(35) عمارة: المفيد، ص:178، ابن المجاور: صفة، ص:123، ابن عبدالمجيد: بهجة، ص:84، الحمزي: كنز، ص:84، الخزرجي: العسجد، ص:84 - 85، ابن الديبع: قرة، ص:306، بامخرمة: ثغر عدن، ص:119 – 120، حسن محمود: تاريخ: اليمن، ص:224 - 225.

حيث تظاهر لهم بالاستسلام. فأرسل إليهم الدقيق والمؤن اللازمة للطعام. كما أرسل إليهم النبيذ فلما أكلوا وشربوا كثيراً حتى سكروا.وأثناء ذلك هجم عليهم جيش الزريعيين فقتل الكثير منهم [36] وحسب رواية أخرى تقول أنه دار قتال شديد في صيرة بين جيش صاحب جزيرة كيش وجيش الزريعيين القادم من خارج عدن. انتهى بانتصار الزريعيين وهزيمة جيش صاحب جزيرة كيش وهروبهم [37] وهذا الرأي الأخير أكثر معقولية وهو ما نرجحه. وبذلك انتهى ذلك الهجوم بالفشل .

ومن الملاحظ أثناء صراع الزريعيين أن الداعي سبأ بن أبي السعوداتخذ قلعة الدملوة مقراً له.بينما اتخذ علي بن أبي الغارات مدينة الرعارع المسورة بلحج مقراً له وذلك من أجل أن يتحصنا بهما واستخدام القبائل المجاورة إليهما في الصراع . ولتوفر المواد الغذائية والمياه بهما. ولذلك دام الصراع سنتين دون أن تحقق أي نتيجة لأحد الطرفين . ولما رأى الداعي سبأ عدم مقدرة جيشه الموجود لديه القضاء على علي بن أبي الغارات . عمل على طلب الاستعانة بقبائل اليمن الأخرى . فاستجابت لطلبه قبائل من همدان وجنب بن سعد وعنس وخولان وحمير ومذحج وغيرهم [38] . وذلك كون سبأ الزريعي داعية إسماعيلي في اليمن ومفوضاً من الخلافة الفاطمية فيها. ولما تجمعت هذه القبائل إلى الدملوة اتجه الى قتال علي بن أبي الغارات على جبهتين .

إحداها بقيادة وزيره بلال بن جرير المحمدي . الذي تولى أمر القتال بمدينة عدن نفسها. حيث كلفه الداعي سبأ بذلك عندما قرر الداعي القتال في الرعارع بأن يقاتل بلال انصار علي بن أبي الغارات في عدن [39] في نفس الوقت الذي يقاتله فيه الداعي في الرعارع. وخلال الحرب في عدن تمكن الوزير بلال المحمدي من الانتصار والاستيلاء على حصن الخضراء (حقات) مقر علي بن أبي الغارات . وإنزال أمه بهجة منه. واستيلائه على جميع ما كان لديها من الأموال والذخائر وكانت كثيرة [40] .

---

(36) ابن المجاور: صفة، ص:124 - 126، كريم: عدن، ص:118 - 121.

(37) كريم: عدن، ص:123، انظر عن هذا الهجوم بتوسع في كتاب عدن، ص:117 - 126.

(38) عمارة: المفيد، ص:178، الوصابي: الإعتبار، ص:64، الخزرجي: العسجد، ص:89، ابن الديبع: قرة، ص:307، الحداد: تاريخ اليمن، ص:297.

(39) ابن الديبع: قرة، ص:306 - 307.

(40) عمارة: المفيد، ص:182، الوصابي: الإعتبار، ص:64 ، الجندي: السلوك، 502/2، الخزرجي: =

والأخرى بقيادة سبأ الزريعي نفسه الذي اتجه بجيشه ومن انضم معه من القبائل نحو قرية بني أبة في وادي لحج استعداداً لمقاتلة علي بن أبي الغارات الذي كان معسكراً في الرعارع . ثم سار سبأ فالتقى الطرفان قرب الرعارع. فدارت بها معركة كبيرة بينهما أدت إلى (كثر الطعن بين الفريقين والجلاد بالسيوف وعقر الخيل) انتهت هذه المعركة بانتصار الداعي سبأ وهزيمة علي بن أبي الغارات وهروبه مع عمه منيع إلى صهيب سبأ في أعالي لحج .

وقد علل عمارة على لسان محمد بن سبأ الزريعي أن سبب هزيمة علي بن أبي الغارات هو أنه كان ينفق الكثير من الأموال جزافا منذ بداية المعارك . وكان قريباً من تحقيق النصر . بينما كان الداعي سبأ قليل الانفاق. ولما قلت أموال علي بن أبي الغارات تضعضعت حاله فبدأ الداعي سبأ بالإنفاق. وبسبب ذلك حقق الداعي النصر عليه [41] . والواقع أن استعانة الداعي سبأ بالقبائل هي التي أدت إلى ترجيح كفة سبأ فحقق الانتصار .

وبعد تحقيق الداعي سبأ النصر بالرعارع بلحج. وسيطرة وزيره بلال المحمدي على عدن اتجه الداعي نحو عدن للإستقرار بها واتخاذها عاصمة له. وبذلك انفرد سبأ الزريعي بالسلطة في عدن.

تولية على الأعز :

بعد انفراد الداعي سبأ بالحكم في عدن لم يعمر طويلا فقد مات بعد سبعة أشهر من انتصاره ودخوله عدن. وكانت وفاته سنة 533 هـ / 1138م حسب رأى عمارة [42] وسنة 532 هـ 1137م حسب رأى الخزرجي [43] ومن المحتمل أنه مرض في ذي الحجة سنة 532 هـ ومات في أوائل سنة 533هـ / 1138م. أو أن مرضه كان حسب رواية الخزرجي، وموته حسب رواية عمارة.

وبعد موته تولى ابنه الأعز علي بن سبأ بناء على وصية أبيه له. وكان مقيماً بالدملوة

= العسجد، ص:86 - 88، بامخرمة: ثغر عدن، ص:121، حسن سليمان محمود: تاريخ اليمن، ص:325، الحداد: تاريخ اليمن، ص:297.

(41) عمارة: المفيد، ص:178 - 180، الوصابي: الإعتبار، ص:65، الجندي: السلوك، 502/2، الحمزي: كنز، ص:84 - 85، الخزرجي: العسجد، ص:85 - 86، بامخرمة: ثغر عدن، ص:120 - 121 .

(42) عمارة: المفيد، ص:183، الجندي: السلوك، 502/2، الحمزي: كنز، ص:85، كريم: عدن، ص:157.

(43) الخزرجي: العسجد، ص:88، ابن الديبع: قرة، ص:309.

عندما أوصى له أبوه بالسلطة، وظل مقيما بها . ولكن حكم الأعز هذا لم يدم طويلاً فقد مات بعد سنتين من ولايته متأثراً بمرض السل وذلك في سنة 534 هـ / 1139م . وأوصى بالحكم بعده إلى ابنه حاتم الذي كان طفلا مع أخوين له لا زالا في سن الطفولة . وهمـا عبـاس ومنصـور وكـانوا جميعـاً تحت وصاية مولاه أنيس الحبشي [44] .

تولية محمد بن سبأ:

تولي محمد بن سبأ السلطة في عدن بناءً علـى دعـم مـن الوزيـر بـلال بـن جريـر المحمـدي والسبب في ذلك حسب وصف عمارة أن علاقة علي الأعز بالوزيربلال كانت غير طيبة . فقد همَّ بقتل بلال. لذلك عمل بلال على تحويل السلطة من أبناء علي الأعز بعد موته إلى محمـد بـن سبأ. والواقع أن السبب الرئيسي في تحويل السلطة إليه هو صغر سن أولاد علي الأعز . وعدم مقدرتهم تحمل الأعباء السياسية. فضلا عن عدم تأييد أغلب الناس والقادة لتولية ابن الأعـز الطفـل. وكـان محمد بن سبأ أثناء موت أخيه هارباً في ذي جبلة مستنجداً بالأمير منصور بن المفضـل الحمـيري [45] ويبدو أن سبب هروب محمد إلى ذي جبلة هو طموحه في تولي السلطة بعد موت أبيه بدلا من أخيه الأكبر علي الأعز نظراً لإصابة علي بمرض السل . ولكنه قاوم أخيه محمد فهرب منه إلى ذي جبلة.

طريقة توليه السلطة :

وعن الطريقة التي تولى بها محمد بن سبأ السلطة هي أنه لما مات علي الأعـز كتـب الوزيـر بلال من عدن إلى محمد بن سبأ الذي كان هارباً في ذي جبلة يخبره بوفاة أخيه ويطلب منه الحضـور إليه ليتولى السلطة. فلما وصل محمـد بـن سبأ إلى قـرب عـدن خـرج إليـه الوزيـر بـلال المحمـدي لاستقباله . فأحسن الترحيب به . ثم أخذه معه إلى قصر المنظر بعدن في حقات. فأنزله به . ثم جمع الناس لمبايعته فبايعوه. كما بايعه جميع العساكر في عدن . وبذلك تولى محمـد السـلطة . ثـم جهـزه بلال بجيش للاتجاه إلى الدملوة للاستيــلاء عليها من أولاد أخيه . فسار إليها وحاصر من بها مثل

---

(44) عمارة: المفيد، ص:183 ـ 184، الخزرجي: العسجد، ص:87، حسن سليمان محمود: تاريخ اليمن، ص:226.

(45) عمارة: المفيد، ص:183 - 184، الجندي: السلوك، 503/2، الخزرجي: العسجد، ص:87، الحداد: تاريخ اليمن، ص:300.

أنيس الحبشي الوصي ويحيى العامل كاتب ووزير علي الأعز ومن معهما ممن كانوا مقيمين آنذاك في الدملوة . واستمر الحصار حتى أعلنوا طاعتهم له . وبذلك ضمن محمد بن سبأ عدم وجود معارضين لحكمه . وبعد عودته إلى عدن زوجه الوزير بلال المحمدي من ابنته [46] . وبدأ بذلك حكم محمد بن سبأ للدولة الزريعية في عدن .

تقليد محمد بن سبأ الدعوة من الخلافة الفاطمية:

وفي ذلك الوقت قدم من مصر مبعوثاً من الخلافة الفاطمية هو الرشيد بن الزبير الأسواني. وذلك لتقليد علي الأعز بن سبأ أمر الدعوة الإسماعيلية الحافظية . فلما وصل إلى عدن وجد الأعز قد مات وتولى أخوه محمد بن سبأ الحكم . فقلده الرشيد أمر الدعوة الإسماعيلية الحافظية . ونعته (بالمعظم المتوج المكين) كما نعت وزيره بلال بن جرير المحمدي (بالشيخ السعيد الموفق السديد) [47] . وبذلك كسب محمد بن سبأ الصفة الشرعية في تولية أمر الإسماعيلية في اليمن. وأصبح موالياً للفاطميين مذهبياً .

وعلى الرغم من انفراد محمد بن سبأ بالسلطة في عدن . واعتراف الجميع بسلطانه . إلا أنه ظل يتتبع خصمي أبيه وهما علي بن أبي الغارات ومنيع بن المسعود ، اللذين تحصنا في حصني (المنيف والحلقة) في أعالي لحج بعد هزيمتهما سنة 532 هـ/ 1137م إلى أن أتاحت له الفرصة فتمكن من قتلهما سنة 545 هـ / 1150م . [48] وبذلك تخلص من احتمال منافستهما له في السلطة. وأمن على استمرار السلطة تحت نفوذه وتوريثها لأبنائه .

وفي غضون ذلك توفي الوزير بلال بن جرير المحمدي سنة 545هـ/1150م بعد أن بذل مجهوداً كبيراً في مناصرة محمد بن سبأ. وخلفه في تولي الوزارة ابنه مدافع بن بلال لفترة قصيرة.

---

(46) الوصابي: الإعتبار، ص:66، الجندي: السلوك، 503/2، الخزرجي: العسجد، ص:88، كريم: عدن، ص:159، الحداد: تاريخ اليمن، ص:300.

(47) عمارة: المفيد، ص:185 – 186، الجندي: السلوك، 503/2، ابن عبدالمجيد: بهجة، ص:84، الوصابي: الإعتبار، ص:66، الخزرجي: العسجد، ص:88، ابن الديبع: قرة، ص:309 – 310، حسن سليمان محمود: تاريخ اليمن، ص:226 - 227، يحي بن الحسين: غاية، ص:297 - 298، كريم: عدن، ص:160.

(48) عمارة: المفيد، ص:182 - 183، كريم: عدن، ص:162، أورد الجندي، 503/2، أنهما قتلا سنة 546 هـ وقيل سنة 547 هـ .

ثم خلفه أخوه ياسر بن بلال الذي ظل في الوزارة حتى نهاية دولة بني زريع [49] .

خَلَّفَ الوزير بلال المحمدي ثروة كبيرة نظراً لمشاركته بعض التجار ومما خلفه من الثروة ستمائة ألف دينار ملكي ، والكثير من الدنانير المصرية. ومخازن من الملبوسات ، وعدد من الطيب والطافه . فضلا عن الكثير من العدد والسلاح والتحف الهندية والطاف الصين والمغرب والعراق وغيرها . وقد أوصى بهذه الثروة إلى مولاه محمد بن سبأ.[50] .

وآنذاك لم يلبث الداعي محمد بن سبأ أن عمل على توسيع نطاق نفوذه . ففي سنة 544هـ/ 1149م أو سنة 547هـ/ 1152م. اشترى من الأمير منصور بن المفضل بن أبي البركات الحميري جميع المعاقل والحصون والمدن التي ورث حكمها من بني الصليحي بمبلغ مائة ألف دينار. وهي ثمانية وعشرون حصناً ومدائن منها مدينة ذي جبلة [51] . ويعلل الجندي أن سبب بيع هذه الحصون كبر سن منصور وحبه للسكون والدعة[52] . بالإضافة إلى ذلك فهناك سبب آخر في بيع هذه الحصون هو المحافظة على تبعية هذه المناطق للفكر الإسماعيلي. كون الداعي محمد بن سبأ متولياً لأمر الدعوة الإسماعيلية في اليمن، بتفويض من الخلافة الفاطمية المتزعمة لهذا الفكر . وكما يبدو أن منصور كان موالياً لمحمد بن سبأ مذهبياً وسياسيا . لذلك باع له هذه الحصون. وبشراء هذه الحصون والمدن اتسع سلطان الداعي محمد بن سبأ فشمل معظم اليمن الأسفل .

وفي ذلك الوقت اتجه الداعي محمد بن سبأ نحو مخلاف جعفر سنة 548هـ/ 1153م. فسكن ذي جبلة وتزوج بامرأة منصور بن المفضل. وفي ذلك أكثر الشعراء (بتهنيئته ومدحه بالمعاقل والعقيلة)[53] ويعد محمد بن سبأ من أشهر من حكموا الدولة الزريعية.

---

(49) عمارة: المفيد، ص:190 - 191، الخزرجي: العسجد، ص:89، ابن الديبع: قرة، ص:311، أورد عمارة ص:190، أنه توفي سنة 546 هـ، أو سنة 547 هـ ، أما الخزرجي، ص:89، قال وقيل توفي سنة 547 هـ .

(50) عمارة: المفيد، ص:191.

(51) عمارة: المفيد، ص:187، الجندي: السلوك، 500/2، الخزرجي: العسجد، ص.90، ابن الديبع· قرة، ص:314، بامخرمة: ثغر عدن، ص:248، حسن سليمان محمود· تاريخ اليمن، ص:227، كريم: عدن، ص:166.

(52) الجندي: السلوك، 500/2.

(53) عمارة: المفيد، ص:178 - 188.

ومن ضمن من مدحه من الشعراء الآتي:

1 ـ مدحه القاضي يحيى بن عبد السلام بقوله:

النصر من قرناء عزمك فاعزم .:. والدهر من أسرار حكمك فاحكم .

ومدحه الشريف يحيى الحسيني بقوله :

جلالك ألبس العيد الـجلالا .:. ومجدك فيه مجـــد العيـــد طـالا

وعزك ألبس الأعيـــاد عزا .:. تنبه بـــه فصـــار لـــه جمالا .

ومدحه حاتم بن محمد الصنعاني بقوله :

قسما بمجدك أنـــه لمشيد .:. حقـــا وأنك في الزمـــان وحيد

فاقعد بدست الملك غير منازع .:. وألبس رداء المجـــد فهو جـــديد

وافخر على أهل الزمان فإنهم .:. خـــول وإنـــك فيهم العميـــد[54]

ومدحه الشيخ الأديب سالم بن عمران الثعلبي بقوله :

هل للفضائل عن مديـــحك معزل .:. أم هل لها من دون بـــابك موئل

شغلت صفائك ألسن الشعراء عن .:. أن ينسبوا معهـــا أو أن يتغزلـــوا[55]

تولية عمران :

بعد سيطرة الداعي محمد بـن سبأ علـى أمـلاك الصليحيين في اليمـن الأسـفل لم تطـل بـه الحياة. فقد مات على الأرجح سنة 550هـ/1155م. فخلفه في تولي السلطة ابنه عمران[56] .

اتصف عمران بأنـه (اقتفـى طريقـة أبيـه مـع زيـادة لائقـة وأخـلاق رائعـة وكـان جـوادا كريماً)[57] مدحه الشعراء . ولكنه جابه أواخـر حياتـه توسـع دولـة ابـن مهـدي في منـاطق نفـوذه.

---

(54) الخزرجي: العسجد، ص:88 - 89، ابن الديبع: قرة، ص:310، كريم: عدن، ص:166 - 167

(55) الخزرجي: العسجد، ص:88.

(56) عمارة: المفيد، ص:189، الجنـدي: السـلوك، 503/2. الخزرجـي· العسـجد. ص: 90. ابـن الديبـع: قـرة. ص: 314. اختلفت الاقوال في موت الداعي محمد بن سبأ. فقيل أنه مات سنة 548 هـ. وقيـل أنـه مـات سنة 549 هـ، وقيـل أنـه مـات سـنة 550 هـ، الخزرجي. ص:90. الجنـدي. ص:503. عمـارة هـامس. ص:189، ومن المرحح أنه مات سنة 550 هـ. لأنه كان موجوداً في ذي حبلة سنة 549 هـ

(57) ابن الديبع: قرة، ص:314، الحداد: تاريخ اليمن. ص·305.

فقد شن على لحج حملتين إحداهما سنة 556 هـ/1116م والثانية سنة 558هـ/1163م فصالحه عمران بمبلغ من المال تحمل إليه سنوياً [(58)] وسيأتي ذكره عند التحدث عن بني مهدي.

وفي غضون ذلك توفي عمران سنة 560هـ/1164م مخلفاً بعده ثلاثة أطفال لم يدركوا الحلم. تركهم تحت كفالة الأستاذ أبي الدر جوهر المعظمي بمقره في حصن الدملوة. أما عدن فقد كان القائم بها الوزير ياسر بن بلال المحمدي . وظل الأمر على ذلك حتى قدم السلطان تورانشاه الأيوبي سنة 569هـ/1174م فاستولى على عدن بعد هروب الوزير ياسر بن بلال إلى الدملوة ثم إلى تعز. فألقى القبض عليه فيها مع مملوكه مفتاح السدوسي وأعدما سنة 571هـ/1176م [(59)] . وبذلك انتهت دولة بني زريع في عدن . أما حصن الدملوة فقد ظل تحت سيطرة آل زريع إلى أن اشتراه منهم طفتكين سنة 585هـ/1189م [(60)] وبذلك انتهت دولة بني زريع من اليمن .

خاتمة:

من خلال ما تقدم نجد أن حكم العباس ومسعود ابني الكُرَّم لعدن مرَّ بمرحلتين إحداهما مرحلة اشتراكهما وتقاسمهما حكم عدن ثم توريث حكمها لأبنائهما. وفي هذه الفترة كان اعتمادهما على الأموال التجارية. وظل أولادهما في طاعة الدولة الصليحية في عهدي المكرم والسيدة الحرة. ثم بدءوا يحاولون الاستقلال بحكم عدن عن الصليحيين عدة مرات الى أن تمكنوا من الاستقلال في حكمي أبي الغارات بن مسعود وابن عمه سبأ بن أبي السعود بن زريع. وهذان الحاكمان عملا على التوسع في السيطرة على المناطق القريبة لهما. وهي مناطق الجند والمعافر ولحج وأبين وذلك في ظل استمرار ضعف الدولة الصليحية في عهد السيدة الحرة.

وثانيهما مرحلة استقلال بني زريع دون بني عمومتهم في حكم عدن وهي أهم مرحلة لحكم بني زريع لعدن اعتمدوا فيها على الموارد المالية للتجارة والزراعة. وقد بدأت هذه المرحلة عندما تولى سبأ بن زريع أمر الدعوة الإسماعيلية في اليمن بتقليد من الخليفة الحافظ الفاطمي. بدلاً عن السيدة الحرة التي تنازلت عن تولي الدعوة الحافظية وانفصلت عن موالاتها للفاطميين بمصر.

---

(58) الجندي: السلوك، 504/2.

(59) عمارة: المفيد، ص:190، الجندي: السلوك، 504/2، الخزرجي: العسجد، ص:95 - 96، ابن الديبع: قرة. ص:319.

(60) الخزرجي: العسجد، ص:95.

وقد بلغت الدولة الزريعية في عهد محمد بن سبأ أقصى اتساع لها وذلك بشرائه كل حصون ومدائن الصليحيين في اليمن الأسفل، فوصل سلطانه الى ذي جبلة. ثم ورثه في السلطة ابنه عمران. وظل يحكم الدولة الزريعية على اتساعها ذلك الى أن جاء بنو مهدي في عهده فتوسعوا في الاستيلاء على الكثير من مناطقهم. ومع ذلك فقد ظل بنو زريع يحكمون عدن وبعض المناطق اليمنية الأخرى حتى قدم اليهم الأيوبيون من مصر فتمكنوا من انهاء الدولة الزريعية وحكمها في اليمن.

الفصل السادس

الدولة النجاحية في تهامة اليمن

بدأ ظهور نجاح مؤسس الدولة النجاحية كقائد لدولة بني زياد يعمل على مناصرتهم الى أن أصبح أهم قائد لأمراء بني زياد. ولما توفى آخر أمير زيادي لم يكن له وريث يتولى السلطة، فأتاح ذلك فرصة لنجاح أن يؤسس دولة له عرفت باسم الدولة النجاحية ويمكن تقسيم حكم الدولة النجاحية في تهامة اليمن إلى فترتين رئيسيتين . أحدهما فترة سيطرة الأمراء على السلطة. وتبدأ منذ تولي الأمير نجاح الحكم في تهامة اليمن حتى نهاية الأمير فاتك بن جياش بن نجاح. وثانيهما فترة سيطرة الوزراء على السلطة. وتبدأ منذ تولي الأمير منصور بن فاتك وتولي الوزارة أنيس الفاتكي وتمتد حتى نهاية الدولة النجاحية . نوضح ذلك في الآتي:

أ ـ المرحلة الأولى : وهي مرحلة سيطرة الأمراء على السلطة.

أولاً : الأمير نجاح نصير الدين .

قيام الدولة النجاحية: حلت الدولة النجاحية محل الدولة الزيادية في حكم تهامة اليمن ، وإعلان الولاء والطاعة للخلافة العباسية. وعن زمن قيام هذه الدولة فقد اختلفت الروايات حولها كالتالي:

1 ـ الرواية الأولى:

أوردها عمارة واقتدى أثره أغلب المؤرخين الأقدمين في إيراد ما أورده عن قيام الدولة النجاحية . أنها كانت سنة 412 هـ/ 1022م وتبعهم في ذلك المؤرخون الحديثون . وفحوى تلك الرواية التي أوردها عمارة ما يأتي :

بعد موت الحسين بن سلامة سنة 402هـ/1011م . انتقلت إمارة بني زياد إلى طفل زيادي اسمه إبراهيم أو عبد الله. فتولت الوصاية له عمته . أما الوزارة فقد انتقلت إلى أحد عبيد الحسين بن سلامة المسمى مرجان. وكان لمرجان هذا عبدان أحدهما يسمى نفيسا وكان يتولى تدبير الحضرة أو الوزارة . والآخر يسمى نجاحاً وكان يتولى أعمال الكدرا والواديين [1] .

---

(1) عمارة : المفيد ، ص: 83 ، الوصابي: الاعتبار ، ص: 30 ، الجندي : السلوك ، 482/2 ، ابن الديبع: قرة ، ص: 232 ، بغية ، ص: 54 . ذكر ابن الأثير في الكامل أن وفاة الحسين بن سلامة كانت سنة 428هـ. كذلك أشار بامخرمة ، ص: 93 أنه وجد في محراب مسجد زبيد عبارة مكتوبة أنه من عمل الحسين بن سلامة سنة 425 هـ . مما يدل على الحسين بن سلامة عاش إلى هذا التاريخ.

ثم حدث التنافس بين نجاح ونفيس حول تولي وزارة الحضرة فوقفت عمة الأمير الزيادي إلى جانب نجاح. بينما وقف مرجان إلى جانب نفيس وتأمرا على الأمير الزيادي وعمته. وحدث ذلك التآمر عندما اشتكى نفيس لمولاه مرجان عن ميل عمة الأمير الزيادي إلى نجاح. فقام مرجان بالقبض عليهما وتسليمهما إلى نفيس . فعمل نفيس على القضاء عليهما عن طريق بناء جدار محكم عليهما في دار الإمارة وهما حيان يناشدانه الله حتى أحكم قفل الجدار فماتا في ذلك الدار سنة 407هـ/1016م .[2]

وعلى أثر ذلك قام نجاح باستنفار جميع الناس ضد نفيس، فلما اجتمعوا إليه توجه بهم إلى زبيد لمحاربته. فخاض معه عدة معارك استمرت ثلاث سنين تبادل فيها الاثنان النصر والهزيمة. فمن المعارك التي انتصر فيها نفيس المعركتين اللتين سميتان بيوم رمع ويوم فشال. أما المعركتان اللتان انتصر فيها نجاح فهما يوم العقدة ويوم العرق . وأهم تلك المعارك المعركة الأخيرة التي نشبت على باب زبيد الشمالي والتي سميت بيوم العرق . والتي قتل فيها نحو خمسة آلآف وأربعمائة رجل من الطرفين . وانتهت بانتصار نجاح وقتل نفيس وذلك في ذي القعدة سنة 412 هـ / فبراير 1022م . بعدها دخل نجاح زبيد واستولى على السلطة بها[3] .

ومع اجماع أغلب المؤرخين على رواية عمارة اليمني السابقة الذكر . إلا أن هناك روايتين تخالفان تلك الرواية زمنيا وموضوعيا. وهما الرواية الثانية والرواية الثالثة الآتي ذكرهما:

2 - الرواية الثانية:

أوردها ابن جرير الصنعاني ، وتحكي هذه الرواية أنه عندما توفي الحسين بن سلامة في النصف من صفر من سنة 426 هـ/ ديسمبر 1034م تولى الوزارة بدلا عنه غلامه المسمى رشيداً أو

---

(2) عمارة: المفيد، ص: 84 ، الجندي: السلوك، 482/2 ، الخزرجي: العسجد ، ص: 103 ، ابن الديبع : بغية ، ص: 54 ، الجرافي : المقتطف ، ص: 74-75 ، الحريري : معالم ، ص: 21 - 22 .

(3) عمارة : المفيد ، ص: 85 ، الجندي: السلوك، ص: 482 ، ابن الديبع : قرة ، ص: 333 – 334 ، بغية ، ص: 55 ، الحريري: معالم ، ص: 21 - 22 . عند ابن عبد المجيد في بهجة ،ص: 41 ، أن نجاحاً استولى على زبيد سنة 422 هـ .

رشدا بأمر من الأمير الزيادي علي بن المظفر . إلا أن هـذا الوزيـر لم يظـل مخلصاً أو مطيعـا لمولاه الأمير الزيادي . فقد حدث خلاف بينه وبين أحد القادة المسمى ابـن قاسـم. انتهـي هـذا الخـلاف بإصدار الوزير رشيد أمراً بقتل ابن قاسم . بعدها عمد على الاستيلاء على جميـع أمـوال بـني زيـاد وخزائنهم في زبيد . كما عمل على إطلاق من كان محبوساً فيها من سلاطين الجبال وعددهم أربعـة وتسعين سلطاناً. وعمل أيضاً على مكاتبة أهل الجبـال يدعوهـم إلى طاعتـه . فـاطعوه وعلـى ذلـك صارت السلطة بيديه في زبيد في سنة 426 هـ / 1035م . أما الأمـير الزيـادي علـي بـن المظفـر فقـد غضب من تصرف وزيره رشيد . فخرج هارباً من زبيد متجهاً نحـو المهجـم [4] . واتخذهـا عاصمـة له. ومنذ ذلك التاريخ أصبحت المهجم عاصمة للزياديين ثم عاصمة للنجاحيين عهد الأمير نجاح .

3 ـ الرواية الثالثة:

أوردتها العملة المضروبة في اليمن . وهي عبارة عن عدة دنانير ضربت باسم أواخر أمـراء الدولة الزيادية وموجودة الآن في متحف قطر منها ديناران يحملان اسم الأمير الزيـادي المظفـر بـن علي والخليفة القائم بأمر اللـه العباسي . ضرب أحدهما في صنعـاء سنة 435 هـ / 1043م والآخـر ضرب في الجند سنة 438 هـ/1046 . وديناران آخران يحملان اسـم الأمير الزيـادي علـي بـن المظفـر وهو ابن الأمير السابق . واسم الخليفة القائم بأمر اللـه العباسي . وإلى جانبهمـا ذكـر اسـم المؤيـد نجاح نصير الدين . أحدهما ضرب في الجند سنة 437 هـ/ أو سنة 439هـ/1047 م . والآخـر ضـرب في زبيد سنة 444 هـ / 1052 م [5] .

هذه الرواية الأخير توضح بلا شك أن الدولة الزيادية ظلـت مستمرة إلى سـنة 444 هـ / 1053م وهي بذلك تخالف رواية عمارة الأولى . وأن اسم الأمير نجاح ظهر كما أوردته العملة منـذ سنة 439 هـ/ 1047م ، تابعاً لأمراء بني زياد . وعلى ذلـك فمـن المرجـح أن نهايـة الدولـة الزياديـة وقيام الدولة النجاحية كان في نهاية سنة 444 هـ / 1053م .

وبالعودة إلى الروايات السابقة فإنه على الرغم مـن اختـلاف الروايتـين الثانيـة والثالثـة في إيراد اسم الأمير الزيادي المسمى علي بن المظفر أو أبيه المظفر كمـا سبق . إلا أنه مـن المعتقـد أن

---

(4) الرازي : تاريخ مدينة صنعاء ، ص: 158 ـ 159 .

(5) محمد العش: المسكوكات ، الاكليل ، ص: 42 ـ 43 .

علي بن المظفر تولى السلطة قبل سنة 426 هـ / 1035 م وظل يصدر العملة باسم ابيه المظفر حتى سنة 438 هـ / 1046 م وبعد ذلك أصدر علي بن المظفر العملة باسمه وإلى جانبه قائده الأمير نجاح نصير الدين والخليفة القائم بالله العباسي. ومن المعتقد أيضاً أن رشيد هو نفيس وأن ابن قاسم هو ابن أحد الأمراء الزياديين . وأن نجاحاً بعد قتل ابن قاسم اتجه لمحاربة رشيد أو نفيس . وأن أحداث الصراع بدأت سنة 426 هـ/1035م واستمرت حتى سنة 429 هـ/ 1038م وقد تكون هذه الأحداث استمرت حتى سنة 432 هـ / 1041م .

وبالإضافة إلى اختلاف الروايات السابقة في زمن الأحداث وتفاصيلها . فقد اختلفت المصادر في ذكر اسم القائد الذي حاربه الأمير نجاح . فعمارة والخزرجي وابن الديبع يذكرون أنه كان يسمى (نفيساً)[6] . والوصابي يذكر أنه كان يسمى (قيساً)[7] بينما يذكر الجندي أنه كان يسمى (أنيساً)[8] أما ابن جرير الصنعاني فيذكر أنه كان يسمى (رشيد أو رشد)[9] .

كذلك اختلفت المصادر في الزمن الذي قتل فيه (نفيس) لمولاه الأمير الزيادي وعمته . فالجندي ، والخزرجي ، وابن الديبع[10] يذكرون أن قتلهما كان في سنة 407 هـ / 1016م. وأن تمكن نجاح من قتل (نفيس) في ذي القعدة سنة 412 هـ / فبراير 1022م . بينما يذكر الوصابي[11] أن قتل (نفيس أو قيس) للأمير الزيادي وعمته كان في سنة 409 هـ/1018م . ويتفق مع ما سبق في تمكن نجاح من قتل (نفيس) في ذي القعدة سنة 412هـ/1022م. ويذكر الجندي أن مدة الحرب أو التنافس بين نجاح ونفيس استمرت ثلاث سنين[12] .

وعلى أية حال فمن خلال استعراض تلك الروايات السابقة الذكر نرجح أن أحداث

---

(6) عمارة : المفيد، ص: 84 ، الخزرجي: العسجد، ص: 103، ابن الديبع: قرة، ص: 333 ، بغية، ص: 54.

(7) الوصابي: الاعتبار، ص: 29 .

(8) الجندي: السلوك، 482/2 .

(9) الرازي : تاريخ مدينة صنعاء ، ص: 158 .

(10) الجندي: السلوك، 482/2، الخزرجي: العسجد، ص: 103 - 104 ، ابن الديبع: قرة، ص: 333 – 334 ، الحريري: معالم ، ص: 20 .

(11) الوصابي: الاعتبار ، ص: 30 ، الحريري : معالم ، ص: 20 .

(12) الجندي: السلوك ، 2/ 484 .

الصراع بين نجاح ونفيس وقيام الدولة النجاحية حدثت كالآتي:

عندما توفي وزير آل زياد الحسين بن سلامة في صفر سنة 426 هـ/ ديسمبر 1034 م . كان المتولي لأمر الدولة الزيادية الأمير علي بن المظفر بن علي بن إبراهيم بن زياد . فقام هذا الأمير بإسناد أعمال الوزارة إلى القائد (رشيد أو نفيس). إلا أن هذا القائد لم يطعه بعض القادة فحدث صراع بينه وبين أحد القادة المسمى ابن قاسم أسفر عن قيام (نفيس) بقتل القائد (ابن قاسم) . بعد ذلك اضطربت الأمور في تهامة . فاستولى (نفيس) على زبيد واستقل في السلطة بها . وقام بمصادرة ما بها من الأموال والخزائن التابعة لبني زياد . كما قام بإطلاق من كان مسجوناً في زبيد من سلاطين الجبال وعددهم أربعة وتسعين سلطاناً . وطالب من سلاطين الجبال طاعته فأطعوه . ثم إتجه بعد ذلك إلى استعادة سلطان مواليه أمراء لحج وعدن وأبين وهم بنو حوشب أو بنو معن . وبعد استعادة سلطانهم عاد إلى زبيد مع السلطان أحمد بن عبد الله الكرندي فاستولى عليها . وظل حاكما بها .

وبالنسبة للأمير الزيادي علي بن المظفر فقد غضب من تصرف القائد (نفيس) بعد قتله لابن قاسم . فخرج من زبيد هارباً نحو المهجم. واستعان بالقائد نجاح الذي كان متولياً لأعمال الكدرا ، والواديين والتي كانت جُلّ الأعمال الشمالية لزبيد . فقام نجاح بطلب النجدة من جميع أهل تهامة وأهل الجبال المناصرين للأمير الزيادي . ولما تجمع إليه جمع كبير منهم توجه بهم نحو زبيد لمحاربة (نفيس) . فدارت بينهما عدة معارك استمرت ما بين ثلاث سنين أو خمس سنين . مرة ينتصر فيها (نجاح) ومرة أخرى ينتصر فيها (نفيس) وفي آخر هذه المعارك تمكن القائد (نجاح) من قتل (نفيس) والسيطرة على زبيد . وذلك كما يتضح سنة 432 هـ/ 1040م [13] وبعد هذا الانتصار أطلق على نجاح لقب المؤيد نصير الدين وبذلك أصبح نجاح وزير لآل زياد .

وإذا استعرضنا حكم الأمير نجاح بعد سيطرته على (زبيد) فيمكن أن نقسمها إلى فترتين أحداهما تبعيته ومشاركته للأمير الزيادي وتمتد هذه الفترة من سنة 432 هـ/1040م حتى سنة 444 هـ/1052م . والفترة الثانية استقلال الأمير نجاح بالحكم في تهامة . وهي ما تعبر عن ظهور الدولة النجاحية وتمتد هذه الفترة حتى وفاة نجاح سنة 452هـ/1060م. نذكر ذلك في الآتي :

---

(13) الرازي : تاريخ مدينة صنعاء ، ص: 158 - 159 .

1 ـ الفترة الأولى :

بعد أن استطاع (نجاح) قتل (نفيس) في حوالي سنة 432هـ/1040م. وسيطرته على زبيد وتهامة تولي الوزارة للأمير الزيادي علي بن المظفر . وخلال ذلك توجه نجاح نحو المناطق الجبلية لاخضاع سلاطينها . فتمكن من إعادة تبعية المناطق الجبلية وطاعة سلاطينها له وللأمير الزيادي . وما يدل على تلك التبعية صدور دينار ضرب في صنعاء سنة 435 هـ/ 1043م ودينار آخر ضرب في الجند سنة 439 هـ/ 1047م . يحملان اسم الأمير الزيادي المظفر بن علي والخليفة القائم بأمر الله العباسي . كما سبق ذكره . كدليل على خضوع هذه المناطق لسلطان الدولة الزيادية والخلافة العباسية .

وتأتي بعد ذلك مرحلة أخرى وهي ظهور اسم القائد نجاح على العملة إلى جانب الأمير الزيادي والخليفة العباسي . ظهر ذلك من خلال ما وجد مكتوباً على دينارين أحدهما ضرب في (الجند) سنة 439هـ/1047م . والآخر ضرب في (زبيد) سنة 444 هـ/1052م . يحملان اسم القائد نجاح ولقبه نصير الدين. وإلى جانبه اسم الأمير الزيادي علي بن المظفر والخليفة القائم بأمر الله العباسي . مما يدل دلالة واضحة على استمرار بقاء الدولة الزيادية حتى تلك الفترة. وأن نجاحاً كان أحد القادة البارزين لهذه الدولة .

2 ـ الفترة الثانية :

في هذه الفترة أتت نهاية الأمير الزيادي علي بن المظفر. دون أن يكون له وريث يتولى السلطة . وأن وفاته كانت في المهجم أواخر سنة 444 هـ / 1052م كما يبدو. مستدلين على ذلك بنزول علي الصليحي إلى زبيد أواخر هذه السنة وسيطرته عليها حتى سنة 447هـ / 1055م .

أما الأمير نجاح فبعد موت الأمير الزيادي استقل في السلطة في تهامة. وجعل المهجم عاصمة له . وضرب السكة باسمه . وكاتب الخلافة العباسية بالعراق معلنا لها ولاءه وطاعته . وطالبا منها منحه تقليد علي السلطة في اليمن . وبالفعل قبلت الخلافة العباسية ذلك . فأصدرت له تقليدا على اليمن . وفوضت إليه أمر تقليد القضاء لمن يراه أهلا لذلك . كما فوضت إليه النظر العام في جميع اليمن فخوطب في هذه الفترة بالملك وبمولانا[14] .مما يدل على تفرده بالحكم.

---

(14) عمارة : المفيد، ص: 86، الوصابي: الاعتبار. ص: 30 ؛ الجندي: السلوك. 2/ 485 ؛ =

ومن خلال ما سبق من المرجح أن ظهور الدولة النجاحية كان أواخر سنة 444 هـ/ 1052م وعلى ذلك يعتبر الأمير نجاح الذي كان عبدا حبشياً ينتمي إلى قوم من الحبشة يقال لهم (الجزل) . والذي ترقى في المناصب حتى صار قائداً ووزيراً لآل زياد . هو مؤسس الدولة النجاحية . ونتيجة لذلك أطلق على دولته ودولة أبنائه اسم ملوك الحبشة باليمن [15] قال عنهم عمارة :(وهم وإن كانوا عبيداً حبشة فلم تكن العرب تفوقهم في الحسب . إلا بالنسب وإلاّ فلهم الكرم الباهر والعز الظاهر والجمع بين الوقائع المشهورة والصنائع المأثورة) [15م] .

ومهما يكن من أمر فإنه على الرغم من استمرار المؤيد نصير الدين نجاح (مالكاً لتهامة من أعمال طرف إلى عدن وملوك الجبال تعظم دولته وتتقي صولته) إلا أنه لم يستمر في الحكم طويلاً فقد تمكن علي الصليحي من قتله سنة 452 هـ/1060م. بواسطة إحدى الجواري التي أهداها له . فخلف نجاح أولاد صغاراً لم يبلغوا حد الكمال أو سن تولي السلطة . فتولى الوصاية لهم أحد مواليه المسمى كهلان وحكم تهامة نيابة عنهم لمدة سنتين. بعدها تمكن علي الصليحي من دخول تهامة والسيطرة عليها . وذلك في حوالي سنة 454هـ/ 1062م [16] وبذلك انتهت الدولة النجاحية بعد موت مؤسسها نجاح لتعود مرة أخرى في عهد أولاده .

ثانياً : سعيد الأحول .

استعادة سيطرة أولاد نجاح على تهامة :

بعد أن سيطر علي الصليحي على تهامة . هرب أولاد نجاح إلى جزيرة (دهلك) التابعة للحبشة . وبدءوا يفكرون باستعادة ملك أبيهم على تهامة. فبالنسبة لسعيد الأحول فإنه عاد إلى

الخزرجي: العسجد، ص: 104، ابن الديبع: قرة ، ص: 334 ، بغية، ص: 55 ،الجرافي: المقتطف، ص: 75 ، عصام الفقي: اليمن، ص: 187، الحريري: معالم ، ص: 24 ، الحداد : تاريخ اليمن، ص: 212 .

(15) الخزرجي : العسجد ، ص: 104 .

(15م) عمارة: المفيد، ص: 209 ، الجندي: السلوك، 506/2 ، الخزرجي: العسجد، ص: 114 ، ابن الديبع: قرة ، ص: 351، بغية ، ص: 65، حسن سليمان محمود : تاريخ اليمن ، ص: 166.

(16) عمارة : المفيد، ص: 191 - 192 ، الخزرجي : العسجد، ص: 105- 106 ، ابن الديبع: قرة ، ص: 341 ، عصام الفقي: اليمن ، ص: 188، عند الخزرجي، ص: 106 ، أن عليا الصليحي استولى على زبيد سنة 455 هـ .

زبيد على أثر خلاف حدث بينه وبين أخيه جياش. بسبب قيام جياش بمنعه من محاولة الإقدام على الغدر بصاحب جزيرة (دهلك). فاختفي في زبيد عند أحد أنصار آل نجاح المسمى ملاعب الخولاني . وعمل سعيد الأحول أثناء اختفائه في زبيد على مراسلة أنصاره المسمون بالحبشة سراً ودعاهم للتجهز معه لمحاربة الصليحيين حين يعلن لهم ذلك . كما عمل على تتبع أخبار علي الصليحي. فكانت أخباره تصل إلى سعيد الأحول في كل وقت وحين .[17]

ومن ناحية جياش فإنه أقام في جزيرة دهلك . واستعان على إقامته بها باستخراج وديعة كانت له عند عبد الرحمن بن طاهر العيني . وظل بها مكبا على طلب العلم حتى برع فيه[18]. كما ظل مستعداً لتجهيز جيش للقدوم به إلى تهامة حين يحين ذلك . وكانت المراسلات مستمرة بينه وبين أخيه سعيد الأحول . ولما تجهز علي الصليحي للذهاب إلى الحج كتب سعيد الأحول إلى أخيه جياش إلى دهلك في شهر شوال سنة 459هـ / أغسطس 1067م يطلب منه القدم إلى تهامة بجيش للقضاء على علي الصليحي واستعادة ملكهم[19]. فخرج جياش من دهلك بخمسة آلآف حربة انتقاهم منها . وسار بهم في البحر حتى وصل بهم ساحل المهجم في تهامة[20]. فكاتب سعيد الأحول إلى زبيد بوصوله .

ولما علم والي زبيد أحمد بن أسعد بن شهاب الصليحي بقدوم جياش وعدد جيشه أرسل إليهم خمسة آلآف حربة من العبيد في زبيد . ولكن جياشاً خالفهم في الطريق . فلم يتمكنوا من الالتقاء به[21]. كما أن هؤلاء العبيد لم يكن لهم نية المحاربة .

أما من جهة سعيد الأحول الذي كان مختفياً في زبيد . فإنه لما وصلته الأخبار بقدوم أخيه

---

(17) عمارة : المفيد ، ص: 192 ، الوصابي : الاعتبار ، ص: 47 ، الخزرجي : العسجد، ص: 106 ، ابن الديبع: قرة ، ص: 252 - 253 ، بغية ، ص: 57 .

(18) الخزرجي : العسجد، ص: 106 ، ابن الديبع : قرة ، ص: 253 ، بغية ، ص: 57 .

(19) عمارة : المفيد ، ص: 192 ، الخزرجي: العسجد، ص: 106 ، الوصابي : الاعتبار، ص: 47 ، الحريري: معالم ، ص: 49 .

(20) الوصابي : الاعتبار ، ص: 47 .

(21) الوصابي : الاعتبار، ص: 47 ، الخزرجي : العسجد، ص: 106، ابن الديبع : قرة ، ص: 253 – 254 ، بغية، ص: 57 .

جياش من الحبشة إلى ساحل المهجم. وذهاب علي الصليحي إلى الحج في قلة من أصحابه. وإرسال والي زبيد لخمسة آلآف حربة من العبيد الموجودين في زبيد . استغل تلك الفرصة فدعا أنصاره المسلحين بالحراب في زبيد وأمرهم بالقيام معه ، فحملوا سلاحهم وظهروا في زبيد معلنين الثورة على واليها الصليحي وذلك يوم الأربعاء الثامن من ذي القعدة سنة 459هـ/ سبتمبر 1067م. فهجموا على دار الإمارة وهي الدار التي كان بها أبو السعود وأحمد بن أسعد بن شهاب الصليحي . وألقوا القبض عليهما وأخذوا ما في الدار من الأموال والسلاح . ثم استولوا على زبيد واستفاد سعيد الأحول من تلك الأموال وذلك السلاح حيث كانت عونا له على محاربة علي الصليحي .[22]

وبعد تمكن سعيد الأحول من الاستيلاء على زبيد قام بمراسلة أنصاره الحبشة إلى كل مكان في تهامة طالباً منهم الاجتماع إليه لمقاتلة الصليحيين. كما أنه أسرع في الاتجاه نحو قتال علي الصليحي وترك أمر زبيد لأصحابه. فسار طريق الساحل متجنباً طريق الجادة السلطانية ــ وهي الطريق الرسمي للتجارة والحجاج ـ حتى لا يصطدم بالعساكر الذين أرسلهم والي زبيد . فلما وصل إلى ساحل المهجم التقى بأخيه جياش وجيشه . فساروا جميعاً منها نحو المهجم. فلما وصلوها هجموا على مخيم علي الصليحي على حين غفلة منه . وذلك منتصف النهار أثناء القيلولة وهم مستريحون من عناء السفر . ولم ينتبه الصليحيون الموجودون في المخيم لجيش النجاحيين. ويستعدون لقتالهم . لأنهم كانوا يظنون أنهم من جملة العساكر التابعة لهم . فأتاح ذلك فرصة لأولاد نجاح مداهمة علي الصليحي وقتله مع أخيه ومن كان معهما من الصليحيين. وكان قتلهم في الثاني عشر من ذي القعدة سنة 459هـ / سبتمبر 1067م . وبعد ذلك استولى سعيد الأحول على أموال علي الصليحي وخزائنه التي اصطحبها معه لتقديمها هدية لحاكم مصر الخليفة المستنصر وهي أموال جليلة . ومن جملة هذه الأموال التي غنمها سعيد الأحول ألفي فرس وثلاثة آلآف جمل بعددها . كما أسر أسماء بنت شهاب زوجة علي الصليحي وجمعاً من نساء بني الصليحي[23]

---

(22) مجهول : سيرة المكرم ، ص: 28 ـ 30 .

(23) عمارة : المفيد ، ص: 193 ـ 201 ، الوصابي: الاعتبار، ص: 49 ، الخزرجي: العسجد، ص: 106 ـ 107 ابن الديبع : قرة ، ص: 254 ـ 255 ، بغية ، ص: 57 ـ 58 ، الحريري: معالم ، ص: 42 ـ 44 =

وبالنسبة للعساكر الذين بعثهم والي زبيد أحمد بن أسعد الصليحي قبل الثورة عليه لقتال أولاد نجاح. فقد كاتبهم سعيد الأحول وقال لهم:(إن الصليحي قد قتل وأنا رجل منكم والعز عزكم فأطاعوه) وبانضمام جيش تهامة العبيد إلى صف النجاحيين وطاعتهم لهم ساهم ذلك في تقوية النجاحيين ضد الصليحيين . أوضح ذلك عمارة بأنه عندما انضمت العبيد إلى سعيد الأحول استطال بهم (على عسكر الصليحي قتلا واسرا ونهباً)[24] .

ومن جهة موقف جياش في أسرى معركة المهجم فقد أشار على أخيه سعيد الأحول بالاكتفاء بقتل علي الصليحي وإطلاق أسماء بنت شهاب من الأسر وعدم قتل بقية بني الصليحي المأسورين حتى لا يُزِيْد العداوة بين الطرفين . بأن (يكتب على يديها إلى ولدها المكرم بن علي الصليحي إنا أدركنا ثأرنا واسترجعنا ملكنا وقد أحسّنا إليك وحملنا إليك بصيانة أمك والعفو عن بني عمك)[25] .

وأوضح جياش هدفه من ذلك هو الاحتفاظ بحكم تهامة وعدم إثارة حفائظ العرب بقوله له : (والله يامولانا لئن فعلت ذلك لانازعتك قحطان في ملك تهامة ولئن كرهت ذلك لتهيجن حفائظها ولتطلبن دخولها)[26] .

إلا أن سعيداً الأحول أصر على أسر أسماء وقتل بقية بني الصليحي . وعددهم مائة وسبعون رجلا . وكان الأحول يهدف بعمله هذا هو استئصال القادة الصليحيين حتى لا يعودوا إلى قتاله . ولكنه حدث العكس فقد زاد ذلك في تعميق الصراع بينه وبين الصليحيين وحدث ما نبه إليه جياش .

ومهما يكن من أمر فإنه بعد معركة المهجم بثلاثة أيام توجه سعيد الأحول نحو زبيد مع

= ، يذكر عمارة ، ص: 201 والخزرجي، ص: 107 ، أن سعيداً الأحول دخل زبيد يوم 16 ذي القعدة سنة 459 هـ .

(24) عمارة : المفيد ، ص: 197 ، الوصابي : الاعتبار ، ص: 48 .

(25) عمارة : المفيد ، ص: 199 ، الوصابي : الاعتبار ، ص: 48 ، الخزرجي: العسجد، ص: 107 ، ابن الديبع:قرة، ص:341، حسن سليمان محمود: تاريخ اليمن، ص:155، الحريري: معالم ، ص: 45 .

(26) عمارة : المفيد ، ص: 200 ، الخزرجي: العسجد ، ص: 107 ، ابن الديبع: قرة ، ص: 341 ، الحريري: معالم ، ص: 45 .

ما غنمه من الأموال والأسَرَاء من نساء بني الصليحي على رأسهن أسماء بنت شهاب أم المكرم . فدخل زبيد في اليوم الرابع أي في 16 / ذي القعدة سنة 459 هـ/ سبتمر 1067م[27] . وبذلك تمكن أولاد نجاح من الثأر لأبيهم واستعادة سلطانهم على تهامة .

وعلى أية حال فقد أحدثت عملية قتل علي الصليحي ومن معه . وانتصار سعيد الأحول. أن هابته الكثير من سلاطين اليمن ، فأدى إلى تغلب هؤلاء السلاطين على ما في أيديها من الحصون. حتى كاد أمر المكرم في اليمن ينتهي عنه[28] .

صراع سعيد الأحول مع المكرم :

ظل الصراع مستمرا بين النجاحيين والصليحيين لعدة أسباب منها أولاً : الخلاف المذهبي والمتمثل في أن النجاحيين كانوا من أهل السنة ومناصرين للخلافة العباسية . وأن الصليحيين كانوا إسماعيلية مناصيرين للخلافة الفاطمية . ومنها ثانياً : محاولة كل طرف الاحتفاظ بسلطانه على اليمن أو بعض مناطق منها . وثالثاً: محاولة كل طرق الثأر لقتلاه . ورابعاً :اصرار المكرم على تخليص أمه من الأسر .

فعلى الرغم من محاولة سعيد الأحول الاستعداد لقتال الصليحي وتقوية جيشه بشراء عشرين ألف حربة من الحبشة[29] . إلا أن سيطرته على تهامة لم تستمر كثيرا بعد قتله لعلي الصليحي . فسرعان ما عاد الصراع بينه وبين المكرم . وكان حدوث ذلك بعد أن تمكن المكرم من القضاء على الخارجين عليه من أهل الجبال. حيث اتجه بعدها إلى زبيد للثأر لأبيه وبني الصليحي وتخليص أمه من الأسر . فخرج من صنعاء بجيش كبير في 9/ شهر صفر سنة 460هـ / ديسمبر 1067م . أي بعد أربعة أشهر من قتل أبيه . وسار بهم نحو زبيد فوصلها في 26/ من نفس الشهر . وما أن رأى سعيد الأحول قدوم جيش المكرم نحوه حتى وقف بجيشه العبيد البالغ عددهم ثمانية عشر ألف رجل. وراء حائط نجاح أمام الباب الشرقي المسمى الشبارق مما يلي

---

(27) عمارة : المفيد ، ص: 201 ، الخزرجي : العسجد ، ص: 107 ، حسن سليمان محمود :تاريخ اليمن ، ص: 155 .

(28) عمارة : لمفيد، ص: 202 ، الخزرجي : العسجد، ص: 108 ، حسن سليمان محمود: تاريخ اليمن ، ص: 156 .

(29) عمارة : المفيد ، ص: 203 ، الخزرجي: العسجد، ص: 108 ، الحريري: معالم ،ص: 46 .

الكظائم مرتبين في ستة كراديس . شبهوا أنهم كانوا واقفين مثـل العارض الأسـود[30] . وكـان في قلب الجيش النجاحي هذا فرقة اتصفت بالشدة والجبروت تسمى البازة والنوبة والمولدة [31] . ومع ذلك فلم تستطع هذه الفرقة تحقيق النصر على الصليحيين .

فما أن وصل المكرم بجيشه حتى دارت معركة كبيرة بين الطرفين على باب زبيد الشرقي . قاتل خلالها سعيد الأحول قتالاً شديداً حتى انهزم عليه الجناحان تلاه انهزام جيشه كله وهروبه نحو المهجم بعد أن قتل من جيشه ثمانية آلآف رجل كما تصف بعض المصـادر [32] فأتـاح ذلـك فرصـة للمكرم وجيشه دخول زبيد والسيطرة عليها وتخليص أمه من الأسر .

وبالرغم من ذلك فقد عمل سعيد الأحول بعد هروبه إلى المهجم على تجميع جيشـه وشـن الغارات على جيش المكرم . كما عمل على الاتجاه إلى إعادة أسر أسمـاء بنـت شـهاب مـرة أخـرى بعد أن علم أنها ستتجه إلى صنعاء في عدد قليـل مـن الجيـش ومعهـا جميـع الأثقـال والأمـوال الـتي غنمها المكرم.وذلك بسبب قعود المكرم وجيشه في زبيد للسيطرة عليها. فذهـب إلى (القحمـة)[33] بهدف إعتراض أم المكرم. ولكن المكرم علم بهذه المؤامرة فخـرج بجيشـه مـن زبيـد مسـرعاً لتتبـع سعيد الأحول وجيشه والقضاء عليهم. فلمـا وصـل إلى(الدومـة) في طريقـه إلى (القحمـة).وصلتـه أخبار من واليه على صنعاء تخبره أنه مريض وأن ابن قاسـم بـن جعفـر العيـاني نقـض عهـده وجمـع حشودا كثـيرة يريـد السـيطرة علـى صنعـاء مستغلا غيـاب المكـرم عنهـا[34].فـترك المكـرم متابعـة النجاحيين في تهامة وعاد مسرعاً إلى صنعاء فوصلها في أول ربيع الآخر سنة 460 هـ / يناير 1068 م [35].

---

(30) مجهول : سيرة ، ص: 57 ـ 62 ، رسالة ابـن القمـي، ملحق رقـم 6 صليحيـون ، ص: 313 ، الهمدانـي: الصليحيون، ص: 123 ، حسن سليمان : تاريخ اليمن، ص: 157 .

(31) مجهول: سيرة المكرم ، ص: 62 .

(32) مجهـول : سيرة المكرم ، ص: 64 ، الهمدانـي: الصليحيـون ، ص: 123 . ابـن الديبـع : بغيـة ، ص: ص:58، يحيى بن الحسين : غايـة ،ص: 259 ، حسـن سـليمان : تـاريخ اليمـن ، ص: 157 ، الحريـري : معالم ، ص: 47 ، عند العرشي في بلوغ المرام ،ص: 25 ، بلغ عدد القتلى نيفا وعشرين ألفا .

(33) مجهول : سيرة المكرم ، ص: 71 .

(34) مجهول : سيرة المكرم ، ص: 73 .

(35) مجهـول : سيرة المكـرم ، ص: 73 ، رسـالة ابـن القمـي ملحـق رقـم 6 الصليحيـون ، ص: 313 ـــ 315 الهمداني: الصليحيون ، ص: 125 ـ 126 .

أما من جهة سعيد الأحول فإنه لما علم بقدوم المكرم نحوه إلى القحمة لمحاربته . أدرك أنه غير قادر على مقاومته . لذلك أراد أن يخلفه على زبيد . فسار في طريق مغاير للطريق التي سلكها المكرم حتى لا يصطدم به . ولما عاد المكرم إلى صنعاء استغل سعيد الأحول تلك الفرصة فتمكن من السيطرة على زبيد وتهامة للمرة الثانية [36]

وفي ذلك الوقت حاول سعيد الأحول الاستعانة بسلاطين اليمن أهل السنة مثل يعفر بن الكرندي ووائل بن عيسى والسخطي والتبعي والكلالي أو الكلاعي. لذلك تكونت ثلاث فرق لمناصرة النجاحيين أحدها كانت بقيادة بلال ومالك ابني نجاح وابن الكرندي والتي سارت إلى الجند حيث وقفت هذه الفرقة مقابلة لجيش أسعد بن عبد الله الصليحي في (ذي أشرق) . والفرقة الثانية كانت بقيادة سعيد الأحول نفسه فاتجهت نحو سوق الجبجب في إحاظة فعسكرت فيه . والفرقة الثالثة تجمعت في الحمراء من الشعر بقيادة سلاطين تلك المنطقة على رأسهم الحسين التبعي . وكانت تهدف هذه التجمعات إلى الذهاب إلى ذي جبلة للقضاء على جيش الصليحيين فيها . ثم الاتجاه إلى صنعاء للقضاء على المكرم [37] إلا أن هذه الفرقة لم تحقق هدفها فقد تمكن الصليحيون من هزيمتهم .

وآنذاك خاف المكرم من سيطرة النجاحيين على اليمن الأسفل فما أن وصل إليه استنجاد الصليحيين بها حتى أسرع إليهم . فلما وصل إلى دلال وصله خبر بانهزام فرقتين من النجاحيين . أحدهما سعيد الأحول الذي عاد إلىزبيد . والآخر فرقة جيش ابن الكرندي وبلال بن نجاح الذين قاتلهم الصليحيون المعسكرون بذي أشرف حتى هزموهم . ولم يبق أمام المكرم إلا فرقة قبائل الجبال من يحصب ورعين وعنس تجمعت في الشعر . واعتصمت بجبالها الصعبة وأوديتها الضيقة بقيادة السلاطين التبعي ، والسخطي والكلاعي والحوالي . فأتاح ذلك فرصة للمكرم أن يتجه نحو تلك الجموع . فنزل في قرية قتاب (كتاب) ثم جبل أدم المتصل بالشعر . وخاض معهم عدة معارك انتهت بانتصار المكرم [38] واستسلام تلك القبائل وسلاطينها له .

---

(36) رسالة ابن القمي ملحق رقم 6 الصليحون ، ص: 314 .

(37) مجهول : سيرة المكرم ، ص: 77 - 85 .

(38) مجهول : سيرة المكرم ، ص: 90 - 91 .

بعدها سار المكرم نحو ذي جبلة ومعه بعض سلاطين تلك القبائل مثل الشخطي وابن التبعي. فلما وصلوا إليها راوغ ابن التبعي المكرم فهرب منه إلى زبيد لمناصرة النجاحيين.[39] .أما المكرم فقد عاد إلى صنعاء فدخلها في 5 شعبان سنة461هـ/مايو1069م[40] .

ومع ذلك فقد حاول سعيد الأحول الاتجاه مرة أخرى إلى الجبال بتحريض من ابن المغيرة التبعي للاستعانة بسلاطينها . فخرجوا من زبيد غرة شهر رمضان سنة 461 هـ/ يونيو 1069م . وساروا إلى الجؤة ثم إلى الجند . ولما علموا باتجاه المكرم نحوهم أشار عليه ابن المغيرة التبعي أن يتجهوا نحو دلال في الشعر ثم يتجهوا إلى صنعاء بعد تجميع قبائل تلك المناطق . بينما أشار عليه ابن دينار أن يرجع إلى زبيد طريق الساحل لقلة عددهم . فإذا لحق بهم المكرم خرجوا نحو شمال تهامة وإذا لحق بهم مرة أخرى عادوا نحو الجنوب . ولكن سعيد الأحول وافق على رأي ابن المغيرة التبعي في الاتجاه نحو الشعر[41] .

أما من ناحية المكرم فإنه خرج من صنعاء نحو زبيد غرة رمضان إيضاً سنة 461 هـ / يونيو 1069م . أي في نفس الوقت الذي خرج به سعيد الأحول . فلما وصل المكرم إلى الشرجة وجد خبرا يفيد أن سعيداً الأحول خرج من زبيد نحو اليمن الأسفل . فعمل المكرم على السير في تتبع أثره من منطقة إلى أخرى . فلما وصل إلى حيس وصله خبر أن الأحول في الجند فسار إليها . ولما وصلها علم أن الأحول سار إلى جبل الشعر فلحق به[42] .

ونتيجة لاسراع المكرم في اللحاق بسعيد الأحول وابن المغيرة فإنهما لم يتمكنا من تجميع قبائل تلك المنطقة لمناصرتهما لاعتقادهما أن المكرم سيعسكر في ذي جبلة . لذلك لم يتمكنا من مقاومته . وزاد الأمر إرباكا أن سعيداً الأحول قسم جيشه إلى فرقتين فرقة تظل مقيمة بالشعر تنتظر تجميع القبائل للذهاب بهم إلى صنعاء بقيادة سعيد الأحول نفسه . وفرقة تتجه نحو زبيد للسيطرة عليها بقيادة بلال ومالك ابني نجاح . كما زاد الأمر أكثر تعقيداً سرعة وصول المكرم إليهم إلى الشعر . وعدم وجود تحصينات في تلك المنطقة يحتمون بها . مما صعب اجتماع

---

(39) مجهول : سيرة المكرم ، ص: 93 ، رسالة ابن القمي ملحق رقم 6 الصليحيون ، ص: 315 .

(40) رسالة ابن القمي ملحق رقم 6 الصليحيون ، ص: 315 .

(41) مجهول : سيرة المكرم ، ص: 108 - 109 .

(42) مجهول : سيرة المكرم ، ص: 109 ، رسالة ابن القمي ملحق رقم 6 الصليحيون ، ص: 315 .

جيش ابن المغيرة التبعي مع سعيد الأحول. لمحاربة المكرم . فقد انسل ابن المغير من سعيد الأحول دون علمه وطلع حصنه المعروف بالقرانح للإحتماء به. أما سعيد الأحول فإنه توجه نحو إحدى قرى الشعر المعروفة بالحمادي بالجحادب للتحصن بها. ولكن المكرم أسرع بجيشه نحوه . فاقتتل الطرفان قتالاً شديداً . انتهى بهزيمة سعيد الأحول وجيشه ومحاولته الهروب . إلا أن أحد رجال المكرم من قبيلة شاكر اسمه عزيز بن حسين بن الحجاجي تمكن بمن معه من الجند أن يلحق سعيد الأحول ويقتله في قرية (مابة) في الشعر سنة 461 هـ/ 1069م. كذلك قتل بلال ومالك أخوي سعيد الأحول في نقيل صيد من قبل جيش المكرم عندما كانا ذاهبين نحو زبيد [43] .

وبذلك انتهى سعيد الأحول الذي كان يشكل خطورة على الصليحيين . ولم يبق غير جياش . وعلى أثر هذه المعركة التي انتصر فيها المكرم وثأر لأبيه . توجه نحو زبيد فدخلها في غرة شوال سنة 461 هـ/ يوليو 1069م وسيطر عليها ثم سيطر على تهامة كلها . وبذلك انتهت الدولة النجاحية منها . واستعاد الصليحيون سلطانهم على تهامة وزبيد [44] . واستمرت تحت سلطانهم حتى قدم جياش وأخرجهم منها .

ثالثاً : جياش بن نجاح .

في الوقت الذي توجه فيه سعيد الأحول نحو اليمن الأسفل للإستعانة بسلاطينها لمحاربة المكرم . توجه جياش نحو المهجم في عدد قليل من جنده العبيد [45] منتظرا ما تسفر عنه أحداث الصراع بين أخيه سعيد الأحول والمكرم . إلا أن الأحداث أنتهت لصالح المكرم فقد تمكن من قتل سعيد الأحول كما سبق ذكره . واتجه إلى زبيد للسيطرة عليها ثم توجه نحو شمال تهامة لاكمال القضاء على بقية آل نجاح وعلى رأسهم جياش بن نجاح ومن تجمع معه في تلك المنطقة من أنصارهم العبيد . ونظراً لعدم تمكن جياش من مقاومة المكرم . فقد ظل ومن معه ينتقلون من منطقة إلى أخرى . وظل المكرم يتتبعهم من مكان إلى آخر حتى أجبرهم على التفرق والذهاب إلى أقصى بلاد اليمن . بعد ذلك عاد المكرم إلى زبيد فدخلها يوم الجمعة 13 ذي القعدة سنة 461هـ/

---

(43) مجهول : سيرة المكرم ، ص: 111 ، الهمداني : الصليحيون ، ص: 131 ، حسن سليمان : تاريخ اليمن، ص: 159 .

(44) رسالة ابن القمي ملحق رقم 6 الصليحيون ، ص: 316 ؛ الهمداني : الصليحيون ، ص: 131 .

(45) مجهول : سيرة المكرم ، ص: 108 .

يونيو 1074 م[46] .

وباستعراض حياة جياش السياسية بعد موت أخيه سعيد الأحول نجد أنها تميزت بأربع فترات كما يتضح لنا . الفترة الأولى امتدت من سنة 461 هـ / 1069م حتى سنة 471 هـ / 1078م والفترة الثانية استمرت من سنة 471هـ / 1078م إلى سنة 476هـ/1083م استتر جياش خلال هاتين الفترتين . والفترة الثالثة تستمر من سنة 476 هـ/1083م حتى 479هـ/1086 م ظهر فيها جياش واستعاد سيطرته على تهامة . والفترة الرابعة وتمتد من سنة 479هـ / 1086م إلى وفاته سنة 498هـ/ 1104م . عمل فيها جياش على توطيد وتدعيم سلطان النجاحيين في تهامة نوضح ذلك في الآتي :

الفترة الأولى:

على الرغم من محاولة الصليحيين القضاء على أبناء نجاح. إلا أن جياش بن نجاح هو الوحيد الذي ظل باقياً لم يتمكن المكرم من القضاء عليه. وخلال هذه الفترة الأولى الممتد من سنة 461هـ/ 1069م حتى سنة 471هـ / 1078م . لم يقم جياش بأي دور عسكري فعال لاستعادة سلطانه على تهامة نظرا لصغر سنه. واختفائه . اللهم إلا محاولته مساندة الزيدية . فقد كان جياش يدفع للشريف الفاضل ألف دينار شهرياً[47] بهدف تقويته على محاربة المكرم لشغله عن محاربة النجاحيين أو اضعافه .

الفترة الثانية :

في هذه الفترة حاول جياش وأنصاره العبيد استعادة سيطرتهم على تهامة. فظل الصراع مستمرا بينهم وبين الصليحيين لمدة خمس سنوات تبادل الطرفان الهزيمة والانتصار. فتارة كانت تهامة تحت حكم النجاحيين وتارة أخرى تحت حكم الصليحيين . وقد تزعم قيادة الصليحيين الداعي سبأ بن أحمد الصليحي نظراً لأنه كان أهم قائد صليحي ورئيس الدعوة الإسماعيلية . ولأنه كان متولياً لحصون وصاب وريمة وأشيح وهي الحصون المطلة على زبيد. كما تزعم النجاحيين جياش بن نجاح وكانت الحرب سجالاً بين الطرفين . خلالها كان جياش يستولى على زبيد وتهامة في موسمي الصيف والخريف . وكان أثناء تلك الفترة يجبي خراجها دون أن يظلم أحد من الرعايا. وكان يحتسب للعمال ما جباه منهم الداعي سبأ بن أحمد الصليحي واذا حل موسمي

---

(46) رسالة اس القمي ملحق رقم 6 الصليحيون ، ص: 316 - 317

(47) المطاع : تاريخ اليمن ، ص: 258 .

الشتاء والربيع عادت السيطرة على تهامة وزبيد للصليحيين. ويذهب النجاحيون غير بعيد عن تهامة. وكان سبأ بن أحمد الصليحي خلال سيطرته على تهامة يجبي خراجها دون أن يظلم أحد من الرعايا ويحتسب للعمال ما جباه منهم جياش. وبعد انتهاء فصلي الشتاء والربيع يرحل الصليحيون عن تهامة. وكان رحيلهم عنها تارة بالوباء وتارة أخرى بحرب النجاحيين لهم. وهكذا استمر تبادل حكم تهامة بين الطرفين طيلة الفترة الممتدة من سنة 471 هـ/ 1078م حتى سنة 476 هـ/ 1083م. وكان أهل زبيد وتهامة أكثر ميلاً إلى تأييد النجاحيين وترحيباً بهم . فقد كانوا عندما تعود سيطرة جياش على بلادهم: (نشرت المصاحف وابتهلت له الرعايا بالدعاء وظهرت الفقهاء وتطاولت العلماء)[48] . مما يدل على كره أغلبهم المذهب الإسماعيلي ومناصرتهم أهل السنة النجاحيين لاتفاقهم مذهبياً.

الفترة الثالثة :

تعتبر هذه الفترة من أهم فترات جياش السياسية لأنه استعاد فيها سلطانه على زبيد وتهامة وتمتد هذه الفترة من سنة 476 هـ/ 1083م إلى سنة 479 هـ/ 1086م وهي كالأتي:

نظراً لعدم حسم المعارك بين النجاحيين والصليحيين فقد اضطر جياش إلى أن يتجه إلى الهند مع وزيره خلف الأموي. وذلك بهدف إيهام أعدائه الصليحيين بالذهاب بعيداً عن اليمن وتخليه عن الصراع. ومحاولته جلب الأموال من تجار اليمن المقيمين بالهند. فاتفق الاثنان أن يعملا معاً على استعادة السيطرة على تهامة. وتعاهدوا على اقتسام ملكها فيما بينهما ولذلك أطلق على خلف لقب قسيم الملك[49] . فذهب الاثنان إلى عدن متنكرين ومنها توجها إلى الهند. وذلك كما يبدوا في سنة 476 هـ/ 1083م .

مكث جياش ووزيره خلف في الهند ستة أشهر[50] أوتسعة أشهر[51] . وخلال هذه

---

(48) عمارة : المفيد ، ص: 148 - 149 ، الخمزي : كنز ، ص: 81 ، ابن الديبع : بغية ، ص: 59 ، حسن سليمان : تاريخ اليمن . ص: 161 - 162 ، عصام الفقي : اليمن ، ص: 191 .

(49) ابن عبد المجيد : بهجة ، ص: 90 . ابن الديبع : قرة ، ص: 351 ، بامخرمة : ثغر عدن ، ص: 102 .

(50) عمارة : المفيد . ص: 204 . الوصابي : الاعتبار ، ص: 49 ، ابن عبد المجيد : بهجة ، ص: 90 ، ابن الديبع : بغية . ص: 61 . الكبسي : اللطائف . ص: 39 .

(51) الخزرجي: العسجد . ص: 108 . ابن الديبع : قرة ، ص: 342 ، الحريري : معالم ، ص: 53 ، =

الفترة تزوج جياش بجارية هندية ثم عاد مع زوجته الهندية ووزيره خلف إلى عدن. فلما وصلوا إليها اتفق الاثنان على وضع خطة لتتبع أخبار الصليحيين والأتصال بأنصارهم الحبشة في زبيد وتهامة. وكانت هذه الخطة كالأتي:

أمر جياش وزيره خلف أن يتوجه إلى زبيد عن طريق الساحل ويطلب فيها الأمان لنفسه من الصليحيين. ويشيع خبر موت جياش بالهند لكي يصرف اهتمام الصليحيين عن تتبعه. كما أمره أن يتصل بأنصار النجاحيين الحبشة في زبيد سراً. ويتعرف على حقيقة أمرهم ويدعوهم إلى التجهز لاستعادة ملك النجاحيين على زبيد حينما يطلب منهم ذلك. وبالفعل عمل الوزير خلف بنصيحة جياش فذهب إلى زبيد وطلب الأمان من واليها للصليحيين وظل يتصل سراً بأنصار النجاحيين .

أما جياش نفسه فقد اصطحب زوجته الهندية وتوجه إلى ذي جبلة متنكراً بزي أحد الهنود مقتفياً عاداتهم في تطويل الشعر والأظافر فضلاً عن ستر إحدى عينيه بخرقة حتى لا يتعرف عليه أحد. وذلك لكي يطّلع على أحوال المكرم والصليحيين فيها. ولم تطل مدة إقامة جياش في ذي جبلة، فقد أسرع في التوجه نحو زبيد قبل اكتشاف أمره. ولما وصل إليها. سكن خفية في دار قريبة من دار الامارة التابعة للصليحيين وذلك ليتعرف على أحوال واليهم بها. واجتمع سراً بوزيره خلف الأموي فأخبره الوزير أخباراً سارة عن أنصاره في زبيد وتهامة. وهي: ((أنهم في البلاد كثير وإنما يعدمون رأساً يثون معه)) . فأطمأن جياش لذلك الخبر . وكان يلتقي بالوزير ليلاً ويتجنب الإلتقاء به في النهار. حتى لا ينكشف أمرهما. وخلال ذلك استمر الاثنان على مكاتبة أنصارهما الحبشة الذين كانوا منتشرين في زبيد وتهامة يدعواهم للاستعداد للظهور لمناصرتهم[52] .

= الحداد : تاريخ اليمن ، 2/ 273 .

(52) عمارة : المفيد ، ص: 204 ، ابن عبد المجيد : بهجة ، ص: 90 – 91 ، الوصابي : الاعتبار ، ص: 49 ، الخزرجي: العسجد ، ص: 108 – 109 ، ابن الديبع : بغية ، ص: 61 ، قرة ، ص: 342 – 343 ، بامخرمة : ثغر عدن ، ص: 76 ، الكبسي: اللطائف ، ص: 39 ، الحداد : تاريخ اليمن ، 2/ 273 – 274 ، الحريري : معالم ، ص: 53 - 54 .

ومن خلال ذلك العمل تمكن الاثنان من أن يتأكدا أنه سيجتمع حولهما خمسة آلف حربه من أنصارهما الحبشة. لذلك أمر جياش وزيره خلف أن يتجه إلى عمر بن سحيم ليأخذ منه عشرة آلاف دينار كانت عنده لجياش. وأن ينفقها على الرجال الذين سيجتمعون حولهما استعداداً لبدء الثورة على الصليحيين في زبيد ففعل ذلك الوزير خلف.

وآنذاك استغل جياش العلاقة السيئة التي حدثت بين والي الصليحيين على زبيد أسعد بن عراف. والوزير علي بن القم. كما يتضح أن سوء العلاقة كانت ناتجة عن الخلاف المذهبي بين الوزير السني والوالي الإسماعيلي. أدى ذلك إلى كره الوزير علي بن القم للصليحيين. حيث كان يقول: ((والله لو وجدت كتاباً (أو كلباً) من أول نجاح لأملكته زبيد)). كما كان يقول ((عجل الله علينا بكم يا آل نجاح)) . فحاول جياش التقرب للوزير مستغلاً عدم معرفته من أغلب الناس لأن معظم حياته كان مختفياً. فكان إذا افترق الناس من الصباح توجه نحو مصطبة الوزير علي بن القم. وذلك بهدف إقامة علاقة طيبة معه وكان يلاعبه وابنه الحسين الشطرنج. وقد أدى استمرار لعبه الشطرنج معهما إلى أن يكشف جياش عن نفسه للوزير علي بن القم. وذلك بعد أن تأكد عدم قبوله لحكم الصليحيين وميله إلى النجاحيين. فضلاً عن حلف الأيمان بعدم إفشاء سره لأحد من الناس[53] .

وبعد أن تعرف الوزير علي بن القم على جياش عمل على مساعدته لاستعادة ملكة على تهامة. والثورة ضد الصليحيين في زبيد. وكان بداية التعاون معه أنه أمر بإخلاء دار الأعز الصليحي وأمر بفرشها ووضع الستائر عليها لاسكان زوجة جياش الهندية فيها. كما أمر أن يحمل إليها وصائف ووصفان وأثاث وماعون. وهذا يعني اشتراك الاثنين في بداية إعلان الظهور، لذلك أسرع علي بن القم إلى جياش وأمره أن يظهر أمره سريعا قبل أن يُكْتشف مكانه ويُقْبض عليه. وذلك بعد أن باحثه في عدد أنصاره حين ذهب إليه الى الدار الجديد منتصف ليلته تلك حيث قال له: ((إن خبرنا لا يخفي على أسعد)) بن عراف فرد عليه جياش ((أن معي في البلد

---

(53) عمارة : المفيد ، ص: 205 ، ابن عبد المجيد : بهجة . ص. 91 – 92 . الوصابي: الاعتبار ، ص· 92 . ابن الديبع : بغية ، ص. 61 – 62 ؛ قرة . ص 343 – 344 . الكبسي : اللطائف ، ص. 39 ، حسن سلبمان : تاريح اليمن ، ص: 161 ، الحريري . معالم .ص· 54 . الحداد : تاريخ اليمن ، ص: 274 – 275 ، عند ابن عبد المجيد ، ص· 92 . عمر بن سحيم .

خمسة آلاف حربة)) فقال علي بن القم ((لجياش فقد ملكت البلد فاكشف أمرك))[54] .

ولما اكتملت العوامل المساعدة لظهور جياش أعلن ثورته صبيحة الليلة التي تسلم فيها دار الأعز. فضرب الطبول والأبواق إذاناً بدعوة أنصاره الحبشة وغيرهم للاجتماع لمناصرته. فثارت معه عامة المدينة. كما حضرت إليه خمسة آلاف من الحبشة من تهامة، فاتجه بجمع منهم نحو أسعد بن عراف والي زبيد وتهامة للصليحيين فالقى القبض عليه. ثم عفي عنه ولم يبقه أسيراً عنده فتركه يسير من زبيد بجميع ما يملك من مال وأهل. وعلى ذلك حقق النجاحيون نجاحاً موفقاً بالسيطرة على المدينة ثم على تهامة. ولم يمض شهر واحد حتى تجمع حوله عشرون ألف من العبيد وبني عمه الحبشة[55] .

وبذلك تمكن جياش من استعادة سلطانه على زبيد وتهامة وكان ذلك في سنة 477 هـ/ 1084م. مستدلين على ذلك بقول عمارة: ((وعاد بنو نجاح فأخرجوا أسعد .... من زبيد وملكوها سنة سبع وسبعين)) وأربعمائة[56] . وكما يتضح أن ثورة جياش النجاحي حدثت في نفس الوقت الذي توفي فيه المكرم لذلك استغل النجاحيون موته فثاروا في تهامة. ولم يحاول الصليحيون الإقدام على استعادتها لانشغالهم في ترتيب أمور الدولة بعده. ولم يكن من الصليحيين ((بعد ذلك كثير نكاية في جياش أكثر من غارات على أعمال زبيد))[57] .

وبذلك قدم الوزير علي بن القم مساعدة كبيرة لمناصرة النجاحيين في استعادة سلطانهم على تهامة وزبيد وذلك بسبب ميله إلى مذهب أهل السنة الذي يعتنقه النجاحيون وكرهه لمذهب الصليحيين الإسماعيلي كما سبق ذكره. ولنفس السبب أيضاً تعاون القاضي السني الحسن بن أبي

---

(54) عمارة : المفيد ، ص: 206 ، ابن عبد المجيد : بهجة ، ص: 93 ، الوصابي : الاعتبار ، ص: 50 ، الخزرجي: العسجد ، ص: 109 - 110 ، ابن الديبع : قرة ، ص: 345 ، بغية ، ص: 62 ـ 63 ، بامخرمة : ثغر عدن ، ص: 77 ، الهمداني : الصليحيون ، ص: 151 ، الحريري : معالم ، ص: 55 .

(55) عمارة : المفيد ، ص: 207 ، ابن عبد المجيد : بهجة ، ص: 93 ، الوصابي : الاعتبار ، ص: 50 ـ 51 ، ابن الديبع : قرة ، ص: 345 ، بغية ، ص: 63 ، يحيى بن الحسين : غاية ، 274/1 ، الكبسي : اللطائف ، ص: 39 ـ 40 ، الحريري : معالم ، ص: 55 .

(56) عمارة : المفيد ، ص: 135 .

(57) عمارة : المفيد ، ص: 207 .

عقامة مع جياش في استعادة سلطانهم على تهامة. لأنه كان يرى أن بني نجاح كانوا أولى بالملك من الصليحيين[58] .

تنتهي هذه الفترة بحدوث معركة حاسمة بين النجاحيين والصليحيين. هي معركة الكظائم التي حدثت أواخر سنة 479 هـ/ 1086م. وعن السبب الذي أدى إلى هذه المعركة أوردت المصادر روايتين. أحدهما أوردها عمارة. والأخرى أوردها با مخرمة. وفحوى تلك الروايتين الأتي:

الرواية الأولى :

أوضح عمارة فيها أنه لما طالت الحرب بين جياش وسبأ بن أحمد الصليحي أشار الوزير خلف على جياش بحيلة للقضاء على سبأ وهي أن يقوم جياش بالقبض على وزيره خلف الأموي ، ويودعه السجن ويصادر أمواله ويولى مكانه في الوزارة محمد بن العقاري. ففعل ذلك جياش. وأثناء ما كان الوزير خلف مسجوناً عمل على حفر نقب في السجن للهرب منه والذهاب إلى سبأ الصليحي في أشيح ولما هرب إليه حاول أن يحثه على النزول للسيطرة على تهامة . وضمن له الخبرة في الانتصار على جياش .

وكان الوزير خلف يكاتب جياشاً سراً يأمره أن يظهر العجز أمام سبأ الصليحي بأن يكاتبه ويعرض عليه أنه مستعد لاعطائه نصف حاصلات تهامة أو أنه يلتزم له بإعطائه ما يساوي نصف حاصلات بلاده مالاً. على شرط أن يبعد الوزير خلف من عنده. فلم يوافق سبأ الصليحي على ذلك. وقرر الاتجاه للسيطرة على تهامة فجهز جيشاً كبيراً قوامه عشرة آلاف راجل وثلاثة آلاف فارس. فسار نحو زبيد فعسكر في الكظائم أمام باب زبيد الشرقي. ومن جهة جياش فقد أستعد لقتاله بالاستعانة بأمير المخلاف السليماني وإعداد كمين لسبأ عن طريق قائده ريحان الكهلاني. حيث هجم هذا القائد على جيش سبأ الصليحي ليلاً على حين غرة منهم أدى ذلك إلى قتل الكثير من جيش الصليحيين. وانهزم سبأ وهروبه للنجاة بنفسه[59] . وكان حدوث هذه المعركة في 5 ذي الحجة سنة 479 هـ/ 1086م .

---

(58) الجندي : السلوك ، ص: 1 / 294 .

(59) عمارة : المفيد ، ص: 149 ، الحمزي : كنز ، ص: 81 ، الهمداني : الصليحيون ، ص: 152 ، حسن سليمان : تاريخ اليمن ، ص: 162 - 163 ، الحريري : معالم ، ص: 57 ـ 58 ، الحداد : تاريخ اليمن . ص: 277 - 278 ، الكظائم موضع لآل نجاح فيه قصر وغيل وهو شرق باب زبيد الشرقي .

ومن المستنتج من هذه الرواية أن سبأ الصليحي لا يمكن أن يصدق الوزير خلف في هذه الحيلة. ويسير بناء على رأيه وخاصة أن الوزير خلف كان قسيم الملك لجياش. وهو ممن ناصر النجاحيين وساعد على إعادة سلطانهم على تهامة. فضلاً عن أن هذا الوزير سبق وأن أشاع خبر موت جياش في الهند. ثم ظهر جياش في زبيد.. ومما سبق يمكن تصديق أحداث هذه الرواية دون تصديق أن أسبابها حدثت بحيلة من الوزير خلف.

الرواية الثانية :

أوردها بامخرمة وهي تحكي عن خلاف حقيقي حدث بين الأمير جياش ووزيره خلف أدى إلى هروبه إلى سبأ بن أحمد الصليحي. ومحتوى هذه الرواية الأتي:

كان الوزير خلف بن أبي طاهر الأموي ينتسب إلى بني أمية. وتسمى قسيم الملك لأنه اشترك في إعادة ملك جياش على تهامة كما سبق توضحه. وبعد ذلك استوزره جياش واختصه ووقره. وبعد فترة فسدت العلاقة بينهما فأفترقا. وكان سبب اختلافهما أن الوزير خلف شرب كثير من النبيد ذات ليلة في داره وغنّى له ابن المصيري الذي كان محسناً للغناء آنذاك تميز بعذوبة الصوت وحلو النغم. فمدح في غناه بني أمية ببيت من الشعر هي قوله:

لو كان حولي بنو أميـــــة لم	ينطق رجال إذا هم نطقوا
إن جولسوا لم تضق مجالسهم	أو ركبوا ضاق عنهم الأفق

فطرب الوزير خلف لذلك فخلع على كل من كان حاضراً في مجلسه ثلاث مرات ووصلهم . وكان عددهم 13 رجلاً. وظل خلف على سكره وطربه حتى الصباح حيث نقل إلى مجلس جياش وهو في حالة سكر فتغير جياش من ذلك كثيراً. ولذلك حدث الخلاف بين الاثنين. ففارق الوزير خلف جياش وذهب إلى سبأ الصليحي. ولما كتب إليه جياش يستعطفه ويطلب منه العودة إلى زبيد لم يقبل ذلك ورد عليه ببيت من الشعر توحي برفضه العودة إليه قال فيها:

إذا لم تكن أرضي لعرضي معزة	فلست وإن نادت إليّ أجيبها
ولو أنها أضحت كروضة جنة	من الطيب لم يحسن مع الذل طيبها
وسرت إلى أرض سواها تعز لي	وإن كان لا يعوي من الجدب ذيبها[60].

(60) الوصابي . الاعتبار ، ص: 53 ، الخزرجي : العسجد ، ص: 114 ، ابن الديبع : قرة ، ص: 351 ، بامخرمة · ثغر عدن ، ص: 102 ـ 103 ، الحداد : تاريخ اليمن ، ص: 276 .

ومن خلال ما سبق يمكن أن نستنتج أنه بعد موت المكرم سنة 477 هـ/ 1084م أصبح سبأ الصليحي هو القائد الأول للصليحيين. لذلك فكر في استعادة تهامة. وكان خلاف الوزير خلف الأموي مع جياش فرصة مشجعة لسبأ الصليحي أن يتجه إليها معتقداً أن جياشاً قد ضعفت قواته. لذلك جهز سبأ بن أحمد الصليحي جيشاً كبيراً اشترك معه السلطان عمران بن الفضل اليامي أمير صنعاء[61] فنزل تهامة في جيش بلغ عدده عشرة آلاف راجل وثلاثة آلاف فارس[62]. وسار حتى وصل منطقة الكظائم على باب زبيد الشرقي فعسكر فيه .

أما من ناحية جياش فقد استعد لهذه المعركة بالشريف يحي بن حمزة بن وهاس أمير المخلاف السليماني[63] وجمعاً من قادته. فعمل على وضع كمين لجيش سبأ. وهو أنه جهز قائده ريحان الكهلاني مولى سعيد الأحول بجماعة من جنده الذين يجيدون الرمي بالحراب. ووضعهم كميناً لجيش سبأ بأن يأتوا من خلفهم ليلاً ويرموهم بالحراب. وبالفعل قام هذا الكمين بالهجوم على جيش سبأ الصليحي ليلاً على حين غفلة منهم أثناء ما كانوا معسكرين في الكظائم. فرموهم بالحراب حتى أهلكوا أغلبهم ولم ينجوا منهم إلاّ القلة. منهم سبأ بن أحمد الصليحي الذي هرب ليلاً على قدميه بعد أن عُقر فرسه[64]. وقتل في هذه المعركة قيس بن أحمد الصليحي أخو سبأ ومحمد بن مهنا الصليحي. كما قتل القاضي عمران بن المفضل اليامي قتله الشريف يحي بن حمزة السليماني[65]. وبذلك حقق النجاحيون انتصاراً حاسماً على الصليحيين ثبتوا فيه بقاء سلطانهم على تهامة. بعد ذلك لم يحاول الصليحيون النزول إلى تهامة وزبيد طيلة عهد سبأ بن أحمد الصليحي[66].

الفترة الرابعة :

تأتي هذه الفترة تكملة للفترة التالية من حيث احتفاظ النجاحيين بسلطانهم على تهامة.

---

(61) الهمداني : الصليحيون ، ص: 153 .

(62) عمارة : المفيد ، ص: 149 ، الهمداني : الصليحيون ، ص: 152 .

(63) الهمداني : الصليحيون ، ص: 152 .

(64) عمارة : المفيد ، ص: 149 .

(65) الهمداني : الصليحيون ، ص: 152 - 153 .

(66) عمارة : المفيد ، ص: 119 - 150 .

وهي الأخرى من أهم فترات جياش السياسية. عمل فيها على تثبيت حكمه واستقراره. لذلك لم تحدث فيها معارك كبيرة بينه وبين الصليحيين. رغم استعداد الطرفين للحرب واستمرار التجهيز لها. لإقتناع الطرفين بما تحت يديهما من مناطق. كذلك تميزت هذه الفترة بتغير تصرفات جياش نحو قادته وكبار رجال دولته. فقتل بعضاً منهم وهرب بعض آخر. وأمتدت هذه الفترة من سنة 479 هـ/ 1086م. حتى وفاة جياش سنة 498 هـ/ 1104م نوجزها بالأتي:

على الرغم من اتصاف جياش بأنه كان عادلاً وشاعراً وحكيماً إلاّ أن تصرفاته تجاه بعض رجال دولته تحولت واتسمت بالظلم من ذلك تصرفه تجاه القاضي الحسن بن أبي عقامة الذي كان يميل إلى مذهب النجاحيين السني. والذي عمل على مناصرتهم لاستعادة سلطانهم على تهامة. فإن جياشاً أنكر ذلك الجميل. وأقدم على قتله لبضع وثمانين وأربعمائة للهجرة. وذلك بسبب عدم موافقته على تزويج جياش من أحد نساء الفرسانيين من أهل موزع. فاستنكر تصرفه ذلك كثير من الناس ولاموه واتهموه بالظلم من ذلك قول الشاعر الحسن بن علي بن القم:

أخطأت ياجياش في قتل الحسن ... فقأت والله به عين الزمن

كان جزاه حين ولاك اليمن ... قتلكه ودفنه بلا كفن[67]

لذلك خاف الشاعر الكاتب أبوعبد الله الحسين بن علي بن القم من أن تمتد يد جياش فيقتله. فهرب إلى الداعي سبأ بن أحمد الصليحي وأقام عنده بأشيح يكتب له. وكان خطه يشبه خط ابن مقلة . ثم كان يكتب عن الحرة الملكة السيدة أروى الصليحية إلى الديار المصرية.[68]

وفي تلك الفترة وبالتحديد في سنة 485 هـ/ 1092م.. استعان جياش لمحاربة سبأ بن أحمد الصليحي بالغز الأتراك. حيث استدعى جياش ثلاثة آلاف قوس منهم. ولكن جياشاً خاف من أن يتمردوا عليه ويقضوا على دولته. فعمل على التخلص من أكثرهم ولم يصل منهم من مكة إلى زبيد سوى ألف فارس . فساهم هؤلاء الغز في مناصرة دولة الحبشة النجاحيين في تهامة ودحروا الصليحيين عنها. حيث جهز جياش خمسمائة رجل منهم وأرسلهم إلى الجبال ففتحوا عدة مناطق منها. ولما وصلوا بون صنعاء دس عليهم جياش من يقتلهم بالسم كما عمل على

(67) الجندي : السلوك ، 1/ 294 ـ 295 ، 2/ 507 ، الخزرجي . العسجد ، ص: 112 ، حسن سليمان : ص: 164 .

(68) الجندي : السلوك ، 1/ 299 .

تفريق كلمتهم بالحرب والأموال. ولم يبق منهم بتهامة سوى أربعمائة وخمسون فارساً أقطعهم وادي زبيد أول سنة 486 هـ/ 1093م فاستمروا في هذا الوادي[69] .

عدا تلك الأحداث فإن فترة حكم جياش بن نجاح لزبيد وتهامة سادها الاستقرار في هذه الفترة حتى وفاته في ذي القعدة سنة 498 هـ/ 1104م[70] .

رابعاً: أولاد جياش .

لم يظل أفراد البيت النجاحي على وفاق فيما بينهم. كما حدث في عهد أولاد نجاح. فقد أنعدم التعاون بين أولاد جياش بن نجاح في تصريف أمور الدولة النجاحية. فحدث فيما بينهم صراع متعدد حول تولى أمرة الدولة النجاحية. وذلك يعود إلى انتمائهم إلى أمهات مختلفات وانتماء الجند إلى عناصر مختلفة مثل الغز (الأتراك) والحبشة (السودان) واليمنيين.

فبعد أن مات جياش بن نجاح خلفه ابنه الأكبر فاتك بن جياش، ابن الهندية. ليتولى أمر الدولة النجاحية. وذلك حسب النظام الوراثي الذي يعطي الأبن الأكبر الأسبقية في تولى السلطة. إلا أن أخويه عبدالواحد وإبراهيم عارضا تولية أخيهما السلطة. فانقسم الجيش بينهم. ودارت عدة معارك فيما بين الطرفين. انتهت بانتصار فاتك بن جياش وتمكنه من أسر أخيه عبدالواحد. ثم العفو عنه واصطحابه معه إلى زبيد. واسترضاه بالأموال التي أغنته وصرفته عن المطالبة بالإمارة. وذلك تجنباً لإثارة المتاعب عليه من أخيه وجنده. وخاصة أن كثيراً من الجند كانت تميل إلى تأييد عبدالواحد وتأمنه. فاستقر بعد ذلك عبدالواحد في زبيد راضياً عن تولي أخيه. أما أخوه الآخر إبراهيم فقد هرب إلى المناطق الجبلية ولجأ إلى السلطان أسعد بن وائل بن عيسى الوائلي الكلاعي الواحاظي فنزل عنده[71] .

لم تمض مدة طويلة على حكم فاتك للدولة النجاحية حتى مات في سنة 503 هـ/ 1109م

---

(69) عمارة : المفيد ، ص: 215 - 216 ، ابن عبد المجيد : بهجة ، ص: 103 - 104 ، يحيى بن الحسين : غاية ، 1/ 276 ، المطاع : تاريخ اليمن ، ص: 278 .

(70) عمارة : المفيد ، ص: 207 ، وقيل أن وفاته في رمضان سنة 500 هـ ، عمارة ، ص: 207 .

(71) عمارة : المفيد ، ص: 207 - 208 ، ابن عبد المجيد : بهجة ، ص: 94 - 95 ، الوصابي : الاعتبار ، ص: 54 ، الخزرجي : العسجد ، ص: 112 ، ابن الديبع : قرة العيون ، ص: 342 ، بغية ، ص: 63 – 64 ، الحداد : تاريخ اليمن ، ص: 281 - 282 ، الحريري : معالم ، ص: 64 .

فخلفه في تولي السلطة ابنه الطفل منصور بن فاتك. فعاد الصراع من جديد بين أولاد جياش وابن أخيهم منصور بن فاتك. فمن ناحية إبراهيم الذي لجأ إلى أسعد بن وائل الوحاظي. فإنه حشد جمعاً كبيراً من قبائل الجبال ونزل بهم لمحاربة ابن أخيه. فلما وصلوا إلى وادي زبيد خرج إليهم جند منصور فالتقوا بهم عند قرية (الهويب) . وأثناء إلتقاء الجيشين في تلك المنطقة استغل عبدالواحد الذي كان مستقراً في زبيد فرصة خلوها من جند ابن أخيه منصور. فثار بها واستولى على دار الإمارة ثم استولى على زبيد.[72] وبذلك أصبحت السلطة بيد عبدالواحد بن جياش.

أمام ذلك لم يكن من القوى التي التقت للحرب خارج زبيد إلا أن تترك القتال وتبحث عن مخرج لها. فبالنسبة لإبراهيم لما رأى أن أخاه عبد الواحد قد سبقه في السيطرة على زبيد. ترك القتال والمطالبة بالملك وتوجه إلى الحسن بن أبي الحفاظ الحجوري الذي كان سيد منطقة الجريب شمال تهامة فنزل عنده. أما ما كان من الأمير النجاحي الطفل منصور بن فاتك الذي كان في زبيد أثناء سيطرة عمه عليها. فقد أخرجه الأستاذون والوصفان منها خفية حيث أنهم: ((أدلوه من سور البلد ليلاً خوفاً عليه من عمه عبدالواحد)) وذهبوا به إلى جيش ابيه خارج زبيد[73] .

وآنذاك لم يرض جيش منصور بن فاتك بسيطرة عبدالواحد على زبيد. فعمل على الاستعانة بقوى أخرى لمناصرتهم على استعادة سيطرتهم على زبيد. ولم تكن هذه القوى القادرة على إعادتهم إلاّ الدولة الصليحية. فأخذوا أميرهم الطفل وذهبوا به إلى السيدة الحرة الصليحية وقائدها المفضل بن أبي البركات الحميري إلى ذي جبلة. وطلبوا منهما نجدتهم. والتزموا لهما بدفع ربع محصول تهامة مقابل نصرتهم على عبدالواحد بن جياش. فلقي منصور بن فاتك وجيشه ترحيباً لدى السيدة وقائدها المفضل بن أبي البركات. واستعداداً لمناصرتهم. وكان الهدف من تلك المناصرة استغلال صراع أولاد جياش فيما بينهم. للسعي في استعادة سيطرة الدولة الصليحية على زبيد وتهامة. فجهز المفضل جيشاً كبيراً وسار بهم نحو زبيد فحارب عبدالواحد وجيشه حتى أجبرهم على الخروج من زبيد. واستولى عليها المفضل سنة 504هـ/ 1110م. وأعاد

---

(72) عمارة : المفيد ، ص: 208 ، ابن عبد المجيد : بهجة ، ص. 94 ــ 95 ، الخزرجي : العسجد ، ص: 112 ابن الديبع : بغية ، ص: 64 ، حسن سليمان ، ص: 165 .

(73) عمارة : المفيد ، ص: 208 ، ابن عبد المجيد : بهجة ، ص: 95 ، الخزرجي : العسجد ، ص: 112 ، ابن الديبع : قرة ،ص: 349 ، بغية ، ص: 64 ، الوصابي : الاعتبار ، ص: 54 ، الحريري : معالم ، ص:65.

منصور بن فاتك إلى حكمه. وبعد ذلك حاول المفضل البقاء في زبيد للغدر بمنصور وجيشه وإعاتها تحت نفوذ الدولة الصليحية. إلاّ أنه حدث ما لم يكن في حسبان المفضل منعه من تحقيق ذلك. وهو أن فقهاء الشافعية في ذي جبلة استولوا على حصن التعكر. وهو الحصن الذي كان مقراً للمفضل وبه أمواله وحواشيه وجواريه. فعاد مسرعاً نحو ذي جبلة تاركاً زبيد للنجاحيين فكانت تلك فرصة مناسبة لمنصور بن فاتك أن يظل سلطانه باقياً في زبيد وتهامة[74] .

المرحلة الثانية: وهي مرحلة سيطرة الوزراء على السلطة

بعد أن استعاد منصور بن فاتك وجنده السلطة على زبيد بمساعدة الصليحيين. دخلت الدولة النجاحية مرحلة جديدة في نظام الحكم السياسي. وهي أن تكون الإمارة في أولاد فاتك بن جياش وأن تكون الوزارة في أولاد عبيدهم[75] . وهذا يعني تحول نظام الوزارة من وزاره تنفيذ إلى وزارة تفويض. والذي يصبح فيها الوزراء أكثر نفوذاً من الأمراء[76] . أي أن يكون تحت يديه الأعمال الكتابية وقيادة الجند. وقد فرض هذا الوضع تولي أمراء الدولة النجاحية السلطة وهم أطفال. مما أدى إلى عدم قدرتهم على إدارة الدولة وقيادة الجند. وقد وصفت المصادر هذه المرحلة بقولها: ((ولم يكن لأولاد فاتك بن جياش من الأمر سوى النواميس الظاهرة من الخطبة لهم بعد بني العباس والسكة والركوب بالمظلة في أيام المواسم وعقد الأراء في مجالسهم وأما الأمر والنهي والتدبير وإقامة الحدود وإجازة الوفود فلعبيدهم الوزراء وهم عبيد فاتك بن جياش وعبيد منصور ابنه))[77] .

وفي هذه المرحلة تولى حكم الدولة النجاحية ثلاث شخصيات هم منصور بن فاتك وابنه

---

(74) عمارة : المفيد ، ص: 208 - 209 ، ابن عبد المجيد : بهجة ، ص: 95 - 96 ، الخزرجي : العسجد ، ص: 112 - 113 ، ابن الديبع : قرة ، ص: 350 ، بغية ، ص: 64 - 65 ، الوصابي : الاعتبار ، ص: 54 الكبسي : اللطائف ، ص: 42 ، حسن سليمان : تاريخ اليمن ، ص: 165 ، عصام الفقي : اليمن ، ص: 192 ، الحداد : تاريخ اليمن ، ص: 282 - 283 .

(75) عمارة : المفيد ، ص: 209 ، ابن عبد المجيد : بهجة ، ص: 96 ، الحريري : معالم ، ص: 65 - 66 .

(76) الحريري : معالم ، ص: 63 .

(77) عمارة : المفيد ، ص: 209 ، ابن عبد المجيد : بهجة ، ص: 96 ، الخزرجي : العسجد ، ص: 114 ، ابن الديبع : قرة ، ص: 351 ، بغية ، ص: 65 ، عصام الفقي ، ص: 192 .

فاتك بن منصور. ثم ابن عمه فاتك بن محمد. وكلهم انتهت حياتهم بالقتل. وأما الوزارة فقد تولاها ستة وزراء، هم أنيس، ومنَّ الله، ورزيق، ومفلح وإقبال وأخيراً سرور. انتهت حياة معظمهم بالقتل أيضاً.

ومن الملاحظ أن هؤلاء الوزراء أطلق عليهم جميعاً اسم فاتكي نسبة إلى أمير هم فاتك بن جياش ثم أميرهم الآخر فاتك بن منصور نوضح تلك المرحلة بالأتي:

وزارة أنيس الفاتكي 504 - 517 هـ :

بدأت مرحلة سيطرة الوزراء على الأمراء بتولي أنيس الفاتكي سنة 504 هـ/ 1110م حيث أجمع الجند على توليته قائداً للجيش ووزيراً للأمير فاتك بن منصور[78] وعلى الرغم من انتماء أنيس الفاتكي إلى نفس قبائل أمراء بني نجاح وهم الجزليون. إلاّ أن هذا الانتماء لم يمنعه من إحكام القبضة على جميع أمور الدولة بيدية والسيطرة على الأمير النجاحي. وذلك يعود إلى صفرسن هذا الأمير النجاحي. وضعفه وعدم مقدرته إدارة الدولة النجاحية. فعمل هذا الوزير على مشاركة الأمير مظاهر السلطنة. فضرب السكة باسمه وعمل لنفسه مظلة الركوب وهي خاصة بالأمراء[79]. أدى هذا الأمر بالوزير إلى الطغيان والجبروت. فقد وصف أنه كان جباراً غشوماً متهوراً. فضلاً عن أنه كان شجاعاً وجواداً .

ومن أهم أعماله العمرانية التي اتصفت بالعظمة بنائه للقصور الواسعة التي تتكون من حجرات ضخمة ذات أرضية واسعة. بلغ عرض كل قاعة منها ثلاثون زرعاً أي خمسة عشر متراً. وطول كل مجلس فيها أربعون زرعاً[80] أي عشرون متراً والواقع أن بناء الدولة محتاجة إلى تلك السعة.

---

(78) الجندي : السلوك ،508/2 ، ابن الديبع : قرة ، ص: 352 .

(79) عمارة : المفيد ، ص: 210 ، ابن عبد المجيد : بهجة ، ص: 97 ، الخزرجي : العسجد ، ص: 115 ، ابن الديبع : قرة ، ص: 352 ، بغية ، ص: 67 ، حسن سليمان : تاريخ اليمن ، ص. 166 ، الحداد : تاريخ اليمن ،ص: 283 .

(80) عمارة : المفيد ، ص: 210 ، ابن عبد المجيد : بهجة ، ص: 97 ، الخزرجي : العسجد ، ص: 115 ، ابن الديبع : قرة ، ص: 352 ، حسن سليمان : تاريخ اليمن ، ص: 166 ، الحريري : معالم ، ص: 67 .

أما أهم أعماله الحربية فقد عمل على الدفاع عن تهامة من هجمات أنصار الدولة الصليحية أثناء قيادة أسعد بن أبي الفتوح للجيش الصليحي[81] الذي تولى القيادة بعد موت ابن عمه المفضل. فقد جهز أسعد جيشاً كبيراً ونزل بهم لمحاربة النجاحيين والسبب في ذلك كما يبدوا عدم التزام بني نجاح بإرسال ربع متحصل تهامة من الأموال العينية والنقدية التي وعدوا بها المفضل بن أبي البركات، مقابل إعادتهم إلى السلطة على زبيد. ولكن أسعد فشل في تحقيق أي نصر على النجاحيين لتمكن أنيس من صده.

صراعه مع الأمير:

عندما كبر الأمير النجاحي منصور بن فاتك أراد فرض سلطانه على أمور الدولة. فأقلق ذلك الوزير أنيس الفاتكي الذي اعتاد على الاستحواذ على السلطة بكاملها لذلك بدأ الصراع بين الطرفين. فعمل كل واحد على تدبير المؤامرة ضد الأخر. فبدأ الوزير أنيس تدبير مؤامرة للتخلص من مولاه. إلا أن الخبر وصل سريعاً إلى الأمير النجاحي عبر طريق ندماء الوزير فأخذ الأمير الحيطة منه. ودبر هو الآخر مؤمرة لقتل الوزير. وهي أن يدعو الأمير وجوه دولته مع الوزير إلى الحضور إلى وليمة كبيرة أعدها لهم في قصر الإمارة. فلما حضر الوزير أنيس. أمر الأمير أصحابه بقتله. فقتل في سنة 517هـ/ 1123م. وقطعت رأسه وصودرت أمواله وجواريه. ومن تلك الجواري اشترى الأمير منصور الجارية علم. وهكذا انتهت حياة هذا الوزير بالقتل بسبب صراعه مع الأمير حول السلطة. وهي أول حادث قتل لوزير في الدولة النجاحية[82].

وزارة مَنّ الله الفاتكي 517 - 524 هـ :

بعد قتل الوزير أنيس الفاتكي عهد الأمير النجاحي منصور بن فاتك بتولي الوزارة إلى أحد كبار قادته هو مَنّ الله الفاتكي. فتولاها في سنة 517 هـ/ 1123م. وكان هذا الوزير من ((أكابر الوزراء وأعيانهم)) اتصف بالشجاعة والهيبة والكرم[83].

---

(81) عمارة : المفيد ، ص: 210 ، ابن عبد المجيد : بهجة ، ص. 98 .

(82) عمارة : المفيد ، ص: 210 ، الجندي : السلوك ،508/2 ، الخزرجي : العسجد ، ص: 115 ، ابن الديبع:قرة ، ص: 352 ، بغية ، ص.67 ، الحداد: تاريخ اليمن ،ص: 284 ، الحريري: معالم ، ص:67 .

(83) عمارة : المفيد ، ص: 210 ، الخزرجي : العسجد ، ص: 115 ، ابن الديبع : قرة ، ص: 352 ، يوضح الخزرجي ، ص 106 ، أن انيساً قتل سنة 517 هـ وتولى منّ الله الفاتكي سنة 519هـ ويوافقه ابن عبد المجيد ، ص: 98 ، ويحيى بن الحسين ، ص: 289 . والصحيح والمرجح أن منّ الله تولي سنة 517 هـ .

ومن شجاعته أنه قام بأعمال حربية دافعت عن كيان الدولـة النجاحيـة ضـد الطـامعين في القضاء عليها. من ذلك أنه اشترك قبل توليه الوزارة مع الوزيـر أنيـس الفـاتكي في خـوض معركـة كبيرة دافع فيها عن زبيد من هجمات قائد الجيش الصليحي أسعد بن أبي الفتوح الحميري تمكن خلالها مَنَّ اللـه الفاتكي من هزيمة أسعد بن أبي الفتوح. وقتـل مـا ينيـف علـى الألـف مـن العـرب أنصار الدولة الصليحية [84].

أما أهم أعماله الحربية عندما تـولى الـوزارة فهـي الأخـرى الدفـاع عـن الدولـة النجاحيـة وعاصمتها زبيد من هجمات قائد الجيش الصليحي ابـن نجيـب الدولـة. حيـث تكمـن الوزيـر مـن هزيمة القائد الصليحي وجيشــه علـى بـاب زبيـد أواخـر سـنة 518هـ/ 1124م. وقتـل الكثـير مـن أصحابه منهم مائة من العرب وثلاثمائة من الأرمن من الذين يجيدون الرمي بالرماح وخمسمائة جنـد من الجنود السود[85]. وكانت هذه المعركة آخر المعارك التي دارت بـين الصليحيـي والنجـاحيين. لم يعد بعدها الصليحيون أي محاولة للنزول إلى تهامة[86] .

لم يلبث الوزير مَنَّ اللـه أن طمع في الاستحواذ على السلطة وأن يكون هو المتحكـم بكـل أمور الدولة النجاحية. دون أن يحاسبه أحد من الناس. ولـن يتـأتى ذلـك إلا بـالتخلص مـن مـولاه الأمير منصور بن فاتك صاحب السلطة الفعلية . فعمـل علـى قتلـه بالسـم سـنة 519 هـ/1125م. وولى مكانه ابنه الطفل فاتك بن منصور[87] . وهو ابن الحرة علم التي أوكلـت كفالـــة ابنهـا إلى عبيد ابيه الاستاذون[88] .

---

(84) عمارة : المفيد ،ص: 210 ، الخزرجي : العسجد ، ص: 115 ، ابـن عبـد المجيـد: بهجـة ، ص: 98 ، ابـن الديبع : بغية ، ص: 68 ، حسـن سـليمان : تاريخ اليمـن ، ص: 167 .

(85) عمارة : المفيد ، ص: 210 ، ابن عبد المجيد : بهجة ، ص: 98 ، الخزرجي : العسجد ، ص: 115 ، ابـن الديبع : قرة ، ص: 352 ، في كتاب بغية المستفيد ، ص: 68 ، يوضح أن الوزير مـنّ اللـه الفـاتكي قتـل تسعمائة من جيش ابن نجيب الدولة وأن المعركة حدثت أواخر سنة 518 هـ .

(86) ابن عبد المجيد : بهجة ، ص: 80 .

(87) عمارة : المفيد . ص: 211 . ابـن عبـد المجيـد . ص: 98 . حسـن سـليمان : تـاريخ اليمـن ، ص: 167 ، الحريري . معالم ، ص: 67 - 68 ، تذكر المصادر أن مـنّ اللـه الفـاتكي أول ما تـولى الـوزارة قـام بقتـل مولاه وذلك كما يبدو سنة 517 هـ . ولكن من المرجح أن قتله كان سنة 519 هـ .

(88) عمارة . المفيد ، ص: 211 .

وفي تلك الأثناء قام الوزير منّ اللـه الفاتكي بإزاحة بعض القادة المنافسين له عن السلطة . فقد كان أحمد بن مسعود الجزلي ومفلح الفاتكي صاحبي الحل والعقد في زبيد . ومن أكابر قادتها . فحاول الوزير منّ اللـه الفاتكي التخلص منهما بتدبير مؤامرة لقتلهما فخافا منه وهربا إلى الجبال[89] . وبخروجهما دانت لمنّ اللـه زبيد وتهامة كلها فعلا شأنه[90] .

ومن أعمال الوزير منّ اللـه الفاتكي أنه تصدق على مدارس الفقهاء الحنفية والشافعية بمنحهم الأراضي والمرافق والرباع التي تدر عليهم دخلاً كبيراً يكفي نفقات العلماء والمتعلمين طيلة فترة التدريس . مما جعلهم يستغنون عن مطالبة التجار وغيرهم للإنفاق عليهم[91] . وهي بادرة تعبر عن قيام الدولة بالإنفاق على التعليم .

أما عن كرمه فقد كان يمنح الشعراء المادحين له الكثير من الأموال . فقد ذكر مؤدب أولاده محمد بن عبد اللـه التهامي أنه (جلد مما مدح به الوزير عشرة أجزاء من شعر المجيدين المشاهير) .

وبالرغم من تميز منّ اللـه الفاتكي بصفات الشجاعة والكرم إلا أنه حسب وصف عمارة اتصف بالفسق مع الجواري . فقد عبث بأكثر جواري وحظايا مولاه منصور بن فاتك اللواتي كن بقصره وعددهن أكثر من ألف سرية أو أمة . لم يسلم منهن من هذا الوزير ورجاله إلا القليل . ولذلك دفع حياته ثمنا لهذا التصرف . فقد قامت إحداهن وهي أم أبي الجيش بقتله بالسم في 15/جمادي الأولى سنة 524هـ/ ابريل 1130م عن طريق حيلة بتمكين نفسها له ثم قتلته[92] وبذلك انتهت حياة هذا الوزير بالقتل . وكما يتضح أن السبب الحقيقي لقتله هو إقدامه على قتل مولاه الأمير منصور وليس كما وصف عمارة. وقد تكون تلك التهمة ألصقت عليه للتخلص منه.

---

(89) عمارة : المفيد ، ص: 210 ، الخزرجي : العسجد ، ص: 116 ، ابن الديبع : قرة ، ص: 352 .

(90) عمارة : المفيد ، ص: 210 .

(91) عمارة : المفيد ، ص: 210 ، الوصابي : الاعتبار ، ص: 55 . ابن الديبع : قرة ، ص: 352 ، الحداد : تاريخ اليمن ، ص:284 .

(92) عمارة : المفيد ، ص: 210 ، الوصابي : الاعتبار ، ص: 55 ، الحريري : معالم ، ص: 68 - 69 .

وزارة رزيق الفاتكي 524 هـ .

عملت الحرة علم أم الأمير منصور على تولية رزيق الفاتكي الوزارة سنة 524 هـ/1130م [93] . وقد اتصف بالشجاعة والكرم والثراء الكبير . ومن شجاعته وأعماله الحربية أنه صد هجوما على زبيد من قبل المنشقين على الوزير السابق . والذين اتخذوا من الجبال مقراً لهم. والذين هاجموا زبيد بقيادة مفلح الفاتكي . ولكن الوزير رزيق الفاتكي صدهم حين تزعم أهل زبيد حيث خرج إليهم بجيشه فخاض معهم معركة كبيرة (اشتجر فيه سبعة أرماح وهو لابس درعين فحصد أكثرعا بسيفه واندق منها رمحان . وهو ثابت في سرجه) [94] .

ونتيجة لثبات رزيق في المعركة كان مفلح ينادي جنده بأن يعقروا فرس رزيق حتى يتمكنوا من هزيمته. إلا أن رزيقاً هجم على مفلح فضربه بالسيف وقعت في فرسه فقسمته نصفين وسقط مفلح من الفرس.فحاول رزيق قتله. ولكن دافعت عنه بنو مشعل وهم من عرب تهامة [95] .

وعلى الرغم من ذلك فإن رزيق لم يتمكن من تدبير الملك فاستقال من الوزارة [96] . واستدعي مفلحا ليتولها . وتوضح المصادر أن السبب في ذلك هو عدم طاعة العسكر له وعدم وجود خبرة له بإقامة نواميس السلطنة [97] .

وزارة مفلح الفاتكي 524 - 527 هـ :

ينتمي مفلح الفاتكي إلى قبيلة سحرت الحبشية واتصف بالشجاعة والكرم والحزم والعفة [98] .

---

(93) عمارة : المفيد ، ص: 211 - 212 ، ابن عبد المجيد : بهجة ، ص: 98 - 99 ، الوصابي : الاعتبار ، ص: 55 ، الخزرجي: العسجد ، ص: 117 ، الجندي : السلوك ، 2/509 – 510 ، ابن الديبع : بغية ، ص: 68 ، يحيى بن الحسين : غاية ، 1/ 291 ، حسن سليمان ، ص: 167 .

(94) الخزرجي : العسجد ، ص: 117 - 118 ، ابن الديبع : بغية ، ص: 69 .

(95) عمارة : المفيد ، ص: 212 ، الوصابي : الاعتبار ، ص: 56 ، الخزرجي : العسجد ، ص: 118 ، ابن الديبع : قرة، ص: 353 .

(96) عمارة : المفيد ، ص: 212 ، الخزرجي : العسجد ، ص: 118 ، الحريري :معالم ، ص: 70 .

(97) ابن الديبع : بغية ، ص: 69 .

(98) عمارة : المفيد ، ص: 215 ، ابن عبد المجيد : بهجة ، ص: 102 – 103 ، الوصابي : الاعتبار ، ص: 56 ، الجندي : السلوك ،2/ 510 ، ابن الديبع : قرة ، ص: 353 ، بغية ، ص: 69 ، حسن سليمان : تاريخ اليمن ، ص: 168 .

وهو أحد القادة الذين كان لهم الحل والعقد في زبيد[99] . ولكنه هرب إلى الجبال في عهد الوزير منّ الله الفاتكي خوفاً على نفسه منه . ثم استعان بعرب المهجم على محاربة أهل زبيد والوزير رزيق[100] بعد ذلك فضل رزيق عدم الاستمرار في الدخول معه في صراع فتنازل له بالوزارة . واستدعاه من الجبال[101] . وولاه الوزارة بسبب ما ذكر سابقاً .

ولما تولى مفلح الوزارة حدث تطوراً آخر في نظام البيت النجاحي وهو التقليل من نفوذ الوزراء ، عن طريق إسناد أهم الأعمال لرجال القصور . فأحدث هذا التطور صراعا بين الوزير وعبيد القصور كما سيأتي .

كانت الحرة عَلَمْ وزوجها منصور بن فاتك قد عملا على شراء العبيد وتربيتهم للخدمة في قصورهما فقسما هؤلاء العبيد إلى فرقتين هم الوصفان والأستاذون مثل صواب الذي كان متولياً أمرة الزمام . ويمن وريحان وعز . ومن الأستاذين الفحول . إقبال وبرهان وسرور . فكانوا أكثر طاعة لهما . وعندما قتل الأمير منصور أوكلت الحرة علم الوصاية على ولدها الطفل فاتك بن منصور إلى أولئك الوصفان والأستاذين[102] . فأصبح هؤلاء العبيد هم أصحاب الأمر والنهي وهم المسيطرون على أمور الدولة . كما أصبحوا (هم الذين يتكلمون على لسان السلطان). لذلك (صار الوزير في أمور السلطان أجنبياً معهم)[103] .

أدى ذلك إلى عدم تمكن الوزير مفلح من فرض سلطانه على الأمير النجاحي. فنشب صراع بينه وبين هؤلاء الوصفان والأستاذين . ومن أجل تحقيق النصر على الوزير فقد استعان هؤلاء العبيد بكثير من القادة والجند . فاستمالوا كثيرا من الفرسان والرجال فعظم شأنهم كما عظم بهم جانب الحرة علم[104] .

---

(99) عمارة : المفيد ، ص: 215 ، الوصابي : الاعتبار ، ص: 56 - 57 ، ابن عبد المجيد : بهجة ، ص: 103 ، ابن الديبع : قرة ، ص: 354 ، الحداد : تاريخ اليمن ، ص: 285 .

(100) عمارة : المفيد ، ص: 210 .

(101) عمارة : المفيد ، ص: 212 .

(102) عمارة : المفيد ، ص: 215 ، الخزرجي : العسجد ، ص: 118 .

(103) عمارة: المفيد ، ص:211 ، ابن عبد المجيد: بهجة ، ص: 108 - 109 ، الخزرجي: العسجد ، ص:122 .

(104) عمارة: المفيد ، ص:220 ، ابن عبد المجيد: بهجة ، ص: 109 ، الخزرجي: العسجد ، ص:122 ، =

ومن ضمن الصراع الذي حدث بين الوزير وهؤلاء العبيد أنهم دبروا عدة حيل للقضاء عليه وهي كالآتي :

1 ـ الحيلة الأولى :

طلبوا من الوزير تجهيز الحرة إلى مكة بثلاثين ألف دينار . إلا أنه امتنع عن تجهيزها وقال لهم :(صرف الأموال إلى محاربة أعداء الدولة أولى من هذه الخرافات ولمولاتنا للغزل ولزومها كسر بيتها) (شغل شاغل عن الحج). فالحوا عليه في الطلب حتى ظهر منه خطأ ضد الحرة علم . لم يغفر له من هذا الخطأ إلا الاستجابة لطلبهم . فجهزها بثلاثين ألف دينار وأرسل معها إلى مكة ولده منصور [105]

2 ـ الحيلة الثانية :

طلبوا من مفلح الذهاب إلى عدن لمحاربة سبأ بن أبي السعود وعلي بن أبي الغارات الزريعيين. وبالفعل جهز مفلح جيشاً كبيراً . وسار بهم نحو عدن . فلما صار على بعد يوم من زبيد ثار فيها محمد بن فاتك بن جياش ، على الحرة علم وولدها. أدى ذلك إلى عودة مفلح بجيشه إلى زبيد [106].

3 ـ الحيلة الثالثة :

قام القائد سرور بمكاتبة قبائل المهجم وهم الزعلي والعمراني وبنو مشعل. وطلب منهم الهجوم على أعمال المهجم [107] .ففعلوا ذلك. مما أدى إلى خروج الوزير مفلح بجيشه لمحاربتهم. وعندما ساروا على بعد يوم من زبيد أشار سرور على الجند الرجوع فرجع أكثرهم. ولم يبق مع مفلح إلا قلة من خواصه . فأسرعوا إلى زبيد واستولوا عليها بقيادة سرور الفاتكي . إزاء ذلك لم

= يحيى بن الحسين:غاية ،1/ 291 ، حسن سليمان: تاريخ اليمن، ص: 168 ، الحريري: معالم ، ص:70-71.

(105) عمارة : المفيد ، ص: 220 ، الخزرجي : العسجد ، ص: 122

(106) عمارة : المفيد ، ص: 221 ، ابن عبد المجيد : بهجة ، ص: 109 ، الوصابي : الاعتبار ،ص: 59 ، الخزرجي : العسجد ، ص: 122 ، ابن الديبع : قرة ، ص: 354 ــ 355 ، الحداد : تاريخ اليمن ، ص: 285 - 286.

(107) عمارة : المفيد ، ص: 221 ، ابن عبد المجيد : بهجة ، ص: 109 ، ابن الديبع : قرة ، ص: 356 ، يحيى بن الحسين : غاية ، ص: 291 ، حسن سليمان : تاريخ اليمن ، ص: 168.

يتمكن الوزير مفلح من العودة إلى زبيد فقرر الاتجاه نحو جبال برع وذلك سنة 527 هـ/1133م واتخذ من حصن الكرش بها مقرا له. وبدأ يشن الغارات المتعددة على تهامة. فقاومه أهلها مقاومة شديدة، ثم انتقل إلى حصن (ديسان) . فظل يشن الغارات المتعددة على أعمال المهجم [108] .

ثم كاتب مفلح الشريف غانم بن يحيى السليماني صاحب مخلاف بني طرف أو المخلاف السليماني . وبني عم الشريف يطلب منهم إعانته على المحاربة معه للسيطرة على زبيد. ووعدهم بإسقاط ما عليهم من الأموال لصاحب زبيد وهي ستون ألف دينار في كل سنة. فضلا عن تعهده بأنه سيضيف إليهم أعمال الواديين وهي واسعة [109] .

كذلك انضمت إلى مفلح الفاتك والشريف غانم قبائل العرب من بني مشعل وبني عمران وبنو حرام والحكميون في جموع كثيرة تقدر بألف فارس وعشرة آلآف راجل . فساروا نحو القائد سرور الفاتكي الذي كان متولياً للمهجم . فلما علم بتجمعهم كاتب أهل زبيد يستنفرهم ، فحضر إليه جمع كبير منهم. والتقى الطرفان في المهجم فدارت بها معركة كبيرة بين الطرفين انتهت بقتل الكثير من الناس. وانتصار القائد سرور وهزيمة مفلح الفاتكي . وهروبه إلى جبال برع للتحصن بها.وظل يشن الغارات على المهجم إلى أن مات في حصن الكرش سنة529هـ/1135م[110] .

حل محل مفلح في مقاومة النجاحيين ابنه منصور فشن الغارات المتعددة على المهجم وتهامة . ولما طالت محاربة منصور لسرور الفاتكي الذي كان متولياً المهجم. خذله أصحابه وتركوا مناصرته وأنصرفوا عنه بسبب عدم تمكنه الاستمرار في صرف أعطياتهم. ولما أصبح في قلة من أصحابه أدرك أنه غير قادر على محاربة النجاحيين فطلب الأمان من القائد سرور ومن الوزير إقبال ومن الأمير فاتك فقبلوا منحه الأمان بواسطة القائد سرور. ولما دخل زبيد حسب الأمان، غدر به

---

(108) عمارة : المفيد، ص: 221 - 222، ابن عبد المجيد: بهجة ، ص: 109 - 110؛ الوصابي: الاعتبار، ص: 59 الجندي: السلوك، 510/2، ابن الديبع: قرة، ص: 355، يحيى بن الحسين: غاية، ص: 291، حسن سليمان: تاريخ اليمن، ص: 168 - 169 .

(109) عمارة : المفيد ، ص: 222 ، ابن عبد المجيد : بهجة . ص: 110 ، الوصابي : الاعتبار ، ص: 59 ، الخزرجي : العسجد ، ص: 123 ، ابن الديبع : قرة . ص: 355 .

(110) عمارة : المفيد ، ص: 225 ، ابن عبد المجيد : بهجة . ص: 110 ، الوصابي : الاعتبار ، ص: 59 ، الجندي : السلوك ، 2/ 510 - 511 ، الخزرجي : العسجد . ص: 123 ، ابن الديبع : قرة ، ص: 355 ، بغية ، ص: 70 ، يحيى بن الحسين : غاية ، ص: 292 .

الوزير إقبال فقتله [111] .

وزارة إقبال الفاتكي 527 - 531 هـ .

بعد أن هرب الوزير مفلح الفاتكي إلى جبال برع. تولى الوزارة للأمير النجاحي فاتك بن منصور قائده إقبال الفاتكي سنة 527 هـ/ 1133م . وكان إقبال من فرقة الاستاذين الفحول الذين تربوا في قصر الحرة علم . وبالرغم من تلك التربية . إلا أنه لم يسلك طريق الصواب في سياسته . فقد ارتكب خطأين كبيرين أحدهما قتل منصور . والآخر قتل مولاه الأمير ، نوردهما في الآتي .

1 - الخطأ الأول :

لما منح لمنصور بن مفلح الأمان قدم إلى القائد سرور إلى المهجم فرافقه إلى زبيد . ولما وصل إليها استقبله الوزير إقبال وخلع عليه وأنزله دار أبيه . وما كادت تمض يوم واحد على سكن منصور في دار أبيه حتى أسرع إليه الوزير إقبال فغدر به وألقى القبض عليه وأخذه إلى داره ثم قتله ليلا بيديه [112] .

2 - الخطأ الثاني :

أثار ذلك القتل غضب الأمير النجاحي فاتك وقائده سرور فحاول الأمير قتل الوزير إقبال، ولكنه أبقاه خوفا من عصيان الجند منتظراً أن تحين له الفرصة لقتله . ومن جهة الوزير إقبال فقد قدم الإعتذار والتلطف لمولاه الأمير فاتك [113] . ومع ذلك فقد ظل حذراً لم يأمن على نفسه منه . لذلك أقدم على السبق في تدبير مؤامرة ضد مولاه الأمير. فبعث رسولاً من عنده إلى التاجر حميد بن أسعد يطلب منه سماً. فلما اشترى له السم ، عمل على التلطف للأمير فاتك حتى سقاه السم فمات في شعبان سنة 531 هـ / إبريل 1137 م [114] . دون أن يكون له عقب. فاتفق رأى أعيان

---

(111) عمارة : المفيد ، ص: 122 ، الجندي : السلوك ، 2/ 511 ، الخزرجي: العسجد ، ص: 123 ، ابن الديبع : قرة ، ص: 355 - 356 .

(112) عمارة : المفيد ، ص: 222 ، الوصابي : الاعتبار ، ص: 59 ، ابن عبد المجيد : بهجة ، ص: 111 ، الجندي: السلوك ، 2/ 511 ، الخزرجي: العسجد ، ص: 123 ، ابن الديبع : قرة ، ص: 356 ، بغية ، ص: 71 ، حسن سليمان : تاريخ اليمن ، ص: 169 .

(113) الجندي : السلوك ،2/ 511 ، الخزرجي : العسجد ، ص: 123 .

(114) عمارة : المفيد ، ص: 222 ، ابن عبد المجيد : بهجة ، ص: 111 ، الوصابي : الاعتبار ، ص: 59 ، الجندي : السلوك ، 2/ 511 ، ابن الديبع : قرة ، ص: 356 ، الخزرجي : العسجد، ص: 123 - 124 =

الدولة على اختيار ابن عم له اسمه فاتك بن محمد بن فاتك بن جياش [115] وبالنسبة للوزير إقبال فبعد قتله لمولاه لم يستقم له الأمر فقد عُزل ثم قُتل في نفس السنة التي قتل فيها مولاه . وتولى الوزارة القائد سرور الفاتكي .

وزارة سرور الفاتكي 531 - 552 هـ .

كان سرور الفاتكي من أهم وزراء الأمراء النجاحيين وآخرهم. ونسرد هنا قصته منذ جلبه من الحبشة صغيراً حتى وصوله إلى تولي الوزارة في زبيد كنموذج لما وصل إليه المماليك العبيد آنذاك .

فهو ينتسب إلى القبيلة الحبشية المسمى (أمحرة) [116] أو (أمهريا) [117] .. وكان من ضمن الوصفان الذين أشترتهم الحرة علم من الحبشة صغاراً ليعملوا في قصرها . فتربى في حجرها تربية خاصة [118] . وضم إلى فرقة الأستاذين الفحول [119] . ولما شب وأصبح ماهراً في عمله ولته الحرة علم زمام المماليك (وصرفت إليه الرئاسة على كل من في القصر) [120] . فوفق في عمله هذا وحالفه النجاح فولته الحرة علم (العرافة) على طائفة من الجند فعاملهم معاملة طيبة اتصفت بالإحسان عليهم والصفح عن مسيئهم حتى أطاعوه [121] .

= 124 ، حسن سليمان : تاريخ اليمن ، ص: 169 ، عند حسن سليمان أنه قتل سنة 530 هـ .

(115) الجندي : السلوك ، 2/ 511 .

(116) الجندي : السلوك ، 2/ 511 ، ابن عبد المجيد : بهجة ، ص: 113 ،ابن الديبع: قرة ، ص: 356 .

(117) رياض : دولة الحبشة ، ص: 115 .

(118) عمارة : المفيد ، ص: 224 - 225 ، ابن عبد المجيد : بهجة ، ص: 113 ، الوصابي : الاعبار ، ص: 60 الجندي : السلوك ، 511/2 ، الخزرجي : العسجد ، ص: 124 ، ابن الديبع : قرة ، ص: 356 ، بغية ص: 70.

(119) الجندي : السلوك ،2/ 511 .

(120) عمارة : المفيد ، ص: 225 ، ابن عبد المجيد : بهجة ، ص: 113 ، الوصابي : الاعتبار ، ص: 60 ، الجندي : السلوك ، 2/ 511 ، الخزرجي : العسجد ، ص: 124 ، ابن الديبع : قرة ، ص: 356 ، حسن سليمان ، ص: 169 .

(121) عمارة : المفيد ، ص: 225 ، ابن عبد المجيد : بهجة ، ص: 113 ، الوصابي : الاعتبار ، ص: 60 ، الجندي : السلوك ، 511/2 ، الخزرجي : العسجد، ص: 124 ، ابن الديبع : بغية ، ص: 70 - 71 .

ثم ترقت به الحال إلى أن تولى (الخطابة) وهي (الترسل) بين الوزراء والسلطان [122] . أدى ذلك إلى الاستغناء عن موظفي الزمام الذين كانوا يقومون بهذا العمل [123] . وكان الناظر (الشيخ صواب) آنذاك متولياً لزمام الدار يميل إلى العبادة والتدين . لم يحاول منافسة سرور في القيام بهذا العمل[124] . فتركه يسيطر على عمله . ولما تولى مفلح الفاتكي الوزارة تولى سرور الفاتكي المهجم. فدخلا في صراع معه . كما دخل في صراع مع الوزير إقبال الفاتكي. خلاله تمكن سرور من إخراج الوزير إقبال عن الوزارة وتولي مكانه [125] .

أهم أعمال سرور الحربية :

من أهم أعمال القائد سرور قبل توليه الوزارة أنه استعاد ملك مولاه فاتك بن منصور ومربيته الحرة علم . وكان ذلك عندما قام الوزير مفلح بالذهاب إلى عدن لمحاربة الزريعيين خرج معه سرور الفاتكي . فلما ساروا على بعد ليلة أو نصف مرحلة عن زبيد هجم عليها محمد بن فاتك بن جياش واستولى على دار الإمارة وسيطر على السلطة بها . فأقبل الناس على تهنئته بذلك وسرعان ما وصل الخبر إلى القائد سرور الذي كان في مؤخرة الجيش فعاد سريعا نحو زبيد . ثم تسلل من السور ودخل قصر مولاته من الخلف ليلا . ثم قام بإلباس مائة جارية وخمسين استاذ لزي الجنود وإعطائهم السلاح والدروع . ثم فتح طيقان القصر وأمرهم أن يصيحوا الجميع صيحة واحدة عظيمة بعبارة (فاتك بن منصور) ففعلوا ذلك وكان محمد بن فاتك جالساً على السرير تحت طيقان الدار فهاله ذلك الصوت. فالتفت إلى أعلى في إتجاه الصوت . فإذا بحجر يقع عليه من القائد سرور أضر بأنفه . فاعتقد بوجود جيش كبير داخل القصر فخاف على نفسه وهرب مع

---

(122) عمارة : المفيد ، ص: 225 ، ابن عبد المجيد : بهجة ، ص: 113 ، الخزرجي : العسجد، ص: 124 ، ابن الديبع : قرة ، ص: 356 ، بغية ، ص: 71 ، حسن سليمان ، ص: 169 .

(123) عمارة : المفيد ، ص: 225 ، الوصابي : الاعتبار ، ص:60 ، الجندي : السلوك ، 2/ 511 — 512 ، الخزرجي : العسجد ، ص: 124 ، ابن الديبع : قرة ، ص: 356 ، بغية ، ص: 71 ، الزمام وظيفة أكبر من الخطابة .

(124) عمارة : المفيد ، ص: 225 ، الوصابي : الاعتبار ، ص: 60 ، الجندي : السلوك ، 2/ 512 ، الخزرجي: العسجد ، ص: 124 ، ابن الديبع : بغية ، ص: 71 .

(125) الجندي : السلوك ، 2/ 512 ، الخزرجي : العسجد ، ص: 124 ، ابن الديبع : بغية ، ص: 71 .

أصحابه ليلا من زبيد [126] . وبتلك الحيلة تمكن سرور من إعادة سلطة مولاه على زبيد.

بعد أن تمكن القائد سرور الفاتكي من هزيمة مفلح الفاتكي ومن معه في المهجم . تضاعف حظه وارتفع شأنه لدى الصديق والعدو وهابه كثير من الناس [127] . أما الأمير النجاحي فاتك بن منصور فقد أرسل إليه تقليدا على أعمال المهجم التي كانت آنذاك كرسي ملك [128] . وما يتبعها من الأعمال وهي مور والواديين . فاستقر بها [129] .

وخلال ولاية سرور الفاتكي للمهجم ظل الصراع مستمراً بينه وبين عربها من المشاعلة وبني عمران وبني زعل . كما استمر صراعه مع الحكميين وأميرهم الشريف غانم بن يحيى الحسني وكان الانتصار في معظمه لصالح سرور [130] . وعندما تولى القائد سرور الفاتكي الوزارة سنة 531 هـ/ 1136م . تغيرت العلاقة فيما بين الطرفين . فقد أرسل الشريف غانم بن يحيى السليماني رسولا إلى الوزير سرور الفاتكي هو وزيره الشيخ مسلم بن يشجب يطلب منه عقد هدنة فيما بينهما فتمت الهدنة [131] . كذلك انتهت علاقة الحرب بينه وبين قبائل تلك المنطقة .

أهم أعمال سرور بعد توليه الوزارة:

عندما تولى سرور الفاتكي الوزارة كان يقيم سنوياً في زبيد عشرة أشهر من ذي القعدة حتى شعبان . ثم يتوجه إلى المهجم ويقيم بها شهرين هما شهر رمضان وشوال . وذلك بهدف القيام بإصلاح أعمال تلك المنطقة . يتضح من ذلك أن سرورا ظل محتفظاً بولايته للمهجم بعد توليه الوزارة . فكان يذهب إليها سنوياً . وخلال إقامة الوزير سرور في المهجم كان يقيم فيها مطبخا طيلة شهر رمضان ، يدعو جميع الناس للحضور إليه . وكانت صرفياته لهذا المطبخ تبلغ ألف دينار يومياً [132] .

---

(126) عمارة : المفيد ، ص: 226 ، ابن عبد المجيد : بهجة ، ص: 114 ـ 115 ، الوصابي : الاعتبار ، ص: 60 ، الخزرجي : العسجد ، ص: 125 ، ابن الديبع : قرة ، ص: 356 ـ 357 .

(127) عمارة : المفيد ، ص: 225 ، الخزرجي: العسجد ، ص: 124 ـ 125 .

(128) عمارة : المفيد ، ص: 226 ، ابن عبد المجيد : بهجة ، ص: 115 .

(129) عمارة : المفيد ، ص: 222 ، ابن عبد المجيد : بهجة ، ص: 110 .

(130) عمارة : المفيد ، ص: 226 ، الخزرجي : العسجد ، ص: 124 ـ 125 .

(131) عمارة : المفيد ، ص: 223 ، ابن عبد المجيد : بهجة ، ص: 112 .

(132) عمارة : المفيد ، ص: 226 ، ابن عبد المجيد : بهجة، ص: 115 ، الوصابي: الاعتبار ، ص: 61 ، =

استقباله في زبيد :

وعندما يعود الوزير سرور من المهجم إلى زبيد كان الناس بجميع طبقاتهم يخرجون لاستقباله . فيصتفون على تل عال مرتبين على حسب طبقاتهم : فأول ما يصافح طائفة الفقهاء المالكية والحنفية والشافعية . وكان يسلم عليهم وهو مترجل ولا يترجل لغيرهم إكراماً وتبجيلا لهم . ثم يصافح التجار ، ثم العساكر ، ثم من حضر من الأفراد . أما بقية الناس الذين لا يستطيعون الخروج لاستقباله فقد كانوا ينتظرونه أمام مسجده ليستقبلوه ويصافحوه . ويعني ذلك أن الوزير سرور كسب عطف واحترام كثير من الناس . بعد ذلك يتجه الوزير سرور إلى أداء فرضة السلام على مولاه السلطان فاتك بن محمد ثم يتجه إلى مصافحة مولاته الحرة علم وكان سرور يخبرها بخطته السياسيه لسنته (من ولاية وعزل وإتمام وقتل) وغيره ثم يتجه بعد ذلك الى مسجده لاداء صلاة الظهر [133] . وهذا الاستقبال يعبر عن كيفية إجراء المراسيم لرجال الدولة آنذاك .

صرف الأموال في عهده :

اتسعت صرفيات الوزير سرور ، فشملت جميع الطبقات وكانت لهم أعطيات أو صدقات أو هدايا أو صلات أو غيره . فمن الصدقات كان يصرف للفقهاء والقضاء والمتصدرين في الحديث والنحو واللغة وعلم الكلام والفروع مبلغ اثني عشر ألف دينار سنوياً . ومن الصلات كان يمنح العساكر أموالا كثيراً خارجة عن إعطياتهم . أما الهدايا فقد كانت تدفع (في كل سنة برسم حواشي السلطان من الجهات والازمة , ووصفان الخاص عشرون ألف دينار) وهي بمثابة (هدية وصلة خارجاً عن أرزاقهم المستقرة) وبالنسبة للأموال المنقولة من المهجم والواديين . فقد كان سرور يحمل منها إلى بيت مولاه السلطان في كل سنة ستون ألف دينار . ويحمل إلى بيت مولاته الحرة علم وحواشيها خمسة عشر ألف دينار سنوياً [134] .

= الجندي : السلوك ، 2/ 513 ، الخزرجي: العسجد ، ص: 125 ـ 126 ، ابن الديبع : قرة ، ص: 357 ، بغية ، ص: 72 ، الحريري : معالم ، ص: 73 .

(133) عمارة : المفيد ، ص: 226 ، ابن عبد المجيد . بهجة ، ص: 115 ، الوصابي: الاعتبار ، ص: 61 ، الجندي: السلوك ، 2/ 513 ، الخزرجي : العسجد ، ص: 126 ، ابن الديبع: قرة ، ص: 357 ، بغية ، ص: 72 ، الحريري : معالم ، ص: 74 .

(134) عمارة : المفيد ، ص: 227 ـ 228 ، ابن عبد المجيد : بهجة ، ص: 116 ـ 117 ، الوصابي: الاعتبار =

أعماله اليومية :

نورد هنا بعضا من أعمال الوزير سرور اليومية كما أوردها عمارة كمثال لما كـان يعملـه الحكام آنذاك . فقد كان كثيراً ما يخرج إلى مسجده وهو على باب داره بعد منتصف الليل أو ثلثه . وذلك كما قال :(أنا أخرج في هذا الوقت لعل أحدا من أهل البيوتات وأربـاب السـتر لا يقـدر على الوصول إلى عندي بالنهار أما لكثرة الناس أو لفرط الحياة) وإذا صلى الصبح اتجـه (إمـا إلى فقيه يزوره أو مريض يعوده أو صحبة ميت يحضره . أو وليمة أو عقد نكاح وما يخص بذلك أكابر الجند والعلماء والتجار دون أصاغرهم بل من دعاه أجابه ... ثم يعود بعد ركوبـه بـالغداة فيسـلم على السلطان ويشتغل بتدبير أمور العسكرية إلى وقت الغدا) فيعود إلى داره ويتناول الغـدا (ثـم يخرج إلى المسجد في زوال الظل ولا يشتغل بشيئ سوى المسندات الصحيحة عن رسول الله صلى اللـه عليه وآله وسلم إلى صلاة العصر ثم يدخل داره ويخرج قبل المغرب إلى المسجد . فـإذا صلـى المغرب تناظر الفقهاء بين يديه إلى العشاء الآخرة وربما يطيل المنـاظرة في بعـض الليـالي) . اسـتمر على هذه الحالة من سنة 529هـ/1134م إلى أن قتل سنة 551 هـ/1156م .[135] .

معاملته:

تعامل الوزير سرور مع الرعايا بمعاملة حسنة فكـان إذا حضـر إليـه المتظلـم مـن الرعايـا . وجفا عليه وأفحش له بالقول لم يعاقبه ولم يغضب عليه . كما كـان يسـاوي بـين المتخـاصمين ولـو كان حاكما . حيث كان يدعو الحاكم للحضور لمقابلة خصمه دون أن يقبل منه التوكيـل . وكـان يأمره بالقعود بين يدي الحاكم تواضعاً وامتثالا لأوامر الشرع [136] . ويعني ذلك أنـه كـان ينصـف الرعايا من الحكام .

= ص: 61 - 62 ، الجندي : السلوك ، 2/ 514 ، ابن الديبع : قرة ، ص: 357 ، بغية ، ص: 72 - 73 ، الحريري: معالم ، ص: 74 - 75 ، الحداد : تاريخ اليمن ، ص: 288 .

(135) عمارة : المفيد ، ص: 228 ، ابن عبد المجيد : بهجة ، ص: 117 - 118 ، الوصـابي: الاعتبـار، ص: 62 ، الجندي : السلوك، 2/ 512 - 513 ، ابن الديبـع : قـرة ، ص: 357 ، بغيـة ، ص: 71 ، الحـداد : تـاريخ اليمن ، ص: 289 .

(136) عمارة : المفيد ، ص: 228 ، الخزرجي : العسـجد ، ص: 127 ، ابن الديبع : قـرة ، ص: 357 ، الحـداد: تاريخ اليمـن ، ص: 289 .

وعلى الرغم من اتصاف الوزير سرور الفاتكي بالشجاعة والإقدام ومعاملته الطيبة لكثير من الناس. إلا أن حياته انتهت بالقتل من قبل علي بن مهدي الثائر على الدولة النجاحية عن طريق إرساله أحد رجاله المسمى محرم . والذي ظل يترصد للوزير سرور حتى تمكن من قتله يوم الجمعة 12/ شهر رجب سنة 551هـ أغسطس1156م.أثناء تأديته صلاة العصر في مسجده في زبيد (137).

الدولة النجاحية بعد قتل الوزير سرور :

بعد قتل الوزير سرور الفاتكي لم تلبث الدولة النجاحية بعده غير فترة قصيرة.فقد تصارع القواد وأعيان الدولة وتنافسوا على شغل الوظيفة التي كان يشغلها.وهي الوزارة.أدى ذلك إلى ترك تدبير الملك للدولة النجاحية.وقتل الأمير النجاحي فاتك بن محمد فأتاح ذلك فرصة للثأر علي بن مهدي أن يتمكن من القضاء عليهم جميعاً والسيطرة على زبيد سنة 554هـ/1159م (138) . وبذلك انتهت الدولة النجاحية .

خاتمة:

مما سبق يتضح لنا أن قيام الدولة النجاحية كان معاصراً لقيام الدولة الصليحية في اليمن إلاّ أن الدولة النجاحية كانت وريثة الدولة الزيادية مذهبياً وسياسيا فكان قيامها أسهل من قيام الدولة الصليحية التي اعتمد قيامها على القوة .

وعلى الرغم من أن الدولة النجاحية كانت ممثلة للخلافة العباسية وأن سيطرتها يجب أن تمتد على اليمن كله. إلاّ أن الصليحيين تمكنوا من إزاحة نفوذهم عن معظم مناطق اليمن. وذلك بسبب ضعف الخلافة العباسية التي لم تتمكن من صد الفاطميين عن السيطرة على مصر والشام. ونتيجة لذلك لم تتمكن الخلافة العباسية تقديم المساعدة لأنصارها النجاحيين في اليمن. كما أن النجاحيين كانوا آنذاك يمرون بضعف في حين أن الصليحيين ظهروا كقوة جديدة في اليمن معلنين إنتمائهم إلى الخلافة الفاطمية التي كانت آنذاك في عز سطوتها ونشاطها وتوسعها.

وعلى أية حال فإن النجاحيين تمكنوا من الإحتفاظ بسلطانهم على تهامة اليمن وعاصمتها

---

(137) عمارة : المفيد ، ص: 228 - 229 ، ابن عبد المجيد : بهجة ، ص: 118 ، الخزرجي : العسجد ، ص: 127 ، ابن الديبع : قرة ، ص. 357 ، حسن سليمان : تاريخ اليمن ، ص: 170 ، الحداد : تاريخ اليمن ، ص: 289 .

(138) عمارة : المفيد ، ص: 229 ، الجندي : السلوك ، 2/ 515 .

زبيد وظلت هذه المنطقة تحت نفوذهم رغم محاولة الصليحيين العمل على إزاحتهم عنها.

وقد تميزت فترة حكم الدولة النجاحية لتهامة اليمن آنذاك بالصراع المستمر مع الدولة الصليحية حول حكم تهامة أو محاولة كل طرف إنهاء خصمه أو التوسع في المناطق الأخرى. فظل الصراع طيلة فترة بقاء الدولتين في اليمن. حيث كان الصليحيون تارة يتمكنون من إنهاء الدولة النجاحية عن تهامة وتارة أخرى يتمكن النجاحيون من استعادة سلطانهم عليها. وظل ذلك الحال إلى أن تمكن جياش من استعادة تهامة في نهاية عهد المكرم. وظلت بعد ذلك الدولة النجاحية مستمرة في تهامة اليمن. وعلى أية حال فإن تهامة ظلت في معظم فترات الصراع مع الصليحيين تحت سيطرة النجاحيين .

وعن نوع حكم الدولة النجاحية في تهامة اليمن فقد تميزت بفترتين مختلفتين عن بعضهما البعض. فالفترة الأولى سيطر فيها الأمراء على مقاليد الحكم في عهد كل من نجاح وولديه سعيد الأحول وجياش. وفي الفترة الثانية سيطر فيها الوزراء على مقاليد الحكم في عهد أولاد جياش وذلك لتولي الإمراء الإمارة وهم أطفال. واستمرت هذه الفترة حتى نهاية الدولة النجاحية. ومن الملاحظ في فترة سيطرة الوزراء، أن حياة الأمراء والوزراء انتهت بالقتل. وذلك لانعدام الثقة بين الطرفين وتنافسهم حول السيطرة على مقاليد حكم الدولة النجاحية. ونتيجة لذلك التنافس حول السلطة ضعفت الدولة النجاحية فتمكن بنو مهدي من القضاء عليها .

الفصل السابع

دولة بني مهدي في تهامة اليمن

مقدمة:

في بداية العقد الثالث من القرن السادس الهجري ظهر أحد النساك المتعبدين المسمى علي بن مهدي الحميري، يدعو أهل تهامة والمناطق المجاورة لها إلى تغيير الكثير من المفاهيم الدينية التي سادت آنذاك. كما يدعوهم إلى عدم مصاحبة رجال السلطة باعتبارهم ظلمة وغير ملتزمين بالدين. ويحرض أتباعه على مقاومتهم. فاستجاب لدعوته الكثير من الناس من أهل تهامة وأهل الجبال. ومن أجل استمرار مقاومة حكام تهامة فقد اتخذ من الجبال المجاورة لزبيد مركزاً لشن غاراته المتعددة على تهامة وزبيد. وظل يشن الحملات المتتالية عليهما حتى تمكن من إسقاط الدولة النجاحية في منتصف القرن السادس الهجري. ثم توسع أبناؤه في كثير من مناطق اليمن. ويمكن تقسيم قيام دولة بني مهدي في تهامة اليمن إلى ثلاث مراحل. المرحلة الأولى: مرحلة المسالمة. والمرحلة الثانية: مرحلة الحرب حتى قيام دولتهم. والمرحلة الثالثة: مرحلة التوسع في مناطق اليمن الأخرى، نوضح ذلك بالآتي:

المرحلة الأولى: مرحلة المسالمة

تشمل هذه المرحلة منذ بدء علي بن مهدي نشاطه الديني بالتمسك الشديد بالدين. واستمراره في الذهاب إلى الحج سنوياً، ومحاولة التنقل من قرية إلى أخرى في ساحل زبيد لدعوة الناس إلى مفاهيمه الدينية، ثم مبايعتهم له البيعة الأولى ومحاولته محاربة الدولة النجاحية. ثم عودته إلى زراعة أرضه ومصالحة الحرة علمْ على عدم الحرب وهي كالآتي:

ينتسب علي بن مهدي بن محمد إلى رعين من حمير. بدأ حياته بالمواظبة على التدين والتزود بالعلوم الدينية. لأن أباه كان (رجلاً صالحاً سليم الصدر) متديناً بعيداً عن مخالطة الحكام. فنشأ علي بن مهدي على طريقة أبيه في العزلة والتمسك بالعبادة والصلاح. أدى ذلك إلى ميله إلى اتباع نهج الصوفية. وكان يسكن قرية (العنبرة) في أسفل وادي زبيد على مقربة من سفح البحر[1].

---

(1) عمارة: المفيد. ص:229؛ ابن عبدالمجيد. بهجة. ص:118 ـ 119. الحمزي: كنز؛ ص:89؛ الوصابي: الاعتبار، ص:105. الخزرجي: العسجد. ص:129. ابن الديبع: قرة. ص:360؛ بغية؛ ص:75؛ الجندي: =

صفاته:

وعن صفات علي بن مهدي الجسمية فقد (كان رجلاً أخضر اللون صبيحاً)[2] (مخروط الجسم)[3]. أما عن صفاته العلمية فإنه نظراً لقرب العنبرة من مدينة زبيد التي كانت آنذاك مدينة العلم. فلايستبعد أن يكون علي بن مهدي قد رحل إليها كما فعل عمارة. وتعلم بها. فضلاً عن تعلمه على يد والده وأهل بلدته، علوم الدين واللغة حتى صار (فصيحاً حسن الصوت طيب النغمة حلو الإيراد غزير المحفوظات). لذلك عمل علي بن مهدي بالخطابة. كما عمل (بالوعظ والتفسير). وشرح طريقته الصوفية. فأقام بذلك أتم القيام[4].

ونتيجة لتلك الصفة العلمية ومقدرته على الإقناع. فقد تمكن من أن يجذب إليه الكثير من الناس من أهل تهامة أو المناطق المجاورة لها من أهل الجبال مثل وصاب وريمة وغيرهما. فزودهم بالكثير من المعارف الدينية.

ونظراً لغزارة علمه وقلة المعرفة الدينية والعلمية للناس في تلك المناطق آنذاك. اعتقدوا أنه (كان يتحدث بشيء من أحوال المستقبلات) وأنه يَحْدُث كما يقول. لذلك صدق أقواله الكثير من الأفراد. فازداد عدد من استمال قلوبهم إليه[5].

بدء نشاطه:

بدأ نشاط علي بن مهدي الديني (بساحل زبيد بقرى العنبرة وواسط، والقضيب، والأهواب، والمقتفي وساحل القارة) منذ سنة 531هـ / 1136م. وكان ينتقل في البوادي بين هذه

= السلوك، 2/515 - 516، يحي بن الحسين: غاية، ص:299، الجرافي: المقتطف، ص:75، المطاع: تاريخ اليمن، ص:315، حسن سليمان، ص:237 - 238، الحداد: تاريخ اليمن، ص:341.

(2) ابن عبدالمجيد: بهجة، ص:118، الجندي: السلوك، 2/516، الخزرجي: العسجد، ص:129، الحريري: معالم، ص:75، الحداد: تاريخ اليمن، ص:341.

(3) ابن عبدالمجيد: بهجة، ص:118، الحريري: معالم، ص:75، الحداد: تاريخ اليمن، ص:341.

(4) عمارة: المفيد، ص:229، ابن عبدالمجيد: بهجة، ص:118 - 119، الوصابي: الاعتبار، ص:105، الجندي: السلوك، 2/516، الخزرجي: العسجد، ص:129، المطاع: تاريخ اليمن، ص:315، الحريري: معالم، ص:75، الحداد: تاريخ اليمن، ص:341 - 342.

(5) عمارة: المفيد، ص:229، ابن عبدالمجيد: بهجة، ص:119، الوصابي: الاعتبار، ص:105، الخزرجي: العسجد، ص:129، الجندي: السلوك، ص:2/516، يحي بن الحسين: غاية، ص:299 .

الأماكن يدعو الناس ويعظهم [6]. وخلال وعظه للناس كان يقول لهم: (أيها الناس دنا الوقت وأزف الأمر كأنكم بما أقول لكم وقد رأيتموه عياناً)[7].

طريقته:

أضاف علي بن مهدي الى التمسك بالعبادة والتصوف، المداومة المستمرة على الحج وزيارة قبر الرسول (ص). وذلك منذ سنة 531هـ /1136م حتى سنة 536هـ / 1141م. وأثناء ذهابه الى الحج كان يلتقي (بحجاج العراق ووعاظها) فيباحثهم في علومهم حتى تضلع من معارفهم [8]. لذلك ساهم حجاج العراق في تحويل علي بن مهدي من رجل متمسك بالدين والصلاح. الى داعية دينية. وهذه طريقة حجاج العراق في تحويل المتدينين الى دعاة سياسة، فمن المعروف أن أغلب الفرق الإسلامية إن لم نقل كلها ، كان منشأها من العراق.

بدء النشاط السياسي:

وعندما عاد علي بن مهدي إلى اليمن من الحج متأثراً بحجاج العراق عمل على بدء نشاطه السياسي الديني بطريقة سليمة فاعتزل الحكام (وأظهر الوعظ وإطلاق التحذير من صحبة) (الملوك وحواشيهم وأتباعهم) [9]. وكما يتضح أن ابن مهدي اعتبر الحكام ظلمة. ولذلك حذر الناس من صحبتهم واتباعهم حتى لا يصبحوا ظلمة مثلهم ويسود الظلم المجتمع كله. لذلك كان علي بن مهدي لا يريد الاقتراب من الحكام من أجل أن (لا يقبل الصدقة ولا الهدية) منهم [10].

---

(6) عمارة: المفيد، ص:229 - 230، ابن عبدالمجيد: بهجة، ص:119، الجندي: السلوك، 516/2 ، الخزرجي: العسجد ، ص:129، ابن الديبع: قرة، ص:360.

(7) عمارة: المفيد، ص:230، ابن عبدالمجيد: بهجة، ص:120، ابن الديبع: قرة، ص:360، الحداد: تاريخ اليمن، ص:342.

(8) عمارة: المفيد، ص:229، ابن عبدالمجيد: بهجة، ص:118، الوصابي: الاعتبار، ص:105، الجندي: السلوك، ص:516، المطاع: تاريخ اليمن، ص:315، الحداد: تاريخ اليمن، ص:341، عصام الفقي: اليمن، 198.

(9) عمارة: المفيد، ص:229، ابن عبدالمجيد: بهجة، ص:118، الوصابي: الاعتبار، ص:105، الجندي: السلوك، 516/2، ابن الديبع: قرة، ص: 360، الخزرجي: العسجد، ص:129.

(10) عمارة: المفيد، ص:229، ابن عبدالمجيد: بهجة، ص: 119، الجندي: السلوك، ص:516/2، الخزرجي: العسجد، ص:129، ابن الديبع: قرة، ص:360، الحريري: معالم، ص:78.

وعلى أية حال فإنه نتيجة لاتصاف علي بن مهدي بالصلاح والتعبد والتنسك واتباع طريقة الصوفية، واتصاف الحرة علم أم الأمير النجاحي فاتك بن منصور بالأعمال الخيرة. فقد أعفت (الخراج) عن أراضي علي بن مهدي وإخوته وأصهاره. وكل من يلوذ به من قريب أو صاحب. وذلك منذ سنة 536هـ/1141م. فاتسعت بهم الحال وأثروا وركبوا الخيل [11].

وما يتضح من عبارة اعفاء أرض علي بن مهدي من (الخراج) أن حكام الدولة النجاحية آنذاك جعلوا بعض أراضي اليمن أرضاً (خراجية) في حين أن أرض اليمن أرض عشرية وليست خراجية. ونتيجة لذلك أرادت الدولة النجاحية مهادنة علي بن مهدي باعفاء أرضه من (الخراج) حتى لا يثور عليهم. ويحرض الناس ضدهم مستغلاً أن أرض اليمن ليست خراجية. وعلى أية حال فإن هذا الاعفاء جذب الكثير من الناس للإنظمام إلى علي بن مهدي للإستفادة من إعفاء أراضيهم من الخراج.لذلك كسبوا الكثير من الأموال وأثروا.كما استفاد علي بن مهدي بزيادة عدد أتباعه.

ومهما يكن من أمر فقد اتسعت دعوة علي بن مهدي حتى وصلت الى الجبال المجاورة لتهامة ولما بدأت دعوته تأخذ الطابع المعادى للدولة النجاحية نزل اليه جماعة منهم وحالفوه على النصر [12].فبايعوه البيعة الأولى في منطقة (القضيب) في وادي زبيد سنة538هـ/1143م [13].فأعطت تلك البيعة علي بن مهدي دافعاً لأن يبدأ نشاطه الحربي. فخرج من تهامة نحو الجبال فجمع جمعاً كبيراً من مؤيديه بلغ عددهم أربعين ألف رجل. فسار بهم نحو مدينة الكدراء فالتقى بها بالقائد النجاحي إسحاق بن مرزوق السحرتي. فنشبت بها معركة كبيرة بين الطرفين في نفس سنة 538هـ /1143م. انتهت بهزيمة علي بن مهدي وقتل الكثير من انصاره. وكما يبدو أن السبب في هزيمة علي بن مهدي هو أن جيشه كان أغلبه من القبائل وهم غير مدربين التدريب العسكري الكافي للقتال. بينما كان جيش النجاحيين جيشاً نظامياً مدرباً على القتال. فضلاً عن عدم معرفة علي بن

---

(11) عمارة: المفيد، ص:230، ابن عبدالمجيد: بهجة، ص:119، الجندي: السلوك، 516/2، الخزرجي: العسجد، ص:129، ابن الديبع: قرة، ص:360، يحي بن الحسين. غاية، ص:299، حسن سليمان: تاريخ اليمن، ص:238؛ الحريري: معالم، ص.76.

(12) عمارة: المفيد، ص:230، الخزرجي: العسجد ، ص:129، الحداد: تاريخ اليمن، ص:342.

(13) الجندي: السلوك، ص·516/2، الخزرجي: العسجد، ص:129، ابن الديبع: قرة، ص:360.

مهدي للخطط العسكرية. ومن ذلك نلاحظ أن علي بن مهدي تحول من داعية دينية الى رجل عسكري وسياسي.

وما أن حلت الهزيمة بعلي بن مهدي حتى اتجه نحو الجبال ومكث بها الى سنة 541هـ/1146م. وآنذاك أدرك أنه غير قادر على مقاومة الدولة النجاحية، بسبب عدم توفر المال اللازم والمؤن له ولأنصاره. وعدم خبرتهم بالحرب. لذلك فضل المهادنة والاتجاه الى العمل بالزراعة لجمع الأموال. فطلب من الحرة علم أم الأمير فاتك النجاحي العفو عنه وعن أصحابه ومنحهم الأمان كما طلب منها السماح له بالعودة الى بلده لزراعتها وإعفائه من الخراج فوافقت الحرة علم على منح علي بن مهدي الأمان وإعفاء أرضه وأرض أنصاره من الخراج رغم معارضة الكثير من رجال دولتها وفقهاء عصرها لذلك [14]. وكما يتضح أن الحرة علم منحت ذلك الأمان والاعفاء لعلي بن مهدي وأنصاره شريطة عدم الخروج على دولتها.

وبعد عودة علي بن مهدي الى بلدته التزم بطاعة الحرة علم وعدم الخروج عليها، وظل يعمل في أرضه منذ سنة 541هـ/1146م. وهي معفية من الخرج حتى توفت الحرة علم سنة 545هـ/1150م. فتجمعت لديه الكثير من الأموال [15]. وعلى الرغم من عدم خروج علي بن مهدي على الحرة علم خلال تلك الفترة فقد استمر على صلة باتباعه يعلمهم الدين وينتقل من قرية الى أخرى يدعو الناس الى اتباع مذهبه.

المرحلة الثانية: مرحلة الحرب.

تعتبر هذه المرحلة من أهم مراحل علي بن مهدي لأنه تحول من دور الوعظ والتعبد والمسالمة الى دور الاستمرار في القتال ضد الدولة النجاحية فامتدت هذه الفترة لما يقرب من عشر

---

(14) عمارة: المفيد، ص:230، ابن عبدالمجيد: بهجة، ص:120، الوصابي: الاعتبار، ص:106، الجندي: السلوك، 516/2، ابن الديبع: قرة، ص:360 - 361، حسن سليمان، تاريخ اليمن، ص:239، المطاع: تاريخ اليمن، ص:325، الحداد: تاريخ اليمن، ص:342 - 343، عصام الفقي: اليمن، ص:198، الحريري: معالم، ص:76 - 78.

(15) عمارة: المفيد، ص:230، الجندي: السلوك، 517/2، الوصابي: الاعتبار، ص:106، الخزرجي: العسجد، ص:130، الحداد: تاريخ اليمن، ص:343.

سنين ابتدأت من سنة 545هـ/1150م. وانتهت بالقضاء على الدولة النجاحية وقيام دولة علي بن مهدي سنة 554هـ/1159م نوضحها بالآتي:

استغل علي بن مهدي موت الحرة علم أم الأمير النجاحي فاتك سنة 545هـ / 1150م. فأتاح ذلك فرصة التخلي عن تعهده نحوها بعدم الخروج عليها. واتجه الى محاربة الدولة النجاحية فبدأ ذلك سنة 547هـ / 1151م. عندما بايعه أنصاره المبايعة الثانية التي تمت أيضاً في منطقة (القضيب) في وادي زبيد. وكانت هذه البيعة تنص (على الجهاد بين يديه لأهل المنكر وهم الحبشة ومن عاضدهم من العرب وهم الأشاعر) وعك [16].

سبب ثورة علي بن مهدي:

تعددت أسباب ثورة علي بن مهدي أو محاربته الدولة النجاحية أو ما يطلق عليهم الحبشة ومن أهم تلك الأسباب ثلاثة عوامل هي العامل الديني والتأثر بحجاج العراق والوضع الاجتماعي لأهل علي بن مهدي نوضح ذلك بالآتي :

1 ـ العامل الديني: يعتبر العامل الديني من أهم العوامل التي حركت علي بن مهدي وأنصاره ضد الدولة النجاحية. فمن خلال مبايعة (القضيب) الثانية نجد أنها أوضحت هدفها المرتكز على جهاد أهل المنكر من رجال الدولة النجاحية ومن ناصرهم من الأشاعر وعك. وهذا يعني أن ثورة ابن مهدي وأنصاره كانت هدفها بالدرجة الأولى ديني وهو إزالة المنكر. وعلى الرغم من عدم توضيح ما هو المنكر. الا أن هذه العبارة دفعت الكثير من الناس الى مناصرة علي بن مهدي لذلك حاربوا الدولة النجاحية في تهامة حرباً شديداً من أجل اقامة الدين حسب مفهومهم وإقامة العدل. والواقع أن العامل الديني أكثر جذباً للناس فلا يخلون أن يجد له حجة في أي زمان ومكان.

2 ـ التأثر بحجاج العراق: ظل علي بن مهدي مداوماً على الحج سنوياً منذ سنة 531هـ/1137م وأثناء ذلك الحج كان يلتقي بحجاج العراق فيباحثهم في علومهم أدى ذلك الى تمكنه من معرفة علومهم والتضلع بها وكما هومعروف أن العراق كانت من أهم البلدان التي نشأت بها الفرق الاسلامية السياسية الدينية. وحجاج العراق كان معظمهم يحملون

---

(16) الخزرجي: العسجد، ص:130، ابن الديبع: قرة، ص:361، الحداد: تاريخ اليمن، ص:344.

أفكاراً سياسية مخالفة للعباسيين. لذلك تأثر علي بن مهـدي بأفكـارهم فتحـول مـن داعيـة دينية الى داعية سياسية. فحذر أصحابه من عدم مصاحبة رجال الدولة النجاحية في تهامـة وحواشيهم وأتباعهم كما حرض أنصاره علـى قتـالهم. ومـن الطبيعي أن يعتنـق علـي بـن مهدي أفكاراً دينية وسياسية مخالفة للدولة النجاحية من أجل القضاء عليهم.

3 ـ الوضع الاجتماعي لأهل علي بن مهدي: ومن أهم العوامل التي دفعت علـي بـن مهـدي وأنصاره على مقاومة الدولة النجاحية التمايز الطبقي المفروض من قبل الهيئة الحاكمة على المجتمع آنذاك فنتيجة للوضع الاجتماعي لأهـل علـي بـن مهـدي. مـن حيـث وضعهـم في أسفل السلم الطبقي للمجتمع واستحواذ رجال الدولة النجاحية على الكثير من المنـاصب والمميزات وتملك الأراضي وظلم الآخرين. حتى صار أهل علي بن مهدي طبقة مضطهدة تتولى المهن الصغيرة في المجتمع. أوضح ذلك عمارة بقولـه: (وكـان الرجـل مـن أصحـاب ابن مهدي يلقي أخاه وقريبه وهو مع الحبشة إما مزاع أو حمال أو راعي ماشـية أو حـارس ضيعة) [17]. لتلك الأسباب وغيرها أعلن علي بن مهدي وأنصاره مقاومة الدولة النجاحية في تهامة والثورة ضدهم فحاربوهم حرباً شديدة حتى انتصروا عليهم.

لم يستخدم علي بن مهـدي تهامـة منطلقـاً لهجماتـه نظـراً لعـدم توفـر الامكانـات القتاليـة اللازمة له المساوية لامكانات الدولـة النجاحيـة. ونظـراً لعـدم توفـر التحصينـات اللازمـة لحمايتـه وأنصاره بها لذلك استخدم علي بن مهدي المناطق الجبلية مركزاً لمقاومة الدولة النجاحيـة وذلـك من أجل استمرار المقاومة لفترة أطول ومن أجل تحقيق النصر. فاتجه أولاً نحو حصـن (الداشـر) ثـم أرتفع الى حصن (الشرف) وجعله مقراً له. وكان الحصـنان مركزيـن تـابعين لقبـائل خـولان الذيـن قدموا لمناصرة الصليحيين. ومن حصن (الشرف) هذا بدأ علي بن مهدي يشن غاراته المتعددة على النجاحيين.

تنظيم علي بن مهدي لأصحابه في الجبال:

وعن عملية تنظيم علي بن مهدي لأصحابه في الجبال. فإنه لما صعد اليها واستقر في حصن (الشرف) قسم أصحابه الى فرقتين: أحدهما فرقة الأنصار وهـم أهل الجبال وولى عليهم واليـاً اسمـه سبأ بن محمد أو ابن يوسـف. وأطلـق عليـه لقـب نقيـب لطائفـة الأنصـار. والفرقـة الأخـرى فرقـة

(17) عمارة. المفيد، ص:232.

المهاجرين وهم الذين قدموا معه من تهامة وولى عليهم والياً من العمرانيين اسمه التويني وأطلق عليه لقب نقيب لطائفة المهاجرين فضلاً عن أنه أطلق عليهما لقب شيخي الاسلام. كما جعل علي بن مهدي النقيبين هما الواسطة بينه وبين أتباعه. أي أنه لا يصل اليه أحد من الأتباع سواهما [18]. بذلك أحتجب عن الكثير من أتباعه. وذلك نظراً لكثرتهم.ويعلل عمارة أن السبب في ذلك هوسوء ظن علي بن مهدي وعدم ثقته بالكثير من أصحابه. وخوفاً على نفسه منهم [19]. ومن الطبيعي أن يخاف علي بن مهدي من التآمر عليه من قبل النجاحيين. لذلك شدد الحراسة على نفسه ولم يترك أحداً يدخل عليه إلاّ من يثق به.

وفي ذلك الوقت عمل علي بن مهدي على حث أنصاره على قتال النجاحيين فقال لهم: (فوالله العظيم على كل مؤمن موحد لأخد منكم بنات الحبشة وأخواتهم، ولأخولنكم أموالهم وأولادهم) [20]. وذلك يدل على كره علي بن مهدي للنجاحيين وعداوته لهم. وتحفيز أنصاره على قتالهم كما يدل على أن علي بن مهدي كان يريد جعل نساء وبنات وأخوات رجال الدولة النجاحية وأموالهم غنيمة لأنصاره. وهي تعني أنه أجاز استرقاق نساء أعدائه وإن كانوا مسلمين وهي فكرة غير إسلامية أن يسترق المسلم نساء المسلمين الآخرين.

بدء القتال:

لم يكد علي بن مهدي يستقر في الجبال بعد طلوعه اليها حتى عمل على شن الغارات تلو الغارات على المنخفظات أو السهول القريبة من الجبال المتحصن بها. فتمكن من تخريبها. وذلك رغم محاولة الدولة النجاحية إقامة المراكز والحاميات المتعددة؛ لمنع علي بن مهدي من التقدم، ومحاولة النجاحيين الاستمرار على عمل تبديل تلك الحاميات في المراكز بحاميات اخرى، الا أن

---

(18) عمارة: المفيد، ص: 231، ابن عبد المجيد: بهجة، ص: 120؛ الوصابي: الاعتبار، ص: 106، الحمزي: كنز، ص:89. الجندي: السلوك، 517/2 - 518. الخزرجي: العسجد. ص: 130-131، يحيى بن الحسين: غاية الأماني، 304/1 . المطاع: تاريخ اليمن. ص. 324. عصام الفقى: اليمن. ص· 199. الحداد. تاريخ اليمن، ص· 344 - 345.

(19) عمارة: المفيد، ص. 231. المطاع: تاريخ اليمن. ص 326.

(20) الجندي· السلوك، 517/2، الخزرجي. العسجد. ص. 130. ابن الديبع· قرة، ص: 361، الحداد: تاريخ اليمن، ص. 344. عصام الفقى: اليمن. ص 199.

ذلك لم يحقق للنجاحيين النصر أو منع انصار علي بن مهدي من التقدم نحو تهامة. فقد تمكنوا من تخريب الكثير من المناطق السهلية المجاورة للجبال.

وقد ساعد علي بن مهدي وأنصاره على الصمود وتحقيق الانتصار عدة عوامل أهمها طبيعة المنطقة التي تحصن بها. فهي منيعة ومن الصعوبة السيطرة عليها. فإذا أراد الانسان أن يصل الى حصن (الشرف) الذي هو مركز انطلاق هجمات علي بن مهدي مشى في وادي ضيق بين جبلين مسافة يوم كامل. واذا وصل الى أسفل الجبل احتاج نصف يوم الى طلوع أعلاه. واذا طلع ووصل اليه لم يكن قادراً على الحرب لأن وصوله الى أعلى الجبل لم يتحقق الا بعد أن يتعب وتنهك قواه.

بالاضافة الى ذلك فإن الوادي يتصل مسيله بتهامة وهو وادي متعرج به (أحراج) عظيمة مليئة بالأشجار (اذا كمنت فيه الجيوش العظيمة الجرارة شهراً لم يعلم بهم أحد) [21]. وهذه المنطقة جعلت الجيش النجاحي غير قادر على المجازفة بدخولها. فشكل صعوبة على تمكنهم من القضاء على علي بن مهدي.

لذلك استغل علي بن مهدي وأنصاره تلك الأحراج فكانت غزواته تغير على بعض أعمال تهامة ليلاً فتنهب وتحرق ما تجده أمامها. فإذا أدركها الفجر عادت وكمنت في تلك الحراج فلا يستطيع أن يصل اليهم أحد من الجيش النجاحي.

استمر علي بن مهدي يبعث الغارات الى سهل تهامة ليلاً ونهاراً. وامتدت غاراته الى أن شملت معظم تهامة المقابلة للجبال التي تحصن بها. حتى (أجلا جميع أهل البوادي وقطع الحرث والقوافل التجارية) [22]. وبطلت الأسفار وعمارة المدن في تهامة [23]. فأثر ذلك اقتصادياً على الدولة النجاحية وتجار زبيد وتهامة.ومن يتاجر اليها. أوضح ذلك عمارة بقوله: (فانقطع الناس عن السفر من زبيد الى عدن ومن عدن الى زبيد مدة ثلاث سنين فقضى ذلك برخص بضائع كل بلد

---

(21) عمارة: المفيد، ص: 231 ـ 232، ابن عبدالمجيد: بهجة، ص: 121، الوصابي: الاعتبار، ص: 106، الخزرجي: العسجد، ص: 131.

(22) عمارة: المفيد، ص: 232، ابن عبدالمجيد: بهجة، ص: 121 ـ 122، الوصابي: الاعتبار، ص: 106، ابن الديبع: قرة، ص: 361 - 362.

(23) الخزرجي: العسجد، ص: 131.

منهما وغلائها في البلد الآخر حتى صار ما يساوي دينار بربع دينـار وما يساوي ديناراً في البلد الآخر بأربعة دنانير) [24].

لم يكن عمل علي بن مهدي التخريبي قاصراً على الأعمال التجارية والزراعية بل شمل جميع الأشياء فقد (كان يأمر أصحابه أن يسوقوا الأنعام والرقيق وما عجز عن المسير عقروه) أرهب ذلك أهل تهامة جميعاً. ونشر فيهم الرعب وادي الى خراب معظم الأعمال في تهامة .

ولما رأى علي بن مهدي طول فترة حربه للنجاحيين حاول الاستعانة لقتالهم بحاكم عدن الداعي محمد بن سبأ بن أبي السعود الزريعي فذهب اليه علي بن مهدي سنة 549هـ/1154م الى ذي جبلة أثناء ما كان موجوداً بها. وطلب منه مساعدته لمحاربة أهل زبيد والدولة النجاحية. الا أن الداعي محمد بن سبأ رفض مساعدته [25]. يدل ذلك على أن طموح علي بن مهدي كان سياسياً. وعلى الرغم من العداوة المذهبية التي كانت قائمة بين الزريعيين الاسماعيلية والنجاحيين السنة التي استغلها علي بن مهدي لطلب مساعدته. الا أن الداعي رفض مساعدته لعدم وجود الثقة بينهما. وعدم تفضيل الداعي الدخول في صراع مع النجاحيين آنذاك. فضلاً عن تعارض مذهب علي بن مهدي مع الزريعيين [26] .

ولما فشل علي بن مهدي في الحصول على مساعدة من الزريعيين دبر حيلة للقضاء على رجالات الدولة النجاحية. فعمل على التآمر على قتل وزيرها وقائدها سرور الفاتكي. فأرسل إليه أحد رجاله والذي ظل يترصد الوزير ويكمن له حتى تمكن من قتله في صفر سنة 551هـ/مارس 1156م [27]. أثناء ما كان يؤدي صلاة العصر في مسجده في زبيد [28] .

أحدثت عمليـــة قتل القـــائد الوزير سرور الفاتكي اشتغـــال رؤساء أهل زبيد بالتنافس

---

(24) عمارة: النكت العصرية، ص: 26 ـ 27.

(25) عمار: المفيد، ص: 232، الخزرجي: العسجد، ص: 131.

(26) الحريرى: معاع، ص. 83.

(27) عمارة: المفيد، ص: 232، ابن عبدالمجيد· بهجة، ص: 121، الخزرجي: العسجد، ص: 134، . قرة، ص 364، أن سروراً قتل في رجب من نفس السنة.

(28) الحريرى· معاع، ص: 84.

والتحاسد على تولي الوزارة وقيادة الجيش بدلا عن سرور . مما أدى إلى محاربة بعضهم البعض وعدم تمكنهم من الاتجاه لصد هجمات علي بن مهدي . فساعد ذلك علي بن مهدي على التقدم لحرب النجاحيين، فنزل من حصن (الشرف) إلى حصن (الداشر) الذي كان يبعد أقل من نصف يوم مشياً على الأقدام من زبيد . سبب ذلك إلى نفور رعايا وعرب تهامة وهم الذين كانوا رعايا الدولة النجاحية وميلهم إلى علي بن مهدي خوفاً من شره [29]. فأثر ذلك على النجاحيين وقلل من محصولهم المالي. بينما أزداد المحصول المالي عند علي بن مهدي .

حصار زبيد :

ظل علي بن مهدي يشن الغارات المتعددة على مدينة زبيد ويفرض عليها الحصار حتى بلغ عدد غاراته عليها (اثنين وسبعين زحفاً) قتل فيها العديد من الأفراد من الطرفين ، وقد أصابت هذه الغارات أهل زبيد بالفزع والضر والجوع واشتد عليهم البلاء[30] . كما أدى ذلك إلى هروب الكثير من فقهاء زبيد الشافعية إلى عدن وإلى الجبال [31] .

ونتيجة لذلك حاول أهل زبيد الاستنجاد بالإمام الزيدي أحمد بن سليمان سنة 553 هـ/ 1158م. والذي صادف وجوده آنذاك في حصن (أشيح) وشرطوا له أن يملكوه عليهم. وفي مقابل مساعدته لهم طلب منهم قتل مولاهم فاتك بن محمد. لاتهامه بالخروج عن الدين. فقتلوه في أواخر سنة 553 هـ/1158م. وبعد ذلك حاول الإمام الاتجاه إلى مناصرتهم . ولكنه لم يتمكن من ذلك فتركهم وعاد إلى ذمار [32] .

والسبب في إحجام الامام عن مناصرة النجاحيين كما يوضح المطاع هو تحريض الشيخ جابر بن عبد الله الجنبي لأصحاب الإمام الاتجاه لأخذ أموال زبيد قبل محاربة علي بن مهدي حيث

---

(29) عمارة : المفيد ، ص: 232 ، الخزرجي : العسجد ، ص: 135 .

(30) عمارة : المفيد ، ص:233، ابن عبد المجيد : بهجة ، ص: 122 ، الوصابي: الاعتبار ، ص: 107 ، الخزرجي : العسجد ، ص: 135 ، ابن عبد المجيد : بهجة ، ص: 123، حسن سليمان : تاريخ اليمن ، ص: 240 ، المطاع : تاريخ اليمن ، ص: 340 ، ابن الديبع : قرة العيون ، ص: 363 ، عصام الفقي : اليمن ، ص: 198 - 199 .

(31) الجندي : السلوك ، ص: 518 .

(32) عمارة : المفيد ، ص:233 ، ابن عبد المجيد : بهجة ، ص: 122 - 123 ، الخزرجي: العسجد ، ص: =

قال لهم:(إن كنتم تريدون أموال أهل زبيد فدعوا ابن مهدي إلى أن تفرغوا من زبيد وهو لكم من بعد) . وكذلك تقاعس أصحاب الإمام من الاتجاه لمحاربة ابن مهدي بسبب حدوث خلاف بينهم وبين أهل زبيد. حدث ذلك عندما حاول الإمام الخروج إلى (رمع) للإتجاه لمحاربة ابن مهدي حيث تأخر بعض أصحابه في زبيد وتقاعدوا عن الخروج للحرب . فأغلق عليهم أهل مدينة زبيد الباب ولم يفتحوه إلا بعد مخاطبة الإمام لهم . ونتيجة لذلك تراجع الإمام عن مناصرة النجاحيين [33] .

ومهما يكن من أمر فقد ازدادت أمور زبيد أكثر تعقيداً بعد قتل أهلها لمولاهم. حيث أدى ذلك إلى عدم الاتفاق فيما بين رجال الدولة النجاحية حول تولي الإمارة. فضلا عن عدم إتفاقهم حول من يتولى قيادة الجيش والوزارة . فسبب ذلك عدم مقدرتهم مقاومة زحف علي بن مهدي على زبيد فأتاح ذلك فرصة لعلي بن مهدي أن يجهز جيشاً جراراً ويتجه به إلى زبيد. حيث تمكن من دخولها في 14 / شهر رجب سنة 554هـ/ يوليو 1159م . وبدخوله زبيد انتهت الدولة النجاحية وبدأ قيام دولة بني مهدي [34] .

مذهب علي بن مهدي:

واستكمالا لما سبق عرضه عن علي بن مهدي لابد لنا من التحدث عن مذهبه الديني. فقد جمع بين مذهب أهل السنة في الفروع ومذهب الخوارج في الأصول . فكان (حنفي الفروع) وفي الأصول أخذ عقيدة الخوارج وهي :(التكفير بالمعاصي والقتل بها وقتل من خالف اعتقاده من أهل القبلة واستباحة الوطء لسبايهم واسترقاق ذراريهم وجعل دارهم دار حرب يحكم فيه حكمه في أهل دار الحرب)[35] وهذه العقائد تشبه عقائد الخوارج [36]. ومن الطبيعي أن يميل علي بن

= 135 ابن الديبع:قرة، ص:363، المطاع:تاريخ اليمن، ص:340 - 343، الكبسي: اللطائف، ص:50 -51.

(33) المطاع : تاريخ اليمن ، ص: 341 - 343 .

(34) عمارة: المفيد، ص:223، ابن عبد المجيد: بهجة، ص:123،الحمزي:كنز، ص: 90 ، الجندي : السلوك ، 2/ 518. ابن الديبع: قرة، ص:364، يحيى بن الحسين:غاية، ص:309، الكبسي:اللطائف،ص:50، المطاع: تاريخ اليمن ، ص. 343 . الحداد : تاريخ اليمن ، ص: 346 ، الخزرجي : العسجد ، ص: 135 .

(35) عمارة : المفيد ، ص: 236 . ابن عبد المجيد : بهجة ، ص: 125 - 126 ، الوصابي : الاعتبار ، ص: 70 ، الجندي: السلوك .519/2 ، الخزرجي: العسجد ، ص: 141 ، ابن الديبع : قرة ، ص: 373 ، عصام الفقي: اليمن ، ص: 199 ، الحريري : معالم ، ص: 79 .

(36) الخزرجي. العسجد . ص. 141 .

مهدي إلى مذهب مغاير لمذاهب أعداءه في اليمن . وذلك من أجل جذب الكثير من الأنصار ممن ظلموا من أصحاب هذه المذاهب أو الطامعين في السلطة. ومن أجل تحقيق حلم علي بن مهدي الديني والسياسي .وذلك لعدم تحقيق هذه المذاهب ذلك الطموح الديني والسياسي الذي كان يحلم به علي بن مهدي وغيره من الناس . وكما هو واضح أن علي بن مهدي اتبع المذهب السني الحنفي في الأمور الدينية . أماما يخص الحرب والجهاد فقد أخذ فيه مذهب الخوارج .

وعن علاقة علي بن مهدي بأهل تهامة عندما بدأت الحرب من الجبال توضح المصادر أنه كان لا يثق بالمهاجرين إليه إلا إذا قتل أحد أقاربه مثل ابنه أو أمه أو أخته أو ولده [37] . وأوضح عمارة أن ذلك حدث في عهده فقد أقدم أحد أصدقائه على قتل والدته عندما أتت لزيارته [38]. وكما يتضح أن ذلك كان ناتجا عن عدم ثقته بأهل تهامة لمقاتلة الحبشة النجاحيين. لأن الكثير منهم كانوا مولدين من العرب والحبشة . وكذلك خوفاً على نفسه من التآمر عليه من قبل أعدائه. لذلك شدد في قبول الأفراد المنظمين إليه . وكما يبدو أن علي بن مهدي أوهم أنصاره بأن أباهم وأخوانهم وأقاربهم كفار يجب قتلهم أن لم يؤمنوا بعقيدة علي بن مهدي. ويتخلوا عن عقيدة أعدائه. وعلى كل فقد استخدم علي بن مهدي عدم الثقة بمن ينظم إليه في بداية دعوته فقط .

أما علاقة أصحاب علي بن مهدي به فقد أطاعوه طاعة عمياء وجعلوه في مصاف الأنبياء. فكان علي بن مهدي (إذا غضب على رجل من أكابرهم وأعيانهم حبس نفسه في الشمس ولم يطعم ولم يشرب ولم يصل إليه ولد ولا زوجة ولا يقدر أحد أن يشفع فيه حتى يرضى عنه ابتداء من نفسه) [39]. وكما يتضح أن علي بن مهدي استغل حب الناس للدين والتضحية في سبيله فألزمهم طاعته لتحقيق مطامعه السياسية عن طريق الدين. في حين أن الناس كانوا يعتقدون به إمتثالا وطاعة للدين نفسه . فصدقوه بكل ما يقول وأطاعوه. وبهذا العمل حقق علي بن مهدي الوصول إلى هدفه السياسي والديني معا في إسقاط الدولة النجاحية. وكما يتضح أيضاً أن علي بن مهدي استخدم الشدة في معاقبة من ينظم إليه لمعرفة من يستطيع أن يتحمل الصعاب معه ويصبر

---

(37) عمارة : المفيد ، ص: 236 ، ابن عبد المجيد : بهجة ، ص: 126 ، الجندي : السلوك ،519/2 .

(38) عمارة : المفيد ، ص: 236 .

(39) عمارة : المفيد ، ص: 236 ـ 237، ابن عبد المجيد : بهجة ، ص: 126 ، الجندي : السلوك ، 519/2 ، الحريري : معالم ، ص: 80 .

على المتاعب ابتداء من تدريبه على الوقوف بالشمس وانتهاء بالصمود في المقاتله ضد النجاحيين. وكما يتضح كذلك أن علي بن مهدي عمل ذلك من أجل أن يختبر أصحابه في طاعته وقوة تحملهم. إذ أنه من يستطيع أن يتحمل حرارة الشمس وعدم وصول ولده وزوجته إليه . يستطيع أن يصمد في المعركة القتالية . بذلك العمل تمكن علي بن مهدي من قيادة أتباعه إلى تحقيق النصر ضد أعدائه النجاحيين .

نظام علي بن مهدي العسكري:

في بداية تنظيم علي بن مهدي العسكري إبتدع نظاماً عسكرياً جديداً طبقه بين عساكره دون غيرهم من الناس. وذلك أنه ألزم كل واحد من أصحابه أن (يحمل ما تغزله زوجته وبناته إلى بيت المال ويكون علي بن مهدي هو الذي يكسو الواحد منهم ويكسو أهله من عنده . وليس لأحد من العسكرية فرس يملكه ولا يرتبطه في داره ولا عدة من سلاح ولا غيرها بل الخيل في اصطبله والسلاح في خزائنه فإذا عنّ له أمر دفع لهم من الخيل والعدة ما يحتاجون إليه)[40] .

وكما يتضح أن هذا النظام نشأ نتيجة عدم مقدرة علي بن مهدي الانفاق على أنصاره من حيث صرف الأعطيات والمؤن الغذائية وشراء أسلحة وغيره. فأوجد نظاماً تعاونياً يدفع كل فرد من أصحابه ما لديه من الأموال النقدية أو العينية . ويشرف علي بن مهدي على التصرف بها وتوزيعها كيفما يشاء. وهذا أشبه بنظام سيطرة الدولة أو الحاكم على كل شيء. أو ما يسمى بالنظام الإشتراكي. ولكن في نطاق الأشياء المسموح بها دينيا. والواقع أن دافع الناس الديني آنذاك جعلهم يتعاونون مع علي بن مهدي كثيراً . والهدف من ذلك هو نصرتهم للدين. وأن عملهم هذا مقدما لوجه الله. وأنهم سيكسبون الثواب من الله سبحانه وتعالى. وهذا هو الذي جعلهم يطبقون ذلك التعاون. وكما هو واضح أن علي بن مهدي طبق ذلك أثناء بقائه في الجبال يحارب النجاحيين. أما عندما وصل إلى السلطة وأقام دولته فقد ترك العمل بذلك النظام. إذ أنه أصبح لدولته موارد مالية ثابتة يدفعها الناس إليه سنوياً . وأصبح للجند مرتبات وليست له حاجة إلى التبرعات غير الثابتة التي كان يدفعها أصحابه إليه وانفاقها لمن يحتاجها من أصحابه.

---

(40) عمارة : المفيد ، ص: 237 ، ابن عبد المجيد . بهجة ، ص: 126 ، الخزرجي العسجد ، ص: 142 . الحريري : معالم . ص: 80 .

وإلى جانب فكرة سيطرة الحاكم على أموال انصاره وسلاحهم والأشراف على توزيعها في حكم علي بن مهدي. فقد كان علي بن مهدي نفسه متشددا في معاقبة عساكره في كثير من الحالات ومن الأمور التي تشدد بها كما وصفها عمارة بقوله:(ومن سيرته أن المنهزم من عسكره تضرب رقبته ولا سبيل إلى حياته) ومن سيرته أيضاً (قتل من شرب وقتل من سمع الغناء وقتل من زنا وقتل من تأخر عن صلاة الجماعة أو مجلس وعظه وهما يوم الخميس ويوم الأثنين وقتل من تأخر عن زيارة قبر أبيه وهذه الرسوم إنما هي على العسكرية) فقط (أما الرعايا فالأمر فيهم ألطف من العسكرية)[41] . ونحن نشك بأن علي بن مهدي كان يقتل أصحابه لهذه الأسباب ولكن ما نفهمه أنه كان يعاقب بشدة إلى درجة أنها توصف بالقتل .

على أية حال فإن هذه التعاليم المتشددة التي اتبعها علي بن مهدي في بداية إقامة دولته لم يستمر في تطبيقها. فقد ألغى العمل بها عندما وصل إلى السلطة أوضح ذلك عمارة بقوله :(وقد بلغني في هذا الوقت وهو سنة 563هـ/1168م أن الأمر قد هان مما كان عليه من هذه الشدة)[42] .

تولي مهدي بن علي :

بعد دخول علي بن مهدي زبيد وإقامة دولته لم تطل مدة حكمه. فقد مات في 6/ شوال في نفس السنة 554هـ/اكتوبر1159م . أي بعد أن حكم فيها شهرين وعدة أيام. فتولى السلطة بعده ابنه مهدي بن علي بن مهدي [43]. ومن الغريب في ذلك أن الظروف ساهمت في أن علي بن مهدي بن علي لم يمت إلا بعد أن أسس له دولة في تهامة اليمن .

المرحلة الثالثة: مرحلة التوسع في عهد مهدي بن علي:

وفي الوقت الذي تأسست فيه دولة بني مهدي في تهامة أسرع مهدي بن علي في الاتجاه إلى توسيع نطاق دولته في الاستيلاء على المناطق التابعة لدولة بني زريع. فجهز جيشاً كبيراً وخاض

---

(41) عمارة : المفيد ، ص: 237 ، ابن عبد المجيد . بهجة ، ص: 127 . الوصابي : الاعتبار ، ص: 107 ، الخزرجي: العسجد ، ص: 142 . حسن سليمان : تاريخ اليمن . ص: 241 ، الحريري : معالم، ص:79.

(42) عمارة · المفيد ، ص: 237

(43) عمارة : المفيد ، ص: 233 ، الجندي: السلوك ، 2/ 518 . الخزرجي· العسجد . ص: 135 - 136 ، ابن الديبع · قرة ، ص. 365 ، الجرافي: المقتطف . ص: 75 – 76 . في العسجد . ص. 136 أن مهدي بن علي تولى قيادة الجيش وعبد النبي تولى أمور الدولة .

به حربا كبيرة في العديد من المناطق من ضمن ذلك أنه أغار على لحج مرتين أحدهما في شهر شعبان من سنة 556هـ/ يوليو 1161م . والثانية في شهر رمضان سنة 558هـ/ أغسطس 1163م. فقتل في هاتين المعركتين أعدادا كبيرة من أهل لحج وسبى الحريم كما نهب الأموال الكثيرة [(44)] .

لم تكن الدولة الزريعية في عدن آنذاك قادرة على مقاومة مهدي بن علي بسبب أن جيشها الذي كانت تعتمد عليه كان معظمه من القبائل وهم جيش غير منظم ويحتاج تجهيزه إلى وقت . لذلك عمل الداعي عمران الزريعي على مهادنة مهدي بن علي عن مدينة عدن والدملوة بمال محدد يؤديه إليه سنوياً [(45)] .

استمر مهدي بن علي في التوسع والسيطرة على المناطق المتعددة. فاتجه نحو مدينة الجند فحاصرها 14 يوما ثم دخلها بالقوة في ذي القعدة من سنة 558هـ/ اكتوبر 1163م. وقتل كل من وجد بها من صغير أو كبير. ورماهم في بئر المسجد الموجدو بها. كما عمل على إحراق أغلب دورها. كذلك قام بإحراق المسجد على من فيه من الضعفاء والعجائز والعواكف. كما أحرق ما كان موجودا به من أموال الناس المودعة. وكذلك أحرق الكتب والمصاحف التي كانت في المسجد[(46)].

وكما يتضح أن الناس في مدينة الجند رفضوا التسليم له وطاعته أثناء محاصرته لهم. لذلك قرر دخولها بالقوة فأباح سفك دمائهم فقتل كل من وجده داخلها. وكما يتضح أيضاً أن أغلب رجالها هربوا خارج مدينة الجند ولم يبق إلا النساء والأطفال والشيوخ والعجائز والعزل من السلاح. لذلك لم تحدث أية مقاومة لمهدي بن علي. الذي اتجه إلى إكمال مسلسل القتل فاتجه نحو مسجد الجند الذي لجأ إليه الكثير من الأطفال والعجائز والشيوخ. فأحرقه على من فيه. ومن

---

(44) الخزرجي : العسجد ، ص: 136 ، ابن الديبع : قرة ، ص: 366 ، يحيى بن الحسين : غاية ، 1/ 315 / المطاع : تاريخ اليمن ، ص: 348 ، الحداد : تاريخ اليمن ، ص: 348 - 349 .

(45) عمارة : المفيد ، ص: 233 ، الجندي : السلوك /، 2/ 518 ، الخزرجي : العسجد ، ص:146 ، ابن الديبع : قرة ، ص: 365 .

(46) الجندي : السلوك ، 2/ 518 - 519 ، الخزرجي : العسجد ، ص: 137 ، ابن الديبع : قرة ، ص: 366، بغية ، ص: 76 ، يحيى بن الحسين : غاية ، ص: 315 ، المطاع : تاريخ اليمن ، ص: 348 ، عصام الفقي : اليمن ، ص: 201 ، الحداد : تاريخ اليمن ، ص: 349 .

الواضح أن المسجد كان مغلقاً. مما جعل مهدي بن علي يضطر إلى إحراق المسجد بمن فيه من الناس والأموال .

بعد حادثة مدينة الجند ومسجدها اتجه مهدي بن علي نحو أهل (المغربة) أو (العربة) والذنبتين القريبتين من الجند فقتل أغلب أهل المغربة. أما أهل الذنبتين فقد كانوا حاولوا الهرب والتخفي وراء أحد الإكام إلا أن مهدي بن علي وجيشه تبعهم فقتل الكثير منهم [47] . وبذلك أخاف مهدي بن علي الكثير من الناس في العديد من المناطق.

تولي عبد النبي بن مهدي:

وفي الوقت الذي كان فيه مهدي بن علي يسعى إلى توسيع نفوذه أصيب بمرض (تفطر جسمه) أي أنه حدث في جسمه (شبه احراق النار) وعلى أثر ذلك نقل من الجند إلى زبيد فأقام بها عدة أيام مريضاً ثم توفي بها في المحرم من سنة 559هـ/نوفمبر 1163م. فتولى الأمر بعده أخوه عبد النبي بن مهدي [48]. والذي اتصف بأنه (كان من أجود الرجال وأنجد الأبطال)[49]. إذ يعد من أهم رجالات دولة بني مهدي .

التوسع في عهد عبد النبي:

ما أن تسلم عبد النبي السلطة بعد أخيه حتى اتجه إلى التوسع في الاستيلاء على المناطق المتعددة، فسار إلى منطقة (أبين) التابعة لبني (زريع) . فأحرق أحد قراها المعروفة (بالضربة) في شهر صفر سنة 559هـ/ ديسمبر1163م [50] وقتل الكثير من أهلها ثم عاد إلى زبيد [51] .

وفي سنة 561هـ/1165م أخذ عبد النبي بن مهدي جيشاً كبيراً واتجه به نحو المخلاف السليماني شمال تهامة. فقاتل أهلها قتالا شديداً حتى قتل الكثير منهم . ومن ضمن من قتلهم

---

(47) الخزرجي: العسجد ، ص: 137 .

(48) الجندي : السلوك ، 2/ 519 ، الخزرجي : العسجد ، ص: 137 ، ابن الديبع : بغية ، ص: 76 ، يحيى بن الحسين : غاية ، ص: 315 ، عند ابن الديبع في قرة ، ص: 366 ، أن مهدي بن علي توفي في ذي الحجة سنة 558 هـ .

(49) بامخرمة : ثغر عدن ، ص: 159 .

(50) الخزرجي : العسجد ، ص: 137 ، ابن الديبع : بغية ، ص: 76 ، بامخرمة : ثغر عدن ، ص: 159 .

(51) بامخرمة ثغر عدن ، ص: 159 .

الأمير الشريف وهاس بن غانم بن يحيى بن حمزة بن وهاس السليماني [52] فضلا عن ذلك فقد أخذ الكثير من أموالهم وسبى العديد من حريمهم [53].

كما أرسل عبد النبي أخاه أحمد بن علي ومعه الجيش الكبير إلى الجند لعمارة مسجدها في شهر ربيع سنة 561هـ/1166م . فعمل على عمارتها .

وفي غضون ذلك خرج أحمد بن علي بعد إكمال عمارة الجند لمقاتلة بني زريع، فاتجه نحو منطقة (الجؤة) قرب الدملوة وكان بها جيش الداعي عمران. فحاربهم أحمد بن علي حتى هزمهم ثم دخل الجؤة وأحرقها [54] .

كذلك اتجه عبد النبي بن علي بن مهدي بنفسه نحو عدة مناطق في اليمن الأسفل وذلك في جمادي سنة 561هـ/ مارس 1166م . فاستولى على تعز. وصبر وغيرهما من المناطق الأخرى . ثم عادا إلى زبيد. وبعدها اتجه نحو مخلاف جعفر في سنة 562هـ/1167. فاستولى على مدينة (اب) ثم الشماحي . وغيرهما من البلدان [55] .

وما نتج عن ذلك التوسع أن دولة بني مهدي في عهد عبد النبي بن علي . بلغت أقصى اتساع لها وغنيمة الكثير من الأموال أوضح ذلك عمارة بقوله :(واجتمع لهذا عبد النبي ملك الجبال والتهائم وانتقل جميع ملك اليمن وذخائرها) إليه و(حصل في خزائن ابن مهدي ملك خمس وعشرين دولة من دول أهل اليمن فمنها أموال أهل زبيد... لأنه ملك الذراري والنساء فأظهروا له كنوز أموالهم وكذلك المصوغ واللؤلؤ واليواقيت الفاخرة والملابس الجليلة على اختلاف أصنافها)... (وانتقل إليهم ملك بني وائل أهل وحاظة ... ومما انتقل إلى ابن مهدي حصن الجمعة وأمواله وحصن التعكر وأمواله ومدينة ذي جبلة... . وكذلك مدينة الجند وأعمالها وكذلك تالبة وشرياق وذخر وأعماله... والسوا ... ومعاقل الداعي عمران بن محمد التي صارت

---

(52) الخزرجي : العسجد ، ص: 137 ، ابن الديبع : قرة ، ص: 366 ، بامخرمة : ثغر عدن ، ص: 159 ، المطاع . تاريخ اليمن، ص: 349 ، عصام الفقي : اليمن ، ص: 201 .

(53) الخزرجي : العسجد ، ص: 137 ، ابن الديبع : قرة، ص: 366 ، يحيى بن الحسين : غاية، ص: 316.

(54) الخزرجي : العسجد ، ص: 138 ، ابن الديبع : قرة، ص: 367 ، بغية ، ص: 77 ، بامخرمة : ثغر عدن . ص: 160 .

(55) الخزرجي: العسجد ، ص. 138 - 139 ، ابن الديبع : قرة ، ص: 368 .

لابن مهدي وهي حصن سامع وحصن مطران وحصن يمين وهذه الحصون في إقليم المعافر) في تعز. فضلاً عن حصن (حَبْ) في بعدان بالإضافة إلى ذلك فقد سيطر عبد النبي بن علي علي (بلاد بني المظفر سبأ بن أحمد الصليحي) وهي أشيح وريمة ووصاب وأيضاً سيطر على (إقليم حراز وبرع وبكيل وحاشد ووادي عَنّه في العدين ووادي زبيد وجبال وادي رمع [56] . شكل هذا التوسع من قبل عبد النبي بن مهدي خطورة على قبائل اليمن المتعددة فتحالفت ضده .

التحالف القبلي ضد عبد النبي بن مهدي:

عندما اتجه عبد النبي بن مهدي إلى محاصرة عدن سنة 568هـ/1172م عمل بنو زريع على الاستعانة لمحاربته بالقبائل اليمنية نظراً لعدم تمكنهم لوحدهم مقاتلته. فاتجه السلطان حاتم بن علي بن سبأ الزريعي في ذي القعدة سنة 568هـ/يونيو1173م. نحو قبائل جنب ومذحج في عنس وهمدان في صنعاء. فلما وصل إلى صنعاء استقبله حاكمها السلطان علي بن حاتم اليامي فأكرمه وأبدى استعداده على مناصرته ولكنه اشترط عليه أن يذهب إلى استنهاظ قبائل جنب ومذحج. فإذا وقفت هاتين القبيلتين مع حاتم الزريعي لمناصرته ، فسوف يأتي السلطان علي بن حاتم اليامي للمحاربة معه ، والهدف من اشتراط علي بن حاتم اليامي استنهاظ قبائل جنب ومذحج هو توسيع التحالف القبلي وزيادة عدد قواتهم من أجل ضمان النصر على دولة بني مهدي. والواقع أن القبائل اليمنية كانت قد انزعجت كثيرا من توسع عبد النبي بن مهدي. فكانت استعانة بني زريع بهم فرصة مناسبة للتحالف ضد بني مهدي للقضاء عليهم .

فلما ذهب حاتم الزريعي إلى ذمار وعنس إلى السلطان عبد الله بن يحيى والشيخ زيد بن عمرو وطلب منهما نصرته أسرعا في إجابة طلبه. فكتب إلى السلطان علي بن حاتم اليامي إلى صنعاء يخبره بموافقة قبيلتي جنب ومذحج على نصرة الزريعيين. لذلك قرر السلطان علي بن حاتم السير بمن معه من الجيش من همدان وسنحان وبني شهاب ونهد وغيرهم لمناصرة الزريعيين ، فخرج من صنعاء بجموعه في شهر صفر سنة 569هـ/سبتمبر 1173م. فسار حتى وصل ذمار ثم سار منها قبل قبائل جنب ومذحج إلى أن وصل (التباشع) من السحول فعسكر به في انتظار قبائل ذمار وعنس. فلما وصلت تلك القبائل إلى السحول اتجه الجميع نحو جيش عبد النبي بن مهدي

---

(56) عمارة : المفيد ، ص: 233 - 236 ، الوصابي : الاعتبار ، ص. 108 ، حسن سليمان : تاريخ اليمن ، ص: 242 ، الحداد ك: تاريخ اليمن ، ص: 349 - 350 .

في اب [57] .

ومن جهة عبد النبي بن مهدي فقد كان قسم جيشه في مخلاف جعفر إلى ثلاث فرق. إحداها وضعها في قرية ذي جبلة. والثانية وضعها في أكمة الخيالي غرب ذي جبلة. والثالثة وضعها في حصن المسود وحول زلال شرق ذي جبلة [58] .

أما جيش التحالف القبلي فقد اتجه جميعه نحو أكمة الخيالي غرب ذي جبلة. فقاتلوا الفرقة الثانية من جيش ابن مهدي أسفرت المعركة عن هزيمة فرقة ابن مهدي بعد قتل الكثير منهم وأسر بعضهم وغنيمة ما معهم من السلاح [59]. وعندما اتجه جيش التحالف القبلي في اليوم التالي إلى مدينة ذي جبلة لمقاتلة الفرقة الأولى من جيش ابن مهدي وجدوها خالية من أي شخص لأنهم هربوا ليلا لما علموا بهزيمة أصحابهم في الخيالي. وبذلك استولى التحالف القبلي على ذي جبلة دون قتال .

وبعد إقامة قصيرة لجيش التحالف القبلي في مدينة ذي جبلة اتجهوا جميعا نحو الجند فوصلوها في شهر ربيع الأول من سنة 569هـ/اكتوبر 1173م. ووجدوها هي الأخرى خالية من جيش عبد النبي بن مهدي ومن الرعايا أيضاً فعسكر بها لعدة أيام. ثم سار هذا التحالف القبلي نحو تعز. لما علموا أن عبد النبي متحصنا بها . وكان عبد النبي قد سحب جيشه المحاصر لعدن إلى تعز[60] لما علم بقدوم التحالف القبلي نحوه، ولما وصل هذا التحالف القبلي إلى تعز وجدوا جمعاً من جيش عبد النبي معسكراً في ذي عدينة. فدار بها قتال شديد بين الطرفين انتهى بهزيمة جيش عبد النبي بن مهدي بعد قتل الكثير منهم وغنيمة ما معهم من الأموال والسلاح ونهب المدينة . بعد ذلك اضطر عبد النبي بن مهدي الذي كان معسكراً في حصن تعز إلى الانسحاب إلى زبيد [61].

---

(57) الخزرجي: العسجد ، ص: 139 ، ابن الديبع : قرة ، ص: 368 ـ 370 ، الجرافي: المقتطف ، ص: 53 ، حسن سليمان : تاريخ اليمن ، ص: 242 ـ 243 ، المطاع : تاريخ اليمن ، ص: 352 ـ 353 ، الحداد : تاريخ اليمن ، ص: 350 ـ 351 .

(58) الخزرجي: العسجد ، ص: 139 ، ابن الديبع : قرة ، ص: 370 .

(59) الخزرجي: العسجد ، ص: 139 .

(60) بامخرمة : ثغر عدن ، ص: 160 .

(61) الخزرجي: العسجد ، ص: 140 .

كما انسحبت إليه فرقة عبد النبي المعسكرة في الرعارع بلحج . وبذلك تمكن التحالف القبلي من هزيمة جيش عبد النبي بن مهدي في ذي جبلة وتعز وإنهاء محاصرته لعدن والرعارع. وإجباره على الانسحاب نحو زبيد .

وفي ذلك الوقت عاد جيش التحالف القبلي إلى الجند وعسكر فيه. وآنذاك حاول السلطان علي بن حاتم الاتجاه إلى زبيد لمقاتلة بني مهدي ولكن قبائل جنب ومذحج رفضت ذلك واكتفت بهزيمة ابن مهدي وإنتهاء خطورة تهديده لدولة بني زريع فعاد ذلك التحالف القبلي إلى أماكنهم. وبذلك حقق هذا التحالف القبلي هدفه بالانتصار على دولة بني مهدي. وفي عضون ذلك قدم الأيوبيون سنة 569هـ/1174م. إلى اليمن. بسبب توحيد الجبهة الإسلامية فضلاً عن استنجاد أشراف المخلاف السليماني بالخلافة العباسية وصلاح الدين. الذي جهز حملة تورانشاة إلى اليمن[62]، وبقدومه إنتهت دولة بني مهدي وغيرها من دويلات اليمن. كما سيتضح فيما بعد.

خاتمة:

ظل علي بن مهدي فترة طويلة يناضل من أجل إقامة دولته في تهامة اليمن والقضاء على الدولة النجاحية. بلغت ما يقارب العشرين سنة يشن فيها العديد من الغارات ويخوض العديد من المعارك مع رجال الدولة النجاحية في زبيد. وذلك بسبب إتهام علي بن مهدي للنجاحيين بالظلم وعدم القبول لحكمهم. حيث ظل يحاربهم حتى حقق الانتصار عليهم.

وقد استخدم علي بن مهدي نفس اسلوب الإسماعيلية في تكوين دولتهم مثل علي بن الفضل وعبد الله الشيعي. وهي الابتداء بالدعوة الدينية. حيث أن علي بن مهدي بدأ بالتنسك والتعبد والحج ودعوة الناس الى معرفة الدين حتى جذب إليه الكثير من الناس. بعد ذلك تحول إلى الدعوة السياسية والنضال من أجل إسقاط الدول التي اعتبرها خارجة عن الدين. مع الفارق أنهم يختلفون مذهبياً فعلي بن المهدي كان يميل إلى مذهب الخوارج في القتال. بينما كان علي بن الفضل وعبد الله الشيعي إسماعيلية .

وبعد أن تمكن علي بن مهدي من تكوين دولته ورَّث أبناؤه الحكم بعد وفاته فعملوا على التوسع في أنحاء مناطق اليمن فاستولوا على معظم اليمن الأسفل مثل الجند وتعز وذي جبلة من الزريعيين الذين كانوا إسماعيلية .

---

(62) بامخرمة : ثغر عدن ، ص: 159 .

وقد استمر الصراع بين بني مهدي من جهة وبني زريع وحكام اليمن الآخرين من جهة أخرى. مما جعل القبائل اليمنية المختلفة في اليمن تخاف من توسع بني مهدي نحو مناطقهم وخاصة دولة بني زريع في عدن وبني جنب في ذمار وبني حاتم في صنعاء. فعملوا على التحالف لمحاربتهم وتوقيفهم عن التوسع وكان ذلك حينما اتجه بنو زريع للإستعانة بهم. وقد نجح هذا التحالف القبلي في هزيمة بني مهدي والحد من توسعهم بل واسترجاع بعض مناطق الزريعيين في اليمن الأسفل. وأثناء ذلك الصراع القائم في اليمن بين دويلاتها قدم إليهم من مصر جيش جديد ودولة ناشئة جديدة هي الدولة الأيوبية. فتمكنت من القضاء على دولة بني مهدي وكل دويلات اليمن المتعددة وتوحيد اليمن تحت نفوذهم .

الباب الثالث
الحكم الأيوبي لليمن

الفصل الثامن: تورانشاه الأيوبي

الفصل التاسع: سيف الإسلام طغتكين

الفصل العاشر: المعز بن طغتكين

الفصل الحادي عشر: الناصر بن طغتكين

الفصل الثاني عشر: الملك المسعود الأيوبي

الفصل الثـامن

شمس الدولة تورانشاه الأيوبي

أوضاع اليمن السياسية قبل الفتح الأيوبي:

كانت بلاد اليمن قبل الفتح الأيوبي مجزأة ومفككة سياسـياً، فظهـرت بهـا وحـدات سياسية متعددة، مختلفة فيما بينها مذهبياً ومتعادية سياسياً ومتحاربة عسكرياً.

فكان بنو زريع وهم إسماعيلية (فاطميون) يحكمون عدن ولحج وأبـين وبعـض منـاطق من تعز،مثل حصون منيف والسوا والسمدان والدملوة.وامتد سلطانهم إلى حصـن(حـب) في بعدان وقيظان ونقيل سمارة في مخلاف جعفر.وحَكَـمَ سـلاطين جنـب مدينـة(ذمـار)ومخالفيهـا. بينما حَكَمَ بنو حاتم وهم إسماعيلية ايضاً حصن أشيـخ في آنـس وصنعـاء ومـا حولهـا،ووصـل سلطانهم إلى بلاد الظاهر في البون من حاشد شمال صنعاء. أما بنو مهدي وهم خـوارج، فقـد حَكَمُوا تهامة من حرض حتى تعز وذي جبلة في مخلاف جعفر،وبعض منـاطق مـن تعـز، مثـل الجند ومدينة تعز نفسها وجبل صبر وجبل حبشي.كذلك حَكَمَ الشريف قاسـم بـن غـانم بـن وهاس المخلاف السليماني،وحكـم الامـام الزيـدي أحمـد بـن سـليمان صعـدة والجـوف ومـا حولها.[1]

وكانت العلاقة بين ابن مهدي وهـذه الدويـلات عدائيـة، فقـد حـاول التوسـع علـى حساب دولة بن زريع في الجنوب ودولة الشريف قاسم في الشمال، وقد حاول كل مـن بـني زريع وبني جنب وبني حاتم تكوين تحالف قبلي ضد ابن مهدي، فنجحوا في هزيمته وصده عن التوسـع في منـاطقهم الأخـرى[2]. بينمـا تـأرجحت علاقـة الامـام الزيـدي أحمـد بـن سـليمان بسلاطين بني حاتم فتارة سادها العداء والحرب وتـارة أخـرى سـادتها المصالحـات[3]. وهكـذا

---

(1) يحي بـن الحسـين: غايـة الأمـاني، ص 316، زبـارة: أئمـة 107/1 ـ 108 ، الكيسـي: لطـائف، ص 52، المطاع: تاريخ اليمن الإسلامي، ص351، عصام الفقي: اليمن في ظـل الإسـلام، ص203 ـ 204، كريـم: عدن، ص216، مسفر: الحياة السياسية، ص 84.

(2) الخزرجي: العسجد، ص139 - 140 . ابن الديبع: قرة العيون، ص368 - 372 .

(3) الخزرجي: العسجد، ص 75، 81 ، ابن الديبع: قرة العيون، ص291 - 294 ،301 .

كان وضع اليمن السياسي قبيل الفتح الأيوبي. وفي الصفحات التالية سأتحدث عن فتح الايوبيين لليمن وأسبابه.

أسباب الفتح الأيوبي لليمن:

تعددت آراء المؤرخين في أسباب الفتح الأيوبي لليمن. وقد ذكر هذه الأسباب عدة مؤرخين قدامى، وناقشها مؤرخون حديثون. ولا داعى هنا لإعادة ذكر هذه الأسباب مفصلة ومناقشتها. ولكن ما يهمنا هنا هو إعطاء فكرة مختصرة عن هذه الأسباب. لكى نلقي الضوء عن هدف اتجاه الأيوبيين لفتح اليمن. نوردها بالأتي:

1 ـ الرأى الأول: خاف صلاح الدين الأيوبي من مولاه نور الدين محمود زنكي أن يعزله عن ولاية مصر ـ باعتباره تابعاً له ـ بسبب ظهور خلاف فيما بينهما حول تباطؤ صلاح الدين لتنفيذ أوامر نور الدين بالذهاب إلى (الكرك) لمحاربة الصليبيين. وقد حاول نور الدين مراراً الاتجاه إلى مصر، ولكن الصليبيين شغلوه عن ذلك. ولما كان صلاح الدين متوقعاً وصول نور الدين إليه، وأنه لاطاقة له به. بعث صلاح الدين أخاه شمس الدولة تورانشاه إلى اليمن لمعرفة أحوالها ليجعلها ملجأ له إذا فكر نور الدين بعزله[4].

2 ـ الرأى الثاني: خاف صلاح الدين من إخوته لكثرتهم، وخاصةً من اخيه الأكبر تورانشاه أن يأخذ منه السلطة في مصر، لذلك سعى صلاح الدين إلى أن يبعث به إلى اليمن ليُكَون له مملكة في منطقة أخرى بعيدة عنه[5].

3 ـ الرأى الثالث: أراد صلاح الدين السيطرة على اليمن بسبب ظهور ابن مهدي فيها، وسفكه لدماء أهلها، ونهب أموالهم، وتغلبه على مناطقهم، وخروجه عن طاعة الخلافة العباسية، فضلاً عن خوف صلاح الدين من أن يستولى ابن مهدي على

---

(4) ابن الأثير: الكامل: 396/11، الخزرجي: العسجد، ص147. الجندي: السلوك. 526/2، عبدالعال: الأيوبيون. ص70، عصام الفقي: اليمن. ص217 ـ 218، كريم: عدن، ص 217. الحمري: كنز،ص91.

(5) ابن شداد: سيرة صلاح الدين، ص:46. ابوشامه: الروضتين. 552/1، عبدالعال: الأيوبيون، ص:71، جميل حرب: الحجاز واليمن، ص:97، كريم: عدن، ص :217.

الأماكن المقدسة في مكة والمدينة. لأنه أشاع أن ملكه سينتشر على الأرض كله[6].

4 ـ **الرأى الرابع:** أراد صلاح الدين بسيطرته على اليمن تأمين القوافل التجارية القادمة من الهند والصين إلى مصر عبر اليمن. لأن النشاط التجاري البحري عبر اليمن كان قد نشط منذ العهد الفاطمي بمصر وبدأ يقل نشاطه في العهد الأيوبي فأثر ذلك على دخل مصر المالي[7].

5 ـ **الرأى الخامس:** حرض عمارة اليمني صديقه فخر الدولة تورانشاه للذهاب إلى اليمن، وأخبره أن فيها خيرات كثيرة وملك كبير، سواء أكان ذلك التحريض حقيقة من عمارة أن تكون اليمن تابعة للأيوبيين أم أنه كان يهدف من وراء ذلك إخراج عدد كبير من الجيش الأيوبي عن مصر، ليسهل له بعد ذلك ولأتباعه التآمر على صلاح الدين والقضاء عليه وإعادة الدولة الفاطمية إلى مصر بمساعدة الشيعة والصليبيين[8].

6 ـ **الرأى السادس:** كان فخر الدولة تورانشاه كثير الانفاق بسبب كرمه وجوده، وأن إقطاعه بمصر لا يكفيه، لذلك حرضه عمارة وغيره من الأنصار للاتجاه نحو اليمن للسيطرة عليها لزيادة إقطاعه[9].

---

(6) ابن شداد: سيرة صلاح الدين، ص46: ابوشامة : الروضتين 551/1، الخزرجي: العسجد، ص147، ابن الديبع: قرة العيون، ص274، عبدالعال: الأيوبيون، ص71، كريم: عدن، ص 217، جميل حرب: الحجاز واليمن، ص 67.

(7) أمين صالح: دولة الخوارج في اليمن، ص141 ـ 142، كريم: عدن، ص218، جميل حرب: الحجاز واليمن، ص96، مسفر: الحياة السياسية ، ص67.

(8) ابن الأثير: الكامل، 196/11 + ص398 ـ 399 ، عبدالعال: الأيوبيون، ص71، جميل حرب: الحجاز واليمن، ص96، مسفر: الحياة السياسية، ص59 - 60.

(9) ابوشامه: الروضتين، 552/1، عن ابي طي ، عبدالعال: الأيوبيون: ص:71 ،مسفر: الحياة السياسية، ص:60.

7 ـ الراى السابع: أراد صلاح الدين بإرساله حملة إلى اليمن القضاء على ما بها من مذاهب مخالفة لمذهب الخلافة العباسية مثل مذهب الإسماعيلية الفاطمية ومذهب الخوارج والزيدية، ونشر مذاهب أهل السنة بها[10].

8 ـ الرأى الثامن: أرسل صلاح الدين حملته إلى اليمن نتيجة طلب مسبق من الشريف قاسم بن غانم صاحب المخلاف السليماني وأهل تهامة، من الخلافة العباسي، وصلاح الدين لنجدتهم بالقدوم إلى اليمن للسيطرة عليها من ابن مهدي، الذي أقدم على قتل وهاس بن غانم وعدد من أهل حرض (سنة 561 هـ/1166 م). وخاصةً أن الشريف قاسم وأهل تهامة كانوا من أهل السنة، وموالين للخلافة العباسية، وابن مهدي خارجاً عن طاعتها[11].

والواقع أن هذه الآراء عبارة عن وجهة نظر المؤرخين في سبب اتجاه صلاح الدين الأيوبي لفتح اليمن. وليس شرطاً أن تكون هذه الآراء حقيقة هي التي دفعت صلاح الدين لفتح اليمن. ولاداعي لمناقشة خطأ أو صحة كل رأي على حده، لأنه سبق وأن ناقشها كثير من المؤرخين[12]. وفي اعتقادي أنه لم يكن أي رأي من تلك الآراء السابقة هو الذي جعل صلاح الدين يفكر بفتح اليمن. والذي يتضح لنا من مجريات الأحداث في العالم الإسلامي آنذاك أن أهم الأسباب الرئيسية في اتجاه صلاح الدين الأيوبي لفتح اليمن الأتي:

1 ـ السبب الأول ـ فكرة الدولة الإسلامية الواحدة:

فمنذ بداية تكوين الدولة الإسلامية، سيطر على الفكر الإسلامي السياسي والديني فكرة الدولة الواحدة على جميع المناطق التي تدين بالإسلام، والعمل على المحافظة عليها. وليس الأمر كذلك فحسب، بل السعي إلى نشر الدين الإسلامي خارج نطاق حدودهم

---

(10) عبدالعال: الأيوبيون: ص:80، جميل حرب: الحجار واليمن، ص:98 ، مسفر: الحياة السياسية، ص:65

(11) ابوشامة: الروضتين، 554/1، الخزرجي: العسجد / ص: 147، ابن الديبع: قرة العيون، ص:376، عبدالعال: الأيوبيون، ص:72، جميل حرب، الحجار واليمن، ص:97، مسفر: الحياة السياسية، ص:61.

(12) عبدالعال: الأيوبيون، ص: 70 - 80، جميل حرب: الحجار واليمن، ص:92 – 102، مسفر: الحياة السياسية، ص:55 - 70.

بالتوسع للسيطرة على البلدان المجاورة. لذلك كان ضرورياً لكل دولة إسلامية العمل على تحقيق ذلك الهدف بما أتيح لها من قوة، وعلى ذلك سعى صلاح الدين لفتح اليمن.

2 ـ السبب الثاني ـ فكرة توحيد الجبهة الإسلامية:

ظهرت هذه الفكرة حينما بدأ الصليبيون يعملون على تكوين جبهة صليبية ضد المسلمين، جمعت كل أوروبا واتجهوا لغزو العالم الإسلامي. فشكل ذلك خطراً على المسلمين، الذين كانوا قد افترقوا وانقسموا إلى عدة دويلات مختلفة سياسياً ومذهبياً. لذلك كان لابد من مجابهة هذه الجبهة الصليبية بجبهة إسلامية موحدة. فتزعم هذا العمل نور الدين محمود وصلاح الدين الأيوبي. فعملا على السعى لتوحيد المسلمين في جبهة واحدة لمقاومة هذا الغزو الصليبي. على أن هذا التوحيد لم يكن هدفه الاقتصار على القضاء على الدويلات السياسية ذات المذهب الواحد، بل القضاء على جميع المذاهب الإسلامية التي ظهرت آنذاك في العالم الإسلامي، من شيعة وخوارج، وتوحيدهم في دولة سياسية واحدة ومذهب ديني واحد هو مذهب أهل السنة أو مذهب الخلافة العباسية، وهو المذهب الذي يدين به نور الدين محمود وصلاح الدين. لأن التعدد المذهبي والسياسي جلب للمسلمين حروباً مهلكة. أدت إلى إضعافهم واختلافهم وافترقهم، فانقسم العالم الإسلامي بين هذه المذاهب المتعددة إلى عدة دويلات متحاربة. فحتم ذلك على نور الدين وصلاح الدين توحيد العالم الإسلامي سياسياً ومذهبياً. لذلك عمل صلاح الدين الأيوبي على فتح اليمن وفقاً لهذا المفهوم.

1 ـ شمس الدولة ـ فخر الدين تورانشاه:

الحملة:

ومهما يكن من أمر ، فقد استأذن صلاح الدين مولاه نور الدين محمود لفتح اليمن، واختار لفتحها أحد الشخصيات القوية هو أخوه الأكبر شمس الدولة تورانشاه، الملقب بفخر الدين، والذي اتصف بأنه كان (ملكاً ضخماً شجاعاً شهماً فارساً مقداماً)[13]. وجهزه بحملة عسكرية كبيرة فيها العديد من الأمراء والقادة، وجمع كبير من العساكر بلغ عددهم

(13) بامخزمة: ثغر عدن، ص69.

ثلاثة الآف فارس وراجل [14].فضلاً عن أنه جهزه بالكثير من الأموال التي يحتاجها لهذه الحملة قدرت بمائتين وست وستين ألف دينار وهي مالية (قوص) للسنة التي قدم فيها تورانشاه الى اليمن.[15]

سير الحملة:

خرجت حملة شمس الدولة تورانشاه من مصر نحو اليمن في رجب سنة 569هـ / فبراير 1174م[16]. مزودة بالمواد الغذائية (الأزواد) والعدد والآلآت [17]. وكان سيرها من القاهرة عبر نهر النيل الى قوص، ثم سارت منها بطريق البر الى ميناء. عيذاب المصرية، ثم قطعت البحر الأحمر حتى وصلت ميناء جدة، ومنها سارت الى مكة لأداء مناسك العمرة [18]. والسبب في سير الحملة عبر عيذاب وليس عبر السويس أو العقبة هو تأمين الحملة من التعرض للصليبيين، الذين كانوا مسيطرين على فلسطين.

دخوله حرض:

بعد أن اعتمر شمس الدولة تورانشاه وجيشه في مكة، خرج منها في مستهل رمضان من نفس السنة متجهاً نحو اليمن عبر طريق الحجيج. وما إن وصلت حملته إلى (حرض) من أرض اليمن حتى أسرع اليه حاكم المخلاف السليماني الأمير قاسم بن غانم بن يحي

---

(14) ابن حاتم: السمط، ص15، الخزرجي: العسجد، ص148. يحي بن الحسين: غاية الأماني، 321/1، الكبسي: اللطائف، ص 45، محمد عبدالعال: الأيوبيون في اليمن، ص81؛ عصام الفقي: اليمن في ظل الاسلام، ص208، جميل حرب: الحجاز واليمن في العصر الأيوبي، ص99؛ مسفر: الحياة السياسية، ص71، أورد الخزرجي، ص148، أنه خرج مع تورانشاه ألف فارس وقيل ثلاثة الآف فارس أي أن الحملة كانت كلها فرسان.

(15) ابو شامة: الروضتين، 554/1، عبدالعال: الأيوبيون، ص81-82.

(16) الخزرجي: العسجد، ص146، بامخزمة: ثغر عدن، ص69، محمد عبدالعال: الأيوبيون، ص82؛ مسفر: المرجع السابق، ص72، كريم: عدن، ص219.

(17) ابن الأثير: الكامل، 396/11.

(18) أبو شامة: الروضتين، 554/1، عبدالعال: الأيوبيون، ص82.

السليماني معلناً الطاعة والولاء له، ومبدي استعداده لمناصرته ضد ابن مهدي، وذلك بسبب هجوم ابن مهدي على بلاده سنة 561هـ /1166م، ونهبه لحرض وقراها وقتله لأخيه الشريف وهاس[19] ، فوافق تورانشاه على اصطحابه، كونه من القوى اليمنية التي ستسهل له معرفة مسالك الطريق وكيفية التعامل مع القوى اليمنية الأخرى. [20]

السيطرة على زبيد:

خرجت حملة شمس الدولة تورانشاه والشريف قاسم من (حرض) في أواخر شهر رمضان من سنة 569هـ/مارس1174م، متجهة نحو زبيد، فوصلها في السابع من شهر شوال[21] وما أن علم عبدالنبي بن مهدي بوصول الجيش الأيوبي نحوه حتى أسرع في الخروج لقتالهم خارج أسوار (زبيد). مستغلاً تعب الحملة من جراء سيرها في الطريق. بالاضافة الى المدافعة عن أسوار المدينة من خارجها خوفاً من نصب السلالم عليها. وقد حاول عبدالنبي تحميس جيشه للقتال بقوله لهم: (كأنكم بهؤلاء وقد حمى عليهم الحر فهلكوا، وماهم إلا أكلة رأس)[22] أي أنهم قليلي العدد ولا يستطيعون تحمل الحرب في حر تهامه.

ولما دارت رُحَى الحرب بين الطرفين لم تتمكن قوات ابن مهدي من الصمود، فانهزمت واتجهت نحو (زبيد) للتحصن وراء أسوارها. أما الجيش الأيوبي فقد ظل يتابع مطاردة جيش بني مهدي نحو (زبيد) فحاصروهم بها. ونصبوا السلالم على أسوارها وظلت

---

(19) ابن حاتم: السمط، ص16، محمد عبدالعال: المرجع السابق، ص64، جميل حرب: المرجع السابق، ص99.

(20) محمد عبدالعال: المرجع السابق، ص83.

(21) ابن حاتم: السمط، ص16، الحمزي: كنز، ص:91 الخزرجي: العسجد، ص148، ابن الديبع: قرة العيون، ص276، جميل حرب: المرجع السابق، ص99، محمد عبدالعال: المرجع السابق، ص84، مسفر: المرجع السابق، ص74، يورد الوصابي، ص108، أن دخول تورانشاه اليمن كان سنة 570هـ وهذا مخالف لما أجمع عليه بقية المؤرخين.

(22) ابن الأثير: الكامل،369/11، عبد العال: الأيوبيون، ص84، جميل حرب: الحجاز واليمن، ص99، مسفر: الحياة السياسية، ص74.

الحرب قائمة بين الطرفين لمدة ثلاثة أيام، انتهت بتمكن الأيوبيين من دخول (زبيد) بالقوة غروب شمس اليوم التاسع من شوال. وما أن دخلت قوات الأيوبيين (زبيد) حتى أسرعوا لأسر حكامها من بني مهدي، ونهبوا ما بها من الأموال والخيول وسبوا الكثير من نسائها. وبعد ذلك عاد الشريف قاسم السليماني الى (حرض). أما شمس الدولة تورانشاه فقد أقام في زبيد لضبط أمورها وإراحة جنده حتى شهر ذي القعدة [23]. بذلك تمكن الجيش الأيوبي من السيطرة على (زبيد) والقضاء على حكامها. فانتهت بذلك دولة بني مهدي من تهامة.

ومن الملاحظ أن هناك العديد من الأسباب التي أدت إلى انتصار الأيوبيين على ابن مهدي. منها أن قوات ابن مهدي بدأ يظهر عليها الضعف والانهزام منذ بداية 569 هـ/1174م حينما تكتلت ضده قوات اليمن القبلية من بني زريع وبني جنب وبني حاتم، حيث أسفر هذا التجمع القبلي عن هزيمة ابن مهدي في (ذي جبلة وتعز). ومنها أن ابن مهدي لم يحاول سحب قواته من المناطق التي سيطر عليها في اليمن للدفاع عن (زبيد) أو الهروب إلى الجبال والتحصن بها، وذلك لعدم معرفته لقدرة الجيش الأيوبي القتالية. ومنها أيضاً أن الجيش الأيوبي القادم إلى اليمن كان أكثر عدداً من جيش ابن مهدي الموجود في زبيد، وكان الجيش الأيوبي كله جيشاً معداً للقتال، ومدرباً تدريباً عسكرياً عالياً، جعل مقدرته القتالية أكثر فاعلية. أما جيش ابن مهدي فقد كان عكس ذلك، حيث كان أغلبه جيشاً قبلياً لم يكن على مستوى عالٍ من التدريب العسكري والمقدرة القتالية. ومنها كذلك استخدام الجيش الأيوبي السلالم لاقتحام مدينة زبيد من جميع جهاتها. وفكرة استخدام السلالم لم تكن مستخدمة لدى اليمنيين، بسبب عدم حاجاتهم إليها لكثرة جبالهم المحصنة طبيعياً، والتي لا ينفع معها استخدام السلالم. لأن اليمنيين كانوا غالباً ما يستخدمون التحصن في الجبال وليس في المدن. وكانت من عادتهم إذا أرادوا السيطرة على هذه الحصون، استخدام الحصار لفترة طويلة حتى ينفذ ما في الحصون من مؤن، بعدها يعلن ما بها من أفراد الاستسلام. وهذا الحصار

---

(23) ابن حاتم: السمط، ص16-17، الخزرجي: العسجد، ص147-148، بامخرمه: ثغر عدن، ص69، محمد عبدالعال: المرجع السابق، ص74-75، ابن الأثير: الكامل، 397/11.

الطويل لا يتناسب مع الأيوبيين، لأن ذلك يكلفهم الوقت الطويل والإنفاق الكثير، وهو مالم يرغب به الأيوبيون، إضافة إلى ذلك فإن الجيش الأيوبي كانت لديه المقدرة القتالية العالية في المناطق المفتوحة أكثر من المناطق الجبلية، وزبيد من المناطق المفتوحة، فكان من السهل عليهم فتحها. لذلك كله حقق الأيوبيون النصر على ابن مهدي.

وعن مصير ابن مهدي في زبيد، فقد اختلفت أقوال المؤرخين في ذلك، فابن حاتم يورد أن تورانشاه ألقى القبض على عبدالنبي بن مهدي وإخوته[24]. أما عبدالمجيد فيقول: (وقبض على عبدالنبي بن مهدي ومات في أسره، وقيل شنقه)[25]. بينما يذكر الخزرجي وابن الدبيع عدة روايات، فقالا: (وقاتله عبد النبي قتالاً شديداً، فقتل في الحرب وقيل أسر ثم قتل بعد الأسر وقيل لم يزل في الأسر حتى مات)[26].وفي غاية الأماني واللطائف قالا:(أن عبدالنبي قتل في الحرب وأسر إخوته)[27]. أما الحنبلى فقد ذكر أن عبدالنبي بن مهدي طلب الأمان من شمس الدولة تورانشاه بعد انهزامه وعودته إلى زبيد، فأمنه[28].

وبالنسبة لتحديد الزمن الذي قتل فيه بنومهدي، فقد ذكر الجندي،أن تورانشاه شنق عبدالنبي وإخوته وياسر بن بلال ومولاه (مفتاح) أو مصباح السدوسي في رجب سنة 571 هـ/1176م.وذلك عندما أراد تورانشاه ترك اليمن والذهاب إلى الشام[29]. بينما ذكر ابن حاتم أن قتل عبدالنبي بن مهدي وإخوته أحمد ويحي كان يوم الثلاثاء السابع من رجب سنة 570 هـ/1175م في زبيد، بأمر من تورانشاه أثناء ماكان في ذي جبلة لنائبه على زبيد، بسبب خلاف حدث في تهامة ضد الأيوبيين[30].

---

(24) ابن حاتم: السمط ، ص:16 - 17 .

(25) ابن عبدالمجيد: بهجة الزمن، ص: 129.

(26) ابن الدبيع: قرة العيون، ص: 376، الخزرجي: العسجد، ص: 147.

(27) يحي بن الحسين: غاية الأماني: 321/1، الكيسي: اللطائف، ص:54 .

(28) محمد كريم: عدن. ص:220 - 221 ، عن الحنبلي: شفاء القلوب، ص:52.

(29) الجندي: السلوك، 522/2.

(30) ابن حاتم: السمط، ص:20.

ومن خلال ما تقدم يتضح لنا أنه نتيجة للخلاف المذهبي بين الأيوبيين وبني مهدي، فقد أدرك عبدالنبي بن مهدي أنه سيقتل حتى ولو استسلم أو أسر، لذلك قاتل قتالاً شديداً حتى قتل. أما أخواه أحمد ويحي فقد أسرا لأنهما لم يكونا على رأس الدولة. ثم قتلا في 7 رجب سنة 570 هـ/1175م.

مراحل سيطرة تورانشاه على اليمن:

أ ـ المرحلة الأولى: في هذه المرحلة توجه شمس الدولة تورانشاه نحو عدة مدن في اليمن للسيطرة عليها مثل مدينة تعز، والجند، وعدن، وذي جبلة. فضلاً عن السيطرة على ذمار، ومروراً على صنعاء، ثم عودته إلى زبيد، نوضح هذه المرحلة بالتالي:

السيطرة على تعز والجند:

عندما أراد تورانشاه الخروج من زبيدة للسيطرة على بقية مناطق اليمن، ولى عليها أحد الأمراء والقادة الأيوبيين هو المبارك بن منقذ، وأوكل إليه أمر تعذيب بني مهدي واستخلاص الأموال منهم[31]. واتجه تورانشاه في مطلع ذي القعدة نحو تعز. وكانت تابعة لابن مهدي، فسيطر عليها دون مقاومة من أحد. وذلك بسبب اتجاه حامياتها للتحصن في الجبال المجاورة لها، لخوفهم من الجيش الأيوبي. وبعد ذلك حاول تورانشاه السيطرة على جبل صبر وجبل ذخر (جبل حبشي)، ولكنه لم يتمكن من السيطرة عليهما بسبب مناعة حصونهما وظهور المقاومة بهما من حاميات ابن مهدي، وعدم توفر الوقت الكافي لتورانشاه والجيش الأيوبي لاستمرار فرض الحصار على تلك الحصون، ففضلوا تركها واتجهوا نحو الجند، فسيطروا عليها هي الأخرى بدون حرب[32]. وبذلك امتد سلطان الأيوبيين نحو هذه المناطق.

---

(31) الجندي: السلوك، 520/2.

(32) ابن حاتم: السمط، ص: 17، الخزرجي: العسجد، ص:148.

السيطرة على عدن:

قبل أن يكمل تورانشاه فتح حصون تعز، اتجه اهتمامه نحو القضاء على دولة بني زريع في عدن، فسار إليها. وما أن قارب وصول الجيش الأيوبي إلى عدن حتى خرج لمحاربتهم جيش الدولة الزريعية بقيادة وزيرهم ونائبهم على عدن ياسر بن بلال المحمدي. فدارت معركة كبيرة بين الطرفين أسفرت عن هزيمة جيش بني زريع، ومحاولتهم الانسحاب إلى عدن للتحصن بها، ولكن تورانشاه فوت عليهم تلك الفرصة، فأثناء ماكان القتال يدور بين الطرفين خارج عدن، أرسل بعضاً من جيشه للسيطرة عليها، فلم يتمكن الجيش الزريعي من العودة إلى عدن للتحصن بها، لأنهم وجدوا الجيش الأيوبي قد سبقهم في دخولها. كما وجدوا تورانشاه وجيشه يتابع اللحاق بهم إلى عدن، فاستسلم بعضهم ووقع البعض الآخر في الأسر، أو اتجهوا للهرب. بذلك أصبح سهلاً على الجيش الأيوبي دخول عدن، فدخلوها في يوم الجمعة من شهر ذي القعدة سنة 569 هـ/ يونيو 1174م. وخلال دخولهم تعرضت المدينة للنهب من قبلهم[33]. ولكن تورانشاه عمل على منعهم من نهب المدينة وقال لهم: (ما جئنا لنخرب البلاد، وإنما جئنا لنملكها ونعمرها وننتفع بدخلها)[34]. وبدخول الجيش الأيوبي عدن، انتهت الدولة الزريعية بها. أما بالنسبة لياسر بن بلال، فقد تمكن من الهرب مع مولاه مفتاح السدوسي إلى الدملوة وأقاما بها عدة أيام والسبب في ذلك هو أن الوزير ياسر بن بلال والسدوسي هرّبا أولاد عمران الزريعي إلى الدملوة للتحصن بها، ثم اتجها متنكرين إلى عدينة في تعز، فوشى بهما أحد الأفراد إلى شمس الدولة تورانشاه، فألقى القبض عليهما ثم قتلهما في رجب سنة 571 هـ/ يناير 1176م[35].

---

(33) ابن حاتم: السمط، ص:17، الخزرجي: العسجد، ص:148، ابن الديبع: قرة العيون، ص:376، بامخرمة: ثغر عدن، ص:69، محمد عبدالعال: المرجع السابق، ص:87، مسفر: المرجع السابق، ص:77. يوضح بامخرمة، ص:69: أن تورانشاه دخل عدن في يوم 18 ذي القعدة أو 19 منها.

(34) ابن الأثير: الكامل، 397/11، محمد عبدالعال: الأيوبيون في اليمن، ص:88 ، جميل حرب، المرجع السابق، ص:100، عن ابن خلدون، 287/5، كريم: عدن، ص:221.

(35) ابن الديبع: قرة العيون، ص:319 - 320، كريم: عدن، ص:222.

والذي ساعد تورانشاه الأيوبي على الانتصار على بني زريع، خروجهم للقتال خارج عدن، وعدم التحصن بها، فسهل ذلك أن يضع تورانشاه خطة عسكرية تضمن له النصر، وهي إرسال فرقة من جيشه لدخول عدن أثناء ماكان القتال جارياً بين الطرفين. فأربك ذلك جيش بني زريع وأوقعهم في الانهزام. أوضح ذلك ابن الاثير بقوله عن عدن: (من وجهة البر من أمنع البلاد واحصنها، وصاحبها إنسان اسمه ياسر، فلو أقام ولم يخرج عنها لرجعوا خائبين، وإنما حمله جهله وانقضاء مدته على الخروج إليهم ومباشرة قتالهم، فسار إليهم وقاتلهم، فانهزم ياسر ومن معه، وسبقه جيش شمس الدولة، فدخلوا البلد قبل أهله، فملكوه وأخذوا صاحبه ياسر أسيراً)[36]. وكما هو واضح أن ياسر بن بلال كان يهدف من خروجه لحرب الأيوبيين خارج عدن، هو إتاحة الفرصة له بالهرب إذا ما فشل في صد الأيوبيين، وهذا ما حدث بالفعل. كما ساهم في انتصار الأيوبيين ضعف قوات بني زريع في عدن، فقد حاصرهم بها ابن مهدي عدة أيام قبيل قدوم الأيوبيين، ولم يتمكن بنو زريع من مقاومتهم. ومهما كان السبب فقد تمكن الأيوبيون من تحقيق الانتصار على بني زريع وإنهاء دولتهم.

السيطرة على ذي جبلة:

أقام شمس الدولة تورانشاه الأيوبي في عدن إلى النصف من شهر ذي الحجة[37]. ثم توجه نحو مخلاف جعفر (آب)، فسيطر على ذي جبلة وتسلم حصن التعكر فيها سلماً دون قتال، وكان تابعاً لابن مهدي. ثم بايعه أهل ذي جبلة في يوم الثلاثاء، الثالث والعشرين من ذي الحجة آخر سنة 569 هـ/ يوليو 1174م[38]. واستقر بها عدة أيام، ثم سار نحو اليمن الأعلى. ويرجع السبب في سيطرة الأيوبيين على ذي جبلة بدون قتال إلى ميل أهلها إلى المسالمة، ومخالفتهم لمذهب ابن مهدي، وضعف قواتهم. فضلاً عن إنتهاء دولة بني مهدي التابعين لها.

---

(36) ابن الأثير: الكامل، 397/11، محمد عبدالعال: المرجع السابق، ص:87 - 88، مسفر: المرجع السابق، ص:77 - 78، جميل حرب: المرجع السابق، ص:100، كريم: عدن، ص:222.

(37) الخزرجي: العسجد، ص:150.

(38) ابن حاتم: السمط، ص:17، الخزرجي: العسجد، ص:150، محمد عبدالعال: المرجع السابق، ص:89، مسفر: المرجع السابق. ص:79.

السيطرة على ذمار:

استمرت رحلة شمس الدولة تورانشاه نحو فتح المناطق اليمنية، فسار نحو (ذمار) عبر طريق نقيل صيد (سمارة). ولما وصلوا في أول المحرم سنة 570 هـ/ أغسطس 1174م إلى حصن (ذروان) شرق ذمار، وكان تابعاً للسلطان عبدالله بن يحي الجنبي. دارت معركة بين الطرفين، فلما رأى السلطان عبدالله الجنبي عدم مقدرته على مقاومة الأيوبيين، صالح تورانشاه وبذل له الطاعة. بعد ذلك توجه الأيوبيون نحو حصن (المصنعة) قرب ذمار، وكان تابعاً للشيخ محمد بن زيد اليعبري الجنبي، فسيطروا عليه دون قتال[39]. ثم استمر الأيوبيون في السير نحو (ذمار)، فلما قربوا منهااعترضتهم قبيلة (جنب) في موضع يسمى (الرحمة) شرق (ذمار)، فنشبت معركة كبيرة بين الطرفين في يوم الخميس العاشر من المحرم سنة (570 هـ/ أغسطس 1174م، أسفرت عن قتل خمسة وستين رجلاً من الأيوبيين وعدد من القبائل، وانتهت المعركة بتمكن الأيوبيين من دخول (ذمار) والسيطرة عليها[40].

وما كادت تمضي عدة أيام على سيطرة الأيوبيين على (ذمار) حتى أسرعوا في الاتجاه نحو صنعاء. وعندما خرجوا من ذمار اعترضتهم خارجها مرة أخرى قبائل (جنب). وفي هذه المرة حرض شمس الدولة تورانشاه جنده على القتال وقال لهم: (أين أنتم من ديار مصر؟ قاتلوا على أنفسكم وإلا أكلتكم العرب). فقاتلوا قتالاً شديداً. انتهى بهزيمة قبائل جنب وقتل سبعمائة من رجالهم وغنيمة ما معهم من السلاح والخيول، وهروب من بقي من جنب، فلحق بهم الأيوبيون حتى ألجأوهم إلى حصن (هران) شمال ذمار[41]، ثم تركوهم وذهبوا إلى صنعاء.

---

(39) ابن حاتم: السمط، ص:17، الخزرجي: العسجد، ص:150.

(40) ابن حاتم: السمط، ص:17، الخزرجي: العسجد، ص:150، محمد عبدالعال: المرجع السابق، ص:89 - 90، مسفر: المرجع السابق، ص:79 - 80.

(41) ابن حاتم: السمط، ص:17 ــ 18، الخزرجي: العسجد، ص:150 ــ 151، ابن الديبع: قرة العيون، ص:378، محمد عبدالعال: المرجع السابق، ص:80، ص:80 ، مسفر: المرجع السابق، ص:90 ــ 91، عصام الفقي: اليمن في ظل الإسلام، ص:208.

ومن الملاحظ أن قبائل جنب لم يستخدموا حرب المواجهة لعدم مقدرتهم قتال الجيش الأيوبي، ولكنهم استخدموا في معاركهم الهجمات المتعددة التي يكثر فيها الكر والفر، وكانوا يهاجمون الأيوبيين من مناطقهم المحصنة ثم يعودون إليها. وكان هجومهم يهدف إلى تكبيد الأيوبيين الخسائر الكثيرة في الأرواح والمعدات، حتى لا يفكرون في الاستقرار في بلادهم. ومن الملاحظ أيضاً أن قبائل جنب لم يهاجموا الأيوبيين أثناء ما كانوا معسكرين في ذمار، ولكنهم هاجموهم أثناء ما كانوا سائرين في الطريق. ففي المرة الأولى حدث الهجوم عليهم وهم قادمون إلى ذمار قبيل دخولها، وفي المرة الثانية حدث الهجوم عليهم وهم خارجون منها. وذلك لأن الجيش الأيوبي كان غير مستعد للقتال، وغير متحصن، ونتيجة لذلك لم يحاول تورانشاه العمل على ضم ذمار لسلطانه، فقد خرج منها دون أن يترك بها جيشاً للسيطرة عليها. وبالنسبة لحرب قبائل (جنب) للأيوبيين، فذلك يرجع إلى محاولة القبائل التمسك بنظامها القبلي بالاحتفاظ بسلطانها على مناطقها.

السير نحو صنعاء:

واصل شمس الدولة تورانشاه سيره نحو صنعاء فوصل إلى منطقة (الجبوب) قرب مدينة صنعاء من شرقها الجنوبي يوم الجمعة السابع عشر من شهر محرم سنة 570 هـ/ أغسطس 1174م. فعسكر بها لمدة ثلاثة أيام. ومن ناحية علي بن حاتم حاكم صنعاء ومخالفيها، فإنه ما أن سمع بقدوم الأيوبيين نحوه حتى أدرك أنه غير قادر على محاربتهم، فأسرع هو وأخوه بشر بمن معهما للتحصن في حصن براش المطل على صنعاء من شرقها[42].وذلك بعد أن أمر بهدم سور صنعاء حتى لا يفكر الأيوبيون الاستقرار بها.لأن إعادة تحصين اسوارها سيكلف الأيوبيين الوقت الطويل والمال الكثير،وخاصةً في ظل استمرار مقاومتهم من بني

(42) ابن حاتم: السمط، ص:18 ، الخزرجي: العسجد، ص:151، ابن الديبع: قرة العيون، ص:379، محمد عبدالعال: المرجع السابق، ص:91 ـ 92، مسفر: المرجع السابق، ص:80، جميل حرب: المرجع السابق، ص:101، عصام الفقي: المرجع السابق، ص:209.

حاتم، وهذا سيشغل الأيوبيين عن مواصلة فتح بقية اليمن. أما أهل صنعاء فرغم خوف الكثير منهم من الأيوبيين وهروبهم. فإن جماعة من مشائخهم خرجوا إلى شمس الدولة لطلب الأمان منه وعدم محاربتهم. فلما وصلوا إليه أمر بإحضار جماعة من رؤسائهم لمحادثتهم في أمور الدين، وذلك لكي يتعرف على مذهبهم الديني وهل هم من أهل المذاهب المعتدلة في الإسلام أم من الغلاة. وخاصة أن حكامهم بنو حاتم كانوا من أتباع الصليحيين الإسماعيلية. وبعد أن منح شمس الدولة تورانشاه الأمان لأهل صنعاء دخلها، وأقام بها عدة ايام(43). ثم تركها بسبب عدم توفر الميرة، وسار نحو تهامة(44).

العودة إلى زبيد:

سار تورانشاه نحو (زبيد) عبر طريق السود فتعرضت مؤخرة جيشه لهجمات قبائل بني شهاب، وسنحان، وقبائل منطقة برع، أثناء سيره في الطريق، ونهبت بعض مواله وسلاحه، وبالرغم من ذلك فلم يحاول تورانشاه مقاتلتهم، بل استمر في سيره نحو زبيد حتى وصلها(45).

ومن الملاحظ أن شمس الدولة تورانشاه في رحلته الأولى حول اليمن، عمل على السيطرة على المدن فقط، مثل مدينة زبيد، وتعز، والجند،وعدن، وذي جبلة، وإنهاء من بهذه المدن من الحكام مثل دولة بني مهدي ودولة بني زريع،أما الحصون فقد تركها لرحلة أخرى.

ب ـ المرحلة الثانية: اتجه الجيش الأيوبي في هذه الرحلة إلى القضاء على أتباع دولة بني مهدي، وأتباع دولة بني زريع المتمركزين في حصون اليمن الأسفل، والتي لم تتح لهم الفرصة في السيطرة عليها في الرحلة الأولى.

---

(43) الخزرجي: العسجد، ص:151، ابن عبدالمجيد: بهجة الزمن، ص:131، ابن الديبع: قرة العيون، ص:379، محمد عبدالعال: المرجع السابق، ص:92، مسفر: المرجع السابق، ص:80، حميل حرب: المرجع السابق، ص:101، عصام الفقي: المرجع السابق: ص:209.

(44) ابوشامة: الروضتين، 554/1، مسفر: الحياة السياسية، ص:81.

(45) ابن حاتم: السمط، ص:19، الخزرجي: العسجد، ص:151، ابن الديبع. قرة العيون، ص:379، محمد عبدالعال: المرجع السابق، ص93، عصام الفقي المرجع السابق، ص:209.

فبعد أن أقام شمس الدولة تورانشاه في (زبيد) إلى شهر جمادي الأولى سنة 570 هـ / ديسمبر 1174م. عزم على الاتجاه نحو (الجند)، فلما وصلها أسرع إليها متولي حصن (صَبِرْ) من قبل ابن مهدي، معلناً ولاءه وطاعته لشمس الدولة تورانشاه وتسليمه الحصن لـه. فكـان ذلك فرصة لشمس الدولـة أن يتسـلم الحصـن دون قتـال. بعـد ذلـك توجـه الأيوبيـون نحـو الحصون الواقعة غرب مدينة تعز، وكانت تابعـة لبـني مهـدي أيضـاً. فسيطروا علـى حصـني (بادِية وشِرِّيَاق). أما حصن عزان ذخر (جبل حبشي) الذي كان متولياً عليه علي بن الحجاج صهر عبدالنبي بن مهدي فقد طلب مصالحة الأيوبيـين حينمـا حـاصروه، علـى أن يسـلم لهـم الحصن وما بحوزته من أموال لابن مهدي، التي كانت تقدر بعشـرة آلاف دينـار ذهـب، وأن يتركوا سبيله ومن معه، فقبل شمس الدولة ذلك، وتسلم الحصن منه[46]. ويتضـح ممـا سـبق أن شمس الدولة استولى على حصون بني مهدي في صبر وجبل حبشـي دون قتـال. وذلـك لعـدم تمكن حاميات هذه الحصون من مقاومة الجيش الأيوبي أو تحمل الحصار لفترة طويلـة. وذلـك لتفوق القوى الأيوبية عليهم، والتي تمكنت من تحقيق الانتصار على العديد من القوى اليمنيـة والسيطرة على مدنهم. لذلك سرعان ما أعلن أصحاب تلك الحصون استسلامهم.

بعد ذلك توجه شمس الدولة تورانشاه نحو منطقة المعافر، للسيطرة على الحصون الـتي كانت تابعة لبني زريع. فاستولى على حصن (يُمين) بالقوة. وكان متولياً عليـه الأمـير منصـور بن محمد بن سبأ الزريعي، والذي أنهزم بسبب هـروب الجيـش المتمركـز في الحصـن وتخـاذل رجال الديوان عن مناصرته، كذلك استولى الأيوبيـون علـى حصـن (مُنيـف) مـن واليـه ابي الغيث ابن سامر، كما استولوا على حصن (السمدان) من واليه المعين من قبـل الزريعيـين[47]. وبالرغم من المقاومة الضعيفة التي حدثت من قبل الزريعيين في المعافر، إلا أنهم لم يتمكنوا مـن الاحتفـاظ بحصونهـم، وذلـك لانتهـاء دولتهـم في عـدن. وعـدم مقدرتهـم مسـاعدة بعضهـم البعض، لذلك سرعان ما سقطت حصونهم تحت نفوذ الأيوبيين. وبذلك يكون شمـس الدولـة

---

(46) ابن حاتم: السـمط، ص:19، الخزرجي: العسـجد، ص:151 ـ 152، محمـد عبدالعال: المرجع السـابق، ص:94.

(47) ابن حاتم: السمط، ص:20، الخزرحي: العسجد، ص:152.

قد سيطر على عدة حصون هامة في المعافر وتعز، عدا حصني السوا والدملوة.

حصار الدملوة:

وبالنسبة لحصن الدملوة بالصلو، فقد حاول شمس الدولة الاستيلاء عليه. وكان متمركزاً به أولاد الداعي عمران الزريعي تحت وصاية جوهر المعظمي، فحاصره شمس الدولة فترة قصيرة، ثم ترك حصاره نظراً لصعوبة السيطرة عليه لإحكام تحصينه، وارتفاعه، لأن المجانيق التي نصبها لم تبلغ إليه واحتياجه إلى وقت طويل لمحاصرته، فضلاً عن قبول جوهر إعطائهم الأراضي الواقعة تحت الحصن، لذلك تركه شمس الدولة وتوجه إلى ذي جبلة[48].

وأثناء ماكان شمس الدولة تورانشاه في ذي جبلة، وصله خبر من الأيوبيين في (زبيد) مفاده أن خلافاً وقع عليهم في تهامة، من قبل بعض أهلها المناصرين لبني مهدي، فأمر بقتل أخوي عبدالنبي بن مهدي، وهما أحمد ويحي، فقتلا في رجب سنة 570 هـ/ فبراير 1175م. واستمر شمس الدولة في الاقامة في ذي جبلة حتى الشهر التالي له وهو شهر شعبان من نفس السنة، ثم عاد إلى زبيد[49].

وما أن تمكن شمس الدولة تورانشاه من السيطرة على اليمن الأسفل وتهامه، وقضائه على دولة بني مهدي، ودولة بني زريع حتى لقب (بالملك المعظم). وخطب له في هذه المناطق كما خطب للخليفة المستضيء بأمر الله العباسي[50]. رمزاً على خضوعهم لنفوذ الأيوبيين ثم العباسيين.

عاصمة شمس الدولة:

ومن الملاحظ أن شمس الدولة حاول خلال رحلتيه في اليمن، البحث عن مركز رئيسي لاقامة الأيوبيين، فاختار (تعز) لتكون عاصمة لهم. فعمل على اختطاطها، واتجه للاقامة بها سنة 570 هـ / 1175م، حتى شهر رجب سنة 571 هـ/1176م. والجدير بالذكر أن

---

(48) ابن حاتم: السمط، ص:20، الخزرجي: العسجد، ص:152، محمد عبدالعال: المرجع السابق، ص:94. مسفر: المرجع السابق، ص:81.

(49) ابن حاتم: السمط، ص:20، الخزرجي: العسجد، ص:152.

(50) جميل حرب: الحجاز واليمن، ص:101 ـ 102، عن المقريزي: السلوك، 53/1/1، مسفر: المرجع =

اختيار شمس الدولة لتعز لتكون عاصمة للأيوبيين لها عدة مسببات، منها ميل أهلها إلى المسالمة، فهم لم يقاتلوا الأيوبيين، لانتمائهم لمذهب أهل السنة الذي يعتنقه الأيوبيون. ومنها كذلك تكلفة تورانشاه الاطباء أن يختاروا له: (مكاناً صحيح الهواء ليتخذ فيه سكناً، فوقع اختيارهم على مكان تعز، فاختط به المدينة ونزل بها)[51].

أما عدم اختيار الأيوبيين لكل من زبيد، وعدن، وذي جبلة، وذمار، وصنعاء عاصمة لهم، فقد كان له مسببات، منها: أن زبيد لاتناسب الأيوبيين كعاصمة لأنهم استوخموا بها، بسبب حرها الشديد وارتفاع الرطوبة بها (أو رداءة المناخ بها)، لأن الأيوبيين اعتادوا على الحياة في المناطق المعتدلة أو المائلة إلى البرودة. كذلك اتصفت عدن بالحر الشديد كزبيد، فضلاً عن أنها كانت في أطراف اليمن، ولايُمَكِنْ ذلك الأيوبيين الاشراف على السيطرة على اليمن كله. أما ذي جبلة فقد بقيت عدة حصون مجاورة لها تحت نفوذ بقايا بني مهدي وبقايا بني زريع، وهذا الوضع سيجعل الأيوبيين غير مستقرين. وبالنسبة لذمار وصنعاء، فقد ظهر بهما مقاومة شديدة ضد الأيوبيين، وظل زعماؤها متمركزين في حصونهم. وهذه الحالة ستجعل الأيوبيين في خطورة مستمرة، لذلك لم يعملوا على اختيار أحد هذه المدن عاصمة لهم، وفضلوا اختيار تعز.

أسباب انتصار شمس الدولة:

والذي ساعد شمس الدولة تورانشاه على الانتصار في اليمن عدة اسباب منها: مقدرات الجيش الأيوبي القتالية من حيث التدريب والانضباط والنظام، واصطحاب المعدات والالات الحربية مثل المجانيق والسلالم وغيره. بعكس دويلات اليمن، التي كان أكثر اعتمادها في القتال على الجيش غير المنظم ـ وهم القبائل ـ ومنها انقسام اليمن الى عدة دويلات مختلفة مذهبياً ومتصارعة سياسياً. فكان بنو مهدي خوارج، واصحاب المخلاف السليماني سنة، وحكام عدن وصنعاء إسماعيلية. فضلاً عن دخول بني مهدي في صراع

= السابق، ص:82.

(51) ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، جـ 5، ص:647، جميل حرب: الحجاز واليمن، ص:202، كريم: عدن، ص:224

مستمر مع هذه الدويلات. ومنها كذلك تعاون أهل السنة اليمنيين مع الأيوبيين ضد بني مهدي وبني زريع مثل تعاون اصحاب المخلاف السليمان.

عودة شمس الدولة الى الشام:

بعد أن تمكن شمس الدولة تورانشاه من السيطرة على الكثير من مناطق اليمن، استقر بها سنة كاملة[52]. من شعبان سنة 570 هـ/مارس 1175م، دون أن يتجه لمقاتلة أي قوى بها، وذلك بسبب تركه للكثير من جنده حاميات في كل من زبيد، وتعز، وعدن، وذي جبلة. أما بالنسبة لاقامته باليمن منذ قدومه من مصر، فقد استغرقت سنتين من رجب 569 هـ/أبريل 1174م حتى رجب سنة 571 هـ/يناير 1176م[53]. بعد تلك الفترة فكر شمس الدولة في الاتجاه نحو الشام. وحول عودته ذكرت المصادر عدة أسباب منها الآتي:

السبب الأول: عدم رغبة شمس الدولة الإقامة في اليمن. وضح ذلك الخزرجي بقوله: (وضاقت عليه اليمن ولم تعجبه لأنه تربية الشام وهي كثيرة الخيرات واليمن مجدبة بالنسبة إلى الشام)[54].

السبب الثاني: رغبة شمس الدولة حكم الشام. حكى ذلك الخزرجي بقوله: (وكان قد بلغه خبر وفاة نور الدين محمود بن زنكي واستيلاء أخيه الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب على مملكة الشام) فاشتاق إليها[55].

السبب الثالث: اشتياق شمس الدولة لرؤية أخيه صلاح الدين.

السبب الرابع: إصابة جسم شمس الدولة بالمرض والتعب من جو زبيد[56].

والواقع أن رغبة شمس الدولة بالاتجاه نحو الشام، وعدم رغبته في الاقامة باليمن هي الاكثر معقولية، فضلاً عن طمعه في حكم الشام. يؤيد ذلك الشاعر اليمني الأديب العَنَدِي

---

(52) الخزرجي: العسجد، ص:152.

(53) محمد عبدالعال: المرجع السابق، ص:97.

(54) الخزرجي: العسجد، ص:152.

(55) الخزرجي: العسجد، ص:152.

(56) محمد عبدالعال: المرجع السابق، ص:99، عن المقريزي: الخطط، ص:60.

بقصيدة قالها على لسان شمس الدولة نورد منها الأبيات الأتية:

ماالدار الا دمشق والمنى حـــلب والسؤل مصر وفي الزوراء مدراري

تلك المنازل لا لحج ولا عـــدن ولا زبيد ولا إكثار تعســـــاري

هذا على أن قدر الملك في يـــمنٍ عــــال ولكن من دون مقداري[57]

ومهما يكن من أمر، فإن شمس الدولة تورانشاه كتب إلى أخيه الملك النـاصر صـلاح الدين يستأذنه الاتجاه نحو الشام. فلما وصل هذا الكتاب إلى صلاح الدين حاول من جهته أن يكتب رسالة إلى أخيه شمس الدولة: (يرغبه في الاقامة في اليمن) ويخبره: (أن اليمن بلد مبارك وهي كثيرة الأموال ومملكتها واسعة)[58]. تجاه ذلك لم يحاول شمس الدولة رفـض طلـب أخيـه ولكنه حاول أن يبرهن لرسول أخيه أن اليمن ليست بها خيرات كثـيرة آنـذاك. فـأمر متـولي خزانته أن يحضر له ألف دينار. فلما أحضرها قال لأستاذ داره أمام رسول أخيه: (أرسـل لنـا بهذا الكيس إلى من يشتري به طبق شمس لوزي (أي مشمش) قال: وأين يوجد هـذا حفظـك اللـه تعالى؟ فجعل يعدد عليه من الأشياء التي لاتوجد في اليمـن ذلـك الزمـن)، فلـم يجـد مـن ذلك شيئاً. وقد علل ذلك الخزرجـي بقولـه: (إنمـا أراد شمـس الدولـة إظهـار عـدم راحتـه في اليمن) أما عدم وجود تلك الأشياء في اليمن فإن اللـه تعالى: (قد خَصَّ كـل أرض بفضيلـة). فلما لم يجد شمس الدولة ماطلبه قال: (ليت شعري ماذا أصنع بهـذه الأمـوال إذا لم انتفـع بهـا فيما أريد). ولما عاد الرسول إلى صلاح الدين وأخبره بذلك الخبر، أذن لأخيه شمس الدولة في الاتجاه نحو الشام[59].

بعد ذلك قرر شمس الدولة السير نحو الشام، فسار إليها من الجند في رجب سـنة 571 هـ/يناير 1176م. وأثناء سيره ذلك أمر بشنق ياسر بـن بـلال وزيـر بـني زريـع وعبـده مفتـاح

---

(57) الخزرجي: العسجد، ص:152 ـ 153، محمد عبدالعال: المرجع السابق، ص:100 ـ 101، بدلا عن اكثار تعسارى تورد بعض المصادر، اكناف تعشارى وهي بلد.

(58) الخزرجي: العسجد، ص:153 - 154.

(59) الخزرجي: العسجد، ص:154، ابن الديبع: قرة العيون، ص:381.

أو مصباح السدوسي، فَشُنِقَا على باب الخان في زبيد في نفس شهر رجب السالف الذكر[60].

واستمر شمس الدولة في سيره إلى الشام، فوصل إلى أخيه صلاح الدين في شهر رمضان من نفس السنة، وهو محاصر حلب، فاشترك معه في الحصار والسيطرة عليها، ولما عاد صلاح الدين إلى مصر سنة 572 هـ/1177م ترك أخاه شمس الدولة متولياً على دمشق، فأقام بها سنتين ثم انتقل إلى مصر فتولى الإسكندرية حتى وفاته في بداية سنة 576 هـ/1180م[61].

ومن أهم النتائج التي حققها شمس الدولة تورانشاه في فتحه لليمن هي قضاؤه على دولة بني مهدي في تهامة ومذهبها الخارجي. ودولة بني زريع في عدن ومذهبها الإسماعيلي. وضم معظم اليمن الأسفل وتهامة إلى سلطان الأيوبيين والخلافة العباسية، وسيادة مذهبها السني في تلك المناطق. إضافة إلى ذلك تأمين الطريق التجاري البحري الواصل من اليمن إلى مصر، وحماية الأماكن المقدسة (مكة والمدينة) من هجمات دويلات اليمن الشيعية والخارجية.

النــــواب:

وعلى الرغم من عودة شمس الدولة سريعاً من اليمن. إلا أن الوجود الأيوبي لم يأت إلى اليمن لينتهي سريعاً كما فعل شمس الدولة. بل أتى ليبقى فترة أطول ويجعل اليمن خاضعة لنفوذهم. فعندما غادر شمس الدولة تورانشاه اليمن استخلف على المناطق التي سيطر عليها الأيوبيون أربعة نواباً له، فولى على (زبيد) وما يليها من التهائم: أبا الميمون مبارك ابن منقذ، وولى على (عدن) وما يتبعها: عثمان بن علي الزنجيلي، وولى على (تعز والجند) وأعمالها: ياقوت التعزي، وولى على (ذي جبلة) ومخلاف جعفر ونواحيها: مظفر الدين قايماز[62].

---

(60) الخزرجي: العسجد، ص:150، ابن الديبع: قرة العيون، ص:381.

(61) الخزرجي: العسجد، ص:156، أورد ابن الديبع في تاريخ مدينة زبيد، ص:70 أن شمس الدولة تورانشاه توفي في صفر سنة 576 هـ ، بينما أورد الجندي في السلوك، 523/2، انه توفي في سلخ المحرم من نفس السنة السابقة الذكر.

(62) ابن حاتم: السمط، ص:20 - 21، الخزرجي: العسجد، ص:156، ابن عبدالمجيد: بهجة الزمن، ص:131، بامخرمة: ثغر عدن، ص:70، يحي بن الحسين: غاية الأماني، 326/1، محمد عبدالعال: المرجع السابق، =

وأثناء ولاية مبارك بن منقذ لزبيد وأعمالها صادف ظهور أحد الصوفية فيها، يسمى مبارك بن خلف. فمال إليه كثير من الناس، والتفوا حوله، فخشي ابن منقذ أن يفعل هذا الصوفي مثل ما فعل ابن مهدي في تكوين دولته، فقتله. ومن أهم أعمال ابن منقذ هذا، أنه قام بهدم جامع ابن مهدي، وبناء مقدمة جامع زبيد القديم، وهو ما يسمى بجامع الحبشة أو جامع بني نجاح[63].

ولم يمكث مبارك بن منقذ طويلاً في زبيد بعد خروج شمس الدولة منها، بسبب إصابته بالمرض وعدم استطابته البقاء في اليمن[64]. لذلك طلب الإذن من صلاح الدين وأخيه شمس الدولة بالعودة إلى مصر فأذنا له[65]. وسار إلى مصر بما معه من الأموال التي غنمها من تهامة. بعد أن ولى على زبيد أخاه خطاب أو حطان بن منقذ[66]. وكانت مغادرته لها سنة 574 هـ/1179م. واستمر مبارك بن منقذ في خدمة شمس الدولة في الإسكندرية إلى أن مات شمس الدولة، بعدها توجه إلى أخيه صلاح الدين في القاهرة. وفيها دبرت له مكيدة أدت إلى مصادرة ما معه من الأموال من قبل صلاح الدين، محتجاً عليه بمصادرته لأموال بني مهدي في تهامة[67]. وتوفي مبارك ابن منقذ في شهر رمضان سنة 587 هـ/ سبتمبر1191م[68].

وبالنسبة لعثمان الزنجيلي الذي تولى (عدن) وأعمالها منذ سنة 570 هـ/ 1174م حتى سنة 579 هـ/ 1183م[69].فقد عمل على الاستيلاء على حضرموت التي كانت قد نشأت فيها

= ص:103، كريم: عدن، ص:224 ـ 225، الزنجيلي يسمى عند ابن حاتم، ص:23،السنجاري، وعند آخرين الزنجبيلي.

(63) الخزرجي: العسجد، ص:157، محمد عبدالعال: المرجع السابق، ص:108.

(64) ابن حاتم: السمط، ص:22.

(65) الخزرجي: العسجد، ص:157، ابن خلدون: جـ 5 /648.

(66) ابن حاتم: السمط ، ص: 22 ، الخزرجي: العسجد ، ص. 157، بعض المصادر تسميه خطاب والبعض الآخر حطان.

(67) ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون ، 648/5 ، الخزرجي: العسجد ، ص: 157 ـ158 ، محمد عبدالعال: المرجع السابق ، ص. 108 .

(68) الخزرجي: العسجد ، ص: 156 .

(69) ابن سمرة: طبقات فقهاء اليمن ، ص: 204 .

عدة أسر حاكمة ، هم آل راشد في منطقة تريم ، وكانوا على مذهب الإمام الشافعي وبنو الدغار في شبام . وآل إقبال أو آل فارس في الشحر[70]، فجهز من عدن سنة 575 هـ/ 1180م جيشاً كبيراً من الأيوبيين واليمنيين المناصرين له. وساروا في سبع سفن حربية إلى أن وصلوا إلى الشحر ، فاستولوا عليها من آل فارس بعد هروبهم منها . بعد ذلك تابع الجيش الأيوبي سيره نحو آل راشد في تريم . وكان حاكمها آنذاك شجعنة بن راشد، قد عمل على الاستعانة لمقاتلة الأيوبيين بأبناء عمومته آل الدغار أمراء شبام، فأعانوه والتقوا جميعاً بالأيوبيين في غيل باوزير قرب تريم. فدارت بها عدة مناوشات قتالية أسفرت عن هزيمة أهل حضرموت، وإلقاء القبض على راشد بن شجعنة وأبي الرشيد أحمد، ودخول الأيوبيين تريم في ذي الحجة من سنة 575 هـ أبريل 1180م، والسيطرة عليها[71].

وبعد سيطرة الأيوبيين على (تريم) أخذوا عدة رهائن من آل راشد وسيروهم إلى عدن. منهم عبدالله بن راشد وأخوه أحمد بن راشد وابن أخيه أبا أحمد بن شجعنة[72] . ومن الواضح أن الهدف من أخذ الرهائن هو إجبار أهل حضرموت على طاعتهم وعدم الخروج عليهم .

وبالرغم من ذلك فإن أهل حضرموت لم يقبلوا بالحكم الأيوبي لبلادهم . ففي المحرم سنة 576 هـ / مايو 1180م ، أعلنوا العصيان والخروج عن الطاعة. فأرسل إليهم عثمان الزنجيلي جمعاً من الجيش الأيوبي بقيادة أخيه سويد ، فساروا إليهم براً عبر طريق أحور ، وبصحبتهم راشد بن شجعنة وأبوالرشيد . ولما وصلوا إلى (الاسعا) التقو بشجعنة بن راشد، وساروا إلى أن تمكنوا من دخول تريم في ربيع الآخر من نفس سنة 576 هـ/ أغسطس 1180م.

---

(70) كريم: عدن ، ص: 226، الشاطبي: أدوار التاريخ الحضرمي، ص: 165، 171.

(71) سالم بن محمد الكندي: تاريخ حضرموت، تحقيق عبدالله الحبشي ،ط1 ، 1991م ص: 70ـ71 ، صلاح البكرى: تاريخ حضرموت السياسي ، مطبعة الباب الحلبى ، بمصر، ط2 ، 1956م ، ص: 81 ، سعيد عوض باوزير: معالم تاريخ الجزيرة العربية، الناشر مؤسسة الصبان ، ط2 ، 1966م ، ص: 274 ، كريم: عدن ، ص: 227 - 228 .

(72) سالم الكندى: تاريخ حضرموت ، ص: 71 ، البكرى: تاريخ حضرموت ، ص:81 ، كريم: عدن ، ص: 227 - 228.

وخلال دخول الأيوبيين هذه المرة أقدموا على قتل الكثير من علماء وفقهاء وقراء تريم، منهم يحيى وأخوه أحمد ابني سالم وأحمد أكدر والفقيه على بن أحمد بن بكير ، والفقيه المقرىء أبوبكر بن بكير، كما قتلوا عدداً كبيراً من الصالحين[73]، منهم جمع كبير أهل الدومتين بحضرموت، أدت هذه الحملة إلى تمكن الأيوبيين من السيطرة على حضرموت كلها[74] .

ومع ذلك فإن أهل حضرموت لم يستكينوا للأيوبيين ، فقد خرجوا عليهم مرة أخرى في شوال سنة 576 هـ/ فبراير 1181م بقيادة عبدالباقي بن أحمد الدغار أميرشبام. والذي اتجه إلى تريم وحاصر الأيوبيين فيها . وكما يبدوا أن هذا الحصار أسفر عن المصالحة بين الأيوبيين وحكام حضرموت ، لذلك أطلق الأيوبيون سراح شجعنة بن راشد وأخيه عبدالله من عدن فى أواخر سنة 576 هـ/ 1181م ، وفي المحرم من سنة 577 هـ/ مايو 1181م تمكنا من إعادة سلطانهما على تريم . كما تمكن آل فارس من استعادة سلطانهم على الشحر. فضلاً عن استعادة آل الدغار لحكمهم في شبام . وبذلك أعادت الأسر الثلاث لسلطانها في حضرموت (آل فارس في الشحر ، وآل راشد في تريم ، وآل الدغار في شبام). وبالنسبة لأبي أحمد بن شجعنة فقد أطلق سراحه في سنة 587 هـ/ 1191م[75] .

استمر نواب شمس الدولة تورانشاه على اليمن، يبعثون له أموال اليمن إلى الشام ثم إلى الإسكندرية إلى أن توفي سنة 576 هـ/ 1180م[76]. بعد ذلك استقل كل نائب بما تحت يديه من أعمال وأدعى كل واحد منهم الملك لنفسه وضرب كل واحد منهم العملة باسمه وحرم على أهل بلده أن يتعاملوا بغيرها عدا مظفر الدين قايماز[77] .

---

(73) سالم الكندي: تاريخ حضرموت ، ص: 71 ، كريم: عدن ، ص: 229 - 230 .

(74) ابن حاتم: السمط ، ص: 23 .

(75) سالم الكندى: تاريخ حضرموت ، ص: 71 .

(76) الخزرجي: العسجد ، ص: 156 .

(77) الخزرجي: العسجد ، ص: 156 ، ابن الديبع: قرة العيون ، ص: 384 ، بغية المستفيد ، ص: 72 ، الفضل المزيد ، ص: 82 ، ابن حاتم: السمط ، ص: 22 .

ولما رأي صلاح الدين الأيوبي استقلال كل نائب في اليمن بما تحت يديه من مناطق وصراعهم ، أدرك أنه من الواجب عليه توحيد اليمن تحت قائد واحد. واستمرار تبعيتها للأيوبيين. لذلك أرسل صلاح الدين والي القاهرة صارم الدين خُطلُبا (مطلوبغا) ومعه حملة كبيرة في جمادي الآخر سنة 577 هـ/ اكتوبر 1181م. وكتب معه إلى الأمراء باليمن يخبرهم أن يسيروا معه لحرب حطان بن منقذ والي زبيد ، وأن يتولي عليها خطلبا[78]. وكما يتضح أن حطان حرج عن طاعة الأيوبيين بسبب مصادرة صلاح الدين لأموال أخيه مبارك في القاهرة.

توجه صارم الدين خطلبا بحملته من القاهرة نحو عدن عن طريق البحر ، فلما وصلها استقبله الزنجيلي وسار معه نحو زبيد . ولما وصلوا إلى الجند أتاهما ياقوت التعزي من تعز، ومظفر الدين قايماز من ذي جبلة ، وساروا جميعاً نحو زبيد . ولما علم حطان بن منقذ بقدومهم رأى أنه غير قادر على مقاومتهم ، فترك زبيد وهرب نحو أحد الحصون القريبة من زبيد هو حصن (قوارير)، وأتاح ذلك فرصة لخطلبا وجيشه دخول زبيد دون قتال . وبعد ذلك عادكل والي إلى مكان عمله وتولى زبيد خطلبا[79] .

حاول حطان بن منقذ أن يكسب ود صارم الدين خطلبا ، فظل يراسله من حصنه إلى زبيد ، ويرسل له الهدايا إلى أن حصلت الألفة بينهما . وبعد فترة قصيرة على سيطرة خطلبا على زبيد مرض وأشرف على الموت أثناء ذلك استدعى حطان بن منقذ وسلم له زبيد

---

(78) ابن حاتم: السمط ، ص: 22 - 23 ، الخزرجي: العسجد ، ص: 158 ، ابن الديبع: قرة العيون ، ص: 386 ، بغية المستفيد ، ص: 73 ، المفضل المزيد ، ص: 82 - 83 ، ابن عبدالمجيد: بهجة ، ص: 131 - 132 ، محمد عبدالعال: المرجع السابق ، ص: 112 - 114 ، مسفر: المرجع السابق، ص: 92 جميل: المرجع السابق ، ص: 103 ، كريم: عدن ، ص: 133 ، يذكر الخزرجي ، ص: 158 ،وابن الديبع في بغية المستفيد ، والمفضل المزيد ، ص: 82 - 83 ، أن خطلبا دخل اليمن سنة 574 هـ/ 1178م بينما يذكر الحجوري أن خطلبا وصل إلى اليمن يوم الاثنين من شهر المحرم سنة 578 هـ/ 1187م وكما يبدو أن الأخير تاريخ وفاته ، انظر كريم: عدن ، ص: 233.

(79) ابن حاتم: السمط ، ص: 22 - 23 ، الخزرجي: العسجد ، ص: 158 ، محمد عبدالعال: المرجع السابق ، ص: 112 - 114 .

وقال له (تسلم البلاد فأنت أولى بها) من عثمان الزنجيلي[80]. وكانت وفاة خطلبا في نفس السنة التي تولى بها زبيد.

وبعد موت صارم الدين خطلبا ، طمع عثمان الزنجيلي في التوسع نحو اليمن الأسفل وتهامة ، والسيطرة عليهما باسم الأيوبيين ـ أي أراد أن يكون نائباً عن الأيوبيين على اليمن كله ـ فجهز حملة من عدن واتجه بها إلى الجند، وكانت تابعة لياقوت التعزي، فسيطر عليها . وقعد بها ثمانية أيام ، ثم اتجه نحو مخلاف جعفر (إب) فتسلمها من مظفر الدين قايماز سنة 578 هـ/ 1192م بعد أسره . وكان قايماز قد عجز عن ضبط الأمور بها ، أو أنه فضل المسالمة وعدم المقاومة أوالخروج. بعد ذلك ترك الزنجيلى أخاه عمر بن علي نائباً عنه بذي جبلة[81]. أما مظفر الدين قايماز فقد ظل في الأسر حتى وصول سيف الإسلام طغتكين إلى اليمن[82].

ومن وجهة حطان بن منقذ والي زبيد، فقد قاوم والي عدن عثمان الزنجيلي. لذلك دخل الواليان في صراع عسكري مع بعضهما البعض، وقد بدأ الزنجيلي ذلك الصراع. فجهز حملة عسكرية من عدن وسار بها نحو تهامة. فلما وصل إلى الجند اتفق مع ياقوت التعزي على حرب حطان. فسار بجيشهما نحو زبيد، فحاصروها عدة أيام. وأثناء الحصار وضع حطان حيلة لفكه. ففتحوا ليلاً أبواب زبيد المقابلة للقوات المحاصرة لهم. فهجموا عليهم فجأة وهم غير مستعدين للقتال مما أربكهم. أدى ذلك إلى قتل عدة أفراد منهم وسلبهم،وغنيمة أموالهم[83]. وانتهت هذه الهجمة بهزيمة الزنجيلي وحلفه وهروبهم نحو تعز. واستمر حطان في مطاردتهم إلى الجند. وفي منطقة مصابيح دارت معركة كبيرة بين الطرفين لعدة أيام، انتهت بعقد صلح بين الطرفين. يقضي بأن يتخلى الزنجيلي عن منطقة الجند وحصون ذخر (جبل حبشي) وإعادتها إلى ياقوت التعزي. وذلك بهدف تقليص نفوذ الزنجيلي الذي بدأ يتوسع

---

(80) ابن حاتم: السمط ، ص: 23 .

(81) الخزرجي : العسجد ، ص: 157 ، 159 .

(82) الجندي: السلوك ، 2/ 524 .

(83) ابن حاتم : السمط ، ص: 22 .

وترك كل نائب يحكم ما تحت يده حسب ما تركهم شمس الدولة. وبعد ذلك عاد حطان بن منقذ إلى زبيد فوصلها في شعبان من سنة 579 هـ/ نوفمبر 1183 [84].وهكذا كان صراع نواب تورنشاه في اليمن. وعلى إثر ذلك، قدم إليها سيف الإسلام .

وما يتضح مما ذكر سابقاً أنه على الرغم من إهتمام الأيوبيين بفتح اليمن وضمها إليهم. إلا أن إهتمامهم الأكبر انصب على مصر والشام. وذلك لمحاربة الصليبيين الذين كانوا يتواجدون في فلسطين. والذين كانوا يشكلون خطورة كبيرة على الإسلام والمسلمين في تلك الجهات. وذلك ما لاحظناه من سرعة عودة تورنشاه إلى الشام ثم مصر، بعد الإكتفاء بالقضاء على دويلات اليمن المتعددة، والعمل على ضمها إلى سلطانهم .

كما نجد أيضاً أن أسرة بني أيوب كان لها دور كبير في توحيد الجيش الأيوبي تحت قيادتهم والتزامهم بالطاعة وعدم الخروج عليهم. وذلك ما نجده عندما كان تورنشاه يحكم اليمن. فلما رحل عنها اختلف نوابه وتصارعوا فيما بينهم حول من يحكم اليمن مما يدل على عدم اتفاقهم على اختيار أحدهم. لذلك فكر صلاح الدين الأيوبي في إرسال أحد إخوته إلى اليمن لحل ذلك الخلاف. فأرسل أخاه سيف الإسلام طُغْتكِين الذي سيأتي ذكره فيما يلي.

---

(84) الجندي : السلوك ، 2/ 526 .

الفصل التاسع

الملك سيف الإسلام (طُغْتِكِيْن)

أسباب الحملة:

كان أهم سببين دفعا صلاح الدين إلى إرسال أخاه سيف الإسلام نحو اليمن الآتي:

السبب الأول ـ خلاف النواب في اليمن:

ظلت أنظار صلاح الدين متجهة نحو اليمن، فلما رأى عدم إتفاق الأمراء الذين تركهم أخوه شمس الدولة على اليمن. وحدوث فتنة فيما بينهم ومحاربة بعضهم البعض[85]. وكان التنافس شديداً بين حطان أمير زبيد، وعثمان الزنجيلي أمير عدن، الذي أراد أن يكون جميع النواب في اليمن تابعين له. أرسل أخاه سيف الإسلام.

السبب الثاني ـ ظهور الخطر الصليبي على البحر الأحمر:

نتيجة للصراع الديني بين الصليبيين والمسلمين على بيت المقدس، وعدم مقدرتهم مقاومة الأيوبيين في مصر والشام، بدأ الصليبيون يهتمون بالاتجاه نحو البحر الأحمر. ففي سنة 577 هـ/ 1181م فكر البرانس (أرناط) صاحب إمارة الكرك (شرق البحر الميت) في الإستيلاء على المدينتين المقدستين (مكة والمدينة)[86]، وتهديد قوافل التجارة وقوافل الحجاج العابرة البحر الأحمر، والاتصال بمملكة الحبشةالمسيحية للاتفاق معها على فرض الحصار على المسلمين من جهة الجنوب. فحمل (أرناط) أخشاباً من (عسقلان) على جمال ـ استأجرها من العرب ـ إلى ميناء (إيلة) على خليج العقبة[87]. ولما وصلوا إليها سمروا هذه الأخشاب وأنشأوا عدة مراكب لهم[88]. فشكل ذلك خطراً كبيراً على المسلمين.

ففي المرة الأولى حاول (أرناط) السير نحو الأماكن المقدسة في الحجاز، وكان هدفه دخول مدينة الرسول (ص) وإخراج ضريحه الشريف المقدس منه[89]. فلما وصلت حملته إلى

---

(85) محمد بن جبير : رحلة بن جبير ، دار صادر ، بيروت ، 1964 م ، ص: 124 .

(86) القوصي : تجارة مصر في البحر الأحمر ، ص: 153 .

(87) ابن جبير : رحلة ابن جبير ، ص: 34 ، القوصي : المرجع السابق ، ص: 153 .

(88) ابن جبير : رحلة ابن جبير ن ص: 34 ، القوصي : المرجع السابق ، ص: 152 - 154 .

(89) ابن جبير : رحلة ابن جبير ، ص: 34 ، القوصي : المرجع السابق ، ص: 154 - 155 .

تيماء توقفت، بسبب عدم تحملهم شدة الحر وقلة الماء، وكذلك مهاجمة الكرك ونهبها من قبل الأيوبيين بقيادة عز الدين فرخ شاه، فاضطر لذلك (أرناط) العودة إلى الكرك[90].

وفي المرة الثانية، حاول (أرناط) سنة 578 هـ/ 1182 الاتجاه نحو البحر الأحمر لمنع وصول التجارة إلى مصر، ومنع وصول الحجيج إلى مكة. عندما كانت قوافل التجارة والحجيج تسلك طريق عيذاب المصرية ومنها إلى جدة ومكة أو اليمن. فأخذت سفن (أرناط) تعبر البحر الأحمر، فأحرقت فيه ستة عشر مركباً للمسلمين[91]. ثم اتجه (أرناط) بحملته البحرية نحو ميناء عيذاب. فلما وصلها نهب منها قافلة تجارية كبيرة، كانت قادمة من قوص إلى عيذاب، وفتك بجميع أفراد القافلة. كذلك نهب مركبين قادمين بتجارة من اليمن، وأيضاً أحرق في عيذاب كثيراً من الأطعمة كانت معدة لميرة مكة والمدينة[92].

وعن محاولة الصليبيين بقيادة (أرناط) منع وصول قوافل الحجاج إلى مكة والمدينة، ومنع وصول تجارة الكارم إلى مصر. أوضح أبوشامة في رسالة بعث بها صلاح الدين إلى الخليفة العباسي تقول: (وأما الطريق القاصد سواحل الحجاز واليمن فقدر [أرناط] أن يمنع الحاج عن حجه، ويحول بينه وبين فجه، وأخذ تجار اليمن وأكارم عدن، ويلم بسواحل الحجاز فيستبيح المحارم ويهيج جزيرة العرب بعظيمة دونها العظائم)[93].

كذلك حاول الصليبيون الوصول إلى مملكة الحبشة المسيحية في جنوب البحر الأحمر للتحالف معها ضد المسلمين في قطع التجارة الواصلة من الهند والصين إلى مصر عبر مدخل البحر الأحمر ومهاجمة اليمن[94].

ونتيجة لذلك الخطر الصليبي أرسل صلاح الدين الأيوبي إلى أخيه العادل يأمره بالاتجاه إلى القضاء على حملة أرناط، فجهز العادل حملة بحرية مكونة من عدة سفن، جهزت من القاهرة والاسكندرية بقيادة حسام الدين لؤلؤ، واتجهت الحملة نحو البحر الأحمر. وظل الأيوبيون

---

(90) القوصي : المرجع السابق ، ص: 154 .

(91) ابن جبير : رحلة ابن جبير ، ص: 34 .

(92) ابن جبير : رحلة ابن جبير ، ص: 34 ، القوصي : المرجع السابق، ص: 154 .

(93) أبو شامة : الروضتين في أخبار الدولتين ، 2/ 37 ، القوصي: المرجع السابق ، ص: 155 .

(94) محمد عبد العال: الأيوبيون في اليمن ، ص: 117 ، جميل حرب : المرجع السابق ، ص: 93 .

يتتبعون الصليبيين حتى تمكنوا من الإيقاع بهم في شوال سنة 578 هـ/ فبراير 1183م، وهزيمتهم وإلقاء القبض على كثير منهم وأخذهم أسرى، وتفريقهم في البلدان الإسلامية ليقتلوا فيها عبرة لما فعلوه بالمسلمين. ومن ضمن المدن التي وجهت إليها الأسرى وقتلوا فيها مكة والمدينة[95]. لذلك كله كان اهتمام صلاح الدين لإرسال أخاه سيف الإسلام للاستيلاء على اليمن.

الحملة:

جهز صلاح الدين الأيوبي سنة 579 هـ/ 1183م حملة بقيادة أخيه سيف الإسلام طغتكين مكونة من ألف فارس وخمسمائة راجل[96]. فسارت الحملة عبر الطريق التجاري وطريق الحاج المرتادة آنذاك. حيث خرجت من القاهرة عبر النيل إلى (قوص)، ومنها سارت براً إلى (القُصَيْر المصرية) ثم عبرت البحر الأحمر إلى (ينبوع الحجازية)، ومنها سارت حملة طغتكين لزيارة قبر الرسول (ص)، ثم توجهت الحملةإلى (مكة) لاداء مناسك العمرة، فدخلها طغتكين في الثالث من شهر رمضان سنة 579 هـ/ ديسمبر 1183[97]. فاستقبله فيها أمير مكة مكثر بن فليتة، فخلع عليه طغتكين خلعة حسنة لم ير مثلها. والسبب في سير سيف الإسلام طريقاً مغايراً لطريق أخيه تورانشاه، هو اقتصار الطريق المؤدي إلى المدينة من مصر، وتجنب احتمال هجوم الصليبيين عليه، وخاصة أن عيذاب تعرضت لهجوم من قبلهم. فضلاً عن أن هذه الطريق توصل مباشرة إلى المدينة المنورة وهو الهدف الذي سعى إليه سيف الإسلام بزيارة قبر الرسول (ص). وبعد أن مكث طغتكين أسبوعاً في مكة، توجه بجيشه نحو اليمن في العاشر من رمضان من سنة 579 هـ/ ديسمبر 1183[98].

---

(95) ابن جبير : رحلة ابن جبير ، ص: 35 ، القوصي : المرجع السابق، ص: 155 ـ 156 ، محمد عبد العال ، المرجع السابق ، ص: 118 ـ 119

(96) الخزرجي : العسجد ، ص: 158 ، ابن عبد المجيد : بهجة الزمن ، ص: 133 ، بامخرمة : تغر عدن ، ص: 133 .

(97) ابن جبير : رحلة ابن جبير ، ص: 124 .

(98) ابن جبير : رحلة ابن جبير ، ص: 127 ، محمد عبد العال : المرجع السابق ، ص: 120 ، كنز الأخبار ، ص: 91 ، يذكر أن طغتكين دخل اليمن سنة 576 هـ .

المرحلة السلمية لاستيلاء سيف الإسلام على مدن اليمن

طغتكين ونواب تورانشاه:

ما أن علم حطان بن منقذ بقدوم طغتكين إلى اليمن حتى خرج من زبيد إلى الكدراء لاستقباله[99]. ولما قابله سيف الإسلام طغتكين ترجل له وأحسن إليه وأنصفه وشرفه، كما أحسن إلى وجوه عسكره بمنحهم الخلع، وقال له: (أنت لي بمقام الأخ)[100]. أو (أنت اخي بعد أخي)[101]. ثم ساروا جميعاً إلى زبيد، فدخلوها في الثالث عشر من شهر شوال سنة 579 هـ/ يناير1184[102]. وبذلك تسلم طغتكين زبيد بدون قتال، بعد أن بذل له واليها الطاعة.

ولم يشأ سيف الإسلام أن يظل حطان بن منقذ متولياً لأمر زبيد، رغم ما بذله من طاعة. ولكنه ولاه أحد الحصون المطلة على تهامة هو حصن (قوارير)[103]. إلا أن حطان أدرك أنه لايستقيم له أمر مع طغتكين، فطلب منه الإذن بالعودة إلى مصر، فوافق طغتكين على عودته[104].

قام حطان بتجهيز عفشه ومتاعه في نية الاتجاه إلى بلاده، فلما جمع أمواله وأثقاله وتركها تسير طريقها أمامه. دخل على طغتكين ليودعه، فخرج طغتكين معه لوداعه، فلما صارا في (الجنابذ) شمال زبيد، رأى طغتكين أموالاً كثيرة مع حطان، فأمر بالقبض عليه وأخذ جميع ماكان معه من الأموال[105]. وهي عبارة عن سبعين غلافاً زردية مملوءة ذهبا[106] قدر قيمتها بألف

---

(99) الجندي : السلوك ، 2/ 527 ، محمد عبد العال : المرجع السابق ، ص: 120 .

(100) ابن حاتم : السمط ، ص: 24 .

(101) ابن عبد المجيد : بهجة الزمن ، ص: 133 ، الجندي: السلوك ، 527/2 .

(102) الخزرجي : العسجد ، ص: 159 ، الجندي : السلوك ، 2/ 527 ، بامخرمة : ثغر عدن ، ص: 133 ، عبد العال : المرجع السابق ، ص: 120 ، كريم : عدن ، ص: 236 ، الوصابي ، ص: 109 ، والخزرجي ، ص: 159 ، وابن الديبع ، ص: 386 . يذكرون أن دخول سيف الاسلام طغتكين اليمن أواخر سنة 577 هـ / بينما يذكر الجندي ،2/ 526 ، أنه دخل زبيد في شوال 579 هـ .

(103) ابن حاتم : السمط ، ص: 24 .

(104) ابن حاتم : السمط ، ص: 24 ، الجندي : السلوك ، 2/ 527 .

(105) ابن حاتم : السمط ، ص: 24 ، الخزرجي : العسجد، ص: 159 ، محمد عبد العال : المرجع السابق ، ص: 122 .

(106) الجندي: السلوك ، 2/ 527 ، الخزرجي: العسجد ، ص: 159 ، محمد عبد العال: المرجع السابق ،. =

ألف دينار[107] (أى مليون دينار). وكانت هذه الأموال هي ما جمعها حطان من تهامة بعد استقلاله عن الأيوبيين بعد موت تورانشاه سنة 576 هـ/ وحتى سنة 579 هـ. بعد ذلك أمر طغتكين بقيد حطان وإرساله مع ياقوت التعزي إلي حصن تعز لسجنه، فبقي بها عدة أيام ثم أمر بقتله، فقتل سراً خنقاً[108].

والواقع أن الثقة قد انعدمت بين بني أيوب وبني منقذ منذ أن صادر صلاح الدين أموال مبارك بن منقذ في القاهرة وعصيان حطان بن منقذ في زبيد، ولم تكن طاعة حطان لطغتكين كافية لإعادة الثقة بينهما، لذلك لم يقنع حطان بتوليه حصن قوارير. كما أن طغتكين لم يقبل تركه دون عقاب، فكانت الفرصة مناسبة له عندما تجهز حطان للخروج من اليمن بالأموال التي جمعها منها. فألقى القبض عليه وصادر أمواله ثم أمر بقتله. وكان الأجدى بطغتكين أن يأخذ منه الأموال ويتركه يسير بدونها. كما فعل أخوه صلاح الدين بمبارك بن منقذ. إلا أن طغتكين أصر على قتل حطان بسبب خروجه عن طاعة الأيوبيين، وليست بسبب أخذ الأموال.

أما ما كان من ياقوت التعزي فإنه لما سمع بدخول طغتكين اليمن ووصوله إلى زبيد اتجه إليها من تعز واستقبله فيها وسلم له مفاتيح حصن تعز. فأعجب به طغتكين وأكرمه ثم أعاده إلى ولايته، وبعث معه حطان ليسجنه فيها[109]. ومن الواضح أن ياقوت التعزي لم يخرج عن طاعة الأيوبيين، لذلك أبقاه طغتكين على ولايته.

وبالنسبة لعثمان الزنجيلي أمير ولاية عدن، فإنه لما علم بما جرى لحطان بن منقذ في زبيد. خاف على نفسه، فخرج من عدن هارباً من سيف الإسلام طغتكين نحو مكة في يوم الأحد 6 ذي القعدة سنة 579 هـ/ فبراير 1184م، عن طريق البحر بسفن مشحونة بثروة عظيمة (وأموال لاتحصى كثرة لأنه طال مقامه في تلك الولاية واتسع كسبه .. [و] لأنه كان في ولايته يوصف

= ص: 122 ، مسفر : المرجع السابق ، ص: 96 .

(107) محمد عبد العال · المرجع السابق ، ص: 122 ، مسفر : المرجع السابق ، ص: 96 .

(108) ابن حاتم : السمط ، ص: 24 ، الجندي : السلوك ، 2/ 527 ، محمد عبد العال : المرجع السابق ، ص: 122 .

(109) الجندي : السلوك ، 2/ 527 ، الخزرجي : العسجد ، ص: 159 ، محمد عبد العال : المرجع السابق ، ص: 122 .

بسوء السيرة مع التجارة، وكانت المنافع كلها راجعة إليه، والذخائر الهندية المجلوبة كلها واصلة إلى يديه. فاكتسب سحتاً عظيماً وحصل على كنوز قارونية)[110].

ولما علم سيف الإسلام طغتكين بهروب الزنجيلي بأمواله عن طريق البحر أرسل سفناً تعترضه قبالة ساحل زبيد. فأدركت مؤخرة سفنه، فاستولوا عليها. أما عثمان الزنجيلي نفسه فقد نجا ومعه الكثير من الأموال[111]. ووصل إلى مكة في يوم الاثنين الخامس من شهر ذي الحجة سنة 579 هـ/ مارس 1184م[112]. ثم غادرها إلى الشام فأقام بدمشق إلى أن مات سنة 583 هـ/ 1187م[113]. وبذلك نجا الزنجيلي من عقاب طغتكين.

وفي تلك الأثناء عزم سيف الإسلام طغتكين على التوجه نحو (تعز)، فوصلها في الأيام العشر من ذي الحجة وعيد بها عيد الأضحى لسنة 579 هـ/ مارس 1184م. ثم توجه إلى الجند، وأرسل مولاه ابن عين الزمان والياً على عدن[114]. أما ولاية ذي جبلة، فقد أرسل طغتكين مملوكه (إيليا) ليستولي على حصن التعكر من الأمير عمر بن علي الزنجيلي الذي كان متولياً عليه من قبل أخيه عثمان الزنجيلي بعد سيطرته عليه من قايماز[115]. كما أمر بتخليص قايماز من الأسر[116]. وبذلك تمكن سيف الإسلام طغتكين بدون قتال إعادة السيطرة على المناطق التي استولى عليها أخوه تورانشاه في اليمن من النواب الذين عملوا على محاربة بعضهم البعض .

---

(110) ابن جبير : رحلة ابن جبير ، ص: 148 .

(111) الجندي : السلوك ، 2/ 528 ، الخزرجي : العسجد ، ص: 159 ، محمد عبد العال : المرجع السابق ص: 123 .

(112) ابن جبير : رحلة ابن جبير ، ص: 148 .

(113) محمد عبد العال : المرجع السابق ، ص: 123 .

(114) الجندي: السلوك ، 2/ 528 ، الخزرجي : العسجد ، ص: 159، ابن الديبع : قرة العيون، ص: 387 .

(115) الجندي: السلوك ، 2/ 527 ، الخزرجي: العسجد ، ص: 159 .

(116) الجندي : السلوك ، 2/ 524 .

المرحلة الثانية لاستيلاء سيف الإسلام على حصون اليمن

1 ـ سيف الإسلام وحصون اليمن الأسفل:

بعد أن تمكن سيف الإسلام طغتكين من إعادة المناطق التي فتحها أخوه تورانشاه. اتجه لإزالة بقايا القوى اليمنية المختلفة من بني زريع وبني مهدي وغيرهم المتمركزين في الحصون التي لم تفتح عهد أخيه واقتضى منه ذلك صراعاً طويلاً. نوضح ذلك بالآتي:

في البداية اتجه سيف الإسلام طغتكين نحو المعافر فحاصر حصن (السوا) بها لمدة، فلما (أصاب أهله مرض عظيم أشرفوا منه على الهلاك) سلموا له الحصن من غير قتال[117].

بعد ذلك اتجه سيف الإسلام طغتكين نحو مخلاف جعفر (إب)، فاستولى سنة 580 هـ/ 1184م على حصون وصاب وأعمالها. كما استولى على حصون أولاد أبي النور بن أبي الفتح وهما حصنا بيت عز ونعم في الشعر دون قتال[118]. كذلك استولى على حصن (شواحط) من أهله دون حرب لأن شيخهم بايع سيف الإسلام بمكة عند قدومه من مصر[119].

وأيضاً توجه سيف الإسلام طغتكين في شوال سنة 581 هـ/ ديسمبر 1185م للاستيلاء على حصن عنة في العدين. وفي سنة 582 هـ/ 1186م استولى على حصن يفوز من يد عبدالله بن محمد العودري. كما استولى على حصن خدد (جبل حبشي) من صاحبه على بن عبدالله بن مقبل الخولاني[120]. كذلك استولى على عدة حصون أخرى مثل حصن ريمة الحدبا، وحصن بحرانه، وسماءه، وقزعة وعتمة[121]. وبذلك سقطت معظم حصون القوى القبلية لليمن الأسفل وأصبحت تحت سلطان الأيوبيين، ولم يبق معهم فيها إلا حصني (حب) في بعدان، و (الدملوة) في الصلو.

2 ـ سيف الاسلام وبقايا الزريعيين:

حصن حب (بعدان):

كان حصن (حب) في بعدان تابعاً لبني زريع وكان متولياً له السلطان زياد بن حاتم بن

---

(117) ابن حاتم : السمط ن ص: 24 ، الخزرجي : العسجد ، ص: 159 ـ 160 .

(118) ابن سمرة : طبقات ، ص: 229 ، ابن حاتم : السمط ، ص: 25 .

(119) ابن حاتم : السمط ، ص: 24 ـ 25 .

(120) ابن سمرة : طبقات ، ص: 229 .

(121) ابن حاتم : السمط ، ص: 25 .

علي بن سبأ الزريعي. فاتجه سيف الاسلام طغتكين لحصاره سنة 581هـ / 1185م. ولما طال الحصار وقرب موعد الحج ترك طغتكين مولاه الهمام أباريا محاصراً للحصن ومعه شمس الخواص. واتجه نحو مكة لأداء فريضة الحج. وأثناء الحصار حاول السلطان زياد بن حاتم الزريعي أن يطلب النجدة من السلطان علي بن حاتم حاكم صنعاء. والشيخ عبد الله الجنبي حاكم قبيلة (جنب) فأرسل علي بن حاتم ولديه عمران والفضل وأخاه بشر بن حاتم في جمع من العساكر من همدان. خرجوا من صنعاء آخر ذي القعدة سنة 581هـ/ يناير 1186م، أثناء غياب سيف الاسلام طغتكين في الحج. ولما وصلوا الى ذمار انضم اليهم الشيخ عبدالله بن يحيى الجنبي والشيخ عمران بن زيد الجنبي في جمع كبير من عساكر مذحج وجنب. وفي منطقة (الصنمية) من بلاد الحقل انضم اليهم السلطان أسعد بن علي بن عبدالله الصليحي صاحب حصن (قيضان). وفيها أشتورى قادة الجيش حول كيفية الاتجاه لمحاربة الأيوبيين، فكان هدف بشر بن حاتم أن يسير الجيش بكامله في جهة قتالية واحدة، بينما رأى أسعد بن علي أن يتجه الجمع من جهتين. فتغلب رأى أسعد بتقسيم الجيش الى فرقتين ، فرقة وهم همدان بقيادة بشر بن حاتم تتجه نحو حصن (نعم) في الشعر ، وكان قد سيطر عليه الأيوبيون وفرقة أخرى وهم مذحج وجنب وغيرهم تتجه نحو السحول. [122]

وماكادت تصل قبيلة (جنب) الى قرب السحول حتى أحبط عزمها الشيخ علي بن محمد بن إبراهيم من التقدم، فالسحبوا، وكان سبب خذلان هذه القبائل الأحقاد القديمة بين الشيخ عبدالله بن يحيى الجنبي والشيخ عمران بن زيد الجنبي[123]. ولما علم بشر بن حاتم بالسحاب قبائل (جنب) أمر همدان بالرحيل عن حصن (نعم)، فارتحلوا عنه. وعندما وصلوا الى حقل قتاب (كتاب) حاول الشيخ عمران أن يشرح لبشر سبب خذلان (جنب) عليه وذلك بهدف عودتهم الى التحالف، إلاّ أنهم لم يتفقوا على حل (ولم يحصلوا على شئ مما أمَّلوه) [124] فعادت قبائل همدان وجنب الى مواضعها بعد عشرين يوماً من توجهها [125].

---

(122) ابن حاتم : السمط ، ص: 25 ، الخزرجي : العسجد ، ص: 160 .

(123) الخزرجي : العسجد ، ص: 160 - 161 .

(124) ابن حاتم : السمط ، ص: 25 .

(125) الخزرجي : العسجد ، ص: 160 .

وكما يتضح أن التوقيت كان غير مناسب أن تتجه هذه القبـائل لحرب الأيوبيين في أيام عيد الأضحى. إضافة الى خوفهم من الأيوبيين أن يقدموا بجيش آخر أكثر منهـم. فيتجهون لمحاربة كل قبيلة على حدة الى أماكنها دون أن يتمكنوا من مناصرة بعضهم البعـض. فضـلاً عـن أن هـذه القبائل لم تكن على وفاق ديني وسياسي . لذلك فشلوا في هذا التجمع.

وفي الوقت الذى عاد فيه سيف الاسـلام طغتكـين مـن الحـج شـدد الحصار على حصـن (حب)، وأنذر من به بتسليم أنفسهم. فلما رأى عدم تسليمهم بطاعته قرر اقتحام الحصـن بـالقوة يوم الاربعاء جمادي الاخرة سنة 582 هـ/ اغسطس 1186م. فهجم عليه، (وقتل جميع من كان به، ولم يسلم منهم الا من لم يعرف أو دخل في الجند الذي له أو طرح نفسه بين القتلـى، وتزلزلـت لذلك اليوم جميع اليمن شاماً ويمناً)[126]. وكما يبدو أن السبب بعدم تسليم الحامية الـتي كـانت موجـودة في حصن (حب) لسيف الاسلام. أنها كـانت تـأمل أن يعـود التجمـع القبلـي لمناصرتهم ويقدموا إليهم المساعدة. وأن سيف الإسلام لن يقوم بالهجوم عليهم.

والجدير بالذكر أنه كان لهذه المعركـة صـدى كبـير في أنحـاء اليمـن، فقـد أعلنـت القـوى اليمنية تسليمها لطاعة طغتكين. فقد نزل السلطان عبـد اللـه بـن يحيـى الجنـبي وأولاده إلى سـيف الإسلام معلنين ولاءهم وطاعتهم له، فخلع عليهم وأحسن إليهم. ثم تتابعت قبيلة (جنب) بالقدوم إلى سيف الإسلام معلنة الطاعة والولاء له[127]. وهكذا كانت سيطرة الأيوبيين على حصـن (حـب) وقضائهم على بقايا بني زريع به.

3 ـ سيف الإسلام وقبيلة (جنب):

ما أن سمعت قبيلـة (جنـب) الـتي كـانت مـن أشـد القبـائل معارضـة للأيوبيـين بمـا حـدث لأصحاب حصن (حب)، حتى أسرعت لإعلان الطاعة والـولاء لسـيف الإسـلام طغتكـين. وذلـك خوفاً على نفسها من أن تتعـرض بلادهـم وقبـائلهم لمثـل مـا تعـرض لـه أصحـاب الحصـن. فتوجـه السلطان عبدالله بن يحيى الجنبي وأولاده إلى طغتكـين معلنـين الطاعـة لـه. فخلـع عليهـم وأحسـن إليهـم. ثـم تـابعت قبيلـة (جنـب) بـالقدوم إلى سيف الإسـلام معلنـين لــه الطاعــة، فأحســن إلى

(126) ابن حاتم : السمط ، ص: 26 ، الخزرجي : العسجد ، ص: 161 / محمد عبد العال : المرجـع السـابق ، ص: 126 ـ 127 .

(127) ابن حاتم : السمط ، ص: 26 ، الخزرجي: العسجد ، ص: 161 .

كل من جاء منهم، ولم يبق من قبيلة (جنب) خارجاً عن طاعة الأيوبيين إلا عمـران بـن زيـد الجنبي وإخوته[128].

بعد إعلان تلك الطاعة توجه سيف الإسلام طغتكين نحو بلاد (جنب) فسيطر عليها كلها، وسيطر على حصن (هران) شرق ذمار. وأقام معسكراً أسفل هذا الحصن، فتوافدت إليه الكثير من قبائل (جنب) من لم يكن وصله من قبـل بـاذلين لـه الـولاء والطاعـة، فمنحهـم العطايـا وكسـاهم. وبذلك سيطر طغتكين على ذمار[129]. وأثناء ذلك أرسل ابن حاتم حاكم صنعـاء رسـوله إلى سيف الإسلام إلى ذمار لمصالحته، فتوقف عن الاتجاه نحو اليمن الأعلى.

وفي الوقت الذي أراد فيه سيف الإســلام العـودة إلى اليمـن الأسـفل، وَلّـى علـى (ذمـار) مظفر الدين قايماز مملوك أخيه تورانشاه. فاستغل الشيخ عمران الجنبي عدم وجود سـيف الإسـلام، وقلة الحامية الأيوبية في ذمار، فجمع جموعاً كثيرة من بلاد جنب وبلاد عنس وغيرها وسار بهم نحو ذمار فدخلها بالقوة ونهبها. أما الحامية الأيوبية (أو الرتبـة) فقـد تحصنـت منـه بقريـة تسـمى (ذي خولان). وأرسلت إلى سيف الإسلام طغتكـين إلى ذي جبلـة تخبره بهجـوم الشـيخ عمـران الجنـبي عليهم، فأسرع سيف الإسلام في القدوم إليهم. ولما وصل هربت منه بعض قبائل جنب، ولم يبق إلا عمران بمن صبر معه، فدارت معركة بين الطرفين أسفرت عن هزيمة الشيخ عمران مع قبائل جنب، وقتل الكثير منهم، وغنيمة ما معهم من الخيول والسـلاح. ولم ينجـوا منهـم إلا قلـة منهـم الشـيخ عمران[130]. وقد علل ذلك الخزرجي بأنه لولا استخدام ابن نصير الأيوبي الكـر والفـر في المعركـة (ما فلت أحد من جنب)[131]، من خلال ذلك نجد أن التفوق العسكري للأيوبيين كان واضحاً.

وآنذاك لم يطمئن سيف الإسلام من أهل ذمار، فقد توجه بجيشه نحو منطقة (بشـار) شمـال شرق ذمار فقتل منهم نحو ستمائة رجل. وذلك بسـبب تحـالفهم مـع قبيلـة جنـب ومؤاواتهـم[132].

---

(128) ابن حاتم : السمط ، ص: 26 ، الخزرجي : العسجد ، ص: 161 .

(129) ابن حاتم : السمط ، ص: 26 ، الخزرجي : العسجد ، ص: 161 .

(130) ابن حاتم : السمط ، ص: 28 ، الخزرجي : العسجد ، ص: 160 .

(131) الخزرجي : العسجد ، ص: 160 -161 .

(132) ابن حاتم : السمط ، ص: 28 ، الخزرجي : العسجد ، ص: 161 ، محمد عبد العال : المرجع السابق ، ص: 129 - 130 .

وبالنسبة للسلطان عبدالله بن يحيى الجنبي فبالرغم من طاعته لسيف الإسلام، إلا أنه قدم المساعدة لقبيلة جنب ضد الأيوبيين. ورفض تسليم بلاده لهم. فتحصن في حصن (ذروان). ولكن طغتكين لم يرد تركه متحصناً في بلاده، بعد أن عمل على تقديم المساعدة لجنب. فأرسل مظفر الدين قايماز لحصاره، فاستمر الحصار لمدة خمسة أشهر ونتيجة لتعب السلطان عبدالله بن يحيى الجنبي من الحصار وقلة الموارد الغذائية والمياه عليهم، استسلموا للأيوبيين دون قتال(133). وبذلك أعاد سيف الإسلام السيطرة الأيوبية على ذمار.

4 - سيف الإسلام وبقايا الصليحيين:

كان السلطان أسعد بن علي الصليحي صاحب حصن (قيظان) أحد بقايا الصليحيين وأحد الموالين لبني زريع، قد خاف على نفسه من الأيوبيين بعد اقتحامهم لحصن (حب) في بعدان وقتل جميع من فيه. فأرسل ولده منصور إلى سيف الإسلام طغتكين يطلب منه (التوثيق والدخول في الطاعة)(134).إلا أن هذه الطاعة لم تكن موثوق بها، بسبب الخلاف المذهبي بين الأيوبيين والصليحيين، ومحاولة أسعد الصليحي التحالف لمناصرة أصحاب حصن (حب). فضلاًعن بقائه مسيطراً على حصن (قيظان). وهو ما لا يرضى به الأيوبيون. لذلك كان من واجب سيف الإسلام الاتجاه للاستيلاء على هذا الحصن وإنهاء بقايا الصليحيين والزريعيين. فاتجه سيف الإسلام لمحاصرته. فرماه بالمجانيق واستمر الحصار لمدة تسعة أشهر، ولما عجز الصليحيون عن المقاومة طلبوا من سيف الإسلام تسليمه الحصن مقابل إعطائهم الآمان واشترطوا أن يكون خروجهم إلى صنعاء إلى السلطان علي بن حاتم . ومن أجل تنفيذ ذلك الشرط ترك كل من سيف الإسلام وأسعد الصليحي رهائن لدى بشر بن حاتم . وبعد خروجهم من الحصن ووصولهم صنعاء تسلم سيف الإسلام الحصن(135)، وبذلك انتهت بقايا الصليحيين من حصن قيظان. وأصبحت جميع مناطق اليمن الأسفل تحت سيطرة الأيوبيين عدا الدملوة بالصلو.

---

(133) ابن حاتم : السمط ، ص: 28 ، الخزرجي : العسجد ، ص: 162 ، محمد عبد العال : المرجع السابق ، ص: 130 - 131 .

(134) ابن حاتم : السمط ، ص: 26 ، الخزرجي : العسجد ، ص: 161 .

(135) ابن حاتم : السمط ، ص: 28 – 29 ، الخزرجي : العسجد ، ص: 162، محمد عبد العال : المرجع السابق ، ص: 131 .

5 ـ سيف الإسلام وبقايا الزريعيين :

حصن الدُمْلُوة :

بعد صراع سيف الإسلام طغتكين العسكري في ذمار وقيظان وحب ، توجه نحو حصن الدملوة بالصلو سنة 584 هـ/ 1189م. وكان تابعاً لبني زريع . وكان فيه جوهر المعظمي وصياً على أولاد الداعي عمران بن محمد بن سبأ الزريعي . فحاصره حصاراً شديداً . ولما أدرك جوهر عدم مقدرته مقاومة الأيوبيين ، وأن الحصار سيطول به، عرض بيع الحصن لسيف الإسلام بعشرة آلاف دينار ذهباً، فوافق سيف الإسلام على ذلك . لأن تكلفة الحصار واقتحام الحصن سيكلفه أكثر من عشرة آلاف دينار. فضلاً عن قتل عدد غير قليل من الجيش، بسبب مناعة الحصن وصعوبة اقتحامه بسهولة، لذلك وافق على شراء الحصن واشترط جوهر على سيف الإسلام (أن لا يطلع إليه نائب ولا ينزل هو من الحصن حتى يكون عيال سيده وأموالهم قد جاوزوا البحر)[136]، فوافق على ذلك .

وعندما قبض جوهر المال من سيف الإسلام، جهز أولاد سيده الداعي عمران من البنين والبنات وأخذ نفيس أمواله. وترك على الحصن نائباً له واشترط عليه أن لا يسلم الحصن إلا بعد أن يصله علمه بوصوله الحبشة[137]، ثم سار بأولاد سيده نحو المخاء خفية، فلما وصلها ركب في سفن أعدت له بها واتجه إلى أرض الحبشة. بعد ذلك كتب جوهر إلى سيف الإسلام ونائبه على الدملوة بتسليم الحصن للأيوبيين[138]. فاستغرب سيف الإسلام أن تصله رسالة جوهر من الحبشة، لأن جوهراً كان قد ترك أوراقاً كثيرة وخاتمه عند نائبه. وظل النائب يراسل سيف الإسلام بخاتم جوهر. فاعتقد سيف الإسلام أن جوهراً لازال في الحصن، لذلك كان استغراب سيف الإسلام. والسبب في هذا التصرف من جوهر هو خوفه من سيف الإسلام أن يقبض عليه بعد تسليمه المال ويأخذه منه.

وبالنسبة لنائب جوهر على حصن (الدملوة) فإنه رفض تسليم الحصن لسيف الإسلام إلا بعشرة آلاف دينار أخرى. فانزعج لذلك سيف الإسلام وعاد لتشديد الحصار على الحصن. لذلك

---

(136) ابن حاتم : السمط ، ص: 29 ، الخزرجي : العسجد ، ص: 161 .

(137) ابن حاتم : السمط ، ص: 29 .

(138) ابن حاتم : السمط ، ص: 29 ، الخزرجي : العسجد ، ص: 161 .

استغرق حصاره لمدة أربعة عشر شهراً[139].

وفي ذلك الوقت تردد سيف الإسلام بين تسليم عشرة آلاف مرة ثانية وبين شن الحرب، وفي الأخير وافق على تسليم المبلغ مرة أخرى. واقترح النائب أن يكون السلطان بشر بن حاتم الذي صادف وجوده آنذاك في تعز لتجديد الصلح بين بني حاتم والأيوبيين حكماً بينهما، فيتولى عملية تسليم المال من سيف الإسلام وتسليمه الحصن، واشترط النائب على بشر أن يُحْمَل هو وأولاده ومن كان معه إلى صنعاء بخفارته، فالتزم له بشر بذلك. وأثناء ذلك كان سيف الإسلام يريد محاسبة النائب بالمبلغ الذي تسلمه جوهر، ولكن بشر لم يوافقه على ذلك، ولم يسلم الحصن لسيف الإسلام إلا بعد أن وصل إليه خبر من أخيه السلطان علي بن حاتم أن النائب وصل إليه إلى صنعاء وتسلم المبلغ[140]. بذلك أصبحت اليمن الأسفل وتهامة كلها خاضعة للأيوبيين.

6 ـ سيف الإسلام وبنو حاتم:

تميزت علاقة الأيوبيين ببني حاتم حكام صنعاء بمرحلتين أحدهما مرحلة المصالحات والأخرى مرحلة الحرب، نوضحها بالآتي:

1 ـ مرحلة المصالحة:

لما رأى بنو حاتم في صنعاء استيلاء سيف الإسلام طغتكين على معظم اليمن الأسفل وتهامة خافوا منه، وأدرك السلطان علي بن حاتم وأخوه بشر أنهما غير قادرين على مقاومته. لذلك لم يكن منهما إلا أن أمرا بخراب قصر غمدان في شهر شعبان سنة 583 هـ/ أكتوبر 1187م. وخراب سور صنعاء حتى لا يستخدمه طغتكين مركز دفاع له، ونقلا جميع ما كان لهما إلى حصن (براش) للتحصن فيه، كما أمرا بحرق ما كان لهما من غلة وعلف حتى لا يستفيد منها طغتكين، كذلك أمرا كافة الرعايا بالخروج عن بلادهم إلى الحصون والمعاقل للاحتماء بها، وهذا ما يدل على الخوف الشديد من الأيوبيين. وفي نفس الوقت أرسل السلطان علي بن حاتم ابن عمه القاضي حاتم بن أسعد للتفاوض مع سيف الإسلام طغتكين، فوصله إلى شرق ذمار. وصالحه المصالحة الأولى عن السلطان علي بن حاتم سنة 583 هـ/ 1187م. على أن يدفع له ثمانين ألف دينار حاتمية

---

(139) ابن حاتم : السمط ، ص: 29 .

(140) ابن حاتم : السمط ، ص: 31 ، الخزرجي : العسجد ، ص: 164؛ محمد عبد العال : المرجع السابق ص: 134 .

ومائة حصان في سنة واحدة. فقبل سيف الإسلام هذه المصالحة، فعدل عن رأيه في الإتجاه نحو صنعاء، وعاد نحو اليمن الأسفل[141]. والسبب في قبول سيف الإسلام هذه المصالحة هو عدم تمكنه من إكمال سيطرته على جميع حصون اليمن الأسفل ومحاولته كسب بني حاتم إلى التعاون مع الأيوبيين، فضلاً عن أن هذا الصلح هو الحل الأسلم للطرفين لتجنب الدخول في الحرب، لأن الحرب ستكلف الطرفين الكثير من الخسائر.

وما أن انتهت سنة المصالحة بين بني حاتم وبني أيوب حتى اتجه السلطان بشر من صنعاء إلى تعز لتجديد الصلح، وأثناء ذلك أمر سيف الإسلام نوابه باستقباله وإكرامه وعدم التعرض إليه بأذى وتأمين سيره في الطريق. فلما وصل إلى ذمار أكرمه أميرها مظفر الدين قايماز، كما أكرمه ياقوت الشمسي في الحقل. وعندما وصل إلى تعز أحسن إليه سيف الإسلام وخلع عليه الخلعة التي كانت له وهي سيفه وسراجاً من ذهب وطوقاً من ذهب وكر نضار وغير ذلك من الخلع السنية. كما أحسن إلى كل من وصل معه[142]. ولما كان بشر هذه المرة في تعز توسط في تسليم الدملوة كما سبق ذكره. وأثناء المحادثة حول تجديد الصلح أسقط سيف الإسلام عن بني حاتم عن مصالحة السنة السابقة عشرين الف دينار وعشرون حصاناً[143]. لتصبح مقدار المصالحة المجددة ستين ألف دينار وثمانين حصاناً عن السنة الواحدة. وعلى الرغم من وجود المصالحة وتجديدها بين بني حاتم والأيوبيين، إلا أنها لم تكن مقنعة لهما، وذلك بسبب عدم مقدرة الأراضي الخراجية أو العشرية لبني حاتم تحمل دفع هذا المبلغ، وعدم قبول سيف الإسلام بقاء اليمن الأعلى تحت سلطانهم، لذلك نشبت الحرب بينهما.

2 ـ مرحلة الحرب:

ونتيجة لعدم قناعة الطرفين بمقدار المال المدفوع للمصالحة .. فما أن عاد بشر إلى أخيه علي بن حاتم إلى صنعاء حتى أسرع في الاستعداد للحرب والتحصن في جبالها المنيعة. فعمرا حصون (ذمرمر، وكوكبان، والظفر، والعروس، وبراش، وفدة، والفص)،بالإضافة إلى حصن أشيح

---

(141) ابن حاتم : السمط ، ص: 27 ، الخزرجي : العسجد ، ص: 161، محمد عبد العال : المرجع السابق ص: 135 .

(142) ابن حاتم : السمط ، ص: 30 ، الخزرجي : العسجد ، ص:163، ابن الديبع: قرة العيون ، ص: 392 .

(143) الخزرجي : العسجد ، ص: 163 ، محمد عبد العال : المرجع السابق ، ص: 136 .

في آنس[144]. أما سيف الإسلام فإنه لما انقضت مدة المصالحة فيما بينه وبين بني حاتم، وتمكنه من السيطرة على جميع حصون اليمن الأسفل، توجه نحو صنعاء، للاستيلاء عليها، فلما وصل إلى قاع جهران شمال ذمار، قابله به القاضي حاتم بن أسعد، فسأله الذمة والوقوف عن المسير نحو صنعاء، والتزم عن السلطان علي بن حاتم أن يدفع له ثلاثين ألف دينار. وثلاثين حصاناً لتلك السنة، ووضع لذلك رهائن عنده حتى يأتيه بالمبلغ، فقبل سيف الإسلام ذلك واشترط عليه أنه إذا عاد بغير ما تعهد به سوف يشنق الرهائن[145]. والواقع أن تشدد سيف الإسلام هذا بشنق الرهائن هو خوفه من التلاعب عليه، وتأخيره عن المسير إلى صنعاء دون الوفاء بذلك التعهد، لأنه عندما يقعد في جهران لعدة أيام قد تصل ما بين أربعة أيام إلى أسبوع، سيكلفه ذلك الكثير من الانفاق على الحملة من المؤن والاعلاف وغيره، وقد تنتهي مؤنه وأعلافه. وبالتالي لا يستطيع إكمال المسير إلى صنعاء، إلا بعد أن يطلب المدد من اليمن الأسفل.

وبالنسبة للقاضي حاتم فقد قبل بشرط سيف الإسلام، وتوجه إلى السلطان علي بن حاتم إلى صنعاء وأخبره (بما كان من الكفالة عنه). إلا أن السلطان علي بن حاتم رفض دفع المبلغ. فاضطر القاضي إلى العودة إلى سيف الإسلام خائفاً من شنق الرهائن بحسب ما كان الشرط بينهما، فلما أخبر القاضي سيف الإسلام برفض السلطان حاتم دفع ما كفل به، طلب سيف الإسلام من القاضي أن يحلف له على صدق كلامه وأن يكون معه، وسيعفيه من وعده بشنق الرهائن، فحلف له[146].

بعد ذلك تعاون القاضي حاتم مع سيف الإسلام، فأشار عليه أن يتجه أولاً للاستيلاء على حصن (أشيح) وذلك ليؤمن ظهره عند ذهابه إلى صنعاء. فسار إليه وناوش أصحابه القتال ليوم كامل، لم يتمكن خلالها من اقتحام الحصن لحصانته، وفي اليوم التالي لجأ إلى أخذ حصن بجانبه بالقوة يسمى حصن ظفار الواديين، فقتل السلطان يحيى بن سليمان بن المظفر وجماعته. ونتيجة لذلك خاف أصحاب حصن أشيح على أنفسهم، فاستسلموا لسيف الإسلام وسلموا له الحصن،

---

(144) ابن حاتم: السمط ، ص: 32 ، الخزرجي : العسجد ، ص: 164، ابن الديبع : قرة العيون ، ص: 392.

(145) ابن حاتم: السمط ، ص:32، الخزرجي: العسجد ، ص:164، ابن الديبع:قرة العيون، ص:392 ـ 393.

(146) ابن حاتم: السمط، ص: 32 ـ 33، الخزرجي: العسجد، ص:164، ابن الديبع: قرة العيون، ص:393.

ثم استولى على آنس كله[147]

الاستيلاء على صنعاء:

وما أن تمكن سيف الإسلام من السيطرة على آنس حتى عاد نحو صنعاء، فاستولى عليها بغير قتال في يوم السبت لعشر بقين من شوال سنة 585 هـ/ نوفمبر 1189م. وذلك بسبب هروب بني حاتم إلى الجبال للتحصن بها. وما كادت تمضي فترة قصيرة على سيطرة سيف الإسلام على صنعاء حتى أمر ببناء دار له بها سميت بالدار السلطانية[148] في المنطقة المشهورة حتى الآن ببستان السلطان.

السيطرة على مغارب صنعاء:

ما كادت تمضي فترة قصيرة على دخول سيف الإسلام صنعاء حتى أسرع في الاتجاه نحو غرب وشمال غرب صنعاء للاستيلاء عليها. فسار إلى وادي ضهر وفرض الحصار على حصن (فدة) المطل على الوادي بالمجانيق، مما جعل أصحاب الحصن يسرعون بتسليمه دون قتال[149].

كذلك حاول سيف الإسلام الاستيلاء على حصن (العروس) قرب كوكبان فحاصره، وأثناء الحصار قدمت إليه امرأة ومعها طفل، وقالت له أنها سمت مولودها باسمه وترجو منه أن يترك حصار الحصن إكراماً له، ففعل ذلك سيف الإسلام[150]. واتجه نحو حصن (الظفر) الذي كان فيه سالم بن علي بن حاتم، فاستولى عليه بالقوة. ثم سار نحو حصن كوكبان شبام، وكان تحت سيطرة السلطان عمرو بن علي بن حاتم والذي كان معه ألف وخمسمائة رجل ومائة فارس، فحاصره حصاراً شديداً، حيث نصب عليه أربعة مجانيق وظل يضرب عليه ليلاً ونهاراً حتى أثر على سور الحصن المبني من التراب. ولما طالت مدة الحصار وطالت الحرب، وقتل خمسمائة من أهل كوكبان وألف من الحراس الموجودين فيه، وانتشر الضجر والسأم بين الجند، طلب السلطان عمرو بن علي بن حاتم من سيف الإسلام تسليم الحصن له مقابل إبقاء حصن (العروس) له، فوافق سيف

(147) ابن حاتم: السمط ص:33.

(148) ابن حاتم: السمط، ص:38.

(149) ابن حاتم: السمط، ص:37، الخزرجي: العسجد، ص:166 - 167، محمد عبدالعال: المرجع السابق، ص: 143.

(150) الخزرجي: العسجد، ص:165، بامخرمة: ثغر عدن، ص:133 - 134.

الإسلام على ذلك، وتسلم الحصن في ذي الحجة سنة 585 هـ/ يناير 1190م[151].

كذلك اتجه سيف الإسلام سنة 585 هـ/ 1189م نحو حصن (سواد عزان) قرب (ثلا)، وكان لمشائخ أولاد مفرج والشيخ حاتم بن سعيد الشهابي، فطلب في البداية تسليم الحصن دون قتال، فرفضوا ذلك، فقاتلهم حتى تمكن من السيطرة عليه بالقوة بعد قتله لأربعين رجلاً منهم، وأسره للشيخين عبدالله وعامر ابني مفرج وحاتم بن سعيد الشهابي. ولما وصل الأسرى إلى سيف الإسلام أمر بقتل الشهابي، وأخذ فدية قدرها ثلاثين ألف دينار مقابل إطلاق عبدالله وعامر ابني مفرج[152]. وكما يتضح أن السبب في قتل الشهابي رفضه تسليم الحصن حينما طلب الأيوبيون منه تسليمه كونه كان أحد متولي أمر الحصن. أما أخذ الفدية من ولدي عامر بن مفرج بسبب غياب أبوهما الذي كان بيده أمر الحصن. وأنهما كما يبدو كانا دون البلوغ، فلم يعاقبهما سيف الإسلام بالقتل. بذلك سيطر الأيوبيون على كثير من حصون مغارب صنعاء.

السيطرة على شمال صنعاء:

بعد أن تمكن سيف الإسلام من السيطرة على الكثير من حصون بني حاتم في مغارب صنعاء، توجه سنة 586 هـ/ 1190م نحو حصن (ذمرمر)، وكان فيه السلطان علي بن حاتم وأخوه بشر، فحاصره من جميع جهاته. ووضع لحصاره خمسمائة فارس وعشرة آلاف راجل بقيادة أبي ريا، الذي جعل إليه أمر صنعاء، موزعين على خمسة عشرة محطة على الآتي: (محطة في الظلمة، ومحطة في الحصنين، ومحطة في أكمة بن سنية، ومحطة في أكمة الهامة، ومحطة في أكمة الداية، ومحطة في الحصن الأبيض، ومحطة في الحصن الأحمر في زجان، ومحطة في قهال، وثلاث محاط في قاع البياضي)[153].

وظل الهمام (أبوريا) متولياً لأمر صنعاء ومستمراً في فرض الحصار على (ذمرمر). ومن أجل بقائه قوياً، فقد جعل سيف الإسلام أمراء رداع وعنس وجهران والحقل تحت طاعة والي

---

(151) ابن حاتم: السمط، ص:36 - 37، الخزرجي: العسجد، ص:166، محمد عبدالعال: المرجع السابق، ص:142 - 143.

(152) ابن حاتم: السمط، ص:34، الخزرجي: العسجد، ص:165، محمد عبدالعال: المرجع السابق، ص:139.

(153) ابن حاتم: السمط، ص:37، الخزرجي: العسجد، ص:167، محمد عبدالعال: المرجع السابق،ص:143 - 144.

صنعاء[154]. والغرض من ذلك مده بالجند والعُدد والأموال حتى لاتسقط صنعاء من تحت نفوذ الأيوبيين.

وفي نفس الوقت الذي كانت فيه قوات الأيوبيين محاصرة لحصن (ذمرمر) توجهت قواتهم نحو الحصون القريبة منه، فساروا نحو حصون الفصين وجبل الظلمة، فنصب المجانيق عليها. وتمكن من الاستيلاء على حصن الفص الصغير بالقوة. أما حصن الفص الكبير فقد أخذه بدون قتال، بسبب طلب السلطانين عمرو وعلوان ابني بشر ابن حاتم اللذين كانا فيه، إجارتهما من سيف الإسلام، فأجارهما وأجار من كان معهما في الحصن من الحريم والخدم. وأرسل الحريم إلى حصن (ذمرمر)، أما السلطان عمرو وعلوان فقد أخذهما أسيرين معه[155]. وآنذاك حاول أخوهما الآخر علي بن بشر مهاجمة صنعاء من حصن (براش) لكي يخفف هجوم الأيوبيين على حصن الفص الكبير، إلا أن الهمام أبا ريا تمكن من القبض عليه وأدخله صنعاء أسيراً[156].

كذلك عمل الأيوبيون خلال محاصرة (ذمرمر) على التوجه للسيطرة على عدة مناطق في الشمال. ففي ذي القعدة سنة 586 هـ/ نوفمبر 1190م توجه سيف الإسلام نحو (شُوابه) في البون، ثم اتجه نحو الجوف، ثم صعدة فسيطر عليها. وعاد إلى صنعاء في المحرم سنة 587 هـ/ يناير 1191م[157]. بذلك اتسع سلطان الأيوبين على كثير من مناطق شمال صنعاء . ولم يقف التوسع الأيوبي عند ذلك الحد، بل شمل مناطق أخرى، فقد توجه سيف الإسلام إلى حضرموت، فاستولى على شبام وتريم وغيرهما، ثم عاد إلى اليمن الأسفل[158].

وفي الوقت الذي امتد فيه حصار الأيوبيين لحصن (ذمرمر) لمدة أربع سنين، والتي أدت إلى تعب أهل الحصن ونفاذ قوتهم وكثرة الإنفاق على سيف الإسلام، أمر واليه على صنعاء أن يصالح السلطان علي بن حاتم وهي المصالحة الثانية والأخيرة، على أن يعطي علي بن حاتم (خمسمائة دينار وخمسمائة كيلجة من الطعام شهرياً) بشرط أن لا يكون له سلطان على مناطقه، بل تكون في يد

---

(154) ابن حاتم: السمط، ص:38 ـ 39.

(155) ابن حاتم: السمط، ص:34، محمد عبدالعال: المرجع السابق، ص:140.

(156) بن حاتم: السمط، ص:35.

(157) بن حاتم: السمط، ص:38.

(158) بن حاتم: السمط، ص:39.

الأيوبيين، فوافق السلطان علي بن حاتم على ذلك[159]. وظل سيف الإسلام وفياً له بالمبلغ طيلة حياته[160]. حيث كانت من سمته الوفاء بما تعهد عليه[161]. وهكذا انتهت دولة بني حاتم في صنعاء وسيطر الأيوبيون على اليمن كله. وبذلك تمكن الأيوبيون من توحيد اليمن تحت نفوذهم.

أهم أعمال سيف الإسلام:

لقد كانت من أهم أعمال سيف الإسلام في اليمن عمارة عدة قلاع وحصون منها: حصن تعز، وحصن (التعكر) وحصن (حب) وحصن (خدد) وأسوار زبيد، صنعاء، كما بنى مدينة تعز ومدينة الجند، وشيد مدينة المنصورة قبلي الجند، فبنى فيها قصراً كبيراً له وحمامات وبيوت للعسكر. كما أحيا وادي الدارة والقاعدة، وبنى قرية في خنوة، وشيد بها داراً مصيفاً له. كما أجرى العيون من صبر إلى وادي نخلة، وغرس أنواع الغرسات، جلبت بعضها من الديار المصرية. كذلك قرر قواعد الملك باليمن، فأنشأ الدواوين، ووضع الضرائب السلطانية، وقنن القوانين، ظلت تعمل بها بعده لفترة طويلة، إلى غير ذلك من الأشياء التي لا تنحصر[162].

مما سبق يتضح أن سيف الإسلام طغتكين كان من أهم الشخصيات الأيوبية التي حكمت اليمن، فقد تمكن من توحيدها كلها تحت نفوذه. وظل يحكمها بنوع من المهارة والحكمة والتعقل حتى وفاته في مدينة المنصورة التي بناها قرب الجند في يوم 26 شوال سنة 593 هـ/ سبتمبر 1197م، مورثاً السلطة بعده لأولاده.

---

(159) ابن حاتم: السمط، ص:37 - 38، الخزرجي: العسجد، ص:167، ابن الديبع: قرة، ص:395، بامخرمة: ثغر عدن، ص: 134، محمد عبدالعال: المرجع السابق، ص:144، ذكر ابن حاتم، ص:37، والخزرجي، ص:167، أن هذا المبلغ كان يدفع لبني حاتم شهرياً كراتب، بينما ذكر ابن الديبع، ص:395، أن هذا المبلغ كان يعطى لبني حاتم سنوياً.

(160) ابن الديبع: قرة العيون، ص:395.

(161) الخزرجي: العسجد، ص167.

(162) ابن حاتم: السمط، ص:39، الخزرجي: العسجد، ص:168، بامخرمة: ثغر عدن، ص: 133، زبارة: أئمة اليمن، ص:114، مسفر: المرجع السابق، ص:109، الحمزي: كنز، ص:93.

الفصل العاشر

المعز .. إسماعيل بن طغتكين

كان المعز إسماعيل على غير اتفاق سياسي مع أبيه طغتكين حول أسلوب حكم أهل اليمن. وكان بداية الخلاف بينهما سنة 587 هـ/ 1191م ، عندما ولى طغتكين ابنه منطقة كوكبان وبلاد والظاهر ، فسمح المعز لأصحابه أن يسيؤا السيرة مع أهل تلك البلاد ، بسبب ميلهم إلى الإمام ، فقسوا عليهم قسوة شديدة ، جعلتهم يطلبون المساعدة من القبائل المجاورة ومن الإمام ، فلبوا طلبهم ، وتجمعوا لقتال الأيوبيين ، فقتلوا منهم سبعمائة رجل ، وعقروا خيلهم ونهبوا أموالهم ، فأثار ذلك غضب السلطان طغتكين ، فجهز عسكراً كثيراً وأرسلهم إليهم ؛ فقاتلوا أهل تلك البلاد حتى قتلوا منهم نحو مائتي رجل.[163] .

بعد ذلك عزل طغتكين ابنه المعز عن التولية. ولم يقبل أن يوليه مرة أخرى لعدم رضاه عن سياسته، مما أدى إلى حدوث خلاف بينهما ؛ فغضب طغتكين من ابنه ، وطرده من اليمن سنة 589 هـ/ 1193م، فسار إلى الخليفة العباسي فأكرمه، وأعاده إلى اليمن مصطحباً رسالة منه إلى ابيه طغتكين يطلب العفو عنه[164] .

وبالرغم من قبول طغتكين العفو عن ابنه المعز، إلا أنه ما كاد يستقر مع أبيه فترة قصيرة حتى خرج مرة أخرى من اليمن غاضباً من أبيه سنة 593 هـ/ 1196م أثناء مرض طغتكين في طريقه نحو الشام أو مصر . فما أن وصل المعز حرض من المخلاف السليمان حتى أرسل إليه كبار أعيان الدولة يخبرونه بوفاه أبيه ويطلبون عودته[165] .

---

(163) ابن حاتم: السمط ، ص: 43 ؛ يحي بن الحسين: غاية الأماني ، 338/1 ، الكبسي: اللطائف ، ص: 60 ، محمد عبدالعال: المرجع السابق ، ص: 149 .

(164) محمد عبدالعال: المرجع السابق ، ص: 150 ؛ عن الذهبي ، 452/2 ، جميل حرب: المرجع السابق ، ص: 105 ، عن ابن واصل: مفرج الكروب ، 338/2 ، الحداد: التاريخ العام ، 29/3 .

(165) ابن حاتم: السمط ، ص: 44 ، الخزرجي: العسجد ، ص: 171 - 172 ، يحي بن الحسين: غاية الأماني ، 340/1 - 341 ، جميل حرب: المرجع السابق ، ص: 105 - 106 ، وعندما توجه إلى بغداد سار نحو الشام فقدم على عمه صلاح الدين بدمشق في منتصف شهر صفر سنة 589 هـ / عن المقريزي: السلوك ، 15/1.

توليه السلطة :

لم يلق المعز أي مشكلة في توليه السلطة في اليمن، وذلك لعاملين، أحدهما: أن الولاة الأيوبيين كانوا يسلمون بمبدأ الوراثة في تولي الحكم السياسي، فكتبوا إليه يدعونه الحضور ليتولي أمر اليمن، وبذلوا له الطاعة والولاء. والأخرى: هو أن طغتكين كان قد جعل اليمن كله خاضعاً لسلطان الأيوبيين، فسهل ذلك للمعز أن يحل محل أبيه دون أن تعترضه أي مشلكة .

ولما كانت السلطة قد وصلت إليه وهو في حرض، فكان لابد من الرجوع إلى مقر حكم أبيه في تعز. وفي أثناء سيره إليها توالت المناطق بإعلان الولاء له. وفي البداية أطاعته البلاد الشامية وهي ما بين حرض وزبيد(166) . ولما توجه إلى زبيد ودخلها في 19 ذي القعدة سنة 593 هـ/ سبتمبر 1197م، أعلنت القوى الأيوبية فيها الطاعة له. وعندما دخل تعز في 22 ذي القعدة من السنة المذكورة سلم له الولاة السلطة وأعلنوا له الطاعة. وقعد فيها شهراً يرتب أمرها ويصلح شؤونها. ثم سار إلى ذي جبلة فدخلها في 24 ذي الحجة. وتسلم حصن التعكر فيها. بعد ذلك طلع صنعاء فتسلمها من واليها في المحرم من سنة 594 هـ/ نوفمبر 1197م(167) . أما عدن فقد أرسل إليها والياً من لديه هو مهكار بن محمود(168) . وهكذا سيطر المعز على اليمن دون أي معارضة من أحد .

معاملة المعز للأيوبيين :

كان المعز شاباً متحمساً اتصف بالشجاعة(169)، ولكنه كانت تنقصه المقدرة على معرفة الأسلوب السياسي والتجربة في الحكم، كما كانت تنقصه الخبرة الكافية في كيفية التعامل مع الرجال ، وهي أهم دعائم السياسة والحكم، كذلك اتصف بظلم الجند والأمراء والرعايا(170) باستخدام القسوة والشدة، فقتل بعضاً منهم وهرب بعض آخر(171) . إضافة إلى أنه كان شحيحاً عليهم(172)، مما جعله يحقق الفشل السياسي في حكمه لليمن .

---

(166) ابن حاتم: السمط ، ص: 45 .

(167) ابن حاتم: السمط ، ص: 45 ، الخزرجي: العسجد ، ص: 172 ، با مخرمة: ثغر عدن ، ص: 51.

(168) ابن حاتم: السمط ، ص: 85 .

(169) الخزرجي: العسجد ، ص: 172 ، ابن الديبع: قرة العيون ، ص: 404 .

(170) الخزرجي: العسجد ، ص: 174 ؛ ابن الديبع: قرة العيون ، ص: 404 ، المفضل المزيد ، ص: 85 .

(171) ابن عبدالمجيد: بهجة الزمن ، ص: 34 - 35 .

(172) الخزرجي: العسجد ، ص: 173 .

فمن ناحية استخدامه للقسوة مع الأمراء الأيوبيين. فأول حدث قام به بعد تسليمه السلطة مباشرة سنة 593 هـ/ 1197م، القيام بقتل الأمير القاضي الأسعد أمير (حرض) ومصادرة أمواله وجميع ما يملك من العبيد والخدم والجواري[173]. والحدث الثاني قتل الأمير الهمام أبوريا. وقد كان الهمام هذا اتجه إلى تعز عندما تسلم المعز السلطة، بهدف إعلان الولاء والطاعة له، وقال له: ((إنما أنا من جملة المماليك والعبيد وأنت أولى بملك أبيك وبلادك))، فشكر المعز له ذلك ورافقه إلى صنعاء، فلما تسلمها وثب على الهمام وقبض عليه ثم قتله في المحرم سنة 594 هـ/ 1197م، وسلم صنعاء للشهاب الجَزَري[174]. كذلك قام المعز بقتل جمعاً كبيراً من غلمان أبيه[175] وأخاف جمعاً آخر منهم فهربوا منه[176].

جابه المعز خلال حكمه لليمن مشكلتين خطيرتين ، كادتا تقضيان على سلطانه منذ السنة الأولى لحكمه لليمن. إحداهما: ظهور الإمام الزيدي عبدالله بن حمزة، والأخرى: انشقاق القادة الأيوبيين عليه. وزادت الأمور أكثر تعقيداً انضمام هؤلاء المنشقين عليه إلى تأييد الإمام ومناصرتهم له. واتجاههم لمقاتلته. حيث ظل المعز يقاتل الطرفين طيلة حكمه لليمن. وليس الأمر كذلك، بل أن المعز دفع حياته ثمناً لذلك الصراع. وسوف نورد في الصفحات التالية علاقة المعز بالإمام وصراعهما، فضلاً عن صراعه للأيوبيين المنشقين عليه ونهاية حكمه لليمن .

1 ـ علاقة الإمام بالمعز :

استغل الإمام عبدالله بن حمزة موت سيف الإسلام طغتكين وعدم الكفاءة السياسية للمعز في حكم اليمن المتمثلة في عدم اتفاقه مع القادة الأيوبيين، فبادر في ذي القعدة سنة 593هـ/ سبتمبر1197م بإعلان الدعوة لنفسه بالإمامة الزيدية. بادئاً ذلك من الجوف، ثم اتجه منها إلى هجرة معين بصعدة، حيث بايعته فيها علماء الهدوية بالإمامة[177]. وكان من الطبيعي أن يجر ظهور الإمام

---

(173) ابن حاتم: السمط ، ص: 44 ، الخزرجي: العسجد ، ص: 172 ، يحي بن الحسين: غاية الأماني ، 341/1 محمد عبدالعال: المرجع السابق ، ص: 152 .

(174) ابن حاتم: السمط ، ص: 45 .

(175) ابن عبدالمجيد: بهجة الزمن ، ص: 134 ، محمد عبدالعال: المرجع السابق ، ص: 153 ، جميل حرب: المرجع السابق ، ص: 106 .

(176) ابن عبدالمجيد: بهجة الزمن ، ص: 135 .

(177) زبارة: ائمة اليمن ، ص: 113 ، يحي بن الحسين: غاية الأماني ، ص. 341 .

الزيدي صراعاً مع المعز الأيوبي، الذي ورث السلطة على اليمن كلها. وأن يلقى تأييداً أو معارضة من بعض أهل اليمن. وليس موضوعنا هنا التعرض لعلاقة الإمام مع أهل اليمن جميعاً. ولكن سنختصر علاقته بالمعز ومن ساعده لذلك .

لقي الإمام عبدالله بن حمزة تأييداً من قبل الزعامات القبلية آنذاك، وهم بنو حاتم الذين كانوا يحكمون صنعاء، وما حولها قبيل القضاء عليهم من قبل طغتكين الأيوبي. وذلك بسبب قطع المعز للجامكية الشهرية (المرتب الشهري) الذي كان يدفعه لهم طغتكين. فسمحوا للإمام استخدام حصونهم المنتشرة حول صنعاء. لذلك اشترى بنو حاتم حصون كوكبان وبكر وظفر في مغارب صنعاء من الحاميات الأيوبية. وتركوا الإمام يستخدم هذه الحصون ضد الأيوبيين. بذلك ضمن الإمام أهم مناصر له من الحصون القريبة من صنعاء. وقد جاء تأييد بني حاتم للإمام مبكراً فأثناء ما كان في صعدة بعث إليه السلطان علي بن حاتم أخاه بشراً لمبايعته[178] .

أعطى ذلك الإمام دافعاً أن يتجه نحو مغارب صنعاء، فسار حتى وصل إلى (ثلا) قرب كوكبان. فلما وصلها توافدت إليه الكثير من أهل تلك الجهات معلنة الطاعة له. أمام ذلك حاول الأيوبيون الموجودون بصنعاء أن لا يقفوا مكتوفي الأيدي تجاه الإمام، فقد خرج إليه جماعة منهم، واتجهوا إلى (ثلا) فحاصروهم بها ودار قتال شديد بينهم انتهي بقتل أحد أنصار الإمام هو الأمير محمد بن علي[179] . وبالرغم من ذلك فإن الطرفين في هذه المعركة لم يحققا أي انتصار مؤثر. فقد عاد الأيوبيون إلى صنعاء وظل الإمام بثلا .

على أن سيطرة الإمام على مناطق في مغارب صنعاء شكل خطورة على المعز فعندما عاد إلى صنعاء قادماً من تعز بداية عام 594 هـ/ 1197م، حاول استمالة السلطان علي بن حاتم إلى طاعته وصرفه عن طاعة الإمام ومناصرته، حيث وعده بأنه سيعطيه صنعاء، فكاتبه بذلك إلى حصنه في (ذي مرمر)، فبعث إليه السلطان علي بن حاتم أخاه بشراً وولده عمر بن علي . فلما وصلا إلى صنعاء أخذهما معه إلى حقل كتاب[180] . وكما يبدو أن السبب في أخذ بشر وعمر كي يظلا رهينتين عنده من أجل إجبار علي بن حاتم عدم طاعة الإمام، إلا أن ذلك جعل علي بن حاتم يظل

---

(178) يحي بن الحسين. غاية الأماني ، 341/1 ، زبارة: أئمة اليمن ، ص: 113 .

(179) يحي بن الحسين: غاية الأماني ، 1/ 341 ، زبارة: أئمة اليمن ، ص: 114 .

(180) يحي بن الحسين: غاية الأماني ، 1/ 341 ، زبارة: أئمة اليمن ، ص: 114 .

مستمراً في طاعته للإمام، أما وعد المعز بإعطاء علي بن حاتم صنعاء فغير معقول، إلا أذا اعتبرنـا أن المعز وعده بإعطائه بعض حصون شمال صنعاء فيمكن تصديق ذلك .

استمرت القوات الأيوبية في مقاومة الزيدية، فأثناء تواجد الإمام في مغارب صنعـاء خـرج إليه المعز سنة 594 هـ/ 1197م ، مع الأمير حَكْوَ، فقاتلا جيش الإمام حتـى انتصـروا عليـه، وأجبراه على التشتت، ثم عادا إلى صنعاء ، ومنها سار المعز نحو ذي جبلة وعمل فيها على تهديـم دار العـز الذي بناه المكرم[181] . ولما ازداد ضغط الإمام على مناطق شمال وغرب صنعاء، والضمام حكو إليـه عاد المعز في نفس السنة لمحاربة الإمام وحكو, وأثناء وجوده في صنعاء واستعداده للخـروج لحربهـا حدث خلاف هشام الكـردي وشمـس الخـواص للمعـز، ممـا جعلـه يضطـر إلى العـودة الى تعـز دون الذهاب لقتال الإمام وحكو[182] ، فأتاح ذلك الخـلاف أو التمـرد الأيوبي أن يسـتولى الإمـام علـى صنعاء وذمار سنة 595 هـ/1198م. بذلك استفاد الإمام من التمرد الأيوبي في توسيع مناطق نفوذه.

ومن جهة المعز فإنه لم يسكت عن سيطرة الإمام لصنعاء. فسـرعان مـا جهـز جيشـاً كبـيراً سنة 595 هـ/ 1198 واتجه بهم نحو ذمار، فاستولى عليها بغير حرب، وذلك بعد قتله لحكو وهـروب حاميتها، ثم سار نحو صنعاء فسيطر عليها دون قتال بسبب هروب الإمام وجيشه منها إلى شبام ثـم إلى (أثافت) التي استقر بها[183] . وبذلك استعاد المعز سيطرته على ذمار وصنعاء .

ظلت الحرب مستمرة بـين الأيوبيـين والزيديـة، فعندمـا كـان الإمـام مسـتقراً في (حـوث) سنة595 هـ/ 1198م حـاول والي صنعـاء الشـهاب الجـزري الاتجـاه إليـه لمحاربتـه، واصطحب معـه السـلطان بشر بن حاتم، فلما سمع الإمام بقدومهما نحوه هرب مـن (حـوث) إلى (أثـافت) ممـا جعـل الشهاب الجزري يترك مطاردتـه ويعـود إلى صنعـاء دون أن يلتقـى بـه في حـرب. وآنـذاك لم يتفـق الشهاب مع بشر فلما سار إلى المعز إلى ذي جبلة سنة 596 هــ/ 1198م لحق بـه الشـهاب وأغـرى المعز على سجنه فسجنه في حصن التعكر[184] .

وآنذاك لقي الإمام عبدالله بن حمزة معارضة لإمامته من قبل أحد أمراء الزيدية هو الأمـير

(181) يحي بن الحسين: غاية الأماني ، 342/1 ، زبارة: أئمة اليمن ، ص: 114 .

(182) يحي بن الحسين: غاية الأماني ، 346/1 .

(183) يحي بن الحسين: غاية الأماني ، 348/1 ، زبارة: أئمة اليمن ، ص: 118 .

(184) يحي بن الحسين: غاية الأماني ، 350/1 -351 ، زبارة: أئمة اليمن ، ص: 120 .

يحي بن الإمام أحمد بن سليمان، الذي سبق له أن أعلن طاعته وموالاته للأيوبيين عهد طغتكين، مقابل توليته على صعدة، إلا أن الإمام عبدالله بن حمزة أخرجه منها عندما أعلن إمامته. فظل الأمير يحي يتحين الفرصة للخروج عليه. ففي سنة 595 هـ/ 1198م استولى على حصن (مبين) بحجة لم يتمكن الإمام من إخراجه منه بسبب مناعة الحصن، وأثناء ما كان الإمام في (أثافت) من نفس السنة، حاول الإمام مراسلته لإعلان طاعته له، مقابل توليته على صعدة، إلا أن الأمير لم يشق بالإمام رغم إصداره منشوراً بتوليته، لذلك اتجه الأمير إلى الشهاب الجزري إلى صنعاء وأعلن طاعته وموالاته للأيوبيين، وأخذ في نشر الدعوة للمعز في شمال صنعاء، وسب الإمام ودعاه ((بمسيلمة الكذاب))، وعندما وصل الأمير إلى الهجر قرب صعدة، حاصرته قوات الإمام وحاربوه حتى أسروه وأخذوه إلى السجن ، وظل في سجنه حتى مات [185]. وكما يتضح أن هذه المعارضة جاءت بتحريض من الأيوبيين، وتأييد من بني حاتم إلا أن عمر هذه المعارضة لم تظل، فقد انتهت سريعاً بموت الأمير ولكن ظهرت للإمام معارضة أخرى هي مشكلة المطرفية.

وفي سنة 596 هـ/ 1198م حاول المعز أن يتجه من تعز نحو اليمن الأعلى وبصحبته ألف فارس وعدد كبير من الجند، بهدف القضاء على الإمام وأنصاره فلما وصل صنعاء أقام بها عدة أيام، ثم اتجه إلى (أثافت) التي كان الإمام مستقراً بها، فدخلها وأخرب عدة قرى حولها، أما الإمام نفسه فقد هرب من المعز من (أثافت) إلى حجة . ثم هرب إلى (حوث) . وبالنسبة للمعز فقد عاد من (أثافت) إلى كوكبان التي كان فيها عمرو بن علي بن حاتم، فنصب عليها المنجنيقات وحاصرها لمدة أربعة أشهر. بعد ذلك تمت المصالحة بينه وبين الإمام وبني حاتم على أن يكون حصن كوكبان ومن بجانبه من الحصون للمعز مقابل إطلاقه لسراح بشر بن حاتم، وبالفعل تمت المصالحة على ذلك، فتسلم المعز الحصن وأطلق سراح بشر بن حاتم [186]، فهدأت بذلك حدة الصراع بين الطرفين. وفي سنة 598 هـ/ 1201م توجه المعز إلى حجة، فتمكن من طرد أنصار الإمام منها وإعادتها إلى سيطرته. ثم عاد إلى زبيد حيث لقي مصرعه بها كما سيتضح فيما بعد .

ومن خلال ما تقدم يلاحظ أن الصراع السياسي في شمال صنعاء وغربها ظل محتدماً بين

---

(185) ابن حاتم: السمط ، ص: 67 ــ68 ، يحي بن الحسين: غاية الأماني ؛ 336/1. 339 ، محمد عبدالعال: المرجع السابق ، ص: 173 - 174 .

(186) يحي بن الحسين: غاية الأماني ، 352/1 -353 ، ربارة: أئمة اليمن ، ص: 121 .

الأيوبيين والزيدية، وأن الإمام بعد إعلان دعوته للإمامة الزيدية ظل يتنقل من مكان إلى آخر في شمال وغرب صنعاء، مثل الجوف، صعدة حجة، شبام كوكبان، ثلا، حوث، أثافت في بلاد الظاهر ثم شوابه، خوفاً على نفسه من الأيوبيين ومحاولة لتثبيت سلطانه على تلك الجهات، على أن تلك المناطق هي التي ظلت في معظم الأوقات تحت سيطرة الإمام، أما صنعاء وذمار فلم يتمكن الإمام من السيطرة عليهما، إلا لبضعة أشهر لأن القوى الأيوبية لم تتح له الفرصة للاستقرار بهما. وخلال ذلك التنقل لم يتمكن الامام بنفسه من الالتقاء مباشرة في أي حرب مع الأيوبيين، عدا أنصاره، بسبب تفوق الجيش الأيوبي عليه، وعدم تثبيت سلطانه كاملاً على مناطق شمال صنعاءلتمرد بعض الزيدية وبعض القبائل عليه، وكما يلاحظ أن ظهور الإمام الزيدي في تلك المنطقة شكل خطورة على المعز وصعوبة في استعادتها لسلطانه.

وعن علاقة بني حاتم بالمعز فقد تأرجحت بين التأييد له وبين التأييد للزيدية فإنه بمجرد تولية المعز السلطة الأيوبية أعلن بنو حاتم عدم طاعتهم له. بسبب قطعه المخصص الشهري المحدد لهم من قبل سيف الإسلام، وحاولوا شراء حصونهم مثل كوكبان وثلا والظفر من الحاميات الأيوبية، ومالوا إلى مناصرة الإمام الزيدي واتفقوا معه أن يستخدموا حصونه القريبة من صنعاء مقابل اشتراكهم في حكم صنعاء عند السيطرة عليها من قبل الإمام، أي أن يكون حكم صنعاء نصفين بينهما، وأن تعاد لهم حصونهم بعد الاستيلاء على صنعاء. ولما تمكن الإمام من الاستيلاء على صنعاء رفض مشاركة بني حاتم في حكمها، مما جعل السلطان علي بن حاتم يحجم عن مناصرة الإمام، ويميل إلى التعاون مع المعز، وظل في حصنه (ذي مرمر) حتى وفاته سنة 597هـ/ 1200م[187].

والذي يبدو أن استمالة المعز لبني حاتم سنة 594 هـ/ 1197م هي التي جعلت الإمام يخلف وعوده لهم. لذلك تعاون بشر بن حاتم مع الشهاب الجزري عندما خرج إلى (حوث) لمحاربة الإمام، إلا أن خلافاً حدث بينهما جعل الشهاب يرسل إلى المعز يطلب إليه بشر بن حاتم، ولما طلب المعز بشراً لحق به الشهاب وطلب من المعز سجنه فصدقه المعز وسجن بشراً في حصن التعكر(188)، مما جعل بني حاتم يميلون إلى مناصرة الإمام، لذلك توجه المعز إلى كوكبان التي كان بها عمرو بن علي بن حاتم وجماعته فحاصروهم لمدة أربعة أشهر. ولما نفدت مؤنهم وأشرفوا على الهلاك طلبوا منه

---

(187) الخزرجي: العسجد ، ص: 173 - 174 .

(188) ابن حاتم: السمط ، ص: 69 .

الأمان، فلم يقبل ذلك إلا بتسليمه حصن كوكبان وحصن بكر والظفر، وأن يسلم السلطان علي بن حاتم خمسين ألف دينار (فدية) أو فكاك لأخيه بشر، فوافق السلطان، وتمت المصالحة على ذلك[189]. وهكذا انتهي الصراع بين المعز وبني حاتم بتسلم حصونهم.

2 ـ مخالفة الأيوبيين للمعز:

على الرغم من السهولة التي استولى بها المعز على السلطة في اليمن، إلا أن سياسته تجاه الكثير من الأمراء والجند الأيوبي الذين كانوا أكثرهم من الأكراد[190] جلبت له المشاكل المتعددة، أدت إلى خروجهم عن طاعته وتمردهم عليه، وميلهم إلى أعدائه، ومحاربتهم له. وسوف نورد هنا مجموعة من هؤلاء المنشقين عليه، موضحين الظروف التي أدت إلى إنشقاقهم، ودفعتهم إلى أعدائه بالإضافة إلى سياسة المعز نحوهم وكيفية خروجهم من هذه الظروف أو الوقوع فيها.

1 ـ حَكْو بن محمد الكردي:

كان حكو أحد الأمراء الذين رتبهم المعز مع الشهاب الجزري في صنعاء. اتصف بالشجاعة والشهامة، وكان الجزري يعتمد عليه في كثير من القضايا[191]. وكثيراً ماحالفه الحظ بالنجاح في كثير من أموره فرفعت من شأنه[192]. وأصبح أحد القادة البارزين، ثم حدث انقطاع وعدم وجود مودة بينه وبين الجزري، أدت إلى خلاف فيما بينهما[193]. فخشي حكو أن يكيد له الجزري عند المعز فيصبح مصيره القتل[194]. فعمل على مراسلة الإمام عبدالله بن حمزة سراً، يخاطبه في الانضمام إليه. أسفرت عن مبايعة حكو للامام سراً في 6 رمضان سنة 594 هـ/ يوليو 1198م[195]. وهو بذلك أول أيوبي ينضم إلى الإمام، فكان بعمله هذا فاتحة الطريق لبقية الأيوبيين ليحذوا حذوه.

وما أن علم المعز بميل حكو إلى الإمام ومراسلته له، حتى أرسل إليه عسكراً يقبضون

(189) ابن حاتم: السمط، ص: 70، زبارة: أئمة اليمن، ص: 121.

(190) الخزرجي: العسجد، ص: 174.

(191) ابن حاتم: السمط، ص: 45.

(192) ابن حاتم: السمط، ص: 46.

(193) ابن حاتم: السمط، ص: 46، يحي بن الحسين: غاية الأماني، 344/1.

(194) مسفر: المرجع السابق، ص: 168

(195) ابن حاتم: السمط، ص: 46، يحي بن الحسين: غاية الأماني، 344/1.

عليه. فالتقوا به في (ذمار) فاستقبلهم وأظهر لهم أنه لم يمل إلى الإمام وأنه عازم على الاتجاه نحو المعز إلى تعز، فصدقوه، ورافقوه في المسير نحوها، حتى وصلوا حقل كتاب وباتوا ليلتهم فيه، فانسل حكو في الليل خفية منهم، ومعه جماعة من جنده، فساروا هاربين متجهين نحو الإمام، ثم لحقته جماعة أخرى من عسكره، انتهي بهم المسير جميعاً إلى الوصول إلى جبل (كنن) في سنحان في 17 رمضان سنة 594 هـ/ يوليو 1198م(196).

بدء القتال:

في الوقت الذي وصل فيه (حكو) إلى (كُنَنْ) في سنحان باشر القتال ضد الحاميات الأيوبية ومن يناصرهم من القبائل. فبدأ بمقاتلة أهل سنحان الذين قدموا لمساعدة الأيوبيين بحصن (لاحج)، فهزمهم وقتل قائدهم مع جماعة من أصحابه وأسر جماعة أخرى. ونهب ما معهم من المعدات والأموال. ثم هجم على حصن (لاحج) نفسه فقتل المتمركزين به من الأيوبيين. ثم توجه إلى (تُرْبَان) في بلاد نهد فقتل من بها من الأيوبيين ونهبهم(197) كذلك توجه إلى إعتراض الخزانة التي بعث بها المعز من اليمن الأسفل إلى الشهاب الجزري بصنعاء والذي كان قد بعث بمائة فارس لحماية الخزانة. فقاتلهم (حكو) في موضع يسمى (الماورة) في أسفل وادي خدير، فهزمهم وأخذ الخزانة بعد قتله لجماعة منهم وأسره لجماعة آخرين(198). والواقع أن حكو كان يعلم بميعاد قدوم الخزانة وعدد حراسها لذلك توجه بجيش أكثر منهم فاستولى عليها.

وما أن علم الإمام عبدالله بن حمزة بما فعله حكو حتى بعث إليه يطلب قدومه. فسار إلى الإمام أثناء إقامته بشبام كوكبان فوصله في ذي القعدة سنة 594 هـ/ أغسطس 1198م. (فسر به الإمام سروراً عظيماً). وجعله أميراً على الجند والأمراء الذين عنده (199). وبذلك كسب الإمام مناصراً له من القيادات الأيوبية.

ترتب على ذلك العمل الذي قام به (حكو) انقطاع صلته بالأيوبيين. فاتجه يشن الغارات

---

(196) ابن حاتم: السمط، ص: 47 ، يحي بن الحسين: غاية الأماني ،1/ 344 ،محمد عبدالعال: المرجع السابق ، ص: 161

(197) ابن حاتم: السمط ، ص: 47 .

(198) ابن حاتم: السمط ، ص: 47 ، يحي بن الحسين: غاية الأماني ، 344/1 ـــ345 ، محمد عبدالعال: المرجع السابق ، ص: 161 - 162 .

(199) ابن حاتم: السمط ، ص: 48 ، يحي بن الحسين: غاية الأماني ، 1/ 345 ، عبدالعال: المرجع السابق ، ص: 162 .

المتعددة على مراكزهم وحامياتهم. فتارة لوحده، وتارة أخرى بصحبة الإمام، حتى ضاق منه الأيوبيون ضيقاً شديداً، وعانوا منه قسوة كبيرة. وكان من الطبيعي أن يدرك المعز مدى خطورة حكو لا سيما بعد انضمامه للإمام وبعد أن توجه إلى محاربة الأيوبيين وتخويفهم. لذلك جهز المعز جيشه للذهاب بهم إلى مقر الإمام في شبام لمحاربته. ولما وصل إلى ظاهر صنعاء حدث آنذاك خلاف شمس الخواص له. فتفرق جيش المعز مما جعله يترك الذهاب إلى شبام ويعود إلى اليمن الأسفل[200].

أسفر هذا الخلاف الأيوبي عن انضمام شمس الخواص إلى الإمام وتسليمه صنعاء له. وذلك بعد انسحاب المعز والشهاب الجزري منها. فلما رأى ذلك حكو طمع في النزول إلى اليمن الأسفل لانتزاعها من المعز. فخرج نحوها من صنعاء يوم الاثنين 12 ربيع الأول سنة 595 هـ/1 يناير 1199م. وسار لمقاتلة المعز وبرفقته مائة وعشرين فارساً[201].

وفي الوقت الذي توجه فيه حكو نحو اليمن الأسفل، أعد المعز جيشاً قوياً للاتجاه به إلى صنعاء مكوناً من ستمائة فارس بقيادة الشهاب الجزري. وبعض المقدمين مثل محمد بن المعلم، وجمال الدين البقش وياقوت النجمي. فساروا حتى وصلوا ذمار فوقفوا بها[202].

ولما علم حكو بوصول قوات المعز إلى ذمار أدرك أنه غير قادر على مقاومتهم فخاف على نفسه ووقف خارج ذمار ينتظر إمدادات الإمام وبالفعل وصل الإمام إلى معسكر حكو بجيشه وبمن انضم معه من قبائل مذحج وعنس وَزُبَيْد. وأثناء ذلك استغل الشهاب الجزري خلو صنعاء من الإمام وحكو. فأراد أن يخلفهما إليها، فترك في ذمار جماعة من قواته وذهب بمائتي فارس نحو صنعاء، فلما وصلها فرض عليها الحصار[203].

وفي أثناء ذلك استغل الإمام وحكو تقسيم الجيش الأيوبي إلى فرقتين، فاتجهوا نحو الفرقة الموجودة بذمار. وما أن وصلوا إليها حتى خرج إليهم الجيش الأيوبي لقتالهم. فدار قتال شديد أسفر عن انسحاب الأيوبيين إلى داخل المدينة للاحتماء بها. فلحق بهم جيش الإمام وحكو ودخلوا المدينة على أثرهم. ولم يتركوا لهم فرصة الاحتماء بها. فحدثت معركة كبيرة بين الطرفين

---

(200) ابن حاتم: السمط ، ص: 48 ، 50 .

(201) ابن حاتم: السمط ، ص: 58 ، محمد عبدالعال: المرجع السابق ، ص. 167.

(202) ابن حاتم: السمط ، ص: 59 ، محمد عبدالعال: المرجع السابق ، ص: 167 .

(203) ابن حاتم: السمط ، ص: 59 - 60 .

داخل المدينة. انتهت المعركة بهزيمة الأيوبيين وأسر بعضهم على رأسهم ابن المعلم، وهروب البعض الآخر نحو اليمن الأسفل. وسيطرة الإمام على ذمار[204]. وقد قدر عدد القتلى في هذه المعركة من الفريقين بنحو سبعين رجلاً[205]، ويرجع السبب في انتصار الإمام إلى الدعم القبلي من مذحج وعنس وَزُبَيْد، وقوات حكو الأيوبية. إضافة إلى ذلك عدم تقدير الشهاب الجزري لقوات الإمام وحكو فقسم جيشه إلى فرقتين. فضلاً عن ذلك عدم وجود أماكن محصنة يحتمي بها الأيوبيون في ذمارلذلك لحقتهم الهزيمة. ومن الملاحظ من تلك المعركة أن الامام وحَكو استفادا من طرد الأيوبيين من ذمار. وذلك لكي يتجها نحو الشهاب الجزري إلى صنعاء لمقاتلته دون أن تقدم القوات الأيوبية المساعدة له وهذا ما حدث بالفعل.

فما أن انتهي الإمام وحكو من السيطرة على ذمار وطرد الأيوبيين منها، حتى عادا مسرعين لفك حصار صنعاء. وكان الإمام قد سبق حكو فوصلها يوم الثلاثاء 20 ربيع الأول سنة 595 هـ/ 9 يناير 1199م. وسار إلى أحد الأبواب التي يوجد بها أنصاره فدخلها واحتمى بها وفوت الفرصة على الشهاب الجزري دخولها. فخاف الشهاب من قدوم حكو وراء الإمام، فاتجه بمن معه من الجيش إلى حصن (براش) للتحصين به[206].

ومن خلال ذلك كان من المتوقع أن ينسحب الشهاب الجزري إلى اليمن الأسفل، للنجاة بنفسه وجيشه. إلا أن المساعدة التي وعد بها وقدمها السلطان بشر بن حاتم من المال والرجال إلى الشهاب هي التي جعلته يتجه إلى حصن (براش) ولكن المساعدة لم تكن كافية للأيوبيين[207].

وما أن وصل حكو إلى صنعاء حتى اتفق مع الإمام وجمع كبير من القبائل للاتجاه إلى محاصرة الشهاب الجزري في حصن (براش) . فحاصروه من جميع جهاته. ولما لم يكن للشهاب الجزري مؤنة كافية تمكنه من تحمل الحصار لفترة طويلة. فقد ضاق هو وأصحابه من ذلك الحصار. فراسل الإمام في العفو عنه والسماح له ولأصحابه العودة إلى اليمن الأسفل. فوافق الإمام بعد مشورة حكو وابن المعلم. بشرط أن يصل الشهاب إليه للوداع. وأن لا يفسد أحداً من العسكر.

---

(204) ابن حاتم: السمط ، ص: 60 .

(205) يحي بن الحسين: غاية الأماني ، 1/ 347 .

(206) ابن حاتم: السمط ، ص: 60-61 ، محمد عبدالعال: المرجع السابق ، ص: 168 .

(207) ابن حاتم. السمط ، ص: 61 .

فوافق الشهاب على ذلك فأمنه الإمام وأصحابه. فنزلوا من الحصن ولم يصلوا إلى الإمام. بل ساروا نحو اليمن الأسفل عن طريق سنحان. وعند سير الشهاب في هذا الطريق اتفق مع جماعة من الجند الأيوبي وأهل سنحان على مساعدة المعز عند قدومه من تعز فوافقوه. ولما سمع الإمام بذلك غضب وأرسل حملة على أثر الشهاب. فلحقوه في (خبرة) وألقوا القبض عليه مع بعض أصحابه. بينما تمكن البعض الآخر من الهرب. فأخذوه إلى الإمام إلى صنعاء وأدخلوه في ربيع الآخر سنة 595 هـ/ يناير 1199م. فأرسلوه مقيداً إلى حصن (فدة) ليسجن فيه[208]. والواقع أن الشهاب كان آنذاك غير قادر على الإتفاق مع القبائل لمناصرة المعز. وإنما كان ذلك التصرف عبارة عن حيلة من الإمام وحكو لإلقاء القبض على الشهاب إذ أنه لو كان حرض القبائل لمناصرة المعز لكان أسرع في الاتجاه نحوه قبل أن تتمكن قوات الإمام من اللحاق به وإلقاء القبض عليه.

مقتل حكو:

لم تكد تصل الأخبار إلى مسامع المعز بانهزام جيشه في ذمار، وإلقاء القبض على الشهاب الجَزَرِي في صنعاء، حتى أعد جيشاً جراراً جمعه من كل منطقة من اليمن الأسفل. حدث ذلك في الوقت الذي كان الإمام وحكو غير متوقعين أن المعز قادر على جمع جيش كبير كهذا والتحرك به نحو صنعاء، وخاصة لما اتصف به المعز من كراهية الجند له، ولكنه فعل ذلك فسار بجيشه الكبير حتى بلغ نقيل صيد (سمارة) فعسكر به في دار السلطان[209].

أما من ناحية حكو فإن فكرة السيطرة على اليمن الأسفل لا زالت تراود فكره وذلك بسبب كراهية الجند للمعز. وقد شجع حكو لهذه الفكرة ابن المعلم، والغرض منه إغراء حكو في النزول الى اليمن الأسفل من أجل القاء القبض عليه من قبل المعز وكان لهذا الغرض يراسل المعز سراً بكل ما يجرى له مع حكو. لذلك التشجيع صمم حكو النزول الى اليمن الأسفل. وفي الوقت الذي أعد المعز جيشاً بلإتجاه نحو صنعاء. أعد حكو جيشاً للإتجاه به نحو تعز، فسار حتى بلغ حقل كتاب فعسكر به. وعندما علم بوصول المعز الى نقيل صيد حاول أن يسبقه للسيطرة على رأس النقيل للتحصن فيه. ولكن ابن المعلم نصحه بعدم ترك مكانه فسمع كلامه. وذلك من أجل انتظار

---

(208) ابن حاتم: السمط ، ص: 61 -62 ، محمد عبدالعال: المرجع السابق ، ص: 168 .

(209) ابن حاتم: السمط ، ص: 62 ، محمد عبدالعال: المرجع السابق ، ص: 169 .

وصول الإمام وجيشه لنصرته. ولكن الإمام لم يتمكن من الوصول قبل قتل المعز.[210] وبالنسبة للمعز فإنه لم يلبث أن أسرع في المسير من نقيل صيد (سمارة) عندما وصلته رسالة من ابن المعلم تستعجله. فسار حتى طلع رأس النقيل يوم الإثنين 16/ شهر ربيع الآخر سنة 595هـ/4 فبراير 1199م. ثم سار نحو حقل كتاب. وما أن تكامل وصول جيشه حتى دارت معركة كبيرة بين الطرفين أسفرت عن هزيمة جيش حكو وقتله مع جماعة كبيرة من جنده [211]. واستيلاء المعز على جميع ما في معسكر حكو من الأموال والمؤن. بذلك يكون المعز قد استأصل أول بذور الشقاق عليه. بعد ذلك سار نحو ذمار فاستولى عليها بالقوة بعد هروب أنصار الامام وأتباع حكو منها [212]. والواقع أن سبب هزيمة حكو ثقته بعدم مناصرة الأيوبيين للمعز. وتباطئ الامام عن مناصرته. فضلاً عن تآمر ابن المعلم ضده ومراسلة المعز سراً.

ومن جهة الامام فإن خروجه من صنعاء كان في يوم 17/ ربيع الآخر وكانت عادته أن يخرج بعد يومين أو ثلاث من خروج حكو. الا أنه لما وصل الى قاع جهران وصلته أخبار قتل حكو كما وصلته عساكره من ذمار هاربين منهزمين. فقلق من ذلك. وأسرع بالعودة نحو شبام مستقره المعتاد وكان بها السلطان عمرو بن علي بن حاتم. فتثاقل عن تسليم حصن شبام كوكبان للإمام مما جعله يتجه الى حصن (ثلا) القريب منه فوصله يوم الخميس 21/ جمادى الأولى فاستقر به. وأثناء عودته تلك كتب الى واليه على صنعاء صفي الدين محمد بن إبراهيم يحثه على التحصن بها وتسليم حصن (فدة) لسلاطين بني حاتم [213].

دخول المعز صنعاء:

ما كاد المعز يستولى على ذمار حتى أسرع في المسير نحو صنعاء. فعندما قرب منها خاف أنصار الامام منه. فولوا هاربين الى (ثلا) وتركوا صنعاء خالية من الجند، فدخلها المعز. واستولى عليها دون قتال أو مقاومة من أحد [214]. وبذلك سيطر المعز على صنعاء بسهولة.

---

(210) ابن حاتم: السمط ، ص: 62-63 .

(211) ابن حاتم: السمط، ص: 63، يحي بن الحسين: غاية، 348/1 ، محمد عبدالعال: المرجع السابق، ص: 170.

(212) ابن حاتم. السمط ، ص: 64 ، محمد عبدالعال: المرجع السابق ، ص: 171 .

(213) ابن حاتم: السمط ، ص: 63، 65 ، محمد عبدالعال· المرجع السابق ، ص: 170-171 .

(214) ابن حاتم: السمط ، ص: 66 .

ومن ناحية الشهاب الجزري الذي كان مسجوناً في سجن (فدة) غرب صنعاء،فإنه لما علم بقتل حكو وسيطرة المعز على ذمار،حاول الهرب من السجن مع جماعته.الا أن أنصار الامام حاصروه ومنعوه من الهرب.ولما تحقق لهم وصول المعز الى صنعاء تركوا محاصرة الشهاب وهربوا الى (ثلا) فأتاح ذلك فرصة له أن يفلت من الحصار ويتجه الى صنعاء.فدخلها على أثر دخول المعز لها[215]

لم يلبث المعز في صنعاء غير أيام قلائل حتى اتجه نحو (شوابة) شمال صنعاء. وذلك بهدف متابعة الامام وأنصاره. وتأمين صنعاء من هجمات تلك المنطقة . فلما وصل الى (ريدة) قابله بها علي بن دغفان (صاحب شوابة) باذلاً له الطاعة والولاء، وطالباً مصالحته. فصالحه وعاد الى صنعاء. ثم ترك الشهاب الجزرى والياً عليها وعاد الى تعز[216] وبذلك تمكن المعز من قتل بعض المنشقين عليه وإعادة سيطرته على ذمار وصنعاء.

2 ـ هشام الكردى:

تتابع القادة الأيوبيون في التمرد عن الطاعة، فأثناء ما كان المعز في صنعاء ينوى الخروج لمحاربة الامام، خاف من بطشه أحد المقدمين وهو هشام الكردي فخرج عليه واتجه صوب الامام حيث استقبله وضمه الى أتباعه [217] الا أن هشاماً لم يحارب الأيوبيين أثناء ما كان منضماً للإمام، فقد عاد الى صفوف الجيش الأيوبي في عهد الأتابك سنقر [218].

3 ـ شمس الخواص:

أعطى انضمام حَكْو الأيوبي للإمام فرصة لبقية الأيوبيين أن يسلكوا طريقه في الانضمام للإمام نتيجة خوفهم من قتل المعز لهم فأثنا ما كان حكو تابعاً للإمام فكر شمس الخواص أن يلحق به فلم تمض عدة أيام على تمرد هشام الكردي على المعز عندما كان يريد الاتجاه لمحاربة الإمام وحكو حتى تمرد عن الطاعة أحد المقدمين الآخرين، هو شمس الخواص الذي كان من أقرب الناس للمعز. (وكان صاحب بابه وبيته، واليه أمر الجند كافة). حدث خلافه أثناء ما كان معسكراً في ظاهر صنعاء يريد الاتجاه الى شبام لمحاربة الامام، وذلك بسبب عداوة شمس الخواص لخادم المعز

---

(215) ابن حاتم: السمط ، ص: 66، محمد عبدالعال: المرجع السابق ، ص: 172 .

(216) ابن حاتم: السمط ، ص: 66-67 ، محمد عبدالعال: المرجع السابق ، ص: 173 .

(217) ابن حاتم: السمط ، ص: 48 ، محمد عبدالعال: المرجع السابق ، ص: 162 -163 .

(218) ابن حاتم: السمط ، ص:

المسمى الشهاب رشيداً، الذي حاول أن يدخل العداوة والبغضاء بين شمس الخواص والمعز فحسن اليه قتله فلما وافق المعز على ذلك. عملت حيلة لقتله بالسم عن طريق وضعه في (زبدية) طعام، فوصل الخبر اليه وظل محتاطاً الى أن تحقق له أن المعز يحاول إعطائه الزبدية التي وضع بها رشيد السم، فنهض من ساعته بمن معه من الجند البالغ عددهم ستمائة فارس. معلناً التمرد والخروج عن الطاعة. فسار بهم حتى وصلوا منطقة (عصر) غرب صنعاء فعسكروا بها. أما المعز فلما رأى أن معظم جنده تمرد مع شمس الخواص. ترك الاتجاه لمحاربة الامام وعاد الى تعز [219]. والواقع أن المعز لم يحسن التصرف، فقد وقع في خطأ حينما صدق وشاية القادة ضد بعضهم البعض. مما جعله يفقد ثقة بعضهم. فخافوا منه وتمردوا عليه.

وأثناء ما كان شمس الخواص معسكراً في (عصر) راسل الامام الى شبام، يطلب منه أن يصل اليه للسيطرة على صنعاء [220]. وسرعان ما استجاب الامام لرسالته. فأسرع في القدوم اليه وبرفقته حكو. فما أن وصلوا اليه حتى اتفقوا على الذهاب الى صنعاء. فساروا بجيوشهم وعسكروا قرب سورها [221].

وبالنسبة لأهل صنعاء داخل السور فقد انقسموا الى فرقتين. فرقة رغبت دخول الامام وفرقة أخرى كرهت دخوله، ونتيجة لعدم مقدرة من يكره الامام عمل أي شئ لم يكن لهم بد من أن يستسلموا لكثرة الجيش المؤيد للإمام خارج المدينة بقيادة شمس الخواص وحكو. فسهل ذلك لشمس الخواص والامام أن يدخلا صنعاء دون مقاومة. وذلك في شهر ذي القعدة سنة 594هـ/ سبتمبر 1198م. أما حكو فقد بقي بجيشه خارج المدينة مع بعض أنصار الامام [222] بذلك أصبحت صنعاء تحت سلطة الامام.

وعلى الرغم من مساعدة شمس الخواص في إدخال الامام الى صنعاء، الا أنه (لما رأى إقبال الناس على الامام وطاعتهم له). حسم على نفسه من انضمامه اليه وإدخاله صنعاء. (وخشي من

---

(219) ابن حاتم: السمط، ص: 48، 50، يحي بن الحسين: غاية الأماني، 346/1، محمد عبدالعال: المرجع السابق، ص: 163 .

(220) ابن حاتم: السمط، ص: 50-51، محمد عبدالعال: المرجع السابق، ص: 165 - 166 .

(221) ابن حاتم: السمط، ص: 51- 52 .

(222) ابن حاتم: السمط، ص: 52، محمد عبدالعال: المرجع السابق، ص: 164 - 165 .

غائلته وأدركته النفاسة له). فما كان منه الا أن يحاول الذهاب للقبض على الامام أثناء ما كان في المسجد. فحاصره قبل صلاة المغرب من كل جهاته. فاضطر أنصار الامام الى التفرق من حوله دون أن يتمكنوا من عمل أي شيء ضد شمس الخواص لقلتهم ودخول الليل عليهم، أما الامام فقد خاف على نفسه وخرج متنكراً من المسجد، واتجه الى دار أحد أنصاره بصنعاء فاختبأ عنده. وحاول أن يعمل على إدخال أنصاره من خارج سور صنعاء أو يخرج اليهم فلم يتمكن من ذلك كما حول أن يطلب (حكو) للدخول الى صنعاء. ولكن (حكو) خاف من المكيدة عليه وعلى أصحابه، عند دخولهم أثناء الليل. فاعتذر عن الدخول [223].

وبالرغم من عدم دخول (حكو) صنعاء الا أنه لم يسكت عن عمل شمس الخواص. فقد راسله وقال له: (إن الامام مع أهل البلد يمنعونه ونحن من ورائهم) فلما رأى شمس الخواص موقف (حكو) لم يكن له مفر من أن يجمع أصحابه ويغادر صنعاء. ولكي لا يفقد مساعدة الامام وخاصة بعد مخالفته للمعز. اعتذر له عن عمله ذلك. وبايعه وطلب منه منشوراً (مقتضاه الإذن له بالتوجه حيث أحب). فخرج من صنعاء مع طلوع شمس اليوم التالي لدخوله اليها. متجهاً نحو تهامة [224]. ويلاحظ أن شمس الخواص لم يكن مخلصاً في ميله الى الامام. ولكنه أدخله صنعاء نكاية للمعز فقط، ثم تركه وأحجم أن يبقى من أتباعه، فاتجه نحو تهامة.

ومن جهة المعز فما أن وصلت الأخبار الى مسامعه بأن شمس الخواص متجه الى تهامة حتى أسرع بتجهيز قواته والسير بهم نحو (زبيد) خشية عليها من سيطرة شمس الخواص لها. فوصل اليها ودخلها قبل مجيئ شمس الخواص. أما بالنسبة لجند شمس الخواص فقد تغير موقفهم تجاهه. فأثناء سيرهم في الطريق اتفقوا على عدم طاعته والامساك به نتيجة خروجه عن المعز وميله الى الامام. فألقوا القبض عليه. وأوصلوه الى المعز الى (زبيد) وفي هذه المرة لم يستخدم المعز القسوة تجاه قواده. بل عفي عنه ونفاه الى جزيرة دهلك فمات بها [225]. وبذلك انتهت أحد الشخصيات الأيوبية المنشقة دون أن يضطر المعز الاتجاه لمحاربته. ومن الملاحظ هنا أن تمرد شمس الخواص والإلقاء القبض عليه حدثت قبل أن يقتل حَكُو.

---

(223) ابن حاتم: السمط ، ص: 52 -54 ، محمد عبدالعال: المرجع السابق ، ص: 165 - 166 .

(224) ابن حاتم: السمط ، ص: 57 .

(225) ابن حاتم: السمط،ص:58،يحي بن الحسين:غاية الأماني،346/1 ،محمد عبدالعال:المرجع السابق ،ص:167.

4 ـ هَلَنْدَرِي:

استفاد الامام من الأيوبيين المنشقين، فساهموا في توسعه في السيطرة على بعض المناطق اليمنية ولما تمكن المعز من القضاء عليهم واستعاد صنعاء وذمار. خاف منه الامام فانتقل من (شبام) الى (ثلا) ثم استقر به المقام في (أثافت) في بلاد الظاهر. وآنذاك حاول أن يستغل انشقاق هلندري (أو هلدري) بن أحمد المرواني الكردي عن المعز . فكاتبه يطلب قدومه اليه ليوليه على قيادة الجند بدلاً عن حكو [226].

وكان هلندري من أتباع طغتكين فنفاه الى الشام لخوفه منه، ثم عاد أيام المعز للعمل تحت خدمته ولكنه لم يتفق معه، لذلك أعلن هلندري التمرد على المعز. واحتمى عند المؤيد بن قاسم صاحب المخلاف السليماني. وما أن وصل اليه كتاب الامام، حتى أسرع الى اجابته. فسار من ساعته نحوه الى (أثافت) فوصلها في شعبان سنة 595هـ/ مايو 1199م. ومن جهة الامام لما رآه قادماً خرج الى لقائه فاستقبله بحفاوة وإكرام. وجعله أميراً لجنده وهي الوظيفة التي كانت لحكو [227]. وبذلك أصبح هلندري منضماً للإمام وأحد قادته وأنصاره. الا أن ذلك لم يدم طويلاً.

وفي الوقت الذي كان فيه المعز محاصراً لكوكبان، الذي كان به بنو حاتم. حاول الامام الاستغاثة بهلندري. فبعث اليه يطلب توجهه الى حصن (ذمرمر) لمساعدة بني حاتم. لأن الزيدية وبني حاتم كانوا اتفقوا آنذاك على مساعدة بعضهم البعض. فاتجه هلندري الى (ذمرمر) ولكنه وصل اليه عندما تمت المصالحة بين المعز وبني حاتم [228]. لأن بني حاتم فضلوا عدم محاربة المعز. فعاد هلندري من هناك دون اشتراكه في قتال الأيوبيين.

وخلال وجود هلندري في منطقة (الذنائب) في حجة وما ولاها، راسله علم الدين وردسار الذي كان في (المحاليب) يرغبه في العودة الى المعز ويلومه على ميله الى الإمام فلم يجبه بشيء. ليس ذلك فحسب بل حاول الإمام مكاتبة وردسار وكافة جنده يستميلهم اليه ويدعوهم الى الدخول في طاعته [229]. الا أنهم رفضوا ذلك . وكان حدوث ذلك قبل أن ينشق وردسار على المعز.

---

(226) ابن حاتم: السمط ، ص: 67 ، محمد عبدالعال: المرجع السابق ، ص: 175 .

(227) ابن حاتم: السمط ، ص: 67 ، محمد عبدالعال: المرجع السابق ، ص: 175 .

(228) ابن حاتم: السمط ، ص: 71 .

(229) ابن حاتم: السمط ، ص: 70 ، محمد عبدالعال: المرجع السابق ، ص: 175 .

وعندما كان هلندري في (حوث) راسله القائد عطيفة على مخالفة الإمام وأخذ تهامة، فبدأ هلندري يضمر التخلي عن مناصرة الإمام . ولكنه لاطفه وأوهمه أنه يريد أخذ الأموال المحدد على أهل تهامة . فنزل إليها عن طريق (الذنائب) ثم اتجه للسيطرة على المهجم والحاليب والهلبة[230] . وكذلك جاءته رسالة من (طاشيكين) أحد أمراء الخلافة العباسية ببغداد تخبره بمخالفة الإمام، ويعده عن الخلافة بتمليكه اليمن. فقوي ذلك من عزم هلندري على عدم مناصرة الإمام. فكان كلما استدعاه تثاقل عن المجيء إليه وأبدى له الاعتذار[231] .والجدير بالذكر أن هلندري رغم انضمامه إلى الإمام إلا أنه لم يلتقي مع الأيوبيين في أي قتال. فسهل له ذلك العودة إلى صفوفهم.

وفي الوقت الذي كان فيه هلندري واقفاً في (الذنائب) يحاول العودة إلى صف الأيوبيين. قدم إليه وردسار هارباً من المعز في نية الميل إلى الإمام. فحاول هلندري منعه وأصر علي ذلك بينما أصر وردسار علي الذهاب. فحدث شجار بينهما كان سيؤدي إلى قتال. وفي أثناء ذلك حينما كان هلندري يحاول منع وردسار من الاتجاه إلى الإمام علما أن المعز قادم إليهما. فخاف وردسار وجيشه وجيش هلندري منه فأسرعوا في التحرك نحو الإمام إلى صعده، أما هلندري فقد اتجه إلى (الظهيرة). ولما وصل المعز إلى (الذنائب) عسكر بها وأثناء ذلك عمل هلندري على مراسلته مخبراً إياه أنه خرج عن طاعة الإمام ونكث ببيعته له وطلب من المعز العفو عنه . وكنوع من المجاملة قدم له حصاناً ومملوكاً وفهداً. ونتيجة لمحاولة هلندري منع ودرسار من الوصول إلى الإمام وغيرها عفي عنه المعز وضمه إلى صفه وأقطعه (حرض في تهامة / والحموس في بلاد الأهنوم بحجة، وصعده)[232] وبذلك عاد هلندري إلى صفوف الأيوبيين .

5 - وَرْدَسَار :

تأتي هذه المرة دور أحد القادة الأيوبيين في الانشقاق هو وَرْدسار، الذي كان غالباً ما يرافق المعز في حملاته[233] . وكان حدوث الخلاف بينهما في عدن. فخاف وردسار على نفسه من القتل فهرب مع جماعة من أصحابه، وسار بهم حتى وصلوا مغارب ذمار. ومنها كاتب وردسار

---

(230) ابن حاتم: السمط ، ص: 75 .

(231) ابن حاتم: السمط ، ص: 76 ، محمد عبدالعال: المرجع السابق ، ص: 175 .

(232) ابن حاتم: السمط ، ص: 78 .

(233) ابن حاتم: السمط ، ص: 66 .

الإمام يطلب الوصول إليه. ونتيجة لخوفه من إلقاء القبض عليه من حاميات المعز اتجه نحو ريمة الأشباط ينتظر جواب الإمام فمكث عند أحد مشائخها. ومن جهة والي صنعاء الشهاب الجزري فإنه لما علم بانشقاق وردسار وتوجهه إلى الإمام، بعث عسكراً إلى الهان (أنس) لرصد المسالك، ومنعه من الوصول إلى الإمام. فلم يتمكنوا من منعه لأنه سبقهم باجتياز الطريق إلى ريمة[234].

وما أن وصل جواب الإمام إلى ريمة بقدوم وردسار إليه حتى أسرع في الخروج منها متجهاً إلى صعده. فسار عبر طريق مسار في خوف من جنود المعز حتى وصل إلى حجة. فعمل على مراسلة هلندري الذي كان قد استقر في الذنائب في طلب السماح له القدوم اليه. فسمح له هلندري فلما وصل اليه وردسار مع جماعته استقبلهم هلندري وأكرمهم وأوقفهم عنده.

وأثناء تلك الإقامة جرت محاورة بين الطرفين حول موقفهما. فأوضح هلندري أنه عدل عن رأيه في طاعة الإمام وعاتب عليه، ويريد منع وردسار وجماعته من الوصول إليه. وكان جند هلندري آنذاك أكثر من جند وردسار فلم يتمكن من الخروج من لديه بالقوة مما جعله يشرع في استمالة جند هلندري للتوجه معه إلى الإمام فأجابه جمع كبير منهم، ولم يبق مع هلندري إلا عدة أشخاص[235] وذلك بسبب خوفهم من عدم تمكنه من الوفاء لهم بإعطائهم اعطياتهم، وعدم كفاية المنطقة المسيطر عليها لعطاياتهم، إضافة إلى خوفهم من المعز بعد أن أعلنوا مخالفتهم له.

وما أن تمكن وردسار من استمالة جند هلندري وسماعهم بقدوم المعز نحوهم، حتى أسرعوا جميعاً في المسير نحو الإمام، بعد أن تركوا هلندري لوحده مع خمسة عشر نفراً، غير قادرين على منعهم المسير[236] فلما وصلوا إلى صعده استقبلهم الإمام وأكرمهم[237]. وكان وصولهم إليها يوم الأربعاء 12/ جمادي الآخرة سنة 598 هـ/ 9 مارس 1202م[238]. وبذلك انضم وردسار إلى الإمام. إلا أنه لم تمض فترة قصيرة على انضمامه حتى وصله خبر قتل المعز فعاد إلى صفوف الأيوبيين قبل تورطه في الاشتراك في محاربتهم.

---

(234) ابن حاتم: السمط ، ص: 76 ، زبارة: أئمة . ص: 123، محمد عبدالعال: المرجع السابق ، ص: 176 .

(235) ابن حاتم: السمط ، ص: 77- 78.

(236) ابن حاتم: السمط ، ص: 77- 78 ، محمد عبدالعال: المرجع السابق ، ص: 176 .

(237) ابن حاتم: السمط ، ص: 78 .

(238) ابن حاتم: السمط ، ص: 76 ، محمد عبدالعال: المرجع السابق ، ص: 176 .

6 ـ الأتابك سُنْقُر المعزي :

كان الأتابك سيف الدين سُنْقُر آخر المنشـقين عـن المعـز. وكـان يعمـل لديـه مقـدم رتبـه (بعبين) وأثناء ما كان المعز قد اتجه إلى (حجة) سنة 598 هـ/ 1202م لتسلم الأموال الواجبـة عليهـا. ووصل إلى منطقة (الذنائب) واستقر بها. أرسل إلى أهل (قـدم) جماعـة مـن عسـاكره، فسـاروا إلى أحد حصونهم المسمى (حقيل) وألقوا القبض علـى والي الحصـن، وأرسـلوه إلى المعـز. وكـان هـذا الوالي قد ترك رهائن عند المعز وكان مطيعاً له. فلما علـم أهـل قـدم بإلقـاء القبـض عليـه، غضبـوا وتجمعوا وأحاطوا بجماعة المعز الذين قدموا إليهم فقتلوهـم عـن آخرهـم. أدى ذلـك التصـرف إلى غضب المعز فقام بقتل كل الرهائن الموجودين لديه لأهل قدم وأكثرهم أطفالاً[239] .

وفي نفس الوقت انسحب الأتابك سيف الدين سـنقر مـن (مَبّيَـن) إلى المعـز إلى الذنـائب فوجد الرهائن قد قتلوا فاستنكر هذا العمـل ولام المعـز علـى تصرفـه فغضـب المعـز مـن لومـه لـه، وأضمر على قتله. فخاف سنقر منه، وكان قد سبق أن داخله الخوف والشك منه من حديث سابق بينهما. فلم يكن له بد من إنقاذ نفسه من فتك المعز به. فاتجه إلى إفساد الجند سـراً. فلمـا أطـاعوه أظهر الخلاف على المعز وبدأ في قتاله وذلك عن طريق شن الغارات المتعددة في مناطق تهامه. فأول ما بدأ به أنه اتجه بمن أطاعه مـن الجنـد نحو المهجـم (فنهبـوا مـا فيهـا مـن الأمـوال) ثـم انتقـل هـو وأصحابه وحريمهم إلى (المدارة) وجعلوها مستقرهم[240] .

في الوقت ذاته حاول المعز التوجه لمطاردتهم وقتالهم. فاتجه من (الذنائب) نحو المهجـم فلـم يجدهم فترك بها حامية من جيشه مكونة من مائة فارس. ثم سار إلى الكدراء. أما الأتابك سنقر فأنه عندما خرج المعز من (المهجم) خلفه إليها ونهـب مـا فيهـا مـن الخيـل والعـدد والأمـوال وعـاد إلى (المدارة). أقلق هذا التصرف المعز فعزم على الاتجاه إلى مقرهم إلى (المدارة) للقضاء عليهم. فما أن وصل إليهم حتى خرج إليه عساكرها فباغتوه بالهجوم وقتلوا أحد جنده، مما أدى إلى أربـاك جيـش المعز وانهزامه. وذلك بسبب المفاجأة، وتركه حاميات في مدن تهامة وذهابه إليهم بجيـش غيركـافِ فأضعف ذلك من قواته فانهزم[241] ثم اتجه المعز منهزماً نحو الكدراء ومنها أسرع إلى زبيـد لتجميـع

---

(239) ابن حاتم:السمط،ص:79،يحي بن الحسين: غاية الأماني، 356/1، محمد عبدالعال: المرجع السابق ص: 177

(240) ابن حاتم:السمط،ص:80،يحي بن الحسين: غاية الأماني، 357/1 ، محمد عبدالعال: المرجع السابق ص:177

(241) ابن حاتم:السمط ،ص:80 ،يحي بن الحسين:غاية الأماني ،357/1 ،محمد عبدالعال:المرجع السابق ،ص:178

جيشه والعودة بهم إلى قتال سنقر مرة أخرى.

أما من جهة الأتابك سنقر فإنه لما انهزم المعز توجه إلى مطاردته إلى الكدراء. فلم يجده بها فنهبها وأخذ منها أموالاً كثيرة، ثم عاد إلى (المدارة) وبدأ يراسل الإمام في الميل إليه. وأثناء تلك المراسلة حدث قتل المعز في زبيد فعاد الأتابك سنقر إلى صفوف الأيوبيين دون أن يلتقي بالإمام[242]. وهكذا تعددت الشخصيات الأيوبية التي أعلنت الانشقاق على المعز. مما جعله يعاني منها كثيراً حيث ظل يصارعهم طيلة فترة حكمه. كما ساعد هذا الانشقاق الأيوبي الإمام عبدالله بن حمزة على الاستيلاء على كثير من مناطق شمال صنعاء. فاقلق ذلك المعز وجعل حكمه لليمن غير مستقر.

مخالفة المعز :

تورد المصادر ثلاث أحداث جسام خرج فيها المعز عن أهداف الحكم الأيوبي هي أولاً: إدعاؤه الخلافة لنفسه[243]. وثانياً: إ دعاؤه النسب الأموي[244]. وثالثاً: اعتناقه مذهب الإسماعيلية[245].

وكما يبدو أن المعز لم يدع إلى نفسه بالخلافة ولكنه حاول الاستقلال بحكم اليمن عن الأيوبيين بمصر. وفكرة الاستقلال عادة اتبعها أفراد البيت الأيوبي بمناطق نفوذهم في الشام ومصر. كذلك فإن المعز لم يدع النسب الأموي. ولكنه كما يبدو حاجج الزيدية بما فعله بنو أميه معهم. أي أنه إذا كانت الزيدية تدعي الأحقية بتولي الخلافة أو الحكم كونهم علويين. فهو يتصرف معهم كما تصرف بنو أميه مع سابقيهم. وبالنسبة لإعتناق المعز المذهب الإسماعيلي فهو كذلك لم يعتنقه ولكنه تعاطف معهم سياسياً فلم يقسوا عليهم لعدم وجود مبرر يوجب ذلك. قياساً لقسوته على أهل السنة الذين خرجوا عليه حين قتل كثيراً منهم. فجعل ذلك الكثير يعتقدون أنه مال إلى مذهبهم الإسماعيلي وخرج عن مذهب أهل السنة. وحواره مع الإسماعيلية في ذي جبلة دليل على عدم اعتقاده بمذهبهم حيث أورد الخزرجي أن الإسماعيلية: (طمعوا في سقوط مذهب السنة ولو

---

(242) ابن حاتم: السمط ، ص: 81 ، محمد عبدالعال: المرجع السابق ، ص: 178- 179 .

(243) ابن حاتم: السمط ، ص: 71 ، زبارة: أئمة اليمن ، ص: 123 .

(244) ابن حاتم: السمط ، ص: 71 .

(245) الخزرجي: العسجد ، ص: 173 .

بذي جبلة وسألوه أن يأمر الخطباء. فامتنع فسألوا أن يأمر بإسقاط ذكر الشيخين فقال لا طاقة لي بالسواد الأعظم. فقالوا له افعل لنا هذا ولو في ذي جبلة وحدها فأبي عليهم[246]). وبذلك فإن المعز لم يكن قد مال إلى الإسماعيلية أو إدعى الخلافة أو النسب الأموي.

مقتل المعز :

نتيجة لما اتصف به المعز من القسوة تجاه الجند والرعايا وما عمل بهم من القتل والظلم والإخافة[247] وما اتصف به من قلة النظر في أحوالهم (وجعل أكثر بطانته وأصحاب مشورته الخدم والحريم). تآمر عليه الجند واتفقوا على قتله، وأخفوا ذلك حتى تأتيهم الفرصة. وقد ساعدهم لذلك عاملان. أحدهما: استقلاله عن الأيوبيين في مصر والشام. والآخر: حدوث انشقاق الجند الأيوبي عليه. ومحاربة الأتابك سنقر له. وكانت الفرصة المناسبة لقتله عندما أراد المعز التوجه من (زبيد) إلى (المدارة) لمقاتلة الأتابك سنقر. فلما وصل إلى (القوز) شمال زبيد وأمر الجند على الاصطفاف إلى صفين ميمنة وميسره في غرض القتال. وثبوا عليه وقتلوه دون أن يدافع عنه أحد منهم بسبب اتصافه بالظلم نحوهم. وكان من ضمن من قتله (هندوة، والقرابلي، والدقيق) وكان قتله في آخر رجب سنة 598 هـ/ إبريل 1202م[248]. وبذلك انتهي حكم المعز لليمن، بعد صراع مستمر مع المنشقين عنه والزيدية.

ومن الملاحظ مما سلف أنه على الرغم من أن الملك طغتكين تمكن من توحيد اليمن تحت النفوذ الأيوبي. إلا أن إبنه المعز لم يتمكن من جعل اليمن كلها موحدة تحت نفوذه. والسبب في ذلك يرجع إلى سياسته تجاه القادة الأيوبيين. الذين كانوا عماد الدولة الأيوبية في اليمن. فقد استخدم القسوة نحوهم من أول أيام توليته السلطة فأعدم والي حرض ووالي صنعاء. فأخاف ذلك بقية الأيوبيين. وبدءوا يبحثون عن ملجأ يؤمن حياتهم. فاستغلوا فرصة عداء الإمام للأيوبيين. فانشقوا عن المعز وانضموا إلى الإمام. الذي هو الآخر استغل انشقاق هؤلاء القادة الأيوبيين وعمل على ضمهم إليه. فساهم ذلك في زيادة قوة الإمام وتوسعه في بعض مناطق اليمن. فأدى

---

(246) الخزرجي: العسجد ، ص: 173 .

(247) الخزرجي: العسجد ، ص: 73 .

(248) ابن حاتم: السمط ، ص: 82 ، محمد عبدالعال: المرجع السابق ، ص: 182 ، با مخرمة: ثغر عدن ، ص: 52، العرشي: بلوغ المرام، ص: 41. يورد الجند في السلوك، 535/2 أن وفاة المعز كان في رجب سنة 599 هـ.

ذلك بالمعز أن يظل طيلة فترة حكمه يناضل من أجل القضاء على هؤلاء المنشقين والقضاء على الإمام والحد من توسعه. وعلى الرغم من ذلك فقد تمكن من القضاء على بعض المنشقين عليه والحد من توسع الإمام ولكنه دفع حياته ثمناً لذلك الصراع أو لسياسته تلك.

أحوال الأيوبيين بعد قتل المعز:

1 ـ انضمام الشهاب إلى الإمـــام :

بعد قتل المعز ارتبك أمر القوى الأيوبية في صنعاء. فقد عمل جماعة من الجند الموجودين بها على مكاتبة الأمير وردسار للحضور إليهم، فطلب من الإمام السماح له ولمن معه بالذهاب إلى صنعاء، فوافق على ذلك. وآنذاك أسرع وردسار في الخروج إليهم من (حُوْث) فسار حتى وصل صنعاء[249] لمعرفة طلب الأيوبيين له. وأما ما كان من الشهاب الجزرى والي صنعاء فقد خاف على نفسه من الأيوبيين الموجودين بها. والذين أخذوا يطالبونه بإعطائهم أموال المعز التي كانت عنده، وهددوه بالقتل. فبدأ ينقل حريمه ومتاعه إلى حصن (عُضْدان) خوفاً منهم. ثم عاد للقعود بصنعاء بمفرده، وأخذ يفكر في الميل إلى طاعة الإمام فاستغل وجود الأمير وردسار الذي كانت له علاقة طيبة بالإمام بصنعاء. فطلب منه أن يتوسط له عند الإمام بالانضمام إليه. شريطة أن لا يؤاخذه بما تقدم من الإساءة ومحاربته له. فكتب وردسار إلى الإمام يخبره بطلب الشهاب فعاد جوابه بإعطائه الأمان والترحيب به في دخوله في طاعته وطلب الالتقاء به في بيت (مساك)[250] قرب ريدة .

وفي الوقت الذي كان فيه الشهاب الجزري ينوي الميل لطاعة الامام كان وردسار يفكر في الاتجاه الى اليمن الأسفل لإعلان طاعته للأمراء الأيوبيين بها لأن الأسباب التي جعلته يميل الى الامام قد زالت بانتهاء المعز. فسار نحو تعز قبل إلتقاء الامام بالشهاب.

وأثناء ذلك التقى الشهاب بالامام في بيت (مساك) في 18/ شوال سنة 598هـ/ 12 يوليو 1202م. انتهي هذا اللقاء بمبايعة الشهاب للإمام والعودة الى صنعاء لتسليمها له. وقد تسلمها نيابة عنه أخوه عماد الدين يحي بن حمزة. فخطب بها للإمام وأذن بحي على خير العمل وألغى الخطبة لبني العباس [251] بذلك سيطر الامام على صنعاء دون قتال. ومن جهة الأتابك سنقر فان خبر لقاء

---

(249) يحي بن الحسين: غاية الأماني ، 358/1 .

(250) ابن حاتم: السمط ، ص: 86- 87 ، محمد عبدالعال: المرجع السابق ، ص: 185 .

(251) ابن حاتم: السمط ، ص:87 ، عبدالعال: المرجع السابق ، ص: 185 .

الشهاب والامام وصل اليه الى الجند أثناء استقباله لوردسار فغضب الأتابك من الشهاب وفكر في إرسال قواته اليها لاستعادتها.

وبالنسبة للإمام فبعد أن استولى على صنعاء أرسل الشهاب وأخاه عماد الدين الى (الدملوة) لاقناع الأمير نجاح الذي كان متمرداً على سنقر بالانضمام الى الإمام. ولكنهما لم يتمكنا من اقناعه. فعاد أخو الامام الى صنعاء أما الشهاب فقد كاتب الأتابك سنقر يطلب الوصول اليه. فرحب به وعفي عنه، وجعله من اتباعه [252]. وخلال بقائه مع الأتابك استعان به في الاتجاه الى عدن لمحاصرة الأمير برعش فيها والذي تمرد عن طاعة الأتابك . كما كان الأتابك يستعين به في أغلب حملاته [253].

وعلى الرغم من دخول الشهاب الجزري في طاعة الأتابك سنقر الا أنه لم يستمر على تلك الطاعة. فقد تمرد عليه سنة 705هـ/ 1208م واتجه الى (يفعان) في زبيد، ثم راسل الامام يطلب القدوم اليه. فرحب به الامام وسار اليه أثناء ماكان في (حلملم) فانضم اليه وأصبح من أتباعه. وظل الشهاب في طاعة الامام الى أن توجه الأتابك من صنعاء الى زبيد سنة 608هـ/1210م حيث تمكن من القاء القبض على الشهاب وأرسله الى سجن التعكر [254]. وبقي في سجنه الى أن سعى وردسار في قتله بعد وفاة الأتابك سنقر [255]. وهكذا كانت مواقف الشهاب الجزري بعد مقتل المعز متأرجحة بين طاعته للإمام وطاعته للأيوبيين.

مراسلة الامام لكبار القادة الأيوبيين:

حاول الامام استغلال مقتل المعز وتفكك الجند الأيوبي وانشقاقهم. فأسرع الى مراسلة أكابر أمرائهم يدعوهم الى طاعته. ظناً منه أن الأيوبيين بعد قتلهم للمعز سيطيعونه. وسيحقق بذلك رغبته الكبرى أن يصبح حاكماً لليمن كله. فكلف بايصال كتبه اليهم أحد دعاته هو مرحب بن سليمان الحرازي. الذي أسرع في السير الى تهامة. فلما وصل الى (المهجم) التقى بالأمير علي بن أبي بكر القرابلي وسلمه رسالة الإمام. فأحسن استقباله وأبدى استعداده لطاعته.

---

(252) ابن حاتم: السمط ، ص: 93 .

(253) ابن حاتم: السمط ، ص: 123

(254) ابن حاتم: السمط ، ص: 143 - 147 .

(255) ابن حاتم: السمط ، ص: 148 ، يحي بن الحسين: غاية الأماني ،395/1 ، عبدالعال: المرجع السابق ، ص: 323 .

ثم سار الى الكدراء. ولما التقى بهـا بالأمـير (الدقيـق) رفـض طاعتـه وأورد طعنـاً علـى الامـام [256] واستنكر أن يكتب في رسالته اليه أنه ابن رسول اللـه وقال: (هـل بقـي أحـد في اليمـن مـن يدعـي بهذا الاسم؟ فما قتلنا إسماعيل الا عليه) [257] يدل ذلك على أنه رافض أن يدخل في طاعة الامام.

استمر رسول الامام في السعي وراء أكابر الأمراء فسار يبحث عن الأتـابك سـنقر الـذي كان آنذاك من أهم الشخصيات الأيوبية. فلما وصل الى زبيد وجده قد رحل عنها واتجه الى تعز. فأسرع باللحاق به اليها فوصلها أثناء ما كان الأتابك سنقر في عدن، فبعث اليه برسـالة تخبره أنـه رسول الامام. فرد عليه الأتابك أن يتوقف في تعز حتى يعود من عدن [258] . وحينما عـاد منهـا إلى الجند اتجه إليها رسـول الإمـام. فاستقبله الأتـابك وأكرمـه. ثـم أخـذ منـه رسـالة الإمـام وقرأهـا. وصادف آنذاك أن وصل كتاب اليه من وردسار، فتوقف الأتابك عن الرد للإمام، حتى يصل اليـه وردسار. لأنه عاش مع الامام ويعرفه أكثر من الأتابك. وما أن وصل وردسار الى الجند حتى خلـع طاعته للإمام. فاعتبر الأتـابك هـذا الخلـع رداً لـه للإمـام. فـأذن للرسـول العـودة مـن عنـده بغـير جواب[259]. والحقيقة أن الخلاف المذهبي بين الزيدية والأيوبيين السنة هي التي أوقفت طاعتهم لـه. وما كان انضمامهم اليه سابقاً الا نكاية بالمعز وخوفاً منه. أمـا وقـد انتهـي المعـز فـلا داعـي لطاعـة الامام. ومع قناعة الأتابك باستحالة طاعته للإمام بعد أن أصبح أعلى قـائد للأيوبيـين في اليمـن الا أنه استخدم أسلوباً سياسياً مرناً في الرد على الامام. وهو التوقف عن أي رد يغضبه حتى لا ينهـض لمحاربة الأيوبيين.

كذلك استغل الامام تمرد الأمير نجاح الأيوبـي في حصـن الدملـوة بـالصلو عـن الأيوبيـين. فأرسل اليه أخاه عمـاد الديـن يحي بـن حمـزة والشـهاب الجزرى كوسـطين برفقتهمـا بعـض قـادة

---

(256) ابن حاتم: السمط ، ص: 93 .

(257) ابن دغثم: سيرة الإمام عبدالله بن حمزة ، تحقيق د/ عبدالغني محمود ، دار الفكـر ، بـيروت جـ3 ،ط1 ، 1993م ، ص: 290، يحي بن الحسين: غاية الأماني ، 366/1 .

(258) ابن حاتم: السـمط ، ص: 94 ، ابن دغثم: سيرة الإمام ، ص: 93- 95 ، يحي بـن الحسـين: غايـة الأمـاني ، 363/1 .

(259) ابن دغثم: سيرة الإمام، ص:93 - 95 ، ابن حاتم: السـمط ، ص: 94- 95 ، يحي بن الحسين: غايـة الأمـاني 363/1 - 364 .

الشهاب وجنده، وذلك لاقناع الأمير نجاح في الانضمام للامام. وذلك بهدف ايجاد قاعدة لـه في اليمن الأسفل للضغط على القادة الأيوبيين الموجودين هناك أو جذبهم للدخول في طاعته. فساروا على خوف من الأيوبيين متحاشين الاقتراب من مراصدهم ومراكزهم المنتشرة على حصون اليمن المتعدد. ولما اقتربوا من حصن (حب) في بعدان، علم بهم الأتابك سنقر الذي كان آنذاك معسكراً في (اب) فحاول أن يمنعهم عن الوصول الى الدملوة. الا أنهم أسرعوا في المسير وسبقوا وصول جنده اليهم. وساروا نحوها عبر طريق غير معتادة المسير فيها، خوفاً من الاصطدام بالحاميات أو المراصد الأيوبية (260).

ولما وصلوا الدملوة صعد بعض الجند الى الحصن لاخبار الأمير نجاح بوصول عماد الدين أخي الامام والشهاب. وكان قد سبقت المراسلة اليه تحثه على الانضمام الى الأمام. وتخبره بقدوم رسولين اليه. فنزل الأمير نجاح من الحصن واستقبلهما وأقعدهما في الجنات، شمال الدملوة وأكرمهما مع جندهما بإرسال الضيافات إليهم يومياً. أثناء ذلك انفصل عن الشهاب عسكره بسبب عدم صرف أعطياتهم واتجهوا إلى الأتابك سنقر للإنضمام إليه. ولم يبق مع الشهاب سوى أربعين فارساً. وكان الأمير نجاح قد أرسل الشهاب إلى لحج لجمع الأموال للإنفاق على الجند الموجودين لديه. فلما رأى ما حدث من عسكر الشهاب. توقف عن الإنفاق. وبالرغم من محاولة عماد الدين والشهاب للإقناع الأمير نجاح الأيوبي بالانضمام الى الامام. وقعودهم عنده لعدة أيام. الا أنهم لم يتمكنوا من اقناعه.رغم أنه ظل خارجاً عن طاعة الأتابك سنقر لفترة طويلة. ومن جهة الامام فانه لما علم بمخالفة جند الشهاب عليه. وعدم قبول نجاح طاعته. فضلاً عن تمكن وردسار من انتزاع صنعاء من أيدي الزيدية. كتب الى أخيه عماد الدين يطلب منه سرعة القدوم اليه. أمام ذلك اضطر عماد الدين سرعة العودة الى اليمن الأعلى. فسلك طريقاً بعيدة عن الأماكن التي كان يتمركز بها الأيوبيون ومراصدهم. أما الشهاب الجزري فقد اضطر أن يتجه الى الأتابك سنقر الى تعز لإعلان طاعته له (261). وبذلك لم تنجح محاولة الامام بضم الأيوبيين الى صفه.

---

(260) ابن حاتم: السمط . ص: 88 - 89 .

(261) ابن حاتم: السمط ، ص:90 - 92 .

الفصل الحادي عشر

الناصر أيوب بن طغتكين

بحكم تسليم الأيوبيين بالنظام الوراثي في الحكم فقد أصبح الناصر بن طغتكين. الذى كان لا يزال في سن الطفولة أي لا يتجاوز العشر سنين. هو الوريث الشرعي للحكم الأيوبي في اليمن. ونتيجة لصغر سن الناصر وعدم مقدرته على القيام بأمور الدولة السياسية والعسكرية والإدارية. فقد نصب الأتابك سيف الدين سنقر المعزي للقيام بذلك العمل. ويرجع سبب تنصيبه للقيام بأمور الدولة الأيوبية إلى عاملين أحدهما: قيام الأتابك سنقر بتربية الناصر، حيث كان أتابكاً له. والآخر: أنه كان متزوجاً من أم الناصر [262] ولا يستعبد أن أم الناصر هي التي دفعت ابنها إلى اختيار سنقر لتولي السلطة الأيوبية نيابة عن ابنها .

وعن الطريقة التي وصل بها الأتابك سنقر إلى تولي السلطة الأيوبية في اليمن فالواقع أنه نتيجة تمرد سنقر على المعز ومحاربته فقد كان من الصعب أن يصبح متولياً لها لولا ظروف خدمته وقدمته إلى الصفوف الأولى للسلطة . وهي الأتي:

أحدها اختيار الأكراد له:

فقد تم اختياره من قبل الأكراد في زبيد بعد قتلهم للمعز مباشرة ليتولى أمرهم. نتيجة اشتراكهم في فكرة واحدة هي قيامهم ضد المعز. وذلك بمحاربة سنقر له واشتراك الأكراد بقتله. فراسلوه للوصول إليهم إلى زبيد ليتولى أمرهم . ولم تكد تصل رسالتهم إليه حتى قطع مراسلته للإمام، وسار من (المدارة) نحو زبيد[263]. ولما وصلها سرعان ما عقد مصالحة مع الأكراد [264]. استهدفت هذه المصالحة كما يبدو قبول الأكراد بتولية سنقر أميراً عليهم. مقابل عدم معاقبتهم لقتل المعز وإبقائهم في مناصبهم في زبيد وتهامة ثم تقديمهم إلى الصفوف الأولى في السلطة الأيوبية في اليمن.

---

(262) ابن حاتم: السمط، ص: 84، ابن عبدالمجيد: بهجة الزمن، ص:135، الخزرجي: العسجد، ص:175.

(263) ابن حاتم: السمط، ص:84، محمد عبدالعال: المرجع السابق، ص:186.

(264) الجندي: السلوك، ص:536/2، الكبسي: اللطائف، ص:66، عبدالعال: المرجع السابق، ص:186، الخزرجي: العسجد، ص:175.

وثانيها مراسلة الناصر له:

فبعد أن تم للأتابك مصالحة الأيوبيين في زبيد تركهم وأسرع في السير نحو تعز ليتوج سلطة زبيد بسلطة تعز الشرعية ، لأن الشرعية في تولي السلطة يعطيه طاعة الأيوبيين في اليمن كله. وقد ساعده على الإسراع للذهاب إلى تعز أنه تلقى رسالة من الناصر بعد قتل المعز أثناء ما كان في حصون حجة وتهامة متمرداً بها ضد الأيوبيين. تطلب منه القدوم إليه. مانحا إياه العفو عما جرى بينه وبين أخيه المعز. فكانت هذه فرصة لسنقر أن يصل إلى أعلى السلطة، لعدم وجود من ينافسه من الأمراء الأيوبيين في اليمن ، نتيجة صغر سن الناصر، وقرابته من البيت الأيوبي. إضافة إلى حالة التفكك والإرتباك الذي أصاب الأيوبيين بعد قتل المعز. فجمع الأتابك سنقر بين موالاة الأكراد له في زبيد وموالاته للناصر. فحين وصل إلى تعز استقبله الناصر وخلع عليه وجعله أتابك عسكره. وما أن صار الأمير سنقر أتابكاً للأيوبيين حتى خرج إلى العسكر بتعز يأخذ العهد منهم لطاعة الناصر وطاعته [265]. فأطاعوهما. وبذلك أصبح الأتابك سنقر صاحب السلطة الفعلية. أما الناصر فقد كان لا يملك من السلطة إلا اسمها لصغر سنه .

وعن إكمال الأتابك لأخذ الطاعة له من الأيوبيين في اليمن وتولية الولاة عليها. فقد توجه من تعز إلى عدن وعزل عنها مهكاربن محمود الذي كان واليا عليها من قبل المعز وولى مكانه عليها الأمير(برعش)[266]ثم اتجه سنقر نحو ذي جبلة فأعلن من بها من الأيوبيين الطاعة له. وبالنسبة لذمار وصنعاء فقد ولى عليهما سنقر الأمير وردسار، وبذلك أطاع سنقر جميع الأيوبيين في مناطق اليمن ولم يبق خارجاً عن طاعته إلا مناطق الأئمة الزيدية في صعدة وما حولها.

ولما حدثت التمردات الأيوبية على سنقر اتجه للقضاء عليها. فكان لابد له من تغير عدة ولاة. فقد ولى على زبيد مهكار بن محمود [267] وولى على تهامة عدا زبيد والكدراء الأمير حسام الدين بكتمر السيفي [268] وذلك بعد قضائه على تمرد الأكراد فيها. أما عدن فقد عزل عنها

---

(265) ابن حاتم: السمط، ص:84 ـ 85.

(266) ابن حاتم: السمط، ص:88.

(267) ابن حاتم: السمط، ص:85.

(268) الخزرجي: العسجد، ص:175، ابن حاتم: السمط، ص:85.

(برعش) وولى مكانه أحمد بن عبد الله بن عبد الوهاب [269] وضمن عملية التولية الأخرى. فقد ولى سنقر على ذمار ورداع البغش المعظمي [270] وولى على وصاب فخر الدين أبا بكر علي بن رسول. وعلى ريمة بدر الدين الحسن بن رسول. وعلى(حب) في بعدان شمس الدين علي بن رسول [271] كذلك ولى الأتابك وزيراً له الأمير علي بن عبد الله بن عبد الوهاب [272] وبذلك أصبح سنقر صاحب السلطة الفعلية في التولية وإدارة الدولة. وسنتكلم هنا عن أهم شخصيتين للدولة الأيوبية عهد الناصر هما علم الدين وردسار والأتابك سنقر وعلاقتهما بالقوى الأيوبية والزيدية.

علم الدين وردسار:

عودته إلى الصف الأيوبي:

كان الأمير علم الدين وردسار بن سامي المعزي أحد الأمراء الكبار الذين لا نظير لهم وقتذاك حيث (بلغ عدد مماليكه مائتين وستين مملوكا)[273] وكان انضمامه للإمام يشكل خطورة على الأيوبيين. ولكنه لم يعمل على قتالهم. لأن الفترة التي قعدها عند الإمام كانت قصيرة. ولما قتل المعز زالت مخاوف وردسار وزالت معها أسباب وقوفه ضد الأيوبيين كما زالت معها بقائه موالياً للإمام. فعندما وصلت مكاتبة الأيوبيين بصنعاء إلى وردسار يطلبونه القدوم إليهم. أسرع في المسير إليهم من (حوث) بعد استئذانه من الإمام [274] وبعد وصوله إلى صنعاء لم يستعجل إعلان موالاته للأيوبيين. فقد ظل على علاقته الطيبة بالإمام متمسكا بطاعته له. وعمل خلال بقائه في صنعاء على مكاتبة الإمام بشأن انضمام الشهاب الجزري إليه .

وعلى الرغم من أن وردسار كان يتظاهر بطاعة الإمام حين دخل صنعاء إلا أنه بدأت تراوده فكرة التخلي عنه والاتجاه إلى طاعة الأتابك سنقر في تعز. فلم يكد يستقر عدة أيام في صنعاء حتى أسرع في التوجه نحو اليمن الأسفل [275] لإعلان طاعته للأتابك وقد كان مقتل المعز،

---

(269) ابن حاتم: السمط، ص:105، كريم: عدن، ص:244، عبدالعال: المرجع السابق، ص:190.

(270) ابن حاتم: السمط، ص:96.

(271) ابن حاتم: السمط، ص:105.

(272) ابن حاتم: السمط، ص:112.

(273) ابن حاتم: السمط، ص:149.

(274) يحيى بن الحسين: غاية الأماني، 308/1، الكبسي: اللطائف، ص:66.

(275) ابن حاتم: السمط، ص:86، زبارة: أئمة الزيدية، ص:125.

ومراسلة الأيوبيين بصنعاء له، وتولي الأتابك سنقر أمر الدولة الأيوبية في اليمن. فرصة مناسبة لوردسار أن يعيد تفكيره ويعمل على تحديد موقفه من القوة الموجودة باليمن بتحويل موالاته للأيوبيين، وترك مناصرته للإمام .

وخلال سير وردسا في طريقه إلى تعز كتب من حقل كتاب إلى الأتابك سنقر يشرح له أنه قادم إليه لإعلان طاعته له، وأنه لم يتمكن من التخلص من المراكز الأيوبية المنتشرة عبر الطريق. ويطلب منه إمداده والإذن له للقدوم إليه. ولذلك أمر الأتابك سنقر الحاميات الأيوبية بعدم التعرض له. أما أنصار الإمام فقد أوهمهم وردسار أنه لا يزال مناصراً له وأن لديه منشوراً من الإمام بفسح الطريق له فتركوا التعرض له. وسار حتى وصل الجند حيث كان الأتابك سنقر معسكراً بها[276] بعد عودته من عدن. فلما وصل إليها خرج الأتابك وعسكره والناس إلى لقاء وردسار والترحيب به[277].

ولايته لصنعاء:

أقام وردسار في الجند ثلاثة أيام يتحاور فيها مع الأتابك سنقر. إنتهت بإعلان انضمامه إلى معسكر الأيوبيين وخلع طاعة الإمام. وبيع علمه في السوق دليلا على التهجين به والإسقاط لحرمته. وآنذاك قام الأتابك سنقر بتولية وردسار صنعاء وماحو لها وأقطعه إياها من (نقيل سرح إلى البون) [278] وكما يتضح أن السبب في تعيين وردسار لتلك المناطق علاقته الطيبة بالإمام. وذلك لتجنيب الأيوبيين الدخول في صراع معه. إلا أن العلاقة الحسنة بين الإمام ووردسار قد تبدلت وتحولت من علاقة طيبة إلى علاقة عدائية. بسبب خلع وردسار الطاعة للإمام وموالاته للأيوبيين الذين كانوا يشكلون أخطر الأعداء للإمام.

وفي تلك الأثناء جهز الأتابك سنقر حملة لوردسار مكونة من ثمانين فارساً من جند سنقر مضاف إليها عسكر وردسار نفسه كذلك أعطاه عشرين ألف دينار [279].للإستعانة بها لتجهيز الحملة. فتوجه وردسار بذلك من الجند نحو اليمن الأعلى لاستعادتها لسلطان الأيوبيين. فبدأ بالسيطرة على ذمار دون قتال لأن جميع الجند الذين كانوا بها دخلوا تحت طاعته دون مقاومة، ثم

---

(276) ابن حاتم السمط، ص:94، الكبسي: اللطائف، ص. 68، عبدالعال: المرجع السابق، ص:188.

(277) ابن حاتم: السمط، ص:94.

(278) ابن حاتم: السمط، ص:95 - 96.

(279) ابن حاتم. السمط، ص:76، عبدالعال: المرجع السابق، ص:188 - 189.

سار منها نحو صنعاء فاستولى عليها بغير قتال في 13/ذي الحجة سنة 598هـ/5 سبتمبر 1202م بعد أن هرب منها واليها إلى الإمام [280] وبذلك استعاد وردسار ذمار وصنعاء للسلطة الأيوبية بعد أن كان الإمام قد سيطر عليهما.

بنو حاتم ووردسار:

وما أن سيطر وردسار على صنعاء حتى توجه إلى مصالحة سلاطين بني حاتم بأن يكون لهم نصف الرحبة مما يليهم وإطلاق مزارعهم التي بوادي(ضهر) - كذا كتب بالضاد - وشعوب والمنظر [281] وتهدف هذه المصالحة لضمان إيقاف بني حاتم من مناصرتهم للإمام. لأن بني حاتم كانوا قد كاتبوا الإمام بعد قتل المعز وشرحوا له كثرة خلاف الأيوبيين على المعز وحثوه على اغتنام الفرصة والاتجاه للسيطرة على اليمن [282] . كما يهدف ذلك الصلح عدم فتح جبهات متعددة لوردسار وإتاحة الفرصة له بالتحرك نحو عدو واحد هو الإمام .

خلاف أهل صنعاء لوردسار:

في الوقت الذي خرج فيه وردسار نحو كوكبان لاستخراج الأموال المقررة عليهم. تمرد أهل صنعاء عن طاعته في يوم الأربعاء 2/جمادي الأخرى سنة 599هـ/16 فبراير 1303م. وألقوا القبض على أخيه شمس الدين الذي تركه نائباً عنه فيها. واعتصموا في المدينة ومالوا إلى تأييد الإمام، وأذنوا(بحيى على خير العمل) وما أن سمع وردسار بمخالفتهم له حتى أسرع في العودة نحوهم خوفاً من أن يسبقه الإمام في السيطرة عليها. فاتجه إلى صنعاء وعسكر في ناحيتها الشرقية وفرض عليهم الحصار في يوم الجمعة 4 من شهر المذكور[283]. وبدأ بمراسلة أهل صنعاء للعودة إلى طاعته. إلا أن أهل صنعاء أصروا على عدم طاعته رغم الحصار المفروض عليهم. وراسلوا الإمام يطلبون منه النجدة. وبالفعل أرسل إليهم أخاه عماد الدين يحيى بن حمزة في جمع كبير من عسكره. فساروا حتى وصلوا إلى وادي(ضهر) فعسكروا به. ولم يستطيعوا التقدم نحو صنعاء لنجدة أهلها،

---

(280) ابن حاتم: السمط، ص:97، عبدالعال: المرجع السابق، ص:189.

(281) ابن حاتم: السمط، ص:98، زبارة: أئمة، ص:125، يحيى بن الحسين: غاية،368/1، عبدالعال: المرجع السابق، ص:190، مسفر: المرجع السابق، ص:127.

(282) يحيى بن الحسين: غاية الأماني، 358/1، الكبسي: اللطائف، ص:66.

(283) ابن حاتم: السمط، ص:100، عبدالعال،ص: 190 - 191.

بسبب محاصرتها من وردسار ومساندة قبائل بني شهاب وسنحان وغيرهم للأيوبيين[284]. وقد كان بنو شهاب وسنحان حرضوا أهل صنعاء على التمرد ووعدوهم بالمناصرة، فلما تمردوا أخلفوا بوعدهم وناصروا وردسار عليهم[285] .

وأثناء فرض وردسار الحصار على صنعاء حاول مراسلة أهلها يطلب مصالحتهم مقابل العفو عنهم. إلا أنهم لم يقبلوا ذلك. فاضطر مراسلة الأتابك سنقر إلى تعز يطلب نجدته له. فوصل رسول وردسار أثناء ما كان الأتابك مجهزا لستمائة فارس وعدداً من الرُجّل في نية الذهاب بهم نحو زبيد للقضاء على عصيان الأكراد بها. ففضل الإسراع نحو صنعاء خوفاً من تمكن الإمام من الاستيلاء عليها. فوصلها في يوم الخميس 6/رجب سنة 599هـ/ 11 مارس1203م. وما أن سمع أهل صنعاء بوصول الأتابك سنقر بجيشه نحوهم حتى خافوا منه وندموا على تمردهم وغيروا في أمرهم فاستغاثوا به طالبين الأمان منه فأمنهم بالرغم من مخالفتهم لوالي صنعاء وردسار الأيوبي. واكتفي بفرض عقوبة مالية عليهم وتوجيه اللوم لهم وكان مقدار العقوبة (عشر آلآف دينار وعشرة أفراس) وأوكل أمر استخراج العقوبة لوردسار [286] واتجه سنقر لدحر قوات الإمام التي قدمت نجدة لأهل صنعاء وعسكرت في وادي (ضهر) ثم واصل سيره إلى كوكبان وبلاد بني شهاب فبذلوا له الطاعة ثم عاد إلى صنعاء ومنها اتجه نحو اليمن الأسفل [287] .

أما ما كان من وردسار فإنه استغل تكلفته بأخذ العقوبة المالية من أهل صنعاء فقام بالإنتقام منهم أشد الانتقام حيث أنزل بهم الرجال والنساء أنواع العذاب [288] مثل الضرب والتعليق والعصر للأرجل والرؤوس والتحريق. كما ملأ بهم السجون [289] واضطرهم إلى بيع أراضيهم وبيوتهم فتفرقوا في الجهات اليمنية وقد فعل بهم ذلك نتيجة أفعالهم، كما وصفهم ابن

---

(284) ابن حاتم: السمط، ص:100، يحيى بن الحسين: غاية الأماني، 374/1، والكبسي: اللطائف، ص:69.

(285) يحيى بن الحسين: غاية الأماني، 374/1، الكبسي: اللطائف، ص:69.

(286) ابن حاتم: السمط، ص:101، يحيى بن الحسين: غاية الأماني، 375/1، الكبسي: اللطائف، ص:70، عبدالعال: المرجع السابق، ص:192.

(287) ابن حاتم: السمط، ص:101 - 103.

(288) ابن حاتم: السمط، ص: 101.

(289) يحيى بن الحسين: غاية الأماني، 375/1، الكبسي: اللطائف، ص:70، زبارة: أئمة، ص:126،عبدالعال: المرجع السابق، ص.192

حاتم بقوله:(وقد كان عندهم من البطر ما يجاوز الحد حتى حملهم على الخلاف)[290] لذلك استحل وردسار عقابهم.

علاقة وردسار بالإمام الزيدي:

تميزت علاقة كل من وردسار وسنقر بالإمام عبد الله بن حمزة في عهد الناصر منذ استيلاء وردسار على صنعاء سنة 598هـ/1202م. بالإعتراف الأيوبي بدولة الإمام على صعدة وما حولها فعقدت المصالحة على تحديد مناطق شمال صنعاء التابعة لكل طرف بينما كان الأيوبيون قبل ذلك لا يعترفون بالإمام. وظلوا مستمرين في حربه رغم تواجده في عدة مناطق في شمال صنعاء. وذلك كما يبدو بسبب علاقة وردسار الطيبة بالإمام حين كان تابعاً له عهد المعز. إلا أن هذه المصالحة لم تحل الخلاف فيما بين الطرفين. فقد ظل نقض المصالحة وتجديدها مستمراً في كل سنة. وذلك كما يتضح بسبب تأرجح ميل القبائل وبني حاتم بين الموالاة للزيدية والموالاة للأيوبيين. فضلا عن الخلاف المذهبي بينهما. أحدث ذلك صراعاً مستمراً وحروبا متعددة بين الطرفين حول السيطرة على مناطق وحصون اليمن الأعلى أو شمال وغرب صنعاء. فما كادت سنة من السنوات تخلو من وجود حروب بينهما استمرت طيلة فترة تولي وردسار لصنعاء. اتسم ذلك الصراع بالتحدي تارة والتعنت تارة أخرى.فضلا عن محاولة كل طرف إبراز قواته ومحاولة كل طرف السيطرة على العديد من مناطق شمال وغرب صنعاء وإخراج كل منهما الآخر منها. ويمكن التدليل على ذلك بما أورده ابن حاتم عن وردسار بقوله:(وكان بينه وبين الإمام حروب كثيرة، فحينا ينتصر على الإمام، ويطرده عن البلاد وحينا ينتصر عليه الإمام ويمنعه حقوقه من البلاد)[291] وسوف نورد هنا بعضا من ذلك الصراع الذي دار بين الإمام ووردسار.

عندما انتزع وردسار صنعاء من تحت يد الإمام سنة 598هـ/1202م واتجه لمصالحة بني حاتم لعزلهم عن مناصرة الإمام. كان من الطبيعي أن تحدد العلاقة بين الطرفين بالعلاقة الطيبة أو العدائية. ونتيجة أن أهم هدف للأيوبيين هو سيطرتهم على اليمن كله. وأن أهم هدف للإمام نشر مذهبه وسيطرته على اليمن كله. لذلك كان من الطبيعي أن يحدث هذا صراعا كبيراً بين الطرفين. فعلى أثر استيلاء وردسار على صنعاء من قوات الإمام. كتب الإمام رسالة إلى وردسار يعاتبه عن

---

(290) اس حاتم: السمط، ص:101.

(291) ابن حاتم: السمط، ص:98، مسفر: المرجع السابق، ص:127 - 128.

التخلي عن طاعته والعودة إلى طاعة الأيوبيين وسيطرته على صنعاء [292] ولكن وردسار رد على الإمام بأنه لم يخرج عن الطاعة وأهداه (ثيابا وطيبا)[293]. وكما يتضح أن وردسار كان يهدف بعبارة (لم يخرج عن الطاعة). أنه لم يخرج عن طاعة الأيوبيين الذين كلفوه بالاستيلاء على صنعاء. إضافة إلى ذلك فإنه أيضا لم يخرج عن طاعة الإمام إذا ظل في مناطق نفوذه المعتادة في صعدة وما حولها. وبقى الأيوبيون مسيطرين على بقية اليمن. إلا أن طموح كل طرف في توسيع نفوذه، كان لابد من وجود صراع وقتال فيما بينهما، لذلك حاول وردسار أن يرسل العديد من الغارات لإخضاع مناطق ما حول صنعاء كي تصبح صنعاء في مأمن من أي هجمات يشنها أنصار الإمام في المناطق المجاورة لها[294] أدى ذلك إلى إشعال الحرب بين الطرفين.

ونتيجة لعلاقة وردسار الطيبة بالإمام فقد لجأ الطرفان إلى المصالحة وترك الحرب. وهي المصالحة الأولى المسمى بمصالحة وضع الحدود أو مصالحة قسمة البلاد بينهما. وتمت تلك المصالحة سنة 599هـ/1203م لمدة سنة (على أن يكون البون الأعلى والبون الأسفل لوردسار. ويكون الظاهران والجوف وصعدة للإمام وأن يدفع الإمام لوردسار في كل سنة مائة حمل موقرة حديداً من صعدة وعشرون رأسا من الخيل)[295] إلا أن هذه المصالحة لم تستمر فقد نقضت بعد عدة أشهر وتجددت الحرب بين الطرفين. ولما قدم الأتابك سنقر إلى صنعاء في نفس السنة لنجدة وردسار على أهل صنعاء وخروجه إلى أحد جبال غرب كوكبان. جرت المراسلة بينه وبين عماد الدين يحي بن حمزة أخي الإمام الذي كان في(ثلا) على تجديد مصالحة وردسار السابقةالذكر لمدة سنة. فوافق الطرفان على ذلك[296]. وكان السبب في تجديد المصالحة كي يتفرغ الأيوبيون إلى النزول إلى زبيد للقضاء على تمرد الأكراد بها .

وعلى الرغم من عقد تلك المصالحة التي اشترك فيها الأتابك سنقر ووردسار والإمام وأخوه عماد الدين. إلا أنها سرعان ما نقضت وقد اتهم كل طرف الآخر بأنه هو الذي نقض

---

(292) يحيى بن الحسين: غاية الأماني، 367/1، زبارة: أئمة، ص:125، الكبسي: اللطائف، ص:69.

(293) يحيى بن الحسين. غاية الأماني، 367/1.

(294) يحيى بن الحسين: غاية الأماني،1/ 370.

(295) ابن حاتم. السمط، ص:102 ـ 103، الخزرجي: العسجد، ص:178، يحيى بن الحسين: غاية الأماني، ص:371/1.

(296) ابن حاتم: السمط، ص:102، يحيى بن الحسين: غاية الأماني، ص:367/1 - 377.

المصالحة. فعندما عاد وردسار من زبيد في المحرم سنة 600هـ/ سبتمبر 1203م اتهم الإمام بنقض المصالحة بعدة أشياء منها مراسلته القرابلي الأيوبي يطلب منه الانضمام إليه[297]. بينما اتهم الإمام وردسار بنقض المصالحة لأن الإمام نفسه لم يفعل ما يوجب نقضها [298]. لذلك نشبت الحرب بين الطرفين وكانت أكثر حدة. فقد اتجه وردسار إلى عدة مناطق شمال صنعاء وخاض عدة معارك مع أنصار الإمام وأهمها آنذاك معركة(مطرة) التي كان الإمام قد انتزعها من الأيوبيين. حيث التقى بها الجيش الأيوبي بقيادة وردسار بجيش الإمام بقيادة صنوه إبراهيم. فدارت معركة كبيرة بين الطرفين في 8/شعبان سنة 600هـ/ 12ابريل 1204م. انتهت بانتصار وردسار الأيوبي وقتل خلق كثير من جيش الإمام على رأسهم شقيقه إبراهيم [299]. وتسمى هذه المعركة بيوم نصف وهي في مشرق نهم ثم هناك يوم عقار وهو موضع في البون الأعلى [300]. ونتيجة استمرار تلك الحروب أضاف الأتابك سنقر لوردسار عدة جهات مثل ذمار ورداع وغيرها [301]. بسبب شكوة وردسار بأن مالية صنعاء لا تكفي مؤنة عسكره.

ظلت الحروب مستمرة بين الطرفين حتى حلت سنة 601هـ/1204م. فسعى الطرفان إلى المهادنة بينهما على تسليم الإمام لوردسار كوكبان ويسلم وردسار في مقابل ذلك خمسة آلآف دينار سبائية، وعدد من البلدان التي استولوا عليها من الإمام. مثل بلدة مطرة، وجانبا من قرى الخشب، وبلاد حاشد، وبلاد بني زهير، وبلاد حصن ثلا، من قرية حبابة مما خلفها، وبلاد حصن بكر وما يتصل بها. ونصف ما يحصل من مغارب كوكبان[302]. وأن تكون مدة الهدنة سنتين متواليتين تبدأ من منتصف شهر محرم سنة 600 هـ/ 14/سبتمبر 1204م[303]. إلا أن هذه المصالحة

---

(297) ابن حاتم: السمط، ص:115 - 116.

(298) يحيى بن الحسين: غاية الأماني، 380/1، زبارة: أئمة، ص:127.

(299) ابن حاتم: السمط، ص:106، زبارة: أئمة، ص:129؛ يحيى بن الحسين: غاية الأماني، 384/1 – 385، عبدالعال: المرجع السابق، ص:196.

(300) الخزرجي: العسجد ، ص: 177 ، مسفر: المرجع السابق ، ص: 128 .

(301) ابن حاتم: السمط ، ص: 149 .

(302) ابن حاتم: السمط ، ص: 113 .

(303) ابن حاتم: السمط ، ص: 117 ، يحي بن الحسين: غاية الأماني ، 385/1 ، زبارة: أئمة ، ص: 130 ، عبدالعال: المرجع السابق ، ص: 199 .

لقيت معارضة من الأتابك سنقر الذي رفض القبول بها[304] . وذلك بسبب تنازل وردسار على الكثير من المناطق التي بذل فيها الأيوبيون الكثير من التضحيات في سبيل السيطرة عليها من أنصار الإمام. وكان سنقر يهدف أن تتم مصالحة الإمام دون إعطائه تلك المناطق. من أجل ذلك كاتب وردسار الإمام يخبره بعدم قبول الأتابك لتلك المهادنة. لذلك جددت تلك المهادنة مرة أخرى، بأن يسلم الإمام لوردسار عشرة رؤوس من الخيل وعشراً من الإبل وخمسة أحمال حديد وحصاناً أصفر[305].

وبالرغم من ذلك لم تستمر هذه المصالحة قائمة بين الطرفين. فقد نقضها الأتابك سنقر لعدم قناعته بها فاستولى على العديد من مناطق الإمام. فاشتعلت لذلك الحرب بين الطرفين. تولى وردسار الاستمرار في محاربة الإمام بعد عودة سنقر من صعده. ولكن الحرب توقفت سنة 602هـ/ 1205م حينما سعى الإمام ووردسار على عقد مصالحة لمدة عشر سنوات متوالية. على أن يسلم وردسار للإمام الرهائن الذين عنده من العرب من بني صريم وبني شاور والأهنوم ووداعة وبكيل[306].وكما يبدو أن المناطق التي استولى عليها الأيوبيون ظلت معهم ولم يعيدوها للإمام. لذلك لم يدم هذا الصلح. فقد نقض سنة 603 هـ/ 1206م، وجرت حروب بين الطرفين انتهت بالعودة إلى الصلح على ما كانت عليه سابقاً[307]. وهي مصالحة المحاددة. وبعد مصالحة سنقر للإمام سنة 605هـ/ 1208م الآتي ذكرها استمرت هذه المصالحة بين الطرفين حتى وفاة وردسار.

من خلال ما تقدم نجد أن القتال والصراع بين وردسار والإمام كان محتدماً قوياً. وذلك بسبب محاولة الأيوبيين فرض سلطانهم على اليمن كله. ومحاولة الإمام الاحتفاظ بسلطانه في شمال صنعاء والتوسع نحو مناطق أخرى كانت تحت سلطان الأيوبيين. فقد تمكن وردسار خلال ذلك القتال من السيطرة على عدة مناطق مثل حضور وشبام كوكبان وحجة. في شمال غرب صنعاء. وبلاد الظاهر ومطرة وريدة وحوث والبون وشوابة في شمال صنعاء. فضلاً عن براقش في الجوف ومأرب وبيحان في شرق صنعاء. وغيرها من المناطق الأخرى. على أن هذه المناطق لم يتمكن

---

(304) ابن حاتم: السمط ، ص: 118 .

(305) ابن حاتم: السمط ، ص: 118 .

(306) ابن حاتم: السمط، ص: 130، يحي بن الحسين: غاية الأماني،389/1، عبدالعال: المرجع السابق ص:209.

(307) ابن حاتم: السمط ، ص: 132 .

وردسار من المحافظة عليها تحت سيطرة الأيوبيين فقد تمكن الإمام من استعادة الكثير منها وتكررت عملية الكر والفر من قبل الطرفين. لذلك ظل الصراع مستمراً حول السيطرة على هذه المناطق واستعادتها. نستنتج من ذلك أن مناطق شمال وغرب صنعاء لم يستقر فيها الحكم الأيوبي أو حكم الإمام عبدالله بن حمزة بسبب القتال المستمر حول فرض كل منهما السيطرة على هذه المناطق.

الأتابك سنقر :

مما سبق يتضح أن حادثة قتل المعز أدت إلى تحول موالاة الأتابك سنقر وبروزه على مسرح التاريخ في اليمن. فقد اتصف بالشجاعة وحسن السياسة[308]. ويمكن تقسيم سياسته إلى ثلاث عناصر. أحدها: معاملته للقوى الأيوبية. والثانية: معاملته لأهل وصاب. والثالثة: صراعه مع الزيدية.

1 ـ معاملته للأيوبيين :

في السنة التالية لولاية سنقر أتابكية الناصر، تمرد عليه عدة قيادات أيوبية. إلا أن معاملة الأتابك سنقر للقادة الأيوبيين اتصفت بالحكمة والتعامل الطيب. وذلك يعود إلى تجربته في معارضة المعز. فبالرغم من معارضة الأمير نجاح الأيوبي في الدملوة والأمير برعش في عدن. والشهاب الجزري لحكم الأتابك سنقر. إلا أنه لم يستخدم ضدهم العنف فقد عفي عنهم وتركهم تحت خدمته. كما سيتضح فيما بعد، أما الأكراد في زبيد فقد اختلفت معاملته لهم. وذلك بسبب اقدامهم على قتل المعز، واصرارهم على التمرد عليه، ولأنهم كانوا يشكلون خطورة على سلطته. وفيما يلي سنورد تعامل الأتابك سنقر لتلك القيادات الأيوبية الخارجة عليه.

أ ـ الأتابك والأكراد في زبيد :

بعد عودة الأتابك سنقر من مساعدة وردسار من صنعاء إلى تعز، جهز حملة بالمؤن اللازمة لمحاربة أكراد زبيد الذين خرجوا عن طاعته. فوجد الأمور أمامه مضطربة بمخالفة (برعش) له في عدن، نتيجة إعانة (نجاح) صاحب الدملوة له بالأموال وتحريضه على الخلاف. إلا أنه وجد عصيان الأكراد في زبيد وتهامة يشكل خطورة كبيرة عليه. فبدأ بهم أولاً. وكما يبدو أن السبب في تمرد أكراد زبيد هو أنهم كانوا يطمحون في مشاركة الأتابك في حكم اليمن. كونهم أقدموا على قتل

---

(308) الخزرجي: العسجد ، ص: 175 ، ابن الديبع: قرة العيون ، ص: 405 .

المعز وتوليته عليهم. ولما لم يحقق لهم الأتابك سنقر ذلك. أعلنوا التمرد وسيطروا على تهامة. ولكن الأتابك أصر على محاربتهم فاستعان لقتالهم بوالي صنعاء وردسار. فكتب إليه بحثه على سرعة اتمام مصالحة الإمام والنزول إلى تهامة. فأسرع وردسار إلى النزول مصطحباً معه جيشاً كبيراً. فالتقى بسنقر في تهامة من ناحية وادي سهام. ثم ساروا جميعاً نحو زبيد[309] .

وما أن وصل سنقر ووردسار بجيشهما إلى زبيد حتى اتجهوا لقتال الأكراد من ناحية الباب الشرقي، باب الشبارق، والباب الجنوبي المسمى باب القرتب. أما الأكراد فإنهم لما رأوا جيش سنقر قادماً إليهم خرجوا لقتالهم. فدارت معركة كبيرة على أبواب زبيد هجم فيها الأكراد على قلب عسكر الأتابك. فخلخل ذلك صفوف جيشه وكادت الهزيمة تلحق به. لولا ثباته عند الاعلام[310].ومعاودته الكرة بمهاجمة الأكراد فقاتلهم قتالاً شديداً أسفر عن انتصاره عليهم وقتله الكثير منهم. وتمكنه من دخول زبيد بالقوة من الباب الشمالي المسمى باب سهام في يوم الأحد 10/ ذي القعدة سنة 599 هـ/ 21/ يوليو 1203م[311] .

بعد هذا الإنتصار الذي حققه الأتابك سنقر اتجه إلى إلقاء القبض على كبار القادة المتمردين من الأكراد فوجدهم أنهم هم الذين قتلوا المعز، لذلك قام بقتلهم وهم الدقيق وهندوة وغيرهما[312]. ونتيجة لذلك أعلنت تهامة طاعتها له بكاملها[313] . وبذلك انتهي سنقر من أخطر تمرد يواجهه وإعادة سيطرته على تهامة وزبيد. ثم ولى عليها مهكار بن محمود، وعاد إلى تعز ثم أسرع في السير نحو عدن للقضاء على تمرد برعش فيها. أما وردسار فقد عاد إلى صنعاء[314].

ب ـ الأتابك وبرعش في عدن :

على الرغم من أن الأتابك سنقر هو الذي ولى الأمير برعش على عدن. إلا أنه أعلن

---

(309) ابن حاتم: السمط ، ص: 103 ، الخزرجي: العسجد ، ص: 176 ، عبدالعال: المرجع السابق ، ص:194 .

(310) الخزرجي: العسجد ، ص: 176 ، عبدالعال: المرجع السابق ، ص: 194 .

(311) ابن حاتم: السمط ، ص: 103 ، الخزرجي: العسجد ، ص: 176 ، الجندي: السلوك ، 536/2 ، عبدالعال: المرجع السابق ، ص: 194 .

(312) ابن حاتم: السمط ، ص: 104 ، عبدالعال: المرجع السابق ، ص: 195 .

(313) الخزرجي: العسجد ، ص: 176

(314) ابن حاتم: السمط ، ص: 103 - 104 .

التمرد عليه. وذلك بسبب تحريض الأمير نجاح صاحب الدملوة له. وامداده بالأموال. وكانت بداية ذلك عندما طلب الأتابك سنقر من برعش أن يرسل إليه الجباية المالية من عدن، من أجل انفاقها في الاتجاه نحو تهامة للقضاء على تمرد الأكراد بها. فبعث إليه لأخذ الأموال فخر الدين بكتمر السيفي. وعندما أحضر برعش أكياس الفلوس طلب منه بكتمر أن يعدها فاعتذر برعش وقال: ((النقاد يتقدم صحبتك)). وبالفعل سار معه النقاد. ولما وصلت الأكياس عند الأتابك فتحها فوجدها فلوس وحديد فغضب لذلك وأراد معاقبته فاجل ذلك إلى حين عودته من زبيد لأنه كان مشغولاً بتمرد الأكراد بها[315].

وخلال ذلك لم يهمل سنقر أمر برعش، فقد بعث إليه الشهاب الجزري للقضاء عليه أو توقيفه من التوسع. فلما وصل إلى عدن عسكر خارجها. فخرج إليه برعش من عدن فدارت معركة قوية بين الطرفين انتهت بهزيمة الشهاب ونهب معسكره. وآنذاك قدمت إلى عدن الحامية الأيوبية التي تركها الشهاب بلحج بقيادة بكتمر السيفي والذي حاول أن يسرع في دخول عدن حين علم بخروج برعش منها. ولكن برعش سبقه في العودة مما جعل بكتمر يتجه إلى قطع طريق جند برعش المتأخرين فقاتلهم ونهبهم وظل أمر الكر والفر هناك إلى أن قدم سنقر إليهم[316].

ومن جهة الأتابك سنقر فقد أسرع في الاتجاه نحو عدن بعد عودته من زبيد. فلما وصلها فرض عليها الحصار وقطع المواد الغذائية والمياه حتى ضاقت الناس بها وضاق معهم برعش. فاضطره ذلك إلى مراسلة الأتابك يطلب منه العفو عنه واعطاءه الأمان. فعفي عنه الأتابك وعزله عن عدن واعطاه حصناً في أعالي لحج. فمات فيه بعد فترة قصيرة تقدر بشهر أو شهرين. وبذلك تمكن الأتابك من السيطرة على عدن دون قتال. وأقام بها عدة أيام ثم عاد إلى تعز بعد أن ولى عليها أحمد بن عبدالله بن عبدالوهاب[317].

جـ ـ الأتابك ونجاح :

وبالنسبة لصاحب حصن الدملوة الأمير نجاح فقد تركه الأتابك سنقر ولم يتحرك سريعاً

---

(315) ابن حاتم: السمط ، ص: 104 ـ105 .

(316) ابن حاتم: السمط ، ص: 103 ، كريم: عدن ، ص: 244 .

(317) 105 ، عبدالعال: المرجع السابق ، ص: 195 ، كريم: عدن ، ص: 244 .

للقضاء عليه رغم قربه من مقر الأتابك بتعز، لانشغاله بالقضاء على تمردات أخرى أكثر خطورة منه. ولما رأى الأمير نجاح عدم جدوى استمرار خروجه عن الطاعة.انتهي تمرده بعد فترة بمصالحة الأتابك سنقر له وعفوه عنه وأقطاعه لحج وأبين[318]. وبذلك انتهي التمرد الأيوبي على سنقر. وكما يبدو أن الانشقاق أو التمرد الذي قام به القادة الأيوبيون عهد سنقر كان نتيجة توليته السلطة الأيوبية بعد أن كان متمرداً عليهم. وأن هؤلاء القادة كانوا يطمحون في أن يكونوا هم أتابكة الجند الأيوبي في اليمن وأصحاب السلطة العليا بها وليس سنقر، وخاصة الأمير نجاح الذي رفض تولية سنقر منذ اليوم الأول لتعيينه .

2 ـ الأتابك وأهل وصاب :

أثناء ما كان الأتابك سنقر في زبيد لقي تمرداً من أهل وصاب. وكما يبدو أن ذلك ناتجاً عن عدم تحمل بلادهم لما فرضه عليهم سنقر من الواجبات المالية. وقد استعان أهل وصاب بالقبائل المجاورة لبلادهم بينما استعان سنقر بوالي صنعاء وردسار الذي سار منها والتقى به في وصاب في موضع يسمى (الدغاري) في شهر ربيع الأول سنة 604 هـ/ 1207م، وقبل حدوث القتال بينهم حاول الشريف محمد بن عيسى القراظي بذل الطاعة لسنقر واعطائه رهينة لذلك. إلا أن سنقر طلب عدة رهائن أي ثلاثة من كل قبيلة وأن يشتركوا معه في حرب الإمام. فرفض أهل وصاب ذلك. فوقعت الحرب بين الطرفين أسفرت عن قتل مائة وسبعين قتيلاً من الأيوبيين وعدد كبير من القبائل المناصرة لأهل وصاب. انتهت المعركة بهزيمة الأيوبيين وانسحاب سنقر إلى زبيد ووردسار إلى صنعاء. وكما يبدو أن هزيمة الأيوبيين كان ناتجاً عن عدم تمكنهم من التحصن. بينما قاتل أهل وصاب من أماكنهم المحصنة. إلا أن انسحاب الأيوبيين كما يبدو لم يأت إلا بعد أن تحطم معظم زروع أهل وصاب.

وعلى الرغم من انسحاب سنقر وجيشه إلا أن أهل وصاب والقبائل المجاورة لهم خافوا من عودة الحرب بينهم وبين سنقر وتحطيم زروعهم. فسعى في عقد مصالحة بينهم أحد رجال ريمة المسمى أبوالمعالي بن أحمد الحرازي. ونزل من أهل وصاب خمسون رجلاً إلى زبيد طالبين من الأتابك سنقر العفو عنهم فعفا عنهم وصفح عن أفعالهم. (وكتب منشوراً بالصدقة عليهم ببلادهم

(319) ابن حاتم: السمط ، ص: 133- 135 .

وأن لا مطلب عليهم فيها) فعادوا إلى بلادهم مطمئنين غير خائفين، وكما يبدو أن عفو سنقر لهم عن دفع الواجبات المالية كان ناتجاً عن تحطيم زروعهم. وبذلك انتهت حادثة أهل وصاب بالمصالحة[319].

3 ـ الأتابك وعلاقته بالإمام :

بالرغم من أن الأتابك سنقر كان قد راسل الإمام عبدالله بن حمزة للميل إليه أثناء تمرده على المعز. إلا أن علاقته بالإمام عندما تولى أمر الأيوبيين اتسمت بالعلاقة العدائية. وذلك كما يتضح ناتج عن أن الأتابك أصبح مسئولاً عن المحافظة عن مناطق نفوذ الأيوبيين في اليمن بأن لا يسمح للإمام توسيع سلطانه نحوها. وليس الأمر كذلك فقط بل سعى الأتابك كما سعى الأيوبيون من قبله إلى إنهاء دولة الزيدية في اليمن. ولكن لم يتمكن الأتابك من فعل ذلك. إلا أنه ظل يقاتل الإمام طيلة فترة حكمه للدولة الأيوبية في اليمن. وظل يدعم وردسار في محاربة الإمام. وكان يقوم بحملاته إلى مناطق الإمام تارة لوحده وتارة أخرى يصطحب معه وردسار. وفيما يلي نورد بعضاً من ذلك الصراع المستمر بين الأتابك والإمام عبدالله بن حمزة.

بسبب استمرار القتال بين الإمام الزيدي ووالى صنعاء وردسار منذ توليها. جهز جيشاً كبيراً من تعز وسار بهم لمحاربة الإمام. ولكن قدومه جاء بعد أن عقد وردسار صلحاً مع الإمام يبدأ تنفيذه في المحرم سنة 601 هـ/ اغسطس 1204م فاضطر وردسار لما علم بقدوم الأتابك الاسراع إلى ذمار للقائه واخباره بذلك الصلح. فأبدى الأتابك عدم رغبته بذلك الصلح. ولكنه اضطر إلى العودة إلى تعز التزاماً بما صالح به وردسار[320]

أدت عودة الأتابك سنقر من ذمار عدم قناعة كثير من قبائل اليمن الأعلى التي لا ترغب بحكم الإمام. فما كاد الأتابك يصل تعز حتى تواصلت إليه المكاتبات من تلك القبائل تحثه وتحرضه على القدوم للسيطرة على بلادهم. كما وردت كتب أخرى مماثلة إلى وردسار وهو بصنعاء من أهل الظاهر والجوف والأشراف آل القاسم في شمال تهامة. وتأكيداً لذلك الطلب (عرض أهل الظاهر رهن أولادهم بصنعاء وكفلوا له بالبلاد ومحصولها) مما يدل أن القبائل التي كانت داخلة

---

(320) ابن حاتم: السمط ، ص: 118 .

(321) ابن حاتم: السمط ، ص: 119 ، عبدالعال: المرجع السابق ، ص: 202 .

ضمن حدود الإمام غير راضية عن حكمه. بسبب النزاع القبلي فيما بينهم وميل الإمام إلى جانب أحد تلك القبائل. أدت تلك المكاتبات أن يتجه وردسار بنفسه إلى الأتابك إلى (الجند) مصطحباً معه السلطان بشر بن حاتم الذي أعلن آنذاك ميله للأيوبيين. وذلك لعرض مراسلة القبائل على الأتابك. فوافق ذلك ما يرغب به الأتابك. واتفق معهما على الخروج إلى صعده لمحاربة الإمام[321].

لذلك أعد الأتابك سنقر جيشاً كبيراً وسار بهم عبر ذمار إلى صنعاء فدخلها يوم الأربعاء 16/شهر رجب سنة 601هـ/ 8 مارس 1205م، وما أن سمعت القبائل المجاورة لصنعاء بوصوله إليها حتى جاءته من كل جهة. فقرب وجوههم وسلاطينهم وأحسن إليهم وأفاض بالانعام على أكثرهم. أما القبائل التي كانت تناصر الإمام لما علمت بخروج الأتابك نحوها خافوا منه فمالوا إلى موالاته وتركوا مناصرة الإمام. وبالنسبة للأتابك فقد واصل سيره بعد خروجه من صنعاء نحو مناطق الإمام. فسار إلى (ريدة) ثم إلى (شوابه) ثم إلى (الجوف) فوصلها في 7/ شعبان سنة 601هـ/30 مارس 1205م. وحينذاك جاءته معظم أهل الجوف باذلين له الطاعة. ثم سار نحو (صعدة) فدخلها يوم الجمعة 13/ شعبان سنة 601هـ/ 8/ أبريل 1205م فهدم درب الإمام وداره في هجر معين[322] وخلال رحلة الأتابك سنقر في تلك المناطق التي كان الإمام يسيطر عليها لم يجد أي مقاومة من القبائل المناصرة للإمام أو من الإمام نفسه، وذلك لعدم مقدرتهم حربه. وكان الأتابك في الغالب يمكث في كل منطقة عدة أيام تتراوح ما بين الخمس إلى السبع الأيام[323].

وبعد سيطرة الأتابك سنقر على صعدة ولى عليها أحد قادته المسمى أسد الدين أقرا سنقر وجعل معه رتبة أو حامية مكونة من مائة وستة وعشرين فارساً[324] . ثم سار هو ووردسار إلى العمشية في حرف سيفان وفيها افترق الإثنان. فعاد وردسار إلى صنعاء. أما الأتابك فقد اتجه إلى الخموس بأهنوم حجة ثم سار منها إلى حرض في تهامة. فجاءه إليها المؤيد بن القاسم معلناً الطاعة له فأقطعه إياها، وسار إلى بلاد بني شاور عن طريق حصن (مبين) فاستولى على عدة قرى

---

(321) ابن حاتم: السمط ، ص: 119 ، عبدالعال: المرجع السابق ، ص: 202 .

(322) ابن حاتم: السمط ، ص: 120 -121 ، عبدالعال: المرجع السابق ، ص: 200- 202 ، يحي بن الحسين: غاية الأماني ، 386/1 .

(323) ابن حاتم: السمط ، ص: 120 .

(324) ابن حاتم: السمط ، ص: 122 .

هناك بالقوة. وعاد منها إلى اليمن الأسفل[325] . وبذلك تمكن الأتابك من أن يدخل أهم مراكز اليمن الأعلى التي كانت تحت سيطرة الإمام. حيث أعلن أهلها موالاتهم للأيوبيين. إلا أن تلك الموالاة لم تكن كافية. فقد كان بحاجة إلى ترك حاميات في جميع تلك المناطق لتثبيت سلطان الأيوبيين فيها. ولكن ترك حاميات في جميع تلك المناطق يشكل عبئاً على الأيوبيين من ناحية عدم توفر الأعداد الكافية من الجند لتركهم حاميات. ومن ناحية أخرى لعدم توفر الإمكانات المالية وعدم تحمل تلك المناطق للأنفاق على الحاميات. لذلك السبب ترك تلك المناطق بدون حاميات وعاد إلى اليمن الأسفل. وعدم ترك حاميات في تلك المناطق أو ترك حاميات ضعيفة في بعضها جعل الإمام والقبائل المناصرة له يتجهون لاستعادة سيطرتهم على تلك المناطق. ومن ثمة فإن رحلة سنقر تلك لم يحقق فيها الأيوبيون ثمرة كبيرة، غير إبراز مقدار قوتهم الكبيرة التي فاقت قوات الإمام والقبائل معاً. والتي أوقفتهم على أي محاولة للمقاومة. إلا أن ذلك لم يكن إلا لوقت قصير.

ظل الأتابك سنقر يطلع سنوياً من تعز إلى اليمن الأعلى لاخضاع القبائل الموجودة هناك. وذلك لعدم توفر حاميات في تلك المناطق. والهدف من ذلك الطلوع المستمر هو مساعدة وردسار على حكم تلك المناطق. ومنع القبائل من الإقدام على التمرد على الأيوبيين، فضلاً عن استمرارهم في دفع واجبات الدولة المالية المقررة عليهم دون اللجؤ إلى حرب. وتهديد الإمام واجباره على عدم التمكن من الاستقرار وإقامة دولته. أو بعبارة أخرى يمكن أن نقول أن الأتابك استعاض عن وجود حاميات في اليمن الأعلى بطلوعه إليها سنوياً من اليمن الأسفل. ونورد هنا أمثلة لاستمرار طلوعه إلى تلك المناطق.

توجه الأتابك سنقر من تعز إلى وصاب ثم سار نحو صنعاء فدخلها يوم الأحد 2/ شهر رجب سنة 604 هـ/ 22/ يناير 1208م. ثم سار منها مع وردسار إلى (ريدة) ثم إلى (شوابة) فأتاه أهل الجوف طالبين الأمان ومعلنين الطاعة له. كذلك طلع مرة أخرى من تعز إلى زبيد ثم إلى صنعاء فدخلها في المحرم سنة 605 هـ/ يوليو 1208م. واتجه إلى (شبام) ثم (ثلا) ثم (الظاهر) ثم (حوث) ثم (براقش) بالجوف[326]. وفي هذه السنة تمت المصالحة بينه وبين الإمام على أن يسلم الإمام (مائة حمل حديد من صعدة لوردسار وعشرة من الخيل وللإمام الظاهر والجوفين وصعدة

---

(326) ابن حاتم: السمط ، ص: 135، 139 ، 144 .

ولوردسار البونين[327]. ومن الملاحظ أن هذه المصالحة تشبه المصالحة الأولى والهدف منها هي منع الحرب بين الطرفين واعتراف الأيوبيين بحكم الإمام في مناطق محدد حددتها تلك المصالحة.

وبالرغم من تلك المصالحة إلا أن الحرب لم تتوقف بين الأيوبيين والإمام بسبب تأرجح ميل القبائل اليمنية بين الطرفين. فقد نقضت المصالحة واتجه الأتابك مرة ثالثة-من تعز إلى زبيد ثم إلى صنعاء فدخلها في شوال سنة 606 هـ/ مارس 1210م. وسار منها إلى شبام كوكبان ثم إلى الظاهر ثم الجوف فحارب بها من وقف ضده[328].وجددت المصالحة. ثم سار إلى حجة وعاد منها إلى صنعاء فدخلها في المحرم سنة 607 هـ/ يونيو 1210م[329]. ثم اتجه إلى الطويلة وعاد إلى تعز[330]. وكذلك اتجه مرة رابعة من تعز إلى زبيد ثم إلى صنعاء فوصلها في ربيع الآخر سنة 608 هـ/ سبتمبر سنة 1211م. ثم اتجه إلى عدن ومنها سار إلى حضرموت فعاد منها إلى تعز حيث توفي بها في ربيع الآخر سنة 609 هـ/ اغسطس 1212م[331] وهكذا ظل الأتابك يطلع إلى اليمن الأعلى سنوياً طيلة حكمه.

من خلال ما تقدم نجد أن الأتابك سنقر كان سنوياً يتجه إلى العديد من مناطق اليمن الأعلى التي كان الإمام يحاول السيطرة عليها، مثل شبام كوكبان وغربها، وثلا، والطويلة، وحجة. وكذلك الظاهر، وشوابة، وحوث، وصعدة. بالإضافة إلى الجوف وغيرها. وفي معظم الأحيان كان الأتابك يسير بجيشه في هذه المناطق دون أن يلقى بها أي مقاومة من الإمام أو أنصاره. وفي أحيان قليلة كان يلقى بعض المقاومة. ومن الملاحظ أن القبائل في تلك المناطق كانوا عندما يدخل إليهم الأتابك بجيشه يعلنون الولاء والطاعة له. وعندما يخرج من عندهم يعلنون الولاء والطاعة للإمام. وكما يتضح أن موالاة هذه القبائل سواء أكان للأيوبيين أم للإمام كان ناتجاً عن خوفهم من القوة. إضافة إلى صراعهم القبلي فيما بينهم. على أن موالاة هذه القبائل للأيوبيين تارة وللإمام تارة أخرى. أدى إلى صراع مستمر بين الإمام والأيوبيين كما هو موضح سابقاً .

---

(327) يحي بن الحسين: غاية الأماني ، 393/1 .

(328) ابن حاتم: السمط ، ص: 144 ، زبارة: أئمة ، ص: 132 .

(329) ابن حاتم: السمط ، ص: 145 .

(330) ابن حاتم: السمط ، ص: 145 ، يحي بن الحسين: غاية الأماني ، 392/1 .

(331) ابن حاتم: السمط ، ص: 147 .

وبالنسبة للإمام عبدالله بن حمزة فبالرغم من أنه جعل حصن ظفار في الظاهر قاعدة له إلا أنه لم يتمكن من استمرار الاستقرار فيه، نتيجة محاربة كل من وردسار والأتابك له. كما أنه لم يتمكن من مجابهة قوات الأيوبيين في كثير من حروبه. فقد ظل الإمام يتنقل ما بين صعدة، وحوث، والظاهر، وذمرمر، وشوابة. إضافة إلى الجوف. وأيضاً ثلا. وشبام وكوكبان، وحجة، وغيرها. وذلك لخوفه من مجابهة الأيوبيين الذين كانوا أكثر عدداً من عدد جيشه. وتنقل كذلك في تلك المناطق لإخضاع قبائلها لسلطانه .

الناصر بعد موت سنقر :

بعد موت سنقر تولى الناصر قيادة الأيوبيين بنفسه. وكان حيذاك قد بلغ خمس عشرة سنة حسب تقدير ابن حاتم[332] أي أنه ولد في السنة التي توفي فيه أبوه طغتكين وهي سنة 593 هـ/ 1196م أو عشرين سنة حسب تقدير آخر[333] . وحاول الناصر أن يستقل بالسلطة. ولكنه لم يحسن ذلك لعدم توفر التجربة السياسية في قيادة الدولة. فقد جعل وردسار مستشاراً له. وجعل غازي بن جبريل الذي كان والياً للحج مساعداً له حيث عينه (استاذ داره، وصاحب بابه، وأتابكته). لذلك كان غازي صاحب الأمر والنهي في أمور كثيرة: فعامل أكابر الناس وأمراءه بالسم حتى أفنى كثيراً منهم[334] . دون أن يتمكن الناصر من منعه بل سمح له بفعل ذلك.

آنذاك بدأ مشوار التخلص من القادة الأيوبيين الكبار، باشتراك كل من الناصر ووردسار وغازي. فلما طلب الناصر من وردسار النزول إليه إلى تعز للتشاور معه في أمور الدولة. اشترط عليه قتل الشهاب. فسمح الناصر لأحد مماليكه بقتله بعد مشاورة غازي وموافقته، بعد ذلك نزل وردسار إلى تعز فاستقبله الناصر استقبالاً حسناً ساده التعظيم والتبجيل. حيث أضاف حصن السمدان لولايته[335].

---

(332) ابن حاتم: السمط ، ص: 152 .

(333) عبدالعال: المرجع السابق ، ص: 221 .

(334) ابن حاتم: السمط ، ص: 148 ، يحي بن الحسين: غاية الأماني ، 395/1 ، عبدالعال: المرجع السابق ، ص: 221 -222 .

(335) ابن حاتم: السمط، ص: 149، يحي بن الحسين: غاية الأماني، 395/1، عبدالعال: المرجع السابق، ص: 223.

واستكمالاً لخطة التخلص من القادة أراد الناصر السير إلى حجة فاصطحب معه وردسار وغازي. ولما وصلوا إلى المهجم التي كان متولياً عليها بكتمر السيفي اتفقوا معه على الذهاب إلى حجة. فخرجوا جميعاً. ولما وصلوا إلى خبت الذنائب عسكر فيها الناصر. وأرسل إلى حجة بكتمر حيث وصل إلى أحد حصونها المسمى (مبين). وخلال ذلك اتفق الناصر ووردسار على قتل بكتمر بعد عودته من حجة. فبدأ الناصر بإرسال غازي إلى المهجم للسيطرة على أمواله وعياله. فعلم بذلك بكتمر وتوقف عن العودة إليهم واتجه إلى قرية الذنائب. وآنذاك لم يقتنع مماليك وردسار ومماليك الناصر والمماليك البحرية بالتآمر على قتل بكتمر لعدم وجود سبب مقنع لهم بقتله. فخافوا أن يشملهم التآمر. فأعلن بعضهم التمرد. فاتجه جماعة من مماليك وردسار إلى خيمته لقتله، ولكنه تمكن من الهرب منهم إلى خيمة الناصر. كذلك تمرد أكثر من خمسين فارساً من مماليك الناصر بينهم أميران واتجهوا جميعاً إلى بكتمر إلى قرية الذنائب.[336]

ونتيجة لذلك خاف الناصر ووردسار من تمرد الباقين وأصابتهما بضرر فقرروا العودة. فاتجه وردسار إلى صنعاء. وسار الناصر إلى زبيد ثم إلى تعز، بعد أن أخذ معه أموال وعيال بكتمر. منها مائة وسبعون درعاً وأربعمائة قوس وأكثر من مائة من الدواب غير الثياب والآلات والأثاث[337]. ومن جراء ذلك عمل بكتمر ومن انضم معه من المماليك على شن الغارات المتعددة على تهامة. وراسلوا الإمام للانضمام إليه. فخاف الناصر من ذلك وطلب من وردسار القدوم إليه بجيشه من صنعاء لمحاربة بكتمر. ولما وصل وردسار بجيشه إلى تهامة إلتقى بالناصر، فساروا جميعاً نحو بكتمر السيفي فنشبت بين الطرفين عدة معارك إنتهت بعقد مصالحة على أن يسلموا لبكتمر أربعين ألف مثقال ثمن دوابه، ويعطوه الأمان مقابل رحيله من اليمن إلى الشام. فقبل بهذا بكتمر وتمت المصالحة على ذلك. وآنذاك تآمر الناصر على وردسار فسقاه سماً مرض منه ومات في حصن السمدان في سنة 610 هـ/ 1214م.[338] وهكذا أدت التآمرات على التخلص من أهم القادة الأيوبيين.

---

(336) ابن حاتم: السمط ، ص: 149 ــ150 ، يحي بن الحسين: غاية الأماني ، 396/1 ، عبدالعال: المرجع السابق ، ص: 223 ـ224 .

(337) ابن حاتم: السمط ، ص: 151 ، يحي بن الحسين: غاية الأماني ، 397/1 .

(338) ابن حاتم: السمط ، ص: 152 ، عبدالعال: المرجع السابق ، ص: 225 .

بعد ذلك استقل غازي بالأمر وحرض الناصر على السير إلى اليمن الأعلى لمحاربة الإمام فساروا نحوها ووصلوها في ذي القعدة سنة 610 هـ/ أبريل 1214م. وأثناء ذلك أمر الناصر بالقبض على أموال وردسار ومماليكه مما أدى إلى هروب بعضهم خوفاً منه. بعد هذا التصرف خرج الناصر من صنعاء لمحاربة الإمام فعسكر في الجراف لمدة ستة أيام. وآنذاك سُقِي سماً مرض منه ونقل إلى صنعاء فمات بها يوم الجمعة 10/ محرم سنة 611 هـ/ مايو 1215م. وأُتهم غازي بقتله بالسم[339]. والوقع أن تصرفات الناصر هي التي سببت له القتل إذ أنه تصرف مع قادته ومماليكم بغير ما يجب فصادر ممتلاكاتهم. وأخاف جماعة منهم. لذلك لا يستبعد أن يكون مماليك وردسار هم الذين تأمروا على قتله كما تآمروا على قتل غازي بعده.

وبعد موت الناصر اختار أكابر الأمراء في صنعاء غازي بن جبريل أميراً عليهم ولذلك عاد غازي نحو تعز لادارة الدولة الأيوبية. ولكن نتيجة اتهامه بقتل الناصر وتآمره لقتل كبار القادة فقد ترصد له جماعة من المماليك عند وصوله إلى (اب) فقتلوه[340] في نفس الشهر الذي قتل به الناصر. وهكذا ساد عهد الناصر الأخير بعد موت سنقر فوضى تآمر القادة على قتل بعضهم البعض. فذهب ضحية هذا التآمر الكثير من قادة الدولة الأيوبية في اليمن على رأسهم الناصر نفسه. ومن الملاحظ أن الأيوبيين لجئوا إلى التآمر على بعضهم البعض بالقتل بالسم أو الخنق بدلاً من التمرد والانضمام إلى الإمام.

مما سبق نجد أن الأتابك سنقر كان من أكفأ القادة الأيوبيين فقد أدى دوراً بارزاً في قيادة الدولة الأيوبية في اليمن في عهد الناصر. حيث يرجع إليه الفضل في المحافظة على وحدة الصف الأيوبي. واستمرار محاربة الإمام ومنعه من التوسع في اليمن الأعلى. واستمرار بقاء الدولة الأيوبية قوية في اليمن. ولما مات الأتابك سنقر إختل توازن الصف الأيوبي. ولم يتمكن الناصر لصغر سنه وعدم معرفته بالأمور السياسية لدولته المحافظة على وحدة الصف الأيوبي وقوته. فتآمر القادة الأيوبيون على قتل بعضهم البعض بالسم. أدى إلى وصول التآمر إلى قتل الناصر نفسه.

---

(339) ابن حاتم: السمط ، ص: 152-153 ؛ يحي بن الحسين: غاية الأماني ،398/1 ، عبدالعال: المرجع السابق ، ص: 226 ، الحمرى: كنز ، ص: 91 .

(340) ابن حاتم: السمط ، ص: 153 -154 ، يحي بن الحسين: غاية الأماني ، 399/1 ، عبدالعال: المرجع السابق ، ص: 231 ، عند الخمرى في كنز ، ص: 91 أن غازياً قتل في السحول من اب .

5 ـ أحوال الأيوبيين بعد قتل الناصر وفي عهد سليمان بن تقي الدين الأيوبي .

وفي الوقت الذي قتل فيه السلطان الناصر والأتابك غازي اختار الأمراء الأيوبيون في تعز أميراً منهم يسمى المجاهد ليتولى السلطة الأيوبية في اليمن. وصياً لأخوات السلطان الناصر[341]. إلا أنه نتيجة لاستمرار الوراثة في السلطة السياسية لدى الأيوبيين. فقد حاولوا البحث عن شخصية تنتسب إلى البيت الأيوبي. فصادف آنذاك وجود رجل ينتسب إليهم هو سليمان بن تقي الدين الأيوبي. غير معروف لدى كثير من الأيوبيين. فضلاً عن أنه لم تكن لديه معرفة بالجندية. ولا خبرة في تولى الإمارة. ولا تجربة في السياسة والحكم. إلا أن قرابته من البيت الأيوبي هي التي أوصلته إلى أعلى السلطة الأيوبية في اليمن. فتم اختياره أميراً للأيوبيين فيها.

وبالرغم من محاولة الأمير المجاهد سجن سليمان وعدم القبول بتوليته. إلا أن نساء القصر الأيوبي في اليمن مثل أم السلطان الناصر وأخواته لعبن دوراً كبيراً في اخراجه من السجن وتوليته السلطة الأيوبية في اليمن. اضطر ذلك المجاهد إلى الهرب خوفاً منهن إلى السمدان[342].

وخلال فترة حكم سليمان الأيوبي القصيرة لليمن والتي لا تتجاوز السنة. لم يستقر حكمه عليها. بسبب جهله بالأمور السياسية. فقد ظهرت ضده عدة تمردات. قسم منها قام بها أهل اليمن والقسم الآخر قام بها القادة الأيوبيون. وهي كالتالي:

1 ـ تمردات أهل اليمن :

تمرد على سليمان الأيوبي أهل (صبر) المطل على تعز فأرسل إليهم جيشاً بقيادة أبي شامة وصالح بن هشام اللذين كانا قد أقطعهما صنعاء وذمار. وما أن وصل الجيش الأيوبي إلى صبر حتى خرج إليهم أهلها وقاتلوهم قتالاً شديداً حتى انتصروا عليهم وقتلوا هذين القائدين[343]. كذلك تمرد على سليمان أهل (السهلية) في تهامة. الذين اتجهوا للاستيلاء على الحصون التي كان الأيوبيون يتمركزون في بلادهم. فأرسل إليهم سليمان الأمير سيف الدين بن عصبة فقاتلهم حتى انتصر عليهم واجبرهم على الطاعة ووضع الرهائن لذلك[344]. كما تمرد على سليمان صاحب

(341) ابن حاتم: السمط ، ص: 154 .

(342) ابن حاتم: السمط،ص:159،يحي بن الحسين:غاية الأماني،402/1، عبدالعال:المرجع السابق ص:237

(343) ابن حاتم: السمط ، ص: 159-160 ، يحي بن الحسين: غاية الأماني ، 402/1 .

(344) ابن حاتم: السمط ، ص: 160 ، يحي بن الحسين: غاية الأماني ، 1/ 402 .

المخلاف السليماني الأمير المؤيد بن القاسم، الذي اتجه لشن الغارات على (المحاليب) في تهامة. وأعلن موالاته للإمام[345] وكما هو واضح أن سبب تمرد أهل اليمن على سليمان هو ظلم وتعسف حكم القادة الأيوبيين عليهم فاستغلوا عدم مقدرة سليمان لحكم اليمن فتمردوا عليه.

2 ـ تمرد الأيوبيين :

أول من تمرد على سليمان من الأيوبيين المجاهد الذي كان قد هرب إلى السمدان. ولكنه عاد إلى تعز على إثر مراسلة من بعض أهلها يطلبون منه العودة إليهم وأنهم سيساعدونه على الاستيلاء على تعز. واعلموه أن سليمان متجه إلى بعض المناطق، فوثق بذلك وأسرع بالعودة إلى تعز قبل خروج سليمان منها. فأدى ذلك إلى سرعة إلقاء القبض عليه. وايداعه السجن ثم قتله بعد عدة أيام[346]. وهكذا كانت نهاية المجاهد.

كذلك تمرد على سليمان الأمير بدر الدين الحسن بن رسول الذي كان قد عزله عن حرض والسهلية في تهامة وولاه بدلاً عنها صنعاء. وأثناء سير الحسن بن رسول في طريقه إلى صنعاء ترصد له بعض جند سليمان ولكنه تحاشاهم. ولما وصل صنعاء واستقر بها أرسل إليه سليمان جمعاً من العسكر لإلقاء القبض عليه. فلما علم الأمير بدر الدين الحسن بن رسول اتجه إلى الكدراء من تهامة. فخشى سليمان من استيلائه عليها. فأسرع من تعز في النزول إليها. فلما وصلها نشبت حرب بين الطرفين انتهت بعقد صلح بينهما[347]. وكما يتضح أن بدر الدين لم يكن يرغب في تولى صنعاء ومحاربة الزيدية آنذاك.

وتمرد أيضاً على سليمان جمع كبير من القادة الأيوبيين في تهامة بسبب طلب سليمان معاقبة أحد الأيوبيين الذي استجار بأحد القادة المسمى أطنبا سنقر. فلما طلب هذا القائد الأمان له من سليمان رفض منحه وأخذه بالقوة. أدى ذلك إلى إعلان أغلب القادة الأيوبيين في تهامة تمردهم على سليمان. الذي اتجه لمحاربتهم في (النعجية). ولكنهم دافعوا عن انفسهم حتى هزموه

---

(345) ابن حاتم: السمط ، ص: 160 .

(346) ابن حاتم: السمط ، ص: 160 ، يحي بن الحسين: غاية الأماني ، 1/ 402 ، عبدالعال: المرجع السابق ، ص: 237 .

(347) ابن حاتم: السمط ، ص: 161-162 ، يحي بن الحسين: غاية الأماني ، 1/402-403 ، عبدالعال: المرجع السابق ، ص: 240 .

واتجهوا إلى (المحاليب) وراسلوا الإمام طالبين الانضمام إليه[348]. وهكذا تعددت التمردات الأيوبية على سليمان.

وبالنسبة للإمام عبدالله بن حمزة فقد استغل عدم وجود شخصية قوية تحكم اليمن من الأيوبيين فتوسع سنة 611 هـ/ 1214م في مناطق كثيرة من اليمن الأعلى كانت تابعة للأيوبيين مثل صنعاء وذمار وكوكبان وغيرها[349]. وهكذا كان وضع اليمن السياسي في عهد سليمان غير مستقر. وفي هذا الجو المشحون بعدم الاستقرار السياسى قدم إلى اليمن الملك المسعود الأيوبي.

---

(348) ابن حاتم: السمط ، ص: 163 ، يحي بن الحسين: غاية الأماني ، 403/1 ، عبدالعال: المرجع السابق ، ص: 240 .

(349) زيارة: أئمة ، ص: 135 .

الفصل الثاني عشر
الملك المسعود بن الكامل

سبب الحملة

استمر ملوك بنو أيوب في مصر يهتمون بإبقاء اليمن تحت سيطرتهم لذلك أرسلوا حملة عسكرية إليها، وكان الدافع لإرسالها سببين:

أحدهما: رسالة أحد المطرفية المسمى الحسن بن محمد النساخ، إلى الخليفة الناصر العباسي ببغداد يطلب منه القضاء على الإمام الزيدي عبدالله بن حمزة الذي سيطر على مناطق كثيرة في اليمن. فأرسل الخليفة العباسي إلى الأيوبيين بمصر يحثهم على إرسال قواتهم لحرب الإمام[350]..

ثانيهما: تدهور وضع الجند في اليمن بعد مقتل المعز وسم أخيه الناصر ابني طغتكين وعدم قناعتهم بتولية سليمان والنساء السلطة في اليمن لذلك كله اضطر الملك العادل إلى اعداد حملة كبيرة لارسالها إلى اليمن، مزودة بأموال كثيرة وجيش عظيم[351]. بلغ قوامه ألف فارس وخمسمائة من الرماة والجاندرية[352]، واسند قيادة هذه الحملة إلى المسعود بن الكامل، والأتابك جمال الدين بن فليت[353].

سير الحملة:

خرجت الحملة من مصر في 17 رمضان سنة 611 هـ/ 20 يناير 1215م، متجهة نحو اليمن عبر النيل إلى قوص ومنها براً إلى عيذاب. ثم بحراً إلى جده. ومنها ساروا نحو مكة لأداء مناسك العمرة وفريضة الحج. فوصلوا إليها في ذي القعدة سنة 611 هـ/ 5 ابريل 1215م[354]. بعدها تابع المسعود سيره نحو اليمن. فلما وصل إلى منطقة (الراحة) توجه إليه المؤيد بن القاسم صاحب المخلاف السليماني، لاستقباله وإعلان الطاعة له، فأحسن إليه المسعود وخلع عليه[355].

---

(350) زبارة: أئمة ، ص: 135 - 139 ، يحي بن الحسين: غاية الأماني ، 403/1 .

(351) الخزرجي: العسجد ، ص: 180 ، ابن الديبع: قرة العيون ، ص: 411-412 .

(352) عبدالعال: المرجع السابق ، ص:243-244 ، جميل حرب: المرجع السابق ، ص: 110 -111.

(353) الخزرجي: العسجد ، ص: 180 ، جميل حرب: المرجع السابق ، ص: 111 .

(354) عبدالعال: المرجع السابق ، ص: 246 .

(355) ابن حاتم: السمط ، ص: 166 ، جميل حرب: المرجع السابق ، ص: 111 .

السيطرة على اليمن:

أما الأيوبيون الذين كانوا مرابطين في زبيد وأعمالها التهامية، فقد خرجت جماعة من قادتهم إلى (الهلبة) لاستقبال المسعود الأيوبي وتقديم الولاء والطاعة له، في مقدمتهم الأمير بدر الدين الحسن بن رسول، وأخوه نور الدين بالاضافة إلى سبعين فارساً من أكابر الجند، وعند لقاء المسعود بهم أكرمهم وخلع عليهم[356]. ثم ساروا جميعاً نحو زبيد فدخلوها مستهل المحرم سنة 612هـ / مايو 1215م. من ناحية باب الشبارق[357].وآنذاك توجه المسعود إلى دار السلطنة للاقامة بها[358]. لانتظار وصول المؤن القادمة إليه عن طريق البحر[359].

ومن ناحية سليمان فإنه لما وصل المسعود إلى زبيد لم يتوجه لاستقباله وإعلان الولاء والطاعة له. ولكنه اتخذ موقفاً حذراً منه، فلجأ إلى حصن تعز للتحصن به[360]. وإزاء ذلك حاول المسعود أن يستخدم أسلوباً سياسياً لمعالجة الموقف قبل الدخول في حرب معه. وذلك بغرض معرفة نوايا سليمان حول حكم اليمن.وكذا نوايا الجند الأيوبي بها من حيث تأييدهم لسليمان أم لا؟ بأن يكون حكم الجبال لسليمان وحكم التهائم للمسعود[361].ولكن هذه الفكرة لم تلق تأييداً من قبل القادة الأيوبيين على رأسهم الأمير بدر الدين الحسن بن رسول، الذي نصح المسعود بعدم المصالحة وطلب منه الارسال إلى القوى الأيوبية في تعز بإلقاء القبض على سليمان.فعمل برأيه وما أن وصل المسعود إلى تعز حتى قام بتكلفة واليها وخدم الحصن بها، بإلقاء القبض على سليمان. فألقوا القبض عليه ووضعوه تحت الحراسة المشددة[362].إلى أن طلع المسعود إلى حصن تعز في يوم الأحد غرة شهر صفر سنة612هـ/1يونيو1215م[363]. وتسلمه منهم، وبعثه إلى الديار المصرية[364]. ولما

---

(356) ابن حاتم: السمط، ص: 166 ، عبد العال: المرجع السابق، ص: 247 .

(257) ابن حاتم: السمط، ص: 176، ابن الديبع: قرة العيون، ص: 412 .

(258) الخزرجي: العسجد، ص: 181 .

(259) ابن حاتم: السمط ، ص: 167 .

(260) الخزرجي: العسجد، ص: 181 .

(261) ابن حاتم.السمط، ص:167، الخزرجي: العسجد، ص: 181، عبد العال: المرجع السابق،ص: 248.

(362) ابن حاتم: السمط، ص: 167 ، الخزرجي: العسجد، ص: 181 .

(363) الخزرجي: العسجد، ص: 181، عبد العال: المرجع السابق، ص: 148 - 149 .

(364) ابن حاتم. السمط، ص: 167 ، الخزرجي: العسجد، ص: 181 .

استقر المسعود في تعز وصلت إليه أغلب قادة الأيوبيين من اليمن الأسفل معلنين له الولاء والطاعة[365]. وبذلك أصبحت تهامة واليمن الأسفل تحت سلطة المسعود الأيوبي.

ولاة المسعود:

وفي الوقت الذي استقبل فيه المسعود أكابر الأمراء الأيوبيين ولّاهم بعض مناطق اليمن أو أقطعهم إيَّاها. من ذلك أقطع الأمير بدر الدين الحسن بن رسول القحمة. وأقطع أخاه نور الدين عمر صهبان، وأقطع ابن فليت الكدراء ورمع. ثم أقطعه صنعاء. وبعد موته أقطعها الحسام لؤلؤ. ثم أقطعها نجم الدين ابن أبي ذكرى أو زكريا. كما اقطع الهلبة للمؤيد بن القاسم السليماني[366]. وهكذا كانت إقطاعيات المسعود للأمراء الأيوبيين. وعن مفهوم الاقطاع آنذاك فكان يعني إعطاء الأمير أرضاً يساوي دخلها المالي صرفيات عدد جنوده.

الاتجاه نحو اليمن الأعلى:

انطلاقاً من أهداف الأيوبيين الأساسية بالسيطرة على اليمن كله. جهز الملك المسعود جيشاً قوياً يقدر بنصف الجند القادم معه من مصر، تحت قيادة الأتابك جمال الدين بن فليت. وأوكل إليه الاتجاه نحو اليمن الأعلى لاستعادتها من تحت سيطرة الإمام عبد الله بن حمزة [367]. الذي كان قد سيطر عليها بعد موت الناصر وخروج غازي منها وقتله [368]. أما المسعود فقد استقر بتعز لاصلاح الأمور السياسية والادارية بها .

سار الجيش الأيوبي من تعز حتى وصل ذمار. فما أن وصل إليها حتى قدمت إليه الكثير من القبائل من أهل الحقول وسنحان وبني شهاب. معلنة له الولاء والطاعة. ومطالبين المصالحة، فاستقبلهم الأتابك ابن فليت وأحسن إليهم بالخلع والمال. وأقام بذمار عدة أيام يصلح أمورها. ثم ترك بها حامية أيوبية واتجه نحو صنعاء [369].

---

(265) الخزرجي: العسجد، ص: 181 .

(266) ابن حاتم: السمط، ص: 167 ، 193 ، 194 ، اسمه بن أبي زكرى، أو زكري أو زكريا.

(267) ابن حاتم: السمط، ص: 168 ، عبد العال: المرجع السابق، ص: 249

(368) ابن حاتم: السمط، ص: 154 ، الخزرجي: العسجد، ص: 180 .

(369) ابن حاتم: السمط، ص:168، يحي بن الحسين: غاية الأماني، 404/1، عبد العال: المرجع السابق، ص: 250 .

وعندما علم الإمام باتجاه الأتابك ابن فليت نحو صنعاء أدرك أنه غير قادر على البقاء بها ومقاومة الأيوبيين. فلجأ إلى تخريب دورهم وهي دار السلطنة ودور المعز . حتى لا يفكر الأيوبيون في التحصن أو الاستقرار بها. واتجه إلى حصن أنعم إلى كوكبان. فلما وصل ابن فليت صنعاء وجدها قد خلت من الإمام وأنصاره فدخلها في ربيع الآخر سنة 612هـ/ أغسطس 1215م، دون قتال ومعه من الجند ما يزيدون على الستمائة فارس[370]. وبذلك سيطر الأيوبيون على صنعاء وذمار. وانتهت منهما سلطة الإمام.

وما أن وصل ابن فليت إلى صنعاء حتى خرج لمحاربة الإمام وانتزاع القلاع والحصون في شمال وغرب صنعاء. فاتجه نحو حصن أنعم فحاصره وسيطر عليه بالقوة. ثم اتجه نحو شبام كوكبان والمناطق القريبة منها مثل البلاد الحميرية والمصانع فحارب أهلها حتى أخضعهم لسلطانه. ثم عاد ابن فليت إلى صنعاء وأقام يشن الغارات المتعددة على الحصون القريبة منها حتى استولى على أكثرها. وأخذ الرهائن من قبائلها من أجل ضمان استمرار طاعتهم له وأداء الحقوق المالية الواجبة عليهم. بعد ذلك عاد إلى تعز [371].

لم تمض مدة طويلة من ترك الأتابك ابن فليت صنعاء حتى عاد إليها بجيشه، واتجه مرة أخرى لمحاربة الإمام. فخاف منه الإمام وأحس أنه غير قادر على محاربته. فما أن وصل إلى (أسفل مدع) حتى أسرع بمراسلة ابن فليت يطلب منه عقد الصلح. فقبل ذلك. وعقد بينهما الصلح، على أن يظل ابن فليت محتفظاً بالمناطق التي استولى عليها من الإمام. وأن يطلق الإمام أولاد محمود العجمي والي صنعاء السابق. وأن يدفع الإمام كل شهر من بلاده عشرين حصاناً وعشرين جملاً. بينما اشترط الإمام أن يطلق ابن فليت جميع الرهائن الذين أخذهم من حصن أنعم، وتم عقد الصلح في 7 محرم سنة 613هـ / ابريل 1216م[372]. لمدة ستة عشر شهراً[373].

---

(370) ابن حاتم: السمط، ص: 168 ، يحي بن الحسين: غاية الأماني، 405/1 .

(371) ابن حاتم: السمط، ص: 168 ـ 169، يحي بن الحسين: غاية الأماني، 405/1، عبد العال: المرجع السابق، ص: 250 .

(372) ابن حاتم: السمط، ص: 170، زبارة: أئمة، ص: 141، عبد العال: المرجع السابق، ص: 251 .

(373) زبارة: أئمة، ص: 141، عند عبد العال : مدة الصلح ثلاثة عشر شهراً .

بعد عقد الصلح أناب ابن فليت على صنعاء جمال الدين كونج وترك معه ثلاثمائة فارس. واتجه نحو تعز فأقام بها حتى نهاية سنة 613 هـ / وبداية 1216م. وخلال غيبته عن صنعاء حدث حولها نزاع قبلي بين القبائل حول السيطرة على الحصون القريبة من صنعاء. فانقسموا إلى قسمين: قسم وقف بجانب الإمام، والقسم الآخر وقف بجانب الأيوبيين.

ومن ناحية قبائل سنحان بقيادة الشيخين الفضل وراشد ابني المظفر الهرش فقد خرجوا عن طاعة الأيوبيين، واتجهوا إلى طاعة الإمام، والسيطرة على حصن(كنن) وقطعوا طريق الامدادات والاتصالات بين الجيش الأيوبي بصنعاء واليمن الأسفل، بالإضافة إلى سيطرتهم على حصن (براش) المطل على صنعاء من شرقها. وطلبوا من الإمام إمدادهم بالجند. فأرسل إليهم ولده الأمير عز الدين محمد. الذي وصل إليهم في مستهل المحرم سنة 614 هـ / ابريل 1217م. ومن جهة بني حاتم فعندما علموا بوقوف سنحان إلى جانب الإمام. وأرادوا الاتجاه للسيطرة على صنعاء جاء إليها مسعود بن علي بن حاتم وابن عمه علوان بن بشر بن حاتم بجمع كبير من همدان فأقاموا بصنعاء مناصرين للأيوبيين ضد الإمام وقبائل سنحان. وفي غضون ذلك سمع ابن فليت باضطراب أمر صنعاء فأسرع في الاتجاه نحوها، فلما وصل إلى بئر الخولاني قام بمحاصرة جبل (كُنَنْ) وجرت بينه وبين أنصار الإمام في سنحان عدة معارك[374]. والواقع أن قبائل سنحان استغلت عدم وجود قوة كبيرة من الأيوبيين بصنعاء فاتجهت للإستيلاء عليها وعلى من حولها من الحصون مستعينة بالإمام. ولكن وقوف بني حاتم إلى جانب الأيوبيين فوت عليهم الفرصة. لأن صنعاء والحصون القريبة منها كانت تابعة لبني حاتم، وهؤلاء لا يرضون أن يستولى على حصونهم قبائل اخرى. لذلك وقفوا بجانب الأيوبيين مناصرين وموالين لهم .

لم تمض فترة طويلة على فرض ابن فليت الحصار على جبل (كنن) حتى توفي الإمام عبد الله بن حمزة في 12/ محرم سنة 614 هـ/ ابريل 1217م في كوكبان على أثر مرض حدث له، واقيم مكانه على وجه الحسبة ابنه عز الدين. فاستمر يحارب ابن فليت عدة أيام. ثم لحقت به شخصية أخرى أيوبية هو الأتابك جمال الدين ابن فليت الذي مات في معسكره في بئر الخولاني في يوم الخميس سلخ شهر ربيع الأول سنة 614هـ/أول يوليو 1217م. وقبر في صنعاء في اليوم

---

(374) ابن حاتم: السمط، ص: 170 - 171 ، الخزرجي: العسجد، ص: 182، يحي بن الحسين: غاية الأماني، 405/1، زبارة: أئمة، ص: 141، عبد العال: المرجع السابق، ص: 252 - 253 .

التالي[375]. وهكذا انتهت أهم شخصيتين لمعسكرين متصارعين. وقد أتاح موت الإمام فرصة للأيوبيين أن يستولوا على مناطقه.

دور المسعود:

ما أن وصلت الأخبار إلى مسامع المسعود بموت الأتابك ابن فليت حتى أسرع في الطلوع إلى اليمن الأعلى للوقوف بنفسه ضد الزيدية وأنصارهم. ومن هنا بدأ دور المسعود في محاربة الزيدية فسار حتى وصل بئر الخولاني فعسكر به في مستهل جمادي الأول سنة 614هـ/ اغسطس 1217م. وأثناء ذلك توجه المسعود نحو حصن (براش) فأخذه بالقوة. وأخذ ما به من حريم الشيخ راشد بن المظفر. فأحسن إليهن وأرسلهن إلى حصن أشيح (في أنس) ثم توجه إلى صنعاء فدخلها في اليوم الثامن من الشهر نفسه [376].

وعلى أثر أسر المسعود لحريم الشيخ راشد وموت الإمام الزيدي توجه راشد إلى المسعود طالباً منه المصالحة وباذلاً له الولاء والطاعة، فأدت تلك المصالحة إلى رحيل قوات الإمام من حصن (كنن) فرحلوا عنه في 25 شهر جمادي الأولى سنة 614 هـ/30 أغسطس 1217م. وتركوه للأيوبيين. حيث استولوا عليه في اليوم التالي دون قتال. بذلك تمكن المسعود من إنهاء التمرد القبلي المناصر للإمام في سنحان. فانتهت خطورة تهديدهم لصنعاء [377].

وبعد ذلك توجه المسعود نحو حصن كوكبان فأخذه من عماد الدين دون حرب في يوم الخميس 5 جمادي الأخرى من نفس السنة. بسبب عدم مقدرة الزيدية المدافعة عن الحصن ومقاومة الأيوبيين. ومن الواضح أن الزيدية ضعفت بعد موت الإمام عبد الله بن حمزة. وتخلت القبائل عن مناصرتهم. لذلك سرعان ما تم الإتفاق بين المسعود والزيدية على المصالحة بعدم الحرب. والتي عقدت في اليوم التالي لنفس التاريخ السالف الذكر. بعدها عاد المسعود إلى صنعاء وترك جمال الدين كونج والياً عليها وعاد إلى تعز [378].

---

(375) ابن حاتم: السمط، ص: 171 ـ 172 ، الخزرجي: العسجد، ص: 182 .

(376) ابن حاتم: السمط، ص: 172، الخزرجي: العسجد، ص: 182 .

(377) ابن حاتم: السمط، ص: 172 ، الخزرجي: العسجد، ص: 182 .

(378) ابن حاتم: السمط، ص: 173 ، الخزرجي: العسجد، ص: 182، زبارة: أئمة، ص: 144.

ظل المسعود يتنقل فيما بين تعز وصنعاء عدة مرات. بغرض إصلاح أحوالها السياسية والعسكرية. وعدم إتاحة الفرصة للزيدية وأنصارهم محاولة السيطرة على صنعاء. ففي شهر رمضان من سنة 615 هـ/ نوفمبر 1218م طلع المسعود صنعاء للمرة الثانية. واتجه إلى عدة مناطق شمالها مثل ظفار في الظاهر والجوف ثم حوث وشوابه وريدة. فخضعت هذه المناطق للأيوبيين ولم تظهر أي منطقة أي مقاومة عليهم عدا بعض الاعتراض من حامية حصن ظفار. ثم عاد المسعود إلى صنعاء فوصل إليها في 3 ذي القعدة من نفس السنة. وبذلك حقق المسعود هدفه بالسيطرة على الكثير من مناطق الزيدية. ومن الملاحظ هنا أن المسعوداستخدم نفس أسلوب الأيوبيين السابقين له بحكم اليمن. باستمرار الطلوع إلى اليمن الأعلى والسيطرة على مناطقه. ولما رأت الزيدية عدم مقدرتها؛ على محاربة المسعود وجيشه طلبوا منه الصلح. فتمت المصالحة في شهر رجب سنة 616هـ/ سبتمبر 1219م لمدة سنة [379].

استمر طلوع المسعود نحو اليمن الأعلى. ففي 6 رجب سنة 617هـ/ سبتمبر 1220م توجه من تعز إلى صنعاء مرة ثالثة، ومنها سار إلى حصن(بكر) وكان فيه بعض أولاد الإمام. فحاصره لمدة ثمانية أشهر. ولما طال الحصار وأضر ذلك بمن في الحصن رأت الزيدية عدم جدوى الاستمرار في البقاء في الحصن. أو شن الحرب. لذلك باع الأمير يحي بن حمزة الحصن للمسعود بعشرة آلآف دينار مصرية. وتسليمه في مستهل ربيع سنة 618هـ/ابريل1221م بعدها عاد إلى صنعاء وأقطعها للأمير بدر الدين الحسن بن رسول ثم سار إلى زبيد [380].

في غضون ذلك خرج أمراء مكة عن طاعة الأيوبيين بقيادة الحسن بن قتادة، فاتجه المسعود لقتالهم باعتباره أقرب الحكام الأيوبيين إليها. ولما وصل إليها استولى عليها بالقوة في ربيع الأول سنة 619هـ/ابريل1222م. ثم ولى عليها نور الدين عمر بن رسول[381]. وجعل معه حامية مكونة

---

(379) ابن حاتم: السمط، ص: 174، الخزرجي: العسجد، ص: 183، ، يحي بن الحسن: غاية الأماني، 409/1، عبد العال: المرجع السابق، ص: 257، الحداد: التاريخ العام لليمن، ص: 53 .

(380) ابن حاتم: السمط، ص: 174 - 175، الخزرجي: العسجد، ص: 183، يحي بن الحسين: غاية الأماني، 1/ 409 - 410 ، عبد العال: المرحع السابق، ص. 259، الحداد: التاريخ العام لليمن، ص: 53 .

(381) ابن حاتم: السمط، ص: 175 ، الخزرجي: العسجد، ص: 183 .

من ثلاثمائة فارس[382]. ثم عاد إلى زبيد فدخلها في جمادي الأولى من نفس السنة [383].

على أن خروج المسعود من مكة أتاح فرصة للحسن بن قتادة محاولة استعادة سلطانه عليها فجهز جيشاً لقتال نور الدين. ولكن نور الدين كان متيقظاً له. فلما رآه يتجهز بعسكره هجم عليهم على حين غفلة قبل أن يتهيئوا للقتال. أدى ذلك إلى انهزامهم وهروب أميرهم الحسن بن قتادة. بعد أن قتل جماعة من عسكره وتفرق الآخرون. وإزاء ذلك شكر المسعود لنور الدين عمله هذا. ولكنه طلب منه العودة إلى اليمن ليتولى أحد مناطقها [384].

وعلى أية حال فإنه نتيجة لهدوء أوضاع اليمن السياسية النسبية آنذاك. وبسبب تخلخل أوضاع الأيوبيين السياسية في مصر والشام تطلع المسعود إلى الحصول على ولاية فيها فضلا عن أنه رغب في زيارة أسرته في مصر. فاتجه من زبيد نحو الديار المصرية في منتصف شهر رمضان سنة 620هـ/ اكتوبر 1223م[385]. واستخلف على اليمن الأمير الحسام لؤلؤ[386].

حركة مرغم الصوفي:

انتهز مرغم الصوفي فرصة توجه المسعود نحو الديار المصرية، وخلو اليمن الأعلى من وجود إمام. فحاول أن يدعوا الناس إلى طاعته. وأخبرهم أنه داعي إمام حق. فانضمت إليه الكثير ممن صدقه من الناس من أهل الحقل وقبائل جنب وعنس. إضافة إلى أهل جبل مسلم المسمى سحمر وبني سيف من عتمه [387]. وكان مرغم هذا رجلاً من الصوفية تحلى بزي أو حلية الفقراء النساك[388]. من أجل كسب الناس واستقطابهم إلى دعوته.

ولما علم الحسام لؤلؤ الأيوبي بحركة مرغم الصوفي كَلّف نور الدين عمر بن رسول الاتجاه لحربه. فسار نور الدين بجيشه ومعه الشيخ راشد بن المظفر بن الهرش السنحاني. وما أن وصلوا

---

(382) عبد العال: المرجع السابق، ص: 261 .

(383) ابن حاتم: السمط، ص: 175، عبد العال: المرجع السابق، ص: 261 .

(384) ابن حاتم: السمط، ص: 175 ، عبد العال: المرجع السابق، ص: 261 .

(385) ابن حاتم: السمط، ص: 176، الخزرجي: العسجد، ص: 183 .

(386) ابن حاتم:السمط،ص:176،عند الخزرجي،ص:164والحمزي،ص:95،أن المسعود استخلف عمر بن رسول.

(387) ابن حاتم: السمط، ص:176، الخزرجي:العسجد،ص:184، عبد العال: المرجع السابق،ص:262 - 263.

(388) ابن حاتم: السمط، ص: 176 .

إليه حتى فاجأهم مرغم وأنصاره بالقتال. أسفرت المعركة التي وقعت في 25/ جمادي الأخرى سنة 623هـ/1226م. عن انهزام الأيوبيين، وهروب جماعة منهم نحو اليمن الأسفل، واتجاه نور الدين بمن بقي معه إلى التحصن بحصن (ذروان) في ذمار. كما أسفرت عن قتل الشيخ راشد. وكان سبب قتله ترصد أنصار مرغم له لقوله عنهم:((وما قدر بني شريم حتى يقيموا لهم إماماً، يعني بني شريم هؤلاء المذكورين أهل عتمه وسحمر. فحفظوا ذلك له)) ونتيجة لذلك رتبوا أمرهم لقتله إذا وقعت الحرب. فلما دار القتال ترصدوا له وقتلوه. وكان قتله سبباً لهزيمة الأيوبيين[389].

وفي الوقت الذي انهزم فيه الأيوبيون. وبقي نور الدين بقلة من أصحابه في حصن (ذروان) تحاصره قبائل تلك الناحية من كل جهة. اضطر إلى مكاتبة أخيه بدر الدين الحسن بن رسول والي صنعاء. يشرح له موقفه ويطلب منه النجدة. أمام ذلك الموقف سرعان ما جهز بدر الدين جيشاً كبيراً من صنعاء تولى قيادتهم بنفسه. وترك متولياً عليها علاء الدين سنقر السيفي في جماعة من العسكر. وكان خروجه من صنعاء يوم الأحد 10 شهر رجب سنة 623هـ/ يونيو 1226م. فلما عبروا في طريقهم على أهل سنبان حاول هؤلاء اعتراضهم ومنعهم من الوصول. فحدث قتال شديد بين الطرفين. انتهى بهزيمة أهل سنبان وقتل الكثير منهم. ولما وصل خبر قتلهم وقدوم بدر الدين بجيشه إلى مسامع المحاصرين بذروان خافوا على أنفسهم. وتركوا محاصرة ذروان وانصرفوا قبل وصول الأيوبيين إليهم[390]. وهكذا تمكن بدر الدين من فك الحصار عن أخيه.

بدر الدين والزيدية:

وآنذاك استغل عز الدين بن محمد الإمام المنصور عدم وجود الملك المسعود في اليمن. وظهور حركة مرغم الصوفي وهزيمة الأيوبيين. وكذلك خلو صنعاء من بدر الدين وجيشه. فاتجه عز الدين للسيطرة عليها ومعه سبعمائة فارس وألف راجل. فساروا سنة 623هـ /1226م. حتى وصلوا((ريعان)) فعسكروا بها ثم اتجهوا إلى (عَصِرْ) وعسكروا بها في انتظار التهيئ لدخول صنعاء ومن جهة بني حاتم الذين تحالفوا مع الأيوبيين على المناصرة، فإنهم لما علموا بقدوم الزيدية نحو صنعاء للإستيلاء عليها. أسرعوا في السير إليها من بلادهم بجيش كبير من القبائل تحت قيادة

(389) ابن حاتم: السمط،ص: 176، الخزرجي: العسجد،ص:184، عبد العال: المرجع السابق،ص:263.

(390) ابن حاتم:السمط، ص: 178 ــ 180، عبد العال: المرجع السابق، ص: 263 ــ 264، جميل حرب: المرجع السابق، ص: 112 .

سالم بن علي بن حاتم، وعلوان بن بشر بن حاتم للوقوف مع الأيوبيين ضد الزيدية. وما أن وصلوا إلى صنعاء حتى أسرعوا مع الأيوبيين إلى عَصِرْ لمقاتلة الزيدية [391].

وفي الوقت الذي كان فيه الإمام عز الدين بجيشه في (ريعان) أسرع الأيوبيون الذين كانوا بصنعاء إلى مكاتبة بدر الدين يخبرونه بقدوم الزيدية إليهم. وما أن علم بدر الدين بهذا الخبر حتى أسرع بالاتجاه نحو صنعاء ومعه أخيه نور الدين قبل أن يكملا إنهاء مرغم الصوفي وقواته. ثم ساروا حتى دخلوها في 26 رجب سنة 623هـ/ 1226م. اثناء ما كانت الزيدية والأيوبيون وبنو حاتم متقابلين في عصر استعداداً للقتال [392].

وفي ذلك الوقت دخل الأميران بجيشهما صنعاء دون الذهاب نحو المعركة في عصر وذلك من أجل إراحة جيشهما من عناء السفر وتناول الأكل والشراب ثم المحافظة على صنعاء، إذا دبرت الزيدية حيلة لدخولها أثناء القتال أو بعد انهزام الجيش الأيوبي. وبعد إراحة الجيش سرعان ما اتجه بدر الدين بجيشه إلى المعركة بعصر فقاتل الزيدية قتالاً شديداً أسفرت المعركة عند دخول الليل عن هزيمة الزيدية. وقتل الكثير منهم وإصابة عز الدين بنشاب في عينه أصابها العور وعلى أثرها مات في ذي الحجة من نفس السنة كما أدت المعركة إلى انسحاب الزيدية هاربين نحو منطقة (ثلا) تاركين الكثير من سلاحهم. وفي اليوم التالي للمعركة اتجه بدر الدين إلى (ريعان) فهربت منه الزيدية التي كانت بها، وأخذ بدر الدين ما تركوه فيها من المؤن ثم عاد إلى صنعاء[393]. وهكذا تمكن بدر الدين من هزيمة الزيدية ومنعهم من الاستيلاء على صنعاء.

عودة المسعود إلى اليمن وخروجه منها:

لم يهمل الأيوبيون بمصر ما يحدث لقواتهم في اليمن، فما كادت الأخبار تصل إلى مسامع المسعود إلى مصر حتى نهض مسرعاً عائداً إلى اليمن. فوصل تعز في 17 صفر سنة 624هـ/

---

(391) ابن حاتم: السمط، ص:180، يحي بن الحسين:غاية الأماني،415/1، عبد العال:المرجع السابق،ص:264 - 265 .

(392) الخزرجي: العسجد،ص:184، يحي بن الحسين: غاية الأماني،415/1، عبد العال:المرجع السابق،ص:265.

(393) ابن حاتم السمط،ص: 182 – 183، الخزرجي:العسجد،ص: 185 ، يحي بن الحسين: غاية الأماني، 415/1 - 416، عبد العال: المرجع السابق،ص: 266ن الحداد: التاريخ العام،ص:55.

7فبراير 1227م. ومنها توجه نحو بلاد بني سيف في عتمة لمعاقبة أنصار مرغم الصوفي، فاخرب عليهم بلدتهم بكاملها. وعاد إلى تعز [394].

وفي ذلك الوقت حاول الحسام لؤلؤ أن يفسد العلاقة فيما بين المسعود وأولاده بني رسول بسبب حسده لهم، لما حققوه من انتصار ضد مرغم الصوفي والزيدية، وخشيته من لوم المسعود له بعدم تقديم المساعدة لهم كونه جعله نائباً له باليمن. فعمل على الكيد بهم لدى المسعود[395]. فسمع كلامه وقام بإلقاء القبض على جميع بني رسول وهم بدرالدين الحسن وفخر الدين أبوبكر وشرف الدين موسى. وأرسلهم الى مصر، عدا نورالدين عمر بن رسول. وبعد القبض على بدرالدين الذى كان والياً لصنعاء ولى عليها الحسام لؤلؤ[396].

وعلى الرغم من أن المسعود عاد الى اليمن الا أنه لم يقعد بها طويلاً فقد عاد سريعاً الى مصر بعد أن هدأت الأمور السياسية باليمن. وكان سبب عودته دعوة أبيه الملك الكامل إليه بالحضور إلى مصر، وذلك بعد موت الملك المعظم موسى والى دمشق. لذلك اتجه المسعود عائداً نحو الديار المصرية عله يحضى بولاية دمشق في الشام. فأناب عنه في حكم اليمن نورالدين عمر بن رسول وقال له: (تقف أنت نائباً حتى يصلك أمرنا بتسليم البلاد لمن يتعين له) [397]. واتجه نحو مصر ومعه الحسام لؤلؤ. فلما وصل إلى مكة توفي بها في 13 جمادى الأولى سنة 626 هـ/ أبريل 1229م. فقام الحسام لؤلؤ بتوصيل خزانة المسعود وأولاده وأمواله إلى مصر [398].

من خلال ما تقدم نجد أن الملك المسعود تمكن من قيادة الأيوبيين في اليمن بكفاءة عالية فلم يحدث خلال عهده أي انشقاق أو تمرد من القادة الأيوبيين مما يدل على قناعتهم بقيادته

---

(394) ابن حاتم. السمط، ص: 194، يحي بن الحسين: غاية الأماني، 416/1 – 417، عبدالعال: المرجع السابق، ص: 271 - 272، الحداد: التاريخ العام، ص: 58.

(395) ابن حاتم: السمط، ص: 187.

(396) ابن حاتم: السمط، ص: 194، يحي بن الحسين: غاية الأماني، 416/1، الحداد: التاريخ العام، ص: 59، عبدالعال: المرحع السابق، ص: 270، الحمزي: كنز، ص: 95.

(397) ابن حاتم: السمط، ص: 195، الحمزي: كنز، ص: 95.

(398) ابن حاتم: السمط، ص: 195، يحي بن الحسين: غاية الأماني، 413/1، عبدالعال: المرجع السابق، ص: 273، الحداد: التاريخ العام، ص: 60.

وحكمته السياسية وارتضاهم لحكمه. ولذلك تمكن المسعود من توحيد اليمن تحت نفوذه. وقد ساعده لذلك موت الإمام الزيدي عبد الله بن حمزة. وعدم ظهور إمام يتمتع بنفس شخصيته وقوته. وبعد هذا المجهود الذي بذله المسعود في توحيد اليمن عاد إلى مصر ولكن الأجل وافاه في الطريق. وبانتهاء المسعود انتهى الحكم الأيوبي لليمن. فقد ظل عمر بن رسول نائباً للأيوبيين لمدة سنتين ثم أعلن استقلاله عنهم في 628هـ/ 1231م. وهكذا كانت نهاية حكم الأيوبيين لليمن.

خاتمة الحكم الأيوبي:

نستخلص مما سبق أن الأيوبيين تمكنوا من توحيد اليمن تحت نفوذهم والقضاء على دويلاتها المتعددة بعد أن كانت توزعت مناطقها إلى دويلات صغيرة متعاصرة زمنياً ومختلفة مذهبياً، ومتصارعة سياسياً، حيث نشأت في كل منطقة دويلة مستقلة. مثل بني مهدي في زبيد وهم خوارج كما يقال أما الإسماعيلية فكان بنو زريع في عدن وبنو حاتم في صنعاء، وكانت الزيدية في صعدة. كما نخلص أن الأيوبيين تمكنوا من أن يجعلوا اليمن ولاية تابعة لهم وظل الإرتباط مستمراً بهم. حيث استمر الأيوبيون بمصر يرسلون الحملات إلى اليمن للإحتفاظ بسلطانهم عليها. كما أنهم توارثوا السلطة بها. فقد جاء طغتكين بعد أخيه تورنشاه، وورث السلطة بعد طغتكين ولديه المعز والناصر، ثم قدم المسعود بن الملك الكامل الأيوبي ليحكم اليمن وكان آخر الأيوبيين بها.

كذلك نخلص أن الصراع ضد الأيوبيين احتدم واشتد مع أهل اليمن المخالفين لهم مذهبياً مثل الإسماعيلية والزيدية. إلا أن الإسماعيلية انتهوا سريعاً ولم يتمكنوا من استمرار مقاومة الأيوبيين بسبب انتهاء دولتهم في مصر. أما الزيدية فقد ظل الصراع بينها وبين الأيوبيين مستمراً في مناطق شمال صنعاء بسبب استمرار ظهور أئمة الزيدية. وبسبب الخلاف المذهبي فيما بينهما. حيث كان الأيوبيون سنة والأئمة زيدية لذلك شكلت الزيدية عائقاً كبيراً أمام الأيوبيين في الإحتفاظ بسلطانهم على مناطق شمال صعاء في عهدي المعز والناصر. كما أن الأيوبيين شكلوا عائقاً كبيراً أمام الإمام نحو توسيع مناطق نفوذه في اليمن الأعلى. وقد عمق الصراع فيما بينهما العداء القبلي بين قبائل اليمن. والطبيعة الجغرافية لليمن. حيث تأرجحت موالات القبائل بين الأئمة والأيوبيين. مما عمق الصراع كثيراً بين الطرفين. بينما اختلف الحال في مناطق اليمن الأسفل وحضر موت وتهامة. فقد أعلن أصحاب هذه المناطق موالاتهم للأيوبيين بسبب التقارب المذهبي بينهم. كونهم

ينتمون جميعاً إلى مذاهب أهل السنة. فلم يعمل هؤلاء على مقاتلة الأيوبيين لذلك كان الحكم الأيوبي في هذه المناطق أكثر استقراراً وأمناً من غيرها.

خاتمة القسم السياسي:

من خلال استعراضنا للقسم السياسي لتاريخ اليمن نجد أن اليمن تأرجحت بين التوحيد لجميع مناطقه وبين تكوين العديد من الدويلات.

فمن جهة تعدد الدويلات فقد حدث ذلك قبيل تكوين الدولة الصليحية مثل وجود بني معن وبني الكرندي وبني وائل، وبعد انهيارها مثل بني زريع وبني مهدي والأئمة الزيدية وغيرهم. وكانت هذه الدويلات في صراع مستمر فيما بين بعضها البعض، في سبيل محاولة كل دويلة الإحتفاظ بسلطانها أو التوسع على حساب الدويلات الأخرى. أثر ذلك الصراع على وضع اليمن السياسي والمذهبي والحضاري.

فقد كانت مدن اليمن المتعددة وعواصم تلك الدويلات تتعرض للنهب والسلب والتدمير من قبل المخالفين لمن فيها سياسياً ومذهبياً مثل نهب مدينة زبيد من قبل الصليحيين وبني مهدي والأيوبيين. وكذلك نهب الكثير من مدن اليمن من قبل ابن مهدي والتي بلغت خمسة وعشرين مدينة وحصناً. وعلى الرغم من أن ظاهرة النهب والسلب لأهل المدن والقرى غير المحاربين ظاهرة غير إسلامية إلا أنه حدث ذلك.

ومن ناحية الهدم والتدمير فقد حدث لكثير من الأماكن من قبل كل الدويلات المتعادية مثل هدم سور صنعاء وقصر غمدان فيها من قبل بني حاتم. وهدم بني مهدي لجامع الجند. وهدم الأيوبيين لجامع بني مهدي وهدمهم لداري الإمارة والإمام بصعدة. وهدم الإمام لداري السلطان والإمارة بصنعاء والذين بناهما الأيوبيون. كذلك هدم دار العز الذي بناه المكرم من قبل المعز الأيوبي. إضافة إلى هدم الكثير من الحصون والقلاع وغيرها. وبسبب ذلك الهدم انتهت المعالم المعمارية من أن تشاهدها الأجيال الأخرى للإستفادة من عقلية ذلك الجيل المعمارية او للتدليل على حياة حكام ذلك العصر.

كذلك أثر ذلك الصراع على النواحي الفكرية والدينية والاقتصادية. فقد أدت الخلافات المذهبية إلى قتل الكثير من العلماء مثل قتل الزنجيلي لعلماء حضر موت وهروب علماء زبيد خوفاً من ابن مهدي إلى الجبال وقتله لمن كانوا بجامع الجند. كذلك تعرضت القوافل التجارية للتوقف

بسبب ذلك الصراع مثل توقف التجارة بين زبيد وعدن أثناء الصراع الدائر بين كل من النجاحيين والصليحيين والنجاحيين وبني مهدي.

وكان سبب ذلك الصراع والهدم والسلب والنهب هو الخلاف المذهبي، والوضع الجغرافي والقبلي لليمن. فمن حيث النواحي المذهبية كان الصليحيون وبنو زريع وبنو حاتم إسماعيلية وبنو نجاح والأيوبيون سنة، وبنو مهدي خوارج، والأئمة زيدية، لذلك الخلاف المذهبي دار الصراع بين النجاحيين السنة وبين الصليحيين الإسماعيلية طيلة بقاء الدولتين كذلك دار صراع بين الصليحيين الإسماعيلية والأئمة الزيدية طيلة بقاء الدولة الصليحية. كما دار صراع بين بني مهدي الخوارج وبني نجاح السنة وبين بني مهدي وكل من بني زريع وبني حاتم وغيرهم ولم يخلصهم منه إلا تكوين تحالف قبلي ضد بني مهدي. كذلك دار صراع بين الأئمة الزيدية وبين بني حاتم الإسماعيلية. كما عمل الأيوبيون السنة على إنهاء جميع دويلات اليمن الإسماعيلية والخوارج وظلوا يحاربون الزيدية طيلة فترة بقائهم في اليمن.

وبالنسبة لتوحيد اليمن فقد عملت على توحيدها دولتان هما الدولة الصليحية الإسماعيلية والدولة الأيوبية السنية فكانت اليمن أثناء توحدها أكثر استقراراً وأكثر مساهمة في التحضر وأقل صراعاً.

وقد تمكنت الدولة الصليحية من توحيد اليمن بواسطة اعتمادها على قبائل متعددة ليست بينها عداوات مذهبية أو ثأرات قبلية فضلاً عن انتماءها المذهبي. فقد تحالف بنو الصليحي وهم من همدان مع بني الزواحي وهم من حمير كما تحالفوا مع قبائل أخرى من همدان مثل يام وشاكر ومن مذحج مثل جنب ومن حمير مثل آل أبي البركات. ومن خولان مثل بني الزر من بني مروان. إضافة إلى ذلك فقد كان العامل الأهم لتمكن علي الصليحي من توحيد اليمن هي تركه للحرية المذهبية. وعلى العكس من ذلك فلم تتمكن أي دويلة يمنية ولا الأئمة الزيدية من توحيد اليمن وذلك لأنهم اعتمدوا على قبائل بينها وبين القبائل الأخرى ثأرات وعداوات. ثم جاء الأيوبيون وعملوا على توحيد اليمن وذلك لأن جيشهم كان جيشاً نظامياً وليس قبلياً وكان يدين بمذهب واحد، ولذلك تمكنوا من توحيد اليمن بسهولة. وعلى اية حال مهما كانت الأسباب في توحيد اليمن أو تعدد دويلاته فإن للعامل المذهبي دور كبير في ذلك في تلك الفترة. بهذا العرض التاريخي السابق الذكر نأمل أن نكون قد أعطينا صورة توضيحية عن أهم فترات تاريخ اليمن .

القسم الثاني
مظاهـــر الحضارة

الباب الأول: النظم الحضاريـــة

الباب الثاني: الحياة الإقتصاديـة

الباب الثالث: الحياة العلميـــة

الباب الرابع: الحياة الاجتماعية.

تمهيـد

أولاً: حدود اليمن ومسمياته الإقليمية:

أطلقت المصادر على القسم الجنوبي للجزيرة العربية اسـم اليمـن وعلـى القسـم الشـمالي منها اسم الشام، وبذلك ترادف لفظ الجنوب مع لفظ اليمن، ولفظ الشمال مع لفظ الشام. يقول الهمداني: (معرفة تفصيل هذه الجزيرة عنـد أهـل اليمـن هـي يمـن وشـام، فجنوبهـا اليمـن وشمالها الشام)[1].

وهكذا فقـد بـدا واضحـاً أن هنـاك ترادفـاً بـين كلمـتي اليمـن والجنـوب وكلمـتي الشـام والشمال، وأن كلمة اليمن تعني الجنوب، وكلمة الشـام تعـني الشـمال، وبصفـة عامـة فقـد كـان اليمنيون يطلقون على من يتجه نحو الجنوب إنه اتجه نحو اليمن، وعلى من اتجه نحو الشمال إنه اتجـه نحو الشام. ومثل ذلك ماأطلق على اليمن ذاتها، فمن يتجه جنوباً من صعدة أو من حرض الى تعـز يقولون إنه اتجه نحو اليمن، ومن يتجه من تعز نحـو شمـال اليمـن يقولـون إنـه اتجـه نحـو الشـام. مـن الأمثلة في هذا الشأن ما اورده صاحب السمط تعليقاً علـى اسـتيلاء الملـك العزيـز طغتكـين علـى حصن (حب) في بعدان سنة 584 هـ/ 1188م، وقتل جميع من كان به قوله: (وتزلزلـت لذلـك اليـوم جميع اليمن شاماً ويمناً) يعنى شمالاً وجنوباً وما قاله أيضاً بأن المعز بن طغتكين: (استولى علـى البـلاد الشامية وهي ما بين حرض إلى زبيد)[2].

ومن ناحية ثانية حدد الهمداني حـدود اليمـن بـأن البحـر يحيـط بهـا مـن جهاتهـا الغربيـة والجنوبية والشرقية[3]. يوضح القلقشندي اسماء هذه البحار بقوله: (اليمن قطعة من جزيرة العرب، يحدها من الغرب بحر القلزم، ومن الجنوب بحر الهنـد، ومـن الشـرق بحر فـارس[4]. أمـا مـن ناحيـة الشمال فقد اختلفت المصادر في تحديدها، فيذكر الهمداني أن أول بلاد اليمن من ناحية بحر فـارس يبدأ من (يبْرَيْن) عند منطقة (دمَافَطَنْوَي) أي منطقة سلوى شمـال عمـان، ويسـير هـذا الحـد قاطعـاً

---

(1) الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص:89. د. محمد متولي: جغرافية جزيرة العرب، ص:8.

(2) ابن حاتم: السمط، ص:26،45.

(3) الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص·90، ياقوت الحموى: معجم البلـدان، حـ5، ص·447 – 448. طبعة بيروت/ 1984م/ 1403 هـ

(4) القلقشندي: صبح الاعشى، حـ5، ص:6، د.محمد متولي: حغرافية اليمن الشمالي، ص:8.

وسط الجزيرة العربية في خط قد يكون مستقيماً حتى ينتهي في تهامة عند جبل (كُدُمُل) عند حَمِضَة قزب الليث على ساحل البحر الأحمر[5]،أما المسعودي فيقول أنه: (مما يلي مكة إلى الموضع المعروف بطلحة الملك)[6](وما على سمت ذلك إلى بحر فارس).[7] ويحدد ابن حوقل طرف اليمن في تهامة شمالاً بالسرين فيقول:(فما كان من حد السرين حتى ينتهي إلى ناحية يلملم ثم ظهر الطائف ممتداً على نجد اليمن[8]). أما عمارة فيحدد طرف تهامة اليمن بمنطقة حَلي بن يعقوب[9]. على أن البعض لم يقف عند هذا التحديد، بل إنهم يجعلون (مكة حداً فاصلاً بين اليمن والشام)[10]. وكما يتضح أن هذا التحيدي ناتج عن مسمى كلمة اليمن التي تعني الجنوب وكلمة الشام التي تعني الشمال.

ومما سبق يتضح أن الحد الشمالي لليمن كان غير ثابت، كما كان يطرأ عليه التغيير. بالامتداد أو الانكماش حسب قوة أو ضعف الدولة الحاكمة في اليمن ذاتها. فهو قد يمتد إلى أقصى أعمال بني طرف، سواء عند السرين أو عند الليث أو عند حَمِضَة أو حَلْي بن يعقوب شمالاً حتى باب المندب جنوباً، ومنه إلى أطراف حضرموت شرقاً. وفي إطار هذا التحديد ستكون دراستنا لبلاد اليمن في العصر الإسلامي التي عرفت بإقليم اليمن[11] أو قطر اليمن[12].

مسميات الوحدات الإقليمية باليمن:

تعددت مسميات الوحدات الإقليمية داخل قطر اليمن تعدداً ما موظاً: -

أولاً: التسمية حسب البيئة الطبيعية وهي قسمان: الجبال والتهائم[13]، أو ما يسمى نجد اليمن و تهامة اليمن[14]، وتتمثل الجبال أو النجد بالسلسلة الجبلية الوسطى التي تمتد من عدن جنوباً إلى

---

(5) الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص:90، د. محمد متولي: جغرافية اليمن الشمالي، ص:8.

(6) المسعودي: مروج الذهب، ص:89. طبعة بيروت، 1403هـ/1983م.

(7) قدامة ابن جعفر: الخراج وصناعة الكتابة، العراق، 1981م، ص:82.

(8) ابن حوقل: صورة الأرض، ليدن، 1938، ص:29.

(9) عمارة: المفيد، ص:66.

(10) د محمد متولي، جغرافية شمال اليمن، ص.7.

(11) عمارة: المفيد،ص 47.

(12) الخزرجي. العسجد، ص:58.

(13) عمارة: المفيد، ص:47، ابن المجاور. صفة بلاد اليمن، ص:67.

(14) المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص:69 - 70، ليدن 1906م، الاصطخري. المسالك =

آخر حدود اليمن شمالاً وهي ما تسمى بسلسلة جبال السراة. والتهائم هي السهل الساحلي المجاور للبحر. والذي يمتد من عدن حتى آخر حدود اليمن شمالاً عند منطقة حَلْي بن يعقوب أو الليث.

وهناك تسمية ثانية حسب البيئة الطبيعية أيضاً هي أن اليمن يمنان يمن أعلى ويمن أسفل (فاليمن الأعلى قصبته صنعاء ... وأما اليمن الأسفل فقصبته زبيد)[15]. ويرى البعض أن تعز هي قصبة اليمن الأسفل باعتبار أن المناطق النجدية أي المرتفعة من اليمن أو هضبتها قسمت إلى قسمين: أعلى للمناطق المرتفعة من الهضبة. وأسفل للمناطق المنخفضة منها.

أما ما ذكره كل من الخزرجي وابن الديبع فانهما ضما إقليم تهامة باعتباره إقليماً منخفضاً إلى المناطق الجبلية المنخفضة وجعلا من زبيد عاصمة لهذا القسم. علماً بأنه ليست هناك حدوداً فاصلة فيما بين اليمن الأعلى واليمن الأسفل لهضبة اليمن أو نجدها. فقد يتسع نطاق اليمن الأسفل فيشمل الهضبة الجنوبية لنجد اليمن حتى صنعاء، ويقتصر إطلاق اليمن الأعلى على شمال صنعاء فقط[16]، وبالعكس قد يتسع اليمن الأعلى فيشمل هضبة شمال اليمن حتى يصل إلى جنوب صنعاء بحيث تصبح صنعاء قصبة له[17].

ثانياً: المخلاف: من بين مسميات الوحدات الاقليمية المخلاف وجمعها المخاليف، وهو اسم تميزت به التقسيمات الادارية في بلاد اليمن دون غيرها من البلاد الإسلامية الأخرى وهي تسمية قديمة تطلق في جميع اليمن سواء بالسهل أو الجبل، وتأتي عادة مقرونة باسم منطقة أو شخص مثل مخلاف المَعَافِر، ومخلاف الجَنَد، ومخلاف جَعْفَر، ومخلاف عَنَّة، ومخلاف أَحَاظَة[18] أو يقال وُصَاب

= والممالك، ص:21، القاهرة، الانصاري: نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، ص:215، طبع بطر يورغ، 1965.عن مناطق نجد اليمن وتهامتها. ذكر المقدسي: (وأما اليمن فقسمان ما كان نحو البحر فهو غور واسمه تهامة قصبته زبيد ومن مدنها معقر وكدره ومور ... وأما ماكان من ناحية الجبال فهو بلاد بارد يسمى نجدا قصبتها صنعاء ومن مدنها صعدة نجران جرش ..). المقدسي: أحسن التقاسيم، ص:69 - 70

(15) الخزرجي: العسجد، ص:80، ابن الديبع: قرة العيون، ص:32 - 36.

(16) البلاذري: فتوح البلدان، ص:80.

(17) الخزرجي: العسجد، ص:80، ابن الديبع: قرة العيون، ص:32 ـ 36. يحيى بن الحسين: غاية الأماني، جـ1، ص:241 - 242.

(18) عمارة: المفيد، ص90 - 97، ابن الديبع: قرة العيون، ص:335.

ومخاليفها وصنعاء ومخاليفها، وكَوْكَبَان ومخاليفها[19].

ويشمل المخلاف عدة قرى وحصون ويعرفه ابن المجاور بقوله: (ماكان حول كل حصن من القرى والزراعات فهو مخلاف)[20]. وليست هناك حدوداً ثابتة للمخلاف، فقد يشمل حصوناً وقرى عديدة أو قليلة حسب الظواهر الجغرافية من جبال حاجزة وغيرها، أو عوامل قبلية حسب حجم القبيلة من كثرة وقلة، أو حسب عوامل سياسية من حيث قوتها السياسية أو ضعفها.

ثالثاً: تسمية الحصن: حتمت طبيعة بلاد اليمن الاهتمام بانشاء الحصون في مختلف المناطق، وقد اطلق عليها اسم المنطقة التي يقع فيها من حصون اليمن الأسفل: السَمَدَان، السَّوَاء، الدُمْلُوة، ذَخِر، التَعْكُر، حَبَّ، عَزَّان، الشَّعِر، خُدَد، الشَّوَافِي، أَشْيَح، مُقْرَى، وُصَاب، قَيْظَان، ذَرْوَان[21]. ومن حصون اليمن الأعلى: مَسَار بَرَاش، ذَمَرْمَر، كَوْكَبَان، الظَّفَر، العَرُوس، الفَصّ، فَدَّة[22] وغيرها.

رابعاً: تسمية النواحي والديار والأعمال: أطلق اسم النواحي ومفردها ناحية على كثير من المناطق، فيقال ناحية أبين، ناحية عثر، ناحية الأحقاف، ناحية مهرة، ناحية سبأ. كما أطلق اسم الديار على بعض المناطق الأخرى مثل ديار كنده. كذلك أطلقت كلمة (أعمال) على ملحقات المناطق مثل أعمال برع، أعمال العمد، أعمال لسعان، أعمال حراز وأعمال بني طرف، وأعمال

---

(19) عمارة: المفيد، ص: 93 ، 94 ، 133.

(20) ابن المجاور: صفة بلاد اليمن، ص:170. وردت أسماء مخاليف اليمن في كثير من المصادر الجغرافية منها كتاب الخراج لقدامة ابن جعفر، وأحسن التقاسيم للمقدسي، فهذان المصدران ذكرا حوالي ثمانية وأربعين مخلافاً. (قدامة، ص:88، 92 ، المقدسي، ص:88 ـ 93) في حين ذكر اليعقوبي حوالي أربعة وثمانين مخلافاً. (اليعقوبي: تاريخ، ص:162، اليعقوبي: البلدان، ص:317) وأوصل ابن خرداذية عددها إلى أكثر من مائة مخلاف (المسالك، ص:136 ـ 142). وفي الوقت الذي ذكر فيه ابن المجاور أن تسمية المخلاف لم تكن مستعملة في القرنين الخامس والسادس الهجريين إلا في المناطق الجبلية دون تهامة (ابن المجاور، ص:170) ووافق ابن المجاور في قوله ذلك ياقوت الحموي حين ذكر في معجمه ستة وثلاثين مخلافاً في الجبال (ياقوت: معجم البلدان، جـ5، ص:67 ـ 70) وهذا غير صحيح فقد ظهر اسم المخلاف في المناطق التهامية من اليمن، مثل المخلاف السليماني في هذه الفترة.

(21) عمارة: المفيد، ص:86 ـ 94، التعريف بالاسماء والحصون سنوردها في الملحق.

(22) ابن حاتم: السمط، ص:28 ـ 32.

الحصون والجبال، وأعمال تهامة.

وهناك تسمية بنسبة اسم المنطقة الى كلمة صاحب، مثل صاحب عثر، صاحب بيحان صاحب نجران، صاحب جرش، صاحب حلى[23]، وأحياناً كان يذكر اسم هذا الصاحب مثل وائل بن عيسى صاحب أحاظة، علي بن معن صاحب عدن، ابن الكِرَنْدِي صاحب المعافر[24].

وهكذا نرى تعدد الأقاليم داخل مسميات اليمن تبعاً للعوامل الجغرافية أو القبلية أو السياسية. ومن خلال تلك المسميات يمكن أن نطلق على كل إقليم خضع لحاكم واحد اسم وحدة إدارية، أو منطقة إدارية، أو قسم إداري.

والملاحظة العامة أن العامل الجغرافي له تأثير كبير في أحوال اليمن الإدارية والسياسية. ففي المناطق السهلية كانت الوحدات الادارية كبيرة المساحة وظلت تقريباً تتبع نفس التقسيم الاداري في عهد الصليحيين والأيوبيين ومن عاصرهم.

أما المناطق الجبلية فقد كانت أكثر تعقيداً وتعدداً بسبب التغيير المستمر في تقسيمها الاداري، ربما كان يحدث دمج لبعض مناطقها في وحدة إدارية واحدة، أو فصل بعض مناطقها عن بعض في وحدات إدارية متعددة. وذلك بسبب طبيعتها الجبلية التي تمثل حواجز فاصلة فيما بين مناطقها أو تعدد قبائلها. لذلك ظلت المناطق الجبلية متغيرة التقسيم الإداري.

أما من الناحية السياسية فقد كانت الجبال عاملاً مساعداً في قيام الدويلات أو تمرد الحكام المحليين، فقد كانت أول إنطلاقة علي بن محمد الصليحي من جبل مسار بحراز. كما كان ظهور ابن مهدي من حصن الشرف قرب زبيد[25]. كما تمرد الكثير من الأيوبيين مثل نجاح الأيوبي حاكم حصن الدملؤة، وحكو بن محمد الكردي، وهشام الكردي وغيرهما[26] في اليمن الأعلى.

وكانت الجبال أيضاً عاملاً مساعداً على استمرار وجود النظام القبلي وما يتبع ذلك مس عصبيات قبلية ضد بعضهم البعض وضد الدولة. لأن الجبال كانت تفصل بين كل تجمع سكاني وآخر سواء أكان التجمع ينتمي إلى فرع قبلي واحد أم إلى عدة فروع. فأينما غلبت وحدة المنطقة

---

(23) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص:70.

(24) الخزرجي: العسجد، ص.107.

(25) عمارة: المفيد، ص:101، 232، ابن الديبع: قرة العيون، 343 ، 361.

(26) ابن حاتم: السمط، ص:45 - 46 ، 48 .

شكلت وحدة قبلية لها استقلالها وعصبيتها. ولذلك كانت أقاليم اليمن تتوزع بين العديد من الزعامات القبلية، وفي أغلب الأوقات تتنازع هذه القوى فيما بينها للسيطرة على الأقاليم، وغالباً ماكانت هذه الزعامات القبلية تهتم بالاستيلاء على الحصون والقلاع لأنها أساس السيطرة على المخاليف والقرى المجاورة لها.

مما سبق نجد أن أسماء الوحدات الإدارية في اليمن ارتبطت بأسماء المناطق اليمنية المتعددة. وقد ظلت هذه الأسماء موجودة أثناء توحد اليمن أو تجزئها. أما المسميات الإدارية المرتبطة بأسماء الحكام فقد انتهت بزوال حكمهم.

الباب الأول
النُّظُم الحَضَارِيَّة فِي اليمن

الفصل الأول: نظام الإمـــارة

الفصل الثاني: النظـام الإداري

الفصل الثالث: النظام القضائي

الفصل الرابع: النظام العسكري

الفصـــل الأول

نظام الإمـــارة

أولاً: التبعية:

اتسم الحكم في اليمن بالتبعية الاسمية إما للخلافة العباسية ممثلاً بالزياديين ثم النجاحيين في زبيد وتهامة. أو للخلافة الفاطمية ممثلاً بالصليحيين في نجـد اليمـن في كـل مـن صنعـاء وذي جبلـة بالإضافة إلى الزريعيين في عدن. كما اتسم أيضاً بعدم إعلان التبعية لإحدى الخلافتين ممثـلاً بالأئمـة الزيدية في صعدة وبني مهدي في زبيد.

ففي مجال التبعية للخلافة العباسـية سـار النجـاحيون في حكمهـم لتهامـة موالـين للخلافـة العباسية خلفاً للزياديين. فقد حصل الأمير نجاح على تفويض من الخلافة العباسية بعد استيلائه على السلطة في زبيد من الخارجين على البيت الزيادي، الذين قتلوا الطفل الزيادي آخر بني زياد وعمته أواخر العهد الزيادي

حيث أراد نجاح أن يكسب الصفة الشـرعية لحكمـه بمراسـلته الخليفـة العباسـي في بغـداد آنذاك معترفاً بسيادته باذلاً له الولاء والطاعة وطالباً منه تقليده الحكم على اليمن، فأجاب الخليفـة العباسي لطلبه وفوض له النظر العام في إقليم اليمن، وتقليد القضاء لمن يراه أهلاً لذلك[1].

بهذا التفويض الذي حصل عليه نجاح أصبح نائباً عن الخلافة العباسية في اليمن، وصاحب التصرف في جميع أمور المناطق الداخلة تحت سيطرته في اليمن، وصاحب الحق الشرعي في إدارتهـا يولي من يشاء من القضاء والوزراء والأمراء أو محاسبتهم أو عزلهم. فكـانت بذلـك سـلطة الخلافـة العباسية في عهد بني نجاح لا تتعدى السلطة الاسمية[2].

واقتصر استمرار النجاحيين بالتبعية للخلافة العباسـية بـاعلان الخطبـة للخلفـاء العباسـيين وضرب السكة باسمهم[3]. واتباع مذهبهم الديني.

---

(1) عمارة: المفيد، ص:85 – 86، الجنـدي: السـلوك، جـ2 ، ص.485، الخزرجـي: العسـجد، ص:104، ابـن الديبع: قرة العيون، ص:334، كـان الخليفـة العباسـي الـذي حكـم الخلافـة العباسـية في تلـك الفـترة القـادر مـن 381 - 422 هـ/ 991 - 1030م. ثم القائم من 422 - 467 هـ/ 1074م.

(2) زهران رياض: دولة حبشة في اليمن، ص:117، المجلة التاريخية المصرية، سنة1959م.

(2) - Francinestone: studies on the Tihamah, p 32, 1989

(3) عمارة: المفيد، ص:209، ابن عبدالمجيد: بهجة الزمن، ص:96، الخزرجي: العسجد، ص:114، ابن =

ورغم أن المصادر لم تذكر عن استمرار كل أمير من بني نجاح يسعي إلى الحصول على تفويض من الخليفة العباسي للحكم، إلا أن استمرار الخطبة للعباسيين في تهامة وضرب السكة باسمهم دليل على التبعية لهم. وكذلك توجه جياش بن نجاح إلي طلب (الغز) (السلاجقة) وجلبهم إلى اليمن والاستعانة بهم دليل على تبعية هذه الامارات للخلافة العباسية[4] إضافة إلي ذلك إعلان بعض المناطق اليمنية موالاتها لحكام تهامة فقد كان بنو معن حكام عدن المحليين موالين للزياديين و يدينون بالمذهب السني وظلوا على ذلك معلنين الولاء لبني نجاح في زبيد إلى أن استولى الصليحيون على عدن.

أما بالنسبة للتبعية للخلافة الفاطمية فقد تمثل بالصليحيين فبعد أن جهر علي بن محمد الصليحي بالدعوة الإسماعيلية الفاطمية باليمن أراد أن يكسب حقاً شرعياً بسلطته على اليمن، فكاتب الخلافة الفاطمية، ويعني الحق الشرعي هو كسب تأييد ودعم الخلافة الفاطمية، كما يعني إقناع القوى الأخرى بالطاعة له وعدم مقاومته.

لذلك أرسل علي الصليحي إلى الخليفة الفاطمي المستنصر بالله سنة 453 هـ/ 1061م، بهدية عبارة عن سبعين سيفاً ذات مقابض من عقيق وخمسة أثواب وَشْي وفصوص عقيق ومسك وعنبر[5] رمزاً للطاعة له ويستأذنه في إظهار الدعوة له باليمن فقبل المستنصر بالله ذلك وقلده على اليمن (وأمر له برايات، وكتب له الألقاب وعقد له الولاية وآذن له بنشر الدعوة)[6].

غير أن المصادر اختلفت في تحديد زمن طلب الصليحي من الخلافة الفاطمية بالاذن له بنشر الدعوة الاسماعيلية الفاطمية باليمن. فبعضهم يذكر أنه كتب إليهم بذلك بمجرد أن استقر في

= الديبع: قرة العيون، ص:351.

(4) عمارة: المفيد، ص:215 - 216.

(5) محمد بن مالك الحمادي: كشف أسرار الباطنية، ص:81 – 82، جمال الدين سرور: النفوذ الفاطمي ص: 77، القاهرة، 1976م، سياسة الفاطميين الخارجية، القاهرة، 1976م، ص:82، د. محمد أمين صالح: العلاقة بين دولة الصليحيين والخلافة الفاطمية، ص:62، د. عصام الدين الفقي: اليمن في ظل الاسلام، ص:165.

(6) الجندي: السلوك، جـ2، ص:486، الخزرجي: العسجد، ص:57 ، ابن الديبع: 1) قرة العيون، ص:246، 2) بغية المستفيد، ص:46، د. حسن إبراهيم حسن:اليمن البلاد السعيد، ص:71،القاهرة سلسلة اخترنا لك (ع) 52، جمال الدين سرور: 1) سياسة الفاطميين الخارجية، ص:82، 2) النفوذ الفاطمي في =

جبل مسار بحراز سنة 429 هـ[7]، وبعضهم يذكر أنه كتب إليهم بعد استيلائه على صنعاء سنة 448 هـ/ 1056م[8]. وبعضهم الاخر يذكر أنه كتب اليهم بذلك سنة 453 هـ/ 1061 [9]أي بعد مقتل نجاح واستيلاء الصليحي على زبيد وأعمالها التهامية، ولكن الذي يبدو أن هذا الاختلاف يرجع إلى طبيعة استمرار تطور الدعوة الاسماعيلية باليمن من دور الستر الى دور الظهور. فقد كان علي الصليحي مستمراً في مكاتبة الفاطميين يبلغهم بكل خطوة يخطوها في اليمن دليلاً على الولاء والتأييد والاذن له. فعندما جهر بالدعوة في جبل مسار سنة 439 هـ/ 1047م أبلغهم بذلك، وعندما استولى على صنعاء أخبرهم بالاستيلاء عليها، ولما قضى على الأمير نجاح الذي كان يمثل القوى السنية والخلافة العباسية كاتب الخليفة الفاطمي المستنصر بالله سنة 453 هـ/ 1061م يطلب منه عقد توليته على اليمن كلها فوافق الخليفة الفاطمي له بالولاية وقلده على اليمن كلها. بذلك أصبحت سلطة علي الصليحي على اليمن سلطة شرعية، فكان من حقه تولية من يشاء على مدن اليمن، وحصونها وقراها أو عزلهم أو محاسبتهم.

وهناك ظهرت في اليمن دويلات تستولي على السلطة دون أن توالي أياً من الخلافتين العباسية أوالفاطمية هم الأئمة الزيدية وابن مهدي.

فبالنسبة للأئمة الزيدية فأنهم يأتون في قائمة الحكام في اليمن الذين لايطيعون أياً من الخلافتين المذكورتين، إذ أنهم كانوا مذهبياً يدعون لمذهب الإمام زيد بن على رضي الله عنه[11]، وسياسياً يدعون لأنفسهم بالسلطة باعتبارهم أئمة دعاة يرجع أصول نسبهم إلى علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) وفي اعتقادهم يعتبرون أنفسهم أحق بالخلافة أو السلطة من العباسيين أو الفاطميين.

= جزيرة العرب، ص:77.

(7) الحمادي: كشف أسرار الباطنية، ص:81، حسن سليمان، الصليحيون في اليمن وعلاقتهم بالفاطميين بمصر، ص:55. رسالة دكتوراه، جامعة القاهرة، 1951- 1952م.

(8) الجندي: السلوك، جـ2، ص:486، ابن الديبع: بغية المستفيد، ص:46.

(9) عمارة: المفيد، ص:118 - 119، الخزرجي: العسجد، ص:57، بامخرمة: ثغر عدن، ص:193، ابن الديبع: قرة العيون، ص:246.

(10) محمد أمين صالح: العلاقة بين دولة الصليحيين والخلافة الفاطمية، ص:62.

(11) يحيى حميد المقرائي: نزهة الانظار في ذكر الأئمة الزيدية الاطهار، ق15 ب ، ص:358، دار الكتب المصرية، رقم 358.

وقد كان الأئمة الزيدية يظهرون في اليمن بين الحين والآخر شاهرين لسيوفهم داعين لأنفسهم بالإمامة[12]. وعلى ذلك فان أسلوب تولي السلطة عند الأئمة الزيدية هي الخروج والدعوة إلى النفس. وأهم الأسر التي ظهرت في اليمن من الزيدية هم أسرة الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين، وبنو حمزة، وأولاد العياني.

ومن القوى السياسية التي استولت على بعض مناطق اليمن ولم تدن بالطاعة لأي من الخلافتين المذكورتين، هم بنو مهدي الذين نهجوا نهجاً آخر عن اتجاه أهل السنة الموالين للعباسيين أو الاسماعيلية الموالين للفاطميين أو الزيدية، فكونوا لانفسهم سلطة بعيدة عن تلك الاتجاهات جميعها[13].

وفي العهد الأيوبي كانت السلطة الأيوبية الحاكمة في اليمن تابعة لسلطنة مصر وكلاهما تتبعان الخلافة العباسية، حيث تولى رئاسة الدولة سلاطين أو ملوك من البيت الأيوبي يحملون تفويضاً عاماً لحكم اليمن. من قبل سلاطين مصر. فمثلاً أعطى صلاح الدين أخاه سيف الإسلام طغتكين تفويضاً عاماً لإدارة إقليم اليمن عندما أرسله إليها لإعادة توحيدها سنة 579 هـ/ 1183م[14]. ثم تتالى الأيوبيون يحكمون اليمن بنفس التبعية والتفويض العام للإدارة إقليم اليمن حتى نهاية حكمهم سنة 626 هـ/ 1228م.

ثانياً: الوراثة في الحكم:

والملاحظة العامة أن نظام الوراثة لم يظهر في مناصب الإمارة فقط وإنما ظهر أيضاً في مناصب الوزارة والنيابة والإدارة والقضاء، وسوف نظهر هذه الوراثة عند الحديث عن هذه المناصب.

عمل أمراء الدول اليمنية المختلفة على جعل الحكم وراثياً في أسرهم منذ بداية الدول المستقلة في اليمن في عهد بني زياد. وكذلك كان الأمر بالنسبة لبني نجاح والصليحيين وبني رريع

---

(12) د. أحمد صبحي: الزيدية، ص:69. الإسكندرية، 1980

(13) عمارة: المفيد، ص:236، الخزرجي: العسجد، ص:140 - 141، ابن الديبع: قرة العيون، ص:373، د. محمد أمين صالح: دولة الخوارج في اليمن، ص:132، د. محمد عبدالعال: الأيوبيون في اليمن، ص:61.

(14) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، جـ 10، ص:111.

وبني حاتم وبني مهدي وغيرهم من الأسر الحاكمة في اليمن. وكانت الوراثة تنتقل مابين الأبناء أو الاخوة.

فبالنسبة لبني نجاح في زبيد وتهامة تولى بعد نجاح ابنه سعيد الاحول الى أن مات سنة 461 هـ/ 1069م[15]. ثم تولى بعده أخوه جياش ابن نجاح، ومن بعده استمرت السلطة في بيت جياش إلى أن انتهت الدولة النجاحية بقتل الأمير فاتك ابن محمد بن منصور بن فاتك بن جياش النجاحي سنة 553 هـ/ 1158م[16].

كذلك جرى التوريث في زبيد عند بني مهدي، فبعد أن تولى علي بن مهدي السلطة في زبيد سنة 554 هـ/ 1559م لم يمكث غير ستة أشهر تولى بعده السلطة ابنه مهدي بن علي، ثم تولى بعده أخوه عبدالنبي بن مهدي، واستمر في الحكم إلى أن قدم الأيوبيون إلى اليمن سنة 569 هـ/ 1173م[17].

ووجد نظام الوراثة في الحكم أيضاً عند الصليحيين (429 - 532 هـ) وكان التوريث عندهم مرتبطاً بموافقة الخلافة الفاطمية، فلما رغب علي الصليحي أن تكون السلطة في ولاية اليمن وراثية في أسرته كتب رسالة إلى الخليفة الفاطمي المستنصر بالله يطلب منه أن يعهد إلى ابنه محمد الأغر بولاية العهد، فوصلته الموافقة لابنه بولاية العهد في رجب سنة 456 هـ/ يونيو 1064م، ولقب بالأمير الأعزل شمس المعالي، إلا أنه لم يعش طويلاً إذ توفي سنة 458 هـ/ 1065م، ولما علم المستنصر بالله الفاطمي بوفاته عهد بولاية العهد لابنه الآخر الأوسط الأمير المكرم أحمد بن علي بن محمد الصليحي وذلك في سنة 458 هـ/ 1065م، ولما ذهب علي الصليحي للحج سنة 459 هـ/ 1067م أناب عنه أمر اليمن لابنه الأمير المكرم حسب توليته ولاية العهد[18].

---

(15) بعد قتل نجاح تأرجحت السلطة على زبيد وتهامة، فيما بين الصليحيين والنجاحيين عهد سعيد الأحول فتارة كان يستولي عليها الصليحيون، وتارة أخرى يستردها النجاحيون إلى أن تغلب عليها جياش بن نجاح نهائياًسنة 477 هـ مثبتاً الحكم في أسرته ومتحدياً غارات الصليحيين على تهامة (عمارة: المفيد، ص:148 - 149، الخزرجي: العسجد، ص:64، ابن الديبع: قرة العيون، ص:266 - 269).

(16) انظر، الخزرجي: العسجد، ص:104 - 128، ابن الديبع: قرة العيون، ص:341 - 359.

(17) انظر، الخزرجي: العسجد، ص:128 - 145، ابن الديبع: قرة العيون، ص:359 - 373.

(18) مجهول: السيرة الصليحية، ص:14، 17، الهمداني: الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن، ص: 95 — 96، د.حسن ابراهيم حسن: اليمن البلاد السعيد، ص:78، د. محمد أمين صالح: العلاقة بين دولة =

أما من جانب الخلافة الفاطمية، فلما علم المستنصر بالله الفاطمي بقتل الداعي علي الصليحي أصدر تقليداً للمكرم بتوليته إقليم اليمن فأرسل إليه رسالة في شعبان سنة 460 هـ/ يونيو 1068م، أوضح فيها له عن أسفه لقتل أبيه وعهد إليه أمر اليمن ونشر الدعوة بها[19]. بذلك يكون المكرم قد تولى الأمر بعد أبيه وراثياً بموافقة الخليفة الفاطمي المستنصر بالله. على ذلك أصبح المكرم أحمد هو المسؤول عن تولية وعزل من يشاء من ولاة اليمن.

وعندما توفي المكرم خلف طفلاً تحت وصاية أمه، ولكي تكسب أمه السيدة الحرة حقاً شرعياً من الخليفة الفاطمي المستنصر بالله أرسلت إليه تطلب منه أن يستخلف ابنها الذي سمي علي بن المكرم، ولقب عبد المستنصر مكان أبيه في ولاية اليمن[20]. وحسب سير الفاطميين على الالتزام بمبدأ الوراثة في تولي الابن الاكبر أو الموصي له بالخلافة[21]. وبناء على ما اعتاد عليه الخليفة الفاطمي المستنصر بالله من إعطاء تولية العهد لأبناء الصليحيين، وهو ما يدخل ضمن نطاق اختيار الخليفة وتفويضه. فقد وافق المستنصر بالله الفاطمي على جعل ابن المكرم يتولى مقاليد أمور اليمن بعد أبيه[22]، لذلك أرسل المستنصر بالله الفاطمي رسالة إلى السيدة الحرة ينصب ولدها الأصغر علي بن المكرم ويقلده المكانة التي كان عليها أبوه، وهي تولي إقليم اليمن ومقاليد الدعوة الاسماعيلية بها، وجعل حق الوصية للسيدة الحرة حكم الدولة وإدارتها نيابة عن ابنها الطفل حتى يبلغ رشده، إذ يقول النص: (فقد جعل إليك أمير المؤمنين النظر في تلك البلاد والأعمال ومراعاة دعاتها وانتظام حال الدعوة فيها)[23].

= الصليحيين والخلافة الفاطمية، ص:62 - 63.

(19) مجهول: السيرة الصليحية، ص:18، 88، د. جمال الدين سرار: 1) النفوذ الفاطمي في جزيرة العرب، ص:80، 2) سياسة الفاطميين الخارجية، ص:84، د. محمد أمين صالح: العلاقة بين دولة الصليحيين والخلافة الفاطمية، ص:64، د. عصام الفقي: اليمن في ظل الإسلام، ص:56.

(20) حسن إبراهيم حسن: اليمن البلاد السعيد، ص:83، د. جمال الدين سرور: 1) النفوذ الفاطمي في جزيرة العرب، ص:83، 2) سياسة الفاطميين الخارجية، ص:87، حسين الهمداني: الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن، ص:148، 149، مصطفى غالب: أعلام الاسماعيلية، ص:149.

(21) د. حسن سليمان: تاريخ اليمن السياسي، ص:197، عارف تامر: اروى بنت اليمن، ص:121.

(22) السجلات المستنصرية، سجل رقم 38 ، ص:161، 165، حسين الهمداني: نفس المرجع، ص:141 – 150، د. محمد أمين صالح: العلاقة بين دولة الصليحيين والخلافة الفاطمية، ص:67.

(23) السجلات المستنصرية، سجل رقم37، ص:163، سجل رقم 50، ص:166، 169.

وعندما عارض بعض اليمنيين تولية الأطفال السلطة في اليمن رد عليهم الخليفة المستنصر بالله الفاطمي أنه يجوز تولي الأطفال، فأورد دليلاً يوافق مفهوم الاسماعيلية الفكري والسياسي بأنه فوض (لأمير المؤمنين الخلافة وسنه دون الثمان سنين وجده علي بن الحسين تولى الخلافة وعمره تسع سنين وقد جاز هذا في الإمامة وهي الدرجة التي تلي النبوة فكيف الدعوة التي لأمير المؤمنين أن يتصرف فيها على اختياره ويفوض إلى من يرتضيه ويختاره)[24]، بذلك المفهوم وهو الاختيار والتفويض من الخليفة الفاطمي لمن يرتضيه اقتنع الناس في اليمن بولاية علي بن المكرم تحت وصاية والدته.

كذلك وجدت الوراثة في الولايات أو الأقاليم التابعة للصليحيين مثل إقليم عدن وإقليم صنعاء والتي استمرت تحت التبعية للصليحيين ثم استقلت عنهم.

ففي إقليم عدن ولي المكرم أحمد الصليحي عليها كل من العباس والمسعود ابني الكُرَّم الهمداني سنة 469 هـ/ 1076م قسمة بينهما، استمر ابناؤهما يحكمون عدن وراثياً إلى أن تولاها كل من سبأ بن زريع وابن عمه علي بن أبي الغارات حيث حدث خلاف بين عمالهما حول جمع المال في عدن أدت إلى حرب فيما بينهما تمكن خلالها سبأ بن زريع من الانتصار على ابن عمه فانفرد بحكمه لعدن وأعمالها[25].

واستمر اولاد سبأ بن زريع بمفردهم يتوارثون السلطة في عدن، فبعد سبأ بن زريع تولى ابنه علي الاعز سنة 533 هـ/ 1138م لفترة بسيطة ثم تولى أخوه محمد بن سبأ سنة 534 هـ/ 1139م،

---

(24) السجلات المستنصرية، سجل رقم 37، ص:127، د. محمد جمال سرور: 1) النفوذ الفاطمي في جزيرة العرب، ص:84، 2) سياسة الفاطميين الخارجية، ص:88، د. محمد أمين صالح: دولة الصليحيين والخلافة الفاطمية، ص:67 - 68.

(25) عمارة: المفيد، ص:172 - 177، الجندي: السلوك، جـ2، ص:501، ابن عبدالمجيد: بهجة الزمن، ص:82 - 84، الخزرجي: العسجد، ص:84 - 88، ابن الديبع: قرة العيون، ص:304 ــ 309، أحمد فضل العبدلي: هدية الزمن في أخبار الملوك ولحج وعدن، ص:54 ــ 55، د. حسن سليمان: تاريخ اليمن السياسي، ص:222 - 226، محمود الحامي: اليمن شماله وجنوبه، ص:172، د. فضيله الشامي: إمارة آل زريع بعدن (476 - 569)، ص:100 - 102، مجلة المؤرخ العربي 1978/74م، د. محمد أمين صالح: بنو معن ثم آل زريع في عدن، ص:326 - 328، د. محمد كريم: عدن دراسة في أحوالها السياسية والاقتصادية (476 ــ 626)، ص:115، محمد الحداد: التاريخ العام لليمن، ص:296 - 299

ثم ابنه عمران بن محمد بن سبأ سنة 550 هـ/ 1155م، ولما توفي عمـران سـنة 560 هـ/ 1164م ترك خلفه أولاداً صغاراً تحت كفالة جوهر المعظمي وفي عهده دخل الأيوبيون إلى اليمن[26].

وفي إقليم صنعاء تولي الحكم فيها وراثياً ثلاث أسر همدانية أولهم آل الغشم المغلسي مـن سنة 492 هـ / 1098م حتى سنة 510 هـ/ 1016م، وثانيهم أسرة بني القبيـب الهمدانـي مـن سـنة 517 هـ/ 1123م حتى سنة 532 هـ/ 1137م ، أما الثالثة فهي أسرة اليـامي الهمداني تولـت حكـم صنعـاء سنة 533 هـ/ 1138م باختيار قبيلة همدان لحاتم بن أحمد بن عمران اليامي بن المفضل اليامي واستمر حاتم يحكم صنعاء وأعمالها إلى سنة 556 هـ/ 1160م، فتولى بعده ابنـه علـي بـن حـاتم اليـامي[27] ثـم أخوه السلطان بشر بن حاتم.

وامتدت الوراثة في السلطة إلى بعض الشخصيات الكبـيرة الـتي اسـتعان بهـا الصليحيـون مثل أبي البركات الحميري الذي يرجـع الاسـتعانة بـه إلى فـترة انتقـال المكـرم أحمـد الى ذي جبلـة وجعلها عاصمة له سنة 467 هـ/ 1074م، حينما ولي أبي البركات الحميري على حصن التعكـر ومـا حوله، ثم أصبح تولي الحصن وراثياً في أولاد أبي البركات الحميري، حيث تولي بعده ابنه خالد ثـم أخوه المفضل ثم ابنه منصور بن المفضل بن أبي البركات الذي باع منطقة ولايته التي ورثهـا عنهـم الى الداعي محمد بن سبأ الزريعي سنة 547 هـ/ 1152م[28]، ما عدا حصن صبر في تعز الذي ظـل بـه أحمد بن منصور بن الفضل بن أبي البركات.

كذلك وجدت السلطة الوراثيـة عنـد الأئمـة الزيديـة في كثير مـن الاحيـان، وإن كـانت السلطة في نظام الأئمة الزيدية تتم عن طريق المبايعة، والتي تسمح بانتقال الامامة من إمام الى آخر من ابناء عمومتهم. إلا أنها اتبعت هي الاخرى نظام الوراثة في الابناء، فأول من تولى الامامة وراثياً عند الزيدية في اليمن الامام المرتضي وأخوه الامام النـاصر ابـني الامـام الهـادي الى الحـق، ثـم ابنـه المنصور يحيى بن الناصر أحمد سنة 366 هـ/ 976م[29].

---

(26) عمارة المفيد، ص:177 ـ 191، الجندي: السلوك، جـ2، ص:501 ـ 505.

(27) الخزرجي: العسجد، ص:71 ـ 83، ابن الديبع: قرة العيون، ص:278 ـ 303.

(28) عمارة:المفيد، ص:172-191، الخزرجي: العسجد، ص:83-96، ابن الديبع: قرة العيون، ص:305 ـ320.

(29) زيادة: أئمة اليمن، ص:65، الواسـعي: تـاريخ اليمـن، ص: 179، المرتضـي محمـد بـن يحيى بـن الحسـين والناصر أحمد بن يحيى.

كذلك قام بالاحتساب للزيدية معاصراً للصليحيين كل من الشريف الفاضل القاسم بن جعفر، ولما قتل سنة 468 هـ/ 1075م في الجوف قام بأمر الاحتساب أخوه ذو الشرفين، واستمرحتى وفاته سنة 478 هـ/ 1085م[30].

كذلك تولى بعد الإمام أحمد بن سليمان سنة 566 هـ/ 1170م ابنه يحيى وإن لم يستقر في السلطة بسبب صراعه مع الامام عبدالله بن حمزة الذي توفي سنة 614 هـ/ 1217م والذي ولي بعده ابنه الامير عزالدين بن المنصور بالله ولقب بالناصر لدين الله[31].

كذلك استمرت الوراثة عند الأيوبيين في حكمهم لليمن، فبعد أن تولى حكم اليمن تورانشاه (569 - 571 هـ/ 1174 - 1176م) تولى بعده أخوه سيف الإسلام طغتكين بن أيوب (579 - 593 هـ/ 1183 -1197م) ثم أصبحت السلطة في اليمن وراثية في ولدي طغتكين وهما المعز إسماعيل (593 - 598 هـ/ 1197 - 1202 م) ثم أخوه الناصر (598 - 611 هـ/ 1202 - 1214م)[32]. وهكذا سار نظام الوراثة في تولي السلطة في اليمن في جميع دويلاتها.

وقد أدى النظام الوراثي في تولي السلطة في اليمن إلى صراع فيما بين الأسرة الواحدة. ومن أمثلة ذلك الصراع ما حدث بين أولاد الأسرة النجاحية حول تولي السلطة في زبيد وأعمالها[33]. وما حدث بين بني زريع وأبناء عمومتهم حول تولي السلطة في عدن[34]،وهذا الصراع فيما بين الاخوة والأقارب حول السلطة أدى إلى التأثير على الوضع الإداري في اليمن. كما تسبب في أنهيار تلك الدويلات.

---

(30) زبارة: اتحاف المهتدين، ص:52. صنعاء، 1343 هـ.

(31) زبارة: أئمة اليمن، ص:118، 147، الواسعي: تاريخ اليمن، ص:179، 192.

(32) دائرة المعارف الاسلامية، جـ5،ص:560، وانظر ابن حاتم: السمط،الخزرجي: العسجد، ابن الديبع: قرة العيون، د. محمد عبدالعال: الأيوبيون في اليمن.

(33) انظر زهران رياض: دولة حبشية في اليمن، د. محمد أمين صالح: بنو نجاح في زبيد، عمارة: المفيد، ابن عبدالمجيد: بهجة الزمن، الخزرجي: العسجد، ابن الديبع: قرة العيون.

(34) انظر. فضيلة الشامي: إمارة آل زريع بعدن، د. محمد أمين صالح: بنو معن ثم آل زريع في عدن، د. محمد كريم: عدن دراسة في أحوالها السياسية والاقتصادية (476 - 626).

الفصل الثـــاني

النـــــظـــام الإداري

تعـددت ألقـاب حكـام الأقـاليم في الـدول اليمنيـة بـين لقـب والي في عهـد بـني نجـاح والصليحيين، ولقب نائب في عهد بني زريع والأيوبيين، فضلاً عن لقب الأتابك أو الإقطاع في عهد الأيوبيين.

أولاً الولاة:

اتبع الأمراء نظام الولاية بتعيين حكاماً لهم على الأقاليم التابعة للدولة. وكـان أهـم عمـل للولاة هي تنفيذ أوامر حكام اليمن وطاعتهم، والقيـام بالاشـراف علـى الأعمـال الإداريـة والماليـة والعسكرية لولايتهم أو إقليمهم. مثلاً كان نجاح قبل توليه الإمـارة واليـاً مـن قبـل بـني زيـاد علـى أعمال الكدراء والمهجم ومور والواديين، وهي تشكل نصف مالية زبيد وأعمالها التهامية[1]. وكان مناصراً لأمرائه حتى لقب بنصير الدين. كذلك القائد سرور كان والياً على المهجم[2]، وقد ارتفعت مكانة القائد سرور إلى رتبة وزير التفويض للأمير فاتك بن منصور في أواخر عهد دولة بني نجاح.

وكان أسلوب التولية عند الصليحيين أنهم يولون من يثقون بهم[3] من أسرهم وأقربـائهم، ومن المخلصين لهم ممن لهم كفاءة ومقدرة في تولي أعمال المدن والحصـون وإدارتهـا وقيـادة الجنـد. ولا غرابة في ذلك فإن الصليحيين كـانوا شـيعة إسماعيليـة، بينمـا كـان معظـم اليمـن آنـذاك علـى مذهب أهل السـنة منـاصرين للخلافـة العباسـية. لذلـك كـان اعتمـاد الصليحيـيّن علـى أقربـائهم وشيعتهم في تـولي السـلطة الادارية والعسـكرية وخاصـةً في الوظـائف الكبـيرة. فمثـلاً وَلّـى علـي الصليحي صهره أسعد بن شهاب بن جعفر الصليحي علـى زبيـد وأعمالهـا التهاميـة[4]. وولى أخـاه

---

(1) عمارة: المفيد، ص:84، الخزرجي: العسجد، ص:104، ابن الديبع: قرة العيون، ص:332.

(2) عمارة: المفيد، ص:226.

(3) عمارة: المفيد، ص:126، حسين الهمداني: الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن، ص:87، 106.

(4) عمارة: المفيد، ص:120، ابن عبدالمجيد: بهجة الزمن، ص:76، الخزرجي: العسجد، ص: 58، ابن الديبع: قرة العيون، ص:247، مجهول: السيرة الصليحية، ق14، الهمداني: الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن، ص:87، محمد الحداد: التاريخ العام لليمن، جـ2 ،ص: 127.

عبدالله بن محمد الصليحي على حصن التعكر المشرف على ذي جبلة وأعمالها[5]، إلى أن قتل مع الصليحي عام 459هـ/ 1066م، فتولاه ابنه أسعد ثم نقل ولايته إلى حصون ريمة وأعمالها في عهد المكرم أحمد بن علي الصليحي.

كما ولى المكرم على حصن التعكر أحد الزعامات القبلية الموالية له وهو أبو البركات الحميري، كذلك ولى على حصن تعز أبا الفتح بن الوليد الحميري أخو أبي البركات[6]. وولى على حصن أشيح ابن عمه سبأ بن أحمد الصليحي[7]. أما صنعاء وأعمالها فقد ولي عليها عمران بن الفضل اليامي وأبا السعود أسعد بن شهاب الصليحي[8]، وعلى مغارب اليمن الأعلى ولي عامر بن سليمان الزواحي[9]. وعلى مخلاف البياض عبدالله بن موسى بن هارون[10]. وهكذا نجد ان المكرم قد مارس سلطته الادارية وغيرها فأعاد الدولة الصليحية إلى ما كانت عليها عهد أبيه من الوحدة والتماسك.

وعندما قارب أجل المكرم أوصى إلى زوجته السيدة الحرة إدارة الحكم في اليمن والتي كانت في حياته تشاركه إدارة الدولة، وإلى جانبها أوصى في الدعوة الإسماعيلية إلي ابن عمه سبأ بن أحمد الصليحي[11]. وزكى هذه التوصية الخليفة الفاطمي.

بعد ذلك أصبحت السيدة الحرة صاحبة السلطة الشرعية في حكم اليمن، فباشرت عملية التولية والعزل حسب التفويض الصادر إليها من الخليفة الفاطمي، فقامت بتولية المفضل بن أبي

---

(5) عمارة: المفيد، ص:139، ابن المجاور: صفة بلاد اليمن، ص:169، الخزرجي: نفس المصدر، ص:62، ابن الديبع: نفس المصدر، ص:261 - 262.

(6) عمارة: المفيد، ص: 154 - 155، الوصابي: تاريخ وصاب، ص:42.

(7) عمارة: المفيد، ص: 147، ابن عبدالمجيد: بهجة الزمن، ص:80، الخزرجي: العسجد، ص:62.

(8) عمارة: المفيد، ص: 142، الخزرجي: العسجد، ص: 62، ابن الديبع: قرة العيون، ص: 362 – 363، الهمداني: الصليحيون، ص: 137، حسن سليمان: تاريخ اليمن، ص: 192

(9) مجهول: السيرة الصليحية، ص:45، د. حسن سليمان: تاريخ اليمن السياسي، ص:186، عارف تامر: أروى بنت اليمن، ص:90 - 91. سلسلة اقرأ عدد: 33، القاهرة.

(10) مسلم اللحجي: تاريخ مسلم اللحجي (خ) ق195، صورة لدى الباحث.

(11) عمارة: المفيد، ص:146، بامخرمة: ثغر عدن، ص:41، د. محمد أمين صالح: العلاقة بين دولة الصليحيين والخلافة الفاطمية، ص:67، د. عدنان الترسيسي: اليمن وحضارة العرب، ص:96.

البركات على حصن التعكر وأعماله واعتمدت عليه في كثير من أمور الدولة وسياستها، فكانت تستشيره وتعمل برأيه في كثير من أعمالها حتى بلغت مكانته مرتبة عالية فأصبح لديها من أهم قادة الدولة إلى درجة أنها كانت لا تقطع أمراً إلا برأيه[12] لكونه يتزعم القوى القبلية والعسكرية التي كانت تناصرها. وبعد موت المفضل سنة 504هـ/ 1110م ولت مكانه ابن عمه أسعد بن أبي الفتوح الحميري الذي استمر حتى قُتل سنة 514هـ/ 1120م[13]. فتولى بعده المنصور بن المفضل بن أبي البركات الحميري ثم ابنه أحمد بن المنصور.

كما اعتمدت السيدة الحرة في شؤون الحكم والإدارة على كثير من القادة الصليحيين منهم سبأ بن أحمد الصليحي الذي كان متولياً حصن أشيح المقابل لتهامة والذي ظل منه يقاوم النجاحيين في تهامة حتى وفاته سنة 491هـ/ 1098م[14]. وأسعد بن عبدالله الصليحي الذي تولى حصن قيظان في الشعر[15]، وعامر بن سليمان الزواحي الذي كان متولياً مغارب اليمن الأعلى[16]، ثم ابنه سليمان الذي تولى بعده كما تولى عبد الله بن يعلي الصليحي حصن خدد[17].

ومن ضمن أعمال التولية التي قام بها الامام الزيدي عبدالله بن حمزة للمناطق التي سيطر عليها في اليمن الأعلى وَلّى قاسم بن مطرف الاهنومي عاملاً على منطقة (الحموس) من بلاد الاهنوم وما اليها، وولى على بلاد سفيان في أرض بكيل الشريف حاتم بن علي القاسم[18]. كما ولى على الجوف أخاه صارم الدين إبراهيم بن حمزة، ولما قتل ولاها أخاه الاخر الأمير الحسن بن حمزة[19]. كذلك ولى الأمير عماد الدين بن حمزة بن سليمان مايلي بني صريم إلى بلاد الطرف، وما

---

(12) عمارة: المفيد، ص:155، الخزرجي: العسجد، ص:66، الهمداني: الصليحيون، ص:62.

(13) الجندي: السلوك، جـ2، ص:498، الخزرجي: العسجد، ص:68، ابن الديبع: قرة العيون، ص:274، الهمداني: الصليحيون، ص:167.

(14) عمارة: المفيد، ص:146 - 148، الخزرجي: العسجد، ص:64، الهمداني: الصليحيون، ص:150 - 154.

(15) الخزرجي: العسجد، ص:161، الهمداني: الصليحيون، ص:163.

(16) مسلم اللحجي. تاريخ مسلم اللحجي، ق195، مجهول: السيرة الصليحية، ص:45.

(17) عمارة: المفيد، ص:160، الوصابي، ص: 44، عن السيدة الحرة انظر حياة عبدالقادر أحمد المرسي: دور السيدة الحرة أروى ست أحمد الصليحي في اليمن 473 - 532هـ/ 1080 - 1138م. رسالة ماجستير، جامعة الملك عبدالعزيز، 1499/1500هـ/1979-1980م.

(18) يحيى بن الحسين: غاية الاماني، حـ1، ص:377، 383.

(19) يحيى بن الحسين: نفس المصدر، ص:385، زبارة: أئمة اليمن، جـ1، ص:129.

يتصل بها من بلاد حمير ونواحيها إلى بكر وإلى مساقط حراز. وولى الأمير شمس الدين يحيى بن أحمد شمال بلاد خولان صعدة والاهنوم وبني جماعة بصعدة وبني بحر، وأيضاً ولى الأمير بدر الدين محمد بن أحمد الحسني صنو الأمير شمس الدين نجران، وعلي بن الحسن على صعدة، ثم ولى بعد ذلك على صعدة وأعمالها ونجران وما يتصل به الأمير مجد الدين يحيى بن بدر الدين محمد بن أحمد بن يحيى الحسني، ولما استشهد ولاها أخاه تاج الدين[20]. كذلك ولى على الظاهر الشيخ أمين الدين وعلى عيان وما يليه إلى نواحي الجهات الغربية من بلاد حجور وقحطان الأمير صفي الدين محمد بن إبراهيم. كما أقام الأمير علم الدين بن شمس الدين يحيى بن جعفر على الحقل وما يليه من بلاد جنب نجران وعلى مذحج نجران أيضاً كل من الشيخ سعد والشيخ مفضل بن رزاح وسليمان بن ناصر الدين بن عبدالله السحامي[21].

وهكذا نجد أن الأئمة الزيدية ظلت محصورة في اغلب فتراتها في ما يسمى باليمن الأعلى هضبة شمال صنعاء، كما أنها ظلت في صراع مستمر مع جميع القوى التي سيطرت على اليمن.

أما الأيوبيون فكانوا يختارون لإقليم اليمن في الغالب حكاماً من أقاربهم ومن رجالهم المخلصين لهم، الذين لهم كفاءة وقدرة على إدارة الأقاليم. وكانوا يحملون ألقاباً مختلفة مثل والي أو نائب أو إقطاع أو أتابك.

في البداية عين تورانشاه كبار رجاله حكاماً على الأقاليم يحملون لقب نائب[22]. كما سنعرض فيما بعد. ونظراً لمحاولات النواب الاستقلال وقت غياب تورانشاه فقد عاد طغتكين وكذلك ابنه المعز إسماعيل إلى نظام الولاية بدلاً من النيابة بجانب منح حكم الأقاليم كإقطاع.

---

(20) ابن المهلا: علم الافادة، ق69، مجهول: بعض أمراء اليمن. مخطوط رقم 990، معهد إحياء المخطوطات العربية، جامعة الدولة العربية، ق3.

(21) ابن المهلا: علم الافادة، ق69. عن الدولة الزيدية انظر: محمد عبدالله ماضي: دولة اليمن الزيدية، المجلة التاريخية المصرية. مج 3،14، مايو 1950م، ص: 15- 35. صلاح مهران: الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في دولة الأئمة الزيدية (284- 858) رسالة دكتوراه، جامعة المنيا، سنة 1987م.

(22) كذلك عمل تورانشاه على مصالحة بعض الزعامات القبلية بابقائها في السلطة مقابل دفع مبالغ مالية، من ذلك مصالحة صاحب بلاد جنب في عنس (ابن حاتم: السمط، ص:17) ومصالحة صاحب طمار أحد زعماء تهامة. أبوشامة: الروضتين، جـ1، ق2، ص:554.

فقد ولى طغتكين على (عدن) (ابن عين الزمان)[23] وعلى (ذمار) مظفر الدين قايماز[24]، ثم تحولت فيمابعد إلى إقطاع. كما عزل المعز إسماعيل والي عـدن وعين مكانـه الأمير شـجاع الديـن مهكار بن محمود[25]، أما في عهد الناصر فقد ظهر نظام الأتابكة. وفي عهد المسعود عاد إلى تولية النواب كما سيتضح فيمابعد.

الأتابـــك:

وانتقلت وظيفة الاتابك إلى اليمن على يد الأيوبيين، ويعني لفظ الاتـابك مربـي الأمـير أو أمير أب أو أبو الأمراء. ويعتبر الاتابك أكبر الأمراء المقدمين بعد النائب الكافل[26]. ويتولى الاتابك ادارة الاقليم وقيادة الجند وغيره. وممن تـولى منصـب الاتـابك في اليمـن سيف الديـن سنقر سـنة 598هـ/ 1201م بعد قتل الاكـراد للمعـز إسمـاعيل في زبيـد، وذلـك عـن طريـق استدعائه مـن قبـل الاكراد وتنصيبه من قبلهم اتابكاً للناصر ابن طغتكين الـذي كـان لايـزال طفـلاً[27]. فباشـر سـلطة التولية والعزل، فولى على عـدن الأمير (برعـش) وعندمـا تمـرد عليـه عزلـه وولى مكانـه أحمـد بـن عبدالله بن عبدالوهاب، وولى على زبيد عز الدين مهكار بن محمود بعد عزلة عن ولاية عدن[28].

وبعد وفاة الاتابك سنقر سنة 609هـ/ 1212م دعا الملك الناصر الاتابك غـازي بـن جـبريل وجعله صاحب بابه ثم استاذ داره، ثم أتابكاً له[29]. وعامل الاتابك غـازي أكـابر النـاس والأمـراء

---

(23) الجندي: السلوك، جـ2، ص:528، ابـن الديبـع: قـرة العيـون، ص:387، بامخرمـة: ثغـر عـدن، ص:133، العبدلي: هدية الزمن، ص:74، د. محمد عبدالعال: الأيوبيون في اليمن، ص:123، محمد مسـفر عسـيري: الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في اليمن في العصر الأيوبي، ص:97.

(24) ابن حاتم: السمط، ص:27، الخزرجي: العسجد، ص:161، ابن الديبع: قرة العيون، ص:389، الكبسـي: اللطائف السنية، ص:56، د. محمد عبدالعال: نفـس المرجـع، ص:129،د.عصـام الديـن الفقـي:اليمـن في ظل الاسلام، ص:211، د. جميل حرب: الحجاز واليمن في العصر الأيوبي، ص:104.

(25) ابن حاتم: السمط، ص:85.

(26) القلقشندي: صبح الاعشى، جـ2، ص:18.

(27) ابن حاتم: السمط، ص:85، ابـن عبدالمجيـد: بهجـة الزمـن، ص:135، د. محمـد عبدالعـال: الأيوبيـون في اليمن، ص:186 - 187.

(28) ابن حاتم: السمط، ص:85،103،104،105.

(29) ابن حاتم: السمط، ص:148 - 149.

بالتخلص منهم بالسم فاستمر يفنيهم الواحد بعد الاخر حتى أفنى عدداً كبيراً منهم ويقال أنه هو الذي سقى مولاه الملك الناصر بالسم طمعاً في السلطة إلا أنه قتل على يد الجند في إب في المحرم سنة 611هـ/ مايو1214م[30].

النواب

وجدت وظيفة نائب في اليمن عند بني زريع حكام عدن والأيوبيين، وكان هؤلاء النواب يختارون من أقدم رجال الجند وأكابر أمرائهم وأعيانهم[31]. وممن لهم خبرة في الاعمال الإدارية والعسكرية. وكان عمل النواب يمثل عمل الولاة مثل حماية مناطق نفوذهم، والاشراف الاداري عليها وتقليد العمال والكتاب والتوقيع على الاوأمر الادارية[32]. وجمع أموال بيت المال من زكاة وضرائب وصرف الاعطيات للجند وبناء مرافق عامة مثل بناء مساجد ومدارس ومدن وطرق وغيره[33].

وظهرت وظيفة النائب في عدن لكل من سبأ بن زريع وابن عمه علي بن الغارات[34]. لما انفرد سبأ بن زريع بالسلطة، جعل أبا الندى بلال بن جرير المحمدي نائباً له بها بالاضافة إلى تولية الوزارة[35]. وقد أدى النائب بلال المحمدي دوراً بارزاً في خدمة الزريعيين، فقد كان قائداً لجيش سبأ الذي اتجه للاستيلاء على عدن ثم تولى بها النيابة[36].

كذلك استدعى بلال محمد بن سبأ من ذي جبلة ليوليه سلطة الدولة الزريعية بعد موت اخيه الاعز بن سبأ سنة534هـ/ 1139م فاستقبله قرب عدن واستحلف له العسكر جميعاً وانزله دار المنظر[37]. كما وجهه إلى الدملوة للقضاء على أنيس ووزيره يحيى العامل اللذين تركهما الاعز

---

(30) ابن حاتم: السمط، ص:148، 152، 154، يحيى بن الحسين: غاية الاماني، جـ1، ص:395، 398 — 399، د.محمد عبدالعال: الأيوبيون في اليمن، ص:221 - 222، 227 - 231.

(31) ابن عبدالمجيد: بهجة الزمن، ص: 131، الخزرجي: العسجد، ص:155.

(32) القلقشندي: صبح الاعشى، جـ4، ص:16، محمد عسيري: الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في اليمن في العصر الأيوبي، ص.210.

(33) الجندي: السلوك، جـ2، ص:523، ابن الديبع. قرة العيون، ص:383.

(34) الخزرجي: العسجد، ص.84، ابن الديبع: قرة العيون، ص:306.

(35) انظر الوزارة.

(36) الخزرجي: العسجد، ص 85، ابن الديبع: قرة العيون، ص.307 - 309.

(37) الخزرجي: العسجد، ص 87 - 88، ابن الديبع قرة العيون، ص.309

يديران الدولة كاوصياء لاولاده الاطفال. واستمرت النيابة في أسرة بلال إلى زوال الدولة الزريعية[38].

وفي العهد الأيوبي عين تورانشاه نواباً له لحكم أقاليم اليمن والمخاليف والاعمال والحصون. فقد عين الأمير سيف الدين منقذ نائباً عنه على زبيد وأعمالها، كما ولى عثمان الزنجبيلي نائباً على عدن وما يتبعها، وولى ياقوت التعزي نائباً له على تعز ومخاليفها، وولى مظفر الدين قايماز نائباً عنه على حصن التعكر وذي جبلة ومخلاف جعفر[39]. كذلك استناب نواباً له على كل حصن استولى عليه في اليمن[40]. ثم ترك هؤلاء النواب سنة 571هـ/ 1176م وعاد إلى الشام، فاستمر هؤلاء النواب موالين لتورانشاه يبعثون إليه بمالية اليمن إلى الشام وإلى الاسكندرية بمصر إلى أن مات سنة 576هـ/ 1180م رمزاً للطاعة والتبعية له. وعندما تغيب تورانشاه عن العودة إلى اليمن تنافس هؤلاء النواب فيمن تكون له السلطة في اليمن بدلاً من تورانشاه، فرفض كل واحد منهم طاعة الاخر، فضرب كل واحد منهم العملة باسمه، والزم كل واحد منهم أهل بلدته بعدم التعامل الا بعملته[41].

وكان أبرز هؤلاء النواب نائبين هما نائب زبيد ونائب عدن باعتبار أن زبيد كانت مركزاً للدويلات السابقة وبها خزانة أعمال اليمن، وباعتبار أن عدن كانت فرضة اليمن وبها خزانتها التجارية وحدث بينهما التنافس، وقد استطاع صاحب عدن أن يستولى على حضرموت سنة 575هـ/ 1179م ويضمها إلى عدن[42]، كما استطاع أن يجذب إلى صفه نائب تعز ونائب ذي جبلة فوقفا معه في حربه ضد صاحب زبيد، حطان بن منقد الذي دخل معه في صراع وحروب، ولما

---

(38) الخزرجي: نفس المصدر، ص:88

(39) ابن حاتم: السمط، ص:20 ـ 21، ابن عبدالمجيد: بهجة الزمن، ص:131، الجندي: السلوك، جـ2، ص:522 ـ 523، الخزرجي: العسجد، ص:156، ابن الديبع: قرة العيون، ص: 382 ـ 383، د. محمد عبدالعال: الأيوبيون في اليمن، ص: 103، الشماحي: اليمن الانسان والحضارة، ص:124.

(40) ابن الاثير: الكامل في التاريخ، جـ1، ص:53، د. محمد عبدالعال: نفس المرجع والصفحة.

(41) ابن حاتم: السمط، ص:22، ابن عبدالمجيد، بهجة الزمن، ص:131، الجندي: السلوك، جـ2، ص:524، ابن الديبع: قرة العيون، ص: 384، يحيى بن الحسين: غاية الاماني، جـ1، ص:327، د.محمد عبدالعال: الأيوبيون في اليمن، ص:107.

(42) يحيى بن الحسين: غاية الاماني، جـ1، ص:327، العبدلي: هدية الزمن، ص:74.

رأى صلاح الدين اختلاف هؤلاء النواب خاف أن تطمع الزعامات القبلية اليمنية في العودة إلى الاستيلاء على اليمن، فأرسل الأمير المقدم (قتلغ ابه) أو (خطلبا بن موسى) الذي كان والياً على القاهرة إلى اليمن[43]، فسار هذا الأمير إلى عدن فقابله الزنجبيلي بالاجلال والتعظيم، واتفق معه على الذهاب لمحاربة حطان أو خطاب وهو محمد بن كامل بن منقذ نائب زبيد، فسارا معاً نحوه، وفي الجند تقابلا مع ياقوت التعزي ومظفر قايماز فساروا جميعاً نحو زبيد. فلما علم حطان بهم وعدد قوتهم لم يستطع البقاء لمقاومتهم فهرب نحو الجبال إلى حصن قوارير شرق زبيد[44]. فدخل الأمير قتلغ ابه أو خطلبا زبيد دون قتال فاستولى عليها سنة 574هـ/ 1178م، وظل يحكمها فترة قصيرة، فلما شعر بقرب أجله أرسل إلى حطان وقال له: (أنت أولى بالأمر من عثمان الزنجبيلي)[45] فعاد حطان يحكم زبيد سنة 576هـ/ 1180م، وبعودته عاد أمر اليمن إلى ماكان عليه من خلاف بين عثمان الزنجبيلي وحطان، وقد جرت فيما بعد بينهما حروب وفتن حتى اشتد بينهما الأمر فحاول الزنجبيلي الاستيلاء على زبيد بالقوة[46]. أمام ذلك اضطر صلاح الدين إلى إرسال أخاه سيف الاسلام طغتكين للقضاء على تلك الاختلافات وإعادة طاعتهم للسلطة الايوبية[47].

كذلك وجدت وظيفة نائب في عهد الملك المسعود في الفترتين اللتين عاد فيهما من اليمن إلى مصر. وقد اختلفت المصادر في ذكر من تولى له النيابة في هاتين الفترتين. فبعضهما تذكر أن الأمير نور الدين عمر بن رسول هو الذي تولى النيابة للملك المسعود في اليمن خلال الفترتين وهي الاولى سنة 620هـ/ 1123م والثانية سنة 626هـ/ 1129م[48]. وبعضها تذكر أن الذي تولى النيابة في

---

(43) ابن واصل:مفرج.الكروب في اخبار بني ايوب،جـ1،ص:104،محمد عبدالعال:نفس المرجع،ص:111-112

(44) ابن عبدالمجيد: بهجة الزمن، ص:142، الجندي: السلوك، جـ2، ص:524، محمد عبدالعال: الأيوبيون في اليمن، ص:113 ـ 114. الزنجيلي تطلق عليه بعض المصادر الزنجيلي.

(45) ابن عبدالمجيد: بهجة الزمن، ص:132.

(46) ابن واصل: مفرج الكروب، جـ2، ص:104.

(47) ابن عبدالمجيد: بهجة الزمن، ص:132، محمد عبدالعال: نفس المرجع، ص:114 ـ 115.

(48) ابن عبدالمجيد: بهجة الزمن، ص:138 ـ 139، الخزرجي: العسجد، ص:184 ـ 189، 192، ابن الديبع: قرة العيون، ص:416، 421، يحيى بن الحسين: غاية الاماني جـ1، ص:410، 117، الكبسي: اللطائف، ص:87 ـ 88، الانسي: اتحاف ذوي الفطن بمختصر انباء الزمن، ص:33، محمد عبدالعال: الأيوبيون في اليمن، ص:262 ـ 272، عصام الفقي: اليمن في ظل الاسلام، ص.232 ـ 234، الشماحي: اليمن =

الفترة الأولى هو الحسام لؤلؤ، أما الفترة الثانية فهو الأمير نور الدين بن رسول[49].

والذي يبدو أن الملك المسعود في الفترة الأولى أعطى السلطة العليا لحسام لؤلؤ بينما اعتمد في النواحي العسكرية في ضبط أمور اليمن على الأمير نور الدين عمر بن رسول، بدليل طلبه من الأمير نور الدين العودة من مكة إلى اليمن[50] لكي يتولى أعمالاً هامة بها، وبعد سفر الملك المسعود من اليمن اصبحت السلطة الفعلية للامير نور الدين وأخوته، حيث أن أغلب المعارك في اليمن في فترة عودة الملك المسعود إلى مصر، كان يديرها ابناء بني علي بن رسول ضد الزيدية وضد مرغم الصوفي الذي خرج في عنس وعتمة وما حولها في سنة 623هـ/ 1226م، وفي هذه الفترة إرتفع شأن بني رسول وسطوتهم في اليمن، مما جعل الملك المسعود يخاف منهم، فعند عودته إلى اليمن سنة 624هـ/ 1226م القى القبض على جميع أخوة الأمير نور الدين عمر بن رسول وأرسلهم إلى مصر[51]. أما الفترة الثانية فقد اتفقت المصادر على أن الملك المسعود أناب عنه في اليمن كلها سنة 626هـ/ 1228م الأمير نور الدين عمر بن رسول، فقد اراد الملك أن يجعل الحسام لؤلؤ نائباً عنه في اليمن، إلا أن الحسام لؤلؤ اعتذر أن يبقى بها، فنظر الملك المسعود في أرباب دولته وأعيانها وخواصها ليولى أحدهم، فلم يجد من يصلح للنيابة غير الأمير نور الدين عمر بن رسول، فعقد له الملك المسعود بالنيابة عنه في اليمن وقال له: (تقف أنت نائبنا حتى يصلك أمرنا بتسليم البلاد لمن يتعين له)[52]. وتعتبر هذه النيابة كما يسمونها نيابة الغيبة وهي التي يترك لها الوالي أو السلطان نائباً عنه في فترة غيابه[53]. ولما مات الملك المسعود في نفس السنة وهو ربيع الاول 626هـ/ يناير 1229م، بعد ذلك أصبح أمر اليمن بيد بني رسول.

الإقطاع

استخدم الأيوبيون نظام الإقطاع في اليمن كأحد اساليب النظم الادارية، ويعني قيام

= الانسان والحضارة، ص:125.

(49) ابن حاتم: السمط، ص: 175 - 176، 194 - 195.

(50) ابن حاتم: السمط، ص:175، محمد عبدالعال: نفس المرجع، ص:262.

(51) ابن حاتم: السمط، ص:192، 194، ابن عبدالمجيد: بهجة الزمن، ص:138 — 139، الخزرجي: العسجد، ص:188، محمد عبدالعال: نفس المرحع، ص:262 ، 273.

(52) ابن حاتم: السمط، ص:195.

(53) ابن عبدالمجيد: بهجة الزمن، ص:139.

المُقْطَعْ له بجمع موارد الإقطاع المالية من خراج وضريبة ومكوس وغيره[54]. والصرف منها عطاءات ومرتبات للجند بالاضافة إلى نفقات عسكرية اخرى. ويرجع استخدامهم للإقطاع إلى التواجد الأيوبي في اليمن، والذي كان قائماً على النظام العسكري[55]. كذلك منح الأيوبيون السلطة الإدارية لبعض المناطق على شكل إقطاع يحدد فيه مناطق نفوذهم وسلطتهم، وهو نظام يسهل للولاة والمقطع لهم فرض السلطة السياسية والعسكرية والادارية على المناطق المسيطر عليها، شريطة أن يدافع عنها وينظمها إدارياً، ويلتزم بأوامر والي إقليم اليمن من حيث الاستعانة به لاخضاع المناطق التي تقع تحت سلطتهم أو القضاء على أي تمردات ضدهم[56].

وكان الإقطاع في اليمن يمنح مدة بقاء المقطع له في السلطة سواء استمرت سنة أو عدة سنوات أو مدة حياته إذا بقي في السلطة[57]، وهو يشبه النظام الذي سارت عليه البلدان الاسلامية الاخرى[58]. وكانت المناطق تقطع على قدر كفايتها للجند المرتبين بها، فمثلاً كان من نقيل سرح إلى نقيل صيد يحمل كفاية ثلاثمائة فارس، ومن نقيل عجيب إلى نقيل سرح يحمل كفاية مائتي فارس. وفي حالة احتياج المنطقة لزيادة الجند المرتبين بها يضاف إليها مناطق أخرى[59].

ومن الإقطاعات ما أقطعه طغتكين من أرض اليمن مثل إقطاع الهمام أبي رَيَّا صنعاء من نقيل سرح إلى نقيل عجيب، وإقطاع رداع وبلاد عنس ومرعان، وإقطاع جهران وبلاد ألهان، وإقطاع الحقل لكبار الأيوبيين، وأمرهم بطاعة الهمام أبي ريا. وكان الهدف من وراء هذه التبعية، هو أن يستطيع الهمام مقاومة آل حاتم الذين تحصنوا في الجبال حول صنعاء، وكذلك مقاومة

---

(54) القلقشندي: صبح الاعشى، جـ3، ص:117.

(55) كما يرجع استخدام الإقطاع في اليمن إلى انتشاره في الامصار الاسلامية الاخرى،وممن طبق هذا النظام السلاجقة عهد (نظام الملك) وزير الملك ألب ارسلان وابنه ملكشاه، ومنهم انتشر إلى الدولة الأيوبية بمصر ثم اليمن، إبراهيم طرخان: النظم الإقطاعية في الشرق الاوسط في العصور الوسطى،ص:21 -23.

(56) من ذلك ماطلبه سنقر من والي صنعاء ورد سار بالتحرك معه إلى وصاب للقضاء على التمردات التي حدثت بها فاتجه الاتابك سنقر من تعز وورد سار من صنعاء فالتقيا في موضع يسمى الدغاري قرب وصاب. ابن حاتم: السمط، ص:133.

(57) ابن حاتم: السمط، ص:96، 148، 175، 194.

(58) القلقشندي: صبح الاعشى، جـ3، ص:117.

(59) ابن حاتم: السمط، ص:38 - 39، محمد مسفر، ص:229.

الأئمة الزيدية الذين كانوا بين الحين والاخر يحاولون مد سيطرتهم من صعدة إلى صنعاء كذلك أقطع طغتكين حَرَضَ للقاضي الاسعد، وأقطع القَحْمَة ياقوت القحمي[60].

ولم تستمر هذه الإقطاعات فقد ظلت تتغير بتغير الولاة على اليمن، كما أنها اتسعت فشملت معظم اليمن. ففي عهد المعز إسماعيل أبدل إقطاع صنعاء من الهمام أبي ريا إلى الشهاب الجزري، وأقطع حرض للامير هلندري[61]، ثم توقف.

أما في عهد سُنْقُرْ أتابك الناصر سنة 618 هـ - 611 هـ ، فقد كثرت الإقطاعات في اليمن في عهده وانتشرت بشكل واسع، فقد منح صنعاء إقطاعاً لورد شار من نقيل سرح إلى البون. وأقطع بكتمر السيفي تهامة عدا زبيد والكدراء، وأقطع بلاد بني طرف (المخلاف السليماني) للشريف المؤيد قاسم وأقطع لحج لغازي بن جبريل[62].

واستمر الإقطاع في عهد الملك الناصر وأتابكه غازي بن جبريل يزداد، فقد ابقى وردشار على إقطاعه لصنعاء وأضاف اليه ذمار ورداع، وأقطع ريمه إلى حرض والهَلِّيَةْ للامير بدر الدين حسن بن علي بن رسول، وأقطع أخاه فخر الدين أبابكر بن علي بن رسول وصاب، وأقطع سيف الدين بن عطية المحالب. وفي عهد سليمان شاهنشاه غيرّ بعض الإقطاعات، فأقطع صنعاء لأبي شامة ثم غيَّره بالأمير بدر الدين الحسن بن رسول، وأقطع ذمار صالح بن هشام الكردي[63].

وفي عهد الملك المسعود سنة 612 - 626 هـ أعاد توزيع الإقطاعات وأعطى إقطاعات أخرى فقد أقطع القحمة لبدر الدين الحسن بن علي بن رسول، وأقطع أخاه الشهيد نور الدين عمر بن رسول صُهْبَان، وأقطع الكدراء ورِمَعْ لابن فليت، وأقطع شرف الدين بن علي بن رسول جهران، وأقطع التربية فخر الدين بن علي بن رسول وأقطع أَبْيَنَ وأَحْوَر عمر بن مهدي ثم زاده المفاليس وبلاد بني مسلية وحضرموت والشِّحْر، كذلك أقطع صنعاء للحسام بن لؤلؤ، ثم أقطعت لبدر الدين الحسن بن رسول، كما أقطع المهجم للامير علم الدين بن وردشار، ثم أقطعها بدلاً عنه نجم

---

(60) ابن حاتم: السمط، ص:39 - 43، محمد مسفر عسيري: نفس المرجع والصفحة.

(61) ابن حاتم: السمط، ص:78، يحيى بن الحسين: غاية الاماني، جـ1، ص:356، مسفر: نفس المرجع. ص:230.

(62) ابن حاتم: السمط، ص: 85، 96، 142، 148، بامخرمة: قلادة النحر، ص:817.

(63) ابن حاتم: نفس المصدر، ص:41، 148، 159، 166، محمد مسفر،المرجع السابق، ص:231 - 232.

الدين أبا زكريا[64]، وهكذا انتشرت الإقطاعات الادارية في اليمن عهد الأيوبيين.

والمرجح أن هذه الإقطاعات الصغيرة كانت تارة تستقل في إدارتها وتارة تخضع للمدن المجاورة لها، مثل الكدراء ورمع كانتا تضمان إلى زبيد أو تستقلان عنها، كذلك كانت جهران تضم إلى صنعاء أو تستقل عنها، كما يلاحظ أن الإقطاعات في العهد الأيوبي في بعض الاحيان كانت تمنح متفرقة وبعيدة عن بعضها البعض، مثل حَرَضْ ورَيْمَة والَمفَالِيْس وأبْيَن وحضرموت وذلك خوفاً من خروج مقتطعيها عليهم[65].

والذي يمكن أن نستنتجه من كبر أو صغر حجم الإقطاعات أنه إذا كان لدى الوالي أو النائب كفاءة إدارية ومقدرة حربية ضمت إليه وحدات إدارية كثيرة ومتعددة كإقطاع. مثل إقطاعية صنعاء التي كان يتولاها قادة أكِفَّاء من كبار الأمراء الأيوبيين وأقدرهم، وذلك لمجابهة الأئمة الزيدية والقبائل المتمرد عليهم بها. فكان يضم إليها إقطاعات ذمار ورداع وألهان[66]. وهكذا نجد أن كبر حجم الإقطاعات كان يعتمد على عاملين هما عامل المجابهة القتالية وعامل الكفاءة بالاضافة إلى المقدرة الحربية والاخلاص والثقة به.

وظائف أخرى:

وجدت في اليمن عدة وظائف أخرى منها ناظر الزمام وتعني القيام بأمور القصور في أعمال الخدمة وإعداد الطعام، والمتولي لها يقوم بالاشراف على خدم القصر، من مماليك وغيره[67]، وصاحبها يعد أكبر الخدم[68]، وممن تولى هذه الوظيفة في زبيد الشيخ صواب، وسرور الفاتكي في عهد النجاحيين[69]، وتشبه عمل الزمام عمل الوصفان وأستاذ دار.

ومنها وظيفة أستاذ دار وموضوعها (التحدث في أمر بيوت السلطان كلها من المطابخ والشراب خاناة والحاشية والغلمان،وهو الذي يمشي بطلب السلطان ويحكم في غلمانه وباب داره)

---

(64) ابن حاتم: السمط، ص: 167، 175، 190، 193، 194، محمد مسفر عسيري: المرجع السابق، ص: 231 - 232. وردشار تطلق عليه بعض المصادر وردسار.

(65) ابن حاتم: السمط، ص:148، 175، محمد مسفر عسيري: المرجع السابق، ص:134.

(66) ابن حاتم: السمط، ص:38 - 39.

(67) عمارة: المفيد، ص:225.

(68) القلقشندي: صبح الاعشى: ،جـ4، ص:22.

(69) عمارة: المفيد، ص:225.

(وله حديث مطلق التصرف في استدعاء ما يحتاجه كل من بيت السلطان من النفقات والكساوي وما يجري مجرى ذلك للمماليك وغيرهم)[70]، وممن تولى وظيفة أستاذ دار في اليمن الاتابك غازي بن جبريل تولها للملك الناصر الأيوبي. كما تولاها للملك المسعود الأمير بدر الدين الحسن بن علي بن رسول[71].

ومنها أيضاً وظيفة وصفان: وهي القيام بخدمة القصور من حراسة ومراسيم وإعداد الطعام وغيره، وقد استطاع أصحاب هذه الوظيفة أن يصلوا إلى أعلى مراتب الدولة في عهد النجاحيين، وهي أعمال الوزارة النجاحية، وممن تولى هذه الوظيفة في زبيد سرور الفاتكي[72].

أما وظيفة الحِجَابة وهي تعني حجب الناس عن الدخول إلى السلطان وقد تولاها للملك الناصر بن طغتكين، غازي بن جبريل[73].

وأخيراً وظيفة أمرة الأمراء وهي تقليد لما هو جاري في الخلافة العباسية في عهد البويهيين، وقد تولاها للامام الديلمي الشريف ذو الشرفين[74].

الوزارة والكتابـــة:

1 ـ الوزارة: ظهرت الوزارة في دولة بني نجاح في زبيد استمراراً لتواجدها سابقاً لأول مرة في اليمن في عهد الدولة الزيادية، تولاها رجال من أولاد من قدم مع الأمير محمد بن زياد، من بني هشام بن عبدالملك الاموي. بعهد الوزارة من قبل الخليفة المأمون العباسي[75]. ولم ترد بالمصادر أخبار عن وزراء بني زياد رغم ما مر بهذه الدولة من أحداث سياسية خطيرة. بما يرجح اقتصار عمل الوزير على الأعمال الكتابية وقد يتسع عمله فيشمل الأعمال الكتابية والمالية أو الحسابية، أي القيام بأعمال ديواني الانشاء والخراج وما يتبع هذين الديوانين من مكاتب ودواوين[76].

---

(70) القلقشندي: صبح الاعشى: ،جـ4، ص:20.

(71) ابن حاتم: السمط، ص:148، 173.

(72) عمارة: المفيد، ص:224 ـ 225.

(73) ابن حاتم: السمط، ص:148.

(74) ابن الديبع: قرة العيون، ص:241.

(75) عمارة: المفيد، ص:42 ـ 45، الجندي: السلوك، جـ1،ص:220، من بني هشام، ينسب إلى سليمان بن هشام بن عبدالملك الخليفة الاموي، الجندي: السلوك، جـ1، ص:220.

(76) عمارة: المفيد، ص:146.

وقد حدث تطور علىمن يتولى الوزراء وتطور اختصاصها في أواخر عهد الدولة الزيادية. فقد تولى الوزراء الأستاذون من الاحباش والنوبة ابتداء من رشيد فالحسين بن سلامة ثم مرجان وهم جميعاً من عبيد القصر[77]. تولاها لآخر أميرين طفلين زيادين. إلا أن هذا الحال لم يستمر، فقد تمكن نجاح من الانفراد بالسلطان حينما تأمر الوزير مرجان مع نفيس لقتل سيدهما الأمير الزيادي الطفل وعمته، فانتقم منهما ثم كاتب الخليفة العباسي مناشداً إياه إعطاه الامارة، فأصدر له تقليداً بها كما ذكرنا. فاصبح بذلك أول الرقيق يتولى سلطة الامارة في زبيد[78].

أعاد بنو نجاح منصب الوزارة إلى ذلك البيت الأموي، فكان آخرهم خلف بن أبي طاهر وزير جياش بن نجاح[79] ومستشاره. وقد خرج هذا الوزير مع جياش في رحلته إلى الهند والتي أقاما بها ستة أشهر ثم عادا إلى عدن. وذلك بعد مقتل سعيد الأحول ابن نجاح واستعادة الصليحيين حكم تهامة للمرة الثانية، ومن عدن اتجه الوزير خلف إلى زبيد خفية لتمهيد الطريق لعودة جياش لحكمها، فجمع الاحباش المتفرقين في تهامة وبذل الأموال، كما استمال اليه علي بن القم[80] وزير الصليحيين في تهامة، ونجح خلف في تدبير انقلاب داخلي[81] استعاد به جياش حكمه في تهامة.

كذلك اشترك الوزير خلف مع جياش في تدبير حيلة لوقف الغارات السنوية التي كان

---

(77) (كان نجاح ونفيس عبدي مرجان، ومرجان نفسه كان عبداً للحسين بن سلامة، وهذا كان عبداً لسيده رشيد)، د. محمد أمين صالح: بنو نجاح في زبيد، ص:124.

(78) عمارة: المفيد، ص:63 - 86.

(79) عمارة: المفيد، ص:136، الخزرجي: العسجد، ص:114، ابن عبدالمجيد: بهجة الزمن، ص:90.

(80) كان علي بن القم (من أعيان الرجال كرماً ورئاسة وكفاءة في الكتابة وكان شاعراً) عمارة: المفيد، ص:123، تولى الوزارة مرتين أثناء حكم الصليحيين لتهامة، الاولى بجانب الوالي أسعد بن شهاب، 445 — 459هـ/1088 - 1066م، والثانية بجانب أسعد بن عراف 481 - 482هـ/ 1088 - 1089م، عمارة: المفيد، ص:123، 136.

(81) كان الوزير علي بن القم على غير وفاق مع الصليحيين كونه على مذهب أهل السنة والصليحيون شيعة. لذلك تعاون مع النجاحيين في اعادتهم إلى حكم زبيد وتهامة عندما قدم خلف بن ابي طاهر ثم نجاح اليها، وكان له مساهمة كبيرة في اعادة نجاح إلى تولي سلطة تهامة سنة 482هـ. عمارة، ص:204 — 207، د. محمد أمين صالح: بنو نجاح في زبيد، ص:110. أما ابنه الحسين بن علي بن القم فقد هرب من النجاحيين إلى الصليحيين فكان كاتباً للسيدة الحرة. الصفدي: الوافي بالوفيات، جـ13، ص:6.

أبوحمير أحمد بن المظفر الصليحي يشنها على تهامة[82]. ورغم هذه الخدمات الجليلة التي قدمها هذا الوزير حتى أن جياشاً لقبه (قسيم الملك) إلا أن العلاقة فسدت بين الرجلين، بما حدث في منزل الوزير من جلسة شراب وغناء شعر في مدح بني أمية طرب له الوزير وخلع على كل من في مجلسه ثلاث مرات، فلما علم جياش بالخبر تخوف منه فساءت العلاقة بينهما فافترقا[83].

ثم تولى الشيخ إسماعيل بن محمد المعروف بابن النوقا وزارة القلم لجياش بن نجاح واستمر في الوزارة في عهود الأمراء من أولاد جياش وهم فاتك ومنصور وعبدالواحد[84].

ثم حدث تطور في الوزارة، فبعد أن كان يتولى الوزارة أدباء وشعراء أصبحت تسند إلى أحد قادة الجند من الوصفان والأستاذين الذين يعود أصلهم إلى الحبشة، كما اختلفت مهام الوزراء بحيث صاروا يتولون قيادة الجند والقيام بأعمال التولية والعزل والمحاسبة وغيرها. وبهذا المفهوم يطلق على هذه الوزارة وزارة السيف، أو يطلق عليهم الوزراء العظام.

وقد تولى عبيد آل نجاح بعد أن استقر أمر الحكم في زبيد وأعمالها لمنصور بن فاتك النجاحي وعبيد أبيه بحيث صار أمر الحكم في زبيد مقاسمة بين أولاد نجاح وعبيدهم على أن تكون الامارة في أولاد جياش وتكون الوزارة في أولاد عبيدهم[85].

وفي عهد هؤلاء الوزراء كانت الوزارة تعقد إليهم بشكل تفويضي بمعنى أن يفوض الأمر للوزراء تدبير الأمور بحسب رأيهم[86]. والواقع أن إعطاء الوزراء هذا التفويض في أواخر عهد فترة بني نجاح كان بسبب تولي أولاد نجاح السلطة وهم صغار ليست لهم المقدرة على القيام بأعباء الحكم، لذلك أعطيت لوزرائهم السلطة الكاملة في الحكم، فسيطروا على شئون الدولة. وقد

---

(82) عمارة: المفيد، ص:149 - 150، الخزرجي: العسجد، ص:123، الوصابي: تاريخ وصاب، ص:41، ابن الديبع: قرة العيون، ص:355، د. محمد أمين صالح: بنو نجاح في زبيد، ص:108.

(83) بامخرمة: ثغر عدن، ص:103.

(84) عمارة: المفيد، ص:284، د. محمد أمين صالح: بنو نجاح في زبيد، ص:126.

(85) عمارة: المفيد، ص:209، ابن عبدالمجيد: بهجة الزمن، ص:96.

(86) الماوردي: الاحكام السلطانية، جـ20، القاهرة، ط1، 1404هـ/1983م. محمد أمين صالح: بنو نجاح في زبيد، ص:126، قال ابن خلدون (وزارة التفويض، هي حال مايكون الوزير مستبداً عليه) أى على السلطان، جـ1، ص:423، محمد عيسى الحريري: دولة بني نجاح باليمن، ص:630.

وصف المؤرخون حالة أمراء آل نجاح أواخر عصر دولتهم مع وزرائهم بقولهم: (ولم يكن لأولاد نجاح من الأمر سوى النواميس الظاهرة من الخطبة لهم بعد بني العباس والسكة والركوب بالمظلة أيام المواسم وعقد الآراء في مجالسهم. أما الأمر والنهي والتدبير وإقامة الحدود وإجازة الوفود فلعبيدهم الوزراء وهم عبيد فاتك بن جياش وعبيد أبيه منصور ابن فاتك[87]).

أول من تولى الوزارة في هذه الفترة من القادة الذين استأثروا بالسلطة دون الأمراء الوزير (أنيس الفاتكي) للأمير منصور بن فاتك بن جياش بن نجاح سنة 503هـ/ 1109م. وقد قام هذا الوزير بالدفاع عن الدولة النجاحية، فحارب عرب أهل الجبال في عدة مواقع، صدهم عن السيطرة على زبيد. كما أنه اتخذ لنفسه الأبهة في الملك فبنى دوراً وقصوراً ذات حجرات كبيرة واسعة، فاقت بناء من سبقوه وعمل لنفسه مظلة الركوب وضرب السكة باسمه، وهي الأعمال التي اختص بها الأمراء دون الوزراء، وبذلك لم يعد للأمير النجاحي أي سلطة. وعندما بدأ الأمير منصور بن فاتك يكبر خاف الوزير أنيس من استحواذه على السلطة فهم بقتله إلا أن الأمير عَلِمَ بمؤامراته فسبقه بالقتل بأن تحايل فدعاه إلى وليمة في قصر الإمارة، فلما حضر أمر بقطع رأسه ومصادرة أمواله[88].

ثم ولى الأمير منصور بعده الوزير (منّ الله الفاتكي) سنة 517هـ/1123م، فقام بواجبه في الدفاع عن الدولة النجاحية ضد هجمات الصليحيين، فقد صد هجوم الداعي المصري ابن نجيب الدولة قائد الصليحيين سنة 518هـ/ 1124م وهزمه على باب زبيد. كذلك صد هجوم أسعد ابن أبي الفتوح الحميري قائد السيدة الحرة الصليحية، وقتل مايزيد على الألف من جيشهم. كما أنه (تصدق على مدارس الفقهاء الحنفية والشافعية بما أغناهم عمن سواهم من الأراضي والمرافق والرباع) ومع عمله هذا للدولة النجاحية وللفقهاء إلا أنه كان ظالماً لم يرع لمولاه منصور بن فاتك معروفاً، فخرج عن طوعه فدبر لقتله بالسم سنة 519هـ/ 1125م، وولى مكانه أميراً صغيراً هو الطفل

---

(87) عمارة: المفيد، ص:209، ابن عبدالمجيد: بهجة الزمن، ص:96، الخزرجي: العسجد، ص:114، ابن الديبع: قرة العيون، ص:351. وانظر: د. محمد أمين صالح: بنو نجاح في زبيد، ص:126.

(88) عمارة: المفيد، ص:209 - 210. ابن عبدالمجيد: بهجة الزمن. ص:97، الخزرجي: العسجد، ص:114 - 115، ابن الديبع: قرة العيون، ص: 352، د محمد أمين صالح: بنو نجاح في زبيد، ص:112، د. محمد عيسى الحريري: معالم التطور في دولة بني نجاح باليمن وعلاقتهم بالصليحيين، ص:66 - 67.

فاتك بن منصور، وذلك لكي يستطيع التصرف بحرية في حكم الدولة دون أي معارضة أو أوامر توجه إليه. وقد انتهت حياته بأن مات مسموماً في جمادي الأول سنة 524هـ/ ابريل 1130م[89].

تولى بعده الوزراء للأمير فاتك بن منصور النجاحي الوزير (زريق الفاتكي) الذي لم تكن له خبرة باقامة نواميس السلطنة ولم تكن له طاعة لدى الجند، فاستقال منها وتولى بدله (مفلح الفاتكي)[90].

وكان آخر هؤلاء الوزراء المستأثرين على السلطة وأعظمهم القائد سرور الفاتكي وكان والياً على المهجم منذ عام 529هـ/ 1134م، ولما أصبح وزيراً كان يتردد بين المهجم وزبيد فيقيم بالعاصمة عشرة أشهر من أول أيام ذي القعدة إلى آخر أيام شعبان، فيصوم رمضان في المهجم ويقضي شهر شوال ثم يعود إلى زبيد فيحتفل الناس بقدومه ويستقبله الفقهاء المالكية والحنفية والشافعية، وكان يترجل لهم ولا يترجل لأحد سواهم، كما يستقبله التجار والعسكر وعامة الناس، فإذا دخل المدينة وقضى حق السلام لمولاه الأمير يتجه إلى دار مولاته ليسلم عليها ويطلعها على شئون الدولة. كما كان يتصدق على الفقهاء والقضاء وغيرهم من العلماء باثني عشرة ألف دينار سنوياً[91].

وفي عهد الوزير سرور الفاتكي طمع علي بن مهدي في السيطرة على تهامة، فدبر قتل سرور على يد أحد رجاله في صفر سنة 551هـ/ 1156م ثم تنازع قادة بني نجاح حول تولي السلطة بها مما أدى إلى نهاية الدولة النجاحية في شهر رجب سنة 554هـ/ 1159م على يد علي بني مهدي[92].

---

(89) عمارة: المفيد، ص:210 ـ 212، ابن عبدالمجيد: بهجة الزمن، ص:98، الخزرجي: العسجد، ص:115 ـ 117، ابن الديبع: قرة العيون، ص:352 ـ 353، د. محمد أمين صالح: بنو نجاح في زبيد، ص:112 ـ 113، محمد عيسى الحريري: المرجع السابق، ص:68 ـ 70.

(90) عمارة: المفيد، ص:212 ـ 215، الخزرجي: العسجد، ص:118، ابن الديبع. قرة العيون، ص:353، محمد عيسى الحريري: المرجع السابق، ص:70 ـ 71.

(91) عمارة: المفيد، ص:221 ـ 228، الخزرجي: العسجد، ص:125 ـ 126، ابن الديبع. قرة العيون، ص:356 ـ 357، د. محمد أمين صالح: بنو نجاح في زبيد، ص:114، د. محمد عيسى الحريري: دولة بني نجاح باليمن وعلاقتهم بالصليحيين. ص.72 ـ 75.

(92) عمارة: المفيد، ص:228 ـ 233، الخزرجي: العسجد، ص:127 ـ 128. ابن الديبع: قرة العيون، =

وفي عهد الدولة الصليحية لم يكن للوزراء شأن نظراً لسيطرة الأمراء والقادة الصليحيين على مقاليد الحكم. وقد تولى الوزارة لعلي الصليحي الوزير أبوالبقاء الذي سار في مقدمة قافلة علي الصليحي الذاهبة إلى الحج سنة 459هـ/1067م وتمكن من أن يصل إلى مكة بالكثير من أموال الصليحي التي كان يريد أن يهديها إلى الفاطميين[92م]. وكانت مهمته القيام بالأعمال الكتابية والأعمال المالية.

أما في عهد المكرم فلم تشر المصادر إلى ظهور الوزراء. ومن المرجح أن أباالبقاء والأزرقي وابن أبي الفتح هم الذين تولوا الوزارة له. ثم ظهرت الوزارة في عهد السيدة الحرة ملكة اليمن، تولاها زريع بن أبي الفتح. وقد تقدم هذا الوزير مع القاضي الحسين بن إسماعيل الأصبهاني وبعض رجالات الدولة وظلوا يحسنون لها أمر الزواج من سبأ بن أحمد بن المظفر الصليحي حتى قبلت وأجابت إلى العقد[93]. ومع كل فان الوزير لم يكن سوى وزير تنفيذ.

غير أن الوزارة كان لها شأن آخر في دولة بني زريع في عدن، ففي الدملوة التي تملكها زريع بن العباس والتي اتخذها الأمير علي الأعز بن سبأ بن أبي السعود بن زريع مقراً له عام 532هـ/1137م تولى الوزارة والكتابة يحيى بن علي العامل إلى جانب متولي الحصن أنيس الأعز - وهو استاذ حبشي - إلا أن علياً الأعز لم يعمر طويلاً إذ توفي بعد سنتين مخلفاً ثلاثة أطفال هم حاتم، ومنصور وعباس جعل كفالتهم للوالي أنيس والوزير يحيى العامل[94].

وفي عهد محمد بن سبأ الزريعي من 534 - 550هـ/ 1139 - 1155م، تولى الوزارة أبو الندى بلال بن جرير المحمدي بجانب نيابة حكم عدن، حتى وفاته عام 545هـ/ 1150م فخلفه ولده مدافع بن بلال ثم أخوه أبو الفتوح ياسر بن بلال الذي تولاها بقية عهد محمد بن سبأ وعهد ابنه عمران بن سبأ واستمر حتى نهاية الدولة الزريعية سنة 569هـ/ 1173م[95]. كذلك تولى الوزارة وكتابة

= ص:357 - 364، د. محمد أمين صالح: نفس المرجع، ص:114 - 115، د. محمد عيسى الحريري: نفس المرجع. ص:84 - 85.

(92م) الربعي: سيرة ذي الشرفين، ص: 139- 141.

(93) عمارة. المفيد، ص:152، د. محمد أمين صالح: العلاقة بين دولة الصليحيين والخلافة الفاطمية، ص:69.

(94) عمارة: المفيد، ص:184 - 185، الخزرجي: العسجد، ص:88، ابن الديبع: قرة العيون، ص.310. بامخرمة: ثغر عدن، ص 64.

(95) عمارة المفيد، ص:185-191، الخزرجي: العسجد، ص:88-89، ابن الديبع: قرة العيون، ص:310-311.

الانشاء في عدن للداعي عمران الأديب أبو بكر أحمد العَنَدِي[96].

كذلك وجدت الوزارة في مناطق أخرى باليمن أحدها لدى أحمد بن المنصور بن المفضل بن أبي البركات الحميري صاحب حصن صبر بتعز وهي بقايا ولاية جده لأبيه من قبل الصليحيين. تولاها بن عبدالله بن حسان إلى جانب توليه القضاء[97]. والثانية لدى دولة بني حاتم اليامي الهمدانيين سلاطين صنعاء تولاها الأديب الأجل عبدالله بن أحمد الصنعاني[98]. والثالثة لدى الأمير الشريف غانم بن يحيى صاحب المخلاف السليماني تولاها الشيخ مسلم بن بخيت[99].

هذه الوزارة كما رأينا يتولاها غالباً الأدباء والشعراء والمجيدون للغة الذين يتولون الاعمال الكتابية لديوان الانشاء ويطلق عليها وزارة القلم حسب الاصطلاح أو وزارة تنفيذ التي يقوم صاحبها بتنفيذ أوامر الولاة[100].

لم توضح المصادر عن وجود وظيفة وزير للسلاطين الأيوبيين في بداية عهدهم في اليمن منذ تورانشاه حتى عهد المعز إسماعيل، وربما يعود ذلك إلى أن هؤلاء السلاطين ونوابهم كانوا على درجة من المعرفة بالاعمال الكتابية والحسابية، فقد كان مبارك بن منقذ نائب أعمال زبيد (من أمراء الدولة الصليحية، وشاد الدواوين بديار مصر)[101]. وكان سيف الاسلام طغتكين (يشارك الفقهاء وله مسموعات ومقروءات) له إجازة من القاضي أحمد بن علي العرشاني، بينما أخذ القاضي عنه موطأ مالك[102]. وأدى عدم استقرار الأيوبيين في منطقة واحدة إلى عدم تنظيم وظائف الادارة في اليمن، فقد كانوا متنقلين من منطقة إلى أخرى ليوحدوا اليمن ويقضوا على ما بقي بها من دويلات[103]. فضلاً عن ذلك أن الأيوبيين اعتمدوا على كتاب للدواوين في كل ولاية أو إقليم

---

(96) عمارة: المفيد، ص:326.

(97) ابن سمرة: طبقات فقهاء اليمن، ص:232.

(98) ابن عبدالمجيد: بهجة الزمن، ص:87، لايوحد تعريف للأديب عبدا لله بن أحمد الصنعاني.

(99) عمارة: المفيد، ص: 223، ابن عبدالمجيد: بهجة الزمن، ص:112، لايوجد تعريف بالشيخ مسلم بن يشجب أو بخيت.

(100) النويري: نهاية الأرب، جـ6، ص:64. مطبعة دار الكتب المصرية، 1345هـ/1926م.

(101) الجندي: السلوك، جـ2، ص:522، الخزرجي: العسجد، ص:155، ابن الديبع: قرة العيون، ص:383.

(102) الجندي: السلوك، جـ1، ص:122، حـ2، ص:529.

(103) انظر ابن حاتم: السمط، ص:15 ـ 42، الخزرجي: العسجد، ص:146 ـ 171،

سيطروا عليه في اليمن. ولذلك استغنوا عن وظيفة وزير.

ثم ظهرت الوزارة منذ عهد الأتابك سُنْقُر سنة 598هـ/ 1202م تولاها مصريون وكان مهام الوزراء في هذا العهد أيضاً هي القيام بالأعمال الكتابية والحسابية. وممن تولى الوزارة للأتابك سنقر كل من عزالدين الكرماني(104)، والأديب يوسف بن إبراهيم القفطي(105)، كما تولى لوردشار أحد الكتاب المصريين وهو القاضي الأشرف. كذلك تولى كتابة الانشاء والوزارة لبدر الدين عمر بن رسول أثناء عمله للأيوبيين، أبو الغيث الأصبهاني(106).

2 ـ الكُتّابُ: يتولى الكتاب العمل في الدواوين مثل ديوان البريد، والرسائل، والخاتم، وديوان الإنشاء وذلك من حيث قراءة الرسائل وكتابة الرد عليها وتوقيعها وختمها وحزمها وإرسالها واستقبالها وغير ذلك. ولا يتولى ديوان الانشاء الا اجل كتاب البلاغة(107). وقد عرضنا سابقاً للوزراء الذين تولوا العمل في ديوان الانشاء، إلا أن هناك من تولى أعمال الكتابة في الدواوين ولم يطلق عليهم لقب وزير بل كاتب.

ففي عهد الدولة النجاحية تولى الشيخ حمير بن أسعد الكتابة للوزير مفلح الفاتكي والوزير منَّ الله الفاتكي. وتولى محمد بن عبدالله اليافعي الكتابة للوزير رزيق الفاتكي، كذلك تولى عبيد بن بحر الكتابة للوزير سرور الفاتكي النجاحي(108).

وفي عهد الصليحيين تولى سلامة بن الحسين الأزرقي الكتابة للملك المكرم أحمد بصنعاء. وتولى أبو شجاع الحصيني الذي قدم من بغداد إلى ذي جبلة كتابة الانشاء للمفضل بن أبي البركات الحميري، وذلك لما عرف عنه من إجادة الكتابة فقربه اليه وأجزل له العطاء وأجرى له أرزاقاً وولاه كتابة الانشاء(109)، كذلك تولى أبو عبدالله الحسين بن علي بن محمد بن ميمون بن

= ابن الديبع: قرة العيون، ص:374 ـ 399، محمد عبدالعال: الأيوبيون في اليمن، ص:69 ـ 147.

(104) ابن حاتم: السمط، ص:137، محمد مسفر، المرجع السابق، ص:213.

(105) القفطي: أنباء الرواة في أخبار النحاة، ص:11، طبع دار الكتب المصرية 1371هـ، محمد عسيري: نفس المرجع.

(106) ابن حاتم: السمط، ص:31، 184.

(107) القلقشندي: صبح الاعشى، جـ3، ص:486.

(108) عمارة: المفيد، ص:212 ، 217 ، 226، د. محمد أمين صالح: بنو نجاح في زبيد، ص:126.

(109) مسلم اللحجي: تاريخ مسلم اللحجي، ص:124.

القم الكتابة للسيدة الحرة وكان (يكتب عن الحرة الملكة إلى الديار المصرية والأقطار النازحة)[110]. وتولى الكتابة للسيدة أبو نصر سلامة بن الحسن. كما تولى الكتابة للسيدة الحرة محمد بن الازدي، الذي كانت السيدة أرسلته إلى الخليفة الفاطمي بمصر بهدية صحبة ابن نجيب الدولة عندما طلبوا عودته من اليمن[111].

وعند الزريعيين تولى محمد بن عزي الكتابة في عدن للوزير بلال بن جرير المحمدي[112]. وعند الأيوبيين تولى كتابة الانشاء للملك المسعود بن الكامل، علوان الخاوي الرعيني الذي كان مشهوراً بكتابة الخط[113]. وعند الأئمة الزيدية تولى ركن الدين أبوفراس دغثم الكتابة للامام المنصور بالله عبدالله بن حمزة[114].

ويبدو أن هؤلاء الكتاب كانوا غالباً ما يقومون بأعمال كتابة الانشاء وأحياناً يقومون بالأعمال الحسابية، حيث نجد أن الكاتب عبيد بن بحر كان يكتب صرفيات مطبخ سرور في شهر رمضان والتي كانت تقدر بألف دينار كل يوم[115].

أما الكتاب الذين تخصصوا في كتابة الأموال، فقد كانت لهم مسميات عدة مثل مُتَوَلي أمر العمال وصاحب ديوان التحقيق أو ديوان النظر. ويقوم صاحب هذا الديوان بالإشراف على عمال الأموال واستخراج الأموال منهم ووضع الحسابات الخاصة بالإيرادات والنفقات[116]. ولا يتولى هذا العمل إلا المهرة الذين يجيدون الأعمال الحسابية والإدارية، ويعتبر هذا الديوان من أهم دواوين الدولة لقيامه بأعمال الجباية وحفظ حقوق الدولة[117]. وممن تولى ديوان الخراج في زبيد أبو الحسن علي بن محمد بن ميمون بن القم[118] وتولى أمر العمال في عهد الصليحيين في زبيد العامل

---

(110) الجندي: السلوك، جـ1، ص:299.

(111) ابن الديبع: قرة العيون، ص:277.

(112) عمارة: المفيد، ص:327.

(113) الجندي: السلوك، جـ1، ص:348، الأهدل: تحفة الزمن، ص:246.

(114) الحبشي: مصادر الفكر الاسلامي في اليمن، ص:409.

(115) عمارة: المفيد، ص:226، د. أمين صالح: بنو نجاح في زبيد، ص.126 - 127.

(116) عمارة: المفيد، ص:123.

(117) ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، جـ1، ص: 430 .

(118) الجندي: السلوك، جـ1، ص:299.

أحمد بن سالم. وكانت مهام عمله هي تعيين العمال على منطقة سلطته والاشراف عليهم، واستخراج الأموال منهم، ونقلها من الأقاليم إلى زبيد، ووضع حساب الجباية والنفقات، كما كان من مهام عمله نقل الأموال المستخرجة من زبيد إلى صنعاء بعد صرف أزراق الجند وغيرهم، حيث كان المرتفع منها إلى صنعاء يقدر بحوالي مائة ألف ألف دينار سنوياً[119].

وكاتب ديوان التحقيق مهامه هي المقابلة على الدواوين أي مراجعة مقدار الجبايات والمنصرف منها ومقابلتها على الدواوين المختصة بها، وكان لايتولاها إلا خبير بشئون المال حاذقاً بأعمال الكتابة والحساب، وكان يوضع لمن يتولاها تقدير في المجالس، فيمنح الخلع ومرتبه يجلس عليها وحاجب بين يديه[120]. وممن أصبح صاحب ديوان التحقيق في زبيد في عهد النجاحيين، أحمد بن فلاح[121].

كذلك وجد كاتب ديوان النظر والذي يعني رئاسة أعمال الدواوين وصاحبها له سلطة العزل والتولية لأعمال الديوان ومن مهامه عرض الأرزاق في أوقاتها، واستخراج أموال بيت المال والتصرف فيها والمحاسبة عليها، ولايلي هذا العمل (إلا ذووا العدالة البارزة من أهل العلم والديانة)[122]. وممن تولى كتابة ديوان النظر والتحقيق في عدن في عهد الزريعيين الحراني[123].

كان ذلك هو استعراض لوظائف النظام الإدارى من ولاة وأتابكية ونواب وإقطاع ووزراء وكتاب وغيرهم. وذلك وفقاً لما عرضته لنا المصادر عن الفترة المحددة للبحث.

ومن الملاحظ من ذلك العرض أن النظام الإدارى كان من أهم دعائم حكام اليمن وعليه يعتمد نجاحهم أو فشلهم. وقد أسندوا ولاية الأقاليم لمن يثقون بهم ومن لديهم الكفاءة في العمل كما أسندوا أعمال الدواوين إلى المهرة في الأعمال الحسابية، وذلك للإشراف على جمع أموال

---

(119) عمارة: المفيد، ص:123، د. محمد أيمن صالح: بنو نجاح في زبيد، ص:101 - 102.

(120) القلقشندي: صبح الاعشى، ص:389.

(121) عمارة: المفيد، ص.193.

(122) القلقشندي: صبح الاعشى، جـ3، ص:389، جـ4، ص:31.

(123) عمارة: المفيد. ص:331. ديوان النظر يشبه ديوان الزمام أو الأزمَّة والمقصود بالأزمة هي: (أن الدواوين تجمع لرجل يضبطها بزمام يكون له على كل ديوان، فيتخذ دواوين الأزمة ويولى على كل منها رجلاً) قدامة بن جعفر. الخراج، ص: 55.

الدولة والإشراف على صرفياتها. وكذلك اعتمدوا على جُلّ الأدباء والمجيدين لمعرفـة اللغـة للقيـام بالأعمال الكتابية. مثل كتابة الرسائل والرد عليها. لذلك كان النظام الإداري المالي والكتابي علـى درجة عالية من المقدرة والكفاءة وحسن الأداء. أسهم في تنظيم دول اليمن المتعددة أو الموحدة.

الفصل الثالث

النظام القضائى في اليمن

عرف الماوردي القضاء بأنه: ((فريضة محكمة وسنة متبعة))[1] وأوضح بأنه وسيلة لإحقاق الحقوق والقضاء على المظالم، وأن الشريعة الإسلامية حددت القواعد الدقيقة التي تكفل تحقيق العدالة الفردية والاجتماعية.

كما عرف ابن خلدون القضاء بقوله: ((هو الفصل بين الناس في خصوماتهم حسماً للتداعي وقطعاً للنزاع))[2] وعلى ذلك فالقضاء يقوم بفصل المنازعات، وقطع التشاجر والخصومات، واستيفاء الحقوق ممن مطل بها، وإيصالها إلى مستحقيها، والعدل في القضاء بين المشروف والشريف والتسوية في الحكم بين القوي والضعيف[3] وغيرها.

وإذا تتبعنا نظام القضاء في اليمن نجد أن الخلفاء في العهدين الأموي والعباسي هم الذين كانوا يعينون على القضاء في اليمن في عصر الولاة. فمثلا في العهد الأموي تولى طاووس بن كيسان (106هـ/724م) قضاء مخلافي صنعاء والجند وكان يختلف بينهما [4] .وتولى قضاء صنعاء للخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز وهب بن منبه (114هـ/732م) [5]. وفي عهد الخليفة المأمون العباسي ولى قضاء أعمال تهامة القاضي محمد بن هارون التغلبي إلى جانب واليها محمد بن زياد[6].

وعندما بدأ اليمن يستقل من الناحية الاسمية عن الخلافة العباسية أصبحت مهام تعيين القضاء موكولة إلى ولاتها أو حكامها، فقد كان بنو نجاح والصليحيون وبنو مهدي هم الذين

---

(1) الماوردي: الأحكام السلطانية ، دار الفكر القاهرة ، ط1 سنة 140هـ / 1983م ، ص: 63 - 64 .

(2) ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، جـ1 ، ص: 17 .

(3) الماوردي : الأحكام السلطانية ، ص: 64 .

(4) ابن سمرة : طبقات فقهاء اليمن ، ص: 56 ، الجندي : السلوك ، جـ1، ص: 104، الأهدل: تحفة الزمن ، ص: 57 ، د. أيمن سيد : تاريخ المذاهب الدينية في اليمن ، الدار المصرية اللبنانية ، ط1 ، 1408هـ/1988م ، ص: 45 - 46 .

(5) الرازي : تاريخ مدينة صنعاء ، تحقيق حسين العمري ، ط2 ، سنة 1401هـ/1981م ، ص: 296، ابن سمرة طبقات ، ص: 57 ، د. أمين صالح: تاريخ اليمن الإسلامي ، ص: 227 .

(6) الجندي: السلوك، جـ1 ، ص: 170 ، الأهدل: تحفة الزمن ، ص: 151 .

يتولون تعيين القضاة في اليمن، فمثلا ولى كل من علي الصليحي وبعده جياش بن نجاح على القضاء في زبيد وتهامة أبو الحسن بن أبي عقامة [7] وولى ابن مهدي على قضائها القاضي عبد الله بن محمد بن عبد الله [8] .

وعندما ظهرت وظيفة قاضي قضاة اليمن أصبحت مهمة تعيين القضاء موكولة إلى من يتولى هذه الوظيفة. أما تعيين قاضي القضاة فكان من اختصاص الولاة أو الحاكم. فمثلا ولى شمس الدولة توران شاه الأيوبي القاضي جمال الدين أبو محمد عبد الله بن محمد الدمشقي قاضي قضاة اليمن [9]، فتولى بدوره تعيين القاضي عمران بن يحيى بن علي من الأشعوب على قضاء المعافر. [10] كما كان لكل مدينة أو إقليم قاضي قضاة، فأبو بكر أحمد بن محمد بن موسى كان قاضي قضاة الجند، وكانت مهام قاضي قضاة البلدة أو المدينة تعيين قضاة المدينة أو الإقليم، فمثلا ولى قاضي قضاة الجند المذكور آنفاً على قضاء الجند، القاضي عبد الرحمن بن عثمان بن أبي رزام، كذلك كان قضاة الأقاليم يولون قضاة النواحي، فالقاضي أبو الخطاب عمر بن سمرة تولى قضاء أماكن كثيرة من مخلاف جعفر من قبل القاضي طاهر بن يحيى بن أبي الخير [11] وقد يطلق على قاضي المدينة أو البلدة حاكم المدينة أو حاكم البلدة، مثل القاضي القاسم بن محمد بن عبد الملك بن أبي الفلاح كان حاكم البلدة، والقاضي أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن علي أخو الحفائلي كان حاكم مدينة زبيد [12] كذلك وجدت وظيفة نائب قاضي وقد تولاها الفقيه زياد بن أسعد بن علي الخولاني نائباً عن القاضي عبد الجبار في قضاء الجند. [13]

كما كانت وظيفة قاضي القضاة يطلق على صاحبها قاضي الأقضية والذي تولى هذه الوظيفة القاضي علي بن قاسم الحكمي [14]، وقاضي القضاء الأكبر والذي تولاها القاضي أبو

---

(7) الجندي: السلوك جـ1 ، ص: 291 - 293 .

(8) ابن سمرة : طبقات فقهاء اليمن ، ص: 241 .

(9) الجندي : السلوك ، ص: 471 ، الأهدل: تحفة الزمن ، ص: 197 - 199 .

(10) ابن سمرة: طبقات ، ص: 229 ، الاهدل : تحفة الزمن ، ص: 345 .

(11) الجندي: السلوك ، جـ1 ، ص: 390 ، 538 .

(12) الجندي : السلوك ، جـ1 ، ص: 441 - 442 .

(13) ابن سمرة : طبقات ، ص: 217 .

(14) الاهدل . تحفة الرمن ، ص: 335 .

الربيع سليمان بن الفضل بعد ولاية القاضي أبي بكر اليافعي المتوفى سنة 552هـ/1157م والقاضي أبو الحسن علي بن أحمد بن علي العرشاني (ت 625هـ/1227م) [15] أو رئاسة القضاء ومن تولاها في زبيد القاضي أبو الفتوح بن أبي عقامة [16]، والقاضي أحمد بن علي بن أبي بكر بن حمير الهمداني (607هـ/1210م)[17] .

وكان لابد من إصدار تقليد بتولية القضاة أو عزلهم، سواء كان شفويا أو كتابيا، فمثلا عندما قدم الملك سيف الإسلام طغتكين الأيوبي إلى اليمن استدعى أحد القضاة وقال له: (يا قاضي أحمد ألزم بيتك وأنت يامسعود قد وليتك القضاء)[18] فكان ذلك أمرا شفويا بالعزل والولاية لغيره.

أحيانا كان بعض الفقهاء يزهد في تولي منصب القضاء فقد امتنع كثير من فقهاء اليمن عن تولي القضاء، إما بسبب الخلافات المذهبية، أو لعدم الحاجة إلى مزيد من الأموال وعدم حاجتهم إلى وظائف وأعمال في الدولة أو لخوفهم الحيف عن الحق من ذلك. فقد عرض السلطان أسعد بن وائل التبعي الوائلي على الفقيه أبو أحمد زيد بن الحسن بن محمد الفائشي الحميري (490هـ/1067م) أن يتولى حكم الشريعة بأحاظة فامتنع عن ذلك.[19]

وكان الفقيه أبو عبد الله جعفر بن عبد الرحيم المحابي فقيها سنيا ورأس الفقهاء في الجند تولى بها الفتوى والتدريس، وعندما استولى علي بن محمد الصليحي الإسماعيلي على الجند سنة 451هـ/1059م طلب منه أن يلي القضاء بها فامتنع عن توليته [20] وربما يعود رفضه إلى الخلاف المذهبي فيما بينهما.

وامتنع الفقيه أبو محمد الحسين بن أبي بكر بن أبي حسان الشيباني المولود سنة 502هـ/1108م الذي سكن قرية الخوخة وحيس أن يتولى قضاء زبيد من قبل توران شاه وقاضيه

---

(15) بامخرمة : تاريخ ثغر عدن ، ص: 128 ، 167.

(16) الجندي: السلوك، جـ1، ص: 296، الاهدل: تحفة الزمن، ص: 201 .

(17) ابن سمرة: طبقات فقهاء اليمن، ص: 236 .

(18) الجندي: السلوك، جـ1، ص: 423 ، الاهدل: تحفة الزمن ، ص: 325 .

(19) الجندي: السلوك، جـ1، ص: 331 ، الاهدل: تحفة الزمن ، ص: 232 .

(20) ابن سمرة: طبقات فقهاء اليمن، ص: 94، الجندي : السلوك، ص: 271، الاهدل: تحفة الزمن، ص: 184 - 185 .

جمال الدين عبد اللـه بن عمر الدمشقي، فرفض. كما عرض عليه سيف الاسلام طغتكـين وقاضيـه أثير الدين تولي القضاء بها فرفض ذلك أيضاً.[21]

وامتنع الفقيه علي بن عيسى بن مفلـح بـن المبارك المليكـي الـذي سـكن عـدن أن يتـولى القضاء بها من قبل سيف الاسلام طغتكين، وخرج منها إلى الخبت ثم عاد إلى عدن وتوفي بهـا بعـد سنة 580 [22] /1087م وهكذا امتنع عدة قضاة عن تولي القضاء في اليمن.

وكان الولاة في اليمن يحترمون أحكام القضاة في الأمور الدينية ولا يتدخلون فيما يقضون به [23] وبناء على ذلك يمكن أن نقول إنه لا سـلطان علـى القضـاة في الأمـور الدينيـة، بينمـا كـان الولاة يتصرفون باجتهادهم في الأمور الدنيوية وفقـاً للشـرع واستشـارة ذوي الخـبرة والمعرفـة مـن رجالهم .

وكانت العادة المتبعة في الغالب أن مذاهب أصحاب القضاء هي نفسـها مذاهـب السـلطة الحاكمة، ومع ذلك كان قضاء اليمن في عهد الدولة الصليحية في أيدي أهل السنة في جميع المناطق التي سيطر عليها الصليحيون عدا ذي جبلة وحراز في عهدي المكرم والسيدة الحرة أروى فقط .

وفي حالة امتناع أحد العلماء عن تولي القضاء قد يستعين قاضي القضـاء باستشـارته في مـن يولى القضاء لبلد ما، فقد طلب القاضي أثير الدين قاضي قضاة اليمن أيام سيف الاسـلام طغتكـين من الحسن بن أبي بكر بن أبي إختيار الشيباني أن يدله على من يصلح للقضاء علـى زبيـد بعـد أن امتنع أن يتولى هو القضاء بها، فأشار عليه بأبي عبد اللـه بن محمد بن أبي عقامـة فقـام بتوليتـه [24] كذلك أشار القاضي عيسى على أحد قضاة سهفنة والذي كـان يتـولى قضـاء ذي جبلـة بـأن يـولي قضاء الجند القـاضي أحمـد بـن علـي بـن أبـي بكـر العرشـاني (542 ــ 607 هــ / 1147 ــ 1210م) فولاه.[25]

---

(21) ابـن سمـرة : نفـس المصـدر ، ص: 247 ، الجنـدي : نفـس المصـدر ، ص: 379 ــ 380 ، بامخرمـة : ثغـر عدن ، ص: 82 .

(22) الجندي : السلوك ، ص: 421 .

(23) الاهدل : تحفة الزمن ، ص: 57 .

(24) بامخرمة : ثغر عدن ، ص: 82 .

(25) الجندي : السلوك ، ص: 422 .

ولم يكن تعيين القضاة يتم إلا بعد التأكد من صلاحيته واستيفائه لشروط الولاية من حيث المعرفة بالدين والتفقه به والنزاهة والشرف،كما كانوا يتحرون السؤال عن حاله وماله.[26]

تبدأ إجراءات التقاضي بتقدم المدعي بشكواه للقاضي، فيكتب هذا إخطاراً للمدعى عليه ليقابل خصمه في الدعوى المرفوعة ضده، ثم يقضي بعد ذلك بينهما. من ذلك أن القاضي مسعود بن علي بن مسعود بن جعفر قاضي قضاة اليمن في العهد الأيوبي قدم إليه أحد التجار بشكوى يدعي فيها أنه باع للملك أو السلطان طغتكين بضاعة بمال جزيل ثم صار يماطله في الثمن، فخاف التاجر على ماله فذهب يشتكي إلى القاضي مسعود فكتب هذا القاضي إخطاراً للملك صورته: (ليحضر فلان بن فلان إلى مجلس الشرع الشريف بذي أشرق ولا يتأخر إن كان يؤمن بالله واليوم الآخر) فلما تسلم السلطان الإخطار وقرأه قال: (نعم أومن بالله واليوم الآخر) فحضر إلى مجلس القاضي وساوى القاضي بينه وبين خصمه، فأجلس التاجر بإزاء السلطان واستمع إلى أقوالهما، فاعترف السلطان بالمال، فأمره القاضي برد مال التاجر، فرد السلطان المال للتاجر. [27]

القضاء في الدول المستقلة:

توارث القضاء في زبيد بنو أبي عقامة المنسوبون إلى القاضي محمد بن هارون التغلبي الذي قدم مع ابن زياد من بغداد، لذلك كان بنو أبي عقامة هم قضاة زبيد في عهد الصليحيين والنجاحيين بها. ففي أثناء حكم الصليحيين لزبيد ولى علي الصليحي على قضائها إلى جانب واليها أسعد بن شهاب، القاضي السني أبو محمد الحسن ابن محمد بن عقامة بن الحسن بن محمد بن هارون التغلبي وقد وصفه أسعد بن شهاب بقوله:(أقام الحسن على أمورالشريعة قياما يؤمن عيبه ويحمد غيبه)[28]

وكان القاضي الحسن أيام حكم الصليحيين لزبيد يميل إلى ملوك بني نجاح السنيين بسبب الاختلاف المذهبي فيما بينه وبين الصليحيين الاسماعيلية فسعى إلى إعادة النجاحيين إلى حكم زبيد وتهامة، فكانت له المساهمة الكبيرة والدور البارز في إعادة الملك لجياش بن نجاح على زبيد، فلما عاد

---

(26) الجندي : السلوك، جـ1، ص: 435 ، الاهدل: تحفة الزمن، ص: 336 .

(27) الجندي : نفس المصدر والصفحة ، الاهدل : نفس المصدر والصفحة .

(28) الجندي : السلوك ، ص: 291 ، 293 ، الاهدل : تحفة الزمن، ص: 317، 319 .

جياش ولّى الحسن القضاء بها، وكان عند جياش « معظمًا مبجلاً يلقبه بمؤتمن الدين »[29] إلا أن العلاقة ساءت فيما بينهما بسبب توسط القاضي لخطبة امرأة من الفرسانيين من أهل موزع لجياش بن نجاح. وذلك عندما ذهب القاضي لخطبة المرأة لجياش، فوافق بعضهم وتردد البعض الآخر، فسأل أهلها القاضي عن جواز تزويج جياش في حالة افتراقهم ذلك. فرد القاضي عليهم بقوله: « إذا لم ترض المرأة والأولياء جميعاً لم يصلح النكاح، فأصروا على الامتناع ووثقوا بمشورته »، فعاد القاضي إلى جياش يخبره بامتناعهم. ولكن جياشاً حاول ارضاءهم بالمال حتى أجابوا إلى تزويجه، وعندما تزوجها عرف أن أهم أسباب امتناعهم كانت فتوى القاضي لهم، فأضمر جياش على قتله فقتله لبضع وثمانين وأربعمائة[30]. وهكذا كانت ولاية القاضي الحسن لقضاء زبيد في عهد الصليحيين والنجاحيين ونهايته.

ثم تولى قضاء زبيد لبني نجاح بعد الحسن ابن أخيه القاضي أبوالفتوح عبدالله ابن محمد بن علي بن أبي عقامة[31]، ثم بعده ابن عمه القاضي المعروف بالحفائلي وهو أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن أبي عقامة[32].

أما في ذي جبلة فقد اعتمد الصليحيون في قضائها على قضاة المذهب الشيعي الإسماعيلي وذلك يرجع إلى أنها نشأت في عهدهم أسسها عبدالله بن محمد الصليحي الإسماعيلي سنة 485 هـ/ 1065م، ثم أصبحت عاصمة الدولة الصليحية في عهد المكرم والسيدة الحرة. فقد تولى القضاء في عهدها القاضي الإسماعيلي لمك بن مالك الحمادي الهمداني ت. 520 هـ/ 1126 والذي قدم من القاهرة حوالي سنة 460 هـ/ 1068م بعد رحلته العلمية إليها، بعثه علي الصليحي لدراسة المذهب الإسماعيلي فاستغرقت الدراسة حوالي خمس سنوات، ثم عاد بعد قتل علي الصليحي مباشرة[33].

---

(29) الجندي: نفس المصدر، ص: 294، الاهدل: نفس المصدر، ص: 200 .

(30) الجندي: نفس المصدر، ص: 294، 295، الأهدل: نفس المصدر، ص: 200.

(31) ابن سمرة: طبقات، ص: 240، الجندي: السلوك، ص: 439ـ 240، الأهدل: تحفة الزمن، ص: 201ـ 305.

(32) ابن سمرة: طبقات، ص: 240، الجندي: السلوك، حـ1، ص: 470، الهمداني: الصليحيون والحركة الفاطمية، ص: 179، د. أيمن: تاريخ المذاهب الدينية في اليمن، ص: 130 - 135 .

(33) ابن سمرة: طبقات، ص: 234، الجندي. السلوك، حـ1، ص: 470، الهمداني: الصليحيون والحركة الفاطمية. ص. 170، د أيمن: تاريخ المذاهب الدينية في اليمن، ص: 130 - 135.

وقد اختلفت مصادر أهل السنة ومصادر أهل الشيعة في وصف وظيفة لمك بن مالك الحمادي، فمصادر أهل السنة كطبقات ابن سمرة والسلوك للجندي تذكر أنه قاضي ذي جبلة وإب[34]، بينما تصفه كتب الشيعة بأنه كان « قاضي قضاة اليمن »[35] بالإضافة إلى أنه هادي دعاتها[36] أو داعي القلم[37].

والذي يبدو أن مرجع هذا القول عنه نابع من خلال وجهة نظر المذهبيين فأهل السنة يرون أن سلطته القضائية محصورة في مناطق معينة مثل ذي جبلة وإب، بينما أغلب المناطق اليمنية كان قضاتها من أهل السنة، لذلك أطلقوا عليه قاضي ذي جبلة وإب[38]، أما في نظر أهل الشيعة الإسماعيلية فإنه يعتبر عندهم قاضي قضاة اليمن، باعتباره أكبر قاضي إسماعيلي في اليمن، وقاضي السلطة الإسماعيلية الصليحية التي انتشرت سلطتها السياسية على اليمن كله، لذلك فهو من هذه الوجهة قاضي قضاة اليمن[39] أما القضاة الإسماعيلية فقد كانوا قلة بالنسبة لأهل السنة.

ثم خلف لمك في تولى القضاء في ذي جبلة جرير بن يوسف ثم يحيى بن لمك الحمادي ثم القاضي أحمد بن عبدالسلام التقوي[40].

وعندما توفت السيدة الحرة سنة 532 هـ/ 1137م أصبحت بلاد الصليحيين وحصونهم تحت سيطرة منصور بن المفضل بن أبي البركات فصار القضاء في ذي جبلة لأهل السنة فأول من تولى القضاء بها منهم القاضي السني أبوبكر بن محمد بن عبدالله بن إبراهيم اليافعي (490-552 هـ/ 1069 - 1157م) الذي كان قاضياً للجند ولاه منصور بن أبي البركات قضاء ذي جبلة إلى جانب قضاء الجند، ثم عينه قاضي القضاء من صنعاء إلى الجند، ثم طلب منه أن ينتقل إليه إلى ذي جبلة كونها عاصمة دولته وكون القاضي قاضي قضاة البلدان الواقعة تحت سيطرته، فرفض

---

(34) ابن سمرة: طبقات فقهاء اليمن، ص: 234، الجندي: السلوك، جـ1، ص: 470.

(35) د. عبدالمنعم ماجد: السجلات المستنصرية سجل رقم 55، ص: ، الهمداني: نفس المرجع، ص: 175، 177، د. أيمن سيد: نفس المرجع، ص: 130.

(36) د. أيمن سيد: نفس المرجع، ص: 130.

(37) الهمداني: نفس المرجع، ص: 175، 177.

(38) ابن سمرة: طبقات، ص: 234، الجندي: السلوك، جـ1، ص: 470.

(39) حسين الهمداني: الصليحيون، ص: 177، د. أيمن سيد: تاريخ المذاهب الدينية في اليمن، ص: 130.

(40) ابن سمرة: طبقات، ص: 234، الجندي: السلوك، جـ1، ص: 470.

القاضي في بادئ الأمر، لأن الروافض من أهل المذهب الإسماعيلي يسكنونها ولا يوجد بها من أهل السنة إلا القليل والذين كانوا يجتمعون بالمسجد الذي عرف بمسجد أهل السنة، غير أنه انتقل إليها وقد لامه الكثير من فقهاء أهل السنة على انتقاله آنذاك منهم الفقيه أبوالفتوح بن عبدالحميد الفائشي الذي عاتبه بشعر على هذا الانتقال. إلا أنه عندما انتقل إليها لم يستطع المكوث بها طويلاً، فاعتذر إلى منصور بن أبي البركات عن السكن بها فعاد إلى الجند وظل مستقراً بها. ومع ذلك فقد كان يذهب إليها بين الحين والآخر ثم يعود إلى الجند[41].

أما قضاء تعز وصبر في عهد الدولة الوليد يه، فقد تولى قضاءها القاضي زيد بن عبدالله بن حسان بن محمد بن زيد بن عمر تولها للأمير أحمد بن منصور بن المفضل ابن أبي البركات[42].

وفي عدن ظل القضاء تحت سيطرة أهل السنة خلال حكم الصليحيين والزريعيين لها، ففي عهد الزريعيين تولى قضاء عدن الفقيه السني أبوالفتح بن عمر ولاه السلطان زريع بن العباس اليامي، ثم تولى بعده قضاء عدن في عهد الداعي محمد بن سبأ القاضي السني أحمد بن عبدالله بن محمد بن أبي سالم القريظي، واستمر هذا القاضي في مجلس الحكم والقضاء في عدن لمدة أربعين سنة من أيام الداعي محمد بن سبأ إلى سنة 581 هـ/ 1158م أيام الأيوبيين[43]. ويرجع ذلك إلى أن أغلب من سكن عدن كانوا من أهل السنة.

وعندما اشترى الداعي محمد بن سبأ الزريعي بلاد الصليحيين التي كانت تحت سيطرة منصور بن المفضل مثل ذي جبلة وإبٍ والجند أبقى رئاسة القضاء للقاضي السني أبو عبدالله محمد بن عبدالله اليافعي. وقد بدأ عمل هذا القاضي في هذه المنطقة منذ فترة مبكرة، فقد ولاه المفضل بن أبي البركات على قضاء الجند والجوءة، وأبقاه ابنه منصور بن المفضل بن أبي البركات على قضاء الجند وضم إليه قضاء ذي جبلة وصنعاء كما ذكرنا سابقاً. وفي عهد الداعي محمد بن سبأ

---

(41) الجندي: السلوك، ص: 356، 357، الأهدل: تحفة الزمن، ص: 252ـ 253، من شعر أبي الفتوح الفائشي يعاتب القاضي أبابكر بن محمد اليافعي بسبب انتقاله إلى ذي جبلة قوله:

حللت في ذي جبلة قاضياً	فبئسها أرضاً وبئس القضاء
تؤم بالطائفة الملحدين	من بعد ما كنت أمام الرضاء

الجندي: نفسه المصدر والصفحة.

(42) ابن سمرة: طبقات، ص: 232.

(43) ابن سمرة: طبقات فقهاء اليمن، ص: 224- 225، الجندي: السلوك، جـ1، ص: 537.

الزريعي وحكمه لهذه المنطقة ضم إلى هذا القاضي قضاء الجـوءة وعـدن وأبـين ولحـج[44]، وأصبـح يلقب بقاضي قضاة اليمن من إب إلى عدن[45] وعندما ضـم إليه قضاء صنعاء أصبح يلقب ((قـاضي قضاة اليمن المنوط به أحكام صنعاء وعدن وزير الدولتين الزريعية والوليدية))[46] ويتضح من خلال هذه التسمية أنه أصبح قضاء الدولة الزريعية بعدن والوليدية الحميريـة بـذي جبلـة وكـذا الحاتمية الهمدانية بصنعاء تحت سيطرة أهل المذهب السني خلال فترة تـولى القـاضي اليـافعي لهـذه الوظيفـة آنذاك، كما يـدل علـى أن الحـاتميين بصنعـاء كـانوا يتبعـون اسمياً الدولتين الوليديـة الحمريـة ثـم الزريعية، فقد أمد الحاتميون الزريعيين بجيش لمناصرتهم في حربهم لابن مهـدي حيـنمـا طلبـوا منهـم ذلك خلال فترة محاولة ابن مهدي مد سيطرته على اليمن[47]. أو أن الإسماعيليـة في كـل مـن عـدن وذي جبلة وصنعاء تركوا القضاء في يد أهل السنة لأن أغلب الرعايا في تلـك المنـاطق كـانوا سـنة آنذاك.

ثم تولى بعد القاضي أبي بكـر اليـافعي وظيفـة قـاضي قضـاة اليمـن مـن صنعـاء إلى عـدن القاضي أبوالربيع سليمان بن الفضل[48]. ثم تولى قضاء لحج من قبل الزريعيين القاضي السني محمد بن سعيد بن معن القريظي (497 - 575[49] /1103 - 1179م).

أما قضاء تَرِيم بحضرموت فقد تولاه القاضي أبو أكدر واسـتمر إلى أن قـدم الأيوبيـون إلى حضرموت بقيادة والى عدن عثمان الزنجبيلي الذي قتل القاضي أثناء استيلائه على حضرموت سنة 575 هـ[50].

وعندما استولى علي بن مهدي على زبيد سنة 554 هـ/1159م، هرب خوفاً منـه الكثـير مـن

---

(44) الجندي: السلوك، جـ1، ص: 288، 355.

(45) ابن سمرة: طبقات، ص: 165- 166.

(46) الجندي: السلوك، جـ1، ص: 354، الأهدل: تحفة الزمن، ص: 250 - 251.

(47) الخزرجي: العسـجد، ص: 139، ابـن الديبـع: قـرة العيـون، ص: 368 ــ 371، د. محمـد عبدالعـال: الأيوبيون في اليمن، ص: 65، محمد كريم: عدن، ص: 190- 193.

(48) الجندي: السلوك، جـ1، ص: 537، با مخرمة: ثغر عدن، ص: 128.

(49) ابـن سمـرة: طبقـات، ص: 225، بـا مخرمـة: ثغـر عـدن، ص: 250 ــ 251، ابـن سمـرة: يذكـر أن وفاتـه كانت سنة 576 هـ/ 1180م نفس الصفحة.

(50) ابن سمرة: طبقات، ص: 225.

قضاتها وعلمائها، فبعضهم اتجه هارباً نحو الجبال فأستقروا في بعض مناطقه مثل ذي أشرق[51] وبعضهم هرب إلى عدن[52] والبعض الآخر هرب إلى مكة. وقد عمل ابن مهدي أعمالاً أخافت الكثير من أهل اليمن، فقد قام بقتل بعض أهل المناطق التي أغار عليها مثل لحج والجند التي أحرق مسجدها على من فيه[53] وأغار على بواديه وقتل أهل الذّنبتين وأهل العَرَبة فأخاف ذلك فقهاء اليمن. فالإمام يحيى بن أبي الخير خرج خائفاً من ابن مهدي هارباً من ذي أشرق إلى ضراس ثم إلى ذي السفال[54]. ويبدو أن ابن مهدي قد هدد فقهاء أهل السنة الذين هادنوا السلطة السياسية الإسماعيلية الصليحية والزريعية، بينما يبدوا أنه هادن القضاء والفقهاء السنيين الذين رفضوا أن يتولوا السلطة في عهد تلك الدولتين. كما يبدو أنه هادن قضاة وفقهاء أهل المذاهب الحنفي.

أما تولية القضاء في عهد بني مهدي. فقد كانوا جميعاً من قضاة أهل السنة ففي زبيد عزلوا قضاتها من بني عقامة وولوا مكانهم في القضاء عليها كل من القاضي عبدالله بن نبيل، والقاضي عبدالله بن محمد بن عبدالله بن عبلة[55] وفي ذي جبلة وابٍ وأعمالها ولوا على قضائها القاضي طاهر بن يحيى بن أبي الخير (518 - 587 هـ). واستمر في قضائها إلى أيام شمس الدولة توران شاه الأيوبي[56]. وفي الجند ولوا على قضائها القاضي عبدالجبار بن محمد الحنفي، ثم خلفه في قضاء الجند نائبه القاضي زياد بن أسعد الجماعي الخولاني[57].

أما القضاء عند الزيدية فقد كان متذبذباً حسب تذبذب سلطتهم السياسية، فقد كانت المناطق التي يتواجد بها الزيدية آنذاك والواقعة فيما بين صنعاء وصعدة تارة تحت سيطرتهم وتارة

---

(51) ابن سمرة: طبقات، ص: 179، الجندي: السلوك، ص: 342، الأهدل: تحفة الزمن، ص: 240.

(52) الأهدل: تحفة الزمن، ص: 330.

(53) الخزرجي: العسجد، ص: 137، ابن الديبع: قرة العيون، ص: 366، الكبسي: اللطائف، ص: 51–52، د. محمد عبدالعال: الأيوبيون في اليمن، ص: 63 .

(54) ابن سمرة: طبقات، ص: 179 .

(55) ابن سمرة: طبقات، ص: 236، 241، الجندي: السلوك، جـ1، ص: 471.

(56) ابن سمرة: طبقات، ص: 188، 235، الجندي: السلوك، ص: 389 ـــ 390، الأهدل: تحفة الزمن، ص:292 - 293 .

(57) ابن سمرة: طبقات، ص: 232، الأهدل: تحفة الزمن، ص: 322.

أخرى تحت سيطرة القوى المنافسة لهم، مثل الصليحيين والحاتميين والأيوبيين. وقد ظلت الزيدية في صراع مستمر مع تلك القوى حول السيطرة على تلك المناطق، وفي غياب تمكن إحدى تلك السلطات من السيطرة على هذه المنطقة ظل العامل القبلي فيها هو الذي يحل في الغالب محل القضاء الشرعي، ومع استمرار تلك الصراعات فقد كان أغلب سيطرة الزيدية على صعدة وما حولها. ثم يتسع ويشمل معظم مناطق شمال صنعاء. وكانوا يولون قضاة من أهل مذهبهم ففي عهد الإمام عبدالله بن حمزة عندما سيطر على صعدة واتسعت سيطرته على المناطق التقليدية للزيدية تلك فقد كان قضاته عليها كالأتي:

تولى القضاء في صعدة وأعمالها القاضي عبدالله بن محمد بن حمزة بن أبي النجم، وتولى القضاء في بلاد جنب من صعدة القاضي يحيى بن جعفر بن أحمد، وقضاء بلاد حوث القاضي عمرو بن علي العنسي، وقضاء الجوف القاضي سليمان بن عبدالله السفياني، وقضاء وادعة الشام قرب صعدة القاضي عبدالله بن معروف، وتولى قضاء بلاد خولان في مغارب صعدة القاضي محمد بن نشوان الحميري[58].

وعندما قدم الأيوبيون إلى اليمن اصطحبوا معهم قضاة من أهل السنة وولوهم رئاسة القضاء في اليمن، وربما يعود ذلك إلى أن اليمن كانت آنذاك تحت السيطرة السياسية لعدة مذاهب غير سنية، مثل الشيعة الإسماعيلية والزيدية والخوارج، فاصطحبوا معهم قضاة من غير أهل اليمن، أما قضاة المدن والنواحي فقد كانوا من اليمنيين، فعندما قدم شمس الدولة توران شاه سنة 569 هـ/ 1174م اصطحب معه إلى اليمن القاضي جمال الدين أبو محمد عبدالله بن عمر الدمشقي فولاه قاضي قضاة اليمن أجمع[59]. فأصبحت مهمة تولية القضاة على القضاء في اليمن موكولة إلى هذا القاضي، والذي ولى بدوره على قضاء المعافر القاضي عمران بن يحيى بن علي من الأشعوب، وعلى قضاء ذي جبلة القاضي علي ابن أسعد بن المسلم الصعبي المتوفى سنة 576 هـ[60]/ 1180م وولى على قضاء زبيد القاضي علي بن حسين البشري[61].

---

(58) يحيى بن الحسين: طبقات الزيدية، (خ) ق68ب، 69 أب.

(59) ابن سمرة: طبقات، ص: 242، الجندي: السلوك، جـ1، ص: 471، بامخرمة: ثغر عدن، ص: 149، محمد عسيري: الحياة السياسية في اليمن، ص: 260 .

(60) ابن سمرة: طبقات، ص: 235، الجندي: السلوك، جـ1، ص: 470، الأهدل: تحفة الزمن، ص: 367.

(61) ابن سمرة: طبقات، ص: 242 - 243 .

ارتبط عمل القاضي عبدالله بن عمر الدمشقي في اليمن بوجود توران شاه بها، فقد غادرها مرتحلاً عنها عندما غادرها تورانشاة [62] فقام بمهمة تولية القضاة على القضاء في اليمن نواب توران شاه عليها كل في منطقة عمله، فمثلاً عثمان الزنجبيلي نائب عدن ولى على قضاء لحج القاضي منصور بن إبراهيم الموصلي[63].

وعندما قدم سيف الإسلام طغتكين إلى اليمن سنة 579 هـ/1183م اصطحب معه القاضي أثير الدين محمد بن أحمد بن بنان الأنباري فولاه منصب قاضي قضاة اليمن كلها[64] وولى القاضي أثير الدين بدوره على قضاء اليمن القضاة الأتيين.

ولى على قضاء عدن القاضي عمر بن محمد الكتيبي سنة 580 هـ/1184م والقاضي عبدالوهاب بن علي المالكي بعد موت القاضي أحمد القريظي سنة 581 هـ/1185[65] وولى على قضاء أبين سنة 580 هـ/1184م القاضي محمد بن علي بن عمر بن أبي قره[66] ثم القاضي أبا الخطاب عمر بن علي بن سمرة الجندي[67]. وولى على قضاء لحج القاضي محمد بن سعيد القريظي، ثم وَلّى بعده أخاه علي بن سعيد القريظي ثم القاضي أبابكر بن علي القريظي[68]، وولى على قضاء المعافر القاضي أبا إسحاق إبراهيم بن أبي الأعز سنة 580 هـ/1184م[69]، وعلى قضاء زبيد ولى القاضي عبدالله بن محمد بن أبي عقامة التغلبي[70]، والملاحظ أن بني عقامة قد أعيدوا إلى قضاء زبيد في العهد الأيوبي بعد أن كان ابن مهدي قد عزلهم عنه.

وعندما حدث خلاف فيما بين سيف الإسلام طغتكين وقاضي قضاة اليمن أثير الدين سنة

---

(62) الجندي: السلوك، ص: 471 .

(63) ابن سمرة: طبقات، ص: 204، الجندي: السلوك، جـ1، ص: 403، الأهدل: تحفة الزمن، ص: 305.

(64) الجندي: السلوك، جـ1، ص: 441، بامخرمة: ثغر عدن، ص: 162.

(65) ابن سمرة: طبقات، ص: 224 ـ 225، بامخرمة: ثغر عدن، ص: 152، 211 ـ 212 .

(66) ابن سمرة: طبقات، ص: 223 ـ 224 .

(67) ابن سمرة: طبقات، ص: 223 ـ 224، الجندي: السلوك، جـ1، ص:427، بامخرمة: ثغر عدن، ص: 210.

(68) ابن سمرة: طبقات، ص: 225 ـ 226 .

(69) ابن سمرة: طبقات، ص: 229 ـ 230، الأهدل: تحفة الزمن، ص: 345.

(70) ابن سمرة: طبقات، ص: 241.

481 هـ/1185م رحل القاضي عن اليمن، فتولى مهام تولية القضاء بها سيف الإسلام طغتكين نفسه، فولى على قضاء الجند القاضي عيسى بن علي بن المسلم سنة 583 هـ/1187م وعزل عنه القاضي ضياء الدين أحمد بن محمد بن موسى العمراني[71] وولى على قضاء حيس القاضي أبابكر بن فالح لبضع وثمانين وخمسمائة من الهجرة[72].

كما قام ولاة المدينة بتولية قضاة على مدنهم فوالى صنعاء وُرْدُشَار ولّى على قضائها القاضي السني سري بن إبراهيم بن أبي بكر العرشاني[73].

أما في عهد الملك المسعود بن الكامل الأيوبي فقد ولى قاضي قضاة اليمن من أهل اليمن نفسها اسمه القاضي أبوبكر بن أحمد بن موسى[74]. أما رئاسة القضاء في ذي جبلة فقد تولاها القاضي أحمد بن علي بن أبي بكر بن حمير بن فضيل الهمداني (542 – 607 هـ[75]/1147 – 1210) وعلى ذلك فكل قضاة الأيوبيين في اليمن من أهل السنة. وذلك لأن الأيوبيين أنفسهم سنة.

ولاية المظالم :

عرفها الماوردي بقوله: ((ونظر المظالم هو قود المتظالمين إلى التناصف بالرهبة وزجر المتنازعين عن التجاحدبالهيبة))[76] ويحتاج إلى علو يد وعظيم رهبة تقمع المظالم من الخصمين وتزجر المعتدي))[77].

وكان الولاة والأمراء والوزراء والسلاطين والقضاة هم الذين يقومون بعمل ولاية المظالم فمثلاً في عهد الدولة النجاحية كان الوزير سرور الفاتكي يجلس للمظالم)) وكان المتظلم من الرعية يجفو عليه ويفحش له القول وهو آمن من حميته وعزته وغضبه))[78].

وفي العهد الأيوبي كان السلطان طغتكين يتولى عمل المظالم، فعندما قعد في ذي جبلة لكشف المظالم قدم إليه رجل من عامة السوق يشكو أحد أجناده، حيث أراد الجندي من البائع أن

---

(71) ابن سمرة: طبقات فقهاء اليمن، ص: 236.

(72) الجندي: السلوك، جـ1، ص: 472.

(73) الجندي: نفس المصدر، جـ1، ص: 424، 489 - 490.

(74) ابن سمرة: طبقات، ص: 236.

(75) الجندي: السلوك، ص: ، ابن سمرة: الطبقات، ص: 236.

(76) الماوردى: الأحكام السلطانية، ص: 69 .

(77) ابن خلدون:تاريخ ابن خلدون،جـ1،ص: ، د. توفيق سلطان: دراسات في النظم الإسلامية، ص: 191

(78) عمارة: المفيد، ص: 228.

يزيد في السعر، من أجل إعطائه الضريبة فلما رفض البائع بطش به الجندي وكسر مكياله وفرق طعامه. ((فلما سمع الملك العزيز طغتكين الشكوى أمر بالبحث عن الجندي واحضاره)) وكان الجندي أحد المقدمين من أمراء الحلقة. فلما حضر وتبين خطأه)) أمر بقطع يده تنكيلاً وإرهاباً للباقين من الأمراء والعسكر أن يستنوا بسنته))[79].

وعندما كان طغتكين بصنعاء قدم إليه رجل من أهل سِهام بتهامة متظلماً من ضامن السوق بها. أورد قصته بامخرمة بقوله: ((يحكى أن رجلاً من أهل سهام ورد إلى السوق بشيء من العَزَف ليبيعه فلقيه صاحب السوق، فقال: سلم درهماً لهذا الغلام، فقال: ما عندي شيء مما يتوجه فيه الضمان، فقال: له سلم درهمين فقال سبحان الله العظيم! اقول لك ما معي شيء يتوجه فيه الضمان وتقول سلم درهمين، فلكمه لكمة شديدة وقال سلم ثلاثة دراهم وأمر بعض أعوانه أن يأخذها منه فلم يجد بدا من تسليمها))[80].

فلما شكى الرجل لطغتكين بقصته تلك مع الضامن، أعطاه ميعاداً محدداً أن يقابله في نفس الميعاد بنفس السوق. وفي نفس الميعاد حضر الملك سيف الإسلام طغتكين في جماعة من عسكره إلى مدينة الكدْراء ثم إلى السوق القريب منها، فاستدعى الوالى والضامن والمشتكي. فلما تحقق من الشكوى)) أمر بشنق الضامن في السوق وفصل الوالى عن تلك الجهة وولى غيره، وقال يظلم هذا عندكم ولا تنصفوه وتكلفوه لوصول إلى أبوابنا وهو لا يقدر والله لئن أتاني أحد شاكياً لاشنقن الوالي فلم يمد أحد يده إلى ظلم بعدها))[81] وهكذا كانت ولاية المظالم في يد أصحاب السلطة والنفوذ والقوة.

من الملاحظ في النظام القضائي أن مهنة القضاء كانت مهنة تخصصية لا يستطيع القيام بها إلاّ المتخصصين بها. لذلك أوكلت الى القضاة القيام بهذا العمل. وقد ترك الحكام لهم الحرية الكبيرة في إصدار الأحكام الشرعية وساندوهم في تنفيذ أحكامهم. وكان الدين نفسه هو الرادع لهؤلاء القضاء في العدل في الأحكام وهو أقوى من الحكام في حالة خشيتهم للـه سبحانه وتعالى ومعرفتهم لأحكام الدين الإسلامي.

---

(79) ابن حاتم: السمط، ص: 40 - 41 .

(80) بامخرمة: تاريخ ثغر عدن، ص: 134.

(81) بامخرمة: تاريخ ثغر عدن، ص:145، كما قام القضاء بعمل ولاية المظالم. انظر فصل القضاء اجراءات التقاضي.

الفصل الرابع

النظام العسكري

يعتبر الجيش من أهم العوامل التي يرتكز عليها قيام الدويلات في اليمن. وسنتحدث هنا عن عناصر هذا الجيش وأسلحته والأساليب والتشكيلات العسكرية. وذلك بناء على ما أوردته المصادر عن الفترة التي ندرسها.

عناصر الجيش :

تعددت عناصر الجيش في اليمن في الفترة الإسلامية بتعدد الدويلات التي قامت بها، فمنها اعتمدت على العنصر القبلي مثل الصليحيين وبني زريع وبني مهدي والزيدية وغيرهم، ومنها ما اعتمدت على الرقيق المجلوب من الأحباش أو غيرهم مثل بني نجاح، أما الأيوبيون فقد اعتمدوا على الأتراك والأكراد أو الغز.

وأهم هذه العناصر هو العنصر القبلي اليمني باعتبار أن أغلب دويلات اليمن اعتمدت في جيشها على هذا العنصر، وقد اختلفت القبائل اليمنية في قبولها الدخول في رسوم الجندية، فبعض القبائل اليمنية كانت تعتبر الدخول فيها واستخدام غاراتها سُبّة وعيباً، وترفض قبول الأعطيات من خلالها، وبعض القبائل كانت تحب الدخول في رسوم الجندية وتفضل العمل بها على غيرها من الأعمال، وتطلب المزيد من أعطياتها، وتعتبر قبيلة همدان وملوكها من أهم القبائل اليمنية التي كانت تفضل الدخول في رسوم الجندية ولا تعتبره سُبة، مما جعلها تلقى شهرة لدى بعض الدويلات اليمنية، حتى أصبحت تلك الدول تهابها وتقبل المسالمة معها وتعطيها الجوائز والأموال[1]. كما كانت تستجلبها للحرب معها، من ذلك حكام زبيد الذين كانوا يهادنونها ويبعثون إليها بالأموال، كما كانوا يرسلون إليهم بدعوتهم للعطاء والخروج معهم لحرب بعض أعدائهم، ومن الذين نزلوا إلى زبيد من زعماء همدان لطلب المزيد من العطايا دغفان بن محمد الهمداني، ونزل بعده الضحاك الهمداني في أكثر من مائة فارس[2].

---

(1) مسلم اللحجي: تاريخ مسلم اللحجي، (خ) ق 14، 17.

(2) مسلم اللحجي: نفس المصدر، ق 17.

جيـــش النجاحييـــن :

كـان أغلـب جيـش النجـاحيين مـن الأحبـاش، حيـث كـانوا يسـتدعونهم مـن الحبشـة لاستخدامهم في الحرب. من ذلك أن سعيداً الأحـول أرسـل إلى الحبشـة لشـراء عـدد مـن الجنـود يجيدون فنَّ الرمي بالحراب فاشتروا عشرين ألف منهم. لذلك كان الأحباش في عهد النجاحيين هم أهم الجند المدافعين عن زبيد وأعمالها، فعندما توجه المكرم لاستخلاص أمه أسماء بنت شـهاب مـن الأسر سنة 461 هـ/1068م اصطف لقتاله في زبيـد عشـرون ألـف رجـل مـن الحبشـة. وعندمـا أراد جياش استعادة ملكهم في زبيد من الصليحيين كاتب الحبشـة المتفرقـين مـن أعمـال تهامـة وأمرهـم بالاسـتعداد والحضـور إليـه، فحضـر منهـم حـول مدينـة زبيـد حـوالى خمسـة آلاف رجـل مسـلح بالحراب[3]، ونتيجة كثرة استخدام الأحباش في الجندية وعزوف العـرب الأنخـراط فيهـا، أصبحـت السيطرة الفعلية في زبيد وتهامة بأيديهم. كما أصبح هؤلاء الأحباش أمراء للدولة النجاحيـة منهـم نجاح نفسه الذي أسس الدولـة النجاحيـة وأولاده الذيـن اسـتمروا يحكمونهـا مـن سـنة (432هـ/ 1041م حتى 554/ 1150م)

كذلك استعان آل نجاح في الجيـش بعنـاصر أخـرى غـير حبشـية وذلـك عندمـا اسـتمرت الحرب بين الصليحيين والنجـاحيين، اسـتدعى جيـاش جنـداً مـن الأتـراك الغـز ثلاثـة آلاف فـارس لتدعيم وتقوية جيشه، فوصل إليه منهم إلى زبيد ألف فارس يرأسهم عثمـان الغـزي، إلا أن جياشـاً عندما تمكن من السيطرة على زبيد، شعر أن هؤلاء الغز سيشكلون خطـراً علـى سـلطته، فتخلـص من أكثرهم ولم يبق منهم غـير أربعمائـة فـارس علـى رأسـهم عثمـان الغـزي، اسـتمروا في خدمتـه وأولاده فترة طويلة منحوا خلالها وادي ذوآل إقطاعاً لهم[4].

جيـــش الصليحييـــن :

أما جيش الصليحيين فكانت عناصره تتكون من القبائل اليمنية، لأن علياً الصليحـي كـان أحد زعماء قبائل حراز الحميرية. فعندما سيطر على جبل مسار تجمعت حوله بعض قبـائل همـدان وسَنْحان ويَام وجُنَبْ[5].وقد استطاع علي الصليحي السيطرة على قبيلة همدان حيث وطأها وطأة

---

(3) عمارة: المفيد، ص: 203، 205 ، 231، ابن عبدالمجيد: بهجة الزمن، ص: 77، 78، 92.

(4) عمارة: المفيد، ص: 215 - 216 .

(5) مجهول: تاريخ اليمن، ق173، عمارة: المفيد، هامش ص: 109.

المتثاقل فلم يذر لها الخروج عنه في وقته. لأن قبيلة همدان كانت تعد من أهم أجناد اليمن آنذاك للأسباب التي أوضحناها سابقاً[6]. وبسيطرته على هذه القبيلة وطاعة القبائل الأخرى له سيطر على اليمن كلها بسهولة. وظل جيش المكرم على نفس الحالة مكوناً من القبائل اليمنية.

وفي عهد السيدة الحرة بدات القبائل اليمنية تخرج عن سيطرة الدولة الصليحية، فاستعانت السيدة بعناصر أرمينية ونوبية أرسلت إليها من مصر، من قبل وزير الخليفة الفاطمي محمد بن أبي المأمون الذي تولى وزارة مصر للآمر بأحكام الله الفاطمي سنة 515 هـ/1121م حيث إنه أرسل من مصر لابن نجيب الدولة مدداً من الجند الأرمن والنوبيين يقدر عددهم بحوالى أربعمائة أرمني وخمسمائة نوبي، لذلك كان جيش ابن نجيب الدولة المصري في اليمن معظمه من الأرمن والنوبيين. فعندما شن هجوماً على زبيد عهد الوزير النجاحي مَنَّ الله الفاتكي سنة 518 هـ/1124م انهزم جيشه وقتل منهم مائة من العرب وثلاثمائة أرمني وخمسمائة أسود من النوبيين[7].

كذلك اعتمد الزريعيون في جيشهم على القبائل اليمنية أيضاً، من ذلك أنه لما حدث صراع فيما بين سبأ الزريعي وابن عمه أبي الغارات نزل سبأ من الدُّمْلُوة لحرب ابن عمه في عدن بجيش من عدة قبائل هي همدان وحنب بن سعد وعنس وخولان وحمير ومذحج وغيرهم فالتقى الجيشان في وادي لحج انتصر خلالها سبأ الزريعي[8].

جيش الحاتميين :

كما اعتمد الحاتميون أيضاً في تكوين جيشهم على القبائل اليمنية فمثلاً عند دخول حاتم بن أحمد اليامي صنعاء سنة 533 هـ/1138م لتولي السلطة بها دخل معه سبعمائة فارس من همدان وعندما خرج السلطان علي بن حاتم لنصرة الزريعيين على ابن مهدي سنة 569 هـ/ 1173م خرج من صنعاء بمن معه من قبائل همدان وبني شهاب ونهد وغيرهم[9].

---

(6) مسلم اللحجي: تاريخ مسلم اللحجي، ق14، 17.

(7) عمارة: المفيد، ص: 164، 210.

(8) عمارة: المفيد، ص: 178، الخزرجي: العسجد، ص: 85.

(9) الخزرجي: العسجد، ص: 74، 139، ابن الديبع: قرة العيون، ص: 288، 268.

جيــش الأئمــة :

كذلك تكون جيش الأئمة الزيدية من عناصر قبلية. فمثلاً لذلك لما خرج الإمام أحمد بن سليمان لقتال أهل يام قرب صعدة سنة 549 هـ/1154م بسبب إحداثهم ليلة الإفاضة دعا للخروج معه بلاد بني شريف وسنحان كما قدمت إليه قبائل أخرى من نهد وجنب وخثعم [10].

جيــش الأيوبيــين :

أما الجيش الأيوبي فقد تكون من عناصر تركية وأكراد إلا أن معظم جيشهم في اليمن كانوا من الأكراد حتى استفحل خطرهم على سلاطين الأيوبيين. فقد قام الأكراد بقتل المعز إسماعيل الأيوبي في زبيد سنة 598 هـ[11]/1201م، كما اشتمل الجيش الأيوبي أيضاً على عناصر مملوكية اوضح ذلك ابن الديبع بقوله: ((وكانت عسكر الناصر يومئذ ثلاثمائة مملوك وأربعمائة جندي))[12] وهكذا تنوعت عناصر الجيش اليمني.

ثانيـاً: الوحدات العسكرية :

كانت الوحدات العسكرية القتالية في الجيش اليمني تشابه الوحدات القتالية التقليدية في الجيش الإسلامي، والتي كانت تتكون عادة من الفرسان، والرَجَّالة أو المشاة، والرماة بأنواعهم، أي رماة الرماح، ورماة السهام، ورماة الأقواس، والدبابيس بالإضافة إلى رماة المنجنيق والنار وغيرهم كما سيأتي:

الفرسان أو الخيالــة :

يعد الفرسان من أهم الوحدات القتالية آنذاك بحيث لا تخلو أي معركة منهم وخاصة في المناطق السهلية المفتوحة، وتعد الخيول من أهم عناصر الهجوم والإنسحاب السريعين، فكانت تستخدم للمطاردة، والاستطلاع، والتطويق، والإلتفاف لسرعتها في الحركة. وقد استخدم الحكام اليمنيون الفرسان في جيوشهم، فعندما حج علي الصليحي سنة 459 هـ/1066م سار بألفي فارس. ولما نزل المكرم إلى زبيد لحرب النجاحيين سنة 461 هـ/1068م سار معه ثلاثة آلاف فارس غير الرجالة. وفي أثناء غزو سعيد الأحول النجاحي لذي جبلة سنة 461 هـ/1068م كتبت السيدة الحرة

---

(10) المحلي: الحدائق الوردية، ص: 128، يحي بن الحسين: غاية الأماني، جـ1، ص: 309.

(11) ابن عبدالمجيد: بهجة الزمن، ص: 135، الخزرجي: العسجد، ص: 174.

(12) ابن الديبع: قرة العيون، ص: 405.

إلى أسعد بن شهاب وعمران اليامي في صنعاء أن يتجها منها نحو زبيد، فنزلا إثر طلوعه منها في ثلاثة آلاف فارس[13]. وعندما قدم الأيوبيون إلى اليمن بقيادة توران شاه قدم بجيش قوامه ألف فارس وقيل ثلاثة آلاف فارس[14].

ولأهمية الخيول في المعركة، فقد أهتم اليمنيون بتربيتها، فكانت منطقة مهَرَة من أشهر مناطق اليمن في تربية الخيول، وكانت اليمن تصدر الخيول إلى مناطق كثيرة، بلغت ضريبة الفرس الواحد الخارج من فرضة عدن في عهد السلطان الناصر الأيوبي سبعين ديناراً[15].

الرجالة أو المشاة :

كان المشاة أو الرجالة أداة فعالة في المعارك في اليمن وكانوا يشكلون الغالبية العظمى للجيش اليمني من ذلك أنه عندما نزل سبأ بن أحمد المظفر الصليحي لقتال النجاحيين كان من مشاة جيشه فقط عشرة آلاف راجل. ولما حاصرت قبائل اليمن ابن نجيب الدولة في مدينة الجَنَدْ، كان عدد المشاة ثلاثين ألف راجل[16].

الرماة :

أما الرماة بأنواعهم، كرماة الرماح والحراب والسهام، فكانت فرقتهم تتكون من المشاة والفرسان، وكان لهم دور بارز في المعارك، وقد تدار المعركة بكاملها بالرماة. فمثلاً لذلك عندما نزل سبأ بن أحمد المظفر الصليحي على زبيد في عهد جياش جهز له النجاحيون كميناً كبيراً تمكنوا من إهلاك معظم جيش سبأ قتلاً بالحراب[17].

ثالثاً: أنواع الأسلحة :

استخدم الجيش اليمني أنواع الأسلحة القتالية المعروفة آنذاك في العالم الإسلامي مثل السيف، والرمح، والسهم، والحربة وغيرها.

---

(13) عمارة: المفيد، ص: 126، 128، 143، الخزرجي: العسجد، ص: 58، 63، ابن الديبع: قرة العيون، ص: 257، 264.

(14) الخزرجي: العسجد، ص: 148.

(15) ابن المجاور: صفة بلاد اليمن، ص: 141.

(16) عمارة: المفيد، ص: 149، 166، الخزرجي: العسجد، 64، 70، ابن الديبع: قرة العيون، ص: 276.

(17) عمارة: المفيد، ص: 149 .

السيف: يعتبر السيف أهم سلاح للجيش في القتال في المعارك المختلفة. اعتمد عليه الجيش اليمني سواء الرجالة أم الفرسان، وقد اشتهرت اليمن بصناعة السيوف، وكان الجيش المسلح بالسيوف يشكل غالبية الجيش في بعض المعارك في اليمن، من ذلك أنه عندما طلع على الصليحي حصن مسار بحراز لم ينتصف النهار إلا وقد أحاط به عشرون ألف ضارب سيف[18].

القوس: القوس هي آلة الرمي في القتال وكان أحد معدات القتال الهامة آنذاك وقد استخدمها الجيش اليمني في كل معاركه. من ذلك استدعى جياش بن نجاح ثلاثة آلاف رام بالقوس من الغز عندما كان في صراع مع الصليحيين[19] وأرسل وزير الخلافة الفاطمية بمصر محمد بن أبي المأمون جيشاً ممن يجيدون استخدام الأقواس بأقواسهم يقدر عددهم بحوالى أربعمائة رام أرمني وسبعمائة أسود[20].

الحراب: كما كانت الحراب وهي آلة دون الرمح أحد المعدات القتالية الهامة استخدمها الجيش اليمني في معاركه المتعددة، من ذلك أن الأمير سعيد الأحول النجاحي أرسلَ إلى الحبشة لشراء عشرين ألف حربة. وعندما أراد غزو ذي جبلة سنة 461 هـ/1069م بغرض القضاء على الصليحيين خرج ومعه ثلاثون ألف حربة[21]. كذلك حينما أراد سعيد الأحول قتل علي الصليحي سنة 459 هـ/1066م خرج إليه من البحر في خمسة آلاف حربة[22].

الدروع: واستخدم الجيش اليمني أيضاً الدروع وهي لبوس من الحديد يقي الجيش المقاتل من ضربات السيوف ومن توجيه السهام والحراب عليهم، وكان حملتها يقفوُن في مقدمة الصفوف ليحموا الجيش المتقدم للقتال، ومن الجيش الذي استخدم الدروع في اليمن، جيش حاتم الغشم الذي حكم صنعاء منذ سنة 592 هـ/1195م وذلك عندما أراد إبنه محمد بن حاتم غزو نجران خرج بجيشه إلى خارج صنعاء فأرادوا العود إليها لقضاء بعض حوائجهم فقال لهم: ((صبوا

---

(18) عمارة: المفيد، ص: 117، الخزرجي: العسجد، ص: 56، ابن الديبع: قرة العيون، ص:276.

(19) عمارة: المفيد، ص: 215، ابن عبدالمجيد: بهجة الزمن، ص: 103، الخزرجي: العسجد، ص: 119.

(20) عمارة: المفيد، ص: 164، ابن الديبع: قرة العيون، ص: 275.

(21) عمارة: المفيد، ص: 143، 203، ابن عبدالمجيد: بهجة الزمن، ص: 77 ـ 78 ، الخزرجي: العسجد، ص: 59، ابن الديبع: قرة العيون، ص: 258 - 264 .

(22) ابن عبدالمجيد: بهجة الزمن، ص: 77، الخزرجي: العسجد، ص: 59.

دروعكم ههنا وأدخلوا، فصبوا دروعهم في ذلك الموضع ، فسمى ذلك الموضع مصب الدروع[23].

المنجنيق: واستخدم الجيش اليمني سلاح المنجنيق وهي القَذّاف التي ترمى بها الحجارة وهي تعد من الأسلحة الهامة في كسب المعركة وتحقيق الانتصار. وممن استخدم المنجنيق في اليمن، جيش علي الصليحي في معركة (الهرابة) سنة 448 هـ/1056م[24] كما استخدمها سيف الإسلام طغتكين الأيوبي في معاركه في شمال صنعاء ضد آل حاتم اليامي في كل من (جبل الظلمة) الذي نصب فيه المنجنيق لأخذ حصن الفص، وحصن (كوكبان وحصن فدة)[25].

كذلك استخدم الجيش في اليمن أنواع أخرى من الأسلحة في معاركهم مثل الدبابيس والرماح[26]. والعرادات[27]، والنفط. كما اصطحبوا معهم عند خروجهم إلى المعارك ما يلزمهم من المؤن والمعدات مثل الزاد والمياه والخيام[28]، والسلالم[29]، ورواحل[30] لحمل الجنود والمؤن مثل الحمير والبغال وغيرها.

الجمال: كما استخدمت الجمال في الجيش اليمني إضافة إلى الخيول وخاصة في المناطق السهلية التهامية. وممن استخدمها علي الصليحي في رحلته إلى الحج والتي قتله فيها سعيد الأحول في المهجم وغنم فيها أموال الصليحي التي اصطحبها معه، منها ألفين فرس وثلاثة آلاف جمل بعددها[31].

---

(23) الخزرجي: العسجد، ص: 72.

(24) يحيى بن الحسين: غاية الأماني، جـ1، ص: 252، الهمداني: الصليحيون ، ص: 83، محمد الأكوع: مفيد عمارة، هامش ص: 119.

(25) الخزرجي: العسجد، ص: 165 - 167.

(26) الخزرجي: العسجد، ص: 185 .

(27) يحيى بن الحسين: غاية الأماني، جـ1، ص: 252.

(28) الخزرجي: العسجد، ص: 72 .

(29) ابن الاثير: الكامل في التاريخ، جـ11، ص: 397، استخدمت السلالم لصعود سور زبيد اثناء الفتح الأيوبي.

(30) الخزرجي: العسجد، ص: 72.

(31) عمارة: المفيد، ص: 201.

الرايات والأعلام: ذكرت المصادر التي بين أيدينا أن الجيوش في اليمن آنذاك استخدمت الرايات والأعلام. ولكن لم توضح لنا هذه المصادر ألوان تلك الرايات والأعلام والألقاب التي كتبت عليها. فمن حيث استخدام الرايات بعث الخليفة الفاطمي المستنصر بالله لعلي الصليحي الرايات، كتبت عليها الألقاب[32]. ويبدو أن الرايات كان غالباً ما يستخدمها الأمراء. أما الأعلام فقد استخدمها جميع فرق الجيش، واستخدمت لأغراض متعددة منها الاستقبال العسكري فمثلاً لذلك عندما ذهب أحد زعماء همدان وهو الضحاك مع مائة فارس إلى زبيد لمساعدة حاكمها في حربه مع أعدائه، خرج حاكم زبيد لإستقباله بالأعلام والرايات.[33]

كما استخدمت لغرض تجميع الجند، حيث كان قادة الجماعات وأمراء الجيش أثناء الاستعداد للحرب وأثناء المعارك يرفعون أعلامهم لتجميع أفرادهم حولهم، لكي يسهل على القادة معرفة أصحابهم فيستطيعون اصدار أمرهم إليهم بالتقدم نحو القتال أو الانسحاب أو ما إلى ذلك. كما أن الأعلام تساعد الجند على معرفة اتجاه أصحابها وأماكن تجمعهم، من ذلك الاستخدام، عندما تمرد الأكراد واستولوا على زبيد أمر الأتابك سيف الدين سُنْقُر الأمير علم الدين وُرْدُشار النزول من صنعاء لحربهم، فلما قرب من زبيد خرج إليه الأكراد لحربه فالتقى الجمعان في (القرتب) حيث بدأ فرسان الأكراد بسرعة الهجوم على قلب جيش الأمير سُنْقُر حتى انهزم عسكره، فرفع الأعلام لتجميع جيشه، فلما اجتمعوا حوله عاود الكرة نحو الأكراد فحاربهم حتى هزمهم[34].

ضرب الطبول والأبواق: كان الجيش في اليمن يستخدم ضرب الطبول والأبواق وقد استخدمت لعدة أغراض، منها إشعار الجند بالاستعداد للتجمع، واستعداداً لبدء الحرب واستعداداً للرحيل،وإعلاناً بالفرحة بالنصر، واستقبالاً للجيش العائد من المعركة أو المنتصر فيها وغيرها. ومن أمثلة ضرب الطبول والأبواق آنذاك الآتي:

عندما أراد سبأ بن أحمد بن المظفر الصليحي الرحيل من ذي جبلة إلى حصن أشيح بعد

---

(32) الخزرجي: العسجد، ص: 57.

(33) مسلم اللحجي: تاريخ مسلم اللحجي، ق17، يبدو أن الضحاك قدم إلى زبيد في عهد أبي الجيش بن زياد، ابن عبدالمجيد: بهجة الزمن، ص: 59.

(34) الخزرجي : العسجد ، ص: 176 .

زواجه من السيدة الحرة أروى أعلن ضرب الطبول استعداداً للرحيل[35].

وعندما انتصر سعيد الأحول على علي الصليحي في المهجم سنة 459 هـ/ 1066م أعلن ضرب الطبول والأبواق فرحة بالنصر واستعداداً بالعودة إلى زبيد.[36] كذلك عندما أراد جياش بن نجاح أن يستولى على زبيد سنة 477 هـ / 1089م بمساعدة ابن القم بعد أن جهز أنصاره سراً داخل المدينة، أمر بضرب الطبول والأبواق استعداداً لاحتلال زبيد فقامت معه خمسة آلآف من الحبشة وعامة المدينة [37]. ولما قدم جند همدان بقيادة الضحاك إلى زبيد خرج حاكمها لاستقبالهم بالطبول والبوقات [38] وهكذا كان استخدام ضرب الطبول والأبواق .

الطلائع : وجدت في الجيش اليمني فرقة تسمى الطلائع، وهي الفرقة التي تقوم بالذهاب في مقدمة الجيش لاستطلاع عدد قوات العدو ومعداته وأماكن تواجده كما أنها تقوم باستكشاف خطط العدو القتالية وكمائنه، وذلك ليسهل لهم معرفة الطريقة أو الكيفية التي يتم عليها قتالهم والانتصار عليهم ، من ذلك أن الداعي محمد بن سبأ الزريعي كان من طلائع الداعي سبأ بن أبي أسعد [39].

الأطباق والكمائن: كان الجيش في اليمن يستخدم عملية الإطباق والإلتفاف والكمائن ولعل ذلك كان مناسباً لمناطق اليمن الجبلية. من ذلك تدبير السيدة الحرة أروى والمكرم والحسين ابن التبعي صاحب حصن الشعر، في دعوة سعيد الأحول إلى التقدم إلى ذي جبلة، ووضع كمين له عند حصن الشعر. فلما طلع ووصل تحت حصن الشعر ظهر الكمين وأطبق عليه الجيش من كل مكان فقتلوه وقتلوا أكثر جنده. [40]

التشكيل في المعركة: واستخدم الجيش في اليمن نفس التشكيل العسكري الذي استخدمه المسلمون في الأمصار الإسلامية. فقد كان يوزع إلى مقدمة وميسرة وميمنة وقلب

---

(35) عمارة : المفيد ، ص: 153 ، الخزرجي : العسجد ، ص: 65 .

(36) عمارة : المفيد ، ص: 196 .

(37) عمارة: المفيد، ص:207 ، ابن عبد المجيد: بهجة الزمن، ص:93 ، الخزرجي: العسجد ، ص: 110.

(38) مسلم اللحجي : تاريخ مسلم اللحجي ، ق: 17 .

(39) الخزرجي : العسجد ، ص: 85 .

(40) عمارة : المفيد ، ص: 142 - 143 .

وخلف وطلائع. ولعل هذا التشكيل كان أكثر استخداما في المناطق السهلية والمفتوحة. من ذلك لما نزل المكرم من صنعاء سنة 461 هـ/1068م لحرب آل نجاح وفك أسر والدته أسماء منهم. اصطف جند آل نجاح في عشرين ألف رجل، واصطف جند العرب مع المكرم فكانت ميمنة جند المكرم لأسعد بن شهاب وميسرة جنده لعم أسعد بن شهاب. وكان المكرم في القلب. وفي القتال كانت الحرب شديدة على الأحباش في الجانبين وهما الميسرة والميمنة. انكسر خلالها جند الأحباش وانهزم آل نجاح وهربوا إلى دهلك .[41]

ومن فنون القتال المستخدمة في الجيش في اليمن، الهجوم على جند القلب حيث إن هذا الهجوم يشكل أحد المهام الرئيسية في قتال الجيوش، لأن قائد الجيش عادة ما يقف في القلب فمهاجمته واقتحامه يحدث الهزيمة للجيش كله، وخاصة إذا قتل قائد الجيش أثناء اشتداد المعركة. حيث إن ذلك يؤدي الي ارباك الجيش وعدم مقدرته على تنظيم صفوفه. فيعطي ذلك الجيش المهاجم الفرصة لكسب المعركة وتحقيق النصر. حتى ولو كان عدد أفراده أقل من عدد أفراد خصمه. ومن الهجمات على جيش القلب ما قام به الأكراد ضد الأتابك سنقر حينما نزل إليهم إلى زبيد لمحاربتهم أثناء قيامهم بالتمرد عليه في زبيد.فلما اصطف الفريقان للقتال هجم الأكراد على قلب جيش سنقر فتضعضع جيشه وانهزم،فانسحب وعاود الهجوم مرة ثانية،فحقق النصر على الأكراد واستولى على زبيد[42].

ومن الأساليب العسكرية التي كان يستخدمها الجيش في اليمن (شراء الحصون) فقد كانت الحصون من أهم المواقع العسكرية التي كانت تكسب أصحابها النصر أو المقاومة لمناعة مواقعها الطبيعية، حيث لا يستطيع الجيش المهاجم اجتيازها بسهولة، لذلك كان من السهل على القوى العسكرية شراء الحصون، لأن ذلك يعد أحسن وسيلة وأسهل أسلوب من الدخول في حرب قد تهلك الكثير من قواتهم، من ذلك شراء الداعي محمد بن سبأ الزريعي الحصون من المنصور بن المفضل سنة 547هـ/1152م وهي الحضون التي ورث حكمها عن الصليحيين، وشراء

---

(41) عمارة : نفس المصدر ، ص: 131 - 132 .

(42) الخزرجي : العسجد ، ص: 176 .

سيف الاسلام طغتكين حصن الدُّملُوة، وشراء الملك المسعود حصن بُكُر.[43]

وفي سبيل التغلب على مناعة الحصون في اليمن كان الجيش يستخدم الحصار لها لفترة طويلة دون الدخول في قتال مباشر، فيمنعون عنهم المدد من مؤن وطعام وماء، وعندما تنفذ تلك المؤن يستسلم أهل الحصن دون قتال، أو يقاتلونهم وهم في حالة ضعف، فيكسب الجيش المحاصر لهم تحقيق النصر، ومن ذلك حاصر سيف الاسلام طغتكين حصن (قيظان) تسعة أشهر حتى سلموا له، وحاصر حصن (حَبْ) لأكثر من سنة بدأ سنة 581هـ/ 1185م ترك في حصاره الأمير همام الدين ثم ذهب إلى مكة للحج فلما عاد من الحج استولى على الحصن بالقوة سنة 582هـ/1186م بعد قتل معظمهم[44] .

ومن الأساليب العسكرية (المصالحات) فقد استخدمت المصالحة العسكرية لعدة أسباب، منها تجنب القتال بين الطرفين، لعدم تحقيق الحرب لأي نتائج بعد استمرار القتال بين الطرفين المتحاربين لفترة طويلة دون تحقيق النصر لأحدهما، واستهلاك الحرب للمؤن ولوازم القتال، واقتسام البلدان فيما بين الأطراف المتحاربة وغير ذلك. من هذه المصالحات، عندما طالت مدة الحرب فيما بين السلطان طغتكين وعلي بن حاتم اليامي، أمر طغتكين واليه على صنعاء همام الدين أباريا أن يصالح علي بن حاتم (على أن يعطيه في كل شهر خمسمائة دينار وخمسمائة كيلجة ولا يكون له بلد)[45] فتصالحا على ذلك. ومنها مصالحة اقتسام البلدان فقد صالح الأمير علم الدين وردشار الإمام عبد الله بن حمزة على أن يكون البون الأعلى والأسفل للأمير وردشار الأيوبي ويكون الظاهران والجوف وصعدة للإمام.[45]

ومن الأساليب العسكرية ايضا صرف الأموال للجند في سبيل تفريقهم عن الحصار من ذلك ما عملته السيدة الحرة حينما وزعت عشرة آلآف دينار مصرية لتفريق الجند عن محاصرة ابن

---

(43) الخزرجي : العسجد ، ص: 162 ، 183 ، ابن الديبع : قرة العيون ، ص: 314 ، 390، 416 .

(44) الخزرجي: العسجد، ص: 60 ـ 62 ، ابن الديبع: قرة العيون، ص: 388 ، 390 ، د. محمد عبد العال: الأيوبيون في اليمن ، ص: 125 ـ 127 ، 131 .

(45) الخزرجي : العسجد، ص: 167 ، 178 ، ابن الديبع : قرة العيون ، ص: 408 ، د. محمد عبد العال، الأيوبيون في اليمن ، ص: 144 . وقيل أن ذلك المبلغ في كل سنة وليس في كل شهر.

نجيب الدولة أثناء حصارهم له في الجند .[46]

ومنها كذلك إستعانة إحدى القوى بأعدائها لمحاربة أعداء آخرين من ذلك أن عبيد فاتك بن جياش ومولاهم منصور بن فاتك السنيين استنجدوا بالمفضل بن أبي البركات والسيدة الحرة الإسماعيليين مقابل ربع مالية زبيد وتهامة لنصيرتهم على ابن عمهم عبد الواحد بن جياش الذي استولى على السلطة في زبيد [47] . وهكذا تعددت الأساليب العسكرية .

ومن الأساليب العسكرية كذلك أنه كان يصرف للجند مكافآت مالية عندما يحققون النصر على الأعداء، من ذلك ما وهبته السيدة أسماء بنت شهاب للجند المنتصرين في زبيد عندما فكوا أسرها من النجاحيين، وهي مائة ألف دينار لقائد ميمنة المكرم وما يساوي ذلك المبلغ لقائد ميسرته . [48]

كما كانت تصرف مبالغ مالية في كل سنة كصلة عسكرية، من ذلك ما كان يصرفه سرور الفاتكي سنويا صلة لجنده .[49]

وحسب ما تشير إليه المصادر كان يصرف للجند مرتبات أو أرزاق ولكن لم توضح لنا تلك المصادر مقدار تلك الأرزاق، ولا كيفية استلامها نقداً أم عينا، ولا وقت استلامها شهرياً أم سنويا أم غير ذلك. من تلك الإشارات التي أوضحتها المصادر أن مالية في زبيد عهد علي الصليحي كانت ألف ألف دينار سنويا خارجا عن أرزاق الجند . [50]

ومن حيث استخدام الجيش اليمني للرتب العسكرية نجد أنه كان يوجد بعض الرتب العسكرية مثل عرافة التي تولاها سرور الفاتكي فلقد كان ولي العرافة على طائفة من جند الدولة النجاحية .[51]

---

(46) عمارة : المفيد ، ص: 167 .

(47) عمارة : المفيد ، ص: 208 ـ 209 .

(48) عمارة : المفيد ، ص: 133 .

(49) عمارة : المفيد ، ص: 226 .

(50) الخزرجي : العسجد ، ص: 58 .

(51) عمارة : المفيد ، ص: 225 .

نظام ابن مهدي العسكري : استخدم ابن مهدي نظاما عسكريا جديداً وهي مليكة الدولة لكل ما يحتاجه الجندي من سلاح وعدة وغيره. والدولة هي التي تقوم بكفاية الجندي بكل ما يحتاجه من غذاء وملابس له، ولأسرته وأهله. وما على الجندي إلا الطاعة الجبرية لكل التعاليم التي يصدرها ابن مهدي. ومن هذه التعاليم العسكرية الآتي:

1 ـ يحمل الجندي كل ما تغزله زوجته وبناته إلى بيت المال .

2 ـ يقوم ابن مهدي بكسوة الجندي وأهله ومن عنده .

3 ـ ليس لأحد من عسكره فرس يربطه في داره ولا عدة من سلاح وغيره تظل مع الجندي في غير وقت الحرب، بل الخيل تظل في اصطبل ابن مهدي والسلاح في خزائنه وعندما تحدث الحرب يُخْرِج لهم الخيل والسلاح .

ومن التعاليم العسكرية الصارمة لابن مهدي :

1 ـ قتل المنهزم من عسكره . 2 ـ قتل من شرب الخمر . 3 ـ قتل من سمع الغناء . 4 ـ قتل من يزني. 5 ـ قتل من يتأخر عن صلاة الجماعة. 6 ـ قتل من يتأخر عن مجلس وعظه يومي الإثنين والخميس . 7 ـ قتل من يتأخر عن زيارة قبر أبيه .

وهذه التعاليم العسكرية الشديدة لابن مهدي كانت سارية على عسكره فقط دون الرعايا من الأمة .[52]

ثانيا : الأسطول .

لم تشر المصادر عن وجود أسطول بحري لليمن يدافع عن مدنها البحرية، فعندما هجم جيش صاحب جزيرة كيش على عدن أيام الزريعيين رسا اسطولهم تحت جبل صيرة. فلم يحدث أن تعرض لهم أسطول يمني منعهم من دخول المرسى، فدخلوا المدينة دون مدافع [53]. وذلك رغم اشتغال أهل اليمن بالتجارة وامتلاكهم المراكب الكثيرة فقد كان يرسو في مينا عدن في كل عام ما بين سبعين إلى ثمانين مركباً [54] وكان تجار عدن يملك البعض منهم المراكب العظيمة بجميع ما فيها

---

(52) عمارة : المفيد ، ص: 237 ، الخزرجي : العسجد ، ص: 142 .

(53) ابن المجاور : صفة بلاد اليمن ، ص: 124 ـ 125 ، د. محمد أمين صالح : بنو معن ثم زريع في عدن ، ص: 329 ـ 332 .

(54) ابن المجاور : نفس المصدر ، ص: 144 .

من تجارة لا يشاركه أحد غيره .[55]

ويرجع ذلـك إلى أن الدويـلات الـتي حكمـت اليمـن آنـذاك، كـان لا يوجـد بهـا جيـش عسكري نظامي لاستخدامها النظام العسكري القبلي في حروبهم، والذي يقتضي تجنيد رجالهاأثنـاء الحرب فقط، وتركهـم في وقـت السـلم يزرعـون ويفلحـون دون اخضـاعهم إلى تقـاليد عسـكرية منظمة تلزمهم الاستمرار وتمنحهم العطاء، بل كانوا يخضعون لنظامهم القبلي المنظم للقبيلة فقط .

كما يرجع إلى أنه كان لا يوجد في اليمن آنذاك دولة موحدة لجميع بلدالها فقـد كـانت مقسمة إلى عدة دويلات متصارعة لا تستطيع معهـا اليمـن حـل مشـاكلها الداخليـة في صراعاتهـا المتعددة. كما أن اليمن لم تكن دولة موجهة لبلدان معادية تملك أسطولا بحرياً ، يحتم عليها مجابهتها بقوى بحرية مثلها، ذلك كله فرض على اليمن عدم تمكنها من بناء أسطول بحري سواء للإتجاه نحـو التوسع أو المجابهة لأي عدوان أو حتى الدفاع عن مدنها الشاطئية .

وعرفت اليمن الأسطول البحري منذ عهد الأيوبيين، فعندمـا قـدم تـوران شـاة إلى اليمـن أدخل معه أسطولا، وهو عبارة عن عدة سفن سميت (بالشـواني) وظلـت هـذه السـفن راسـية في ميناء عدن دون عمل لها لفترة طويلة تزيد على سنوات مما يدل على أن اليمنيـين غـير محتـاجين إلى استخدام الأسطول البحري آنذاك. وفي عهد السلطان طغتكين انتشر قراصنـة البحـر علـى طريـق التجارة اليمنية إلى الهند، فأرسل طغتكين هذه الشواني لحماية التجار وتجـارتهم علـى طـول طريـق عدن الهند البحري دون أن يـأخذ مقـابل ذلـك مـن التجـار. وفي عهـد الملـك المسـعود بـدأ يـأخذ ضريبة على سفن التجار مقابل ارسال سفن الشواني لحمايتهم وحماية تجارهم[56] وهكـذا اسـتخدم الأسطول لحماية التجارة في اليمن وظل عمل الشواني في البحر إلى أن انتهت القرصنة البحريـة في اليمن في أخريات العهد الأيوبي .

من خلال استعراض النظام العسكري نجد أن الجيش اليمني كان معظمه جيشـاً قبليـاً غـير

---

(55) ابن بطوطة : رحلة بن بطوطة ، دار صادر ، بيروت ، ص: 251 .

(56) ابـن المجـاور : صفـة بـلاد اليمـن، ص: 141 ــ 142 ، كـان كـل شـوله واحـدة مـزودة بـأبراج وقـلاع للدفاع والهجوم وبها مخازن للمؤن والمياه العذب ومزودة بأكثر مـن مائـة وأربعين مجدافـاً وبهـا قاذفـات النفـط ، ص: 167 ، د. توفيـق سـلطان، دراسـات في النظـم الاسـلامية، طبـع وزارة التعليـم، جامعـة الموصـل، سـنة 1988م ، ص: 167 .

نظامي. وأن القبائل كانت على عداء مع بعضها البعض. لذلك احتدم الصراع بين قبائلها ودويلاتها. فلم تتمكن أي دويلة اعتمدت على القبائل المتعادية من توحيد اليمن. أما الدويلات التي تمكنت أن توحدها فقد كان جيشها من عناصر قبلية غير متعادية. لذلك السبب كان توحيد اليمن. وعن التشكيلات العسكرية فقد كانت تتناسب مع طبيعة اليمن الجبلية ومعرفتهم لفن الحرب. أما أنواع الأسلحة فقد كانت مشابهة لأسلحة الجيش الإسلامي في الأمصار الأخرى.

الباب الثاني
الحياة الاقتصادية

الفصل الأول : الزراعة.

الفصل الثاني: الصناعة .

الفصل الثالث : التجارة .

الفصل الرابع : النظام المالي .

الفصل الأول

الزراعة

تناول فصل الزراعة التضاريس، والموارد المائية، وملكية الأراضي الزراعية، من ملكية خاصة، وملكية للدولة وأوقاف، وتناول العمل الزراعي من ري، وتسميد وحرث، وبذر، وحصاد، كما تناول نوعية المحاصيل الزراعية بالإضافة إلى المراعي الطبيعية والحيوانات، وسوف تكون دراستنا لذلك وفقاً لما أمدتنا به المصادر من معلومات لذلك العصر الذي نبحث فيه.

أولاً: العوامل الطبيعية في بلاد اليمن وأثرها في الحياة الاقتصادية :

1 ـ التضاريس :

على الرغم من موقع بلاد اليمن في النطاق المداري فيما بين خطي عرض 12,5° ـ 17,5° شمال خط الاستواء[1]، إلا أن طبيعة البلاد من حيث وجود الجبال العالية والهضاب والسهول، وبالتالى الاختلاف في الارتفاعات أدى إلى تنوع المناخ والانتاج الزراعي واختلافهما من منطقة إلى أخرى، هذا بالإضافة إلى مدى توفر المياه الجوفية أو مياه الأمطار في بعض المناطق، ومن ناحية أخرى، فقد كان للمناخ والبيئة أثرهما على قدرات السكان في المناطق المختلفة، وأثر ذلك كله على الانتاج بشكل عام.

كان الإنسان اليمني في بعض المراحل التاريخية قادراً على تسخير وتطويع العوامل الطبيعية لصالحه، مما ساعد على خلق مجتمع حضاري، فعمل مدرجات زراعية على معظم المنحدرات الجبلية كما عمل على الاستفادة من التكوينات الجبلية وجريان السيول بينهما، فأقام بين بعض هذه الجبال سدوداً مثل سد مأرب لحجز المياه لاستخدامها وفقاً لاحتياجاته.

غير أنه في بعض المناطق اليمنية كان الإنسان اليمني أسيراً لهذه العوامل الطبيعية فعجز عن امكانية التأثير فيها، أو خلق نوع من التعاون بين سكان المناطق المختلفة مما كان سبباً في عدم قيام وحدة سياسية في كثير من الأحيان، فأثر ذلك على مستوى الفكر اليمني الحضاري

وفيما يتعلق بالتكوين الجغرافي فكان يتكون من سهول وهضاب وجبال على النحو التالي:

السهل الساحلي الغربي : وهو عبارة عن شريط يمتد على طول المنطقة المطلة على البحر الأحمر، والواقعة فيما بين الساحل ومناطق الهضاب والجبال التي تحده شرقاً، ويتراوح عرضها

---

(1) د. محمد متولي: جغرافية اليمن الشمالي حـ 3 ، ص: 93 .

ما بين 30 إلى 70 كيلو متر[2]. ويطلق على هذا السهل اسم تهامة اليمن.

ويقطع هذا السهل من الشرق إلى الغرب عدة مجارى سيول تصب من المناطق الجبلية إلى السهل، وتكوّن أودية متعددة في تهامة اليمن أشهرها على الترتيب من الجنوب إلى الشمال، مُوْزَع، رَسْيَان، نَخْلة، زَبيد، رِمَاع، سِهَام، سُرْدُد، حَرَض، خُلَب، جَازَان، ضَمَد، بَيْش، وغيرها من الأودية الصغيرة[3].

وتعتبر تلك الأودية أكثر تعداداً للسكان من غيرها من مناطق السهول الأخرى، نظراً لتوفر المياه فيها وخاصة في مواسم المطر، كما تعتبر من أخصب مناطق اليمن وأكثرها صلاحية لانتاج الغلات المدارية الحارة مثل الذرة والدخن والقطن والموز وغيره[4].

ووجدت في هذا السهل عدة مدن وقرى جذبت إليها السكان مثل المَهْجَم، والكَدْرَاء وحرض وبيش، سواء للعمل الزراعي أو التجاري، وأيضاً نشأت فيه عاصمة للحكم منذ أوائل القرن الثالث الهجرى، هي زبيد التي استقطبت إليها العديد من العلماء والساسة والتجار والحرفيين وغيرهم، كما يمر عليه طريقان تجاريان إلى خارج اليمن على امتداد السهل مما أدى إلى وجود العديد من المحطات التجارية المتعددة.

السهل الشرقي الصحراوي: وهو السهل الممتد فيما بين حضرموت ونجران مجاوراً لصحراء الربع الخالى. وفي هذا السهل يوجد العديد من الأودية، تصب فيه كثير من مجاري السيول التي تتجمع من عدة روافد من سفوح جبال المناطق المجاورة لها غرباً، وهذه الأودية هي: بيحان، الجُوبَة، حَرِيْب، مَآرب، الجَوْف، نَجْران[5]، إضافة إلى أودية صغيرة أخرى. إلا أن معظم روافد تلك السفوح الجبلية الشرقية لليمن تصب في واد بين هامين هما وادى مآرب ووادي الجوف، لذلك نشأ في مآرب أعظم سدود اليمن لحجز المياه واستغلالها في الزراعة، وكان لذلك أثره في قيام حضارات قديمة متعددة. حيث كانت هذه المنطقة من أكثر مناطق اليمن اخضراراً وأكثرها

---

(2) د محمد متولي: جغرافية اليمن الشمالى، ص: 152 .

(3) د. محمد متولي: نفس المرجع، ص: 125 ـ 127، وحسين الويسي: اليمن الكبرى، النهضة العربية، القاهرة، 1962، ص: 18 ـ 22 .

(4) د محمد متولي: حغرافية اليمن الشمالى، ص: 214، 80 .

(5) د. محمد متولي: حغرافية اليمن الشمالى، ص: 128 ـ129، الويسي: اليمن الكبرى، ص: 26، محمد الأكوع: اليمن الخضراء، ص: 54 ـ56 .

ازدهاراً وحضارة منذ القدم. ولهذا كانت مزدهرة بالعمران والحياة البشرية آنذاك(6)، بما فيها من العديد من المدن والقرى. فلما انهار سد مآرب تأثرت المنطقة واندثرت المدن والقرى، وأصبحت من أقل المناطق اليمنية كثافة في السكان.

السلسلة الجبلية : وهي ما يطلق عليها جبال السَّرَاة أو نجد اليمن، وهي التي تخترق وسط اليمن وتمتد على طولها من أقصى الجنوب إلى أقصى الشمال مبتدئة من جبال المعافر جنوباً حتى آخر حدود اليمن شمالاً عند جبال الحجاز ويتراوح عرض تلك الجبال ما بين 100 ــ 150 كيلو متر، ويصل الارتفاع ما بين 1800 - 2000 متر فوق مستوى سطح البحر(7) وتكون تلك الجبال فيما بينها عدة وديان وقيعان تشتمل على أراضي ومدرجات زراعية خصبة.

وتعتبر هذه المنطقة من أكثر المناطق اليمنية أمطاراً، كما تكثر فيها الينابيع والعيون المائية التي تجرى في كثير من أوديتها المختلفة(8)، لذلك تعتبر هذه السلسلة أكثر مناطق اليمن صلاحية للزراعة وانتاجاً للمحاصيل والغلات المتنوعة التي تجمع ما بين مزروعات الأقاليم الحارة مثل الذرة الرفيعة، والذرة الشامية، والدخن، والموز، ومزروعات الأقاليم المعتدلة مثل العنب والقمح والشعير والبقولات.(9)

كما تعتبر هذه المنطقة من أكثر المناطق اليمنية اعتدالاً في المناخ لا تميل إلى البرودة القاسية ولا إلى الحرارة الشديدة، مما جعلها من أكثر مناطق اليمن في الكثافة السكانية، حيث تزدحم في قيعانها وسفوحها ووديانها الكثير من التجمعات السكانية، وقد أسهمت تلك التجمعات بدور بارز في مختلف مظاهر الحياة الحضارية لليمن في الفترة موضوع الدراسة، حيث وجد بها الكثير من الأنشطة الزراعية والصناعية والفكرية.

وكان الطريق الممتد عبر سلسلة جبال السَّراة من الجنوب إلى الشمال من الطرق التي يصعب استخدامها(10)، مما أدى إلى عدم امكان تحقيق الاتصال بين كثير من السكان، وبالتالي تأكيد العزلة، وتكوين وحدات قبلية منفصلة، واستمرار ظاهرة النزعة القبلية والعصبية. وصعوبة

---

(6) عدنان ترسيسي: اليمن وحضارة العرب، منشورات دار الحياة، بيروت، ص: 12.

(7) د. محمد متولي: جغرافية اليمن الشمالي ، ص: 83 .

(8) د. نزتر الحديثي: اليمن في صدر الاسلام، ص: 39 .

(9) د. محمد متولي: جغرافية اليمن الشمالي، ص: 256، 258 .

(10) مجموعة: الاغا خان للعمارة، ص: 64 .

استمرار وجود دولة موحدة تضم شتات القبائل والمناطق المختلفة.

2 ـ الموارد المائية :

من المعروف أنه لا يوجد باليمن أنهار دائمة الجريان كمصر أو العراق، إنما تعتمد بصفة أساسية على مياه الأمطار التي تتجمع على شكل سيول في الأودية أو تحجزها السدود كسد مآرب من قبل، أو تخترقها التربة فتغذي الينابيع والعيون والآبار[11] .

وتسقط الأمطار في اليمن صيفاً، وقد لاحظ ابن بطوطة ذلك وقال: ((إن المطر ببلاد الهند واليمن والحبشة إنما ينزل في أيام القيظ))[12] . أي شهور يونيه (حزيران)، ويوليه (تموز) وأغسطس (آب) وجزء من سبتمبر (ايلول)[13] في حين يذكر ابن رسته أنهم ((يمطرون في شهور الصيف شهراً واحداً وفي الخريف تمام أربعة أشهر ثم تنقطع الأمطار عندهم))[14] . أما ابن المجاور فيذكر أن نزول المطر في اليمن أكثر من تلك المدة بقوله: ((وينزل الغيث في جبال اليمن ستة شهور))[15] وهو الأقرب إلى الصواب، حيث يوجد باليمن موسمان للأمطار أحدهما: رئيسي ويمتد من شهر يوليو حتى شهر سبتمبر، والآخر: ثانوي يتركز خلال شهري إبريل ومايو.[16] .

ثانيا : أنواع ملكية الأراضي الزراعية:

وعن ملكية الأرض فقد تعددت أنواع ملكية الأراضي الزراعية في اليمن، بين ملكية خاصة وملكية الدولة، كما ظهر فيها أراضي الاقطاع والوقف.

كانت أغلب ملكية الأراضي في اليمن ملكية خاصة موزعة بين الملاك الصغار وهم أغلبية الملاك، وملاك كبار وهم قلة يملكون أراضي واسعة[17] منهم على سبيل المثال: الوزير رزيق الفاتكي النجاحي ت 524 هـ/ 1129م الذي كان يملك أراضي واسعة وكثيرة في زبيد

---

(11) د. محمد متولي: جغرافية اليمن الشمالي، ص: 230 ـ 232 .

(12) ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة، ص: 251 .

(13) ابن الفقيه: مختصر كتاب البلدان، ص: 34، ابن خرداذبة: المسالك والممالك، ص: 152، الهمداني: الدافعة، ص: 118 ـ 119، د. محمد متولي: جغرافية اليمن الشمالي، ص: 230 .

(14) ابن رسته: الأعلاق النفسية، ص: 109 .

(15) ابن المجاور: صفة بلاد اليمن، ص: 160 .

(16) د محمد متولي: نفس المرجع السابق، ص: 229 ـ 230 .

(17) بيوتروفسكي: اليمن قبل الإسلام والقرون الأولى للهجرة، تعريب محمد الشعبي، ص: 103. دار العودة =

حيث عجز الفقهاء عن تقسيمها بين ورثته لكثرتها[18]. والشيخ على بن أحمد المعلم ت 596 هـ/ 1199م، والذي كانت له أملاك واسعة في ذي جبلة وما حولها مثل المجرعة وضَرَاس وذي أشْرَق وغيرها من الأماكن[19]. ومنهم الفقيه محمد بن الحسين وأخوه علي اللذين كانت لهما أراضي جليلة في الجهة القبلية في منطقة عواجة وهي عبارة عن وادي واسع[20].

ومن الضياع ما حصل عليه الشيخ حمير بن سعيد وهي عبارة عن ضيعتين كبيرتين ملكهما عن طريق الهبة، أحدهما: من عثمان العزي وهي ضيعة كبيرة في وادي ذو آل، والأخرى: من الوزير مَنَّ اللـه الفاتكي ت(10 جمادى الأولى524هـ/27 مارس 1130م)وهي ضيعة العبادي بما فيها من زروع وأبقار، وهي ضيعة كبيرة تغني من يملكها، وكان سبب حصول الشيخ حمير على هاتين الضيعتين مقابل وساطته في تزويج الوزير مَنَّ اللـه الفاتكي من جارية عثمان الغزي المسماة (وردة) لأن حمير كان يعمل في تربية الجواري وبيعها وكان قد باع تلك الجارية إلى عثمان الغزي. وكان مَنَّ اللـه الفاتكي قد أُعْجب بها وأرادها لنفسه، وفي نفس الوقت كان قد طمع في أخذ الأقطاع الذي منحه جياش للغز من يد عثمان الغزي، فتوسط فيما بينهما حمير بأن يتنازل عثمان الغزي عن جاريته الجميلة (وردة) لَمَنَّ اللـه الفاتكي مقابل تنازل الآخر عن انتزاع الأقطاع منه، فتمت الوساطة وكان منح الضعتين مقابل ذلك[21].

ووجدت أراضي تملكها الدولة في اليمن منها ما صار ملكاً للدولة عن طريق المصادرات أو الاستصفاء، ومنها ما هو عن طريق الشراء ومنها ما هو عن طريق زراعة الأراضي أو استصلاحها.

فمن الأراضي التي صارت ملكاً للدولة عن طريق الاستصفاء أو المصادرة هي أراضي الصوافي. وهي جمع صِافية وهي ما صفيت لبيت المال[22]. ومن هذه الصوافي التي صادرتها الدولة منها ما كانت ملكاً لفرد بعينه، مثل ما استصفاء المفضل بن أبي البركان الحميري أحد حكام الدولة الصليحية، الذي استصفي أملاك الفقيه عبداللـه بن عمرو بن إسحاق المصوع،

= ، بيروت ، ط1 ، 1987 .

(18) عمارة: المفيد، ص: 212 - 213 .

(19) الخزرجي: العسجد، ص: 170 .

(20) وطيوط: تاريخ المعلم وطيوط، ق: 3 .

(21) عمارة: المفيد، ص: 215- 220، الخزرجي: العسجد، ص: 119 - 121.

(22) الخزرجي: العسجد، ص: 168 .

وكانت صوافيه هذه في قرية ذي سفال في وادي ظبا وذلك سنة 480 هـ/ 1087م[23] حيث كانت أغلب الصوافي القديمة بذي سفال مملوكة له[24]. ومنها ما كانت ملكاً لجماعة من الناس، مثل ما استصفاء طغتكين من أراضي النخيل المملوكة لأهل زبيد، وذلك عن طريق فرض زيادة الخراج عليهم إلى الحد الذي صاروا عاجزين عن دفعة، فلما عجزوا اضطرت جماعة منهم إلى الهروب نتيجة هذه الزيادة، فأمر طغتكين باستصفاء نخيل كل من هرب منهم لبيت المال. بذلك صارت أراضي النخيل في زبيد ملكاً للدولة عن طريق المصادرة[25].

أما الأراضي التي تملكتها الدولة عن طريق الشراء، بعض أراضي النخيل، فقد وجدت قطعتان من النخيل في تهامة كانتا من أحسن قطع النخيل بها، لهما صيت ذائع، إحداهما: تسمى (الفازة) والثانية: تسمى (القبة) فأمر الأتابك سُنْقُر ت(609هـ/1212م) عماله أن يزيدوا الخراج عليها، فاثقلت الزيادة أصحابهما وعجزوا عن أدائها، فتظلموا إليه فلم ينصفهم، بل طلب منهم شرائها فباعوها له بأبخس الأثمان، حيث كان يشتري الألفي نخلة بخمسمائة دينار، كل نخلة بدرهم. وقد كان أهل النخل أرادوا أن يتركوا العمل بالنخيل بعد البيع، إلا أن الأتابك سنقر أجبرهم على العمل بها. وعندها أحس أحد أصحاب النخيل بذلك الغبن الذي لحق بهم في شراء النخيل، فقام بقتل الأمير الذي تولى الإشراف عليها من قبل الأتابك سنقر كي يعيد أراضي النخيل لأصحابها فلم يستطيع، بذلك بقى النخل سلطانياً أي ملكاً للدولة.[26].

كذلك وجدت في اليمن أملاك للدولة وهي التي زرعها الملك سيف الإسلام طغتكين الأيوبي ت 593 هـ/ 1196م بأنواع الثمار حين أنشأ مدينة المنصورة قبلي الجند فقد قام بجلب الفواكه والخضروات إليها من بلدان مختلفة فزرعها من كل صنف، ومن المزروعات التي جلبها من الهند الفوفل، والنارجيل، ومن السِنْد النَبَق، ومن الساحل اليمني قصب السكر والموز، ومن العراق الرُّمان والعنب والكثير من النخيل، ومن الديار المصرية الليمون والأترنج والنارنج، ومن الحجاز الدوم ـ المُقْل ـ كما جلب إليها العديد من السكان[27].

---

(23) الجندي: السلوك، جـ1، ص: 275 ـ 276، ابن سمرة: طبقات فقهاء اليمن، ص: 96 .

(24) با مخرمة: قلادة النحر، جـ3، ص: 601 .

(25) الخزرجي: نفس المصدر والصفحة.

(26) ابن المجاور: صفة بلاد اليمن، ص: 91 ـ 92، الخزرجي: العسجد، ص: 168 ـ 179 .

(27) ابن المجاور: صفة بلاد اليمن، ص: 265 .

كما استصلحت أراضي زراعية، منها ما قام به السيد الفاضل القاسم بن جعفر العيالي سنة 467هـ/ 1074م باصلاح أراضي زراعية بالجوف وأجرى اليها الغيل الذي حوله من مجراه الجديد الى مجراه القديم [28]. وأصلح الأمير ناصر الدين قارون في قرية رباك بلحج بستاناً جميلاً حفر به الآبار وغرسه بالنارنج والأترج والموز. كما غرس به الناخوذة عمر الأمدي سنة 615هـ/ 1218م شجر الشكي (التركي).[29]

وبرغم أن الأراضي الزراعية في اليمن كانت مملوكة أو موقوفة الا أنه وجدت بها أراضي زراعية لا مالك لها ولا واقف مثل ما كان في سهل تهامة في منطقة (سفاكا) من القحمة في وادي ذوال حيث كان بها أرض زراعية واسعة، بها الكثير من أنواع الفواكه ليس لها أي مالك من ذلك ما أورده ابن المجاور عن عقد بها مليء ومكتظ بالمزروعات قوله: (ويكون بهذا العقد النارنج والأترج والليمون والموز ضائع لا مالك له وهذه الأشجار بين أنهار وعيون).[30]

كذلك وجدت أراضي في اليمن على شكل إقطاعات، منها ما اقطعه الخليفة الأمين العباسي للأشراف العلويين، وذلك عندما كثر الاشراف العلويون بأرض الحجاز، خرج قوم منهم الى العراق وطلبوا من الخليفة الأمين أرضاً يقيمون عليها ويأكلون منها: (فأقطعهم من مكة الى الهَلّيَة طولاً ومن صعدة الى ساحل البحر عرضاً). فاستمرت هذه الاقطاعات معهم الى سنة 615هـ/ 1121م حينما انتزعها الأيوبيون منهم [31].

ومن ضمن إقطاعات الأراضي ما اقطعه جياش بن نجاح للمماليك (الغز) الذين استقدمهم لمساعدته في الحرب التي كانت مستمرة بينه وبين سبأ بن أحمد الصليحي، حيث أن جياشاً طلب جيشاً من (الغز) سنة 486هـ/ 1093م، ليحارب بهم الصليحيين فقدم اليه أربعمائة فارس يرأسهم عثمان الغزى، ثم قدم اليه آخرون مَرُّوا على الطريق من مكة الى زبيد، فلما رأى كثرتهم خاف منهم فتخلص من أكثرهم وبقى منهم جميعاً أربعمائة وخمسون فارساً أقطعهم جياش

---

(28) الجنداري: جامع الوجيز في وفيات العلماء أولى التبرير، ق 53.

(29) ابن المجاور: صفة بلاد اليمن، ص 105، العبدلي: هدية الزمن في أخبار ملوك لحج وعدن، دار العودة، بيروت، ص 2، 1400هـ / 1980م، ص 33.

(30) ابن المجاور: صفة بلاد اليمن، ص: 62.

(31) ابن المجاور: صفة بلاد اليمن، ص: 57.

وادي (ذو آل ورعيته من علك وبلاد الأشاعرة وعرضه يوم وطوله من الجبل الى البحر يومان) واستمر هؤلاء (الغز) يستغلون هذا الأقطاع من سنة 486هـ/ 1093م الى سنة 514هـ/ 1120م حينما تحسنت أحوالهم فغنى بعضهم وتملكوا الأراضي بينما ظل البعض الآخر على الاقطاع وحل محلهم أولادهم على جزء منه والجزء الآخر ضم الى قائدهم عثمان الغزي[32].

كما وجدت باليمن أراضي موقوفة أوقفت لأغراض متعددة منها وقف السيدة الحرة أروى بنت أحمد الصليحية، فقد أوقفت أرضاً زراعية في نواحي جبلة وحقل قتاب لتصرف غلاتها في شراء الفحول من البقر. كما أوقفت أرضاً أخرى لرعي المواشي [33]. كذلك أوقف المعز إسماعيل بن طغتكين وادي الضباب جنوب تعز ليصرف ريعه على المدرسة السيفية بتعز وذلك بعد موت أبيه طغتكين سنة 593هـ/ 1197م. كما أوقف أرضاً جيدة في زبيد للصرف على مدرسة الميلين بها[34].

كما كان يوجد في اليمن نظام تقبيل ثمار الأراضي الزراعية، والتقبيل هو قبول الشيء المعرض للبيع بمبلغ محدد يتم الاتفاق عليه بين البائع والمشتري على أن يدفع المبلغ بعد بيع الثمار، من ذلك ما كان يجري في زبيد فكان إذا طرح النخيل تقبل كل واحد من الناس كل على قدر طاقته (ويجيء إليه الناس من باب حرض الى آخر أعمال أبين وينزل أهل الجبال الى تهامة)[35].

وكان يوجد في اليمن أيضاً نظام رهن الأرض، من ذلك ما حدث في بلاد وادعة بنجران، فقد كان الرعية يرهنون أراضيهم لجيرانهم وكان التجار اليهود والنصارى هم الذين يقومون بهذا العمل، وكان إذا طلب أصحاب الأرض من اليهود إعادتها امتنعوا، واستمرت عملية الرهن قائمة الى أن أصبحت أغلب أراضيهم في أيادي اليهود، وعندما حاول أصحاب الأرض استعادة أراضيهم بالقوة من اليهود، احتمى هؤلاء التجار اليهود بأهل نجران وبالسلطان هشام بن نباته الكوكباني، فمنعوهم من استعادة أراضيهم، وفي عهد الامام أحمد بن سليمان العلوي الذي تولى إمامة الزيدية

(32) عمارة: المفيد، ص: 215 - 217. لم توضح لنا المصادر المكان الذي قدم منها (الغز) ولكن ربما قدموا من المناطق الكردية أو من بلاد الغزنويين.

(33) د. حسن سليمان: أروى سيدة مكلوك اليمن، ص· 92، تاريخ اليمن السياسي: ص 204.

(34) ابن الديبع: قرة العيون، ص: 400 - 403.

(35) ابن المجاور : صفة بلاد اليمن ، ص: 79.

سنة 533هـ/1138م اشتكى أهل تلك الأراضي المرهونة اليه من هؤلاء التجار اليهود وقصوا اليه قصة رهن الأرض فقالوا له: (إن هذه الأموال جميعها من أجدادنا وآبائنا ومنا وأن الرجل منا إذا احتاج رهن الجربة في بعض قيمتها فاذا أتى بعد ذلك يستخرجها ممن هي في يده امتنع عليه وتأنى وظلم صاحبها وصارت جميع أموالنا في أيدي هؤلاء التجار) فحاول الامام علاج هذه المشكلة، فطلب من اليهود إعادة أراضي الرعية، وعندما رفض اليهود أجبرهم الإمام على إعادة الأرض لأصحابها وإعادة نصف غلاة الثمرة لتلك السنة. وهكذا استطاع الناس استعادة أراضيهم من اليهود بتدخل الامام [36].

ثالثاً: العمل الزراعي.

1 ـ نظام الري:

عمل اليمنيون على الاستفادة بمياه الأمطار، وذلك بانشاء السدود والخزانات والصهاريج المتعددة. في المناطق المناسبة حتى اشتهرت بلاد اليمن بأنها بلاد السدود ومن أقدم سدود اليمن كما هو معروف سد مأرب المشهور والى جانبه وجدت سدود قديمة أخرى مثل سد الخانق بصعدة، وسد ريعان في وادي ضهر، وسد العرائس في لحج، وسدود أودية بيحان وجردان وعمد ويحصب[37]، كما استفاد اليمني من مياه الينابيع والعيون وحفر الآبار المتعددة لري أرضه. وعلى ذلك يوجد في اليمن أربعة طرق للري هي:

1 ـ الري بمياه الأمطار.

2 ـ الري بمياه السدود.

3 ـ الري بمياه الينابيع والعيون.

4 ـ الري بمياه الآبار.

وقد أوضح ابن رسته طرق الري بقوله: (وضياعهم أجل ضياع وأكثرها فاكهة وأحسنها عمارة وهي على ثلاثة أصناف صنف منها اعزاء وصنف منها على العيون وصنف على الآبار يسقى منها بالأبل والبقر وصنف هي اسراها وأكثرها قيمة على ماء السد)[38].

---

(36) سليمان الثقفي: سيرة الامام أحمد بن سليمان، ق 6، لم نعثر على ترجمة لنباته الكوكباني.

(37) د. يوسف عبدالله: أوراق في تاريخ اليمن، جـ 1، ص: 15.

(38) ابن رسته: الاعلاق النفسية، ص: 112.

أ ـ الري من سيول الأمطار:

يؤدي سقوط الأمطار على الجبال والمرتفعات الى إنشاء مجاري لمياه السيول، وتعتبر هذه المجاري ملكاً عاماً لجميع من يملكون الأراضي على مجارى هذه السيول في أودية اليمن، ولا يجوز لأحد أن يملك مجرى هذه المياه أو المياه نفسها منفرداً دون الآخرين، كما لا يجوز للحاكم أو الامام إقطاعها لأحد من الناس أو امتلاكها دون الآخرين [39] فهي من المنافع العامة.

والقاعدة العامة في ري أراضي المزارعين من مياه السيول، أن يتم ذلك حسب الدور بحيث يروي المزارع أرضه الأول ثم الذي يليه كل بحسب دوره [40] حتى يروي جميع المزارعين أراضيهم، وليس لأحد حق أن يحجزها أو يحل في الدور قبل غيره [41].

وفي حالة قلة مياه السيول وعدم غزارتها أو كفايتها، تروى الأراضي الزراعية الأولى، فالتالية لها بحسب دور كل واحد الى حيث تنتهي مياه السيول، فتوضع علامة عند انتهاء ري الأراضي الزراعية، وعندما تأتي سقطة المطرة الثانية، يبدأ الري من حيث انتهى ري مياه المطرة الأولى، وهكذا حتى ينتهي سقي الوادي كله. وهكذا يجري في كل مرة تقديم الأعلى فالذي يليه، بحسب دور كل واحد منهم [42]. تلك الطريقة في حالة تتابع سقوط المطر قبل أن يبدأ ضمور زرع المطرة الأولى، أما إذا تأخر جريان مياه المطر على المجاري ويبدأ يضمر زرع المطرة الأولى، يبدأ سقي أعلى أراضي الوادي ثم الذي يليها بحسب دورها إلى حيث ينتهي جريان مياه الأمطار أو السيول.بدلا من التتابع من حيث انتهت المطرة الأولى.وذلك لإنقاذ ما يمكن إنقاذه من الزرع[43] .

ب ـ الري عن طريق السدود:

تقام السدود على فتحات جبال تتجمع اليها المياه من منحدرات متعددة، وتكون هذه السدود قريبة من الضيعات، وفي موضع مرتفع عنها، حتى يسمح بانحدار المياه اليها بسهولة، ويوضع أسفل هذه السدود فتحة لكل سد تغلق حتى يمتلئ السد بالمياه ثم تفتح ليخرج منها الماء

---

(39) الشيلي: المشروع الروي، ص: 152، حسين الأهدل: كشف القناع في معرفة أحكام الزرع، تحقيق الحبشي مجلة الاكليل عدد (1) سنة 1980م، ص: 116.

(40) الشيلي:المشروع الروي،ص:152،حسين الأهدل:كشف القناع في معرفة أحكام الزرع، ص:116.

(41) حسي الأهدل: نفس المصدر والصفحة.

(42) الشيلي: المشروع الروي ، ص:152

(43) الشيلي : المشروع الروي ، ص: 152 .

وتسير الى الأراضي التي أسفله، لذلك فالسد ملكهم جميعاً، ويوضح ابن رسته أن الري عن طريق السدود هو أكثر أنواع الري المستخدمة في اليمن(44).

جـ ـ الري عن طريق الغيول والينابيع:

توجد كثير من الغيول في المناطق الجبلية في اليمن، وهي عبارة عن ينابيع أو عيون تخرج منها المياه في موسم المطر، وتنضب في انعدامها. والنظام المتبع في ري الأراضي الزراعية أسفل هذه الغيول أو الينابيع، هي أن يبني المزارعون بالتعاون فيما بينهم كل على قدر حصته سداً أو خزاناً أو بركة بالحجر قريبة من مياه العين، ويكون مستواها أسفل من مستوى مخرج مياه العين كي يتجمع اليها المياه الخارجة من العين، ويضعون لهذه البركة فتحة أسفلها تسمح بخروج المياه منها، وتوضع لهذه الفتحة صمام تحكم يفتح ويغلق عند الحاجة، ويوجد أسفل فتحة البركة قناة رئيسية لتوصيل المياه تمتد عبر الأراضي الزراعية المراد سقيها(45).

ويعد المجرى الرئيسي ملكاً عاماً لجميع المزراعين (46)، أما المجاري الفرعية فهي عادة ما تكون ملكاً خاصاً لأصحاب الأراضي، واذا كانت هناك أراضي داخلية تسقى عن طريق أراضي أخرى، فان المجاري الفرعية عبرها قد تشترى، أو تستأجر، أو يسمح لهم بها، وذلك حسب العادة والاتفاق(47).

ونظام توزيع مياه الغيل على المزارعين هو نظام الحصص أو الأسراب، وهو النظام الذي يتحصل بموجبه كل مزارع على نصيبه من مياه الغيل على قدر حيازته للأراضي الزراعية(48).

وعادة ما تملأ البركة أو الخزان على قدر غزارة مياه الغيل فتارة يمتلئ بنصف نهار،وتارة بيوم كامل،وتارة أخرى بأقل أوأكثر،وقد تحسب حصص أو أسراب المزارعين بالأيام أو بعدد مرات

---

(44) ابن رسته: الاعلاق النفسية، ص: 112.

(45) الأهدل: كشف القناع في معرفة أحكام الزرع، ص: 127 ـ 131، د. محمد متولي: جغرافية اليمن الشمالي، ص: 250 ـ 251.

(46) الشيلي: المشروع الروي، ص: 152.

(47) الأهدل: كشف القناع في معرفة أحكام الزرع، ص: 127 ـ 131.

(48) حسين الأهدل: كشف القناع في معرفة أحكام الزرع، ص: 116، د. محمد متولي: جغرافية اليمن الشمالي، ص: 248 ـ 249.

امتلاء البركة[49].

ويتولى الأشراف على توزيع المياه رجل لـه خبرة في حصـص كـل أرض وأوقـات امتـلاء البركة بالمياه. يختاره المزارعون، ويقوم بمراقبة حصص كل فرد، وترتيبهم في أخذ المياه وفض النزاع الذي قد ينشأ بين المزارعين بشأن أحقيتهم في المياه وترتيبهم[50].

ويوضح الهمداني طريقة الري من الغيول في واد ضهر بصنعاء كمثل لما يجرى عليـه الـري بواسطة الغيول في اليمن . بأن تروى الأرض الأول فالأول، ولا يقـدم فيهـا سـلطان علـى يتيـم أو ذمي، حتى ولو لم تكن أرضه مزروعة، وإذا حاول بعض خدم السلطان أن يجـروا الغيـل الى أرضـه بغير معرفة وعلم المشرف (الدائل) تهدم غرس السلطان كلها مهما بلغت قوته، وإذا كان لأي فرد في الوادي ضيعة بور (صلب) وكان صاحبها في بلاد الـروم أو غيرهـا، فلابـد أن تسـقى أرضـه إذا حل وقتها حتى ولو لم يكن بهـا زرع، ويكـون تـوالي ري الأرض الزراعيـة مـن أسـفل الـوادى الى أعلاه، ومن أعلى الى أسفل وهكذا [51].

وفي حالة ري الأرض سواء مـن الغيـول أو السـدود، فـإن الأرض تسـوى تسـوية جيـدة، بحيث تعمل الأرض أحواضاً، وطريقة وضع الأحواض أن تقسـم الأرض أقسـاماً تشـبه الأحـواض، وذلك بأن يضع خطاً بالمحراث (التلام) خطاً أو تلماً مستوياً، ويزيد بجانبه خطاً أو تلماً آخر، بحيـث يكون ما بين الخطين مرتفعاً، وهو ما يسمى عريم أو كفل أو زبير، ثـم يـترك بعـده مسـافة حسـب رغبته في تقسيم الأرض من حيث قوة وضعف المياه التي يروى بها. وبعد ترك المسافة تضع تلماً أو خطاً بالمحراث وبجانبه خطاً آخر حتى يكون له إرتفاع، وبنفـس الطريقـة يعمـل في الطـرف الثـالث والرابع حتى تتكون له أحواض أما مربعة، أو مستطيلة وذلك بحسب المسافة التي تركها[52].

ويختلف ري الأرض من محصول إلى آخر، ففي بعض أنـواع الـزرع قـد تفـرغ الأحـواض مجرد امتلائها بالماء في نفس اليوم، وفي بعض أنـواع الزراعـات تسـد الأحـواض ليسـتقر المـاء فـترة

---

(49) د. محمد متولي: نفس المرجع، ص: 248 - 251.

(50) د. محمد متولي: نفس المرحع، ص: 246 - 247.

(51) الهمداني: الاكليل، 121/8 - 122، د. محمد أمين صالح: تاريخ اليمن الاسلامي، ص: 204 - 205.

(52) الاشرف عمر بن رسول: ملح الملاحة في معرفة الفلاحة، تحقيق محمد عبدالرحيـم حـازم، مجلـة الاكليـل، ص: 77. (التلام) كل شق في الأرض كخط المحراث (ج) تلم ، المعجم الوجيز، ص: 77 .

طويلة، وتظل بها حتى تجف، مثل زراعة الأرز[53].

د ـ الري من الآبار:

كذلك اعتمد اليمنيون على الآبار في ري أراضيهم، فيرفعون مياه الآبار عن طريق الإنسان أو الحيوانات المختلفة، مثل الابل والبقر[54]، والحمير أو غيرها وذلك عن طريق ربط الدلو بطرف حبل طويل، والطرف الآخر يربط في الحيوان فينزل الدلو في البئر ثم يجره الحيوان ويفرغه في أحواض أو صهاريج بجانب الآبار ويستمر الانزال والرفع حتى تتجمع فيها المياه، ثم ترسل الى الضيعات عن طريق سواقي معدة لري الأرض: وقد أوضح ذلك ابن بطوطة بقوله: (انهم ـ أي اليمنيون ـ يعتمدون في ري أراضيهم على آبار شديدة العمق ولكي يقوموا بهذا العمل فانهم يربطون دلواً كبيرة بعدة حبال ويشدون أطرافها الأخرى الى حزامات عبيد ذكراً وإناث فيجر هؤلاء الدلو متسلقين عموداً من خشب أقيم حول البئر ثم يصبون الماء في صهريج ينطلق منه الماء لري الأرض)[55]. وكانت أراضي تهامة هي إحدى الأراضي التي تروى عن طريق الآبار.[56]

2 ـ التسميد (تسميد الأرض):

استخدم اليمنيون السماد الطبيعي في تسميد أراضيهم، وقد وصف صاحب كتاب (ملح الملاحة في معرفة الفلاحة) أنواع السماد الطبيعي الجيد، فذكر أن أجودها هو زبل الحمام وسرقين الطير ـ عدا طير الماء مثل البط ـ ثم أجود أنواع السماد مرتبة هو سرقين الخيل والبغال والحمير ثم الضأن والماعز ثم البقر.[57]

واذا خلط السرقين أو ما يسمى الدمان بعضه ببعض كان سماداً جيداً، واذا خلط السرقين بثلاثة أمثاله من التراب صار سماداً جيداً للزراعة، وكانت أراضي المحاصيل الزراعية في اليمن مثل أراضي (القمح) تسمد بالسماد الجيد قبل الحرث ثم يحرث عليه، وذلك بأن ينشر

(53) الاشرف عمر بن رسول: ملح الملاحة في معرفة الفلاحة، المصدر السابق، ص: 178 ـ 184.

(54) ابن رسته: الاعلاق النفسية، ص: 112.

(55) نقلا عن د. محمد سعيد العطار: التخلف الاقتصادي والاجتماعي باليمن، ص: 170.

(56) ابن المجاور: صفة بلاد اليمن، ص: 59.

(57) الاشرف عمر بن رسول: ملح الملاحة في معرفة الفلاحة، ص: 176.

الدمان (السماد) على طول الجربة ثم تحرث.[58]

3 ـ الحرث:

تحرث الأرض المسمدة عادة في غير وقت الندى، وذلك عندما تضربها الشمس وتجف منها المياه، وتحرث بحسب نوعية التربة من جودة وضعف، وعلى قدر صلابتها ولينها، وعلى حسب نوعية المحاصيل الزراعية، فمثلاً في زراعة البر تحرث أرضه جيداً، وفي الدخن تحرث الأرض مرتين، أو ثلاث مرات، وفي السمسم تحرث أربع أو خمس مرات، وفي زراعة الفَوَّة تحرث الأرض مرات كثيرة قد تصل الى عشرين مرة، وقد تحرث الأرض مرة واحدة في المناطق الجيدة التربة ثم تبدأ عملية الزراعة بها.[59]

ويختلف وقت الحرث من منطقة الى أخرى في اليمن، وذلك بحسب المناخ من حرارة وبرودة واعتدال، أو حسب موسم زراعة المحاصيل بها. ففي بعض المناطق يترك الفلاح الأرض ترتوي بماء الأمطار في آخر تموز وأول آب ثم يتركها لتجف مياهها، ثم تبدأ عملية الحرث في آخر أيلول، وتحرث مرة ثانية في تشرين أول وثالثة في تشرين الثاني، ثم تبدأ عملية بذر المحاصيل في كانون أول.[60]

وفي بعض المناطق اليمنية تبدأ عملية الحرث في آذار ثم تحرث مرة ثانية في نيسان وثالثة في آيار، ثم تبدأ عملية بذر المحاصيل في شهر حزيران.[61]

وتستخدم الثيران أو غيرها للحرث بأن تركب آلة الحرث يجرها ثوران أو جمل أو غيرها، وعند الحرث يوضع خط الحرث بجوار الخط الآخر بحيث تكون مقاربة بعضها الى بعض، أي أن تراب خط الحرث الثاني ينقلب على شق الخط الأول، فاذا حرث الحرثة الأولى بالطول يحرث الحرثة الثانية بالعرض مقاطعة للحرثة الأولى، وذلك كي يسمح بتقليب التربة وتصفية الحشائش

---

(58) الاشرف عمر بن رسول: نفس المصدر والصفحة، والسرقين: هو ما يسمى الدمان وهو روث الحيوانات.

(59) الاشرف عمر بن رسول: ملح الملاحة في معرفة الفلاحة، ص: 187 ـ 188.

(60) الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص: 317، الهمداني: الدامغة، ص: 120.

(61) الاشرف عمر بن رسول: ملح الملاحة في معرفة الفلاحة، ص: 177.

منها وتوزيع السماد عليها.[62]

ويستمر الحرث في أثناء الزراعة لبعض المزروعات مثل الذرة الرفيعة والدخن، فبعد أربعين يوماً من البذر تحرث الأرض المزروعة، بأن يمرر الحراث وسط الزرع في المكان الذي جعله فارغاً من الزرع، والذي سمى كفلا أو عريماً بحيث يشكل خط الحرث شقاً أو انخفاضاً، ثم يوضح خط الحرث الثاني بجانب الزرع من الجهة الثانية، حتى يصبح الزرع على إرتفاع (كفل) وشق الحرث (التلم) فارغ من الزرع، ويسمى هذا الحرث في الجبال (بالكحيف) وفي تهامة يسمى (الشتاه)، وبعد شهرين من الحرث المسمى (الكحيف) تحرث الأرض المزروعة مرة ثانية في المناطق الجبلية، أما تهامة فتكتفي بحرثة واحدة، فيوضع شق الحرث (التلم) مكان شق الحرث السابق لأن التراب قد ردمها (غطاها) بحيث يرفع الزرع مرة ثانية كما عمل في المرة الأولى، وتسمى هذه الحرثة الثانية في الجبال (بالخلفة أو الجلاب). والحرث أثناء الزراعة يساعد على عملية ري الزراعة والاحتفاظ بالماء من خلال الشق (التلم) كما يساعد على تنقية الأرض من أنواع الحشائش والأشجار فتجود الزراعة في الأرض وتنتج أكثر[63].

تعتمد أوقات الزراعة في اليمن على الأشهر الشمسية ونورد هنا أسماء هذه الأشهر مع ما يقابلها بالرومية مالآتي:

اسم الشهر	عدد أيامه	مقابله	اسم الشهر	عدد أيامه	مقابله
كانون الثاني	31 يوما	يناير	تموز	31 يوماً	يوليو
شباط	28 يوماً	فبراير	آب	31 يوماً	اغسطس
آذار	31 يوماً	مارس	أيلول	30 يوماً	سبتمبر
نيسان	30 يوماً	إبريل	تشرين أول	31 يوماً	أكتوبر
آيار	31 يوماً	مايو	تشرين الثاني	30 يوماً	نوفمبر
حزيران	30 يوماً	يونيو	كانون أول	31 يوماً	ديسمبر

وفي بعض المناطق اليمنية لازالت بعض الأشهر الحميرية تستخدم بها مثل شهر مَبْكَرْ عن شهر آيار ، مايو وعلاّن عن شهر أيلول، سبتمبر [63م]

(62) الاشرف عمر بن رسول: نفس المصدر، ص: 178.

(63) الاشرف عمر بن رسول: ملح الملاحة في معرفة الفلاحة، ص: 182 ـ 183.

(63م) الأشرف عمر بن رسول : المصدر السابق ، ص : 175 .

4 ـ البذر:

تتم عملية البذر بحسب نوعية المحاصيل المزروعة، وحسب نوعية الأرض. فالبر (القمح) يبذر (يسفح) والأرض ندية من المطر، ليست ملطة من شدة المطر، ويكون البذر متوسطاً بحيث يقع في موضع وطأة القدم بقدر سبع حبات أو ما يقاربها، ويحرث على البذر حتى يغطى بالتراب، وإذا كانت الأرض جيدة يكثف بذرها ولا يخفف، أما الأرض المتوسطة في الخصوبة فيوسط بذرها ولا يرق (يخفف)، وفي الذرة يبذر والأرض متوسطة بين الرطوبة والجفاف[64] وفي الطهف يبذر قبل أن يجف الماء من على وجه الأرض.[65]

وطريقة البذر في الذرة بأن يوضع خط الحرث (التلم) مستقيماً مستوياً، كل خط مستقيم بجانب الخط السابق له غير منطرح عليه بحيث يشكل ما بين الخطين إرتفاع (كفل) ثم يبذر الحب داخل الشق (التلم) أو خط الحرث، بأن ترمى ثلاث أو أربع أو خمس حبات من بين الأنامل، في كل خطوة، في أثر آلة الحرث (المحراث) حتى يغطى الحب بالتراب، واذا لم يغطه التراب يطأ الباذر بقدمه حتى يغطى الحب، وتعتمد وطأة الباذر على الحب بقدمه أو عدم وطأته لها على خفة التراث وثقله من حيث تغطية الحب أو عدمه.[66]

5 ـ الزرع والحصاد:

ويختلف نمو المحصول الواحد من منطقة الى أخرى، فالبر الأبيض والبر المسمى الهلبا يزرع في المناطق الباردة، فيستغرق مكوثه أي نموه الى حصاده أربعة أشهر الى أربعة أشهر ونصف، والبر المسمى الوسني يزرع في المناطق المعتدلة ويستغرق ثلاثة أشهر ونصف[67]، والشعير في مأرب تستغرق مدته حوالى الشهرين [68]. والذرة التي تزرع في المناطق المعتدلة والحارة يختلف وقت بقائها من منطقة الى أخرى، ومن نوع الى آخر، فالذرة البيضاء والصفراء تستغرق مدتها خمسة أشهر كما هو في تهامة، وبعضها يستغرق أربعة أشهر وسبعة أشهر كما هو في الجبال[69]، وهكذا

---

(64) الاشرف عمر بن رسول: المصدر السابق، ص: 178 ـ 192.

(65) الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص: 317، الطهف: حبته أصغر من الدخن.

(66) الاشرف عمر بن رسول: نفس المصدر، ص: 182.

(67) الاشرف عمر بن رسول: ملح الملاحة في معرفة الفلاحة، ص: 177 ـ 178.

(68) ياقوت الحموي: معجم البلدان، ص: 35.

(69) الاشرف عمر بن رسول: نفس المصدر، ص: 181.

تختلف مدة بقاء المحاصيل في الأرض بحسب التربة والهواء ونوع الزرع.

وقد يزرع المحصول الواحد في بعض المناطق مرتين أو أكثر في أوقات مختلفة،في حين يزرع في بعض المناطق مرة واحدة، فمثلاً البر المسمى الوسني الذي يزرع في المناطق المعتدلة، يزرع في أولَ تموز،ويزرع في نصف تشرين أول الى نصف تشرين الثاني،ويزرع في كانون أول الى كانون الثاني.(70)

والذرة في تهامة تختلف زراعتها عن الجبال، ففي الجبال تزرع في نيسان لمرة واحدة، بينما في تهامة تزرع لعدة مرات في أوقات مختلفة، فتزرع في أول آب وأيلول، وفي 29/آذار، وتزرع في تشرين أول، و 16/تشرين الثاني، والعشرين من كانون أول (71) وهكذا تتعدد زراعة المحصول الواحد في المنطقة الواحدة.

وفي بعض مناطق اليمن مثل مأرِب والجَوْف وبَيْحَان، فإن القطعة من الأرض (الجربة أو العقار) تمتليء من السيل ثم تبذر بالطهف أو الدخن قبل أن يجف الماء من على وجه الأرض، وعندما ينضب ماؤها تبدأ عملية إنبات الزرع، وبعد الحصاد تحرث وتزرع مرة ثانية، ثم ثالثة، ولذلك فهي تصلح للحرث والبذر مرة بعد أخرى فيستمر بها الانماء والانبات والحصاد مرات كثيرة(72).

ومن حيث تعدد المزروعات في الحقل الواحد، قد تزرع عدة أنواع من المزروعات دفعة واحدة مختلطة مع بعضها البعض، مثل السمسم واللوبيا والعتر والقثاء والبطيخ والقرع وغيره، فينبت كل محصول ويحصد حسب زمان استغراقه في الأرض الأول فالأول(73).

ومن أمثلة المزروعات التي تزرع عدة مرات في بعض مناطق اليمن مثل صنعاء تزرع الحنطة والعنب وتحصد في السنة دفعتين، ويزرع الشعير والأرز ويحصد من دفعتين الى ثلاث أو أربع دفعات، ويحصد الموز كل أربعين يوماً، وهناك أنواع من الثمار يحصد على دفعتين في السنة(74)، ويضيف القزويني أنها تزرع في السنة أربع مرات، وتحصد كل زرعة في ستين يوماً،

---

(70) الاشرف عمر بن رسول: نفس المصدر، ص: 180.

(71) الاشرف عمر بن رسول: نفس المصدر، ص: 181.

(72) الهمداني: صفة الجزيرة العربية، ص: 317 - 318، د. أمين صالح: تاريخ اليمن الاسلامي، ص: 205.

(73) الهمداني: نفس المصدر والصفحة.

(74) ابن رسته: الاعلاق النفسية، ص: 109 - 111.

وتحمل أشجارها في السنة مرتين.[75]

أما بعض مناطق اليمن وخاصة المدرجات الجبلية فهي لا تزرع الا مرة واحدة، وذلك بسبب أن أراضيها لا تستطيع الاحتفاظ بالندى فترة طويلة، وهي تعتمد على استمرار هطول الأمطار فتزرع في موسم المطر فقط. فالزرع يمكث بها حتى يحصد مدة خمسة أشهر، وشهرين قبل البذر،تستطيع الأرض حبس الندى،فتصبح فترة احتفاظ الأرض بالندى سبعة أشهر[76]،مع استمرار هطول الأمطار،أما بقية الفترة، فتظل جافة، لذلك فهذه الأرض لا تزرع الا مرة واحدة في العام.

وتزرع بعض الأراضي عدة مرات على الرية (السقية) الواحدة مثل أراضي مأرب وأرض دلتا السيول في تهامة، لما لهذه الأراضي من خصوبة وجودة، وقد أوضح ياقوت الحموي أن أهل (مأرب يزرعون على ماء جار يأتيهم من ناحية السد، فيسقون أراضيهم سقية واحدة، ثم يزرعون عليها ثلاث مرات في كل عام ويكون بين بذر الشعير وحصاده في ذلك الموضع شهران)[77] فمثلاً يبذر البر في كانون أول ويحصد في آيار حتى ولو لم يصبه ماء[78].

من ذلك نستطيع القول أن هناك بعض أراض تحتفظ بنداها أو رطوبتها لفترة طويلة، فتزرع مرتان أو ثلاث أو أربع مرات، وبعضها لا تحتفظ برطوبتها أو نداها الا قليلاً فتزرع لمرة واحدة وهكذا تنوعت زراعة المحاصيل في اليمن حسب نوعية التربة ـ وخصوبتها ونوعية المزروعات والطقس.

6 ـ المحاصيل الزراعية:

يزرع في اليمن أنواع كثيرة من الحبوب والفواكه والخضروات وقد اشتهرت بعض المناطق اليمنية بجودة الزراعة بها وكثرتها، من ذلك مثلاً كان مخلاق ذي جرة وخولان خزانة اليمن، وذمار ورعين والسحول مصر اليمن، لأن الذرة والشعير والبر تبقى بها المدة الكثيرة[79] كما ذكر ياقوت الحموي حديث أحد رجال اليمن عن الزراعة بها قوله: (أما جبالها فكروم وورس

---

(75) القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، ص: 65.

(76) الهمداني: الدافعة، ص: 122.

(77) ياقوت الحموي: معجم البلدان، ص: 35.

(78) الهمداني: صفة الجزيرة العربية، ص: 317، الدامغة، ص: 120.

(79) ياقوت الحموي: المصدر السابق،جـ 5 ، ص: 79.

وسهولها بر وشعير وذرة[80] وعلى ذلك فان أهم زراعة اليمن هي الذرة والشعير والبر.

فيزرع باليمن أنواع الذرة البيضاء والصفراء والحمراء والغبراء. [81] فهي تزرع في تهامة وفي المناطق الجبلية في موسم الحر وأشهر مناطق زراعتها هي السحول ورعين وذمار وخولان [82] بالاضافة إلى مناطق جبلية أخرى مثل شَهَارة[83] ومِسْوَ[84] والشَـرْجَة والسَـرْوات[85] وعَـثَّر ونَجْرَان[86]، كما تزرع في مأرب، والجُوْف وبَيْحَان[87] وغيرها.

ويزرع في اليمن القمح (الحنطة - البر) بأنواعه الذي منه (المسمى (بالبر العربي) وحبه أبيض رقيق الحب، والبر الهلبا وحبه أبيض قصير والبر الوسني وحبه أحمر، والبر الحبشي حبه ما بين البياض والحمرة [88] وغيرها ويزرع في موسم اعتدال الطقس وبرودته، في مناطق شتى من اليمن، وأهمها هي السلسة الجبلية لليمن وهضابها والسهول المجاورة لها بما فيها من وديان وقيعان، مثل صبر (تعز) والشعر والشوافي[89] والسحول ورعين وذمار وخولان[90]، وصنعاء ومأرب والجوف ونجران [91] وصعدة[92] وشهارة[93]، ومسور[94]، وما حولها مثل جبل تخلى[95]، وزرعت الحنطة

---

(80) ياقوت الحموي: معجم البلدان،جـ 5 ، ص: 448.

(81) الهمداني: صفة الجزيرة العربية، ص: 317، د. أمين صالح: تاريخ اليمن الاسلامي، ص: 305.

(82) ياقوت الحموي: معجم البلدان، جـ 5 ، ص: 69.

(83) الربعي: سيرة ذي الشرفين، ق: 34.

(84) القزويني: اثار البلاد، ص: 62.

(85) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص: 86.

(86) الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص: 318 - 319، حمد الجاسر: كتب المنازل من روافد الدراسات في جغرافية جزيرة العرب، مصادر تاريخ الجزيرة العربية، جـ1، ص: 231.

(87) الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص: 318 - 319،

(88) الاشرف عمر بن رسول: ملح الملاحة في معرفة الفلاحة، ص: 177 - 178.

(89) الاشرف عمر بن رسول: نفس المصدر والصفحة.

(90) ياقوت الحموي: معجم البلدان، ص: 69.

(91) الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص: 317.

(92) ابن المجاور: صفة بلاد اليمن، ص: 206.

(93) الربعي: سيرة ذي الشرقين، ص: 34.

(94) القزويني: اثار البلاد، ص: 62.

(95) الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص: 310.

والشعير في إقليم فشال على وادي رِمَع في تهامة سنة 623هـ/ 1226م[96]. كذلك زرع في نفس تلك المناطق الشعير والعلس[97].

كذلك زرع في اليمن النخيل في كل من مأرب[98] ونجران وجرش[99] وأهم منطقة في زراعته هي تهامة وخاصة زبيد وما حولها.[100]

وتزرع أنواع الخضروات والفواكه في أنحاء اليمن، فقد كان معظم الفواكه التي تزرع بمصر تزرع في اليمن[101]. ونورد هنا مثلين أحدهما لصنعاء وهو ما يمثل زراعة المناطق الباردة والمعتدلة، والآخر لزبيد يمثل زراعة المناطق الحارة.

ففي صنعاء يزرع الرمان الحلو والحامض والممزوج، والسفرجل، والاجاص (البرقوق) والمشمش، والتفاح الحامض والممزوج، والخوخ (الفرسك) بأنواعه المسمى الفارسي، والهندي، والحميري، والكمثري، والتين، والجوز، واللوز، والكروم (العنب) بأنواعه[102]، ويزرع فيها قصب السكر ، وفستق، وبطيخ وقثاء، وأنواع الخضروات، والأترج [103]، كذلك يزرع بها الوان الرياحين والورد والياسمين والنرجس وألوان السوسن[104]، وضروب من الزهور والورد والأنوار،

---

(96) ابن المجاور، نفس المصدر، ص: 63.

(97) الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص: 310، الربعي: نفس المصدر، ص: 34، القزويني : نفس المصدر، ص: 62، ياقوت: نفس المصدر.

(98) ياقوت الحموي: معجم البلدان، جـ 5 ، ص: 68.

(99) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص: 86، الاصطخري: المسالك والممالك، ص: 26.

(100) ابن المجاور: نفس المصدر، ص: 91 - 92.

(101) القلقشندي: صبح الاعشى، ص: 16.

(102) ابن رسته: الاعلاق النفسية، ص: 111، الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص: 314، الاكليل، ص: 120 - 121، الرازي: تاريخ مدينة صنعاء، ص: 96 - 97، ابن المجاور: صفة بلاد اليمن، ص: 185، د. محمد أمين صالح: تاريخ اليمن الاسلامي، ص: 305. يوجد في اليمن أنواع كثيرة من العنب(الكروم) وقد ذكر ابن رسته قريباً من سبعين لوناً، الأعلاق، ص:111، أما الهمداني في صيفة، ص: 314، يذكر أسماء عدة أصناف منها مثل العنب الملاحي، والدوالي، والأشهب، والدرالج، والتواسي، والزيادي، والأطراف،والعيون،والقوارير،والحرش،والتشاني،والنابكي، والرازقي، والصروع، والرومي، والوادبي.

(103) ابن رسته: نفس المصدر والصفحة.

(104) ابن رسته: نفس المصدر والصفحة، ابن المجاور: نفس المصدر والصفحة.

والمردقوش (الزعفران)، والأس والمنشور، والعبيثران، والنمام، والأدرنون، والشاهترج، والباذيونه (البابونج) والأقحوان، والباقلا الخضراء (الفول) وجميع أصناف البقول وأنواع الحبوب[105].

وفي زبيد يزرع بها الكثير من الفواكه والخضروات وأنواع المشمومات والزهور مثل الرمان والتين، والبلس، والعنب، والعنباء، والنارجيل، القفر، والباذان، والنخيل المبسوطة على كل لون أصفر وأحمر وأخضر وتوني ومقصاب كما يزرع بها الموز بكثرة والليمون، والنارنج الحلو والحامض وزهرة اللينوفر، والفل الأبيض، والياسمين، وزهر النانج، وزهر الكاذي، والغافية (الحنون) والوُزّاب، والصبر والأترج الأصفر[106].

ويزرع الورس في مذيخرة [107]، واللبان في الشحر [108] وقد ذكر القزويني عن الأصمعي أن : (أربعة أشياء ملأت الدنيا لا تكون الا باليمن، الورس، والكندر (اللبان) والخطر، والعصب)[109].

وكمثال لما تزرعه بعض المناطق اليمنية، يزرع الأرز الأبيض في شهارة[110]، وزرع في فشال سنة 624هـ/1227م ويزرع في تهامة السندروس وشجر الحنون، والتمر هندي، والاهليج[111]، ويزرع الحناء في وادي نخلة، والخيار، والقثاء والكزبرة في وادي الجنان [112].

---

(105) الرازي: نفس المصدر والصفحة، الاقحوان: نبت زهره أصفر وأبيض، ورقه كأسنان المنشار، ومنه البابونج، المعجم الوجيز ص: 21، النمام: نوع من النعنع يسمى نعنع الماء، المعجم الوجيز، ص: 636.

(106) ابن الديبع: بغية المستفيد، ص: 34، ابن الوزير: الدر المنشور، جـ 1، ق4.

(107) ابن حوقل: صورة الارض، ص: 37، الاصطخري: المسالك والممالك، ص: 26.

(108) الاصطخري: نفس المصدر، ص: 27، المسعودي: نزهة المشتاق جـ 1، ص 31، المقريزي: الطرفة الغريبة في أخبار وادي حضر موت العجيبة، ص: 40.

(109) القزويني: اثار البلاد وأخبار العباد، ص: 65 ـ 69، الورس: نبت من الفصيلة القرنية ثمره مغطاة بغدد حمر، يستعمل لتلوين الحرير ونحوه لاحتوائه على مادة حمراء، المعجم الوجيز، ص: 665، الخطير: نبات يخضب به، والعصب، ضرب من البرود اليمنية، يعصب غزله ثم يصبغ ثم يحاك وهو يشبه الأرجوان الأحمر، محمد الاكوع: اليمن الخضراء، ص: 69.

(110) الربعي: سيرة ذي الشرفين، ق 34.

(111) ابن المجاور: صفة بلاد اليمن، ص: 62، 63، 81، 91.

(112) الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص: 139 ـ 143.

ويزرع الصبر في حضر موت، وسقطرى[113]. كما يزرع في مأرب والجوف الحمص والكمون والسمسم (الجلجلان) الذي يعد أجود أنواع السمسم[114]. كذلك يزرع في حضر موت الكثير من النبق حيث أن الشجرة الواحدة تغل وقر خمسة أباعير(جمال)[115] وهكذا تنوعت الزراعة في اليمن.

درس الحبوب وخزنها:

استخدم اليمنيون اسلوب درس الحبوب وخزنها، فبعدما يحصد البر يجفف بالشمس، ثم يرقن (يكوم) بحيث يكون ثماره من أعلى متجمعة وجذوعه من أسفل مفتوحة على شكل هرم، ولا يرقن (يكوم) الا وهو مجفف ليس به شيء من رطوبة المطر أو الندى حتى لا يعفن أو يتلف، وبعد ثمانية أيام من رقنه (تكويمه) يفك ويداس بالمدواس بواسطة الثيران بربط حجر في المدواس وذلك بأن يكون بالحجر ثقب أو به خط دائري محفور يربط بهما الحجر، ويستمر الدرس حتى يخلص الحب من التبن، ثم تذرى الحبوب على الرياح حتى يطير منها ما بقي من التبن، وعندما تذرى يمسح بين الفترة والأخرى وجه البر المذري بشجرة تشبه المكنسة، حتى يصفى (يزول) ما بقي من ركب التبن ومن السنابل التي لم تدرس. ثم يكومه كومة واحدة، ثم يكال ثم يرفع ليخزن، وذلك بعد أن يبرد من حر الشمس حتى لا يصيبه السوس، ثم يخزن بمخازن كُوَّتها (فتحاتها) مقابلة للشمال، بحيث لا تكون المخازن بجانب مسكن، أو مطبخ، أو نار، أو ضوؤ، أو دمان (سماد) أو قرب دواب، أو تبن، ولا تكون فتحاته الى المشرق أو الجنوب حتى يسلم من السوس، وبنفس الطريقة تتم مع العلس الشعير مع فارق أن العلس والشعير يرقن (يكوم) من ساعته دون تجفيف. أما الذرة فيقطع سنابله من عيدانه ثم يداس وإذا كان قليلاً يخبط بالمخابط وعادة ما تكون مخازنه محفورة في الصفا الأملس[116]

التقاوي:

إذا أراد المزارع إعداد البذر للسنة القادمة، يختار من السنابل أحسنها وأكثرها حباً وأذكاها

---

(113) المسعودي: نزهة المشتاق جـ 1، ص: 31، ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة، ص: 155.

(114) الهمداني : صفة جزيرة العرب، ص: 317 - 318 .

(115) المقريزي: الطرفة الغريبة في اخبار وادي حضر موت العيبة، ص: 38.

(116) الاشرف عمر بن رسول: ملح الملاحة في معرفة الفلاحة، ص: 179 - 183.

وأجودها، أي أنقى حباً فيضعها منفردة، ثم يضحيها حتى تنشف رطوبتها، ثم يخبطها بالمخابط وينظفها من القيش(أي السنابل)،ثم يحفظها في مكان جيد الهواء لا يناله حر الشمس ولا الرطوبة حتى لا يسوس، الى أن يحول عليها الحول، والى أن يأتي موسم الزرع، يخرجها ويبذر بها(117).

الأضرار الزراعية:

تعرضت الزراعة في اليمن الى أنواع متعددة من الأضرار التي تصيب الزروع وتتلفها، منها الجدمة (الحطمة)، والجراد، والاضراب (الصقيع) القحط، والجدب.

ففي سنة 421هـ/ 1030م اشتد القحط باليمن (118) وفي سنة 533هـ/1138م اضر الجدب بأرض وادي قتام، كما أضرت به الحطمة (الجدمة)، وكادت تقضي على أصول أشجار أعنابهم، كذلك أضرت الحطمة بأرض نجران سنة 533هـ/ 1138 ضرراً شديداً(119) كذلك وقعت حطمه عظيمة في تهامة سنة 556 هـ/1160م (120) ووقع قحط عظيم باليمن سنة 655هـ/ 1257م نضبت المياه وقل الزرع وارتفعت الاسعار في صنعاء وصعدة، وهلك الكثير من الناس جوعاً، ومن شدة الجوع أكل الناس الكلاب (121)، كما اشتد القحط على المواشي فهلك الكثير منها (122). وكثرت الجراد في أيام الإمام أحمد بن سليمان، ففي وادي قرب صعدة، أضرت الجراد به ضرراً كبيراً(123)، كذلك أتت الجراد على بلاد حضر موت فأضرت بزرعها، وكانت عادة الناس فيها يخرجون بالاكياس ليجمعوا الجراد(124).

كما عم الضريب (الصقيع) في كل ناحية من اليمن، فأضر بالزراعة حتى أدى بهم الأمر الى استئصال أشجار الأعناب من شدة الاضرار بها(125)، كذلك أضرت الرياح بالزراعة فقد

---

(117) الاشرف عمر بن رسول: ملح الملاحة في معرفة الفلاحة، ص: 183، القيش: السنابل بعد تخليص الحب منه.

(118) عبدالباقي: بهجة الزمن، ص: 47.

(119) الثقفي: سيرة الامام احمد بن سليمان، ق 6 - 7.

(120) الخزرجي: العسجد المسبوك، ص: 137.

(121) يحيى بن الحسين: غاية الأماني، جـ 1، ص: 443.

(122) وطيوط: تاريخ المعلم وطيوط، ق: 3.

(123) الثقفي: نفس المصدر، ق 11.

(124) المقريزي: الطرفة الغريبة في أخبار وادي حضر موت العجيبة، ص: 39.

(125) مجهول: تاريخ اليمن، ق: 40.

حدث في نجران ريح الطرف لمدة 12 يوماً هلكت الكثير من الزروع والكروم[126].

رابعاً: المراعي والحيوانات .

أ ـ المراعي:

وجدت في اليمن المراعي المتعددة لرعي الأغنام والبقر والإبل وغيرها منها ما كانت توجد طبيعية ومنها ما خصصها الانسان للرعي.

وكانت معظم المراعي في اليمن هي مراعي طبيعية إذا نزل عليها المطر تنمو وتخصب ويقبل الناس للرعي بها، وتوجد هذه المراعي في كل أنحاء اليمن، من ذلك يوجد في حضر موت بالقرب من أحقاف الرمل أراضي للرعي إذا نزل عليها المطر أخصبت وكثرت بها المراعي، فتظل بها قبيلة الشماح مقيمة ترعى إبلها وأغنامها مدة الخصب[127]

كان الحال بصفة عامة في موسم الأمطار حيث تكسى الأراضي والجبال وغيرهما بالمزارع والحشائش فتستخدم مراعي للأبقار والأغنام وغيرها.[128]

ومن ناحية أخرى فقد كان أصحاب الأراضي من الأفراد وكذلك رجال الدولة يخصصون مراعي للحيوانات، وذلك في المناطق المزدحمة بزراعة المحاصيل الزراعية، مثل أنواع الحبوب والخضر والفواكه من ذلك كان يوجد عقد شجر وغدير ماء بجوار مسجد الأشاعر في زبيد يستخدم لرعي البقر[129]. كما أن السيدة الحرة أروى الصليحية خصصت إرضاً لرعي البقر في ذي جبلة[130].

وكانت الأراضي المعدة للرعي ملكية عامة لجميع الناس الا ما كان منها ملكاً للأفراد. ومن مهام الرعاة أنهم يرعون أنعامهم في المناطق المخصصة للرعي، ويمنعون أنعامهم من إتلاف مزارع الحبوب والفواكه المملوكة للغير[131].

---

(126) ابن المجاور: صفة بلاد اليمن، ص: 122.

(127) المقريزي: الطرفة الغريبة في أخبار حضر موت العجيبة، ق: 41.

(128) الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص: 310.

(129) ابن المجاور: صفة بلاد اليمن، ص: 69.

(130) د. حسن سليمان: أروى سيدة ملوك اليمن، ص: 93 ، تاريخ اليمن السياسي، ص: 204.

(131) ابن المجاور: نفس المصدر، ص: 250.

ب ـ الحيوانات:

يوجد في اليمن أنواع متعددة من الحيوانات منها ما يستخدم للركوب ونقل البضائع والحروب مثل الخيول، والابل، والبغال والحمير، ومنها ما يستخدم للذبح واستخراج الألبان منه، مثل البقر والغنم وغيره.

فالخيول توجد في كل من (عنس) وتسمى الخيول العنسية نسبة اليها، وفي الجوف وتسمى الخيول الجوفية، كذلك يوجد بها الخيول الحجيجية والتي تشتهر بالصبر والصباحة، وتستخدم للقتال وحمل السلاح [132]. كما يوجد بها الخيول العربية الفائقة[133].

وتوجد الابل في (أرحب بن الدعام) من همدان وتسمى الابل الارحبية وفي (مَهَرَة) في حضر موت وتسمى الابل المهرية العيدية نسبة الى العيد قبيلة في مهرة. كما يوجد بها الابل المسماة الصدفية، والحرمية، والداعرية، التي تنسب الى داعر من بلحارث، أو الصدف، أو الحرم، وكذلك توجد بها الابل المجيدية نسبة إلى بني مجيد في موزع، وتعد الابل المهرية المعتبرة من أجود أنواع الابل في اليمن[134].

كذلك يوجد في اليمن البغال الجيدة للركوب والحمل[135]، ويوجد بها الحمير التي تستخدم لنقل البضائع وغيرها كما تستخدم للركوب ومن أهم أماكن وجود الحمير حضر موت والمعافر، وهي أشهرها لما تتمتع به من الخفة والسرعة والمرح والنشاط والقوة.[136]

ومن الحيوانات التي تستخدم لاستخراج الألبان والذبح البقر والأغنام، فمن الأبقار يوجد في اليمن في مناطق متعددة أهمها الجَنَدْ وخدير، وجبلان، وتسمى البقر الجَنَدِيَّة، والخديرية، والجبلانية ، نسبة اليها، ويعد جلود البقر الجبلانية من أجود الجلود حيث يدبغ جلدها للنعال ويبلغ قيمة الجلد منها حوالى عشرة مثاقيل الى عشرين مثقالاً. وتتصف هذه الابقار بأن لها صيالة وحدة في قرونها وبأس وتقتل السباع، وهي ما تسمنها العرب من البقر، وتشتهر البقر الجندية

---

(132) الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص: 320، د. محمد أمين صالح: تاريخ اليمن الاسلامي، ص: 207.

(133) القلقشندي: صبح الاعشى، جـ 5، ص: 16.

(134) الهمداني: نفس المصدر والصفحة، د. محمد أمين صالح: تاريخ اليمن الاسلامي، ص: 206.

(135) القلقشندي: نفس المصدر والصفحة.

(136) الهمداني: نفس المصدر والصفحة.

والخديرية في ضخامة جسمها وقوتها وطيب لحمها، حيث يبلغ حجمها مبلغاً عظيماً. ويضيف الهمداني في وصف البقر الخديرية قوله: (وللسكاسك البقر الخديرية لا يلحق بها في العظم بقراً). ومن البقر الجندية ما يبلغ ثمن الثور منها ثلاثين ديناراً مطوقة، ويعد لحمه (أطيب من لحم الحمل الشهري في سائر البلاد لرقته، ولطفه ودسمه ولا يكون له رائحة) [137]. كذلك يوجد في جزيرة سقطرى الوف مؤلفة من الحيوانات، الابل، والبقر، والضأن.[138]

كذلك يوجد في اليمن أنواع من الوحوش كالزرافي، والأسود، والغزلان[139]، وفي مأرب يوجد النعام والفهود والظباء والأبابل[140]. ومن الطيور الدجاج، والأوز، والحمام[141] كما يوجد في اليمن الكثير من القرود[142]. وعلى ذلك كان تنوع الحيوانات والمراعي .

*خامساً: دراسة تاريخية لانماط الزراعة في اليمن:

في هذه الصفحات التالية دراسة تاريخية للعديد من المزروعات في اليمن، مثل، القمح، الذرة الرفيعة، والرز، والقطن، والنخيل، والعنب، وقصب السكر، وغيرها وذلك من حيث بداية نشأة هذه المزروعات أو الموطن الاصلي لها، وزمن دخول هذه المزروعات الى اليمن وأصنافها ولاماكن الصالحة لزراعتها، وطرق ريها وذلك وفقاً لما أوردته بعض المصادر نوضح ذلك كالآتي:

1 ـ القمح الصلب (القاسي).

يعد القمح الصلب أحد محاصيل الحبوب القديمة، والذي انتشرت زراعته في كثير من مناطق العالم، التي يميل فيها المناخ إلى البرودة والاعتدال. وهو من المحاصيل الرئيسية للأفراد نظراً لارتفاع نسبة البروتين فيه وتعدد استعمالاته في التغذية[143].

---

(137) الهمداني:صفة جزيرة العرب،ص: 269، 316، 320، د. أمين صالح: تاريخ اليمن الاسلامي، ص: 207.

(138) ابن المجاور: صفة بلاد اليمن، ص: 266.

(139) القلقشندي: صبح الأعشى، جـ 5، ص: 16.

(140) ابن المجاور: نفس المصدر، ص: 199.

(141) القلقشندي: نفس المصدر والصفحة.

(142) الاصطخري: المسالك والممالك، ص: 27.

(143) اندريوواطون: الابداع الزراعي في بدايات العالم الاسلامي،انتشار المحاصيل والتقنيات الزراعية مابين عامي 700 1100 للميلاد، ترجمة أحمد الأشقر، منشورات جامعة حلب، معهد التراث العلمي العربي، ص:44 ـ 45.

هذا الموضوع زائد عن الرسالة .

وعن الزمن الذي عرفت فيه زراعة القمح الصلب فمن المعتقد أن أول بداية لمعرفة وجوده كانت في عصور ماقبل الاسلام. أما عن الموطن الاصلي لنشأة القمح الصلب، فيذهب الباحثون الى اعتبار الحبشة أو الاجزاء الجنوبية والشرقية لحوض البحر المتوسط هي الموطن الاصلي لنشأة هذا النوع. أما القمح اللين أو الطري(الحنطة) فان موطنه الاصلي أفغالستان[144]. في حين أن القمح الثنائي الحبة أو القمح المنتفخ فانهما أكثر قدماً من القمح الصلب، وانتشرت زراعتهما في منطقة البحر الابيض المتوسط[145].

وبالنسبة لانتشار القمح في شبه الجزيرة العربية فمن المحتمل أنه انتشر فيها في عصر الاحتلال الروماني لمصر عن طريق الحبشة، إذا اعتبرنا بالفعل أن الحبشة هي الموطن الاصلي لظهور هذا النبات[146]، وعلى ذلك فان الحبشة وشرق البحر الابيض المتوسط ووسط آسيا واليمن إذا لم تكن هي المراكز الاولى لنشأة نبات القمح الصلب، فهي المراكز الثانوية لتطور هذا النبات[147].

وأهل اليمن يستخدمون كلمة (البر) للدلالة على القمح الصلب (القاسي) أوضح ذلك الهمداني الذي عاش في القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي بهذه العبارة التي أوردها صاحب كتاب الابداع الزراعي بقوله: (البر ليس هو نفسه الحنطة ذلك أنه إذا صنعت منه العجين وأردت بعد ذلك أن تقتطع قطعة من ذلك العجين فإن الجزء المجاور سينجر مع الجزء الذي تود اقتطاعه[148]). أما عبارة الهمداني نفسها فهي: (ثم من البر العربي الذي ليس بحنطة، فإذا ملك عجينه، ثم أردت قطع شيء منه تبع القطعة تابعة منه تطول كتابعة القبيط[149]) .

وبالنسبة لري زراعة البر في اليمن فبعضه يعتمد في سقيه على الامطار وخاصة في الموسم الذي تهطل فيه الامطار في اليمن في شهر يونيه، وبعضه يعتمد في ريه على المياه الجوفية في شهر فبراير، وفي الغالب يسقى فيما بين 3 - ريات، وفي المناطق الشرقية التي تزرع القمح في أكتوبر

---

(144) أندريوواطون: المرجع السابق، ص:45.

(145) أندريوواطون: المرجع السابق، ص:52.

(146) أندريوواطون: المرجع السابق، ص:53.

(147) أندريوواطون: المرجع السابق، ص:46.

(148) أندريوواطون: المرجع السابق، ص:46 - 51.

(149) الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص:317.

تسقى فيما بين 4 ـ 6 ريات، خلال موسم النمو [150]. وعن كمية الأمطار فتناسب زراعة القمح المناطق التي تبلغ النسبة السنوية لسقوط الأمطار فيها ما بين 300 ـ 700 مللتر [151]، وهذه المناطق هي المرتفعات الجبلية لليمن وهي الهضبة الوسطى أما السهل الشرقي وسهل تهامة فتعتمد زراعة القمح فيها على مياه السيول ومياه الآبار.

وعن تسوية الأراضي المعدة لزراعة البر (القمح الصلب) فإن الأراضي التي تسقى بالمطر لا تحتاج الى تسوية. أما الأراضي التي تسقى بالغيول والعيون والآبار والسيول فإن زراعة القمح فيها تحتاج الى تسوية[152]، وتتم التسوية بتقسيم الأراضي بعد ذريها الى عدة أحواض ثم يسقى البر (القمح) بالماء في هذه الأحواض بشكل متساوي ويجب تجنب بذر القمح والأراض مغمورة بالماء[153]. كما يجب تجنب سقي زراعة القمح (البر) أثناء هبوب الرياح الشديدة لأن ذلك يؤدي الى ترقيد (البر) القمح مما يقلل من المحصول[154].

أصناف القمح الصلب في اليمن:

يوجد في اليمن عدة أصناف من القمح الصلب (البر) زرعت في العصر الاسلامي منها الآتي:

1 ـ الصنف الأول: ويسمى (البر العربي) ولون حبته أبيض رقيق الحبة. ومن خلال اسم هذا الصنف وهو (البر العربي) فمن المعتقد أنه انتقل الى اليمن من الأجزاء الجنوبية والشرقية من حوض البحر الأبيض المتوسط. أو أن موطنه الأصلي اليمن نفسها. ويزرع هذا الصنف في اليمن في المناطق الباردة في أول حزيران (يونيو) ويستمر من بداية زراعته حتى حصاده أربعة أشهر. وغالباً ما يعتمد هذا الصنف في سقيه على الري الصناعي. الا أنه يوجد نوع من هذا الصنف المسمى(الدثاء) يعتمد في سقيه أحياناً على المطر الموسمي في كل من بلاد صبر ومخلاف جعفر (أب)[155].

---

(150) عبدالله المجاهد: انتاج المحاصيل، ص:40.

(151) عبدالله المجاهد: المرجع السابق، ص:25.

(152) عمر بن يوسف بن رسول: ملح الملاحة في معرفة الفلاحة، ص:53، تحقيق عبدالله المجاهد، دار الفكر، دمشق، 1987.

(153) عمر بن رسول: المصدر السابق، ص: 53 ـ 54.

(154) المجاهد: المرجع السابق، ص:41.

(155) عمر بن رسول: المصدر السابق، ص: 49 ـ 50 .

2 - الصنف الثاني: ويسمى (الهلبا) ولون حبة أبيض قصير وليس على سنابله شيء من السفا ويزرع في مزارع البر العربي وهي المناطق الباردة، وذلك في النصف من حزيران (يونيو) ومدة بقائه في التربة من يوم زراعته حتى حصاده ثلاثة أشهر ونصف(156).

3 - الصنف الثالث: (البر الحبشي) ومن خلال اسم هذا الصنف من المرجح انه انتقل الى اليمن من الحبشة. وحبته متوسط بين الطول والقصر ولونه بين البياض والحمرة، وهي في الجودة مابين العربي والوسني. ويزرع هذا الصنف في أول حزيران (يونيو) وتمتد زراعته إلى أول تموز (يوليو)(157).

4 - الصنف الرابع: (البر الوسني)وحبه أحمر غليظ مذنب رزين وهو أجود أصناف البر ويزرع في المناطق المعتدلة، ويسقى بعضه بالمطر، ويستمر بقاؤه في التربة من يوم زراعته حتى حصاده ثلاثة أشهر ونصف، ويزرع هذا الصنف في تعز معتمداً على سقيه على الغيول فيما بين نصف تشرين الأول حتى نصف تشرين الثاني (أكتوبر - نوفمبر)، كذلك يزرع نوع من هذا الصنف يسمى (القياض) في أول فصل الشتاء فيما بين كانون الأول إلى كانون الثاني (ديسمبر- يناير) ويعتمد في سقيه على الغيول، ويستمر من يوم زراعته حتى حصاده ثلاثة أشهر(158). وهناك عدة أصناف أخرى من البر في اليمن تسمى باسم المناطق التي تزرع بها.

2 - الذرة الرفيعة:

هو أحد المحاصيل العالمية التي عرفت منذ القدم. وحول الموطن الأصلي لزراعة الذرة فإن أقدم تأهيل لنبات الذرة وجدت في إفريقية في مناطق (تشاد والسودان وأوغندا). وذلك في الألف الثاني قبل الميلاد أو قبله. ثم انتشر إلى الشرق والجنوب الشرقي من أفريقية ومنها انتشر إلى الهند والجزيرة العربية(159). وذكر ابن بطوطة في القرن السابع الهجري (الرابع عشر الميلادي) أن الذرة كانت المحصول الرئيسي حول ظفار(160). وبالنسبة لكمية الأمطار فالذرة ينمو في المناطق التي

---

(156) عمر بن رسول: المصدر السابق، ص: 50 - 51 .

(157) عمر بن رسول: المصدر السابق، ص: 50 .

(158) عمر بن رسول: المصدر السابق، ص: 51 - 53.

(159) الدريوواطون: الابداع الزراعي، ص: 17.

(160) الدريوواطون: المرجع السابق، ص: 29، واشار تيبو هـ ص: 290 – 289 إلى أن نسبة البذر تساوى 4 – 1 في الجزء الساحلي من اليمن، الابداع، ص: 26.

تتراوح هطول الأمطار فيها سنوياً ما بين 300 - 600مم، كما يناسبه الجو الدافئ الذي يتراوح درجة حرارة ما بين 25 - 30 درجة مئوية[161].

أصنـــاف الذرة الرفيعـــة :

يوجد في اليمن عدة أصناف من الذرة الرفيعة وكل صنف يختلف عن الصنف الآخر بشكل حبه ولونها، ومواعيد زراعته والمناطق التي تزرع بها وطرق ريه.

وقد أشار الهمداني في القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) أنه يوجد في اليمن عدة ألوان من الذرة منها الذرة البيضاء والصفراء والحمراء والغبراء[162] وأيده في هذا الرأي عمر بن رسول الذي عاش في القرن السابع الهجري.

فالذرة البيضاء والصفراء تزرع في الأودية الحارة والمناطق المعتدلة التي تقرب إلى الحر. ووقت زراعتها في المناطق الجبلية في شهر نيسان (إبريل) ويستمر بقاء الذرة البيضاء والصفراء في التربة في المناطق الجبلية من يوم زراعته حتى حصاده مدة خمسة أشهر ونصف[163].

وهناك صنف من هذه الذرة تسمى (الشريجي) ولونه بين البيضاء والصفراء ويزرع في المناطق الجبلية المعتدلة والتي تميل أكثرها إلى البرودة. ويزرع هذا الصنف في وقت زراعة الذرة الصفراء والبيضاء في نيسان (إبريل) ويمكث من يوم زراعته حتى حصاده سبعة أشهر[164].

كما يوجد صنف من هذه الذرة يسمى (الجعيدي) ولونه بين البيضاء والصفراء مع الميل أكثر إلى الصفراء. ووقت زراعة هذا الصنف أول أيار (مايو). ويزرَع في منطقة السحول والعدين، ويستمر من يوم زراعته حتى حصاده ما بين أربعة أشهر ونصف إلى خمسة أشهر[165].

كذلك يوجد صنف من هذه الذرة يسمى (الغربة) ولونه بين البيضاء والصفراء مع الميل أكثر إلى البيضاء ومزارعه المناطق الجبلية الحارة ويزرع في حزيران (يونيه) ويستمر من يوم زراعته حتى حصاده أربعة أشهر[166].

---

(161) المخاهد: المرجع السابق، ص: 74 .

(162) الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص: 317.

(163) عمر بن رسول: ملح الملاحة، ص: 61 .

(164) عمر بن رسول: المرجع السابق، ص: 62.

(165) عمر بن رسول: المرجع السابق، ص: 62.

(166) عمر بن رسول: ملح الملاحة، ص: 63 .

أما صنف الذرة الحمراء فيزرع في المناطق الجبلية الباردة ويـزرع في نصـف أذار (مـارس) ويستمر من يوم زراعته حتى حصاده سـبعة أشهر ومـن الـذرة الحمـراء صنـف يسـمى (البضعـة) يزرع في الأودية التي تعتمد في سقيها على الغيـول وتـزرع في المواضـع الكثيرة الأنـداء والبـاردة. وموعد رزاعته في أول نيسان (إبريل) ويقيم في التربة من يوم زراعتـه حتـى حصـاده سـبعة أشـهر. ومن هذه الذرة صنف يسمى (الصومي) يزرع خلال نصـف شـهر مـن بدايـة موسمه، ويمكث في التربة من يوم زراعته حتى حصاده مدة أربعة أشهر. وهذا الصنف هو الوحيد الذي يزرع ويحصد ثلاث مرات في السنة في اليمن[167].

وبالنسبة لزراعة الذرة في تهامة فيزرع فيها صنفان من الذرة هما البيضاء والذرة الحمراء ولها أوقات مختلفة في السنة.

أولاً: الذرة البيضـاء :

وهي نوعان، نوع يسمى (البديجا) ونوع يسمى (الحرجى) ووقت زراعته في وادي زبيـد، ووادي رمع ووادي سردُ، ووادي مورفي العشـر الأول مـن آب (اغسـطس) ومـن هـذا الصنـف نوعان. نوع يسمى (الخامس) نسبة إلى خامس بنات نعش (اسـم لموعـد زراعـة في اليمـن) ووقـت زراعته في وادي زبيد في أول أيلول (سبتمبر) نوع يسمى (السابعي) نسبة إلى سـابع بنـات نعـش. ويزرع في تهامة في التاسع عشر من أيلول (سبتمبر) ويزرع هذا النوع في معظم تهامة ومنهـا نـوع يسمى (الزعر) يزرع في وادي سردُ، ووادي مور. وميعاد زراعته في التاسع والعشـرين مـن آذار (مارس). وجميع زراعة الذرة في تهامة تستمر من يوم زراعتها حتى حصادها ثلاثة أشهر.

وبالنسبة لسقي زراعة الذرة في تهامة فهي تعتمد على طريقتين أحدهما الـري عـن طريـق السيول والغيول، وبهما تروى معظـم أراضـي الوديـان في تهامـة. وثانيهمـا الـري علـى الأمطـار، وتروى بها المناطق القريبة من الجبال والتي تهطل فيها الأمطار بنسبة كافية لزراعة الذرة[168].

ثانيـاً: الذرة الحمـراء :

ويزرع هذا الصنف في وادي زبيد، ووادي رمـع، والمنـاطق المجـاورة لهـا، ووقـت زراعتـه مواعيد زراعة الذرة البيضاء في تهامة. ومن هذا الصنف عـدة أنـواع لكـل منهـا موعـد مختلـف في

---

(167) عمر بن رسول: المرجع السابق، ص: 63 .

(168) عمر بن رسول: المرجع السابق، ص: 67 - 68 .

زراعته. منها ما يزرع في السادس من تشرين الأول (اكتوبر) ومنها ما يزرع في السادس عشر من تشرين الثاني (نوفمبر) ومنها ما يزرع في العشر الأول من كانون الأول (ديسمبر) ومنها مايزرع في أول أشهر الشتاء وجميع هذا الصنف من الذرة الحمراء يقيم في التربة من يوم زراعته حتى حصاده ثلاثة أشهر. ويسقى بنفس الطريقة السابقة عن طريق السيول والغيول والأمطار.[169]

3 - الرز (أرز - أرز):

هو أحد المحاصيل العالمية القديمة نشأ في المناطق المناخية الحارة. وعن موطنه الأصلي فمن المعتقد أن نمو الرز نشأ في الأراضي المستنقعة في جنوب شرق أسيا في المناطق الممتد من شمال شرق الهند (البنغال) إلى جنوب الصين[170].

ومن المعتقد أن ظهور نبات الأرز يرجع إلى الألف الثالث قبل الميلاد. ثم انتقلت زراعته من جنوب شرق أسيا والصين إلى ما بين النهرين في القرن الثاني قبل الميلاد ومرة أخرى في العهد المسيحي الأول [171] .

أما عن انتقال نبات الرز إلى اليمن فمن المعتقد أنه انتقل إليها في القرن الرابع الميلادي. فقد ذكر أنه خلال القرن الميلادي الأول كان الرز يرسل كل سنة من الهند إلى سقطرى والقرن الأفريقي وبعد ظهور الإسلام انتشرت زراعة الرز في اليمن وبلاد العرب بشكل واسع[172]. ويزرع الرزّ في اليمن في العشر الأول من نسيان (إبريل) وهو موعد زراعة الذرة في بعض مناطق اليمن.

وعن طريقة زراعة الرز وسقيه في اليمن، أن تحرث الأرض وتقسم إلى عدة حقول أو أقسام أو قطع مفصولة عن الأخرى بحاجز ترابي، وذلك بهدف حجز المياه، وبعد الحرث والتسوية والتقسيم يرسل الماء على كل قطعة ويبقى الماء في القطعة غامراً لها حتى يتم للقطعة شرب الماء. وإذا شربت القطعة لأكثر الماء أو بقيت المياه في القطعة ليلة كاملة. يسفح الرز بقشره ويروى بالماء. ثم تبقى القطعة سبعة أيام أو ثمانية أيام بعد السفح، وعندما يبدأ ظهور نبات الرز يفتح لباقي

---

(169) عمر بن رسول: المرجع السابق، ص: 69 .

(170) اندريوواطون: الابداع الزراعي، ص: 39.

(171) اندريوواطون: المصدر السابق، ص: 32، 33، 39.

(172) اندريوواطون: المصدر السابق، ص: 34 - 41.

الماء ليخرج من الحقول.ثم يجري تصفية الحقول من الحشائش. ثم يعاد سقيه بالماء قبل أن تجف أرضه. ويستمر الأرز من يوم بذره حتى حصاده ما بين ستة أشهر إلى سبعة أشهر[173].والرز أحد المحاصيل التي تحتاج إلى مياه كثيرة. ولذلك غالبا ما يزرع في الأرض المروية أو المناطق المغمورة في المياه أو المستنقعة وطريقة ري الرز أن يغطى بالمياه تغطية مستمرة (منذ بداية زراعته حتى حصاده) وعملية سقي الرز وتغطيته بالمياه فيروى مرتين قبل أن ينش البذورثم يروى مرتين كل أسبوع[174].

وقد يزرع الرز معتمداً على الأمطار في المناطق التي تكثر فيها هطول الأمطار. كذلك يزرع الرز بدون سقاية في المناطق ذوات الأمطار المناسبة كما أنه يمكن أن يزرع الرز بدون سقاية في المناطق الرطبة[175]. أما في اليمن فغالباً ما يعتمد ري الرز على السيول والغيول والعيون ونادراً ما يزرع على المطر .

4 ـ القطن (العطب):

هو أحد المحاصيل القديمة ظهرت زراعته في المناطق الحارة التي تبلغ درجة حرارتها ما بين. 2 ـ 35 درجة مئوية [176] . وعن الوطن الأصلي لزراعة القطن البري فهناك رأيان: أحدهما: يورد أن أول ما ظهر نبات القطن البري في الهند والباكستان وبلوخستان . وثانيهما: يشير أن الجزيرة العربية والسودان أو أجزاء أخرى من جنوب الصحراء الكبرى والأراضي السهلية المحيطة بها هي المواطن الأصلي لظهور زراعة القطن [177]. ولكن من المعتقد أن المهد المحتمل لزراعة القطن البري كانت في الجزء الشمالي الغربي من شبه القارة (الهندية . ومنها انتشر إلى بقية العالم (أسيا ـ أفريقية ـ أوروبا) في وقت مبكر جداً .

وعلى أية حال فإن القطن عرف على شكل عشب أو على شكل نبات يزرع من أجل استخراج الزيت من بذره ثم تطور ليصبح نباتا ذا الياف[178]. سواء أكانت الجزيرة العربية هي إحدا المواطن الأصلية أم أنه انتقل إليها من الهند أو غيرها .

---

(173) عمر بن رسول: ملم الملاحة، ص: 70 ـ 71.

(174) اندريوواطون: المصدر السابق، ص: 225.

(175) اندريوواطون: المصدر السابق، ص: 225 ـ 237.

(176) عبد الله المجاهد : انتاج المحاصيل ، ص: 189 .

(177) اندريوواطون : الابداع الزراعي ، ص: 73 .

(178) اندريوواطون : المصدر السابق ، ص: 73 .

وإذا كانت الهند هي الموطن الأصلي لنبات القطن البري فقد انتشر إلى شبه الجزيرة العربية عن طريق الخليج في عصور متقدمة من التاريخ فهناك تقارير تشير إلى وجود زراعة شجرة القطن في اليمن منذ العهود القديمة. فقد أوردت هذه التقارير(أن الأكفان التي وجدت في بعض القبور الحميرية كانت مصنوعة من القطن الذي يحتمل أن يكون قد انتج محلياً)[179] .

ومن المرجح أن انتشار زراعة القطن في عهود ما قبل الاسلام كانت محصورة تماماً في المناطق ذات المناخ الدافي جداً. والتي يتوافر فيها المياه الغزيرة سواء أكانت من الأمطار أم من وسائل الري الاصطناعي[180].

وقد وجدت عدد كبير من الأسماء لنبات القطن وخيوطه في اللغة العربية في صدر الاسلام تختلف عن الأسماء الهندية مما (يوحي بأن الخيوط كانت معروفة في أرجاء شبه الجزيرة العربية منذ زمن سحيق وربما كان النبات أيضاً معروفاً هناك منذ زمن بعيد جداً)[181] .

وعلى كل فإن زراعة نبات القطن في الفترة الإسلامية اتسعت فكان يزرع في شبه الجزيرة العربية في كل من البحرين واليمن وفي جزيرة سقطرى[182]. أما الأقمشة المصنوعة كلها من القطن التي كانت تنتج في اليمن في القرنين التاسع والعاشر الميلادي(الرابع والخامس الهجري) فكانت خيوط السداة فيها رديئة ومتقاربة من بعضها البعض بينما كانت خيوط اللحمة جيدة تترك مسافات أوسع فيما بينها . وهذا يعود إلى صعوبة استعمال القطن في السداة ولا سيما في الأنوال التي كانت تستعمل لصنع سداة ثقيلة [183] .

<u>ري القطن :</u>

القطن أحد المحاصيل المروية (يروى ريا غزيراً مستمراً تقريبا) وقد ذكر ابن وحشية في الفلاحة جـ 11 ص: 213 ((أنه لا يستطيع أن يتحمل الجفاف))[184]. والقطن يحتاج إلى سقاية

---

(179) اندريوواطون : المصدر السابق ، ص: 77 .

(180) اندريوواطون : المصدر السابق ، ص: 78 .

(181) اندريوواطون : المصدر السابق ، ص: 83 .

(182) اندريوواطون : المصدر السابق ، ص: 78 .

(183) اندريوواطون : المصدر السابق ، ص: 82 .

(184) نقلاً عن اندريوواطون : الابداع الزراعي ، ص: 237 .

أسبوعية. وذلك بحسب كمية المياه التي تغطي حقل القطن.[185] وفي العالم الاسلامي نظامان لري القطن. أحدهما: النظام الأسباني: ((والذي كان النبات يسقى فيه كل خمسة عشر يوما بعد أن يصل إلى ارتفاع الاصبع)) وثانيهما: النظام السوري:((الذي كانت الأرض فيه تروى مرة قبل الزراعة ومرة ثانية عندما كان النبات يصل إلى ارتفاع عرض اليد ثم يروى بعد ذلك كل خمسة عشر يوما حتى منتصف شهر أب))[186] .

وأحيانا قد يزرع القطن بدون سقاية[187] في المناطق التي تهطل الأمطار بغزارة أو في المناطق المشبعة بالمياه أو المستنقعة أو المناطق المستمرة النداء .

وموسم زراعة القطن في اليمن في نصف يوليو ويستمر حتى سبتمبر. وغالبا ما يعتمد ري القطن فيها على الأبار الجوفية في تهامة كما يعتمد في ريه على السيول في مناطق الوديان وتصل عدد الريات من 5 ـ 7 ريات [188]. وأحيانا يعتمد القطن في ريه على الأمطار في المناطق أو المواسم التي تهطل فيهما الأمطار بغزارة في اليمن. ويستمر بقاء شجرة القطن ما بين ثلاثة سنين إلى أربع سنين لمن يريد بقاؤه. وتحمل شجرته بعد ستة أشهر من زراعته . ويحتاج زراعة القطن في اليمن إلى حرث جيد مع الاهتمام بريه بالماء جيداً[189] .

5 ـ قصب السكر :

هو أحد محاصيل المناطق المناخية الحارة، ومن المحتمل أن أول ما ظهرت زراعة قصب السكر في جنوب الصين، وذلك في الجزء الأخير من الألف الأول قبل الميلاد. ومنها انتشر إلى الهند ثم انتشر إلى بقية العالم. ومن المعتقد أن زراعة قصب السكر ظهرت في الجزيرة العربية قبل الاسلام ومن حيث التأكيد فإن زراعة قصب السكر اتسعت وانتشرت في الفترة الإسلامية. فقد ذكرت المصادر العربية وجود عدة مناطق في الجزيرة العربية تزرع قصب السكر خلال القرنين التاسع والعاشر الميلادية الثالث والرابع للهجرة. وفي هذه الفترة الإسلامية انتقلت زراعة قصب

(185) اندريوواطون : المصدر السابق ، ص: 225 ـ 237 .

(186) اندريوواطون : المصدر السابق ، ص: 237 .

(187) اندريوواطون : المصدر السابق ، ص: 237 .

(188) عبد الله المجاهد : انتاج المحاصيل ، ص: 191 ـ 195 ـ 196 .

(189) عمر بن رسول : ملح الملاحة ، ص: 82 ـ 83 .

السكر من الجزيرة العربية عن طريق عُمان إلى زنجبار وإلى سواحل إفريقية الشرقية[190] وقد ذكر الهمداني الذي عاش في القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي في كتابه صفة جزيرة العرب، أن زراعة قصب السكر كانت موجودة في اليمن خلال تلك الفترة. وله ثلاثة أسماء هي (1) قصب السكر (2) قصب المضار ((لأنه يعضر بالفم)) أي يمضغ فيبلغ ماؤه. (3) قصب الشيرين[191].

وعن طريق سقي قصب السكر فهو يحتاج إلى سقاية وافرة في بداية زراعته وفي أيامه الأولى . وبعد أن تظهر فروعه الجديدة يحتاج إلى سقاية أسبوعية [192] . وقد يروى قصب السكر ما بين أربعة أيام وثمانية أيام [193] .

6 ـ العنب :

يعد العنب أحد أشجار الفاكهة ويزرع في المناطق المعتدلة الدافئة والمعتدلة الباردة[194]. وقد انتشرت زراعة العنب في اليمن منذ القدم، فقد ظهرت شجرة العنب وثمرته مرسومة على النقوش اليمنية القديمة، مما يدل على انتشار زراعته في اليمن منذ القدم .

ويغرس العنب على ثلاث طرق. الأولى الإقلام (العقل) والثانية طريقة الترقيد. والثالثة طريقة التطعيم نوضحها كالآتي .

الطريقة الأولى :

الإقلام (العقل) . يقطع أغصان العنب طول كل غصن (أو قلم) ثلاثة أذرع. ثم يغرس هذا الغصن في تربة جيدة عمقها ذراع ونصف ويسقى لوقتها ثم يتعهد سقيها كل ثلاثة أيام أو أربعة أيام حتى يقوى ويرشد. وبعد أن يرشد يتابع سقية كل ثمانية أيام حتى يقوى وتثبت عروقه في الأرض. وموعد زراعة هذا الصنف في اليمن أما أيلول(سبتمبر) أو في نصف كانون الثاني (يناير) في المناطق المعتدلة والتي تميل أكثرها إلى البرد[195] .

(190) الدريوواطون : الابداع الزراعي ، ص: 63 ـ 64 .

(191) الهمداني : صفة ، ص: 310 . قصب السكر يسمى قصب الشيرين أو الشيري.

(192) اندريوواطون : المصدر السابق ، ص: 237 .

(193) اندريوواطون : المصدر السابق ، ص: 225 .

(194) عمر بن رسول : ملح الملاحة ، ص: 132 ـ هامش .

(195) عمر بن رسول : المصدر السابق، ص: 133 .

الطريقة الثانية :

الترقيد(أو التبريك) وهي تثبيت أحد فروع العنب في الأرض أو في حوض أو في سلة مع بقاء الغصن ملتصقاً بالشجرة الأم ثم يستمر سقيه بالماء كل ثالث يوم أو رابع يوم إلى أن تثبت الجذور في التربة التي في الحوض(أو السلة أو غيره). ووقت ترقيد أو تبريك الغصون أيام الخريف أيام كثرة الأمطار في اليمن في شهر أيلول(سبتمبر) وإذا مضت على الغصون سنة على ترقيدها قطعت من أصولها(أمها) وحملت بسلتها وزرعت في أماكن أخرى أي أماكن مستديمة ويستمر في سقيها إلى أن ترشد. وتبدو ثمرته وتظهر فيها الحلاوة بعد ذلك يخفف السقي إلى أن تزكى حلاوته ثم يقطع عنها الماء نهائياً[196] .

الطريقة الثالثة:

التطعيم. وتهدف هذه الطريقة إلى تغير أحد الأصناف إلى صنف آخر ((أو تركيب العنب بعضه في بعض)) وهي جرح الكرمة (العنب) بالسكين أربع جرحات مربعة قبل تقليمها ثم يؤخذ من العنب العاصمي أو الزيتوني ومخ العصفور والبياض من كل صنف غصنا أو قلما ويبرم أسفل كل غصن بحيث ينزل في المربعات المجروحة . فإذا صارت الأربعة الأغصان في الأربع الفتحات المجروحة يربط عليها بخرقة ربط جيد حتى لا يدخل التراب بين الفتحات(أو الجروح) وذلك من أجل التحام الأصل بالطعم. ويترك رؤس الأغصان الأربعة ظاهرة. ثم يستمر بالتعاهد بسقيها سقيا جيداً ويتفقد سقيه كل وقت وكلما دعت الحاجة. ويظل يستمر بالتعاهد بالسقي حتى يتم التحام الشق ويجري الماء في الأغصان إلى أن يورق ويرشد. وهذا الصنف يحمل حملا ضعيفاً لم يقوى الحمل. وفي كل سنة يزداد هذا الحمل وتزداد الثمار. كما أن هذا الصنف يجمع أربعة أصناف في أصل واحد ووقت تطعيم هذا الصنف في كانون الثاني (يناير)[197] .

النخيل :

للنخيل في اليمن عدة أصناف منه الصنف المسمى ((الثعل)) ولونه أصفر وهو أجود الأصناف وأطيب ثمرة ويغرس عن طريق السلخ أو بالفسائل في تربة جيدة وعمق يصل إلى نصف متر أو أكثر وبُعْد يقرب من متر بين الفسيلة والأخرى. ويتعاهده بالسقي كل أسبوعين وكلما

---

(196) عمر بن رسول : المصدر السابق ، ص: 136 .

(197) عمر بن رسول : المصدر السابق ، ص: 139 .

لتابع سقيه كان أجود. ويحمل هذا الصنف بعد خمس سنين إذا تتابع عليه السقي[198] ومنه ((المولد)) وهو ثلاثة أصناف ((دحر ـ مقصاب ـ ذيل)) ولونها جميعا أصفر. ويغرس رطبا بلحمه، وهو أجود من غرس الفص ((النوا)) لوحده. في حوض كبير أو مشاتل. ويسقى هذا الغرس كل ثاني يوم حتى يظهر نباته، وذلك بعد عشرين يوما أو شهر وإذا بلغ السنة نقل من تلك الأحواض أو المشاتل بأصوله أو ترابه الذي يحتوي عليه الغرس إلى الأماكن المعدة لزراعته أو الحقل المستديم. ويسقى عند نقله سقيا جيداً. ثم يسقى كل ثالث يوم حتى يرشد ويقوى. ويستمر في سقيه إلى أن يستغنى عن السقي المستمر ومنه ما يستغنى بعد أربع سنين ومنها ما يستغنى بعد خمس سنين[199] . وهناك العديد من أصناف النخيل الأخرى لا داعي لذكرها هنا.

ومعظم النخيل في اليمن يعتمد في سقيه على مياه السيول أو الغيول. حيث يوجد نوع من النخيل في اليمن يسمى (البعل) لا يسقى إلا من مياه السيول[200] ومن المعتقد أن زراعة النخيل في اليمن انتشرت قبل الاسلام ثم اتسع انتشارها في الفترة الاسلامية .

8 ـ الفوّة :

هو أحد المحاصيل المستخدمة عروقه في الصباغة ولونها أحمر وانتشرت زراعة الفوّة في اليمن بشكل واسع في العصر الإسلامي وخاصة عصر بني زريع والعصر الأيوبي والرسولي .

ري الفوّة: يغرس الفوّة بواسطة الجذور (العروق) في قعر التلم أو الخط المعد لزراعة الفوّة وتسقى الفوّة بقدر ما يملاء التلم أو الخط. وكلما بان في الأرض الجفاف سقاها بالماء وغالبا ما يسقيها كل خمسة أيام أو ستة أيام. وبعد الانبات يسقى كل ثمانية أيام أو عشرة أيام. وبعد أن تمضي على زراعته أربعون يوما يتم تصفية الأراضي من الحشائش. بعد ذلك يتم سقيها بعد اثني عشرة يوما. وبعد شهرين من تنقيتها من الحشائش ينقيها مرة أخرى، ثم يرويها بعد إثني عشرة يوما وتظل عملية الإهتمام بالفوّة مستمرة من حيث تقليب الأرض حولها وعزقها. فيسقيها كلما جفت أرضها وأصفر أسفل ورقها الذي يلي التراب. وإذا حال عليها الحول أو مضت سنة من غرسها قلعت[201] ولزراعة الفوّة وقتان : أحدهما. تشرين الأول(أكتوبر) وثانيهما. أول كانون

(198) عمر بن رسول : ملح الملاحة ، ص: 122 ـ 123 .

(199) عمر بن رسول : المصدر السابق ، ص: 124 ـ 125 .

(200) الهمداني: صفة جزيرة العرب ، ص: 319 .

(201) عمر بن رسول : ملح الملاحة ، ص: 91 ـ 92 .

ديسمبر) وذلك لتجنب الفوّة من موسم الأمطار في اليمن وكثرتها لأن الفوّة لا تطيب في كثرة المياه[202] .

وهناك العديد من المزروعات الأخرى وجدت في اليمن في العصر الإسلامي، كالمزروعات المستخدمة في الصباغة مثل الورس والعصفر. كما وجدت فيها العديد من أشجار الثمار والفواكه مثل الموز والبطيخ الأحمر والتفاح والمشمش والخوخ والرمان. إضافة إلى وجود الحمضيات مثل الليم والليمون والأترج فضلا عن وجود العديد من الحبوب مثل الغرب والذرة الشامية. لم نحاول إيراد دراسة تاريخية عنها بسبب عدم معرفة تاريخ زراعتها في اليمن. واكتفينا بإيراد دراسة مختصرة عن المزروعات السابقة الذكر.

الخاتمة :

ويتبين مما سبق أن الإنسان اليمني لم يقف موقفاً متفرجاً أمام العوامل الطبيعية ويبقى أسيراً لها. ولكنه جاهد الطبيعة القاسية في اليمن جهاداً كبيراً فحاول التغلب على المناطق الجبلية التي اتصفت بقلة أراضيها الزراعية وانحصار الأراضي الصالحة للزراعة في الوديان الضيقة والقيعان. فعمل الإنسان اليمني على إقامة المدجات الزراعية، من أجل توسيع رقعة الأراضي الزراعية، وحفظ التربة من الإنجراف والمياه من الضياع. كذلك عمل الإنسان اليمني على إقامة السدود على مداخل فتحات الأودية لحجز كمية المياه الزائدة على حاجته من جراء سقوطها بكثرة في مواسم الأمطار الغزيرة. والاستفادة منها في ري مزروعاته وشربه في السنوات التي تقل فيها كمية الأمطار وكذلك للاستفادة منها في السنوات التي يتقدم فيها موسم الأمطار في اليمن أو يتأخر. ومن ناحية أخرى فإن الإنسان اليمني أدى دوراً كبيراً منذ فترة مبكرة في الإهتمام في الزراعة سواء عن طريق إدخال الكثير من أنواع المزروعات إلى اليمن من جنوب شرق أسيا وشرق وجنوب أفريقية وجنوب مناطق البحر المتوسط. أو نقلها من اليمن الى تلك البلدان للتشابه المناخي بين اليمن وهذه البلدان في زراعة كثير من المحاصيل الزراعية. بالإضافة إلى ذلك فإن اليمن كانت محطة لنقل الكثير من مزروعات جنوب شرق أسيا إلى شرق أفريقية وجنوبها والعكس. بذلك نرجوا أن نكون قد وفقنا في إعطاء صورة عن الزراعة وعن الأنماط الزراعية وطرق الري في اليمن في العصر الإسلامي .

---

(202) عمر بن رسول : المصدر السابق ، ص: 94 - 95 .

الفصل الثاني

الصنـــاعـــة

أوضح فصل الصناعة المعادن، والنشاط الصناعي، من الصناعة المعدنية، والصناعة الجلدية والصناعات الأخرى، بالإضافة إلى صناعة المنسوجات والصباغة والزخرفة. التي وجدت في اليمن في الفترة التي ندرسها، حسب ما ذكرتها المصادر.

مارس اليمنيون في العصر الإسلامي أنواعاً مختلفة من الحرف واشتغلوا بصناعات كثيرة مثل الصناعات المعدنية والجلدية وصناعة المنسوجات والزيوت وغيرها من الصناعات المختلفة، وقد استعان اليمنيون بأصحاب الخبرة في الصناعة من بلدان مختلفة وخاصةً في الصناعات المعدنية. فمعدن الفضة من الرضراض في نهم ومخلاف يام من أرض همدان كان عماله من الفرس، يوضح ذلك الهمداني بقوله: (وكان أهله جميعاً من الفرس من تأوب اليه في الجاهلية وأيام بني أمية وبني العباس وكانوا يسمون فرس المعدن)[1]، كذلك استعان اليمنيون بأهل الخبرة في الصناعة في مصر والشام يوضح ذلك ابن فضل الله العمري بقوله: (ولاتزال ملوك اليمن تستجلب من مصر والشام طوائف من أرباب الصناعات لقلة وجودهم باليمن)[2]. وبرغم أن النصين خارجان عن الفترة الزمنية للبحث إلا أنهما يعطينا مفهوماً حول استعانة اليمنيين بالصنّاع من بلدان مختلفة.

وكان الحرفيون يتعلمون الحرفة عن طريق الوراثة، فظهرت أسر متخصصة بالحرف المتنوعة، وكان الفرد يتعلم الحرفة عن طريق التدريب عليها، وذلك بالمشاهدة والملاحظة وممارسة العمل بجانب السابقين له في الحرفة، وغالباً ماكانت الحرف تتعرض للهزات التي تهددها بالانقراض، ففي بعض الأحيان لا يستطيع الأبناء مواصلة نفس حرفة آبائهم، فقد يموت صاحب الحرفة قبل أن يعلن إبنه أو التابع له حرفته وتجربته. ومن جهة ثانية تأثرت الصناعة بالصراعات القبلية المتكررة، أو نتيجة لاشتراك الحرفيين في الحروب التي يجبرهم الحكام على الاشتراك فيها مما جعلهم يطلبون المال من هؤلاء الحكام بدلاً من تكسبهم من حرفتهم، لذلك كانت هناك محاولات للاحتفاظ بالصناعة والحرف، فقد وجه الشريف محمد بن القاسم خطاباً لأهل شهارة يأمرهم بأن يأكل كل صاحب حرفة من حرفته وكل صاحب ضيعة من محصول ضيعته، وكل تاجر من غلة

(1) الهمداني: كتاب الجوهرتين، ص:126.

(2) ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار، ص:52، القلقشندي. صبح الاعشى، حـ5، ص:36.

متجره وماله[3].

وتأثرت الصناعة أيضاً بتوقف استخراج بعض المعادن، فقد توقف استخراج معدن الذهب بجهة عطان في بيشه وانقطع العمل به في القرن الرابع الهجري، أيضاً توقف استخراج معدن الرضراض في حَدْنِهِم ومخلاف يام من أرض همدان في بداية سنة 270هـ/ 883م. والذي كان لمراد وبني غيلان رهط بني الروية وبني الحارث وخولان العالية وذلك بسبب خلاف فيما بينهم جميعاً بعد قتل محمد بن يعفر فتوقف العمل به[4].

أولاً: المواد الخام:

المعادن: وجدت في اليمن أنواع متعددة من المعادن في مناطق مختلفة مثل الذهب والفضة والعقيق والجزع وغير ذلك من المعادن الأخرى التي كان يستخرجها اليمنيون. والذي يوجد باليمن من المعادن الآتي:

الذهب: ويوجد في منطقة (ضَنْكَان) ويساوى الرطل منه مائة دينار علوية وديناراً ونصفا. ويوجد أيضاً معدن الذهب في (القُفَاعة) في صعدة من أرض خولان، وهو بالقرب من الحصوف مدينة الحَكَمْ في أعلى وادي خلب، ورطله يساوي مائة وستة دنانير علوية، وقريب منه في الجودة يوجد معدن الذهب في (الخُلّة) من أرض حجور من أرض همدان، كما يوجد بأرض (بني سابقة) بالحد بين صعدة ونجران يساوي رطله مائة وأربعة دنانير علوية، كذلك يوجد الذهب (بعطان بيشه)[5]، وفي منطقة (سلوق) في خدير[6]. كما يوجد معدن الذهب في جبل يسمى سرواح قرب بيحان وتبره (أو ترابه) أصفر يشبه الزرنيخ[7].

الفضة: ويوجد معدن الفضة في منطقة تسمى قرية (المعدن) وهي قرية كبيرة بها غيل ونخيل وكان بها أربعمائة تنور لمعالجة الفضة وينتج منها في الاسبوع ـ حمل فضة مقداره عشرون

---

(3) الربعي: سيرة ذي الشرفين، ق9.

(4) الهمداني: الجوهرتين العتيقتين، ص: 123 ـ 126. تحقيق كريستوفر كول، ط2، 1985م، دار بساط بيروت.

(5) الهمداني: كتاب الجوهرتين، ص:123.

(6) القزويني: آثار البلاد، ص:45.

(7) ابن المجاور: صفة بلاد اليمن، ص:199. ويبدو أن سرواح هي صرواح.

ألف درهم، وذلك في عهد محمد بن يعفر حاكم صنعاء آنذاك، حيث كانوا يدفعون إليه من معامل الفضة ضريبة أو ما تسمى حق السلطان حوالي ألف ألف درهم في السنة[8].

كما وجد معدن الفضة في أرض بني مذحج، كان يستخرجها ابن زياد حاكم زبيد، وكان ينفق على الدرهم أربعة دوانيق نتيجة ضعفه وعسر استخراجه[9]، كما وجد في منطقة سلوق من خدير[10]، وفي أعمال العواهل قرب وادي بيحان في جبل يسمى المعدن[11].

وقد يعالج كل من معدن الذهب والفضة في اليمن ويصنع منهما أنواعاً مختلفة من الأشياء، منها صك النقود الدينار والدرهم، وقد يُصَدَّر على شكل سبائك، وكان سعره باليمن أرخص من أي بلد آخر، فقد ربح منه الكثير من تجار العراق، وفارس، والشام، ومصر[12].

العقيق: اشتهرت اليمن بالعقيق اليماني المشهور، ويوجد في مناطق عديدة منها منطقة سعوان وهو مايسمى بالعقيق السعواني[13]، وهو فص أسود فيه عرق أبيض[14]، وجبل ألهان وهو البقراني النفيس الذي له عدة ألوان، فالفص منه يكون وجهه أحمر فوق عرق أبيض فوق عرق أسود[15]، ووجد بألهان أيضاً مثل مقري وقساس منه ذو اللون الأحمر والأصفر[16]. ويوجد العقيق العرواني، ولونه أحمر بعرق أبيض في منطقة الشرف شهارة وغرب همدان[17]، كما يوجد فيما بين نجران وأفلح، ويصنع بعض العقيق في اليمن وبعضه يصدر خاماً[18].

---

(8) الهمداني: كتاب الجوهرتين، ص:127.

(9) الهمداني: نفس المصدر، ص:129. لم أهتدي من المصادر على مكان مذحج المشار إليها .

(10) القزويني: آثار البلاد، ص:45.

(11) ابن المجاور: صفة بلاد اليمن، ص:45.

(12) الهمداني: كتاب الجوهرتين، ص:128.

(13) الهمداني: الاكليل، جـ8، ص:86.

(14) الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص:321.

(15) الهمداني: الاكليل، جـ8، ص:86.

(16) الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص:322.

(17) الهمداني: الاكليل، جـ8، ص:86.

(18) (ابن القيه: مختصر كتاب البلدان، ص:36.

الجزع: يوجد الجزع في اليمن بأنواعه المختلفة المسمى الفارسي، والحبشي، والمعسّل، والمعرق، والعرواني، وأجوده وأغلاه ثمناً هو البقراني[19]. كمل يوجد بها الجزع الموشى والمسير. ومن أهم مناطق استخراجه جبل نقم قرب صنعاء ووادي ضهر، وسعوان، والسر، ويوجد بالقرب من صنعاء أيضاً الجزع السماوي المسمى العشاري، والخولاني، والجرتي في عذيقة والسرب[20]. ويصنع من الجزع ألواح وصفائح وقوائم سيوف، ومقابض سكاكين، ومداهن وقحفة وغير ذلك[21]. كما يصنع منه الأواني الكبيرة والعظيمة[22].

ويوجد ببلاد اليمن أنواع أخرى من المعادن منها الخرز وأجوده البقراني الذي يبلغ قيمة الفص منه مائة دينار وأكثر[23]. وكذا معدن البلور، ومنه النوع (المسني) الذي يعمل منه مقابض السكاكين[24] وحجر الجرتي الاسود والأخضر، الذي يصنع منه أيضاً مقابض السكاكين[25]. وأنواع الشب منه شب الفؤاد. كما يوجد بها الصندل، وأيضاً يوجد بها طين من معدن أبيض لين لزج أشبه شيء بالصابون[26]كذلك يوجد الكبريت في ذمار ومنها يصدر إلى أنحاء اليمن[27].كما يوجد الحديد في منطقة(رغافة) بصعدة[28].وفي العهد الأيوبي في اليمن كان من شروط الصلح فيما بين الامام عبدالله بن حمزة وأمير صنعاء وردشار،أن يدفع الامام للأيوبيين في كل سنة مائة حمل مثقلة بالحديد من صعدة[29]، كما يوجد في سلوق من خدير، كذلك يوجد العنبر في اليمن في كل

(19) الهمداني: صفة، 322، د. محمد أمين صالح: تاريخ اليمن الاسلامي، ص:207.

(20) الهمداني: الاكليل، جـ8، ص:75. د. محمد أمين صالح: نفس المرجع والصفحة.

(21) الهمداني: صفة، ص:322.

(22) ابن الفقيه، نفس المصدر والصفحة.

(23) ابن رسته: الاعلاق النفيسة، ص:112.

(24) الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص:322.

(25) الهمداني: الاكليل، جـ8، ص:86.

(26) الربعي: سيرة ذي الشرفين، ق34.

(27) ابن المجاور: صفة بلاد اليمن، ص:190 - 191.

(28) عبدالمؤمن: مراصد الاطلاع، جـ2، ص:622.

(29) الخزرجي: العسجد، ص:178.

من منطقة الشحر[30]. والمنطقة الواقعة ما بين عدن وباب المندب من جهة البحر[31]، كما يوجد اللؤلؤ في عدن[32].

ثانياً: النشاط الصناعي:

1 ـ الصناعات المعدنية:

وكان لوجود تلك الأنواع المتعددة من المعادن أثرها في إيجاد كثير من المصنوعات المعدنية، فقد صنعت منها أدوات الفلاحة المختلفة، والسكاكين، والسيوف اليمانية المشهورة، والأواني المتنوعة. وقد سميت الصناعات بأسماء المناطق التي اشتهرت بصناعتها، ومن ضمن الصناعات المعدنية في اليمن الآتي:

صناعة السيوف: المشهورة بالسيوف اليمانية التي ليس لها مثيل في البلدان، لاتصالها بالليونة وعدم الانكسار. وفي المناطق التي صنعت بها منطقة (بيلمان) ولذا تسمى السيوف البيلمانية[33]، وفي منطقة (نقم) وسميت بالسيوف النقمية، وفي منطقة ذي برعش وسميت بالسيوف البرعشية[34].

صناعة الدروع والسهام: صنعت الدروع المحكمة الصنع في منطقة (سلوق)[35] وهي التي سميت بالدروع السلوقية، كما صنعت في صعدة السهام التي اشتهرت باسم السهام الصعدية[36].

السياط والأسنة والرماح: وصنعت في ذي أصبح السياط التي تسمى السياط الأصبحية، وفي منطقة ذي يزن الأسنة التي سميت الأسنة اليزنية، كذلك صنعت الرماح في كل من شرعب،

---

(30) القزويني: آثار البلاد، ص:45، 47.

(31) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص:102.

(32) الاصطخري: المسالك والممالك، ص:26.

(33) عبدالمؤمن: مراصد الاطلاع، جـ1، ص:244، بيلمان: موضع ينسب اليه السيوف البيلمانية ويشبه ان يكون بأرض اليمن، اسماعيل الأكوع: البلدان اليمنية، عند ياقوت الحموي، ص:63.

(34) محمد الاكوع: اليمن الخضراء، ص:236. مطبعة السعادة ، مصر ، ط 1 ، 1971 م .

(35) القزويني: آثار البلاد، ص:45.

(36) محمد الاكوع: نفس المصدر والصفحة.

وسمهرية، وشراعة، واليها تنسب الرماح الشرعبية، والسمهرية، والشراعية. كما صنعت النصال في بني حريم من حضرموت واليها تنسب النصال الحرمية[37]. وصنع في منقطة (حلى) الأقداح، وفي منطقة (عثر) وعدن صنع القفاع[38]. ويصنع في اليمن أواني كبيرة من حجر يشاكل الرخام ولكنه أشد بياضاً منه[39]، كما تصنع الأواني الكبيرة من الجزع[40].

وكانت بعض الصناعات المعدنية في اليمن تكفت بالأحجار الكريمة مثل العقيق والجزع، حيث كان يصنع منها ألواح وصفائح وقوائم سيوف ومقابض سكاكين وغيره[41]. ومن ضمن ما طرز أو كفت أو زين من تلك الصناعات السيوف، فقد أرسل علي بن محمد الصليحي حاكم اليمن بهدية جليلة إلى المستنصر بالله الفاطمي حاكم مصر وهي عبارة عن سبعين سيفاً قوائمها من العقيق[42]، كما صنع من معدن المسنى مقابض سكاكين[43]. وهكذا وجدت في اليمن عدة صناعات معدنية بعضها زينت بالأحجار الكريمة.

2 ـ الصناعات الجلدية:

كما اشتهرت اليمن بدباغة الجلود والصناعات الجلدية، فوجد بها مدابغ الجلود في جميع أقاليمها[44]لتوفر شجرة القرظ بها والتي تستخدم لدبغ الجلود،ومن تلك الجلود التي صنعت في اليمن أنواع الخفاف النفيس[45].ومن المناطق التي اشتهرت بدباغة الجلود والصناعات الجلدية منطقة صعدة وبها دار دباغة، يدبغ بها الأديم الجيد، وكان دار صناعة الأديم بها عديم المثال[46]،

---

(37) الهمداني: الاكليل، جـ2، ص:26، 144، 254، 382، 383، د. أمين صالح: تاريخ اليمن الاسلامي، ص:207.

(38) المقدسي: احسن التقاسيم، ص:98.

(39) الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص:322.

(40) ابن رسته: الاعلاق النفيسة، ص:112.

(41) الهمداني: صفة، ص:322.

(42) الخزرجي: العسجد، ص:57، بامخرمة: قلادة النهر، ص:600.

(43) الهمداني: صفة، ص:322.

(44) ابن المجاور: صفة بلاد اليمن، ص:13.

(45) ابن جبير: رحلة ابن جبير، ص:148.

(46) الادريسي: نزهة المشتاق، جـ1، ص:55، 146.

لذلك صنع في صعدة النعال الجيدة[47]. كما صنع بها الأنطاع(البساط) الحسنة والركاء الجيد[48]، (وهو القِرَبْ أو المَسَبْ)كذلك منطقة زبيد وجدت بها مدابغ كثيرة للجلود[49]. وقد كان مقدار ضريبة الجلود بها ثلاثة عشر ألف دينار سنوياً[50]، وهذا مايدل على كثرة دباغة الجلود بها والصناعة منه. كما وجدت دباغة الجلود في كل من عدن وجرش، ونجران[51]، وأيضاً وجدت في صنعاء دار لدباغة الجلود فكان يدبغ بها جلود البقر الجبلانية التي يصنع منها النعال، حيث يبلغ الجلد منها عشرة مثاقيل الى عشرين مثقالاً. ويصنع منها الشرع المدرهمة العرسية والسمسمية، التي يبلغ الأشرع المدنر الاحرش (أي الملس) دنانير[52]، كما وجد بصنعاء صناعة النعال المشعرةِ، والأنطاع(البساط)، والبرود الجيدة المرتفعة الثمن، والمصمتة، التي تصدر الى أنحاء اليمن وخارجها[53]. ومما يدل على كثرة الدباغة في صنعاء ما ذكره الرازي من أن عدد مطاحن القرظ الذي يدبغ به الجلود والأدم في صنعاء حوالي 33 مطحناً[54].

وتدبغ في منطقة (الشوافية) في نواحي إب جلود النمر النفيسة المحلوكة السواد اليقق البياض الذي يبلغ الجلد منه عدة دنانير. كما صنع منها السروج والفرش النفيسة منها فرش العباء الملون النفيس والذي يستخدم لتزيين الخيل فيكون جلالاً لها، وهو مُلْبَن مثل تلبين الوشي لبنة بيضاء، والى جنبها لبنة سوداء جرداء غير مخملة، كذلك صنع بها الأنطاع الصت التي لا تؤثر عليها مياه الأمطار[55]. وأيضاً صنع في اليمن النعال التي سميت بالنعال الترخمية، وهي المشهورة

---

(47) ابن حرداذبه: المسالك والممالك، ص:139.

(48) المقدسي: احسن التقاسيم، ص:98، الانطاع: مفردها نطع: وهي بساط من الجلد، والركاء: مفردها ركوة، وهو إناء صغير من الجلد يشرب فيه الماء، المعجم الوجيز، ص:277، 621.

(49) المقدسي: نفس المصدر والصفحة. أوضح المقدسي ص:98 أن أديم زبيد ونيله لا نظير له كأنه لأزورد.

(50) ابن المجاور: صفة بلاد اليمن، ص:89.

(51) ابن حوقل: صورة الارض، ص:36.

(52) الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص: 320.

(53) ابن رسته: الاعلاق النفيسة، ص:112.

(54) الرازي: تاريخ مدينة صنعاء، ص:115، د. محمد أمين صالح: تاريخ اليمن الاسلامي،ص:207.

(55) الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص: 320 ـ 321.، الصت: هي التي لا ينفذ منها الماء، نفس المصدر والصفحة، هـ2.

بصناعة الحذية[56]. وفي مخلاف بني مجيد يوجد بها البقر الملمعة والتي يصنع من جلودها النعال فيه توليع من بياض وصفره كأحسن الوشي ويباع النعل منها بدنانير ويصدر الى أنحاء الأقطار[57]. وقد زخرفت الجلود بزخارف ورسوم ملونة وجميلة، كما أنه ذهبت بعض صناعة الجلود[58].

3 ـ الصناعات الأخرى:

يوجد معاصر السليط (الزيت) في مناطق عديدة من اليمن منها منطقة (حيس)[59] و (المخاء)[60] (وصنعاء) التي يوجد بها حوالي أربعة وخمسين معصرة للسمسم (الجلجلان) حسب تقدير الرازي[61]، وأربعة عشر معصرة حسب تقدير آخر[62]. كما وجدت معاصر السليط في قرية (لَحِيَّة) في لحج بعدن[63].

كما وجدت في اليمن صناعة الحلويات، وقد تفننوا في صناعتها واكتسبوا شهرة في ذلك وكما يذكر الهمداني فقد كان الرجل إذا أكل منها (قضم على طيبه أنامله) وكانوا يصنعونه من (معقدات الأترج والقرع والجزع والرانج واللي (الدعبب) كما صنع بها الشهد الحضوري الماذي الجامد الذي يقطع بالسكاكين. ويهدى من هذه الحلويات المصنوعة (إلى العراق ومكة وسائر البلدان)[64].

وكانت طريقة صناعة تلك الحلويات تتم بتسخين معقدات الفاكهة في الشمس حتى يصير في عقود قصب اليرع،ثم يوضع في مظروف ويوضع في مكان بارد ويترك حتى يجمد مع ختم أفواه

---

(56) الهمداني: الاكليل، جـ4، ص:326.

(57) عبدالله يوسف غنيم: جزيرة العرب من كتاب المسالك والممالك لابي عبيده البكري، ص:27.

(58) حسن صالح شهاب: أضواء على تاريخ اليمن، ص:161.

(59) عمارة: المفيد، ص:100.

(60) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص:86.

(61) الرازي: تاريخ مدينة صنعاء، ص: 115، يحيى بن الحسين: غاية الاماني، ص:37، د. محمد أمين صالح: تاريخ اليمن الاسلامي، ص:208.

(62) مجهول: تاريخ اليمن، ق67.

(63) بامخرمة: ثغر عدن، ص:30.

(64) الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص:316 ـ 317، آدم متز: الحضارة الاسلامية، جـ2، ص:312، د. محمد أمين صالح: تاريخ اليمن الاسلامي، ص:225.

المظروف بالقَصَّة(أي الغطاء المقصوص من المظروف). وبهذا العمل يصبح طعم الحلويات المربى كالعسل،وطريقة افراغه بأن يكسر المظروف ثم يقدم للموائد فيقطع بالسكين على طيفورية أو رغيف[65]

كما وجدت صناعة الزجاج حيث يوجد معامل الزجاج في منطقة (لَخَبَة) بظاهر عدن على بعد فرسخين إلا ربع منها أنشأها عثمان الزنجبيلي وكان ينقل منها الزجاج إلى عدن[66]

صناعة العطور: كما اشتهرت عدن بصناعة العطور[67] فقد نقل بعض المؤرخين من كتاب (الأزمنة والأمكنة) للمرزوقي المتوفى سنة 421هـ/ 1030م (أن طيب الخلق جميعاً كان بعدن ولم يكن يحسن صنعه أحد في غير العرب، حتى أن تجار البحر لترجع بالطيب المعمول بعدن، تفخر به في السند والهند، ويرتحل به تجار البر إلى فارس والروم. وأن الناس على ذلك الى اليوم ما يحسن عمله الا أهل الاسلام بعدن[68]).

ووجدت في اليمن عدة صناعات أخرى منها صناعة سفرات الطعام من خوص النخيل[69]، كما وجدت صناعة الخزف في كل من الدُمَيْنِية[70] وعدن[71]. كما صنعت الحلي في عدن[72] والمزامير في صنعاء[73]. والفخار في كل من صنعاء[74] وذي جبلة[75] وفي حُرَازة من أيفوع

---

(65) الهمداني: نفس المصدر والصفحات: آدم متز: نفس المصدر والصفحة، د. محمد أمين صالح: نفس المرجع والصفحة. يسمى المظروف الذي يوضع به المربى عند أهل اليمن (جعْنان)

(66) ابن المجاور: صفة بلاد اليمن، ص:148، بامخرمة: ثغر عدن، ص:30، العبدلي: هدية الزمن، ص:9.

(67) ابن المجاور: صفة بلاد اليمن، ص:192، محمد كريم: عدن دراسة في أحوالها، ص:338، علي زيد: معتزلة اليمن، ص:50.

(68) سعيد الافغاني: أسواق العرب في الجاهلية والاسلام، دار الفكر، ص:269، حسن صالح شهاب: أضواء على تاريخ اليمن، ص:143 - 144، نزار الحديثي: اليمن في صدر الاسلام، ص:43، محمد كريم: عدن دراسة في احوالها، ص:338 - 339.

(69) ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة، ص:246.

(70) ابن المجاور: نفس المصدر، ص:233.

(71) العبدلي: هدية الزمن، ص:9.

(72) ابن المجاور: نفس المصدر، ص

(73) ابن رسته: الاعلاق النفيسة، ص:112.

(74) بامخرمة: قلادة البحر، ص:955.

(75) عمارة: المفيد، ص:138 - 139.

المعافر الأطباق المسماة الأطباق الحرازية[76]، وقد زخرفت الأواني الفخارية بألوان عدة منها اللون الأحمر الذي يستخرج من دم الاخوين[77]، الذي يوجد بجزيرة سقطرى. وهكذا تنوعت الصناعات المختلفة في اليمن.

صناعة النبيذ: صنع النبيذ في مناطق كثيرة من اليمن منها عدن وزبيد، ففي عدن كان أهم بئر يستخرج منها الماء لتصنيع النبيذ هي بئر زعفران، فمنها يستخرج الماء، ويوضع عليه ثمرة الكاذي ذو الرائحة العطرية النفاذة، ويترك في الشمس لمدة عشرة أيام، يتحول بعدها الى نبيذ كامل لا يحتاج الى عسل، ويصدر الى جميع أنحاء اليمن[78]، وقد أوضح المقدسي أنه يصنع (في عدن شراب يفضل على القصب)[79]. وفي العهد الأيوبي صدر ماء زعفران الى كل من الجَنَد، وتعز، وصنعاء وزبيد، ليصنع منه النبيذ. وعندما دخل الاتابك سنقر الى عدن في إمارة محمد بن علي التكريتي لها، شرب من هذا النبيذ فأعجبه[80] مما يدل على أنه كان من أحسن أنواع النبيذ في اليمن.

وفي زبيد يصنع النبيذ بكثرة من التمر والبر والرطب ويسمى بها(الفضيح) ويستغرق عمله يوماً وليلة، ويشرب منه الناس في زبيد جميعاً النساء والرجال، وقد كان ضمان دار النبيذ في زبيد في العهد الأيوبي يقدر باثني عشرألف دينار سنوياً[81]. وهذا يدل على مقدار ضخامة النبيذ في زبيد. ومن الملاحظ أن هذا النبيذ غير مسكر وغير محرم، لأنه لا يترك لفترة طويلة حتى يتخمر.

ثالثاً: صناعة المنسوجات:

وجد باليمن مصانع للمنسوجات اشتهرت اليمن بصناعة أنواع الملابس مثل الوصايل والوشي، من هذه المصانع ماتملكه الدولة وهي التي تقوم بصناعة ملابس للأمراء وكبار موظفي الدولة.من ذلك الطراز الذي أنشيء بصنعاء حيث كان يوجد بها نوعان من الطراز أحدهما طراز

---

(76) الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص:195.

(77) حسن صالح شهاب: نفس المرجع، ص:164، دم الاخوين: هو صمغ احمر يؤتي به من جزيرة سقطرى: المعتمد، ص:158.

(78) ابن المجاور: صفة بلاد اليمن، ص:131، محمد كريم: عدن دراسة في احوالها، ص:339.

(79) المقدسي: احسن التقاسيم، ص:98.

(80) ابن المجاور: نفس المصدر، ص:79.

(81) ابن المجاور: نفس المصدر، ص:90.

(العامة) والآخر يسمى (طراز الخاصة)[82]. ومن قطع الوصائل اليمنية آنذاك ما نجده محفوظاً حتى الآن بالمتحف الاسلامي بالقاهرة، فهناك قطعة نسجت بصنعاء سنة 311هـ/ 923م كتب عليها (مما عمل في طراز الخاصة بصنعاء) وقطعة أخرى مطرزة بالخط الكوفي نصها (بفضل طراز الخلافة)[83].

وكان يكتب على المنسوجات الى جانب اسم الطراز الذي نسجه سواء كان طراز الخاصة أم العامة، اسم المدينة التي صنع بها، واسم الوالي أو الخليفة الذي أمر بالصناعة، وسنة الصنع بالخط الكوفي المورق والمزهر[84]. ومن ضمن العبارات التي كانت تكتب على منسوجات الطراز أو الوصائل اليمنية التي توجد قطع منها بالمتحف الاسلامي بالقاهرة العبارة الآتية: (بسم الله الرحمن الرحيم نعمة من الله لعبد الله أبي العباس الامام المعتضد بالله امير المؤمنين أيده الله مما أمر بعمله في طراز صنعاء سنة أربع وثمانين ومائتين)[85].

وانتشرت صناعة المنسوجات في مناطق كثيرة في اليمن واشتهرت مسميات هذه المنسوجات بأسماء المناطق التي صنعت بها، ومن ضمن المنسوجات التي صنعت باليمن الآتي:

1 ـ البرود: من أهم صناعة المنسوجات في اليمن هي البرود التي اشتهرت باسم البرود اليمانية[86]، وقد صنعت البرود في مناطق متعددة من اليمن، منها منطقة السحول، وسميت البرود نسبة إليها[87]، وصنعت البرود الحريرية في حجة سميت أبراد حجة[88]، وصنعت البرود في كل من المعافر، عدن، وشرعب، والتي سميت باسماء تلك المناطق[89].وصنعت البرود أيضاً في الجريب[90] وفي

---

(82) د. ربيع حامد: ماسج الطراز بمدينة صنعاء، دراسة حول المنسوجات اليمنية في العصر الاسلامي، ص:46 ـ 47. مجلة الأكليل ، عدد 2 ، سنة 1988م .

(83) وفيه عزي: نماذج من الفنون الاسلامية في اليمن،ص:29. ، المجلة ، رجب 1383 هـ / 1962م.

(84) د. ربيع حامد، نفس المرجع والصفحة.

(85) د. رأفت النبراوي: دراسة لقطعتين نادرتين من المنسوجات الاسلامية في مصر واليمن، مجلة الداره، عدد (2)،أغسطس، 1987 ص:207.

(86) القزويني: آثار البلاد، ص:69

(87) المقدسي: احسن التقاسيم، ص:98.

(88) مجهول: سيرة الامام عبدالله بن حمزة، ق1.

(89) حسن صالح شهاب: أضواء على تاريخ اليمن، ص:157 ـ 158. دار العودة، بيروت،ط2، 1981م.

(90) المقدسي: احسن التقاسيم، ص:98.

زبيد[91]، وفي صنعاء، وكان سعر البرود اليمانية غالية الثمن حتى بلغ ثمن الثوب من البرد حوالي خمسمائة دينار[92]. وهذا المبلغ مرتفع يدل على جودة صناعتها وأن البرود اليمنية كان لايستطيع شراؤها إلا الطبقة الحاكمة أو أهل الثراء.

2 ـ الثياب: وصنعت في اليمن أنواع كثيرة من الثياب، منها في المعافر والتي اشتهرت باسم الثياب المعافرية[93]، كما صنعت ثياب قطنية بيضاء في السحول سميت الثياب السحولية[94]، وقد كفن رسول الله صلى الله عليه وسلم بثوبين منها[95]، وصنعت الثياب في (تزيد) بها عدة خطوط سميت بالثياب التزيدية[96]، وهناك الثياب السعيدية، ربما تكون النسبة الى سعيد الاحول النجاحي حاكم زبيد. في القرن الخامس الهجري، والثياب العدنية[97] نسبة الى عدن، وصنعت الثياب في ظفار وهي ماتسمى بالثوب الظفاري[98]. وفي حُرَازة من أيفوع المعافر صنعت ثياب التجاوز وهي الشريحة التي تطرز بألوان الصباغات[99]. كما صنع في زبيد أنواع أخرى مثل الملايات والجراب وغيرها[100]. كذلك صنع في اليمن الحلل (وهي ما تشتمل على القميص والازرار والرداء) منها ما صنع في منطقة السلوق بخدير[101].

3 ـ الحرير: وانتجت اليمن أيضاً المنسوجات الحريرية في أماكن متعددة، منها ما صنع في الشوافية من الحرير النفيس الملوكية، فصنعت منه الفرش العجيبة التي تستخدم للراحة[102]، كما

---

(91) ابن المجاور:صفة بلاد اليمن،ص:89. R.B. Serjeant IsLamie Textiles in the yemen, P 31, Labanan,1972.

(92) ابن رسته: الاعلاق النفيسة، ص: 112.

(93) عبدالمؤمن: مراصد الاطلاع، جـ3، ص: 1287.

(94) عبدالمؤمن: مراصد الاطلاع، جـ2، ص: 696.

(95) عمارة: المفيد، ص:88، ابن المجاور، صفة بلاد اليمن، ص:175، مجهول: نموذج، ق7.

(96) الهمداني: الاكليل، جـ1، ص:189، د. أمين صالح: تاريخ اليمن الاسلامي، ص:207.

(97) ابن الفقيه: مختصر كتاب البلدان، ص:36.

(98) ابن المجاور: نفس المصدر، ص:141.

(99) الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص:195.

(100) ابن المجاور: نفس المصدر، ص:89.

(101) القزويني: آثار البلاد، ص:45.

(102) الهمداني: صفة، ص:195.

صنع في حجة البرود الحريرية[103]، وفي زبيد صنع شقق الحرير الذي منه الحرير الأبيض والبيرم والسباعيات، وهناك نوعان من صناعة الحرير أحدهما: حرير صرف، والآخر مخلوط بكتان[104].

رابعــاً: الصباغــات والزخرفــة:

استخدم الصناع اليمنيون ألواناً مختلفة في صباغة المنسوجات، مثل اللون الفاتح، والأبيض المائل الى الصفرة، والاصفر الفاتح، والسمني، والأزرق وغيرها.

ومن خلال قطع قماش الوصائل اليمنية الموجودة بالمتحف الاسلامي بالقاهرة والتي يعود صناعتها بصنعاء الى القرنين الثالث والرابع الهجريين، نجد أن منها ما كانت ملونة باللون البني الفاتح، مخططة بخطوط زرقاء رأسية سميكة، وخطوط أخرى أفقية رفيعة متقاطعة، تشكل مربعات، ومنها ماكانت مقلمة لونها أبيض يميل الى الاصفرار، عليها خطوط رأسية داكنة اللون، ومنها ماكانت مقلمة لونها سمني، وخطوطها الرأسية يغلب عليها اللون البني[105].

واستخدم الصانع اليمني الزخرفة على المنسوجات بمختلف الألوان مثل الأصفر، والأزرق، والأبيض، بزخارف هندسية متنوعة، واستخدم الخط كعنصر أساسي في الزخرفة وخاصة في كتابة أشرطة الطراز وإشارات الصناع، وذلك بالخط الكوفي المزهر والمورق[106].

فمثلاً كانت زخرفة الوصائل اليمنية (عن طريق الخطوط الملونة الناشئة عن صبغ السداة واللحمة قبل النسيج بلون أو بعدة ألوان أبرزها الابيض والأزرق الضارب الى الصفرة والأسمر الضارب الى الحمرة)[107].

وفي حضرموت كانوا يصبغون الثوب بالزاج فيتحول لونه لا أخضر ولا أزرق بل لون عجيب[108].

---

(103) مجهول: سيرة عبدالله بن حمزة، ق1.

(104) ابن المجاور: نفس المصدر، ص:89.

(105) د. ربيع حامد: مناسج الطراز بمدينة صنعاء، دراسة حول المنسوجات اليمنية في العصر الاسلامي، مجلة الاكليل عدد (2)، السنة 6 ، 1988 م، ص:46 - 48.

(106) د. ربيع حامد: نفس المصدر والصفحة.

(107) د. رأفت محمد النبراوي: دراسة لقطعتين في المنسوجات الاسلامية في مصر واليمن، مجلة الدارة، عدد (2)، السنة 18 المحرم 1408هـ . ص:208.

(108) ابن المجاور: صفة بلاد اليمن، ص:253.

وقد استخرج اليمنيون مادة الصباغة من بعض الاشجار لاستخدامها في صباغة المنسوجات وتلوينها، وأيضاً في تلوين الأواني الفخارية وتزيين المرأة. وكانوا عادة ما يخلطون الاصباغ بالعطور لتفوح الملابس بالرائحة العطرية الجميلة، ومن أشهر أنواع النباتات التي استخدمت في الاصباغ والتلوين الآتي:

نبات (الوَرْسُ) وهو أنواع، منه الأسود، ويخرج صبغتين أصفر خالص الصفرة، ومنه الأحمر وهو الاجود[109]. ويصف ابن حوقل الوَرْسُ في اليمن بقوله: (وفيها ينبت الورس وهو نبات أحمر في معنى الزعفران يباع منوان بدينار فيصبغ بـه)[110]، أما الادريسي فيقول عنه: (والورس نبات يشبه الزعفران تصبغ به الثياب)[111] ويلون به أنواع المنسوجات مثل الحرير وغيره. وأهم مناطق الورس في اليمن هي منطقة مذيخرة[112].

نبات (العصب) وهو نبات كالورس يستخرج منه صبغ أحمر تصبغ به البرود، وهي البرود المعروفة بالعصب[113]. ويوجد العصب أيضاً في مذيخرة.

ويقال عن المنسوجات في اليمن (عصفرت) و (زعفرت) أي صبغت بالعصفر والزعفران[114].

وتصبغ المنسوجات (بالفُوَّة) وهي عروق نبات لونها أحمر، يستعملها الصباغون[115]، وقد انتشرت زراعته بشكل واسع في اليمن في العهد الأيوبي سنة 615هـ/ 1218م، حيث زرع اليمنيون الفوَّة في جميع جبال اليمن، وتركوا الكثير من الغلال الأخرى، لأن (الجريب) كان يغل من الشعير والحنطة خمسة دنانير ملكية، بينما جريب الفُوَّة كان يغل حوالي ستين ديناراً، لذلك زرعته جميع

---

(109) يوسف بن عمر بن رسول: المعتمد في الأدوية المفردة، ص:537. مطبعة الباب الحلبي، مصر، ط3، 1403هـ/1983م.

(110) ابن حوقل: صورة الأرض، ص:37.

(111) الادريسي: نزهة المشتاق، جـ1، ص:53.

(112) ابن المجاور: صفة بلاد اليمن، ص:183، الاصطخري: المسالك والممالك، ص:24.

(113) حسن صالح شهاب، أضواء على تاريخ اليمن، ص:167.

(114) (العصفر) نبات صيفي من الفصيلة المركبة: نيوبية الزهر، يستخرج منه صبغ أحمر يصبغ به الحرير ونحوه، (والزعفران) نبات بصلي معمر من الفصيلة السوسنية، منه أنواع برية ونوع صيفي طبي مشهور: المعجم الوجيز، ص:288 - 421.

(115) يوسف بن عمر بن رسول: المعتمد في الأدوية المفردة، ص:371.

طبقات الناس في اليمن، فكانت الضريبة التي تؤخذ من الفوّة في عدن تقدر بمائة وخمسين ألف دينار سنوياً، أما ضريبة البهار الواحد من الفوّة فقد كان اثني عشر ديناراً في عهد المعز إسماعيل الأيوبي، وهذا مبلغ كبير يدل على كمية الفوَّة التي زرعت في اليمن. ولما كثرت زراعة الفوَّة وأثرت على الزراعة الاخرى في اليمن، صادر الملك المسعود الأيوبي الفوَّة سنة 624هـ/ 1226م فقلت بعدها زراعته في اليمن[116].

وفيما سبق يتضح لنا أن الإنسان اليمني كانت لديه المقدرة على صناعة أنواع المصنوعات والتفنن فيها. فأجاد صناعة بعض تلك المصنوعات حتى بلغت أعلى الأثمان. ونالت بها اليمن شهرة. وأنه كان يوجد لديه الاكتفاء الذاتي في صناعة جميع أنواع تلك المصنوعات الهامة التي كان محتاجاً إليها في حياته العامة والخاصة، سواءً على نطاق ملابسه المتنوعة وفرشة ، أو على نطاق الأواني المنزلية المتعددة، أو الأدوات المستخدمة في حرفه المختلفة، وأدوات الزينة، أو غيرها.

(116) ابن المجاور: صفة بلاد اليمن، ص:140، 144 - 145، ص:175.

الفصل الثالث

التجـــــــــارة

عالج هذا الفصل الطرق البحرية والبرية، وأشهر المدن التجارية، والبضائع المصدرة والمستوردة، وكذلك التجارة الداخلية، بالاضافة الى العملة والمكاييل والموازين والمقاييس. وذلك وفقاً لما أوردته المصادر عن الفترة المحددة للبحث.

أولاً: التجارة الخارجيـــــة:

أ ـ الطرق البحرية: تطل اليمن على مياه المحيط الهندي من جهة الجنوب، والبحر الاحمر من جهة الغرب، وتتحكم في بوغاز باب المندب الموصل بينهما، وتظهر اهمية موقعها هذا بأنها تتوسط أقصر الطرق البحرية الموصلة بين المحيط الهندي والبحر المتوسط، ولهذا أدى اليمنيون دوراً بارزاً في التجارة في هذه البحار خلال فتراتهم التاريخية، فسلكوا الطرق البحرية الموصلة الى الهند والصين، وشرق أفريقيا والبحر الأحمر، واشتغلوا بالتجارة فيما بين مناطقها المتعددة.

وكان لابد لمن يسلك هذه البحار أن يكون خبيراً بها،عارفاً بمواسم الصلاحية للرحلات البحرية وطرقها المسلوكة، من إرتفاع الامواج،وشدة الرياح، ووجود الصخور والخلجان وغيرها.

فالرياح كانت هي العامل الحاسم آنذاك في دفع المراكب الشراعية وانتقالها من مكان الى آخر، وكان لهذه الرياح مواعيد وأوقات محددة يجب على كل ملاح مراعاتها، كما يجب على الملاح أن يكون عارفاً بمواسم الرياح الصالحة للإبحار وغير الصالحة يوضح ذلك العبارة الآتية: (والمعلم الماهر لاتخفي عليه جميع الأرياح ومواسم [أسفار] جميع الدنيا، لأنها مرتبة على الأرياح)[1].

كذلك يجب على الملاح معرفة أماكن الصخور والشعاب المرجانية المنتشرة بأشكال مختلفة في البحار كي يتجنبها أثناء سيره. وقد أوضح الملاحون أماكن وجود هذه الصخور في البحار المتعددة، وحذروا الملاحين الآخرين تجنبها. من ذلك أن ساحل بلاد العرب الجنوبية تكثر فيه الرؤوس الخطرة والخلجان الداخلية في البر. لذلك يجب على المراكب الابتعاد عن الساحل الى عرض البحر بالقدر الذي يحميه خطر الوقوع عليها[2].

---

(1) حسن صالح شهاب: فن الملاحة عند العرب ، ص:187، دار العودة، بيروت، ط1، 1984م ، عن كتاب الفوائد لابن ماجد، ص:329.

(2) حسن صالح شهاب: فن الملاحة عند العرب، ص:225.

وبالنسبة لبحر القلزم يقول عنه الجغرافيون أنه (مثل الوادي به جبال كثيرة قد علا الماء عليها وطرق السفن بها معروفة، لايهتدي فيها إلاّ بربان يتخلل بالسفينة في أضفاف تلك الجبال بالنهار أما بالليل فلا يسلك)[3].

هذا وتواجه السفن الامواج الشديدة في السير فالبحر الموصل من شرق أفريقية الى عمان جنوب الجزيرة العربية (موجه عظيم كالجبال الشواهق وأنه موج أعمى، يريدون بذلك أنه يرتفع كارتفاع الجبال وينخفض كأخفض مايكون في الاودية، لاينكسر، موجه، ولايظهر من ذلك زبد ككسر أمواج سائر البحار، ويزعمون أنه موج مجنون)[4].

استطاع البحار اليمني أن يعرف الرياح الموسمية الصيفية والتي تساعده على الاتجاه جنوباً، والرياح الموسمية الشتوية التي تتجه شمالية شرقية، فاستفاد منها برحلاته المتجهة عبر مختلف البحار، والرياح الاصلية شمال، وجنوب، وقبول، ودبور، وما بينها رياح هوجاء ضارة بالمراكب المسافرة. وأول رياح الدبور أو الكوس وهو ما يوافق 11 مايو يسمى (غلق الموسم) لأن السفر يتوقف فيه. أما آخره فيسمى (مفتاح البحر) لأن السفر يبدأ فيه، وعلى ذلك فإن بدء السفر من المراسي الغربية والجنوبية الى المراسي الشرقية والشمالية في موسم الصيف وهو مايسمى الدبور، ويبدأ موسم السفر من المراسي الشمالية والشرقية الى المراسي الجنوبية والغربية في الشتاء وهو ما يسمى القبول. وعندما تكون المدة الباقية من الموسم غير كافية للسفر يجب عدم السفر لأن ذلك يؤدي الى المهلكة، لانقلاب موسم الرياح قبل التمكن من الوصول الى المكان المحدد لاتجاههم[5].

وقد كانت أقصى نهاية السفر البحري من ناحية الشرق هي زينون (كاينون) بالصين حيث لايسلك بعدها، كما أنه كان آخر مكان يصل اليه المسلمون غرباً الى شرق إفريقية هي مدغشقر[6]. أما المسافة من جزيرة العرب الى الهند فهي تستغرق شهراً ثم تستغرق من الهند الى

---

(3) ابن حوقل: صورة الارض، ص:35 ـ 36، الاصطخري: المسالك والممالك، ص: ، نقولا زيادة: الجغرافية والرحلات، ص:36.

(4) المسعودي: مروج الذهب، جـ1، ص: جرج فضلو حوراني: العرب والملاحة في المحيط الهندي، ص:232، ترجمة: يعقوب بكر، الانجلو المصرية، القاهرة.

(5) حسن صالح شهاب: فن الملاحة عند العرب، ص:188 ـ 192.

(6) نقولا زيادة: الجغرافية والرحلات، ص:38، 227.

الصين حوالي شهرين[7]، واذا أضفنا اليها فترة التوقف في المراسي وانتظار الموسم فان الرحلة من الجزيرة العربية الى الصين تستغرق حوالي ستة أشهر[8]. ورحلة العودة تستغرق نفس هذه الفترة.

واستخدم البحارة اليمنيون في إرتيادهم البحر طريقين أحدهما: السير قرب الشواطيء والاخر وسط البحر مباشرة، فالسفن التي تسير قرب الشاطيء كانت تسير من عدن الى عمان ثم فارس والهند بمحاذاة شواطيء اليمن وفارس والسند[9]. كما كان السير من الشرق الاقصى والذي يبدأ من الصين يمر أيضاً بمحاذاة ساحل الهند الغربي فساحل عُمان ثم ساحل اليمن فالبحر الأحمر، كذلك كانت السفن تسير بمحاذاة ساحل شرق أفريقيا حتى بلاد الزنج[10]، عن ذلك قال ابن المجاور: (ومن عدن الى مقدشوه موسم [أي سفرة] ومن مقدشوه الى كلوة موسم ثاني ومن كلوة الى القمر موسم ثالث)[11]. وكانوا يختارون السير بمحاذاة الشواطيء لعدة أسباب أما لصغر المراكب أو لأنهم كانوا يتاجرون عبر مراسي الشواطيء، أو للتزود بالمياه والطعام، أو بسبب الرياح، أو هروباً من قراصنة البحر أو غيرها من الأسباب كما أنه يوفر لهم الأمان من هياج البحر، لذلك لجأوا للسير بمحاذاة الشواطيء.

أما الطريق الآخر فهو اختراق البحر مباشرة، فقد كانت سفنهم تقطع المحيط الهندي مباشرة الى (كُولَمْ مَلى) في جنوب مالابار ثم تواصل السير منها الى الصين، وكانت رحلة العودة من الصين الى الهند ثم الى مهرة في اليمن تتبع نفس الطريق[12]، وكذلك اختراق بحر شرق أفريقية مباشرة، فقد ذكر ذلك ابن المجاور بقوله: (فكان القوم يجمعون الثلاثة المواسم في موسم واحد. وقد جرى مركب من القمر الى عدن بهذا المجرى سنة ست وعشرين وستمائة أقلع من القمر وكان طالباً كلوة فأرسى بعدن) وقال أيضاً: (وكانوا يطلعون من القمر يأخذون عدن رأساً واحداً

---

(7) د. علي حسين الناصري: النشاط التجاري في شبه الجزيرة العربية أواخر العصور الوسطى، ص:141. مكتبة الانجلو المصرية ، ط 1 .

(8) حوراني: العرب والملاحة في المحيط الهندي، ص:219.

(9) نقولا زيادة: الجغرافية والرحلات، ص:227.

(10) د. علي الناصري: النشاط التجاري في شبه جزيرة العرب، ص:134، 136.

(11) ابن المجاور: صفة بلاد اليمن، ص:117، حسن صالح شهاب، أضواء على تاريخ اليمن، ص:72.

(12) حوراني:العرب والملاحة في المحيط الهندي،ص:208. كولم ملى تسمى أيضاً(كويلون Quilon) كولوملى.

في موسم واحد[13]، والرحلة عبر البحر مباشرة كانت على ما يبدو للسفن الكبيرة التي تحمل بضائع ضخمة كما أنه كانت تستخدم للسفر عبر المسافات الطويلة والبعيدة التي لايحتاجون معها التوقف. ويجب على المسافر في هذا الطريق معرفة موسم السفر بدقة. أي لا تسلك هذه الطريق إلاّ بربان أي دليل .

ب ـ الطرق البرية:

لقيت الطرق البرية في اليمن اهتماماً كبيراً من قبل الكثير من رجالاتها باعتبار أنها تخدم أغراضاً متعددة مثل طرق تسير الحجيج وطرق بريد لنقل الرسائل الإدارية والأموال كالخراج والجبايات، وأيضاً لسير الجيش من مكان الى آخر، وكذلك باعتباره طريقاً تجارياً تُنْقَل عبره البضائع الى أماكن متعددة.

وجرت العادة عند إنشاء الطرق أن يجعلوا بين كل فرسخ وآخر أو مرحلة وأخرى مسجداً للمصلين واستراحة وبئراً لمياه الشرب[14]، وكانوا في الغالب يجعلون هذه الطرق تمر عبر القرى العديدة لتوفر لهم الأغراض المطلوبة للسفر.

ومن الذين اهتموا باصلاح الطرق في اليمن الامير الحسن بن سلامة آخر أمراء الدولة الزيادية في زبيد في نهاية القرن الثالث وبداية القرن الرابع الهجريين، فقد قام باصلاح الطرق على طول اليمن. فاصلح من حضرموت الى عدن وطوله حوالي شهر ومن عدن الى مكة وطوله كذلك حوالي شهر[15].

ويوجد في اليمن ثلاث طرق برية رئيسية وهي: طريق السهل الشرقي، والطريق الجبلي، والطريق الساحلي.

1 ـ طريق السهل الشرقي: وهي الطريق التي تسير من حضرموت عبر شبوه ومآرب، ثم نجران[16] ومنها الى مكة أو جدة وبالعكس فتسير الى شبوة ومنها الى حضرموت ثم عدن[17]، وهي الطريق

(13) ابن المجاور: صفة بلاد اليمن، ص:117.

(14) عمارة: المفيد، ص:71.

(15) الاصطخري: المسالك والممالك، ص:28.

(16) مجموعة: دائرة المعارف الاسلامية، جـ13، ص:171.

(17) د. يوسف عبدالله: أوراق في تاريخ اليمن، جـ1، ص:175.

التي كانت تسلكها قوافل التجارة قديماً. أما العصر الاسلامي فقد قل السير عليها لعدم توفر المياه الكافية لسفر القوافل التجارية أوالحجيج. إلا أن بعض القوافل كانت تضطر الى عبور هذا الطريق رغم صعوبته لقربه من مكة، فظل هذا الطريق يسلك على نطاق ضيق في فترات متعددة من العصر الاسلامي. من ذلك ما ذكر الاصطخري بقوله: (وأما أهل حضرموت ومهرة كانوا يقطعون بلادهم في العرض ويسيرون حتى يصلوا الى طرق الجادة التي بين عدن ومكة، والمسافة بينهم الى الاتصال بهذه الجادة ما بين ثلاثين الى خمسين مرحلة)[18].والى جانب تلك الطريق فقد كان من أهم الطرق لاهل حضرموت في الفترة الاسلامية هو السير من حضرموت الى عدن ومنها الى مكة[19].

2 ـ الطريق الجبلي: وهو الطريق الذي يخترق السلسلة الوسطى لجبال اليمن بالطول والتي تسير من عدن الى الجوءة، والجند، وذي أشرق، وآب، وذمار وصنعاء، وريدة، وألافت، وخيوان، وصعدة، وجرش، وبيشة، وتبالة...الخ[20].وكان السفر في هذا الطريق أكثر نشاطاً في العصر الاسلامي وخاصة فترة الحكم الاموي والعباسي. ونجد الجغرافيين الاوائل مثل قدامة بن جعفر، والمقدسي، وابن خرداذبة، يهتمون بذكر الطريق الجبلي أكثر من غيره فيذكرون محطاته العديدة التي تمر بها التجارة والحاج، بينما لايهتمون بذكر المعلومات الكافية عن طريق الساحل، مما يدل على ان الطريق الجبلي كان أكثر استخداماً لقوافل التجارة والحاج، من غيرها من الطرق خلال العصور الاسلامية الأولى،حيث كانت بلاد اليمن تابعة للعباسيين،وخاصة في العصر العباسي الأول.

ولكن هذا الطريق الجبلي بدأت تقل أهميته عندما تحول حكم اليمن الى الدويلات المستقلة مثل بني زياد وبني نجاح والصليحيين وغيرهم، فاستخدموا بدلاً منه الطريق الساحلي على طول تهامة. وذلك لاسباب عدة منها كما يبدو وجود دولة الامامة الزيدية بصعدة والتي كانت في عداء مستمر مع الدويلات الاخرى المسيطرة على وسط اليمن وجنوبه، مما يعرقل مرور القوافل التجارية بصعدة، يدل على ذلك ما حدث في عهد الامام أحمد بن سليمان من أن بعض أفراد من

---

(18) الاصطخري: المسالك والممالك، ص: 28.

(19) عمارة: المفيد، ص: 71 ـ 72.

(20) قدامة بن جعفر: كتاب الخراج، ص:188 ـ 189. المقدسي: أحسن التقاسيم، ص: 112، ابن خرداذبة: المسالك، ص: 134-135، الاصطخري: المسالك والممالك، ص: 27ـ28، عمارة: المفيد، ص: 72ـ75، مجهول: عود ملوك اليمن، ق:5.

التجار يرأسهم علي بن زيد ساروا عبر صعدة، فأمسك بهم الامام وحبسهم، فاستخلصوا أنفسهم من الحبس بأربعة آلاف دينار أرسلت إليهم من منازلهم[21]، ومنها صعوبة السير عبر الطرق الجبلية، لذلك تقلص النشاط التجاري عبر الطريق الجبلي وحل محله طريق السهل الساحلي.

3 ـ الطريق الساحلي: ويبدأ الطريق الساحلي سيره عبر تهامة، ويتفرع هذا الطريق منذ بدايته الى فرعين، فرع يتجه على الساحل مباشرة والذي يسير من عدن الى باب المندب، ثم المخاء، والسحاري، والخوهة (الخوخة)، والاهواب، وغلافقة، والشرجة، وعثر، وحمضة، وحلي، ثم السرين ثم جدة[22]، وفرع يتجه من عدن الى موزع، وحيس، وزبيد، وفشال والقحمة، والكدراء والمهجم، ومور، وجيزان، والساعد، وعثر، والهجر، ثم السرين ومنها الى مكة أو جدة[23]. ويقدر سير القوافل على هذه الطريق من عدن الى مكة في تلك الفترة بحوالي الشهر[24]، وقد ازداد نشاط هذا الطريق الساحلي أثناء حكم الدولة النجاحية والصليحية والأيوبية وذلك لزيادة النشاط التجاري فيما بين مصر واليمن.

2 ـ البضائع التجارية:

أ ـ الصادرات: تصدر اليمن أنواعاً متعددة من المصنوعات والمنتجات اليمنية التي اشتهرت بها الى كثير من الدول المختلفة.

فكانت تصدر من الاحجار الكريمة الجزع والعقيق[25]. ومن الأسلحة السيوف اليمانية الجيدة، ومن المنسوجات تصدر أنواع البرود التي اشتهرت بها لجودتها[26]، كما تصدر الوشي الجيد وسائر أنواع الثياب والعنبر، ومن أصباغ الملابس تصدر الورس[27] والفوّة[28]، ومن

---

(21) الثقفي: سيرة الامام احمد بن سليمان، ق:13.

(22) عمارة: المفيد، ص:76 ـ 78.

(23) عمارة: نفس المصدر، ص:78 ـ 80.

(24) الاصطخري: المسالك والممالك، ص: 28.

(25) الاصطخري: المسالك والممالك، ص: 26، ابن الفقيه: مختصر البلدان، ص:36.

(26) القزويني: آثار البلاد، ص:49، 96.

(27) ابن خرداذبة: المسالك والممالك، ص:71، بدر الدين حي الصيني: العلاقة بين العرب والصين، مكتبة النهضة المصرية، ط 1 ، 1370 هـ / 1950م . ص:131.

(28) ابن المجاور: صفة بلاد اليمن، ص:144 ـ 145، 175.

الحيوانات تصدر البغال والحمير[29] والخيول الجيدة التي تستخدم في السباق[30]، وتصدر اليمن الى جميع البلدان الكهرباء البحرية والمقل، واللك، والقسط الحلو[31].

ومن منتجات اليمن المصدرة الى البلدان المختلفة فكانت تصدر الى الحجاز التمر والدخن والذرة، وتصدر الى الحبشة الجزع[32]، وتصدر اللبان الى الهند والصين وخراسان وجميع الاقطار، كما تصدر اللك في عيدانه الى مصر وسائر البلدان[33].

كما تخصصت بعض المناطق اليمنية بتصدير بعض منتجاتها فكان يتم تصدير السمك المجفف من الشحر الى عُمَان والبصرة[34]، ومن مرباط والشحر اللبان[35]، ومن سقطرى وحضرموت الصبر[36]، ومن صنعاء كان يصدر الادم (الجلود) والنعال المشعرة، والانطاع، والصت، والاردية والبرود، وألوان الفصوص والأواني، والجزع وأنواع الخرز[37]، كما تصدر صعدة الجلود[38] وعدن العطور[39]، وتصدر كثير من المناطق اليمنية مثل المعافر، والسحول، وشرعب، وعدن، وحجة أنواع الثياب والبرود الى مختلف الدول[40]. كذلك تصدر زبيد أنواع الملابس والمربى منه المقصوص من قليل العسل، والمطحون وهو الجيد، والتمرهندي (الحُمَر) الذي أجوده المقلس، وأيضاً تصدر الجلود[41].

---

(29) ابن خرداذبة: المسالك والممالك، ص:71، بدر الدين الصيني: نفس المرجع والصفحة.

(30) ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة، ص:328.

(31) عبدالله يوسف غنيم: جزيرة العرب من كتاب المسالك والممالك للبكري، ص:131.

(32) ابن المجاور: صفة بلاد اليمن، ص:89.

(33) عبدالله يوسف غنيم: نفس المرجع والصفحة.

(34) المقدسي: احسن التقاسيم، ص:87.

(35) الاصطخري: المسالك والممالك، ص:27، الادريسي: نزهة المشتاق، حـ1، ص:56، القلقشندي: صبح الاعشى، جـ5، ص:15.

(36) الادريسي: نزهة المشتاق، جـ1، ص:56 ، علم الكتب، بيروت ، ط1، 1409هـ / 1989م .

(37) ابن رسته: الاعلاق النفيسة، ص:112.

(38) الادريسي: نزهة المشتاق، جـ1، ص:55، الصت: صناعة من الجلد لا ينفذ منها الماء.

(39) ابن المجاور: صفة بلاد اليمن، ص:192.

(40) انظر عنها في الصناعة.

(41) ابن المجاور: نفس المصدر، ص:89.

وهناك صادرات من اليمن الى بلدان مختلفة بعضها من انتاج اليمن وبعضها من مستورداته من بلدان متعددة، يوضح ذلك المقدسي بقوله: (اليمن معدن العصائب، والعقيق والأدم، والرقيق، فالى عمان تخرج آلات الصيادلة والعطر كله، حتى السمك المجفف، والزعفران واليقم، والساج، والسماسم، والعاج، واللؤلؤ، والديباج، والجزع، واليواقيت، والأبنوس والنارجيل، والعنبر، والاسكندروس، والصبر والحديد والرصاص والخيزران، والفصار والصندل والبلور والفلفل وغير ذلك يزيد عدن بالعنبر والشروب والدرق والحبش والخدم وجلود النمر ...)[42].

من خلال قائمة الصادرات التي أوردها المقدسي، نجد أن منها ما ينتجه اليمن مثل العقيق، والجزع والصبر، ومنها ما يأتيها من بلدان متعددة، فتصدره الى البلدان الاخرى مثل خشب الساج والعاج وغيره.

عشور البضائع المصدرة: كان يتم تحصيل العشور على البضائع التي يتم تصديرها عبر فرضة عدن، وكذلك كانت على البضائع والسلع التي ترد الى عدن، أما البضائع الواردة لغرض إعادة تصديرها الى البلدان الخارجية الاخرى فهذه كان يتم حجزها في مخازن الميناء ليتم إعادة تصديرها دون دخول المدينة، فلم توضح المصادر ما إذا كان يتم تحصيل العشور عليها أم لا، لكن الثابت أنه كان يتم تحصيل رسم الفرضة والوكالة حتى يتم تصديرها أو بيعها[43]. وقد أورد ابن المجاور قائمة بالعشور المستحقة على بعض السلع سيرد ذكرها في فصل النظام المالي.

ب ـ الواردات:

تستورد اليمن منتجات متعددة من بلدان مختلفة، بعض هذه الواردات مواد خام تصنع في اليمن بعضها للاستهلاك المحلي والاخر للتصدير، وبعض هذه الواردات يؤخذ عليها عشور والبعض الاخر يؤخذ عليها زكوات[44].

فمن المواد الخام التي تستوردها اليمن وتقوم بتصنيعها ثم تصديرها: الجلود (الأدم)

---

(42) المقدسي: احسن التقاسيم، ص:97 ـ 98، حسين علي المسري: تجارة العراق في العصر العباسي، ص:383.

(43) ابن المجاور: صفة بلاد اليمن، ص:143.

(44) ابن المجاور: نفس المصدر، ص:143.

يوضح ذلك ابن المجاور بقوله عنها: (كانوا يدبغون الأدم ويجلب إليهم من أعلى مكة ونجران الى عمان ومن حلي بني زهرة الى كرمان ومن كيش وجنابة وفارس ومن بني مكرمان ومن زيلع ورحبتو والمنذرية ومن عدن الى مكة) فتدبغ هذه الجلود باليمن لتوفر شجر القرظ بها الخاص بالدباغة وتصنع منها بعض الصناعات الجلدية، ثم تصدر الى بلدان كثيرة يوضح ذلك بقوله: (وكان ينزف جميع هذا الأدم الى العراق وخراسان وكرمان وما وراء النهر وخوارزم وهجر) كما يصدر (الى أقاصي الارض وأدانيها)[45].

وأهم البضائع التي تستوردها اليمن من البلدان المختلفة هي حسب بلدانها كالآتي:

من مصر تستورد اليمن الكثير من المنتجات الزراعية التي تستهلك في عدن وغيرها وتعفي هذه الواردات من العشور، وقد عدد ابن المجاور أصناف البضائع الواردة من ديار مصر بأنها: (الحنطة والدقيق، والسكر، والأرز، والصابون الرقي، والأشنان، والعطارة، وزيت الزيتون ، وزيت الحار، والزيتون المملح) كما تستورد منها القليل مما يتعلق بالنقل والقليل من العسل النحل)[46].

كذلك تستورد اليمن منتجات كثيرة من الهند معفية من العشور مثل (الهليلج العربي، والأكراز والمخاد، والمساور، والانطاع والارز والماس مخلوط والسمسم والصابون والتيس والماعز وحطب القرنفل وثياب العرانية ونعال والخرز والغلمان)[47].

كما تستورد من الهند الأعواد والصندلات والكافور والماكافور والجوزبوا والقرنفل والقاقلة الكبابة والنارجيل والثياب المتخذة من الحشيش والثياب العظيمة المخملة وأنياب الفيل[48].

وتستورد من سرنديب الياقوت بألوانه كلها وأشباهه، والماس والدر والبلور والسنبادج الذي يعالج به الجوهر. ومن حلى الفلفل، ومن كله الرصاص القلعي، ومن ناحية الجنوب اليقم

---

(45) ابن المجاور: نفس المصدر، ص:97 ـ 98.

(46) ابن المجاور: صفة بلاد اليمن، ص:142، الاشنان شجر ينبت في الارض الرملية يستعمل هو أو رماده في غسل الثياب والايدي، المعجم، ص:19.

(47) ابن خرداذبة: المسالك والممالك، ص:71، الادريسي: نزهة المشتاق، جـ1، ص:54.

(48) ابن خرداذبة: نفس المصدر والصفحة، الادريسي: نفس المصدر والصفحة.

والدادي ومن السند القسط والقنا والخيزران[49].

ومن الصين تستورد اليمن الحرير والكيمخاء (الكيمخت) والمسك والعود والسروج والغضار والصُلَّينيج والدار صيني والخلو لنجان[50] والحديد، القرند، والدار فلفل والهرنوة والبسباسة والاهليلجات والابنوس والذبل[51].

وتستورد اليمن من جنوب شرق أفريقية منتجات كثيرة منها الذهب والعاج والشمع[52] وقشر السلحفات وقرن الكركدن وكميات من جوز الهند والرقيق والجواري[53].

ثانياً: التجارة الداخليـــة:

1 ـ أشهر المدن التجارية

نشطت مدن اليمن في العصر الاسلامي في النواحي التجارية نشاطاً ملحوظاً كان له أهمية كبيرة في العلاقات بين اليمن وكثير من البلدان المختلفة. وكمثل لهذا النشاط التجاري يوضح لنا ابن فضل الله العمري ذلك في قوله عن اليمن: (ولها إرتفاع صالح من الاموال، وغالب أموالها من موجبات التجار الواصلين من الهند ومصر والحبشة مع مالها من دخل البلاد) كما يضيف: (واسم اليمن أكبر لاتعد في البلاد الخصب بلاده وغالب دخله من التجارة والجلابة براً وبحراً)[54].

بهذين النصين يتبين لنا اتساع النشاط التجاري في اليمن. ومن أهم علامات هذا النشاط التجاري وجود العديد من المدن التجارية في اليمن، نورد هنا أهم هذه المدن مثل زبيد، وصعدة، وصنعاء، وعدن.

أ ـ زبيـــد: تعد من المدن التجارية الهامة، فقد وصفها الادريسي الذي عاش في القرن السادس الهجري بأنها:(مدينة كبيرة وأهلها مياسير أهل ثروة،ومال والمسافرون اليها كثيرون، وبها

---

(49) ابن خرداذبة: نفس المصدر والصفحة، الادريسي: نفس المصدر والصفحة.

(50) ابن خرداذبة: نفس المصدر والصفحة.

(51) الادريسي: نفس المصدر والصفحة.

(52) حسن صالح شهاب: اضواء على تاريخ اليمن، ص:70.

(53) د. محمد كريم: عدن دراسة في احوالها، ص:345.

(54) ابن فضل الله العمري: مسالك :لابصار في ممالك الامصار ممالك مصر والشام والحجاز واليمن، ص:154، 158 ، القاهرة ، 1985م .

مجتمع التجار من أرض الحجاز، وأرض الحبشة وأرض مصر، الصاعدون في مراكب جدة وأهل الحبشة يجلبون رقيقهم اليها ويخرجون منها ضروب الافاوية الهندية والمتاع الصيني وغيره)[55]، كما ذكر القلقشندي أن زبيد (فرضة اليمن وبها مجتمع التجار من الحجاز، ومصر والحبشة، ومنها تخرج بضائع الهند والصين)[56]. من هذين الوصفين نجد أن زبيد تعتبر مركزاً تجارياً هاماً يقوم بعملية التصدير والاستيراد، وأهم البلدان التي تصدر اليها وتستورد منها هي الصين والهند والحجاز ومصر والحبشة.

وتصدير التجارة من زبيد أو الاستيراد اليها عن طريقين أحدهما: الطريق البري الموصل من زبيد الى الحجاز ومصر، وهي الطريق التي تسلكه قوافل الحجاج من مصر الى مكة ومن مكة الى اليمن، والعكس، وثانيهما: طريق البحر من ميناء غلافقة في زبيد الى مصر عن طريق ميناء عيذاب أو الطور أو السويس[57] وأيضاً الى بلاد الحبشة والصين والهند والعكس.

2 - وتعتبر صعدة أيضاً من المدن التجارية الهامة، فقد ورد عنها أنها (مدينة عامرة آهلة يقصدها التجار من كل بلد، وبها مدابغ الادم وجلود البقر التي للنعال، وهي خصبة كثيرة الخير)[58]، كما يذكر الادريسي عن صعدة قوله: (والذي يتجهز به من صعدة الادم لان بها دار صناعة الادم العديم المثال الا ما كان منه بصنعاء، وبها مجتمع التجار، وأهلها أهل أموال وافرة وبضائع وتجارة كثيرة)، ويقول الاديسي في موضع آخر و (صعدة وهي مدينة صغيرة لكنها متحضرة وبها دار الدباغة يدبغ بها ويتجهز منها الى كثير من بلاد اليمن والحجاز)[59].

3 - أما صنعاء: فهي من المدن التجارية الهامة يقول المقدسي عنها بأنها قصبة نجد اليمن بها تجارات مفيدة[60] ويصفها القلقشندي بأنها: (من اعظم مدن اليمن بها أسواق ومتاجر

---

(55) الادريسي: نزهة المشتاق في اختراق الافاق، جـ1، ص:53.

(56) صبح الاعشى، جـ5، ص:10.

(57) القلقشندي: صبح الاعشى، جـ5، ص:17.

(58) ياقوت الحموي: معجم البلدان، جـ3، ص:206، عبدالمؤمن: مراصد الاطلاع، جـ2، ص:841، اسماعيل الاكوع: البلدان اليمنية عند ياقوت الحموي، ص:175.

(59) الادريسي: نزهة المشتاق، ج!، ص:55، 146.

(60) المقدسي: احسن التقاسيم، ص: 86 .

كثيرة)[61]، لذلك تعتبر صنعاء من المدن التجارية الهامة في اليمن، وكانت أغلب تجارة صنعاء وصعدة عن طريق البر الى كل من العراق، وفارس، والشام، ومصر، فكان يوجد طريق تجاري تسلكه القوافل من صنعاء الى البصرة، عن طريق اليمامة[62] وطريق آخر من صعدة الى البصرة عن طريق الوكب[63]. وابن المجاور يذكر بأن اليمنيين كانوا يسافرون الى البصرة والكوفة بالحمير وعليها الجلود في كل عام مرتين عن طريق اليمامة أو الاحساء[64]، بالاضافة الى طريق صنعاء ـ صعدة ـ مكة ـ الشام ـ مصر. ويستخدم تجار الذهب والفضة في البلاد المختلفة هذه الطرق في القدوم الى صنعاء لشراء الذهب والفضة، ويكسبون من وراء تجارتهم مبالغ كبيرة لارتفاع ثمنها في بلادهم ورخصها في اليمن[65].

4 ـ وتعتبر عدن: أهم منطقة تجارية في اليمن في العصر الاسلامي، فهي أعظم مراسي اليمن[66]، كما أنها محطة تجارية لكثير من البلدان. وذلك يعود الى عاملين هامين أحدهما: أن عدن تتوسط طرق التجارة البحرية فيما بين أقصى المشرق وأقصى المغرب، فنشأ لذلك، فيما بين المشرق والمغرب من دول علاقات تجارية واسعة. وثانيهما: أن السفر عبر البحر كان يسير على حسب مواسم معلومة، لاتستطيع المراكب التجارية السفر بغير تلك المواسم، وكان لكل مدينة بحرية ولكل اتجاه منها مواسم محددة، منها عدن إذ يوضح ذلك ابن فضل الله العمري بقوله: (ولحط المراكب عليها وإقلاعها مواسم مشهورة)[67] لذلك فان المراكب التجارية آنذاك كانت لاتستطيع اختراق البحر كله من الصين أو الهند الى الحبشة أو مصر أو غيرهما في موسم واحد. فكان لابد من التوقف في عدن، والانتظار لموسم آخر لمواصلة السير، فهي كما وصفها القلقشندي مدينة (ذات حط وإقلاع)[68] أو محطة توقف للتجارة الشرقية والغربية، لذلك فهي تمثل الوسيط

(61) القلقشندي: صبح الاعشى، جـ5، ص:39. أبو الفداء : تقويم البلدان، ص: 95 .

(62) الهمداني: كتاب الجوهرتين، ص:127.

(63) قدامة بن جعفر: الخراج، ص:217.

(64) ابن المجاور: صفة بلاد اليمن، ص:189.

(65) الهمداني: كتاب الجوهرتين، ص:128، بيوترفسكي: اليمن قبل الاسلام، والقرون الاولى للهجرة، ص:115.

(66) ابن فضل الله العمري: مسالك الابصار، ص:155، القلقشندي: صبح الاعشى، جـ5، ص:10.

(67) ابن فضل الله العمري: نفس المصدر، ص:157.

(68) القلقشندي: صبح الاعشى، جـ5، ص:10. أبو الفداء: تقويم البلدان، ص93.

التجاري فيما بين الكثير من البلدان.

وكثر وصف الجغرافيين العرب لها فما قاله اليعقوبي عن عدن أن بها (مرفأ مراكب الصين)[69]. أما ابن خرداذبة المتوفى سنة 300هـ/ 912م فيذكر ان (بها العنبر والعود والمسك ومتاع السند والهند والصين والزنج والحبشة وفارس والبصرة، وجدة والقلزم)[70]، ويصف المقدسي المتوفى أواخر القرن الرابع الهجري 388هـ/ 997م عدن بأنها (دهليز الصين وفرضة اليمن، وخزانة المغرب، ومعدن التجارة كثير القصور مبارك على من رحله مثر لمن سكنه)[71]. كما يضف المقدسي مقدار أرباح التجار الذين يدخلون عدن للتجارة بها بقوله: (إذا أنت دخلت عدن فسمعت أن رجلاً ذهب بألف درهم فرجع بألف دينار وآخر دخل بمائة فرجع بخمسمائة وآخر بكندر فرجع بمثله كافورا طلبت نفسك التكاثر)[72]، من هذه النصوص يتضح مدى النشاط التجاري بعدن ومدى اتساع التجارة بها خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين بين المشرق والمغرب اضافة الى العراق وفارس والحجاز والحبشة. كما أنها توضح أهمية عدن كمحطة تجارية هامة لهذه البلدان.

وتعد الصين من أهم المناطق التجارية التي لها علاقة كبيرة مع عدن واليمن وقد نقل آدم متز عن أحد كتاب الصين عن تجارة العرب مع الصين عام 1178م قوله: (أن مملكة العرب لايقومها بلد آخر من البلدان الاجنبية الغنية في كثير ما يدخر لها من البضائع الأجنبية)[73]، ويؤيد الادريسي الذي عاش في القرن السادس الهجري هذا الرأي، حيث يوضح أن علاقة عدن التجارية كانت كبيرة مع الصين بالاضافة الى الهند بقوله: (ومدينة عدن مدينة صغيرة وإنما شهر ذكرها لأنها مرسى البحرين منها تسافر مراكب السند والهند والصين وإليها يجلب متاع الصين)[74]. أما ياقوت الحموي المتوفى سنة 626هـ/ 1228م، فهو يوضح لنا أكبر علاقة تجارية لعدن كانت مع الهند حيث يقول عنها: (هي مدينة مشهورة على ساحل بحر الهند من ناحية اليمن ... إلا أن هذا الموضع هو

(69) اليعقوبي: كتاب البلدان، ضمن الاعلاق النفيسة، ص:319.

(70) ابن خرداذبة: المسالك والممالك، ص:61، د. علي الناصري: النشاط التجاري، ص:84.

(71) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص:85.

(72) المقدسي: نفس المصدر، ص:97 - 98.

(73) ادم متز: الحضارة الاسلامية، ص:326.

(74) الادريسي: نزهة المشتاق، جـ1، ص:54.

مرفأ مراكب الهند والتجار يجتمعون اليه لاجل ذلك فإنها بلدة تجارة)[75]. مما يدل على انه في هذه الفترة إزدادت علاقة عدن التجارية بالهند الى جانب الصين.

وتزداد علاقة عدن واليمن التجارية خلال القرون الرابع والخامس والسادس الهجرية، مع بلدان عديدة، فيذكر صاحب كتاب المراصد المتوفى سنة 739هـ/ 1338م قوله عن عدن: (وهي مرفأ مراكب الهند والحجاز والحبشة)[76]، ويضيف ابن فضل اللـه العمري قوله عنها: (واليها مجمع الرفاق وموضع سفر الآفاق يحط بها من الصين والهند والسند والعراق وعمان والبحرين ومصر والزنج والحبشة)[77]. وهكذا تزداد علاقة عدن التجارية اتساعاً لتشمل بلدان كثيرة ممتدة من أطراف الشرق حتى أطراف الغرب، وأنها كانت وسيطاً تجارياً فيما بين هذه البلدان.

وأهم فترات النشاط التجاري لعدن هي الفترة الاسلامية، أيام وجود الدويلات المستقلة، منذ القرن الثالث الهجري، وكانت أكثر نشاطاً واتساعاً خلال حكم الصليحيين وآل زريع والأيوبيين لليمن. وسوف نورد هنا الأسباب التي أدت إلى زيادة النشاط التجاري بعدن خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين.

أحدها وجود تجار الكارم الذين يرجع نشأتهم إلى العصر الفاطمي[78]، وهم التجار الذين كانوا يعملون في التجارة فيما بين المشرق والمغرب عبر عدن ومصر، والذين جعلوا من عدن مركزاً رئيسياً لنشاطهم التجاري. وقد أدى تجار الكارم دوراً بارزاً في المساهمة في تحويل التجارة من الصين والهند الى عدن ومصر ثم المغرب بفضل نشاطهم المتزايد بهذا الطريق البحري[79].

---

(75) ياقوت الحموي: معجم البلدان، جـ2، ص:89.

(76) عبدالمؤمن: مراصد الاطلاع، جـ2، ص:923.

(77) ابن فضل العمري: مسالك الابصار، ص:157.

(78) القلقشندي: صبح الاعشى، جـ3، ص:520.

(79) جوتيان: دراسات في التاريخ والنظم الاسلامية، ترجمة د. عطية القوصي، نشر وكالة المطبوعات، طبع دار العلم، بيروت، ط1، 1980م. ص:281، د. عطية القوصي: تجارة مصر في البحر الاحمر عند فجر الاسلام حتى سقوط الخلافة العباسية، دار النهضة العربية، القاهرة، 1976م، ص:103. عن تجارة المكارم، انظر صبحي لبيب: التجارة الكارمية وتجارة مصر في العصور الوسطى، مجلد2.

د. أحمد حطيط: الكارم وتجارة الكارم في عصر المماليك، مجلة الفكر العربي، عدد 54، ص:170 - 183.

Ashtor: The Karimi Marchants, J.R.A.S . April, 1956.

Goitem: New light on the beginning of the Karimi Marchants, J.E.S.H.O , 1,1958.

والثاني هو اهتمام الدولة الفاطمية بالتجارة البحرية عبر عدن، وذلك نتيجة العلاقة العدائية فيما بين الفاطميين والعباسيين، وتقلص التجارة البرية الواصلة الى مصر عبر بغداد. فاستعاض الفاطميون تنشيط تجارة البحر عبر عيذاب بدلاً من التجارة البرية. لذلك أنشأ الفاطميون أسطولاً بحرياً، (يلتقي به الكارم فيما بين عيذاب وسواكن وما حولها، خوفاً على مراكب الكارم من قوم كانوا بجزائر بحر القلزم هناك يعترضون المراكب فيحميهم الاسطول منهم، وكانت عدة هذا الاسطول خمسة مراكب ثم صارت الى ثلاثة، وكان والي قوص هو المتولي لأمر هذا الاسطول، وربما تولاه أمير من الباب، ويحمل اليه من خزائن السلاح ما يكفيه)[80].

وهكذا فقد كان تأمين حركة الملاحة في البحر الأحمر من أهم الأسباب التي أدت إلى تحول النشاط التجاري الى عدن.

وثالثاً يوضح ابن المجاور أن عدن كانت قليلة السكان ثم إزداد الاهتمام ببنائها عهد الزريعيين خلال القرن الخامس الهجري، وذلك لسببين: أحدهما هجوم صاحب جزيرة كيش (قيس) على عدن سنة 530هـ/ 1135م، ومحاولته القضاء عليها وتحويل التجارة عنها الى كيش، فلما فشل في محاولته هذه وانتصار آل زريع عليه، بدأوا بعدها بالنزول من جبال عدن وسكنوا سهلها أو واديها وبنوا به دوراً جميلة بالحجارة والجص، ومنذ ذلك الحين توسعت عملية العمارة بها. وثانيهما أن الإهتمام ببناء عدن كان بعد خراب فرضه أبين لقدمه، فتحول عنها الكثير من التجار واستقروا بعدن واستمروا في بنائها[81].

كذلك أهتم الايوبيون بتأمين التجارة وحمايتها، فقد أرسل سيف الاسلام طغتكين سفن الشواني الى البحر الهندي والأحمر لحماية التجارة والتجار من لصوص البحر، وقد وصلت الشواني التي اعدت لحماية التجارة والتجار الى قلهات بالهند سنة 602هـ/ 1205م عهد الاتابك سنقر وذلك لانقطاع مراكب الهند التجارية لمدة سنة واحدة بسبب تعرضها لقراصنة البحر[82]، واستمرت الشواني تحمي التجارة طيلة العهد الأيوبي في اليمن[83].

---

(80) القلقشندي: صبح الاعشى، جـ3، ص:524، محمد كريم: عدن دراسة عن أحوالها، ص:349، احمد الحطيط: الكارمية وتجارة الكارم في عصر المماليك، ص·170.

(81) ابن المجاور: صفة بلاد اليمن، ص:126، 130.

(82) ابن حاتم: السمط، ص:131.

(83) ابن المجاور: نفس المصدر، ص:142.

بذلك بلغت عدن مبلغاً تجارياً كبيراً آنذاك، حيث كانت تجذب إليها الكثير من التجار، فازدادت كمية البضائع الواردة إليها والصادرة منها، فقد كان (لايخلو أسبوع بها من عدة تجار وسفن واردين وبضائع شتى ومتاجر متنوعة والمقيم بها في مكاسب وافرة، وتجارة مربحة، لا يبال بما يغرمه بالنسبة إلى الفائدة، ولا يفكر في سوء المقام لكثرة الاموال النامية)[84]. أما ابن المجاور فيوضح ذلك بقوله: (وكان يرسي في كل عام تحت جبل صيرة سبعين ثمانين مركب). وقد يزيد عن ذلك أو ينقص[85].

وقد عادت هذه التجارة بفوائد عظيمة على حكام اليمن مما جعلهم يعيشون في سعة من العيش، حيث كان مقدار العشور الذي يرفع كل سنة الى خزانة تعز من عدن في العهد الأيوبي حوالي أربع خزائن هي: 1 ـ خزانة قدوم المراكب من الهند. 2 ـ خزانة دخول الفوّة إلى عدن. 3 ـ خزانة خروج الخيل من عدن الى الهند. 4 ـ خزانة سفر المراكب الى الهند. ويقدر دخل كل خزينة بمائة وخمسين ألف دينار في السنة، فيكون دخل الخزائن مجتمعة ستمائة ألف دينار[86].

من خلال عدد هذه الخزائن يتضح لنا أن الصادرات كانت أكثر من الواردات، فالصادرات ثلاث خزائن بينما الواردات خزانة واحدة، وقد تكون خزانة سفر المراكب الى الهند من بضائع بلدان مختلفة، ولكن مما لاشك فيه أن لليمن خزانتين هي: خزانة دخول الفوّة عدن وهي زراعة يمنية تستخدم في صبغ الملابس، وخزانة خروج الخيل من عدن الى الهند وهي من خيول اليمن، حيث أن الخيول اليمنية كان يتم تصديرها الى الهند، ويبلغ قيمة الحصان الواحد من الخيل ما بين ألف إلى أربعة آلآف دينار وهي الخيل التي تجلب للسباق[87].

إلا أن هذه الحالة لم تكن ثابتة في اليمن، ففي آخر ففترة حكم الأيوبيين حاولوا مصادرة الفوّة ومنع تصديرها وذلك نتيجة اتجاه أغلب الناس في اليمن الى زراعتها وإهمال بقية المزروعات، مما قلص صادرات الفوّة من اليمن،كذلك قلت تجارة الخيول الى الهند حينما فرض الأيوبيون ضريبة عالية على الخيول الصادرة من اليمن فبلغت ضريبة الخيل الواحد الصادر

---

(84) ابن فضل الله العمري: مسالك الابصار، ص:157، القلقشندي: صبح الاعشى، جـ5، ص:10.

(85) ابن المجاور: صفة بلاد اليمن، ص:144.

(86) ابن المجاور: صفة بلاد اليمن، ص:144 ـ 145.

(87) ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة، ص:328.

منها حوالي سبعين ديناراً[88].

وفي نطاق البضائع الواردة تطبق في عدن عدة إجراءات إدارية فعندما يقدم اليهـا مركـب محمل بالبضائع يرسو أولاً بعيداً عن الفرضة، فيذهب إليه بعض الأفراد بالصنـابيق وهـم مايسـمون بالمبشرين فيسألون ربان المركب عن البلد القادم منها وأحوال التجار الذين لهم أهل وعلاقة بعدن، كما يسأل ربان السفينة المبشرين عن الوَالي في المدينـة وعـن أسـعار البضـائع. وفي المركـب يقـوم الكَرّانِي(الكاتب)بتسجيل جميع ما في المركب من بضائع ومتاع وقماش،ويكتب أسماء التجار وربان المركب. وبعـد كتابـة كـل مـا في المركـب ترسـل الصفحـة المكتوبـة الى الـوالي، ويعـود المبشـرون فيتجولون في البلد يبشرون أو يخبرون أهل من وصـل من أهل عدن بجمـع الشـمل، وعـن البضـائع والجهة الواصلة إليها. بعدها يأتي المركب الى المراسي فيصعد نائب الوالي ويفتـش الركـاب تفتيشـاً دقيقاً لكل رجل(ويصل التفتيش الى العمامـة والشـعر والكمـين وحـزة السـراويل وتحـت الآبـاط) بعدها يسمح بنزول الأقمشة والبضائع الى الفرضة(فتحل شدة شدة وتعـد ثوبـاً ثوبـاً).كمـا تـوزن البضائع الداخلة إليها بالقبان[89].وكما يبدو أن هـذا التفتيـش الدقيـق لأخـذ ضـراب علـى الحلـي والمجوهرات .

ومن ضمن المعاملات التجارية في ميناء عدن أنه من أراد السفر منها لابد أن يأخذ تصريحاً من الوالي بالسماح له بالسفر وذلك بأن يقدم للوالي قبل السماح له بالسفر ضميناً يضمن عليه بما قد يظهر عليه من مال للدولة مثل عشور أو غيره أو ما يظهر للنـاس مـن مـال كديـن أو قـرض أو قيمة بضائع أو أشـياء أخـرى أوغيرهـا. واذا لم يكـن لـه أحـد في عـدن يضمنـه، ينـادي منـادي في الاسواق أن فلاناً مسافر فمن له عليه شيء يطالبه، فإذا ظهـر أحـد أخـذ مالـه، وإذا لم يظهـر أحـد سمح له في السفر[90].

كذلك إذا أراد صاحب مركب السفر من عدن إلى أي بلد من البلدان رفـع علمـاً خاصـاً بذلك على ظهر المركب، يظل مرفوعاً عدة أيام حتى يتم السفر. وعندما يعلم التجـار برفـع العَلَـمْ وسفر المركب يتجهز من يريـد السـفر منهـم، فيسـرعون بنقـل تجارتهم وأمتعتهـم إلى المركـب إلى

---

(88) ابن المجاور: صفة بلاد اليمن، ص:140.

(89) ابن المجاور: صفة بلاد اليمن، ص:138 ـ 139، د. عصام الدين: اليمن في ظل الاسلام، ص:256،

(90) ابن المجاور: صفة بلاد اليمن، ص:146.

أن يتم السفر[91].

2 ـ الأسواق: نشطت التجارة الداخلية في اليمن في العصر الاسلامي نشاطاً كبيراً في العديد من المدن والقرى فكانت الحركة التجارية بين المدن ذاتية النشاط حيث كان تجار زبيد وذمار وصنعاء يذهبون الى عدن بمنتجاتهم ويجلبون منها أنوعاً من البضائع مثل القطن (العطب) والعطر والفولاذ (الهندوان)[92].

كذلك كانت الحركة التجارية بين القرى والمدن اليمنية نشيطة فكانت القرى تصدر للمدن الأصناف العديدة من منتجاتها سواء الزراعية أو الصناعية أو المواد الخام. فكانت (ألهان) و(سعوان) تصدر أنواع الجزع والعقيق الى صنعاء [93]، كما كانت تصدر من جبلان الى صنعاء أنواع الأبقار الجبلانية [94]، كذلك كانت الأخشاب التي تستخدم في العمارة تجلب الى أنحاء اليمن من أودية كثير منها سردد، مور، رماع، نخلة، زبيد، ريمان، ذوال وغيرها، كما كان ينتج أهل الجليلة في تهامة القلا وهو الحطم ويصدر منها الى أنحاء اليمن.[95]

وتصدر الشحر السمك المجفف الى عدن وأطراف اليمن[96] وتصدر خيوان الزبيب الطيب المذاق الى أنحاء اليمن[97]. وتصدر كثير من مناطق ساحل تهامة مثل الشرجة، والحردة، وعطنة مخازنها من الذرة الى عدن. وتعد السروات معدن الحبوب والتمور والعسل الكثير تصدرها الى أنحاء اليمن [98]، كما تصدر منطقة (سفاكا) في تهامة التمر الهندى (الحمر) الى الأماكن المختلفة في اليمن، وفي زبيد تباع الخضر والبقول مع الغلال [99] منها ما تنتجه زبيد نفسها ومنها مايجلب اليها من القرى المجاورة.

---

(91) القلقشندي: صبح الاعشى، جـ5، ص:11، جميل حرب: الحجاز واليمن، ص:158.

(92) ابن المجاور: صفة بلاد اليمن، ص:192.

(93) الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص:321 ـ 322.

(94) ياقوت الحموي: معجم البلدان، جـ2، ص:102.

(95) ابن المجاور: صفة بلاد اليمن، ص:63، 92.

(96) المقدسي: احسن التقاسيم، ص:87.

(97) الادريسي: نزهة المشتاق، جـ1، ص:147.

(98) المقدسي: نفس المصدر، ص:86.

(99) ابن المجاور: صفة بلاد اليمن، ص:82، 89.

والأسواق هي مركز الحركة التجارية وهي أسبوعية في الكثير من مدن اليمن وقراها.ففي مدينة عدن كان يقام سوق تجاري على شاطيء البحر يجتمع اليه الكثير من تجار عدن وغيرها[100]. ومن أهم أنواع التجارة فيه العطور أو الطيب بأنواعه والأدم ولؤلؤ، والبرود التي كانت تجلب من المعافر.[101]

وفي قرية (أسامي) في تهامة كان يعقد سوق تجاري أسبوعي يحضره الكثير من القرى المجاورة. وفي منطقة الأهواب على ساحل زبيد كان يوجد بها أسواق ودكاكين وجامع[102] وتوجد أيضاً أسواق تجارية في كل من السَّرَين، وحَلْي بن يعقوب، وضَنْكَان، وعَثّر.[103]

وهناك أسواق تجارية داخلية كثيرة يحضرها في يوم ميعادها الجمع الكثير من الناس. ففي مغارب اليمن الأعلى مثل منطقة (قدم) و (الكلابح) و (شظب) و (الشرف) وغيرها من مناطق حجة والمناطق المجاورة لها حيث كان يقام بها سوق كبير وصفه الهمداني بقوله: (سوقهم الأعظم الجريب يتسوقه يوم وعده ما يزيد على عشرة الآف إنسان) [104] وهذا ما يدل على كبر حجم النشاط التجاري الداخلي في هذا السوق.

كما يوجد أسواق أخرى في كثير من مناطق اليمن، منها سوق صنعاء الذي يجلب اليه القطن والزعفران والأصباغ وغيرها ويشترون منه البز والحرير والجلود والبرود. وسوق الشحر الذي اشتهر ببيع اللبان والعنبر،كما يوجد به البز والأدم والصبر والدخن،ويأتيه التجار من البر والبحر.[105]

وكانت أغلب أسواق اليمن تقام أسبوعية، وخاصة في المدن الصغيرة والقرى وتسمى الأسواق باسم اليوم الذى تعقد به السوق، مثل سوق الخميس، سوق الجمعة، سوق الأحد، وهكذا فمثلاً كان في (أتافث) يقام بها السوق يوم الجمعة. [106]

---

(100) القلقشندي: صبح الاعشى، جـ5، ص:11.

(101) سعيد الافغاني: أسواق العرب، ص:268 - 269.

(102) ابن المجاور: صفة بلاد اليمن، ص:88، 247.

(103) حمد الجاسر: كتب المنازل من روافد الدراسات عن جغرافية جزيرة العرب،مصادر جزيرة العرب،جـ1، ص:321.

(104) الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص:127، اسماعيل الاكوع: البلدان اليمنية عند ياقوت، ص:77.

(105) سعيد الافغاني: أسواق العرب، ص:273، 274، 276.

(106) قدامة ابن جعفر: الخراج، ص:189.

والأسواق التي تقام في القرى عادة ما تقام في منطقة متوسطة بين مجموعة من القرى بحيث يستطيع أهل القرى الوصول اليه والعودة منه في نفس اليوم. وأحياناً قد يسافر بعض التجار الى أسواق أخرى بعيدة تستغرق في الذهاب اليه والعودة منه عدة أيام. لأن الأسواق القروية عادة لا تحوى كل أنواع البضائع، فهي عادة ما تتوفر بها متطلبات القرى الخاصة والضرورية التي يحتاجها أغلب الأفراد مثل الملابس والحبوب أو المنتجات التي تشتهر بانتاجها المنطقة نفسها.

وكان لكل سوق أسبوعي مشرف عليه يسمى صاحب السوق هو الذى يقوم بجباية الأموال من السوق وعادة ما كانت الضرائب (الجبابات) يأخذها مشرفو الأسواق عن طريق الضمان[107]. كما أن المشرف يقوم بحل المشاكل الناشئة بين تجار السوق أو بينهم وبين الأفراد المتسوقين.

والى جانب الأسواق الأسبوعية هناك أسواق موسمية وهي أسواق تقام بمناسبة معينة مثل سوق يقام في زبيد في موسم حصاد النخيل، وهذا النخيل عبارة عن عشر قطع في زبيد كل قطعة طولها وعرضها ربع فرسخ، وفي كل قطعة ثلاثة أصناف من الرطب حماري وحضاري وصفاري، وعندما يحين نضج الرطب فيها يتقبل الأفراد النخيل كل على قدر طاقته، ويحضر اليه الناس من أنحاء اليمن من أطراف أبين الى أطراف حرض، كما ينزل اليه الكثير من أهل الجبال، ويقيم الناس فيه بأعمال ترفيهية كثيرة مثل اللعب والضحك والشراب.[108]

وتأخذ الأسواق في اليمن شكل أسواق تخصصية مثل عادة الأسواق في سائر المدن الاسلامية حيث يطلق عليها اسم صنف البضاعة التي يحتويها هذا السوق، مثل سوق الحبوب، سوق السليط، سوق الحدادين أو غيره. وكانت الأسواق المتخصصة تقام في كل من المدن والقرى فمثلاً وجد في عدن سوق العطارين، وسوق الخضر[109] وفي صنعاء وجد سوق العطارين وسوق التبانين، وسوق اللسانين، وسوق العراقيين[110]، ومن الأسواق المتخصصة في القرى كان يقام سوق

---

(107) بامخرمة: ثغر عدن، ص:134.

(108) ابن المجاور: صفة بلاد اليمن، ص:79.

(109) ابن المجاور: صفة بلاد اليمن، ص:130، 148.

(110) الرازي: تاريخ مدينة صنعاء، ص:332، 106، 107، 112، د. محمد أمين صالح:تاريخ اليمن الاسلامي، ص:208.

البز في بلدة (أسامي) بعد صلاة ظهر يوم السوق، وذلك بسبب أن أهل القرية يقدمون الى السوق بمصنوعاتهم ومنتجاتهم في أول النهار ليبيعونها، وتستمر عملية بيعهم لبضائعهم الى وقت الظهر، وبعد صلاة الظهر يتجهون الى سوق البز لشراء ما يحتاجونه من البز والقماش [111] ويتضح من ذلك أن أغلب الناس في (أسامي) آنذاك كانوا لا يملكون نقوداً عند انعقاد السوق، لذلك يتجهون الى بيع أحد مصنوعاتهم لشراء منتجات أخرى بثمنها.

ب ـ الحسبة: كانت مدن اليمن وبعض الجهات بها يتولى عليها حاكم يعين من القضاء ومهام هذا الحاكم متعددة من أهمها الحسبة وأهم أعمال الحسبة هي كل ما يتعلق بالمعاملات من غش المبيعات وتدليس الأثمان، ومن مهامه (المنع من التطفيف والبخس في المكاييل والموازين والصنجات) وغيرها. [112]

وبالاضافة الى قيام الولاة والعمال والحكام والقضاة بأعمال الحسبة فقد كانت هناك بعض أعمال الحسبة تتم عن طريق التراضي بين البائع والمشترى دون اللجوء الى الحاكم، وذلك بحكم العرف المتبع والالتزام بأنظمة الحسبة، من ذلك أن رجلاً اشترى ملابس فلما وجد بها عيباً ردها على البائع وفي ذلك قال ابن المجاور: (إذا اشترى زيد ثوباً واستغلاه فرق (لطف) طرفه ورده على صاحبه لاستظهار عيبه) [113] وعند الائمة الزيدية كان الامام هو الذي يقوم بعملية الحسبة. [114]

ثالثاً: وسائل المعاملات التجارية:

1 ـ العملة:

كان للعملة فضل كبير في تسهيل المعاملات التجارية وازدهارها بين البلد الواحد او البلدان المختلفة، وقد لجأت كل الشعوب الى ضرب العملة، من أنواع المعادن مثل الذهب والفضة والنحاس والبرونز، إلا أن أكثر المعادن شهرة في ضرب العملة هي الذهب والفضة، ومن حيث قيمة العملة فقد جعلوها مساوية لقيمة المعدن الذي ضرب منها، أي أن العملة تحمل قيمتها في نفسها، فالدينار الذي ضرب من الذهب قيمته تساوي قيمة وزن الذهب الذي ضرب به،

---

(111) ابن المجاور: صفة بلاد اليمن، ص:88.

(112) الماوردي: الاحكام السلطانية، ص:218، 219.

(113) ابن المجاور: صفة بلاد اليمن، ص:146.

(114) مجهول: سيرة عبدالله بن حمزة، جـ30، ق62.

ولذلك كان من السهل التعامل بنقود بلد ما في البلدان الاخرى، فمثلاً الدينار الذهب المصري كان التجار يتعاملون به في اليمن[115] والهند وغيرها من البلدان، لأن القيمة الحقيقية للدينار كانت في الذهب نفسه الذي ضربت منه العملة المصرية وهكذا جميع العملات.

ومن الملاحظ أن العملة المضروبة من الذهب أو الفضة أو غيرهما، لم تكن متساوية الحجم والوزن في البلد الواحد أو في البلدان المختلفة، فالبعض يضرب الدينار بوزن وحجم كبيرين، والبعض الاخر يجعله صغيراً، فقد يصل وزن الدينار الى أربعة غرامات أو ثلاثة وقد يكون غرامين، فمثلاً كان الدينار المصري أكبر من الدينار اليمني الملكي المنسوب الى الملك المكرم، إذ أن الدينار المصري يساوي أربعة دنانير ونصف ملكي[116]. كذلك ضرب الملك المعز إسماعيل بن طغتكين درهماً كبيراً وزنه ثلاثة عشر قيراطاً، بينما كان الدرهم المضروب قبله في عهد الدولة العباسية وعهد سيف الاسلام طغتكين يساوي اربعة قراريط وحبه[117]. مما جعل الدينار أو الدرهم يختلف من مكان الى آخر وذلك بحسب وزنه ومعدنه، ومع ذلك الاختلاف فقد التزمت بعض المناطق اليمنية بتوحيد وزن العملة، فضربت دنانيرها مساوية للدنانير المصرية[118].

ومن الملاحظ أيضاً أن العملة كانت تضرب في مناطق كثيرة ويرجع ذلك الى توفر المعادن بها مثل الذهب والفضة، أو لأنها كانت عواصم لبعض الدويلات .. ففي اليمن ضربت العملة في كل من عدن والجند، وزبيد، وذمار، وذي جبلة، وصنعاء، وصعدة، وبيشة، وعثر، ومسور، وغيرها[118]. وكان حكام تلك المناطق يراقبون نقاوة المعدن الذي تضرب به العملة وذلك خوفاً من تزييف العملة من حيث خلط معدنين أحدهما أقل قيمة من الاخر فاحياناً كانوا يخلطون الذهب بالنحاس لان النحاس قيمته ارخص من قيمة الذهب، فيقلل ذلك من قيمة العملة المضروبة، فمثلاً عندما ضرب الامام عبدالله بن حمزة عملته، أشاعوا انها مزيفة فرفض الناس

---

(115) ابن المجاور: صفة بلاد اليمن، ص:12.

(116) ابن المجاور: صفة، ص:145، تقسم العملة المصرية الى دينار، ودرهم وفلس أما الدينار اليمني فيقسم الى درهم، وجوز، وفلوس، ودوس، فالدينار يساوي 4 دراهم، والدرهم يساوي 3 جوز، والجائز يساوي 8 فلوس، والفلس يساوي 4 دوس، ابن المجاور: صفة، ص:145.

(117) ابن المجاور: صفة، ص:12.

(118) د. محمد ابوالفرج القس: المسكوكات في الحضارة العربية الاسلامية، مجلة الاكليل اليمنية، ص:41 - 42.

التعامل بها، ثم عادوا للتعامل بها عندما أثبت لهم أنها غير مزيفة[119]. كذلك تأثرت قيمة العملة بوفرة وندرة المعدن الذي يضرب منه الدينار أو الدرهم فالبلد الذي يتوفر فيه الذهب أو الفضة يقل قيمته عن البلد الذي لايوجد بها هذين المعدنين. يشير الى ذلك ابن رسته بقوله: (فضرب الدرهم ربما ارتفع من الستين الى المائة بدينار[120])، ولكن استعاضوا عن ذلك بوفرة وندرة السلع وجودتها،فالبلد الذي توجد لديه سلعة ما، ولاتوجد في البلد الاخر قيمتها تكون عالية وخاصة إذا كان الطلب عليها كبيراً،فمثلاً كان العقيق باليمن له قيمة كبيرة لانه لايوجد بكثرة في غيرها[121].

ضربت في اليمن عدة أنواع من العملات من معادن النحاس والفضة والذهب منها العملات الصغيرة ومنها العملات الكبيرة، فضرب الفلس والدرهم والدينار، وكان يضرب الدرهم على عدة أجزاء منها الدرهم الكامل ويسمى الدرهم الكبير[122] ونصف الدرهم، وربع الدرهم ويسمى الدرهم الصغير، كذلك ضرب الدينار على عدة أجزاء منها الدينار الكامل ذهباً، ويسمى الدينار الكبير أو المثقال، وضرب منه نصف الدينار، وثلث الدينار، وربع الدينار ويسمى الدينار الصغير[123] ويزن الدينار مثقالاً من الذهب[124] أي 4.265 من الجرامات أو 72 حبة من الشعير[125]. وقد يساوي المثقال 4.45 غرام أو 24/ قيراطاً[126].

---

(119) مجهول: سيرة عبدالله بن حمزة، 62/3، صورة للمخطوط لدى الباحث دعبد الغني عبد المعطي: عوامل الصراع السياسي المذهبي، مجلة الاكليل اليمنية، ص:83، ذكر صاحب سيرة الامام عبد الله بن حمزة 61/3 ان الدينار السبائي (السبئي) الذي ضرب في دولى على بن محمد الصليحي ودرهم الغز (الأيوبي) كانا جميعاً مشوبان بالنحاس، لذلك رأى الامام عبدالله بن حمزة ضرب الدينار نقي، فضربه سنة 601هـ، وذكر في صفحة أخرى 61/3 ــ 62، ان دنانير اعدائه كانت مخلوطة في الصفر والغش، فكانوا مجبرين على قبولها ولكنها تسبب لهم خسارة.

(120) الاعلاق النفيسة، ص:112 - 113.

(121) الحمادي: كشف اسرار الباطنية، ص:

(122) ابن المجاور: صفة بلاد اليمن، ص:89.

(123) مجهول: سيرة الامام عبدالله بن حمزة، ق62.

(124) مجهول: نفس المصدر والصفحة.

(125) د. سيدة الكاشف: دراسات في النقود الاسلامية، المجلة التاريخية المصرية، ع12/ 1965،ص:66 - 67.

(126) حسن صالح شهاب: عدن فرضة اليمن، ص:129.

وقد أبان ابن رسته عن سعر صرف هذه العمـلات بقولـه: (ومعاملـة أهـل البلـد بالدنانير المطوقـة والدرهم السـديسية، والفلوس فضرب الدرهم ربما ارتفع من الستين الى المائة بدينار والفلوس أربعة وعشرين بدرهم ووزن كل درهم سدس درهم[127]).

وتنسب العملة الى الشخص الذي ضربها فيقال: (دينار سعيدية) نسبة الى سعيد الاحـول ابن نجاح[128] أو (دنانير ملكية) نسبة إلى الملك المكرم بن علي الصليحي[129] أو (دنانـير سـبئية)[130] نسبة الى سبأ بن أحمد بن المظفر الصليحـي. أو (دينـار حاتميـة)[131]. نسـبة الى حـاتم اليـامي حـاكم صنعاء أو (دينار علوي) نسبة الى الهادي الى الحق يحيى بن الحسين حاكم صعدة[132]. أو تنسـب الى البلد التي ضربت بها فيقال دينار عثري نسبة الى بلدة عثر في المخلاف السليماني[133]. وقد ينسب الى لونه مثل الدينار الاحمر[134]، وباسم معدنه مثل الدينار الذهب.

ضربت أنواع عديدة من النقود في عصر الولاة باليمن وخاصة في العصـر العباسـي، منهـا فلس، ضرب بصنعاء سنة 157هـ/ 772م في عهد الخليفة أبي جعفر المنصور العباسي كتب عليه اسم ولي العهد والعبارة الاتية في الظهر: محمد رسول اللـه، المهدي محمد بن أمير المؤمنين، في الوجـه: لا اله الا اللـه وحده لا شريك له. في دوره من الظهر: محمد رسول اللـه ـ أرسله ـ بالهدى ودين الحق ليظهـره علـى الديـن كلـه. وفي دوره في الوجـه: ضـرب هـذا الفلـس بـاليمن سـنة سبع وخمسـين ومائة[135].

---

(127) ابن رسته: الاعلاق النفيسة، ص:112 ـ 113.

(128) د. حسن سليمان: الصليحيون في اليمن وعلاقتهم بالخلافة الفاطمية، ص:250.

(129) عمارة: المفيد، ص:135.

(130) الربعي: سيرة ذي الشرفين، ق61. الدينار السبئي قد يكون منسوباً إلى بلدة سبأ أو سبأ بن زريع.

(131) الخزرجي: العسجد، ص:161.

(132) الهمداني: كتاب الجوهرتين، ص:123.

(133) ابن حوقل: صورة الارض، ص:23، عمارة: المفيد، ص:66، د. حسن سليمان: نفس المرجع والصفحة.

(134) ابن المجاور: صفة بلاد اليمن، ص:80.

(135) د. محمد ابوالفرج العش:المسكوكات في الحضارة العربية الاسلامية، الاثار الاسـلامية في الوطـن العربـي، ص: 109 ـ 211، مجلة الاكليل، ص:41، الفلس موجـود في متحـف الاوسمـة بـباريس، والنصـف درهـم موجود في متحف قطر الوطني، د. العـش: نفس المصدر، ص:109، 210، الاية القرانية المضروبة في =

ومنها درهم ضرب بصنعاء سنة 169هـ/ 785م منها نصف الدرهم كتب عليهـا في الظهـر: العباس (محمد رسول الله) بن محمد. أي أن محمد رسول الله كتب بين عبارة العباس وبن محمـد. وفي الوجه: لا اله الا الله وحده لاشريك له. (قطره 19 مم. وزنه 1.33 غ) .

ودرهم آخر ضرب بصنعاء سنة 173هـ/ 789م كتب عليها اسم الخليفة هـارون الرشـيد العباسي، ووالي اليمن الغظريف بن عطاء الكندي الذي حكمها سنة (170 ـ 173هـ) (786 ـ 789م)، كما ضربت عدة دنانير عباسية، منها دينار ضرب سنة 189هـ/ 804م كتب عليه في الوجـه: لا اله الا الله وحده لاشريك له.

في الظهر: محمد رسول الله للخليقة. يقصد الخليقة الناس جميعاً.

في الدور وجه: محمد رسول الله ـ أرسله ـ بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله.

في الدور ظَهر: بسم الله ضرب هذا الدينار سنة تسع وثمانين ومائة[136].

(الوزن 4.9 غ ، والقطر 18.4 مم)[136].

كما ضربت الدنانير في اليمن في بعض السنين في عدة مناطق يمنية في كل من (بيشه) منهـا سنة 339هـ، 340هـ، وفي (ذمار) منها سنة 337هـ، 339هـ، وفي (عدن) منها سنة 337هـ، 338، 340، 347، 349هـ، وفي (عثر) منها سنة 342، 344، 346، 348هـ، وفي (زبيد) منهـا سـنة 341، 342، 350، 357، 359، 362هـ[137].

كما وصلتنا دنانير ضربت في مدن مختلفة في القرنين الخامس والسادس الهجريين نسـبت الى نجاح والصليحيين والأيوبيين وكذا الأئمة الزيدية. من تلك الدنانير ديناران أحدهما ضـرب بصنعاء سنة 435هـ والاخر ضرب بالجند سنة 438هـ، يحملان اسم الخليفة القائم بأمر الله العباسي

= الديار من جهة الظهر فهي من سورتين من القرآن فآية (محمد رسول الله) من سورة الفتح الاية رقم (29) والاية الثانية هي (هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون) سورة التوبة اية رقم (37) وكلمة ارسله غير واردة في الاية.

(136) أحمد محرم: عملة عباسية في اليمن، الاثار الاسلامية في الوطن العربي، انظر احمد محرم: نفس المرجع ، ص:226، 228، د. محمد العش: نفس المرجع، ص:210 ـ 211.

(137) د محمد ابوالفرج العش. المسكوكات في الحضارة العربية الاسلامية، الاثار الاسلامية، ص:210 ـ 211، مجلة الاكليل، ص:42.

واسم المظفر بن علي[138]. ومنها ثلاثة دنانير ضربت للنجاحيين، ديناران ضربا بالجند أحدهما سنة 437هـ والاخر سنة 439هـ، ودينار ثالث ضرب في زبيد سنة 444هـ تحمل هذه الدنانير الثلاثة اسم الخليفة العباسي القائم بأمر اللـه وعلي بن المظفر ـ وهو ابن المظفر المذكـور سابقاً ـ والمؤيد نجاح نصير الدين[139].

من خلال ذلك نجد أن الثلاثة الدنانير الاخيرة تشير بوضوح الى نجاح مؤسس الدولة النجاحية والى جانبه ذكر اسم علي بن المظفر بن علي بن إبراهيم بن محمد بن زياد تولى السلطة في زبيد والجند بعد أبيه المظفر[140]، مما يدل على اشتراك نجاح مع آخر أمراء بني زياد وربما أنه كان هذا الاخير طفلاً وكانت السلطة بيد نجاح وأن النجاحيين يعتبرون امتداداً لبني زياد، والي جانبهما ذكر الخليفة العباسي رمزاً للتبعية للعباسيين.

أول دينار وجد مضروباً للصليحيين سنة 433هـ يحمل اسم الداعي علي بن محمد الصليحي، لم يذكر فيه اسم الخليفة الفاطمي، غير أنه ذكرت فيه العبارة المشهورة عند الشيعة وهي: (علي ولي اللـه) وهي ما تعبر عن ولاء الصليحي للفاطميين، وضرب دينار اخر للصليحيين في زبيد سنة 442هـ يحمل اسم الداعي علي بن محمد الصليحي ممهوراً بعبارة (علي ولي اللـه) بالاضافة الى عبارة (سيف المعد) ويقصد بالمعد لقب المستنصر باللـه الفاطمي[141]. وقد كتب عليه:
على أحد وجهيه: لا اله الا اللـه محمد رسول اللـه علي ولي اللـه.
على الوجه الاخر: أمر به الأمير سيف المعد علي بن محمد[142].

كذلك ضرب دينار آخر في زبيد للصليحيين سنة 445هـ كتب عليه الشعار الاتي:
الوسط الوجه: المستنصر باللـه أمير المؤمنين.

---

(138) المظفر بن علي هو المظفر بن علي بن ابراهيم بن محمد بن زياد تولى حكم زبيد بعد أبيه ابراهيم الذي تولى حكم زبيد بعد أخيه، ابي الجيش بن ابراهيم سنة 393هـ، الجندي: السلوك، جـ2، ص:480.

(139) د. محمد ابوالفرج العش: نفس المرجع، الاثار الاسلامية، ص:211، مجلة الاكليل، ص:42 ـ 43.

(140) الجندي: السلوك، حـ2، ص:481.

(141) د. محمد ابوالفرج العش: المسكوكات في الحضارة العربية الاسلامية، الاثار الاسلامية، ص:211، مجلة الاكليل، ص:43.

(142) Bikhazi Ramzi· Coins of Al-Yaman, P 77 , 78

المدار الاول للوجه: محمد رسول الله ـ أرسله الله ـ بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله.

المدار الاول للظهر: ضرب هذا الدينار بزبيد سنة خمس وأربعين وأربعمائة.

المدار الثاني للوجه: أمر به الأمير المظفر في الدين نظام المؤمنين.

المدار الثاني للظهر: لا اله الا الله محمد رسول الله علي ولي الله[143].

كما وجدت دنانير للصليحيين ضربت في زبيد سنوات 445هـ، 447هـ، 451هـ[144].

وفي سنة 477هـ أمر المكرم بضرب الدينار الملكي[145]، وكتب عليه:

في أحد وجهيه: لا اله الا الله محمد رسول الله علي ولي الله.

في الوجه الاخر: الملك السيد المكرم عظيم العرب سلطان أمير المؤمنين[146].

كذلك ضربت دنانير في عدن للصليحيين عام 486هـ تحمل اسم الخليفة المستنصر بالله الفاطمي، واسم الملك المكرم عظيم العرب سلطان أمير المؤمنين[147] وشعاره الاتي:

الوسط الوجه: لا اله الا الله محمد رسول الله علي ولي الله.

الوسط الظهر: الملك السيد المكرم عظيم العرب سلطان أمير المؤمنين.

المدار على الوجه: ضرب الدينار بعدن سنة ست وثمانين وأربعمائة.

المدار على الظهر: الامام أبو تميم المستنصر بالله أمير المؤمنين[148].

ومن الملاحظ من ذلك أن الدنانير ظلت تضرب في عهد السيدة الحرة باسم المكرم. كما ضربت عملة صليحية في ذي جبلة سنة 530هـ/ 1130م تحمل اسم المكرم فقط دون ذكر اسم الخليفة الفاطمي[149]، ويعود ذلك الى انفصال الدعوة في اليمن عن مصر باعتقاد حكام اليمن

---

(143) العش: المسكوكات: مجلة كلية الاداب، ص:43.

Bıkhazi Ramzı· Coıns of Al-Yaman, P 77 . 78

(144) العش: المسكوكات، مجلة كلية الآداب، ص: 43 ـ 44.

(145) عمارة: المفيد، ص:135.

(146) عمارة: المفيد، ص:135. هامش رقم (4).

(147) د. محمد ابو الفرح العش: نفس المرجع، الاثار الاسلامية، ص:212 ، الاكليل، ص:43.

(148) د. محمد ابوالفرج العش: المسكوكات في، الاثار الاسلامية، ص.212، مجلة الاكليل، ص:43.

(148) Bikhazı Ramzı. Coıns of Al-Yaman, P. 77 . 78

(149) د. محمد ابوالفرج العش: المسكوكات، مجلة الاكليل، ص:43.

بالدعوة الطيبية. بينما كانت مصر تعتقد بالدعوة الحافظية، فاستقلت اليمن عن الفاطميين فلم تضرب العملة بأسمائهم.

كذلك ضربت في عدن عملة في عهد الزريعيين تحمل اسم محمد بن سبأ الزريعي مع لقب له هو (المتوج) و (داعي أمير المؤمنين) كما تحمل اسم الخليفة الفاطمي (الآمر بأحكام الله). وفي عهد عمران بن محمد بن سبأ الزريعي ضرب دينار سنة 556هـ/ 1160م لا يحمل اسم الخليفة الفاطمي، ولكنها تحمل مأثوراتهم الشيعية وهي: (علي ولي الله) مما يدل على بقاء ولائهم لهم فهي تحمل عبارة (لا اله الا الله علي ولي الله) (أوحد ملوك الزمن ملك العرب واليمن عمران بن محمد)[150].

وعندما قدم الأيوبيون الى اليمن، كان لابد من تغير العملة التي تحمل اسماء الشيعة الاسماعيلية، لذلك ضربوا عملة تحمل اسمائهم، ففي عهد تورانشاه في اليمن فيما بين سنة (569هـ - 571هـ) (1174 - 1176م) ضربت عملة ذهبية في اليمن لا تحمل اسم البلد التي ضربت فيها أو التاريخ، وكتب عليها العبارة الاتية:

على احد وجهيه: لا اله الا الله محمد رسول الله المستضيئ بأمر الله أمير المؤمنين.

على الوجه الاخر: الملك المعظم ملك اليمن شمس الدولة تورانشاه بن أيوب[151].

كما ضرب كل واحد من نواب تورانشاه السكة باسمه ومنع أهل بلدته التعامل بعملة الاخر[152]. وعندما قدم سيف الاسلام طغتكين الى اليمن سنة 579هـ/ 1183م ضرب درهماً صغيراً وزنه أربعة قراريط وحبة سمي بالدرهم السيفي نسبة اليه. وفي عهد المعز اسماعيل بن طغتكين ضرب الدرهم الكبير الذي كان وزنه ثلاثة عشر قيراطاً[153]. كذلك ضرب الملك الناصر أيوب بن طغتكين الدرهم بتعز[154]، وقد بلغت عشور دار الضرب في زبيد في عهد الأيوبيين مبلغاً قدر بثلاثة

---

(150) د. محمد ابوالفرج العش: المسكوكات في الحضارة العربية الاسلامية، الاثار الاسلامية، ص:212، مجلة الاكليل، ص:44.

(150) Bikhazi Ramzı. Coins of Al-Yaman, P. 77 , 78

(151) د. محمد ابوالفرج العش: المسكوكات في الحضارة العربية الاسلامية، الاثار الاسلامية، ص:213.

(152) عبدالباقي: المسمى بهجة الزمن، ص:77.

(153) ابن المجاور: صفة بلاد اليمن، ص:89، في عهد الاتابك سنقر انشأ داراً لضرب العملة بصنعاء، ابن حاتم: السمط، ص:140.

(154) د محمد العش: نفس المرجع، ص:214.

عشر ألف دينار[155]. وهذا المبلغ يدل على كثرة العملات التي كانت تضرب في زبيد.

وفي عهد النجاحيين وبني مهدي ثم الأيوبيين كانً الدرهم يساوي ثلاث جوز والجائز يساوي ثمانية فلوس، والفلس يساوي أربعة دواس، والأربعة الدراهم تساوي ديناراً واحداً والأربعة الدنانير والنصف تساوي ديناراً ذهباً[156].

ساهم الأئمة الزيدية في اليمن بضرب العملة بأسمائهم فالامام الهادي الى الحق يحيى بن الحسين ضرب دنانير باسمه في صنعاء 293هـ وفي صعدة سنة 298هـ، وقد وجد دينار للزيدية ضرب بصنعاء سنة 370هـ يحمل اسم (الداعي الى الحق أمير المؤمنين يوسف بن رسول اللـه)[157].

وضرب الامير ذو الشرفين عملة باسمه في منطقة مسور بحجة، فقد أمر باقامة دار سك للعملة بها، وطلب من جميع الشيعة والاخوان والأعيان، أن يجمعوا له الفضة التي لديهم على سبيل الاستقراض. فاستجاب له جميع شيعته وأهل بيته وإخوانه وأعوانه وولاته على مخاليفه فجمعت له الفضة من أماكن كثيرة حتى أنهم خلعوا الفضة من السلاح المحلى بها، وغيرها، وجمعت كذلك حلية الحريم فاجتمع له مال كثير من الفضة أمر به الى دار الضرب فضربت به العملة. ولم يحدد لنا المصدر أنواع العملة وأجزائها. ولكن الذي يبدو أنها كانت من الدراهم. لأن الدراهم تضرب من الفضة وكان ذو الشرفين قد أمر باقامة دار للضرب في مسور، وكان يقدر عدد الصناع في دار الضرب آنذاك بحوالي ثلاثين فرداً ازدادوا فيما بعد إلى أربعين شخصاً[158].

كذلك ضرب الامام عبداللـه بن حمزة عملة باسمه، حيث أنشأ بصعدة سنة 601هـ/ 1204م دار لضرب الدنانير والدراهم وضع بها آلات الضرب. وجعل احد الموثوق بهم مسؤولاً عنها، وهو علي بن حسن الصعدي، وقد جلبت له الفضة من مشارق اليمن ومغاربها ومن التجار من زبيد جمعت له نصف عشر بيت المال، وبدأ بضرب درهم صغير فضي، ثم درهم كبير، وكان صرف الدرهم الكبير بأربعة دراهم صغيرة. ثم ضرب الامام الدينار ذهباً خالصاً جعله مساوياً لدينار الامام الهادي الى الحق يحيى بن الحسين. وقسم الدينار الى ثلاث سكك أو أجزاء، الجزء

---

(155) ابن المجاور: نفس المصدر، ص:90.

(156) ابن المجاور: نفس المصدر، ص:80، 89.

(157) د. محمد ابوالفرج العش: المسكوكات في الحضارة العربية الاسلامية، الاثار الاسلامية، ص:212.

(158) الربعي: سيرة ذي الشرفين، ق57.

الاول المثقال الكامل ثم نصف المثقال ثم ربع المثقال وكتب عليها جميعاً الشعار الآتي:

على أحد وجهيه: لا اله الا الله محمد رسول الله علي ولي الله.

في دور الوجه: التاريخ والبلدة التي ضرب بها.

في الوجه الاخر الظهر: الامام المنصور بالله أمير المؤمنين.

في دور الظهر: عبدالله بن حمزة بن سليمان بن رسول الله صلى الله عليه وآله.

وعلى المثقال الكامل أضاف في دوره كتابة العبارة الاتية بعد علي ولي الله، (انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهو راكعون)[159].

وفي بداية ضرب الامام عبدالله بن حمزة لعملته رفض كثير من الناس التعامل بها بسبب إشاعة خبر أنها مزيفة، ولم يسكت الامام إزاء هذا الموقف فقد جمع الناس من أهل (حوث) وأعمالها وهددهم بالعقوبة لمن يرفض التعامل بعملته، وكتب كتاباً قرئ على الناس في سوق حوث نسخته: (... وكانت دراهم الظلمة تأتينا واياكم مخلوطة بالصفر والغش فلا نجد بداً من قبولها ولم نر إلا أن نضرب للمسلمين نقداً طيباً مباركاً فبلغنا أن الدرهم المبارك خرج ووقع منه بعض نفرة من المفسدين ونحن نعيذكم بالله سبحانه أن تعرضوا للعقوبة في مصالح نفوسكم فتخسروا أموالكم لغير موجب، قوموا في نفاذ درهمكم ديناً ومنعه فبالله قسماً صادقاً لئن رد الظلمة درهمنا أو منعوا منه، لا أقبل درهمهم في بلادنا الا من يكون منهم نأخذ ما له ونضرب رقبته، ونهتك ستره، ونخرب بلده، وإن كان تاجراً أخذنا بضاعته فانظروا لأنفسكم نظراً مخلصاً فالأمر جد ولا تظنوا اني أعاملكم في الدرهم بالهون ولا الرفق وإنما السيف والسوط والحبس وأخذ المال فمن صدقنا فليحزم ومن كذبنا فليقدم)[160]. وامام هذا التهديد الشديد الذي توعد به الامام بالقتل والحبس والعذاب ومصادرة الاموال، أخذ الناس يتعاملون بدرهمه حتى انتشر التعامل به بين الناس، وعم البلاد كلها وتعامل به الايوبيون وغيرهم[161]، وإضافة الى دار الضرب الذي

(159) مجهول: سيرة الامام عبدالله بن حمزة، دار المخطوطات اليمنية رقم، ق61 ـ 62، وكان وزن درهم الامام عبدالله بن حمزة يساوي قفله وثمن قفله.

(160) مجهول: سيرة الامام عبدالله بن حمزة، جـ3، ق62، د. عبدالغني محمود عبدالمعطي: عوامل الصراع السياسي المذهبي، الاكليل، ص:83.

(161) مجهول: نفس المصدر والصفحة.

أنشأها الامام في حوث أنشأ دار أخرى في ظفار ذي بين فضرب به العملة باسمه[162].

2 - المقاييس والمكاييل والأوزان:

كانت بعض المكاييل والموازين في اليمن تساوي مكاييل وموازين البلدان الاسلامية الاخرى، فمثلاً الرطل اليمني كان يساوي الرطل البغدادي[163]، وبعضها اختلف عنها، بل اختلفت المكاييل والموازين ووحدة القياس من منطقة الى أخرى في اليمن نفسها، وذلك يرجع الى تعدد دويلاتها والى عدم وجود وحدة قياس موحدة في اليمن. فمثلاً كان معيار وزن سنجة زبيد أقل من سنجة عدن بشيء يسير. كذلك اختلفت الموازين والمكاييل من زمن الى آخر. فمثلاً سنة 625هـ/ 1227م (غيروا جميع مكاييل اليمن ووضعوه على عيار زبدي الجند) وأيضاً اختلفت وحدة القياس والمكاييل من سلعة الى اخرى، وذلك حسب نوعية السلعة من حيث الصلابة والسيولة والعد، وسميت باسم الوعاء الذي يحتويها، فمثلاً كان السمن يقاس (بالجمنة) والشيرج يقاس (بالجرة)[164]، وهما الوعاءان أو الظرفان اللذان يحفظ بهما السمن والشيرج لسيولتهما.

ومن ضمن المقاييس والمكاييل التي استخدمت باليمن الاتي:

المقاييس: في القياس استخدم (المعاد) لقياس مساحات الاراضي الزراعية[165]، واستخدم (الذراع) الحديدي في قياس أنواع القماش[166].

الموازين: وفي الموازين استخدم (الرطل) و (المن) و (الزبدي) لوزن بعض السلع واستخدم (البهار) لوزن بعض السلع مثل الفلفل والهيل والكتان[167] والبهار يساوي ثلاثمائة رطل[168]، واستخدمت (الفراسلة) لوزن بعض السلع مثل الكافور والزعفران والقرنفل.

---

(162) كرستان رومان: التقارير الاولى للبعثة الفرنسية عن ظفار ذي بين ج.ع.ى، ترجمة أحمد ناجي، الاثار الاسلامية في الوطن العربي، ص:130.

(163) المقدسي: احسن التقاسيم، ص:99.

(164) ابن المجاور: صفة بلاد اليمن، ص:89، 144، السنجة: سنجة الميزان ما يوزن به كالرطل والاقه والاوقية، المعجم، ص:323. وقد يطلق عليها صنجة.

(165) الخزرجي: العسجد، ص:

(166) ابن المجاور: نفس المصدر، ص:89.

(167) ابن المجاور: صفة بلاد اليمن، ص:89، 140 - 141.

(168) المقدسي: احسن التقاسيم، ص:99.

المكاييـــل: ومن المكاييل استخدم (المـد) لكيل بعض السلع مثل أنواع الغلال، وكان (المد) يساوي 32 ثمن. والثمن 32 زبدي. والزبدي مَنْ، والمَنْ رطلين، والرطل 120 درهم، والدرهم 13 قيراطاً. كما استخدم في المكاييل الرُبَيْعَة، والزبدي، والأوقية[169]، والقفيز[170]، والوساق، والوساق يساوي 60 صاعاً، والصاع أربعة أمدرد، والمد 32 ثمن، والثمن 10 أصيع، والصاع يساوي رُبَيْعَة ثم صار يساوي أربع ربيعات، والربيعة 18 أوقية، والصاع 72 أوقية[171].

وهناك وحدات أخرى متعددة في القياسات منها استخدام العدد لبعض السلع القابلة للعد، واستخدام كل من الكلمات الاتية كوحدة قياس وهي: (قطعة) و (قفه) و (كورجة) فالذرة يقاس (بالقفه) والقماش يعد بالقطعة وبالكورجة. والكورجة عشرون قطعة[172].

وبعض السلع تقاس بعدة معايير مثل السمن الذي يوزن بالرطل وبالمن، ويقاس بالظرف الذي يعبئ به، والحرير يوزن بالمن ويقاس بالذراع، ويعد بالقطعة[173].

وهناك بعض المعايير تستخدم كوزن وكمكيال مثل (المن) و (الزبدي) و (الأوقية). ففي الوزن بالزبدي يساوي من والمن يساوي رطلين. وفي المكيال الربيعة الزبيدية تساوي ثمانية عشر أوقية والمد يساوي ربيعة[174]، وهكذا تنوعت وحدات القياس باليمن بحسب المناطق وحسب نوع السلعة.

مما تقدم نجد أن التجارة في اليمن نشطت نشاطاً كبيراً خلال العصر الإسلامي. سواءً على مستوى التجارة الداخلية أو التجارة الخارجية، وسواء في فترة الدول المستقلة أو الدولة الواحدة. وذلك بفضل وقوع اليمن على مفترق الطرق التجارية البحرية الموصلة بين الشمال والجنوب. والذي جعلها تلعب دور الوسيط التجاري بين البلدان المتعددة.

---

(169) ابن المجاور: نفس المصدر والصفحات، المد: مكيال قديم اختلف الفقهاء في تقديره، المعجم، ص:575.

(170) الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص:308.

(171) الاهدل: كشف القناع في احكام الزرع، ص:153 - 154.

(172) ابن المجاور: نفس المصدر، ص:89.

(173) ابن المجاور: نفس المصدر، ص:89.

(174) الاهدل: كشف القناع في احكام الزرع، ص:154.

الفصل الرابع

النظـــــام المالي

أولاً: الايـــرادات :

تنوعت الموارد المالية في بلاد اليمن شأنها في ذلك شأن باقي الأمصار الإسلامية الأخـرى، ويمكن تقسيم تلك الموارد إلي قسمين أحدهما: موارد شرعية مثل الزكاة والجزية وعشور الأراضي الزراعية (الخراج) وعشور التجارة. وثانيهما: موارد غير شـرعية مثـل المكـوس والرسـوم والهدايـا والمصالحات وغيرها.

المـوارد الشرعيـــة :

أ ـ عشور الأرض (الخراج).

نظراً لأهمية موارد الأراضي الزراعية، نعرض لأحكام الأراضي الإسلامية بصفة عامـة ثـم أحكام أراضي اليمن بصفة خاصة وما طرأ عليها من تغير. يقـول أبوعبيـدة: (وجدنـا الأثـار عـن رسول اللـه صلى اللـه عليه وسلم، والخلفاء بعده: قد جـاءت في إفتتـاح الأرضـين بثلاثـة أحكـام: أرض أسلم عليها أهلها فهي ملك أيمـانهم، وهـي أرض عشـر، لاشـيء عليهـم فيهـا غـيره. وأرض افتتحت صلحاً على خراج معلوم، فهم على ما صولحوا عليه، لا يلزمهم أكثر منه. وأرض أخـذت عنوة، فهي التي اختلف فيها المسلمون. فقال بعضهـم: سـبيلها سـبيل الغنيمـة، فتخمـس وتقسـم، فيكون أربعة أخماسها خططا بين الذين افتتحوها خاصة، ويكون الخمس الباقي لمن سمى اللـه تبـارك وتعالى. وقال بعضهم: بل حكمهـا والنظـر فيهـا إلي الإمـام: إن رأى أن يجعلهـا غنيمـة، فيخمسـها ويقسـمها، كما فعل رسول اللـه صلى اللـه عليه وسلم بخيبر. فذلك له. وإن رأى يجعلهـا فيئـاً فـلا يخمسـها ولا يقسـمها، ولكـن تكـون موقوفـة علـى المسـلمين عامـة مـا بقـوا، كمـــا صنـــع عمـــر بالسواد)[1].

وقد اعتبرت اليمن من البلاد التي أسلم عليها أهلها فهي أرض عشـرية يقـول أبويوسـف: (وكل أرض أسلم عليها أهلها فهـي أرض عشـرية، وأرض الحجـاز والمدينـة ومكـة واليمـن وأرض العرب كلها أرض عشر[2]) والمقصود بالأرض العشرية هي ما فرض على مـا تخرجـه هـذه الأرض

---

(1) أبوعبيدة بن سلام: كتاب الأموال، ص: 132، بيروت، ط1، 1409هـ/ 1989م.

(2) أبويوسف: كتاب الخراج، ص: 173. بيروت، ط1، 1045هـ/ 1985م.

من زروع وثمار بقيمة العشر أو نصف العشر حسب سهولة الري أو صعوبته، وهذه هي الزكاة المفروضة على أموال المسلمين.وليس في مال المسلِمين حق سوى الزكاة كما قال رسول الله عليه الصلاة والسلام[3].

ولما كان مصرف هذه الزكاة أو الصدقات محدداً حسب قوله تعالى:﴿ إِنَّما الصَّدَقَات لِلْفُقَرَاءِ والْمَسَاكِين والْعَامِلِين عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفةِ قُلُوبهُم وَفِي الرِّقَاب وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيل الله وابْنِ السَّبِيل فَرِيضَة منَ الله وَالله عَلِيم حَكِيم ﴾[4] لذلك احتاج الأمر إلي فرض أموال أخرى للإنفاق على الجند وبناء المرافق العامة ودفع مرتبات الموظفين إلي غير ذلك من المصروفات العامة.

لذلك فرض ولاة اليمن أموالاً جعلوها وظيفة على أهلها. ففي أثناء خلافة عبدالملك بن مروان (65 ـ 86هـ) ، (685 ـ 705) وابنه الوليد(86-96 هـ/ 705 ـ 714م) وبالتحديد أيام ولاية محمد بن يوسف الثقفي[5] (73 -91 هـ/692 ـ 710م)أخي الحجاج لليمن (ضرب على أهل اليمن خراجاً جعله وظيفة عليهم، فلما ولى عمر بن عبدالعزيز (99ـ 101هـ/717ـ720م) كتب إلي عاملة على اليمن بالغاء تلك الوظيفة، والاقتصار على العشر، وقال: والله لإن تأتيني من اليمن حفنة كتم أحب من اقرار هذه الوظيفة فلما ولى يزيد بن عبدالملك (101 -105هـ/720 -723م) أمر بردها[6].

ويشير ابن رسته إلي هذا الالتزام المالي على صنعاء وأعمالها في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري يقول: (وكانت قراهم عشرية قبل ولاية ابن يعفر فوظف بدل ذلك عليهم مائتي ألف دينار)[7].

هذا وقد اختلفت مسميات هذه الوظيفة في المصادر فقد تسمى عشوراً أو إرتفاعاً أو

---

(3) الماوردى: الاحكام السلطانية، ص: 99، د. محمد أمين صالح: النظام المالي، ص: 93.

(4) سورة التوبة، آية 60 .

(5) محمد بن يوسف الثقفي توفي سنة مائة للهجر، ولاه الخليفة الأموي عبدالملك بن مروان على ليمن، الرازي: تاريخ مدينة صنعاء، ص: 597.

(6) البلاذري: فتوح البلدان، ص: 80ـ 81، د. محمد ضياء الدين الريس: الخراج والنظم المالية للدولة الإسلامية، ص: 217،القاهرة، ط5، 1985م. د. محمد أمين صالح: النظام المالي والاقتصادى في الإسلام، ص: 86، ط1، 1984م، عصام الدين الفقى: اليمن في ظل الإسلام، ص: 266.

(7) ابن رسته: الاعلاق النفسية، ص: 112.

خراجاً فضلاً عن تداخلها دون تحديد واضح لنوعيتها بما يواجه الباحث من صعوبات في الفصل بينها فقدامة بن جعفر وابن رسته يعتبرانها وظيفة فرضت على أصحاب الأرض من أهل اليمن[8] فهي إذا خراج باعتبار أن الخراج في المصطلح المالي الإسلامي هو الضريبة المفروضة على الأرض. أماابن خرداذبة وابن خلدون فهما يستخدمان مسمى الخراج قدره الأول بستمائة ألف دينار سنوياً، وقدره الثاني بثلاثمائة وسبعين ألف دينار سنوياً[9]. ويتعجب المقدسي من مسمى الخراج الذي أطلقه ابن خرداذبه[10].

أما عن مسمى الإرتفاع الذي ذكره بعض الجغرافيين والمؤرخين فإنه يحتمل عدة معان، أولها:خاص وهي الأموال المفروضة على الأرض الزراعية كما يفهم من قول عمارة (رأيت مبلغ إرتفاع أعمال ابن زياد بعد تقاصرها في سنة ست وستين وثلاثمائة من الدنانير ألف ألف عثرية، خارجاً عن ضرائبه على مراكب الهند من الأعواد المختلفة والمسك.. وخارجاً عن ضرائب العنبر على السواحل بباب المندب وعدن وأبين والشحر وغير ذلك وخارجاً عن ضرائبه على معادن اللؤلؤ وعن ضرائبه على صاحب جزرة دهلك[11])

وثانيهما: عام وهي جملة الأموال المحصلة على الأرض والضرائب على التجارة وغيرها كما يفهم من نص عمارة السابق[12]. ومصطلح الإرتفاع في هذه الحالة قد يتفق مع مصطلح الخراج الذي يشمل جميع موارد الدولة.

وثالثاً: بمعنى ما يتم دفعه إلي السلطة المركزية مما بقى من موارد الإقليم بعد خصم المصروفات فهو يمثل فائض الأموال[13] أو المبالغ التي يلتزم بدفعها الحكام المحليون لهذه السلطة.

ومهما يكن من أمر ففي عهد الخلافة العباسية ظلت اليمن كما يعتقد تعامل على أنها

---

(8) قدامة بن جعفر: كتاب الخراج، ص: 449.

(9) ابن خرداذبة: المسالك والممالك، ص: 144، ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، جـ1، ص: 321.

(10) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص: 105.

(11) عمارة: المفيد، ص: 66- 67، ابن المجاور: نفس المصدر، ص: 184- 185، أورد ابن المجاور كلمة مغاص بدلاً من كلمة معادن.

(12) عمارة: المفيد، ص: 66 - 67.

(13) الجهشياري: الوزراء والكتاب، ص: 281، عمارة: المفيد، ص:66 - 67.

أرضاً خراجية،فقد ذكر الجهشياري في كتابه (الوزراء والكتاب) أن إرتفاع مالية اليمن التي كانت تحمل إلي مركز الخلافة العباسية ببغداد في عهد الخليفة هارون الرشيد (170– 193هـ/786–809م) بلغت ثمانمائة ألف دينار سنوياً عدا الثياب[14].

وخلال الفترة التي قتل بها الخليفة المتوكل العباسي سنة 247هـ/ 861م وخلع الخليفة المستعين سنة 251 هـ/ 865م[15]، امتنعت اليمن عن إرسال الخراج إلي مركز الخلافة العباسية ببغداد، وذلك بسبب اختلال أمرها، واختلال أمر الأطراف باليمن والتي بدورها امتنعت عن إرسال الأموال إلي بني زياد. يوضح ذلك النص التالي الوارد في معظم المصادر اليمنية والذي جاء فيه: (وكان بنو زياد قائمين بخدمة الخلفاء العباسيين ومواصلتهم بالهدايا والأموال، فلما اختل أمرهم وغلب أهل الأطراف على ما بأيدهم تغلب بنو زياد على ما بأيديهم من أعمال اليمن وركبوا بالمظلة وساسوا قلوب الرعاياه بابقاء الخطبة العباسية)[16].

ومما تقدم يتضح أن اليمن لم تستمر في الامتناع عن دفع الخراج إلي الخلافة العباسية ببغداد فترة طويلة، فقد عادت الدولة الزيادية إلي رفعه. ذكر ذلك ابن خرداذبه المتوفى سنة 300هـ/ 912م، أن خراج بعض عمال اليمن الواصل إلي مركز الخلافة العباسية بلغ ستمائة ألف دينار سنوياً، إذ جاء ذلك في مصدره المسالك والممالك: ((ووجدت في ديوان الخراج رفع لبعض عمال اليمن لجبايتها ستمائة ألف دينار وهذا أكثر ما إرتفع منها في هذه الدولة.[17])) ومن الملاحظ أن كلمة (لبعض عمال اليمن) التي أوردها ابن خرداذبه، دلالة على أن الخراج كان يرفع من تهامة اليمن، وليس من اليمن كله، على اعتبار أن تهامة كانت موالية للخلافة العباسية وصاحبته التقليد الشرعية فيها. وكما يتضح أن هذه الأموال خاصة بالمتحصلات المالية للزراعة أما الأموال التجارية فمن المعتقد أنها لم تدخل في هذا التقدير كما أشار إلى ذلك عمارة.

---

(14) الجهشياري: الوزراء والكتاب، ص: 281.

(15) عمارة: المفيد، المصدر السابق، ص: 85، ابن الديبع: قرة العيون، ص: 157- 158.

(16) عمارة: المصدر السابق، ص: 85، الخزرجي: المصدر السابق، ص: 104، ابن الديبع: قرة العيون، ص: 333، المفصل المزيد، ص: 54. ابن حوقل: صورة الأرض، ص:24، ابن المجاور، صفة، ص:72.

(17) أبوالقاسم عبدالله ابن خرذابة، المسالك والممالك تحقيق محمد مخزوم، دار احياء التراث العربي بيروت، ط1، 1988م. ص: 123،أحمد عبدالباقي: معالم الحضارة العربية في القرن الثالث الهجري، د. عبدالرحمن الشجاع: اليمن في عيون الرحالة، دار الفكر، ط1، بيروت، دمشق، ص: 131.

وقد نقل المقدسي المتوفى نحو 380هـ/990م في مصدره أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ما أورده ابن خرداذبه عن خراج اليمن، ولكنه استغرب لذكر كلمة خراج على اليمن فقال: (وجدت في كتاب ابن خرداذبه خراج اليمن ستمائة ألف دينار فلا أدري ما أراد بذلك ولم أر ذلك في كتاب الخراج بل المعروف أن جزيرة العرب عشرية)[18].

وعلى أية حال فقد عاد المقدسي وذكر خراج اليمن بمسمى آخر هو كلمة إرتفاع فقال: (وذكر قدامة بن جعفر الكاتب أن إرتفاع ... اليمن ستمائة ألف دينار)[19]، مما يدل على أن المقدسي رفض اطلاق اسم الخراج على مالية اليمن، بينما قبل أن تكون تسميتها بالإرتفاع، ولقد أخذ برأيه هذا غالبية المصادر اليمنية. ومهما يكن من أمر سواء، وردت كلمة خراج صراحة على اعتبار أن حكام اليمن فرضوا زيادة على العشر، أو وردت كلمة إرتفاع على اعتبار أن اليمن لا يفرض عليها الخراج، فهي في نظرنا تعد خراجاً لعدم التزام حكام اليمن بأخذ الأموال بمقدار العشر.

ومن الملاحظ أنه عندما اتسعت رقعة الدولة الزيادية عهد أبي الجيش إسحاق بن إبراهيم الزيادي في منتصف القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، والتي شملت تهامة اليمن والكثير من المناطق الجبلية،إرتفع خراج اليمن إرتفاعاً كبيراً،أوضح ذلك ابن خلدون في تاريخه بقوله:(قال ابن سعيد:رأيت مبلغ جبايته وهو ألف الف مكررة مرتين وثلاثمائة ألف وستة وستون ألفاً من الدنانير العثرية عدا ضرائبه على مركب السند وعلى العنبر الواصل بباب المندب وعدن وأبين وعلى مغائص اللؤلؤة وعلى جزيرة دهلك)[20] ومن المرجح أن هذا المبلغ هو جملة إيرادات الأراضي الزراعية أى الخراج لتهامة اليمن قبل خصم أرزاق الجند والعمال ورجالات الدولة. وأما ما يرسل إلي مركز الخلافة العباسية ببغداد،فهي المبالغ التي ذكرها ابن خرداذبه والمقدسي السالفة الذكر.

---

(18) المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص: 98، الشجاع: المرجع السابق، ص: 132.

(19) المقدسي: المصدر السابق، ص: 98، الشجاع: المرجع السابق، ص: 131 ـ 132.

(20) عبدالرحمن بن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ص: 455ـ 456. من الملاحظ من عبارة ابن خلدون أنها تشابه عبارة عمارة والمصادر اليمنية الأخرى مع فارق أن ابن خلدون أضاف ثلاثمائة وستة وستين ألف دينار زائدة على ما أورده عمارة. وربما يرجع ذلك إلي أن ابن خلدون خلط بين السنة التي ذكرها عمارة وهي ستة وستين وثلاثمائة. والمبلغ الذي ذكره عمارة وهو ألف ألف دينار

خراج تهامة اليمن عهد الدويلات الأخرى :

ومنذ منتصف القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي توقفت اليمن عن رفع خراجها إلي مركز الخلافة العباسية، ذلك بسبب خروجها عن طاعة الخلافة العباسية بسيطرة الصليحيين الإسماعيلية عليها، أو بسبب استمرار النجاحيين في حرب الصليحيين لاستعادة السيطرة على تهامة والاحتفاظ بحكمهم عليها.

فعندما استولى علي الصليحي على زبيد وتهامة سنة 455هـ/1063م ولى عليها صهره أسعد بن شهاب فدخلها سنة 456هـ/1064م، وظل أسعد يرفع خراج تهامة اليمن إلي صنعاء مائة ألف دينار سنوياً[21]، بعد خصم أرزاق الجند وغيره من الأسباب اللازمة[22] وفي عهد المكرم الصليحي وأمه أسماء بنت شهاب استمرت تهامة اليمن ترفع خراجها إليها من العين ألف ألف دينار في كل عام[23] خارجاً عن أنواع الضرائب.

من الملاحظ أن المصادر ذكرت رقمين لموارد تهامة في عهد الدولة الصليحية أحداهما مائة ألف دينار والآخر ألف ألف دينار والذي يظهر أن الرقم الأول ذكر بعد خصم أرزاق الجند وغيره، بينما ذكر الرقم الثاني قبل خصم أرزاق الجند وغيره.

أما في عهد سبأ بن أحمد الصليحي الذي اتخذ من حصن (أشيح) والحصون المطلة على تهامة مقراً له،فقد ظل في صراع مستمر مع جياش أمير الدولة النجاحية حول السيطرة على تهامة، وكانا يتناوبان حكمها. وخلال هذا التناوب كان سبأ الصليحي يحتسب للعمال بما أخذه منهم جياش بن نجاح في أشهر الصيف والخريف، وكذلك كان جياش عندما يسترد تهامة يحتسب

---

(21) عمارة: تاريخ اليمن، ص: 120، الوصابي: تاريخ وصاب، ص:32، ابن الديبع: الفضل المزيد، ص: 57. ذكر الخزرجي، ص: 58، أن سعد بن شهاب كان يرفع إلي الصليحي ألف ألف دينار بعد صرف أرزاق الجند الذين بها وغيرها من المصروفات ووافقهم في هذا المبلغ الهمداني في كتابة الصليحيون، ص: 106.

(22) ابن الديبع: الفضل المزيد، ص: 57، الهمداني: الصليحيون، ص: 106،

(23) عمارة: تاريخ اليمن، ص: 123، ابن الديبع: قرة العيون، ص: 248، الهمداني: المرجع السابق، ص:106.

للعمال بما أخذه منهم سبأ في أشهر الشتاء والربيع[24] ورغم عدم توضيح المصادر مقدار المبلغ الذي كان يأخذه كل من سبأ وجياش إلا أننا نستنتج من خلال ما سبق أنهما كانا يتقاسمان المائة ألف دينار.

وعندما تمكنت الدولة النجاحية من استعادة تهامة وأحكام السيطرة عليها وعدم تمكن الصليحيين انتزاعها منهم مرة أخرى، بلغ خراج تهامة وإرتفاع ماليتها التي شمل امتداد مناطقها من الشرجة إلي باب المندب، مبلغ مائة وسبعة ألف دينار سنوياً خارجاً عن أرزاق الجند وغيرها[25]. أما بقية تهامة التي كانت تحت سيطرة الشريف غانم صاحب المخلاف السليماني، فقد كان يدفع لحكام الدولة النجاحية في زبيد جزءاً من خراج أرضه على شكل أتاوة أو هدايا، حيث بلغ مقدار ما يدفعه لهم ستين ألف دينار سنوياً[26] تلك هي خراج الأراضي الزراعية في تهامة اليمن وهناك نوع آخر من الخراج في زبيد سمى بخرج النخيل نورده كالآتي:

خراج النخيل في زبيد :

انتشرت زراعة النخيل في زبيد بكثرة أثناء حكم الدولة الصليحية لها، وحكم بني نجاح وبني مهدي، حتى صار يوجد عشرة قطع من النخيل كل قطعة عرضها وطولها ربع فرسخ[27]، واستدعى ذلك أن يصبح لهذا النخيل خراج سنوي يدفع إلي الدولة. ففي عهد حكم الدولة النجاحية ودولة بني مهدي لزبيد كان ضمان النخيل بها يقدر بسبعين ألف دينار سنوياً، وكان المزارعون يدفعونه عيناً أي تمراً وليس نقداً[28].

وفي عهد الحكم الأيوبي لليمن (569-626 هـ/1174- 1149م) أيام طغتكين 579- 593هـ/

---

(24) عمارة: تاريخ اليمن، ص: 148- 149، الخزرجي: العسجد، ص: 64، ابن الديبع: قرة العيون، ص:266 الفضل المزيد، ص: 59، الهمداني: المرجع السابق، ص: 151، يحي بن الحسين: غاية الأماني في أخبار القطر اليماني، ص: 275، الهمداني: الصليحيين، ص: 151.

(25) عمارة: المصدر السابق، ص: 227- 228.

(26) عمارة: المصدر السابق، ص: 222.

(27) ابن المجاور: صفة بلاد اليمن، ص: 78- 79، الفرسخ مقياس قديم يقدر بثلاثة أميال، ص: 467 معجم.

(28) ابن المجاور: المصدر السابق، ص: 80، محمد على مسفر: المرجع السابق، ص: 242.

1183 ـ 1179م))، أوصى بالشدة على أصحاب النخيل، بينما أوصى بالرفق على المزروعات الأخرى، وذلك بسبب ما يلقاه الفلاح من تعب في عمله حيث كان يحرث،ويسقى،ويبذر،ويعزق ويحصد، فيجد بذلك مشقة له، أما أصحاب النخيل فكانوا يجنون ثمارهم كل عام دون مشقة، لذلك شدد عليهم، مما أدى إلي هروب الكثير من أصحاب النخيل فاضطر طغتكين إلي مصادرة نخيلهم مقابل الخراج فكان كل نخيل يصادره يسمى صوافي أي ما يصفي إلي بيت المال[29].

لذلك كان المتحصل من نخيل في زبيد عهد الدولة الأيوبية تسعين ألف دينار نقداً (غير الذي يصل إلي الخزانة وعمال السلطان ونواب الديوان وغير النخيل السلطانية والأوقاف وغير الذي لارباب الجهات وأصحاب الدولة)[30] من التمور العينية أي أن جملة الخراج لجميع النخيل يقدر بمائة وعشرة آلاف دينار سنوياً[31].

ثم ازداد هذا المبلغ أواسط عهد نفس الدولة الأيوبية حتى وصل ضمان النخيل في زبيد مائة ألف دينار سنوياً[32] غير المصروف عيناً، ثم إرتفع هذا المبلغ أواخر العهد الأيوبي في اليمن، فبلغ خراج نخيل زبيد مائة وعشرة آلاف دينار نقداً سنوياً، غير ما حمل إلي الخزانة من الخراج العيني من التمور[33].

وكانت مالية ((عدن وأعمالها)) في عهد الصليحيين التي كانت ترفع إلي صنعاء أو ذي جبلة حسب الاتفاق فيما بين حكام عدن والصليحيين على دفعها تقدر بحوالي مائة ألف دينار سنوياً. وحاول بنو زريع التخلص من هذا الالتزام المالي السنوى الذي خفض إلي النصف ثم إلي الربع ثم توقف بنو زريع نهائياً عن دفع هذا المبلغ للصليحيين[34] كما ذكرنا سابقاً.

كذلك كانت مالية كوكبان وحوشان في عهد الصليحيين تساوى مالية عدن، وهو مبلغ مائة ألف دينار[35]. أما مالية لحج التي كانت ترفع في العهد الأيوبي فتقدر بحوالي ألف دينار

---

(29) ابن المجاور: المصدر السابق، ص: 80، مسفر: المرجع السابق، ص: 242- 243.

(30) ابن المجاور: المصدر السابق، ص: 79.

(31) ابن المجاور: المصدر السابق، ص: 80.

(32) ابن المجاور: صفة بلاد اليمن، ص: 90، مسفر: المرجع السابق، ص: 242.

(33) ابن المجاور: المصدر السابق، ص: 80، مسفر: المرجع السابق، ص: 243.

(34) عمارة: المفيد، ص: 174- 175، ابن المجاور: صفة بلاد اليمن، ص: 122.

(35) عمارة المفيد، ص: 133.

سنوياً[36]. ومن ناحية أخرى، فقد كان الشريف غانم بن يحي صاحب المخلاف السليماني متعهداً بمبلغ ستين ألف دينار يرسلها سنوياً إلي وزراء بني نجاح[37].

تلك المناطق التي حددت المصادر متحصلاتها المالية، أما بقية المناطق فلم تشر إليها المصادر.

ب ـ عشور التجارة :

هي ضريبة تقدر بعشرة في المئة، تفرض على غير المسلمين من التجار الأجانب القادمين بتجارتهم إلي دار الإسلام[38]. كما أخذت بمقدار العشر من تجار أهل الذمة وبمقدار ربع العشر من تجار المسلمين. وأول من فرضها في الإسلام الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه[39]، فقد كتب أبوموسى إلي عمر رضي الله عنه أن تجار المسلمين إذا دخلوا دار الحرب أخذوا منهم العشر، قال فكتب إليه عمر رضي الله عنه: (خذ منهم إذا دخلوا إليها مثل ذلك العشر، وخذ من تجار أهل الذمة نصف العشر، وخذ من المسلمين من مائتين خمسة، مما زاد فمن كل أربعين درهماً درهم[40]) أي بواقع ربع العشر، وفي نص آخر عن زياد بن جدير قال: ((استعملني عمر على العشر، فأمرني أن أخذ من تجار أهل الحرب العشر، ومن تجار أهل الذمة نصف العشر، ومن تجار المسلمين ربع العشر))[41] وهكذا يتضح أن عشور التجارة هي نظام مالي إسلامي صار نافذاً في جميع ولايات الدولة الإسلامية ومنها بلاد اليمن منذ عهد الراشدين. وهي تماثل ما يؤدى اليوم بالرسوم الجمركية. غير أنه يلاحظ أن المصادر التي ذكرت التجارة في اليمن استخدمت للتعبير عن تلك العشور عدة مسميات مثل (الضريبة، أو الجباية) التي تشمل ضرائب أو رسوماً أخرى علاوة على (العشور) لذلك يصعب تحديد مبالغ كل من العشور أو الضريبة أو الجباية كل

---

(36) ابن المجاور: صفة بلاد اليمن، ص: 155.

(37) عمارة: المفيد، ص: 222، ابن عبدالمجيد: بهجة الزمن، ص: 110، الخزرجي: العسجد، ص: 123، ابن الديبع: قرة العيون، ص: 355.

(38) د. محمد أمين صالح: النظام المالي والإقتصادي في الإسلام، ص: 28، د. حسين الحاج: النظم الإسلامية، ص: 274.

(39) أبوعبيدة بن سلام: الأموال، ص: 640، د. محمد أمين صالح: نفس المرجع والصفحة.

(40) يحيى بن آدم: الخراج، ص: 162، د. محمد أمين صالح: نفس المرجع والصفحة.

(41) أبوعبيدة بن سلام: نفس المصدر، ص: 638.

على حدى ولذلك يحسن بيان المقصود بكل المصطلحات الثلاثة المشار إليها.

كانت عدن من أهم مناطق اليمن في تحصيل العشور على البضائع التجارية، ويرفع حكام عدن إلي حكام زبيد ((جباية عدن عن المراكب العشرية .. والمرتفع له في السنة عن هذا المكان على التقريب مائتا ألف دينار عثري، وربما زادت الزيادة العظيمة وربما نقصت اليسير))[42].

ويصل عدن في كل عام ما بين ثمانين إلي تسعين مركب تجاري، وقد يصل عشور المركب الواحد ثمانين ألف دينار في عهد الزريعيين كما كان في عهدهم وعهد الأيوبيين في اليمن تصل إلي خزانة الدولة من مراكب الهند خزينة يقدر مبلغها بحوالي مائة وخمسين ألف دينار[43].

وفي عهد الزريعيين والأيوبيين أيضاً لم يكن يؤخذ عشور على المواد الغذائية الواردة من مصر والهند مثل الحنطة والدقيق والسكر والأرز والصابون وزيت الزيتون وزيت الحار والزيتون المملح وغيره[44].

وفيما يلي قائمة بمقدار العشور على بعض البضائع الواردة مع ملاحظة أنه قد استجد عليها ضرائب وقوانين جديدة على يد من يُدْعَى خلف اليهودي النهاوندي في عهد الدولة الزريعية[45].

اسم الصنف	مقدار العشور
بهار الفلفل	8 دنانير
بهار قشر الحلب	3,5 دنانير
بهار الطباشير	2/3 و 20 ديناراً
بهار الهيل	7 دنانير
بهار الكتان	1/2 7 دنانير
بهار الحُمَرْ (التمر هندي)	ثلاث جوز
بهار الزيت (السليط)	5 دنانير

(42) ابن حوقل: صورة الأرض، ص: 23- 24 .

(43) ابن المجاور: صفة بلاد اليمن، ص: 140.

(44) ابن المجاور: نفس المصدر، ص: 142- 143.

(45) لن نعثر على ترجمة لخلف إليهودي النهاوندي.

اسم الصنف	مقدار العشور
بهار الأنكزة (الحلتيب)	8 دنانير
فراسلة الكافور	25,75 ديناراً ونصفا وسددا
فراسلة القرنفل	10 دنانير
فراسلة الزعفران	3 1/2 دنانير
عود الدفوة	10 1/3 دنانير
على العشرة المقاطع	2,5 ديناران ونصف
على العشر العقدات	نصف وربع جائز
على رأس الضأن	1/4 ربع دينار
على الحصان الداخل إلي البلد	25 ديناراً
على رأس الرقيق الداخل	ديناران
على العويل السندابوري	8 دنانير
على كورجة النياب الخام الهندي	2,6 ديناران ونصف[46]

كذلك فرضت العشور على البضائع الصادرة من اليمن، وكان يختلف فرض العشور من سلعة إلي أخرى، وفيما يلي قائمة بمقدار العشور على بعض البضائع الصادرة.

اسم الصنف	مقدار العشور
على شقق الحرير من عمل زبيد	1/2 نصف دينار وجائز
على كورجة المحابس	4 أربعة دنانير
على كورجة الأحواك	2,5 ديناران ونصف
على كورجة السباعي	2,5 ديناران ونصف
على الثوب الظفاري	1/4 ربع دينار وجائر
على الشقة البيضاء	1/8 ثمن دينار
على السوسي	1/4 ربع جائز

(46) ابن المجاور: صفة بلاد اليمن، ص: 140 - 141، 148.

اسم الصنف	مقدار العشور
على سوسي الكتان الكبار	جائز قيراط
على سوسي الكتان الصغير	جائزان وفلسان
على قفة الذرة	1/8 ثمن دينار
على الرقيق الخارج	1/2 نصف دينار
على الحصان الخراج من الفرضة	70 سبعون ديناراً
على العويل الخارج من الباب	1/2 نصف دينار
على بهار الفوَّة	ديناران في عهد الزريعيين
على بهار الفوّة	12 دينار في عهد الأيوبيين(47)

(و) الجـزية :

تعتبر الجزية فريضة إسلامية على أهل الذمة فعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال:((بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم إلي اليمن وأمرني أن أخذ من كل حالم دينارا أو عدله من معافر(48))).

لم تحدد لنا المصادر مقدار مبالغ الجزية التي كانت تؤخذ من أهل الذمة في اليمن خلال فترة البحث، إلا أن بعض القضاة والحكام في اليمن كانوا يأخذون أرزاقهم من الجزية. من ذلك أن القاضي أبو الخطاب عمر بن سعيد بن محمد بن علي الربيعي الكعومي الجميلي المولود على رأس الستمائة تولى قضاء صنعاء ونواحيها بناءً على طلبه من الخليفة المستعصم العباسي ت(656هـ/1258م) ((وكان رزقه على القضاء وزرق حكام الجهة من الجزية ولم يزل على ذلك إلي أن توفى)) يوضح ذلك الجندي بقوله: ((ولم تزل جزية اليهود وجامكية (أي مرتب) من جاء معه

(47) ابن المجاور: صفة بلاد اليمن، ص: 140— 141، الفوَّة: عروق نبات، لونها أحمر، يستعملها الصباغون، الملك المظفر يوسف: المعتمد، ص: 371.

(48) يحيى بن آدم: الخراج، ص: 70، أبوعبيدة: الأموال، ص: 121، ابن سمره: طبقات فقهاء اليمن، ص: 18، د. محمد أمين صالح: النظام المالي والإقتصادى في الإسلام، ص: 26، من معافر: أي ما قيمته من ثياب تصنع بالمعافر باليمن.

إلي أن هلك، فأخذ بنو عمران الجزية إليهم، وجعلوا لحكام كل بلد جَامِكِيَّة من الوقف وربما جعلوه من مال الديوان))[49].

(د) الزكـــاة :

هي أحد أركان الإسلام الخمسة وتعني الصدقة فهي فريضة إسلامية فرضها اللـه تعالى بقوله: ﴿خُذ من أمْوالِهم صدقة تُطَهِّرهُم وتُزَكِّيهِم بِهَا﴾[50]. وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِم حَقٌّ مِعْلُوم لِلسَّائِلِ والمَحْرُوم﴾[51]. ويقول عنها الماوردي: ((الصدقة زكاة، والزكاة صدقة، يفترق الاسم ويتفق المسمى. ولا يجب على المسلم في ماله حق سواها، قال رسول اللـه صلى اللـه عليه وسلم:((ليس في المال حق سوى الزكاة))[52].وتفرض الصدقة أو الزكاة على عدة أموال هي الزروع والثمار، والمواشي والأنعام، والبضائع التجارية والذهب والفضة والمعادن والركاز[53].

وزكاة المزروعات هي (العشر) حيث سميت أرض اليمن عشرية باعتبار أن أرض اليمن أسلم عليها أهلها فهي ليست أرض خراج، والعشر هو الصدقة وهو الزكاة المفروضة على أنواع الزروع والثمار، يقول يحيى بن آدم: ((وعلى المسلم أن يزكى زرعه العشر أو نصف العشر))[54] حسب سهولة الري أو صعوبته.

وعلى الرغم من أن حكام اليمن كانوا بدون شك يعملون على جمع الزكوات سواءً أكانت من التجارة أم من الزروع أم من الأنعام أم من غيره. إلا أن المصادر لم توضح لنا مقدار المبالغ التي كانت تدخل خزانة الدولة من هذه الزكوات. وما ذكرته المصادر عبارة عن إشارات عن أخذ الزكاة فقط وهي الآتي:

---

(49) الجندي: السلوك، جـ1، ص: 515- 516 (بنو عمران هم الذين خلفوا القاضي أباالخطاب واستمروا بعده)

(50) سورة التوبة، آية 103 .

(51) سورة المعارج، آية 24 ـ 25 .

(52) الماوردي: الاحكام السلطانية، ص: 99، د. محمد أمين صالح: النظام المالي، ص: 63.

(53) د. محمد أمين صالح: نفس المرجع والصفحة، د. حسين الحاج: النظم الإسلامية، ص: 262 ـ 263.

(54) يحيى بن آدم: الخراج، ص: 108، 141، 155.

عن عشور الأراضي الزراعية أو زكاتها أوضح ابن حوقل عن أموال أبي الجيش بن إسحاق الزيادي في زبيد وتهامة قوله: ((وأكثر أمواله المقبوضة من العشور))[55].

أما زكاة التجارة فأبوعبيدة يقول: ((يُقَومُ الرجل متاعه، إذا كان للتجارة، إذا حلت عليه الزكاة، فيزكيه مع ماله)). وقد أجمع المسلمون الأولون على أن الزكاة فرض واجب في التجارة.[56]

يذكر المقدسي أن الأئمة الزيدية في صعدة كانوا لا يأخذون الضرائب على التجارة وإنما كانوا يأخذون الزكوات عليها وهي مقدار ربع العشر[57]، وفي أيام الإمام أبوالفتح الديلمة (444هـ/1052م) أخذ من أهل صنعاء الزكوات[58].

وفي عدن وجدت دار للزكوات حيث كانت الزكوات تؤخد من البضائع التي لا يؤخذ عليها عشور، وذلك في عهد كل من الزريعين والأيوبيين[59].

2 ـ الموارد غير الشرعيـــة :

(الضرائب والرسوم والمكوس) تأخذ الموارد غير الشرعية مسميات مختلفة مثل الضرائب والمكوس والرسوم وغيره وقد اضطرت إلي أخذه الدول اليمنية المتعددة بسبب حاجتها إلي الأموال.

ففي عهد آل زياد ومن اتى بعدهم، كانت لهم ((ضرائب عن العنبر على السواحل بباب المندب وعدن وأبين والشحر وضرائب على مغاص اللؤلؤ وغيرها))[60].

كذلك كان الحسيني صاحب صعدة يأخذ ضرائب على القوافل التجارية[61]، كما كان حاكم السرين يأخذ على المراكب الصاعدة والنازلة من اليمن رسماً من الرقيق والمتاع الوارد مع

---

(55) ابن حوقل: صورة الأرض، ص: 23.

(56) أبوعبيدة: الأموال، ص: 527، 530.

(57) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص: 105.

(58) ابن الديبع: قرة العيون، ص: 240.

(59) ابن المجاور: صفة بلاد اليمن، ص: 143 .

(60) عمارة: المفيد، ص: 67، ابن المجاور: صفة بلاد اليمن، ص: 184- 185، بامخرمة: ثغر عدن، ص:49.

(61) ابن حوقل: صورة الأرض، ص: 25.

التجار[62] ولم تحدد المصادر قيمة الضرائب أو الرسوم على هذه الأصناف.

وفي العهد الأيوبي لليمن فرضت ضرائب جديدة منها ضريبة الشواني ورسم دار الوكالة ورسم دار الدلالة. فالشواني هي السفن التي تقوم بحماية التجار وتجارتهم في المحيط الهندي منذ عهد سيف الإسلام طغتكين الأيوبي، بسبب تعرض التجارة في هذا المحيط للقرصنة البحرية.

وكان طغتكين ينفق على هذه الشواني من خزانة الدولة ما بين خمسين وستين الف دينار كل عام ثم أشار بعض الناس على المسعود الأيوبي بفرض ضريبة على التجار مقابل هذه الحماية ففرضت ضريبة الشواني منذ سنة 613هـ/1216 وتقدر بحوالي عشر العشور حسب تحديد ابن المجاور لها بقوله: ((كل ما أخذ من العشور ألف دينار يأخذ منه الشواني مائة دينار)) واستمر أخذ ضريبة الشواني نحو الني عشر عاماً من سنة 613هـ/1216 إلي سنة 624هـ/1227م حيث بطل العمل بأخذها[63] أي أنها استمرت في عهد الملك المسعود الأيوبي فقط.

أما دار الوكالة التي تعني ((أن يعهد الرجل إلي غيره في أن يعمل له عملاً))[64] فقد أسست في (عدن) سنة 625هـ/1227م وحدد رسمها بحوالي قيراط عن كل دينار[65]، ويبدو أن دار الوكالة كانت مهمتها تخزين البضائع ثم بيعها من قبل وكلاء للتجار الذين كانوا يبيعون البضائع في ميناء عدن نيابة عنهم.

كذلك أسست دار الدلالة في عام 625هـ/1227م وهي التي تقوم بالتوفيق بين البائع والمشتري أو (الجمع بين البيعين) أو (من ينادي على السلعة لتباع بالممارسة)[66] وكان يؤخذ دلالة على كل دينار فلساً واحداً وإذا بيع بالجملة يؤخذ على كل مائة دينار ديناراً واحداً[67].

---

(62) ابن حوقل: نفس المصدر، والصفحة.

(63) ابن المجاور: صفة بلاد اليمن، ص: 141- 142، د. محمد عبدالعال: بنو رسول وبنو طاهر وعلاقات اليمن الخارجية في عهدهما، الاسكندرية، 1980م، ص: 387- 389 .

(64) المعجم الوجيز، ص: 680 .

(65) ابن المجاور: نفس المصدر، ص: 143، الدينار يساوي: أربعة دراهم والدرهم 13 قيراطاً. ابن المجاور، ص: 89.

(66) المعجم الوجيز، ص: 223.

(67) ابن المجاور: صفة بلاد اليمن، ص: 143، 146.

أما المكوس في اليمن فقد وجدت منذ عهد الدولة الزيادية وتؤخذ ممن يدخل البلد من التجار[68]، وقد وجدت في اليمن أعداد كبير من المراصد. بهدف أخذ المكوس التجارية من التجارة العابرة في تلك المراصد، ويبدو أن كثرة المراصد كانت ناتجة عن طبيعة استقلال المناطق اليمنية استقلالاً اسمياً وكثرة الدويلات بها، مما جعل كل منطقة تقيم لها مراصد تجارية لرصد البضائع الداخل إليها والخارجة منها، بحيث لا يتم السماح للتجار بالمرور إلا بعد أخذ المكوس المقررة عليها[69].

وعن مقدار مبالغ المكوس التي كانت تؤخذ في مناطق اليمن نذكر الآتي:

كان يؤخذ مكس (بَعْشَر) على كل حمل دينارا، وعلى سلة الزعفران دينارا، كذلك كان يؤخذ مكوس على رأس الرقيق من اليمن، وعلى من اجتاز السرين أو كمران أو عدن من التجار[70].

وعلى باب زبيد كان يؤخذ مكوس على حمل المسك ديناراً، وعلى حمل البز نصف دينار، أما بقية المراصد فتعطي دراهم علوية[71]. وكذلك كان يؤخذ مكس في (الخوخة) على كل حمل مقدار سدس الحمل وفي (موزع) وهي أعمال بني مجيد على كل حمل مقدار ثُمْنَه[72]. وهكذا شملت المكوس مناطق كثيرة من اليمن.

كذلك وجدت في اليمن موارد مالية مؤقتة هي ضمن الموارد غير الشرعية مثل الموارد المالية الصناعية، والمصادرات، والمصالحات، وغنائم حرب المسلمين وهي كالآتي:

---

(68) المعجم الوجيز، ص: 587.

(69) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص: 104- 105، كان أصعب تفتيش دقيق في المراصد يتم في غلافقة فرضه زبيد (نفس).

(70) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص: 104، 105، كانت عدن وزبيد تتاجران بالرقيق.

(71) المقدسي: نفس المصدر، والصفحات، الدينار العلوى نسبة إلي الهادى إلي الحق يحيى بن الحسين.

(72) ابن المجاور: صفة بلاد اليمن،ص: 92- 93، بعض المصادر تستخدم كلمة مكوس بمعنى العشور، فقد وصل إلي عدن في عهد الداعي عمران الزريعي مركب تجارى كان المبلغ المتحصل منه حوالي ماتئى ألف دينار يذكر بامخرمة أن هذا المبلغ هو مكوس المركب، (ثغر عدن، ص: 215) بينما يذكر ابن الديبع أن هذا المبلغ هو عشور المركب. (قرة العيون، ص: 317).

الموارد المالية الصناعية:

كما كانت دويلات اليمن تتحصل على موارد مالية من الصناعات مثل الصناعات الجلدية وصناعات النبيذ والصناعات النقدية أو اصدار العملة وغيره.

فمن حيث الصناعات الجلدية فقد انتشرت في زبيد انتشاراً واسعاً، فوجد بها الكثير من مدابغ الجلود منذ عهد الدولة الزيادية[73]، وقد بلغ ضمان المدابغ الجلدية في زبيد في عهد الدولة النجاحية والأيوبية ثلاثة عشر ألف دينار سنوياً[74].

ومن جهة صناعة شراب النبيذ، فقد كثرت صناعته في كل من عدن وزبيد، ففي عدن كان يصنع شراب النبيذ عن طريق إضافة ثمره الكاذي ذات الرائحة العطرية إلي ماء بئر زعفران فيصبح طعمه حلواً[75] أما في زبيد فقد كانت صناعة شراب النبيذ يعمل من ((التمر والزبيب والعسل والحنطة والشعير وغير ذلك))[76]، وكانوا يصنعونه في دور خاص تسمي دور النبيذ وقد بلغ جملة ضمان دور النبيذ في زبيد في عهد الدولة النجاحية والأيوبية اثني عشر ألف دينار سنوياً[77]، مما يدل على كثرة صناعة شراب النبيذ في زبيد آنذاك، وكان أغلب الناس النساء والرجال يقبلون على شرب النبيذ في زبيد[78]، مما يدل على أن هذا النوع من النبيذ غير محرم وغير مسكر، وإلا لما شربه أغلب الناس واهتمت الدولة به.

وقد أورد ابن منظور أن كلمة النبيذ اسم يطلق على الشراب المتخذ من التمر والشعير والعنب وغيره سواء كان مسكراً أو غير مسكر كما أورد أن هناك نوعين من النبيذ يسمي ((نبيذ الطرح)) وهو مالم يسكر فهو حلال أما إذا قعد فترة أطول وأسكر فهو حرام[79] ومن خلال ذلك

---

(73) المقدسي: المصدر السابق، ص: 93 . الموارد المالية الصناعية زائد عن الرسالة.

(74) ابن المجاور: المصدر السابق، ص: 89، الشجاع: المرجع السابق، ص: 161 .

(75) ابن المجاور: صفة بلاد اليمن، ص: 131.

(76) ابن المجاور: المصدر السابق، ص: 89ـ 90، الشجاع: المرجع السابق، 162، ذكر هذه العبارة ابن منظور بقوله: ((في الحديث ذكر النبيذ وهو ما يعمل من الأشربة من التمر والزبيب والعمل والحنطة والشعير وغير ذلك)) لسان العرب مادة نبيذ.

(77) ابن المجاور: المصدر السابق، ص: 131، الشجاع: المرجع السابق، ص: 162.

(78) ابن المجاور: المصدر السابق، ص: 79.

(79) ابن منصور: لسان العرب/ مادة نبذ.

يتضح لنا أن النبيذ نوعان نوع لا يسكر وهو عبارة عن عصير يشربه الناس جميعاً، فهو حلال وذلك النوع هو الذي انتشر في زبيد وعدن وشربه كافة الناس أما النوع الثاني فهو النوع المسكر، ويبدو أن هذا النوع المسكر كان غير موجود في تهامة اليمن وعدن وأن وجد فقد كان مقصوراً على التجار غير المسلمين يعملونه ويشربونه لأن عدن وزبيد انشر فيهما الكثير من التجار غير المسلمين.

ومن ناحية إصدار العملة أو ما تسمي بصك النقود، فقد عملت مختلف الدويلات في اليمن على إنشاء دور العملة سميت بدور الضرب، وكانت تتحصل منها موارد مالية كبيرة مقابل اصدار العملة، ففي عهد الدولة النجاحية والأيوبية بلغت موارد اصدار العملة من دار الضرب في زبيد ثلاثة عشر ألف دينار سنوياً[80] وهذا يدل على أن الذهب والفضة الخاصة باصدر العملة كانت ملكاً لأصحاب الثروة من تجار وملاك الأراضي، بينما كانت الدولة تملك آلة صك العملة، أي أن الدولة كانت تشرف على إصدار العملة، وذلك بهدف عدم إنقاص الوزن الخاص بالعملة، وعدم ادخال التزييف عليها، أو تسرب الغش إليها مثل خلط الذهب مع النحاس وإعطائه الناس على أنه ذهب. لذلك كانت الدويلات تراقب إصدار العملة وتطبع عليها اسم الحاكم الذي ضربت العملة في عهده، وتاريخ الضرب والمدينة التي صدرت فيها، وهذا ما يعبر أن هذه العملة غير مزيفة، وتحت ضمان الحاكم الذي ذكر اسمه عليها، وذلك من أجل تسهيل تداول العملة بين جميع الناس.

المصادرات:

تعد المصادرات من موارد الدولة المالية المؤقتة غير الشرعية وهي انتزاع أموال بعض الأفراد بالقوة[81] أو قبضها أو استصفائها وقد تعددت أنواع المصادرات للأموال الثابتة أو المنقولة كأحد أشكال العقوبة التي يفرضها الولاة والأمراء على اتباعهم بعيداً عن أحكام القضاء الشرعي. كما تعد نوعاً من المحاسبة المالية أو الإدارية للأشخاص العاملين بجهاز الدولة الذين يتضح أنهم استولوا على أموال الدولة أو أموال الناس بطريقة غير مشروعة.

---

(80) ابن المجاور: المصدر السابق، ص: 89، الشجاع: اليمن في عيون الرحالة، ص: 161.

(81) قال ابن منظور عن المصادرة: ((ومن كلام كتاب الدواوين أن يقال صودر فلان العامل على مال يؤديه أي فرِق على ما ضمنه)) لسان العرب، مادة صدر.

ومن أمثلة المصادرات التي تمت في اليمن مصادرة أراضي الفقيه السني عبدالله المصوع الذي قام بقتل خالد بن أبي البركات الحميري المتولي حصن التعكر بذي جبلة من قبل الصليحيين وذلك بسبب اعتناقه المذهب الإسماعيلي المخالف لأهل السنة. فلما تولى المفضل بن أبي البركات الحصن بعد اخيه خالد أمر بقتل هذا الفقيه ومصادرة أمواله وبساتينه وأراضي قومه[82].

وفي عهد الدولة النجاحية استصفي الأمير منصور بن جياش أموال وأراضي وزيره أنيس الفاتكي بعد قتله بسبب شكه بأن الوزير هم بقتله فسبقه الأمير بالقتل ثم صادر أمواله[83].

وقد صادر طغتكين أموال أشخاص كثيرين في اليمن، فبعد استيلائه على زبيد عام 579هـ/1183م صادر أموال حطان بن منقذ متولي أعمال زبيد، وكان قد استأذن في السفر إلي مصر. فجمع أمواله وخرج بها، فأمر طغتكين بالقبض عليه وعلى أمواله[84]. التي قدرت آنذاك بحوالي سبعين غلافاً زردية مملوءة ذهباً عيناً[85]، وقدرت قيمة ذلك بألف ألف دينار[86] أي مليون دينار. كذلك استولى طغتكين على أموال عثمان الزنجيلي نائب عدن عندما حاول الهرب بها من عدن عن طريق البحر حيث لحقته سفن طغتكين في البحر فأخذ بعض أمواله[87].

كذلك صادر طغتكين أموال وأملاك الشيخ علي بن أحمد المعلم حين عجز عن سداد مبلغ الضمان الذي التزم به في مخلاف جعفر[88] وهو مبلغ خمسين ألف ديناراً[89] وكانت المصادرة

---

(82) ابن الديبع: قرة العيون، ص: 269- 270 .

(83) عمارة: المفيد، ص: 210، الخزرجي: العسجد، ص: 155، ابن عبدالمجيد: بهجة الزمن، ص: 79، ابن الديبع: قرة العيون، 352.

(84) الخزرجي: العسجد، ص: 159، ابن الديبع: قرة العيون، ص: 386- 387.

(85) ابن شداد: سيرة صلاح الدين، ص: 280، د. محمد عبدالعال: الأيوبيون في اليمن، ص: 121-122.

(86) ابن واصل: مفرج الكروب: جـ2، ص: 105، ابن الأثير: الكامل في التاريخ، جـ1، ص: 111، د. محمد عبدالعال: نفس المرجع، ص: 122.

(87) ابن واصل: نفس المصدر، ص: 106، الخزرجي: نفس المصدر والصفحة، د. محمد عبدالعال: نفس المرجع، ص: 123.

(88) الخزرجى: العسجد، ص: 170، ابن الديبع، قرة العيون، ص: 399.

(89) الجندى: السلوك، جـ1، ص: 370.

لأملاكه ودوره في الجرعة وذي جبلة وضراس وذي أشرق وكانت أملاكاً كثيرة[90].

المصالحـات:

كذلك كانت المصالحة تشكل إحدى موارد الدولة المالية المؤقتة لبعض الدول اليمنية وأحد المصروفات لبعض الدول الأخرى. ومن ضمن المصالحات المالية في اليمن التي تدخل ضمن نطاق إيراد الدولة الأيوبية المصالحة التي صالح بها طغتكين، علي بن حاتم اليامي حاكم صنعاء على دفع ثمانين ألف دينار حاتمية ومائة حصان في سنة واحدة، ثم عدل هذا الصلح فصالحه لمدة سنة أخرى على دفع ستين ألف دينار حاتمية وثمانين فرساً[91].

وكذلك المصالحة التي صالح بها وردشار الأيوبي للإمام الزيدي عبدالله بن حمزة، على أن يدفع الإمام في كل سنة مائة حمل موقراً حديداً وعشرين رأساً من الخيل[92]، وأيضاً مصالحات بعض الشخصيات مثل مصالحة توران شاه مع صاحب طمار من أعمال تهامة على أداء بعض المال للأيوبيين.[93].

الغنـائم :

الغنيمة هي الفوز بالشيء، وفي الحروب الظفر بمال العدو[94]. والأصل في الغنيمة أن تؤخذ من قتال المسلمين للكفار يوضح ذلك يحيى بن آدم بقوله: ((سمعنا أن الغنيمة ما غلب عليه المسلمون بالقتال، حتى يأخذوه عنوة))[95]. ويعتبر خمس هذه الغنائم مورداً شرعياً لأنها من مال الكفار، غير أن الغنائم المذكورة حالياً هي من طوائف المسليمن المتقاتلين فهي مورداً مالياً غير شرعي للمنتصر، ونتيجة لاستمرار الصراع والحرب فيما بين دويلات اليمن فقد ظلت عملية الاستيلاء على الغنائم ظاهرة بارزة عند جميع دويلاتها، وقد شكلت الغنائم مورداً مواقتا غير شرعي لمالية بعض دويلات اليمن، وبلغت الغنائم مبالغ ضخمة في كثير من الأحوال.

---

(90) الخزرجي: نفس المصدر، ص: 170 .

(91) ابن الديبع: قرة العيون، ص: 389، 392، الخزرجي: العسجد، ص: 163.

(92) ابن حاتم: السمط، ص: 102 ـ 103 .

(93) أبوشامة: الروضتين، ص: 554 .

(94) المعجم الوجيز: ص: 456 .

(95) يحيى بن آدم: الخراج، ص: 21، د. محمد ضياء الدين الريس: الخراج والنظم المالية، ص: 111 .

وكأمثلة لتلك الغنائم ما غنمه علي بن محمد الصليحي في موقعة (صوف) سنة 444هـ/ 1052م التي دارت بينه وبين قبيلة حاشد، إذ أنه استولى على كل ما كان معهم من الخيل والسلاح والرماح[96]. وكذلك غنم سعيد الأحول النجاحي خزائن وأموال علي الصليحي التي اصطحبها معه في سفره للحج سنة 459هـ/1066م بعد قتله إياه في المهجم وكانت أموالاً جليلة[97]، كما غنم الإمام أحمد بن سليمان الكثير من أموال الباطنية من أهل يام بالخانق بعد حربه لهم وانتصاره عليهم[98].

ومن الغنائم ما غنمه بعض الفقهاء وقبائل اليمن عند استيلائهم على حصن التعكر بذي جبلة أثناء ما كان المفضل بن أبي البركات في زبيد يساعد أبناء جياش بن نجاح وعبيدهم، فغنموا ما في الحصن وكان نصيب أحدهم وهو إبراهيم بن زيدان من العين حوالي خمسة وخمسين ألف دينار[99].

ومن الغنائم أيضاً ما غنمه بلال بن جرير عندما استولى على حصن الخضراء بعدن على أثر الحرب التي دارت بين سبأ بن زريع وابن عمه علي بن أبي الغارات والتي كان بلال فيها قائداً لسبأ فأخذ بلال الحرة بهجة أم علي بن أبي الغارات وغنم الأموال التي كانت توجد معها وهي من الذخائر ما لم تقدر بثمن[100].

ومن أهم الغنائم في اليمن ما غنمه ابن مهدي، فقد غنم الكثير من أموال دويلات اليمن يوضحها ابن الديبع بقوله: ((وانتقلت إليه جميع أموال اليمن وذخائرها يقال إنه حصل في خزائنه ملك خمس وعشرين دولة من دول أهل اليمن أموال الحبشة ووزرائها وأموال عبيد فاتك وأموال بني سليمان الشرفاء وملك بني وائل ومعاقل بني الصليحي وذخائر علي الصليحي وولده المكرم وذخائر الحرة السيدة ومدينة الجند وأعمالها ومعاقل الداعي عمران ابن محمد بن سبأ وحصن

---

(96) الربعي: سيرة ذى الشرفين، ق 7.

(97) الخزرجي: العسجد، ص:59، ابن الديبع: قرة العيون، ص: 255.

(98) المحلى: الحدائق الوردية، ص: 128.

(99) ابن المجاور: صفة بلاد اليمن، ص: 171 .

(100) ابن المجاور: نفس المصدر، ص: 125 .

السمدان وغير ذلك))[101].

طريقــة تحصيل الأموال:

كانت أهم طريقة جباية الأموال هي (نظام الضمان) أو نظام التَقَبُلْ.. وهو تحصيل المـوارد المالية مثل العشو التجارية والزراعية، والضرائب وغيرها، وهو عبارة عن التزام شخص مـا مسـبقاً بدفع مبلغ محدد للدولة لما ضمنه من مورد مالي، ثم يتولي الضامن تحصيل الأموال المقررة، وفي هذه الحالة قد يلجأ الضامن أو الملتزم إلي استغلال الموقف.

وعلى هذا التعريف السابق فإن الضامن أو المُتَقَبِلَ يتعهد بالقيام بعملية جباية الأموال عـن التجارة القادمة لمدينة زبيد أو الخارجـة منهـا: كمـا يتعهـد بالقيـام بعمليـة جبايـة عشـور المراكـب التجارية القادمة إلي عدن وغلافقة، أما عملية تقدير تحصيل الأموال فهي تتم عن طريق (الأمانات) فقد تزيد جباية الأموال في سنة ما وقد تقل في السنة الأخرى[102].

فمثلاً كان هناك ضمان القبان في عدن ومبلغه عشرون ألف دينار سنوياً، وضمـان سـوق الخضر والجوارى والرطب واللحم وجميع الدواب بمبلغ إحدى عشر ألف دينار[103].

وفي منطقة العارة قرب باب المندب كان يؤخذ ضمـان مـن كـل حملٍ نصفـاً وربـع عشـر وكان ضمان العشر يؤخذ من سنابيق الصيادين الذاهبة من زبيد إلي عـدن والقادمـة مـن عـدن إلي زبيد، ومن مراكب الزيلع القادمة من الحبشـة، وجملـة الضمـان في هـذه المنطقـة في كـل عـام ألفـاً ومائتي دينار، واستمر الضمان إلي أن أزيل في سنة 620هـ/1223م في العهد الأيوبـي، ثـم أعيـد هـذا الضمان أو الرسم سنة 624هـ/1226م فارتفع الضمان في هذه السنة إلي ألف وسبعمائة دينار[104].

وفي زبيد تعدد الضمان بها للمحاصيل الزراعية وأنواع البضائع التجارية فقد كان يؤخـذ

---

(101) ابن الديبع: قرة العيون، ص: 373، انظر ابن عبدالمجيد: بهجة الزمن، ص: 123- 124 .

(102) ابن حوقل: صـورة الأرض، ص: 32. وبالنسبة لطرق جباية الأموال فقـد ذكـرت المصـادر طريقتـين، أحدهما (نظام الضمان) وهو عبارة عن ضمان رجل مـا لشـيء مـا أو تكفلـه لـه وإن كـان الضـامن أو المتكفل، قد تكفل بخراج ما وتم تحصيلـه أكـثر ممـا ضمـن، فهـذا ربـاً لا يجيزه الشـرع، وثانيهمـا (نظام التقبل) وهو أن يتقبل بخراج أو جباية أكثر مما أعطى، فذلك الفضل رباً، فإن تقبل وزرع فلا بأس، ابن منظور: لسان العرب مادة قبل.

(103) ابن المجاور: صفة بلاد اليمن، ص: 144، 148 .

(104) ابن المجاور: المصدر السابق، ص: 99 - 100 .

بها قبالات أي ضمان عن عشور التجارة عن ((جميع ما يدخلها ويخرج منها .. مائتا ألف دينار))[105] في عهد بني زياد، وفي عهد النجاحيين والأيوبيين كان ضمان المدابغ في زبيد حوالي ثلاثة عشر ألف دينار، وضمان دار الضرب (العملة) بها ثلاثة عشر ألف دينار، وضمان دار النبيذ اثنا عشر ألف دينار، وضمان خراج النخيل مائة ألف دينار، كما كان ضمان سنابيق الصيادين والجالة والخضر والبقول التي تباع مع الغلال وما يدخل من باب زبيد يقدر بحوالي تسعين ألف دينار ملكي، كذلك كان ضمان سوق السمك بزبيد كل يوم ثلاثة عشر دينار ملكي[106]، وعلى ذلك يصبح ضمان سوق السمك في زبيد في السنة يساوي حوالي أربعة آلاف وسبعمائة وخمسين ديناراً.

كذلك شمل الضمان عشور الأراضي الزراعية فقد كان الشيخ علي بن أحمد المعلم يضمن الأراضي الزراعية في مخلاف جعفر في العهد الأيوبي عهد طغتكين وابنه المعز ففي عهد طغتكين ضمن في إحدى المرات الأراضي الزراعية للمخلاف وهي من المصابيح إلي ضربة عمر بمبلغ خمسين ألف دينار[107] إلا أنه عجز عن سداد المبلغ فاضطر طغتكين إلي مصادرة أمواله[108].

وهكذا اتسع العمل بالضمان حتي شمل جميع موارد بيت المال من الأراضي الزراعية وأنواع البضائع التجارية، يوضح ذلك ابن المجاور بقوله: ((ولم يبق شيء يدور عليه اسم أوحرف إلا وقد رجع فيه الضمان ما خلا الماء والسمك))[109].وحتي السمك ضمن أيضاً.

ونتيجة لانتشار نظام الضمان والتقبيل في دويلات اليمن فمن المرجح أنهما غير محرمان والذي يمكن أن نفهمه أن (نظام الضمان) أو (نظام التقبل) اختص بما يؤديه الإنسان من عمل فقط، وهو أن يلتزم شخص ما أو يتعهد بإداء عمل مالي ما دون تحديد المبلغ المراد جبايته مسبقاً ثم القيام بتحصيله، إلا إذا كان من باب التقدير، لأن الضمان أو التعهد بأداء عمل ما يتناسب مع الشرع، بينما لا يتناسب معه أن يحدد الضامن أو المتعهد أو المتقبل المبلغ المراد تحصيله مسبقاً

---

(105) ابن حوقل: صورة الأرض، ص: 23 .

(106) ابن المجاور: صفة بلاد اليمن، ص: 89- 90، 243 .

(107) الجندى: السلوك، جـ1، ص: 370 .

(108) انظر المصادرات.

(109) ابن المجاور: نفس المصدر، ص: 148 .

ويتعهد بدفعه ثم يقوم بجبايته وذلك للتغير في مقدار جباية الأموال من سنة إلي أخري، ثم أن الضامن أو المتقبل قد يتحصل على مبالغ أكثر مما ضمن، وقد يظلم الناس في تحصيله للمال وهذا يخالف الشرع.

ثانياً: المصروفات :

كان لكل نوع من الموارد الإسلامية أوجه صرفها المحددة لها، فالصدقة أو الزكاة التي تؤخذ من المعادن وخمس الركاز، وأعشار الأراضي والثمار، وعشور الأموال التجارية من المسلمين الذي هو ربع العشر، فهي تصرف وفقاً لما حددته الآية القرآنية الكريمة: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَفِي سَبِيلِ اللهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللهِ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[110].

أما مصروفات الدولة المتعددة فهي تصرف من الفيء أو من الأموال الموظفة على الأراضي الزراعية (الخراج) وعشور التجارة من غير المسلمين والجزية والضرائب وغيره[111].

وقد تعددت أنواع مصروفات الدولة وأغراضها كما تنوعت أهدافها وأساليبها فشملت المصروفات مرتبات للموظفين والحكام والجند وغيرهم كما شملت بناء أنواع المرافق العامة والنواحي العسكرية والهدايا والصلات والمنح والمكافآت وغيرها.

فعن مرتبات الموظفين والحكام في اليمن لم توضح المصادر مقدارها والذي أشار إليه عمارة أنه كان يوجد نظام صرف الأرزاق بقوله:(وحكي لي عبيد بن بحر وغيره أن الهدايا التي يدفعها في كل سنة برسم حواشي السلطان من الجهات والأزمة ووصفان الخاص عشرون ألف دينار هدية وصلة خارجاً عن أرزاقهم المستقرة)[112] . مما يدل على صرف المرتبات للموظفين والحكام والجند وغيرهم.

وعن بناء المرافق الحيوية والمنشآت الدينية والتجارية، فقد اهتم الحكام بالإنفاق عليها[112]. ففي عهد الدولة الزيادية بنوا سوراً حول مدينة زبيد[113]. وقام بتجديده الحسين بن سلامة، ثم

---

(110) سورة التوبة، الآية رقم 60 .

(111) أمين صالح: المرجع السابق، ص: 59، 115 .

(112) عمارة: المفيد، ص: 227 . بناء المرافق + عن الرسالة.

(113) الخزرجي: المصدر السابق، ص: 97 .

جدد مرة أخرى في عهد الدولة النجاحية[114]، وفي عهد طغتكين الأيوبي أدار سوراً آخر خارج السور القديم وذلك بهدف إسكان الجند فيما بين السورين بأموالهم ودوابهم[115]، كذلك أدار بنو زريع سوراً حول مدينة عدن[116].

كذلك انشأت في عدن حمامات[117] وأسواق في عهد الدولة الزيادية أما في عهد الدولة الأيوبية أيام ولاية عثمان الزنجبيلي (571 - 579هـ/ 1176 - 1184م) فقد بني فيها قيسارية للتجار وأسواق ودكاكين كما بنى إسماعيل بن طغتكين (593- 598هـ/ 1197- 1202م) فيها قيسارية للعطارين جميعها دكاكين[118] كما بني في زبيد منذ نشأتها حمامات وأسواق[119].

واهتم الحكام بالإنفاق على بناء المؤسسات الدينية مثل بناء الجوامع والمدارس، فقد بنيت الجوامع في زبيد في عهد الدولة الزيادية، وجددت في عهد الحسين بن سلامة نهاية القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، كما جدد بنو نجاح مسجد زبيد وبنو مسجداً آخر، وأيضاً بنى بنو مهدي جامعاً في زبيد سمي بالمشهد، وفي العهد الأيوبي أمر توران شاه بخراب جامع ابن مهدي وأمر بتجديد جامع زبيد القديم[120].

ومن حيث بناء المدارس فقد بنى إسماعيل بن طغتكين في زبيد مدرستين، أحدهما للشافعية، والأخرى للحنفية[121]. وبالنسبة للطرقات فقد مهد الحسين بن سلامة الطريق من عدن إلي مكة عبر تهامة اليمن وذلك لتسهيل سير الحجاج والتجار[122].

المصروفات الحربية :

كما شملت المصروفات شراء الأسلحة للجند، من ذلك أن سعيداً الأحول بعد تمكنه

---

(114) ابن المجاور: المصدر السابق، ص: 73 .

(115) ابن المجاور: المصدر السابق، ص: 74 .

(116) ابن المجاور: المصدر السابق، ص: 128 .

(117) المقدسي: المصدر السابق، ص: 85 .

(118) ابن المجاور: المصدر السابق، ص: 130، اطلق عليها ابن المجاور قيصارية.

(119) المقدسي: المصدر السابق، ص: 84 .

(120) ابن الديبع: قرة العيون، ص: 385 - 386 .

(121) الخزرجي: العسجد، ص: 178، ابن الديبع: بغية المستفيد، ص: 71 .

(122) عمارة: تاريخ اليمن، ص: 71، بامخرمة: ثغر عدن، ص: 92 .

من قتل علي الصليحي سنة 459هـ/1066م وسيطرته على زبيد بعث إلي الحبشة لشراء عشرين ألف حربة[123]، والمقصود بالحربة هنا شراء جند يجيدون الرمي بالحراب مع سلاحهم الحراب.

وفي عهد الداعي سبأ بن أبي المسعود أنفق على محاربة ابن عمه علي بن أبي الغارات من أجل السيطرة على عدن ثلاثمائة ألف دينار، ثم أفلس فاقترض من تجار عدن ثلاثين ألف دينار قضاها عنه ابنه علي بن سبأ[124].

كما قام الداعي محمد بن سبأ حاكم عدن بشراء حصون الأمير منصور بن المفضل الحميري التي ورثها من الصليحيين بمبلغ مائة ألف دينار[125].

وشملت المصروفات أيضاً التصدق على المدارس والفقهاء المدرسين. من ذلك أن الوزير مَنّ الله الفاتكي النجاحي تصدق على مدارس الفقهاء الحنفية والشافعية بما أغناهم من الأراضي والمرافق والرباع[126] وهذا يعبر عن إنفاق الدولة على مشاريع التعليم.

كذلك وجدتْ مصروفات كثيرة مثل الصلة والمعونات والخلع والعطايا والهدايا فمن الأموال المصروفة كصلة لبعض الشخصيات منها صلة مستديمة سنوياً وهي ما كانت تصرفه السيدة أسماء بنت شهاب الصليحية لاخيها أسعد بن شهاب وهو مبلغ خمسين ألف دينار سنوياً[127] ومنها صلة مؤقتة وهي ما صرفته السيدة أسماء لعامل مالية زبيد أحمد بن سالم العاملي وذلك عندما رفع إليها خراج تهامة. رأها توزع أغلب المبلغ على وفود العرب. فاغتاظ أحمد العامل لهذا التصرف منها لتعبه في جمعه، فأمرت السيدة أسماء أخاها أسعد والي زبيد أن يصرف للعامل مبلغ عشرين ألف دينار صلة له[128].

ومن المعونات ما صرفته السيدة الحرة أروى الصليحية وهو مبلغ عشرين ألف دينار معونة لمسلم بن الزر عندما طلب معونتها إلا أنه رد المبلغ لأنه كان يحتاج إلي المعونة

---

(123) عمارة: المصدر السابق، ص: 203 . المصروفات الحربية + عن الرسالة.

(124) عمارة: المصدر الساتق، ص: 182 .

(125) عمارة: المصدر السابق، ص: 187 .

(126) عمارة: المصدر السابق، ص: 210 .

(127) الخزرجي. نفس المصدر، ص: 123 .

(128) عمارة: المفيد، ص: 134 - 135 .

العسكرية[129].

ومن الخلع التي منحها حكام اليمن لبعض الشخصيات خلعه الملك العزيز سيف الإسلام طغتكين للسلطان بشر بن حاتم اليامي عندما قدم إليه معلناً الولاء والطاعة، وهي عبارة عن خلعة الخليفة التي كانت للملك العزيز وسيفه وطوق ذهب وكز نضار وغير ذلك[130]. ومنها خلعة الملك المسعود لبني علي بن رسول عندما استقبلوه في منطقة الهَلّية في تهامة أثناء قدومه إلي اليمن سنة 613 هـ/1216م حيث خلع عليهم أنفس الخلع فأعطي الأمير الحسن بن علي بن رسول حصاناً وجواداً وألف دينار ذهب[131].

ومن العطايا التي كانت تمنح في اليمن عطايا محمد بن سبأ الزريعي عندما اشترى حصون وقلاع الصليحيين مدحه الشعراء فبسط يديه بالعطايا لهم فكان كل من رفع إليه قصيدة أعطاه حواله إلي خزائنه فبلغت جملة حوالاته بالعطايا لهم خمسة آلاف دينار[132].

ومنها العطايا الجليلة التي منحها الملك المسعود الأيوبي لعلم الدين سليمان بن موسي الحميري حينما وصل إليه إلي محطة (بُكُر) معلناً الطاعة له[133].

ومن الصدقات التي منحت في دويلات اليمن منها ما كان يتصدق به الوزير النجاحي سرور الفاتكي سنوياً على الفقهاء والقضاة المتصدرين في الحديث والنحو واللغة، وعلم الكلام بمبلغ يقدر بحوالي اثني عشر ألف دينار كل عام[134].

كذلك كانت الهدايا من أهم المصروفات في دويلات اليمن، ومن هذه الهدايا هدية علي بن محمد الصليحي للخليفة المستنصر بالله الفاطمي بمصر وهي هدية جليلة عبارة عن سبعين سيفاً قوائمها من العقيق[135]، وهناك هدايا سنوية منها هدايا الوزير النجاحي سرور الفاتكي التي كان يدفعها في كل سنة برسم حواشي السلطان من الجهات والأزقة ووصفان الخاصة وتقدر بحوالي

---

(129) عمارة: المصدر السابق، ص: 162 .

(130) ابن حاتم: السمط، ص: 30 .

(131) يحيى بن الحسين: غاية الأماني، حـ1، ص: 404 .

(132) عمارة: المفيد، ص: 188 .

(133) ابن عبدالمجيد: بهجة الزمن، ص: 84 . تحقيق حجازي.

(134) عمارة: المفيد، ص. 210، 227، ابن الديبع: قرة العيون، ص: 352- 353، 357.

(135) الخزرجي: العسجد، ص: 57، ابن الديبع: قرة العيون، ص. 45.

عشرين ألف دينار[136].

كذلك كان المحمول من الهدايا من أعمال تهامة إلي بيت الأمير النجاحي في كل سنة ستين ألف دينار، والمحمول إلي بيت الحرة علم وحواشيها وترائبها ومن يلوذ بها على وجه الهدايا مبلغ خمسة عشر آلاف دينار[137].

ومن ضمن الهدايا التي أرسلتها السيدة الحرة أروى إلي خليفة مصر مع كاتبها محمد الأزدي عندما رحل ابن نجيب الدولة إلي مصر، هدية قيمتها عبارة عن (زبدية قيمة الجوهر الذي فيها أربعون ألف دينار)[138] وهكذا كانت الهدايا أحد جوانب مصروفات الدولة.

ومن ضمن المصروفات الهامة الجوائز المتعددة التي كانت تمنح للشعراء المادحين للأمراء والسلاطين منها الآتي:

فالوزير النجاحي مفلح الفاتكي مدحه أبوالمعالي الشاعر بقصيدة فأعطاه خمسمائة دينار، كما مدح ابنه منصور فأعطاه ثلاثمائة دينار[139] ومدح لأمير غانم بن يحيى بن حمزة السليماني الشاعر المعروف بابن مكرماني البرعي فأثابه عليها ألف دينار[140].

ومدح ابن جديد المغربي السيدة الحرة (أروى بنت أحمد، والمفضل بن أبي البركات الحميري سنة 503 هـ/1109م، فكسب منهما أموالاً كثيرة، منها كسب عن قصيدة القاها عليه مبلغ ألف دينار، كذلك مدح المفضل بن أبي البركات الشاعر محمد بن زياد الماربي فأعطاه ألف دينار[141].

ومدح الداعي محمد بن سبأ الزريعي الشاعر المشهور أبو الفتوح بن قلابس بقصيدة مشهورة فأجازه عليها ألف دينار[142]، ومدحه الشاعر القاضي يحيى بن أبي يحيى فأجازه بخمسمائة

---

(136) عمارة: المفيد، ص: 227 .

(137) عمارة: المفيد، ص: 227- 228 .

(138) الخزرجي: العسجد، ص: 70، ابن الديبع: قرة العيون، ص: 277 .

(139) ابن الديبع: قرة العيون، ص: 354 .

(140) عمارة: المفيد، ص: 292- 293

(141) عمارة: المفيد، ص: 268 - 269 .

(142) ابن الديبع. قرة العيون، ص: 314 .

دينار وخلعة[143] كذلك مدح الأديب أبوبكـر العنـدي الداعـي عمـران الزريعـي بقصيـدة فأجـازه بقدح من فضة فيه ألف وسبعمائة دينار وخلعة، كما أطلق له عشور مركب بألفي دينار عن مدحه له بقصيدة مشهورة[144] وأيضاً مدحه القاضي يحيى بن أبي يحي بقصيدة فأجازه عليها بـألف دينـار، كما أجازه بألف دينار عـن قصيـدة أخـرى[145]. وهكـذا صرفـت مبـالغ كثـيرة كجوائـز للشـعراء لمدحهم الأمراء والسلاطين.

كما كانوا يصرفون مبالغ مقابل الحج فقد أمر الوزيـر النجـاحي الفـاتكي أن تجهـز الحـرة علم أم فاتك للحـج بمبلـغ ثلاثـين ألـف دينـار[146]، وقـد اسـتمرت في الإكثـار بـالحج حـتي سميـت الحجاجة.

وأيضاً كان أمراء الصليحيين يدفعون ألوف الدنانير كوفادة سنوية لمـن يرفـع إليهـم ماليـة زبيد وتهامة، ويبدو أن هذه الوفادة كانت مقابل حماية طلوع الأموال من تهامـة إلي صنعـاء. كمـا كانت السيدة الحرة أسماء بنت شهاب الصليحي تفرق في بعض الأحيان معظم إرتفاع زبيد وتهامـة على وفود العرب.[147].

كما كثرت مخصصات القصور في اليمن، فالسيدة الحرة أروى بنت أحمد كان مخصص لهـا سنوياً إرتفاع مالية عدن وهو مبلغ مائـة ألـف دينـار تصـرف معظمـه علـى قصرهـا مـن الحواشـي والجواري وغـيره[148]. وكـانت السـيدة علـم أم فـاتك النجـاحي تصـرف علـى قصرهـا لحواشـيها وجواريها مبلغ ستين ألف دينار سنوياً[149].

وهناك صرفيات أخري مثـل مكافـآت الجنـد[150]، ومصروفـات مطـابخ شـهر رمضـان في المهجم وشراء الحصون، والمصالحـات[151]. والهبـات، والهدايـا، والإتـاوة وغيرهـا، وهكـذا تنوعـت

---

(143) عمارة: المفيد، ص: 188 .

(144) ابن الديبع: قرة العيون، ص: 317 .

(145) الخزرجي: العسجد، ص: 91 .

(146) ابن الديبع: قرة العيون، ص: 354 .

(147) عمارة: المفيد، ص: 134، 206 .

(148) عمارة: نفس المصدر، ص: 137، 147 .

(149) ابن عبدالمجيد: بهجة الزمن، ص: 117 .

(150) عمارة: المفيد، ص: 133 .

(151) ابن الديبع ، قرة العيون، ص: 314 ، 357، 395 .

أشكال المصروفات في الدويلات اليمنية.

يتضح مما سبق عرضه عن النظام المالي أن المـوارد الماليـة الشـرعية كـان لهـا أوجـه صـرف محددة . وهى أموال لا تكفي لسد حاجات الدولة المتنوعـة. لذلـك عملـت الدويـلات المتعـددة في اليمن على فرض أموال إضافية على أنواع التجارة وبعـض الأراضـي الزراعيـة لمجابهـة مصروفـات الدولة المختلفة، مثل مرتبات للجند والموظفين وشراء اسلحة وبناء المرافق وغيرها مـن المصروفـات الأخرى .

الباب الثالث
الحيـــاة العلميـة والتعليميـة

الفصل الأول: التعليم.

الفصل الثاني: الحركة العلمية.

الفصل الثالث: المذاهب الإسلامية.

الفصل الأول

التعليـــــــــــم

تعددت مراحل التعليم ومراكزه ومدارسه في بلاد اليمن، كما تعددت مجالسه وطرق الدراسة ومواد وتمويل التدريس وانتهاء بمنح الاجازات، ونورد هنا التعليم بصورته التي كانت في الفترة المحددة للبحث فيها حسب ما أوردته المصادر.

أولا : المراحل التعليمية .

أخذ نظام التعليم باليمن ثلاث مراحل هي:مرحلة الكتاتيب(المعلامة). ومرحلة دراسة العلوم الدينية واللغوية، ومرحلة التفقه، أو المرحلة المتقدمة.

المرحلة الأولى :

الدراسة في الكتاتيب (المِعْلاَمَـة) ويـتركز الاهتمـام في هـذه المرحلـة علـى تعليـم الصبيـة القراءة والكتابة وتحفيظهم القرآن الكريم عن ظهـر الغيـب[1] وقـد يكلـف الصـبي بإعـادة قراءتـه وحفظه مرة أخرى أو أكـثر، وكـانت الكتـاتيب منتشـرة في القـرى والمـدن بحيـث يتيسـر لـلأولاد الالتحاق بأقربها إلى بيوتهم، حتى إذا ما أتموا هذه المرحلـة الـتي تختتـم باسـتكمال حفـظ القـرآن، انتقل من أراد أهله استمراره في التعليم إلى الالتحـاق بالمدرسـة أو المسـجد لتلقـي العلـوم الدينيـة واللغوية في القرى الكبيرة أو المدن.[2]

وقد يبدأ الالتحاق للدراسة في الكتاتيب في سن الخامسة أو قبل ذلك أو بعده، وعـادة مـا يكون أولاد المعلمين في هذه المرحلة هم الذين يدرسون في سن مبكرة .

وتعتمد فترة بقاء الصبي في الدراسة في هذه المرحلة على مـدى قدرتـه علـى حفـظ وختـم القرآن، وهي فترة يستطيع البعض إنهاءها في سنتين وقد تمتد إلى ثلاث أو أربع سنوات .

وتبدأ هذه المرحلة بتعليم القراءة والكتابة باستخدام الألواح الخشبية وحفـظ قصـار سـور القرآن، ثم التدرج إلى أن يتم الانتهاء من حفظ القرآن كله. فإذا ما ختم الصبي القرآن يكون قـد انتهى من هذه المرحلـة، ويقـام لـه احتفـال أو وليمـة بهـذه المناسبة حسـب حالـة ولي أمـره، فقـد

---

(1) الجندي : السلوك ، جـ 1، ص: 340 .

(2) ابن سمرة : طبقات فقهاء اليمن ، ص. 3 .

تكون مقصورة على زملائه فقط من الطلاب، وقد يدعى إليها الكثير من الناس.[3] وقد تقام وليمة صغيرة بعد حفظ كل جزء ثم وليمة كبيرة بعد حفظ القرآن كله.

المرحلة الثانية :

وهي الدراسة في المسجد أو المدرسة، وهي مرحلة التفقه في العلوم، ويدرس الطالب في هذه المرحلة العلوم الدينية واللغوية على أساتذة متفقهين في هذه العلوم .

وتبدأ الدراسة مبسطة بحيث يدرس الطالب مثلا (مختصر ابن عباد) في النحو، وهو ما كان يبدأ المبتدئون في قراءته[4]. كما يجب حفظ قواعد اللغة. ثم يتم التدرج إلى ما هو أكثر صعوبة وهكذا حتى يدرس الطالب العديد من كتب الفقه واللغة، وقد يعيد الطالب دراسة الكتاب أكثر من مرة. فمثلا إرتحل يحيى بن أبي الخير(489 ـ 558هـ) ـ (1095 ـ 1163م) إلى الامام زيد بن الحسن الفائشي(458 ـ 528هـ) ـ (1065 ـ 1157 م) في أحاظة، فأعاد عليه كتاب (المهذب)[5] كما درس عنده (التعليق) و(الملخص) و(غريب أبي عبيدة)[6] ، وتعتمد هذه المرحلة على الحفظ والفهم معا. وَيُعَدُّ الطالب الأكثر حفظا من الطلاب النجباء .

ويبدأ الطالب في هذه المرحلة بسماع قراءة الأستاذ لما يدرسه من الكتب، ثم يقرأ ما سمع إلى أن يحفظه. ومن أمثلة الحفاظ الشيخ سراج الدين أبو الحسن علي بن أبي حمير العرشاني (557هـ / 1162م) أحد الشيوخ المشهورين بالحفظ. قال عنه تلميذه الامام يحيى بن أبي الخير:(ما رأيت أحفظ من هذا الشيخ [يعني علي بن أبي بكر] في الحديث ولا أعرف منه، قيل له: ولا في العراق قال: ما سمعت)[7] . وحفظ يحيى بن أبي الخير كتابي(المهذب) و(اللمع) غيبا أخذهما عن الفقيه عبد الله بن أحمد الزبراني.[8]

وبالنسبة لطريقة اختيار المدرس الذي يدرس على يديه الطالب فأولياء التلاميذ هم الذين

---

(3) انظر أبو عبد الله الطيب بن عبد الله بن أحمد أبي مخرمة: تاريخ ثغر عدن، ص: 143 .

(4) الجندي: السلوك، جـ 1، ص: 287 ، يحيى بن الحسين: طبقات الزيدية، صورة من المخطوط لدى الباحث، ق: 29 ب .

(5) ابن سمرة: طبقات فقهاء اليمن ، ص: 175 .

(6) الاهدل: تحفة الزمن، ص: 238 .

(7) ابن سمرة : نفس المصدر، ص. 172 .

(8) الجندي. السلوك ، جـ1، ص: 340

يتفقوا مع من يرغبون من معلمي الصبيان، أن يتلقى أبناؤهم العلم على يديهم، وفي مرحلة التفقه قد يختار الطالب نفسه أستاذه، ولم يكن هناك إجبار على التقيد بأن يتعلم الأولاد القراءة والكتابة على معلم بذاته أو التفقه في كتاب بعينه، وكان الاقبال على من هم أكثر شهرة في العلم، وعلى سبيل المثال فقد دَرَسَ أو تفقه أحمد بن عبد الله بن أبي عمران(ت 526هـ/1131م) على يد كل من الامام زيد اليفاعي(ت بعد سنة 513هـ/ 1119م) والامام أبي بكر الحابي (ت 500هـ/1106م) والامام ابن عبدويه (ت525هـ/1131م)[9] وهم أشهر علماء اليمن آنذاك، وفي هذه المرحلة يرتحل الطالب في طلب العلم إلى أماكن كثيرة سواء داخل اليمن أو خارجها .

وفترة الدراسة اليومية في هذه المرحلة الثانية مثل المرحلة الأولى تبدأ منذ الصباح إلى أن تحين صلاة العصر، وقد يقوم بعض المدرسين بإعطاء الطلبة رياضة بدنية. فمثلا كان الفقيه أبو عبد الله محمد بن أحمد بن بطال الركبي المتوفى لبضع وثلاثين وستمائة يُدرس الطلبة إلى أن يفرغ من صلاة العصر، بعد ذلك يأمرهم بالخروج للاشتغال بالرياضة البدنية، فكانوا يتسابقون ويتعلمون الوثب إلى إصفرار الشمس قرب صلاة المغرب وبعدها ينصرفون إلى الوضوء لصلاة المغرب.[10]

وتنتهي الدراسات الفقهية واللغوية في كثير من الأحيان بنهاية هذه المرحلة، بحصول الطالب على الاجازة للعمل في القضاء لمن يجيد الفقه،أو في حقل التدريس لمن يجيد الفقه واللغة، أو الذهاب إلى الأعمال الكتابية لمن يجيد اللغة، وليست لهذه المرحلة سنوات محددة لإنهائها وإنما تنتهي هذه المرحلة بتمكن الطالب من حفظ الكتاب الذي يدرسه وفهمه وحصوله على الإجازة به.

المرحلة الثالثة:

وليس معنى ذلك انتهاء المراحل الدراسية لمن يريد الاستمرار في الدراسة، أما إلى جانب عمله، وإما متفرغاً لها .

ويستمر الطالب في هذه المرحلة الثالثة المتقدمة في مواصلة دراسة العلوم اللغوية والدينية حتى التفقه بها. وخلال هذه المرحلة يتجه الطالب إلى التدريب على المناظرات العلمية. وأهم ما تتميز به هذه المرحلة السعي للالتقاء بمشاهير العلماء والأخذ عنهم أينما كانوا، هذا إلى جانب المشاركة في المناظرات. فقد كان الفقيه أبو بكر ابن جعفر المحابي (ت 500هـ/ 1106م) يرحل كل

---

(9) ابن سمرة: طبقات فقهاء اليمن، ص: 170، سيأتي الحديث عن الرحلة الخارجية والداخلية فيما بعد .

(10) بامخرمة : ثغر عدن ، ص: 231 .

سنة إلى زبيد لمناظرة فقهائها.[11]

وفي هـذه المرحلـة تظهـر الشـروح والاختصـارات، والتهميشـات وشـروح الشـروح، والتعليقات على الكتب، أو بعض المسائل، كما تظهر المؤلفات، فمن شروح المختصـرات (شرح مختصـر المزنـي) تصنيـف أبـو الفتـح يحيى بـن ملامـس (ت. بعـد سـنة 420هــ / 1029م) ومـن المختصرات(مختصر في النحو يعرف بالمفتاح) تأليف أبو بكر بن الفقيه أبي عبد اللـه محمد بن عبد اللـه بن إبراهيم اليافعي الجندي (490 ـ 552 هـ) ـ (1096 ـ 1157م)[12] .

ومن المؤلفات كتاب (الكافي) في علم المواريث للصردفي، وكتـاب(القـاضي) في المذهـب الحنفي للقاضي محمد بن أبي عوف[13] وكتـاب(المجمـوع) للإمـام جعفـر المحـابي[14] (ت.460هـ / 1067م) وكتاب (البيان) للعمراني [15] (ت. 558هـ / 1162م) وتظهـر في هـذه المرحلـة التأليفية مدى القدرة على الابتكارات والتجديدات والاضافات .

ويطلق على العلماء في هذه المرحلة الألقاب المختلفـة مثـل الامـام والشـيخ الحـافظ، وقـد يضاف إليها ألقاب أخرى مثل سراج الدين[16]. وجمال الدين شمس الشـريعة. أو سـيف السـنة، أو إمام الأئمة[17] وغير ذلك. وهؤلاء هم الذين يتصدون للفتوى، ورئاسة علماء العلوم مثل رئاسة أو إمامة الحديث، أو الفقه، أو اللغة ، أو النحو، وهكذا .

وقد يبلغ من شهرة البعض أن يبعث إليهم بعض الحكام يستدعونهم إلى بلادهم للتدريـس بها. ومن أمثلة ذلك طلب وإلى الجند في مطلع القرن الخامس الهجري من الامام الزاهد جعفـر بـن عبد اللـه المحابي، أن ينتقل إليه من الظُرَافة إلى الجند للقيام بعملية التدريس بهـا فاسـتجاب لـه[18].

---

(11) الجندي: السلوك ، جـ 1، ص: 282 .

(12) الجندي : نفس المصدر، ص: 266 ، 354 .

(13) الجندي: نفس المصدر ، ص: 282 ـ 284 .

(14) الاهدل : تحفة الزمن ، ص: 191 .

(15) ابن سمرة : طبقات فقهاء اليمن ، ص: 177 .

(16) الجندي : السلوك، جـ 1 ، ص: 447 ، الاهدل : تحفة الزمن ، ص: 267 .

(17) ابن سمرة : نفس المصدر ، ص: 87 ، 179 ، 190 .

(18) ابن سمرة : طبقات فقهاء اليمن، ص: 94، الظُرَافة: قرية شرق قرية سهفنة، الجندي: السلوك، حـ1، ص: 270، ابن سمرة : نفس المصدر ، ص: 320

وكذلك كان مشايخ بني عمران الذين سكنوا مصنعة (سَيْر) سنة (556هـ/1160م) وانقطعوا بها لتدريس العلوم، حتى أصبحت (سَيْر)بوجودهم موئلا لطلبة العلم. وعندما صار القضاء الأكبر لبني عمران انشغلوا به عن التدريس، مما دفعهم إلى طلب الفقهاء للتدريس لأولادهم ومن جاء للدراسة إليهم. فمن استدعوا من الفقهاء: الفقيه عبد الله بن أحمد الزبراني، والفقيه أبو الحسن بن راشد، والفقيه منصور بن محمد بن منصور الأصبحي وغيرهم .

كذلك طلب الشيخ يحيى بن إسحاق العياني السكسكي من الفقيه إبراهيم بن حديق الذي اشتهر بجودة الفقه،أن ينتقل إلى(جَبَأ)ليُدَرِسَ ابنه أبا بكر ومن يحضر إلى(جَبَأ)للدراسة بها.[19]

وأيضا عندما بنى الشيخ أبو الحسن على بن إبراهيم بن أبي الأمان مدرسة بذي جبلة سنة (558هـ/1062م) استدعى إليها للتدريس الفقيه محمد بن عيسى بن سالم الميتمي المولود سنة (522هـ / 1128م)[20].

كذلك كان العلماء أنفسهم ينتقلون من بلدة إلى أخرى للتدريس أو طلبا للأمان. فمثلا كان الفقيه يحيى بن أبي الخير (ت. 558هـ/ 1062م) يدرس في (سَيْر) ولما حصل بين أهلها الحروب انتقل منها إلى ذي السفال، فمكث بها يدرس مدة ثم انتقل إلى ذي أشْرق فمكث بها أكثر من سبع سنين يدرس[21]. ولما هجم علي بن مهدي على الجند سنة(557هـ/1061م) وقتل الكثير من أهلها.خاف الامام يحيى منه فانتقل إلى ذي السفال وبها مات سنة(558هـ/1062م)[22].

وكذلك الفقيه محمد بن عبد الله البريهي السكسكي الملقب بسيف السنة (ت. 586هـ/ 1190م) كان يسكن مدينة إب ويدرس بها ثم درس بذي جبلة، ثم انتقل إلى الجند ومكث يدرس بها[23]، وقد انتقل إلى الجند الكثير من طلاب اليمن للتفقه على يده . وعلى ذلك كانت مراحل التعليم في اليمن. ومن الملاحظ في ذلك عدم وجود فترة محددة للتعليم في جميع المراحل التعليمية.

---

(19) الجندي : السلوك، جـ1، ص: 340، 447، 539، 540، جَبَأ: مدينة قديمة غربي جبل صبر وجنوبي تعز، ابن سمرة: نفس المصدر، ص: 310، المقحفي: معجم البلدان، والقبائل اليمنية، ص: 105، وجَبَأ مدينة كورة المَعافِر وهي لآل الكِرَنْدِي من حِمير، مراصد الاطلاع جـ1، ص: 308، (سَيْر) بلدة من ناحية السبرة قرب الجند، ابن سمرة : نفس المصدر، ص: 318 .

(20) الجندي : السلوك ، جـ1 ، ص: 392 - 393 .

(21) ابن سمرة: طبقات فقهاء اليمن، ص: 179، الجندي : السلوك، جـ1، ص: 342 .

(22) ابن سمرة : نفس المصدر ، ص: 179 .

(23) الجندي : السلوك، ص: 367 ، وقيل مات سيف السنة سنة 585 هـ نفس المصدر .

ثانيا : مراكز التعليم .

يعتبر المسجد مركزا من أهم مراكز التعليم في الاسلام وقد استخدم المسجد في اليمن كما في غيرها من بلدان العالم الاسلامي لتعليم القرآن والدين الاسلامي. ذلك أن فكرة تخصيص أماكن للتدريس خارج المسجد لم تظهر إلا في فترات متأخرة. لذلك ظلت المساجد في اليمن تستخدم أماكن للتدريس بالإضافة إلى الكتاتيب حتى بداية العصر الأيوبي، حيث أنشئت ـ إلى جانب المسجد والكتاتيب وبيوت الأثرياء والعلماء ـ المدارس للقيام بدور بارز في العملية التعليمية كمركز من مراكز التعليم، أما فكرة استخدام المنزل في التدريس فتعود إلى فترة شيخوخة المدرسين الذين فضلوا أن يظل عطاؤهم العلمي مستمرا فاستخدموا بيوتهم أماكن للتدريس.[24]

1 ـ المساجد : ففيما يتعلق بالمساجد فقد احتلت الدرجة الأولى، كونها جعلت مراكز للتدريس منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم. حيث استمر العلماء بعده يستخدمون المساجد كأماكن للتعليم في كافة أرجاء الدولة الإسلامية وكانت حلقات العلم تعقد في أركان المسجد، وتختص كل حلقة بتدريس أحد العلوم الاسلامية الفقهية واللغوية، وبالنسبة لليمن فقد كان الطلاب يدرسون في المساجد الكبيرة مثل جامع الجند وجامع الأشاعر بزبيد والجامع الكبير بصنعاء وغيرها، وذلك في مرحلة دراسة العلوم ومرحلة التفقه. أما المرحلة الأولى وهي مرحلة الكتاتيب فقد كان التعليم لهذه المرحلة في جميع المساجد الصغيرة في القرى والمدن. ومثال لذلك أقام الفقيه أبو عبدالله بن مضمون يَدْرُس في جامع إب لمدة سبع سنين [24م].

2 ـ البيوت:

كما كان للبيوت دور مهم في تدريس العلوم الدينية واللغوية وغيرها فقد كان بعض العلماء يستخدمون بيوتهم للتدريس، كما كان الأغنياء يرتبون من يتولى التدريس لابنائهم في بيوتهم وخاصة في مراحل التعليم الأولى، ويرجع سبب استخدام العلماء البيوت للتدريس إلى مرحلة شيخوخة الفقهاء، فكان الامام زيد بن عبد الله اليفاعي المعافري ممن قام بالتدريس في بيته في الجند وذلك بعد عودته من مكة سنة (512هـ / 1118م) وهي فترة شيخوخته[25] وكذلك قام

---

(24) ابن سمرة: طبقات فقهاء اليمن ، ص: 120 .

(24م) الجندي: السلوك، 459/1.

(25) ابن سمرة: طبقات، ص: 120، الجندي : السلوك، جـ1،ص: 309، الاهدل: تحفة الزمن، ص: 213 .

الفقيه أسعد بن محمد (ت. 576هـ/1180م) بالتدريس في منزله المسمى أرووس بالصلو[26] كما درس في منزله بدلال في بعدان الفقيه منصور بن علي بن عبد الله بن إسماعيل الذي ولد سنة 529هـ [27] / 1134 م بذلك الشكل استخدمت البيوت للتدريس في اليمن .

3 - المدارس : والذي يبدو أن تطور نظام أماكن التدريس من المسجد إلى إيجاد أماكن خاصة بها وهي المدرسة، هو نظام استحدثه الأيوبيون ونفذوه في المناطق الواقعة تحت حكمهم لتدريس ونشر المذهب السني ونقلوا ذلك عن السلاجقة، فقد كان التعلم القائم في المسجد يعتمد في أغلبه على المجهود الذاتي لرجالات الدين، أما عند بناء المدارس فقد اعتمد التعليم على توجيه من رجالات الدولة، سواء أكانوا رجال دين أم علم أم سياسة. لذلك اتجهت الدولة إلى بناء المدارس والاشراف عليها وتوحيد انتماء المجتمع إلى مذهب واحد أو مذاهب متقاربة ليس بينها صراع سياسي، لذلك ظهرت مدارس في هذه الفترة أنشأتها الدولة، مثل مدرسة الميلين بزبيد والمدرسة السيفية بتعز اللتين بنيتا في العهد الأيوبي.

والواقع أن حاجة الدولة إلى من يقوم بأعمالها الإدارية والكتابية والقضائية والتدريس وغيرها هي التي دعت إلى إيجاد المدارس المنظمة للتعليم، والإنفاق عليها من قبل الدولة. وذلك لعدم مقدرة المجهود الذاتي للأفراد القيام بتلبية حاجات الدولة من تلك الأعمال.

ثالثاً : مجالس التعليم . في مرحلة الدراسة في المسجد وجدت عدة تسميات لمجالس التدريس، منها ما سمي (حلقة علم) أو(مجلس سماع) أو مجلس تدريس) وهي تأخذ في مجموعها شكل دائري حول الأستاذ المكمل للدائرة . وهناك فرق بين هذه المجالس من حيث نوعية العلم الذي يدرس بها، وعدد الطلاب وغيره . وسنتكلم بإيجاز عن كل واحد منها وشيوخها فيما يلي :

حلقة العلم : هي عبارة عن جلسة علمية يجلس فيها الفقهاء للمناقشة في الأمور العلمية والدينية أو استذكارها، ففي اجتماع الفقهاء في الجند كان الفقيه أسعد بن أبي بكر الجعدي، يحضر حلقة الامام زيد بن عبد الله اليفاعي المتوفى بعد (سنة 513هـ/ 1119م)[28] وربما تدار في هذه الحلقة الفتوى فيحضرها عامة الناس والطلبة .

---

(26) ابن سمرة : طبقات، ص: 226 . الجندي : السلوك، ص: 445 . (27) ابن سمرة : طبقات ، ص: 214

(28) ابن سمرة : طبقات فقهاء اليمن. ص: 173، الجندي: السلوك حـ1، ص: 381، 308، الاهدل: تحفة الزمن، ص 278، عبد الرحمن عبد الواحد محمد: الحياة العلمية في اليمن في القرن الثالث والرابع للهجرة ، رسالة دكتوراه . جامعة الأزهر، ص: 106، 111 - 113 .

مجلس التعلم : وهي عملية التدريس نفسها، فعندما يذهب الطلاب للدراسة في المسجد كانوا يجلسون على الأرض أمام الاستاذ الذي يجلس على كرسي مرتفع، أو يجلس على الأرض متكئا بظهره على جدار المسجد بجانب المنبر أو متكئا على المنبر نفسه[29] ، أو على أحد الأعمدة، أما الطلاب فيجلسون حوله، ويتسع عدد طلاب هذا المجلس حتى يبلغ الخمسين طالباً، وقد يبلغ الثلاثمائة. وممن كان لهم مجالس تدريس على سبيل المثال الفقيه محمد بن سالم بن إسحاق الأصبحي المولود سنة 495هـ / 1101م كان له مجلس تدريس في قرية المُلْحَمَة في بَعْدَان، وقد لزم مجلس التدريس بعد شيخه الفقيه يحيى بن عمران[30] . ثم حل محله في مجلس التدريس هذا بعد وفاته أخوه عبد الله بن سالم المولود سنة 505/[31] 1111م .

كذلك كان للفقيه إبراهيم بن محمد بن زكريا المتوفى سنة 609هـ/1212م مجلس تدريس في زبيد ثم خلفه في مجلس التدريس تلميذه الفقيه موسى بن عجيل .[32]

مجلس السماع : وفيه يجلس الطلبة أمام الأستاذ كجلسة التدريس نفسها وغالبا ما تختص تسمية مجلس السماع على مجلس سماع الحديث. وممن عقدوا هذا المجلس شيخ المحدثين الفقيه الحافظ علي بن أبي بكر بن حمير العرشاني (ت. 557هـ ـ 1161م) الذي كان له مجلس سماع في شرح (صحيح البخاري) في إب عقده في جمادي الاخرة سنة 548هـ/[33] 1153م وقد روى عنه جماعة من المشايخ منهم يحيى بن أبي الخير، ولما انتقل إلى ذي أشرق حضر مجلس سماع الحديث هذا الفقيه أسعد بن يعفر بن سالم العريقي (ت. 567هـ / 1171م) كما حضر مجلس السماع فيها الفقيه محمد بن مفلح الحضرمي[34] .

---

(29) الجندي : السلوك جـ1 ، ص: 304 ومثلا على جلسة الطلاب حول الأستاذ، عندما كان الفقيه أبو بكر الحابي يأتي من الظرافة إلى ذي أشرق كان يرى الفقيه مقبل بن محمد ابن زهير المتوفى سنة 579هـ / 1183م وحوله أصحابه يقرؤون عليه . ابن سمرة : طبقات ، ص: 115 .

(30) ابن سمرة : طبقات فقهاء اليمن، ص: 213 ـ 214 ، الجندي : السلوك ، جـ1 ، ص: 391 .

(31) ابن سمرة : نفس المصدر ، ص: 193 .

(32) الجندي : السلوك ، جـ1 ، ص: 474 .

(33) ابن سمرة: نفس المصدر، ص: 171، عبد الرحمن عبد الواحد: المرجع السابق ص: 115 ـ 117 .

(34) الجندي : نفس المصدر ، ص: 395 ، 420 .

ومن عقدوا هذا المجلس أيضا الفقيه أحمد بن محمد بن عبد الله البريهي السكسكي(ت. 585هـ/ 1189م) الذي ارتحل إلى مكة فسمع(صحيح مسلم) ثم رجع إلى إب فعقد بها مجلس سماع (صحيح مسلم) ثم نزل إلى الجند وعقد بها مجلس السماع[35] وممن حضر له مجلس السماع في الجند الفقيه أبو عبد الله محمد بن أحمد بن علقمة الجماعي[36]. وهكذا كان المقصود بمجلس السماع أي سماع الحديث.

وليست هناك مدة محددة للدراسة في هذه المجالس فقد تطول أو تقصر حسب نوعية الكتب الدراسية وحجمها، فقد يدرس الطالب كتابا واحداً وقد يدرس عدة كتب، وقد يستمر في حضور تلك المجالس إلى أن يكتفي. فقد لزم الفقيه أبو الحسن بن أبي بكر ابن أبي اختيار المولود سنة (501هـ/ 1107م) مجلس الطويري سبع سنين[37] .

وكذلك لزم الفقيه أبو عبد الله محمد بن مضمون بن الفقيه عمر بن محمد الذي ولد سنة(559 هـ /1163م) مجلس سيف السنة أحمد البريهي فترة تقدر بإحدى عشرة سنة، أقام منها في جامع إِب مدة سبع سنين[38] ولزم الفقيه عمر بن سمرة مجلس القاضي محمد بن زيد بن عبد الله بن حسان قريبا من ثلاث سنوات[39] .

بالإضافة إلى تلك المجالس هناك مجالس أخرى تسمى مجالس المذاكرة وتختص بمذاكرة الفقه أو ذكر الله تعالى[40] وهذه المجالس عادة ما تعقد بعد صلاة المغرب إلى صلاة العشاء وقد تستمر إلى ما بعد صلاة العشاء[41] . وهكذا كانت مجالس التعليم .

رابعاً : طرق التدريس .

كانت أهم الطرق التعليمية المستخدمة في اليمن هي السماع، والقراءة ، والحفظ،

---

(35) ابن سمرة : نفس المصدر ، ص: 190 .
(36) الاهدل : تحفة الزمن ، ص: 305 .
(37) بامخرمة : ثغر عدن ، ص: 82 .
(38) الجندي : السلوك ، جـ 1، ص: 459 .
(39) ابن سمرة : طبقات فقهاء اليمن ، ص: 233 .
(40) ابن سمرة : نفس المصدر ، ص: 151 .
(41) ابن رسته : الاعلاق النفسية ، ص: 113 .

والكتابة ، والإملاء، والمناظرة وهي الطرق نفسها المستخدمة في العالم الإسلامي كله، وسنتكلم بإيجاز أيضا على كل طريقة على حدة .

1 ـ طريقة السماع :

وهي أول طريقة من الطرق التعليمية سواء أكانت طريقة السماع في مرحلة الكتاتيب (المِعْلاَمَة) أو مرحلة المسجد أو المدرسة. فكان الطالب في مرحلة الكتاتيب يسمع نطق الحروف والكلمات، ثم يعيد نطقها كما سمعها من الأستاذ ثم يحفظها، واستمر السماع أسلوبا من أساليب التدريس في مرحلة القراءة بالمسجد والمدرسة، فقد كان الطالب أول ما يحضر مجلس التدريس يبدأ بسماع قراءة الكتاب من أستاذه سواء كانت كتب فقه أو حديث أو لغة وكانوا كثيراً ما يهتمون بأن يسمع الطالب قراءة الأستاذ للكتاب، وإن كان الطالب يعرف القراءة، لأن بداية تصحيح نطق الكلمات هي قراءة الأستاذ للكتاب على الطالب ثم سماعه منه [42] .

ثم أصبحت كلمة (السماع) بعد ذلك مصطلحا يطلق غالبا على من يسمع الحديث ويقرأه، فمثلا: ارتحل الفقيه سيف السنة أحمد بن محمد البريهي إلى مكة فسمع بها صحيح مسلم سنة 580هـ/ [43] 1184م ومن يمنح إجازة في السماع يعني منح إجازة في الحديث [44]. وعلى ذلك فعندما ترد كلمة سمع على فلان تعني درس الحديث، وتفقه على فلان، أي درس الفقه، فمثلا تفقه القاسم الجمحي بالشيخ عبد الله بن علي من آل زرقان، وسمع من عبد العزيز بن يحيى المعافري[45] فهذا يعني أنه درس الفقه والحديث .

2 ـ طريقة القراءة:

بعد السماع تبدأ الطريقة الثانية في التعليم بإعادة الطالب قراءة ما سمعه من أستاذه، ويقوم الأستاذ بمراقبة سلامة نطق الطالب للكلمات. فإذا أخطأ يصحح له الكلمات التي أخطأ في نطقها. وهذا الأسلوب يُعَوِد الطالب على سلامة النطق. وقد يأمر الأستاذ الطالب بإعادة قراءة الكتاب المرة بعد المرة حتى يستطيع الطالب قراءته كاملا بطريقة سليمة[46]. مع فهمه على أن

---

(42) ابن سمرة : طبقات فقهاء اليمن، ص: 154 .

(43) ابن سمرة : نفس المصدر ، ص: 190 .

(44) الجندي : السلوك، جـ 1 ، ص: 368 .

(45) ابن سمرة : نفس المصدر ، ص. 89 .

(46) ابن سمرة: طبقات فقهاء اليمن، ص: 154، الاهدل: تحفة الزمن، ص: 228، 247 ـ 248 ، إسماعيل الأكوع: المدارس الإسلامية في اليمن ، ص: 11 .

كلمة قراءة إذا أتت غير مقرونة باسم أي كتاب أو العلم الـذي يقـرؤه الطـالب فهـي تعني قـراءة القرآن، ومن يمنح إجازة في القراءة يعني منح إجازة في قراءة القرآن. أما من درس الفقه فيذكرون اسم من قرأ أو درس عليه .

3 ـ طريقة الحفظ :

أما الطريقة الثالثة وهي طريقة الحفظ فهي تبدأ مند السنة الأولى لدخـول الطـالب مرحلـة الكتاتيب(المِعْلاَمة) ثم يستمر الحفظ في مرحلة القراءة في المسجد والمدرسة. وتعتبر عملية الحفـظ وخاصة للقرآن الكريم والأحاديث من أهم عمليات التحصيل العلمـي عنـد المسـلمين. وقـد تمتـد عملية الحفظ إلى كتب الفقه وكتب اللغة، وقد بالغ كثير من الناس بالحفظ آنذاك، فكانوا يحفظون إلى جانب القرآن وآلآف الأحاديث كتبا فقهية وكتبا لغوية ونحوية بكاملها [47]. وكان الفقيه الذي يحفظ كثيراً يسمونه الشيخ الحافظ. فمثلا كان الشيخ سراج الدين أبو الحسن علـي بـن أبـي بكـر العرشاني (ت. 557هـ/1161م) مشهوراً بالحفظ، وقد قال عنه تلميذه الامام يحيى بن أبـي الخير: (ما رأيت أحفظ من هذا الشيخ... في الحديث ولا أعرف منه . قيل لـه : ولا في العـراق، قـال مـا سمعت)[48] وهكذا كان أغلب الطلاب في تلك الفترة يحفظون الكثير من الكتب .

4 ـ طريقة الكتابة والاملاء :

أما الكتابة فهي النقل مـن الكتـب أو الامـلاء وتعـد مـن أهـم طـرق التعليـم، ومـن أهـم متطلبات الدراسة، ويبدأ الطالب بتعلم الكتابة منذ مرحلة الكتاتيب، ثم يستمر في ممارسـة الكتابـة بشكل أوسع في مرحلة الدراسة في المسجد والمدرسة. وكانوا غالبا ما يقومـون بنقـل الكتـب الـتي يدرسونها من أساتذتهم. ويقوم الأسـتاذ بمطابقـة النسـخة الـتي نقلهـا الطـالب بنسـخته لأن النقـل الحرفي لكتاب الأستاذ شرط مهم من شـروط الدراسـة في تلـك الفـترة. وبعدهـا يقـوم الطـالب أو الأستاذ بوضع شروح للكتاب، أو تعليقات، أو تهميشات، أو مختصرات، كما كـان الأسـتاذ يملـي كتابه على الطلاب بعد الفراغ مـن تدريسـه أو في أثنائهـا[49]. وإذا كـانت بالكتـاب الـذي درسـه الطالب تعليقات أو غيرها ينقـل الكتـاب بتعليقاتـه موضحـا صـاحب الكتـاب وصـاحب التعليـق،

---

(47) ابن سمرة: نفس المصدر، ص: 103، 122 ، الجندي : السلوك، جـ1 ، ص: 240 .

(48) ابن سمرة: نفس المصدر، ص: 172، اليافعي: مرأة الجناة وعبرة اليقظان جـ3 ، ص: 314 .

(49) الجندي : السلوك ، جـ 1 ، ص: 474 .

والأستاذ الذي درس عليه الكتاب. وتسمى عملية الكتابة استنساخ، ويسمون الكتاب نسخة. وقد يكتب الأستاذ على الكتاب الذي نقله الطالب ودرسه عليه (إجازة) للطالب بهذا الكتاب، بعد أن يكون قد تفقه فيه.[50]

5 - طريقة المناظرة :

الطريقة الخامسة هي المناظرة وهي تعد من أهم طرق التفقه، وهي عادة ما تُتّبَعْ في المرحلة الأخيرة من عملية التفقه العلمي. وعادة ما كانت المناظرة تجرى بين علماء وفقهاء، أو بين فقهاء كبار وفقهاء جدد، أو بين أصحاب مذهب ومذهب آخر، أو غير ذلك. ومن أمثلة المناظرة في اليمن ما يأتي :

في مجال الفقهاء أصحاب مذهب واحد، كان الامام الفقيه زيد اليافعي يناظره الكثير من جُلّة الفقهاء، المشتغلين بالتدريس[51] .

وفي مجال المناظرة بين أصحاب مذهبين سنيين، كان الفقيه الامام أبو بكر بن الامام المحابي، يرحل إلى زبيد كل عام يناظر فيها فقهاء الحنيفة وعلى رأسهم يومئذ القاضي محمد بن أبي عوف[52] .

وفي مجال المناظرة في العقيدة فيما بين مذهبين أحدهما المذهب الشافعي، والآخر المذهب الزيدي، هي محاولة القاضي الزيدي جعفر بن عبد السلام النزول إلى اليمن الأسفل لمناظرة أهل السنة في العقائد[53] وهكذا كانت طرق التدريس آنذاك.

خامساً : وظائف التدريس .

اتبع الفقهاء المدرسون نظاما وظيفيا في سلك التدريس فأوجدوا عدة درجات ومراتب وظيفية تنظم علاقتهم مع بعضهم البعض. وتنظم سلطة كل واحد منهم وظيفيا في المدرسة، وشملت هذه الدرجات الوظيفية كل مراكز التعليم في اليمن. ومن هذه المراتب والدرجات الوظيفية.(رتبة معيد) و(مرتبة فقيه مدرس) و (مرتبة فقيه رئيس تدريس) وقد يضم إلى رئاسة التدريس رئاسة الفتوى أو رئاسة علم أو رئاسة فقه .

---

(50) الجندي: السلوك حـ1 ، ص 368 ، بامخرمة : ثغر عدن ، ص· 231

(51) ابن سمرة · طبقات فقهاء اليمن ، ص· 175 .

(52) الجندي . السلوك ، جـ 1، ص 282

(53) الجندي : نفس المصدر، ص· 399 المناظرة . اصطلاحا هي النظر بالبصيرة في الجانبين في النسبة بين الشيئين اظهار للصواب ، أبو الحسن الجرجاني: التعريفات ، ص: 127 .

مرتبة المعيد: والمقصود بها إعادة الدرس وقد عرفها القلقشندي بقوله:(المعيد وهو ثاني رتبة المدرس فيما تقدم وأصل موضوعه أنه إذا ألقى المدرس الدرس وانصرف أعاد للطلبة ما ألقاه المدرس إليهم ليفهموه ويحسنوه)[54]. وقد ظهرت هذه الوظيفة مع ظهور المدارس النظامية في العالم الإسلامي خلال القرن الخامس الهجري، وانتقلت إلى اليمن مع ظهور هذه المدارس النظامية باليمن في العهد الأيوبي وما بعده [55] .

مرتبة فقيه مدرس : وتحتل المرتبة التالية بعد رئاسة التدريس ويتولى شاغلها تدريس العلوم الدينية واللغوية. وانتشر وجود هذه المرتبة في جميع مراكز التدريس في اليمن. ويتولى هذه الوظيفة من بلغ درجة عالية في العلوم الدينية واللغوية. وهي من أهم مراتب التدريس، وفي هذه المرتبة قد يتخصص الفقيه المدرس بتدريس علم واحد فيسمى باسم العلم الذي يدرسه. مثل محدث لمن يدرس الحديث [56]. ومقرئ لمن يقرئ القرآن[57] وقد يجمع بين تدريس عدد من العلوم مثل الفقه والحديث واللغة معا[58] .

ويطلق على الفقيه إذا كان غزير العلم إماما في العلم الذي يجيده وقد يتولى رئاسة هذا العلم فمن تولى رئاسة الفقه من الفقهاء الفقيه إسحاق العشاري المعافري (ت. 460هـ/1067م) انتهت إليه رئاسة الفقه في بلده المعافر [59]. وفي القراءات تولي أبو الخطاب عمر بن أحمد بن أسعد الذي عرف بالحذاء وسكن(جَبَأ) رئاسة القراءات في اليمن أجمع . وفي اللغة كان كل من الحسن بن عباد(480هـ/1087م) وابن أخيه إبراهيم بن محمد بن عباد(480هـ/1087م) إمامي النحاة في

---

(54) القلقشندي : صبح الأعشى ، جـ 5 ، ص: 464 .

(55) الجندي : السلوك، جـ1 ، ص: 506، وظيفة معلم الكتاتيب (المِعْلاَمة) لم تدخل ضمن وظائف التدريس وذلك استناداً لتعريف كلمة مدرس .

(56) ابن سمرة : طبقات، ص: 283، القلقشندي: صبح الأعشى، جـ5، ص: 464، المحدث:(المراد به من يتعاطى حديث النبي صلى ا لله عليه وسلم بطريقة الرواية والدراية، والعلم بأسماء الرجال وطرق الأحاديث والمعرفة بالأسانيد ونحو ذلك) القلقشندي : نفس المصدر والصفحة .

(57) الجندي : السلوك، حـ1 ، ص. 453 ، القلقشندي: نفس المصدر والصفحة، المقرئ:(وهو الذي يقرئ القرآن العظيم، وقد غلب احتصاصه في العرف على مشائخ القراءة من قراء السبعة المجيدين لتعليم القراءة) القلقشندي: نفس المصدر والصفحة .

(58) الجندي · السلوك ، ص: 291 - 292 . (59) الجندي نفس المصدر ، ص. 272 .

اليمن في عصرهما . وفي الحديث كان أبو الوليد عبد الملك بن أبي ميسرة اليافعي(ت. 473هـ/ 1080م)[60] والحافظ علي بن أبي بكر بن أحمد العرشاني إمامين في الحديث[61] وفي عدة علوم كان أبو محمد الحسن بن محمد بن أبي عقامة إماما في عدد من العلوم[62] .

مرتبة رئاسة تدريس :

وجدت هذه المرتبة الوظيفية في كثير من المراكز الدراسية في اليمن، وهي أرفع المراتب الوظيفية في التدريس، وكان غالبا ما يضم إلى هذه الوظيفة رئاسة الفتوى. وممن تولى هذه الوظيفة الفقيه عبد الله بن عبد الرزاق بن حسن ابن أزهر (ت. 528هـ/1133م) تولى رئاسة التدريس والفتوى بذي أشرق. والفقيه أبو محمد عبد الله بن أبي القاسم بن حسن الذي عرف بابن الأبار والذي تفقه بابن عبدويه، تولى رئاسة التدريس والفتوى بزبيد، واشتهر بها فكان مجلسه للتدريس مزدحما بالطلبة[63]. والفقيه محمد بن سالم بن زبير الأصبحي البعداني(495 ـ 597هـ)(1101 ـ 1200م) تولى رئاسة التدريس والفتوى في المَلْحَمة في بعَدَان. وتولى رئاسة تدريس ورئاسة فقه في ذي السُّفَال الفقيه أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عمران بن علقمة (534 / 616هـ) (1139/1219م)[64] وهكذا نجد رئاسة التدريس اقترنت برئاسات أخرى. ووجدت في أماكن كثيرة في اليمن .

سادسا : مواد التدريس .

تميز العصر الذي ندرسه بأنه عصر الاهتمام بالعلوم الدينية واللغوية من فقه وأصول فقه وحديث ومواريث وتفسير وقراءات ومعاني القرآن، ومن نحو وصرف ولغة وأدب وشعر وغيره. أما بقية العلوم الأخرى من فلك وطب وهندسة وغيرها فقد كان الاهتمام بها قليلا .

وكانت أهم الكتب الدراسية التي كانت تدرس في اليمن خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين كالآتي:

أولا: أهم الكتب التي كانت تدرس لمؤلفين غير يمنيين.

---

(60) الاهدل: تحفة الزمن ، ص: 94، 194، 351 .

(61) ابن سمرة: طبقات فقهاء اليمن، ص: 171 .

(62) الجندي : السلوك ، جـ 1، ص: 291 - 292 .

(63) الجندي. السلوك ، جـ1 ، ص: 319 - 320 ، 377 ، الاهدل : تحفة الزمن، ص: 220 ، 274 .

(64) الجندي: السلوك ، جـ 1 ، ص: 391 ، 404 .

ففي اللغة: كان كتاب (سيبويه)[65] و(مختصر العين) للخوالي[66]، و(الجمل) في النحو للزجاج[67] ، و(غريب الحديث) لأبي عبيدة[68]، و(كافي الصفار) في النحو للصفار[69] .

وفي الفقه: كان يدرس كتاب (المزني)[70] وشروحه ومختصره .

وفي أصول الفقه: رسالة الشافعي[71] ومصنفات القاضي أبي الطيب[72] وهو كتاب (شرح المولدات) وكتاب(العدة) وكتاب(الافصاح) لأبي علي الطبري[73] وكتاب ابن القطان[74] وكتاب للمحاملي[75] الموسوم (بالمجمع)[76] .

وفي الفروع: كان يدرس كتاب (الفروع) لسليم بن أيوب الرازي[77] كذلك كان يدرس

---

(65) سيبويه : عمر بن عثمان (ت. 180هـ/796) وقيل توفي في غير ذلك كان أعلم المتقدمين والمتأخرين بالنحو(ابن خلكان: وفيات الأعيان جـ3، ص: 413، الزركلي: الاعلام جـ5، ص: 81 .

(66) الخوالي: عبد الله بن سعيد الخوالي(ت. 480/ 1087م) كاتب فرضي حاسب له نظم. الزركلي: الاعلام، جـ4، ص: 90 .

(67) الزجاج:هو أبو الحسين بن صالح بن محمد بن العباس الزجاج(ت. قبل الأربع مائة) ابن سمرة،ص:131.

(68) ابن عبيدة: معمر بن المثنى التيمي النحوي(ت. 209/ 824م) من أئمة العلم والأدب واللغة قال عنه الجاحظ: لم يكن في الأرض أعلم بجميع العلوم منه. انظر: ابن خلكان: وفيات الأعيان، جـ 5، ص: 235 ـ 243، الزركلي: الاعلام ، جـ7 ، ص: 272 .

(69) الصفار: هو أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي المتوفى سنة 337 هـ أو سنة 338هـ ، ويعرف بالصفار، ابن سمرة : طبقات ، ص: 90 .

(70) المزني:هو الإمام أبو إبراهيم إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل المزني(ت. 264هـ).ابن سمرة:طبقات، ص:82.

(71) الشافعي: هو صاحب المذهب الامام محمد بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب ابن عبد المطلب، ابن سمرة ، ص: 134 .

(72) أبو الطيب الطبري: هو الطاهر بن عبد الله بن طاهر الطبري (ت. 450هـ) . ابن سمرة،ص: 127 - 128.

(73) أبو علي الطبري : هو القاضي حسين بن علي الطبري (ت 495 هـ) .

(74) ابن القطان: هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن شاكر المعروف بابن القطان المصري(ت. 407هـ) ابن سمرة، ص: 118 .

(75) المحاملي: هو أبو الحسن أحمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن القاسم الضبي المعروف بالمحاملي (ت. 415هـ) ابن سمرة. ص 103 .

(76) ابن سمرة : طبقات فقهاء اليمن ، ص: 118 .

(77) الرازي: هو الامام أبو الفتح سليم بن أيوب بن سليم الرازي، ابن سمرة، : 118 هامش (7) .

(المهذب) في فروع الفقه الشافعي للشيرازي (ت. 476 [78]/1083م) والذي وصل إلى اليمن في أواخر القرن الخامس الهجري[79] . كما كان يدرس في اليمن الكتب الأخرى للشيرازي مثل (التنبيه) و(اللمع) و(النكت في الخلاف) و(التبصرة) و(المعونة) ويدرس (الشامل) للصباغ[80]، وأيضا يدرس (الابانة) و(شرح التلخيص) لأبي علي السنجي (ت 403هـ/[81] 1012م) ويدرس كذلك، كتاب (المعتمد في الخلاف) للبندنيجي (ت. 495هـ[82]/ 1101م) كما كان يدرس في فقه الشافعي كتاب(الشريعة) للأجري[83] والأجري شافعي المذهب حنبلي العقيدة وهو ـ أي الكتاب هو ـ السبب الذي جعل أهل الجبال في اليمن حنابلة في العقيدة[84] .

وفي التفسير : يدرس ناسخ القرآن ومنسوخه ومعانيه للصفار[85] .

أما الحديث: فكان يدرس (صحيح مسلم) و(موطأ مالك) و(صحيح البخاري) و(سنن أبي داود) و(جامع معمر) و(جامع أبي قرة)[86] .

وعلى كل فإن أغلب الكتب التي كانت تدرس في كل من بغداد ومكة والمدينة ومصر والشام وفارس تدرس أيضاً باليمن، وذلك يعود إلى جلب تلك المصنفات إلى اليمن بواسطة اليمنيين الذين كانوا يذهبون إلى تلك الأمصار، أو العلماء القادمين منها إلى اليمن. كما كانت معظم تلك المصنفات يتم اقتناؤها بمعرفة الحجيج حيث تروج سوق الكتب كغيرها من السلع الأخرى، وهناك الكثير من الكتب الأخرى التي كانت تدرس في اليمن.

---

(78) الشيرازي:هو الامام أبو اسحاق الشيرازي المتوفى سنة(476هـ/1083م). ابن سمرة، ص:118 هامش(8).

(79) ابن سمرة : طبقات فقهاء اليمن ، ص: 118 .

(80) الصباغ: هو أبو نصر عبد السيد بن محمد بن عبد الواحد المعروف بابن الصباغ (ت 477هـ) ابن سمرة ص: 151 هامش (5) .

(81) السنجي: هو أبو علي الحسن بن شعيب بن محمد السنجي(ت. 403هـ/1012م) ابن سمرة، ص: 176 هامش (2) .

(82) البندنيجي : هو أبو نصر محمد بن هبة الله البندنيجي (ت. 495هـ/1101م). ابن سمرة، ص: 143 .

(83) الأجري : هو أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الأجري(ت. 360هـ/ 970م) ابن سمرة، ص 101 هامش(4) .

(84) ابن سمرة : نفس المصدر ، ص: 176 ، 120 .

(85) ابن سمرة : طبقات فقهاء اليمن ، ص: 90، الجندي : السلوك ، جـ 1 ، ص: 319 .

(86) ابن سمرة : نفس المصدر ، ص: 74، 171، 181، 190 .

ثانيا: أهم الكتب التي كانت تدرس في اليمن لمؤلفين ، يمنيين فهي:

في اللغة: كان يدرس (النظام) في اللغة لعيسى الربعي[87]. و(قيد الاوابد) لابراهيم الربعي.[88]

وفي الفقه وأصوله: كان يدرس(شرح مختصر المزني) لابن ملامس[89]، وكتاب (القاضي) لمحمد بن عوف [90] و(الجامع في الخلاف) لجعفر المحابي و(البيان) للعمراني.[91]

وفي الفرائض: كان يدرس(الكافي في الفرائض)للصردفي[92] و(كافي المبتدي) لمحمد بن سراقة[93].

سابعاً : الانفاق على التعليم :

وكان الانفاق على التعليم يعتمد على مصادر متعددة ، فكان المسجد ـ بالإضافة إلى كونه مكانا للعبادة ـ مكانا يعقد به مجلس القضاء أو حلقات التدريس وغيرها، وبالتالي كان الصرف على التعليم بالمسجد في إطار ما يصرف على المسجد منه، فقد كان هناك وقف مخصص للصرف على التعليم، وكان بعض الأغنياء يقومون بالصرف على القائمين بالتدريس في بعض المساجد أو الكتاتيب، كما كان الطلاب يدفعون للمدرسين قدرا معينا طبقا لحالة أهالي الطلاب المالية. ولذلك كان بعض المعلمين يرفضون التدريس لغير ذي سعة. فقد كان الامام أبو بكر بن جعفر بن عبد الرحيم المحابي المتوفى (500هـ/1111م) والذي سكن الجَنَد لا يدرس إلا لمن يستطيع أن ينفق على نفسه من الطلبة .

وقد كان يدقق في كيفية قبول الطلبة. فكان(متى وصله طالب سأله عن حسبه ونسبه فإن وجده ذا أصل لائق أقرأه وأمره بالاجتهاد، وإن لم يكن ذا أصل صرفه عن الطلب ولم يقرئه)[94] .

لذلك اقتصر طلابه على ذوي اليسار، وكانت حلقة درسه تتراوح ما بين الخمسين والستين طالبا. وقد علل صاحب تحفة الزمن تصرف الإمام المحابي بهذا الشكل يرجع إلى أنه نظر

---

(87) ابن سمرة : نفس المصدر ، ص: 156، الجندي: السلوك، جـ 1، ص: 329 .

(88) ابن سمرة : نفس المصدر ، ص: 157 .

(89) الجندي : السلوك . جـ1 ، ص: 266 .

(90) ابن سمرة: نفس المصدر، ص: 103، الجندي: السلوك، جـ1 ، ص: 282 ـ 283 .

(91) ابن سمرة . نفس المصدر، ص: 103، 178 ـ 179 .

(92) ابن سمرة . نفس المصدر. ص: 107 . الجندي: السلوك . جـ1 ، ص: 294

(93) ابن سمرة . نفس المصدر. ص: 107 .

(94) الجندي : السلوك ، جـ1 ، ص 283

إلى قول الحكيم برزجمهر القائل:(لا تعلموا أولاد السفلة العلوم فإنهم متى علموها طلبوا معالي الأمور، وإذا نالوها ولعوا بمذلة الأحرار)[95] .

والواقع أن هذا الأمر يتنافى مع قواعد الاسلام التي تحث على العلم، والحث على طلبه ولو في الصين، ولكن يبدو أن الدافع على قيام الفقيه بهذا الأمر وصرفه غير القادرين ماديا عن العلم، إنما يرجع إلى عدم مقدرة الفقيه ذاته الانفاق على الطالب كونه من غير ذوي اليسار، والدليل على ذلك أنه كان يصحب الملوك والسلاطين من أهل السنة ويقبل جوائزهم وممن صحبهم الأمير جياش بن نجاح، والحسين بن المغيرة التبعي، وأحمد بن عبد الله الكِرَنْدي.[96]

وبصفة عامة فقد كان العلماء يرون أن من واجبهم القيام بالتدريس لأنه علامة من علامات نشر الدين وأحد المهام الدينية التي كانت واجبة على العلماء قبل غيرهم، لذلك كان الفقهاء في كثير من الأحيان يُدَرِّسُون دون مقابل. ومن هؤلاء الامام زيد بن عبد الله ابن جعفر اليافعي المعافري، وكان رجلا ذا مال ويسار. وأصله من المعافر سكن الجند ودَرَّسَ بهاوكان يتولى الانفاق على الطلبة وكسوتهم من ماله الخاص، لذلك كثر عدد طلابه حتى بلغ عدد حلقة درسه ما بين المائتين والثلاثمائة طالب[97]. فكان هذا الفقيه على عكس أبي جعفر المحابي، لأن الشيخ زيد رحمه الله كان يعمل بالحديث الشريف القائل (يأتيكم أقوام من أقطار الأرض يطلبون العلم فاستوصوا بهم خيرا)[98] . لذلك لم يبخل الامام زيد بما له وعلمه فنشر التعليم والدين لدى كثير من طلاب اليمن. ونتيجة لسعة ماله كان متنزها عن صحبة الملوك والسلاطين ولا يقبل جوائزهم[99] كأبي جعفر المحابي.

وهناك الكثير ممن قام بالتدريس وأنفق على الطلبة المنقطعين للدراسة منهم : الفقيه محمد بن عبدويه الذي سكن جزيرة كمران منذ عام 490 هـ/ 1096م، فقد كان يدرس الطلبة القادمين إليه وينفق عليهم، فقدم إليه الكثير من طلاب اليمن من تِهَامة، والجند، وذي أَشْرق، وعدن، وأبْيَن ، ولحج، وحضرموت وغيرها.[100]

---

(95) الاهدل : تحفة الزمن ، ص: 208 .

(96) ابن سمرة : طبقات فقهاء اليمن ، ص: 104 ـ 105 .

(97) ابن سمرة : نفس المصدر ، ص: 120 ـ 121 .

(98) الاهدل : تحفة الزمن، ص. 208، نص الحديث عند ابن ماجه في المقدمة وعند الترمذي في باب العلم .

(99) الجندي : السلوك، ص: 309 ، الاهدل: تحفة الزمن، ص: 213 .

(100) ابن سمرة : طبقات فقهاء اليمن، ص: 145 ـ 149، الجندي: السلوك، ص: 322 ـ 324 .

ومنهم بنو عمران الذين سكنوا (سَيْر) فقد كانوا يقومون بكفاية الطلبة وكسوتهم والذين كانوا يبلغون حوالي المائة دارس[101]. ومنهم الفقيه أبو عبد الله محمد بن أحمد ابن بطال الركبي المتوفى سنة 630هـ/ 1232م والذي سكن الدُّملُوة .[102]

والفقيه أبو بكر بن الشيخ يحيى بن إسحاق العياني السكسكي الذي سكن(جَبَأ) والذي كان عدد طلابه يبلغون أيضا حوالي مائة طالب. والفقيه أبو عبد الله بن محمد بن علي القلعي (ت. 630هـ/1232م) الذي سكن مِرْبَاط بحضرموت.[103]

كذلك اهتم بعض الحكام بالإنفاق على الطلاب، وقد يكون الدافع لهم هو العمل على نشر مذهب من المذاهب. فكان السلطان أسعد بن وائل(ت. 515هـ/1121م) حاكم أُحَاظَة وابنه عبد الله(ت. 539هـ/ [104] 1144م) من أولئك الذين قاموا بالإنفاق على الطلاب بهدف نشر المذهب الشافعي وتدريسه، والعمل على إغراء الفقهاء وجذبهم للتدريس في بلاده. فقد أقطع السلطان عبد الله المذكور الفقيه عيسى بن إبراهيم الربعي أرضا تسمى أرض (الموجا) كي يستقر عنده في أُحَاظَة، كما أعطاه خمسمائة دينار فاستقر الفقيه في بلاد السلطان[105]. وقد أورد عنه ابن سمرة قوله :(وكان هذا السلطان هو وآباؤه ساعين في الخير بعيدين عن الإبتداع، يؤثرون مذهب السنة وعمارة المساجد، ومحبة العلماء والقراء والعباد، ويعظمون السلف الصالح، ويتبركون بذكرهم، ويقتدون بأقوالهم وأفعالهم).[106]

كذلك كان بنو نجاح يصرفون مكافآت للفقهاء المدرسين منهم الوزير مَنَّ الله الفاتكي الذي قال عنه عمارة:(وهو الذي تصدق على مدارس الفقهاء الحنفية والشافعية بما أغناهم عمن سواهم من الأراضي والمرافق والرباع)[107] وهكذا نجد الكثير ممن ساهموا في تعليم ونشر المذاهب السنية .

---

(101) الجندي : السلوك ، جـ 1، ص: 497 .

(102) بامخرمة : ثغر عدن ، ص: 232 .

(103) الجندي : السلوك ، جـ ، ص: 447، 526 .

(104) ابن سمرة : طبقات فقهاء اليمن ، ص: 158 .

(105) الجندي : السلوك ، جـ1، ص: 332 .

(106) ابن سمرة : نفس المصدر ، ص: 158

(107) عمارة : المفيد ، ص. 210

وفي ظل الأيوبيين تطور التعليم في اليمن تطوراً كبيرا نتيجة للإهتمام الكبير بالتعليم فقد أصبح الإنفاق على التعليم في معظمه، على نفقة الدولة وخاصة في المدن. فقد جعلوا التعليم أحد المهام الأساسية للدولة، فعملوا على بناء مدارس نظامية خاصة بالتعليم تحتوى على مساكن للطلبة ومساكن للمدرسين، وجعلوا كل مدرسة مخصصة أساس للتدريس طبقا لأحد المذاهب السنية، وخاصة المذهب الشافعي والمذهب الحنفي، وعينوا على كل مدرسة ناظراً خاصا بها من أهل المذهب نفسه. كما التزمت الدولة بالإنفاق على المدرسين. فكانت كل مدرسة تبنى يحدد لها أوقافا معينة، فمثلا أوقف الملك المعز إسماعيل الأيوبي وادي الضباب جنوب غرب تعز على المدرسة السيفية بتعز(108). كما أوقف على مدرسة الميلين في زبيد أوقافا جيدة(109).

وهكذا أصبح الإشراف على التعليم والإنفاق عليه من قبل الدولة في العهد الأيوبي. وربما يعود هذا العمل إلى اهتمام الدولة بتحديد المذاهب التي ترغب هي في تدريسها للطلاب ليخرجوا حكاماً وقضاة وفقاً لمذهب الدولة نفسها. ولعدم مقدرة العلماء والناس الانفاق على التعليم.

ثامنا : الاجازات .

كان أكبر اهتمام المسلمين في الفترة الإسلامية هو تحصيل العلوم والتفقه بها. ولا يطلبون لذلك شهادات. وشهادة الفقيه أو العالم هو علمه الذي يعبر عنه بلسانه، أو فكره، أو قلمه، وكانوا إذا أرادوا أن يعرفوا علم الشخص، يناقشه العلماء المشهورون ويناظرونه في العلوم فإذا رواه عارفا بالعلوم قد سبر غورها، شهدوا له بأنه عالم. ومجرد شهادة العلماء المشهود لهم بالعلم لأي عالم بالعلم والمعرفة، تعتبر أقوى الشهادات وعلى موجب هذه الشهادة يستطيع بعدها الفقيه التوظف في القضاء، أو التدريس.

من ذلك أن الفقيه أبا الطيب طاهر بن الامام يحيى بن أبي الخير (ناظر الفقيه الحنفي محمد بن أبي بكر المدحدح، بين يدي عبد النبي بن علي بن مهدي مرارا، فقطعه واستظهر عليه) فولاه ابن مهدي قضاء ذي جبلة وأعمالها.(110)

ومع ذلك فقد وجدت شهادات علمية أو إجازات تبرهن بالدرجة الأولى أن الطالب

---

(108) الخزرجي : العسجد، ص: 171، بامخرمة: ثغر عدن، ص: 136، عن بناء المدارس في العهد الأيوبي انظر فصل العمارة .

(109) ابن الديبع : قرة العيون ، ص: 403، إسماعيل الأكوع: المدارس الإسلامية في اليمن، ص: 24 .

(110) ابن سمرة : طبقات فقهاء اليمن، ص: 186 - 188 .

درس على أحد الفقهاء المشهورين، كما أنها تعبر عن الأستاذ الذي درس عنده الطالب، ومقدار شهرته كما تعبر عن الكتاب الذي درسه الطالب وشهرة هذا الكتاب، أو ما يحوى هذا الكتاب من علم، وكذلك تعبر عن نوعية الدراسة، أهي قراءة أم سماع، أو تفقه أو غيره وتسمى الاجازة في الفقه(إجازة) فقط. والاجازة في الحديث تسمى مسموعات[111]، وعلى ذلك يوجد هناك العديد من الإجازات منها إجازة سماع ، إجازة بكتاب ، إجازة بمؤلفات عالم وإجازاته ، إجازة عامة، وسنتكلم بإيجاز عن كل واحد من هذه الإجازات على حده :

إجازة سماع : كان غالبا ما يطلق كلمة (إجازة سماع) على الاجازة في كتب الحديث، فعندما ينتهي الطالب من سماع كتب الحديث وقراءتها على أستاذه يمنحه الاستاذ إجازة في الكتاب الذي أسمعه إياه. ومن أمثلة من منح هذه الإجازة السماعية، سيف السنة أحمد بن محمد البريهي (ت.586هـ/1190م) الذي ذهب إلى مكة وسمع عن الهروي كتاب(صحيح مسلم) في الحديث. بعدها منحه الهروي إجازة سماع أورد لنا الجندي نصها بقوله:(فقال في كتاب السماع في اللفظ ما مثله:(سمع على الشيخ الامام السيد الفقيه الزاهد العابد سيف السنة أبو العباس أحمد بن محمد وأرخ ذلك أنه كان سنة إحدى وثمانين في شهر المحرم [112]) بعد الخمسمائة .

وتحصل كل من الفقيه أسعد بن الفقيه الهيثم وولداه زيد وعمر من الفقيه خيري ابن يحيى (ت. 498هـ/1104م) على إجازة أوردها لنا الجندي في كتابه نقلا عن جزء من كتاب البخاري كتب عليه خطيا قوله:(وجدت ذلك بخطه إجازة لهم وصورة ما وجدت بجزء البخاري ما مثاله: (سمع على هذا الجزء من صحيح البخاري الشيخ الفقيه أسعد بن الهيثم وولداه زيد وعمرو)[113] .

وكانت إجازة السماع تكتب على نسخ الكتب التي يدرس بها الطالب. فمثلا لذلك يذكر الجندي في كتابة السلوك قوله أن:(مالك بن جرير وولده إبراهيم حضرا سماع أبي قره على ابن ميسرة بمسجد الجند سنة ست وتسعين وأربعمائة ونسخته للكتاب صارت إليّ وعليها سماع جمع من الفقهاء)[114] .

---

(111) انظر ، الجندي : السلوك ، جـ 1، ص: 368 ـ 369 .

(112) الجندي السلوك ، جـ 1 ، ص: 368 .

(113) الجندي : المصدر السابق .

(114) الجندي. السلوك: جـ1. ص: 288. ومن ضمن إجازة السماع، قرأ القاضي جعفر ابن عبد السلام على القاضي أحمد بن الحسن الكني ومن جملة ما قرأ كتاب(الزيادات) فمنحه إجازة سماع بهذا =

إجازة في كتاب : وتمنح هذه الإجازة لمن درس الكتاب المجاز به وهي تدل على أنه تفقه بكتاب فلان، وهذا الكتاب المجاز به له شهرته ومكانته لدى العلماء، وكذلك الأستاذ الذي تولى تدريسه. ومن خلال هذه الإجازة يستطيع العلماء الآخرون أن يقيموا الطالب علميا من خلال الكتاب والأستاذ الذي منح الطالب الإجازة. ومن أمثلة من منح إجازة في كتاب. الشيخ أبو السعود بن خيران المولود سنة (518هـ/1124م) الذي درس على الامام يحيى بن أبي الخير الفقه والقراءات، فأجازه في كتاب(الملخص) في الجدل لابن عبدويه.(115)

وعادة ما تكتب الإجازة على الكتب التي درسها الطالب فمن هؤلاء على سبيل المثال أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن بطال الركبي قال عنه الجندي: رأيت إجازته وتاريخها سنة (601هـ/(116) 1204م) .

إجازة عالم وإجازاته: كذلك تمنح إجازة عالم في كتبه والكتب التي درسها وسمعها وأجيز بها. وكانت كذلك تكتب هذه الإجازة على أحد الكتب، من ذلك ما أورده الجندي عن إجازة سيف السنة أحمد البريهي وأولاده بقوله:(ووجدت بالكتاب أيضا ما مثاله إجازة من الشيخ عبد الله بن عمر بن أحمد بن الحسين بن إبراهيم الوراق، فقال فيها أيضا ما مثاله استخرت الله العلي العظيم وأجزت الشيخ الامام الأجل السيد الفقيه ناصر السنة أبي العباس أحمد بن محمد ولأولاده الكرام يحيى وعيسى وإسماعيل ومحمد وعلي أن يرووا عني مسموعاتي وإجازاتي وأرخ كون ذلك في ذي الحجة سنة ثمانين وخمسمائة)(117). الموافق 1184م .

كما حصل على إجازة من هذا النوع القاسم بن أحمد الشاكري من الفقيه سليمان ابن محمد بن أحمد الشاوري:(في جميع مسموعاته ومسموعات من أجاز له)(118) .

إجازة عامة : وكانت تمنح من فقيه لآخر إجازة عامة بكتبه وإجازاته في جميع العلوم التي أخذها

= الكتاب:(كتب الكني ما لفظه:(سمع هذا الكتاب من أوله إلى آخره القاضي شمس الدين جمال الاسلام والعلم جعفر بن أحمد بن أبي يحيى اليماني إدام الله عونه، حتى يقرئه قراءة من كان واقفا على معانيه دقيقة وجليلة إلى كتاب السيرة والباقي مقراتي له وقرأ غيرنا إلا الفرائض فإنه ما سمع مني لأني أيضا ما سنعتها على شيخي). إبراهيم بن القاسم الشهاري: طبقات الزيدية الكبرى، ص: 32 .

(115) ابن سمرة : طبقات فقهاء اليمن ، ص: 192 .

(116) بامخرمة : ثغر عدن ، ص: 231 .

(117) الجندي : السلوك ، جـ 1، ص: 368 .

(118) يحيى بن الحسين : طبقات الزيدية ، ق: 179.

وممن حصلوا على هذه الإجازة العامة، الفقيه بهاء الدين محمد بن يوسف الجندي الذي تحصل على إجازة عامة من الفقيه أبي محمد عبد الله بن علي العرشاني المولود سنة (595 هـ/1198م)[119].

وقد تمنح الإجازة الفقهية من شيوخ البلدان سواء كانت الإجازة لتدريس مؤلفاتهم أو تدريس الكتب التي أجيزوا فيها. من ذلك أن الفقيه طاهر بن يحيى بن أبي الخير العمراني، عندما سكن مكة بأهله بعد هروبه من ابن مهدي من اليمن(وصلته الإجازات من الشيوخ في البلدان)[120] .

وكانت الإجازات تمنح من الفقيه إلى جميع تلاميذه، بعد تدريسهم كتابه، إلا الذين يخالفونهم في الإجابة على المسائل الفقهية، من ذلك أن الفقيه سيف السنة أحمد بن محمد البريهي : (أجاز أصحابه كلهم) عدا الفقيه الذي خالفه.[121] وهذا يدل على أن الفقيه المدرس يقوم بإجراء اختبار شفوي لطلابه في الكتاب أو الكتب التي درسهم إياها ثم يمنحهم الأجازة بها.

من كل ذلك يتضح لنا أن الإجازة تعني السماح للمجاز له بتدريس الكتاب أو الكتب المجاز بها. أي القيام بعملية التدريس في الكتب المجاز بها.

مما سبق يتضح لنا أن التعليم في اليمن كان الدعامة الأساسية لمعرفة التعاليم الإسلامية والمحافظة عليها. ونشر المذاهب الدينية. كما كان الدعامة الأساسية للسلطة السياسية لدويلات اليمن في إيجاد مجموعة من القضاة والإداريين والكتبة والحكام وغيرهم يتولون حل مشكلات الدولة والمجتمع. كما ساهم التعليم في محافظة المجتمع على حرفه المتنوعة والتي شملت كافة متطلبات الحياة ومجالاتها.

---

(119) الجندي : السلوك ، جـ1، ص: 425 .

(120) الجندي : نفس المصدر ، ص: 389 .

(121) ابن سمرة : طبقات فقهاء اليمن ، ص: 191 .

الفصل الثاني

الحركـــة العلميـــة

كان للحركة العلمية في اليمن نهضة ومؤثرات ثقافية مختلفة ومراكزها المتعددة، كما كان لها خصائصها العديدة، بالاضافة الى النشاط التأليفي الديني واللغوي والتاريخي والجغرافي وأيضاً اشتملت على الحركة الأدبية. نوضح ذلك وفقاً لما جاءت به المصادر عن العصر المحدد للبحث بالأتي:

أولاً: المؤثرات الثقافيـــة:

لاشك أن اليمن تأثرت كغيرها من البلدان التي دخلها الاسلام بحركة الفكر الاسلامي السائدة في قلب العالم الاسلامي مغربه ومشرقه، مثل مكة، والمدينة، والشام، ومصر، والعراق، وخراسان، وكرمان وغيرها. وكانت كل من مكة والمدينة هما المعبر الذي سلكته تلك المؤثرات حيث يلتقي اليمنيون بغيرهم من مسلمي البلدان الأخرى أثناء موسم الحج حيث يتوافد الفقهاء من كافة بلاد الإسلام لاداء فريضة الحج. يقول ابن سمرة (وأكثر ما تفقه أهل اليمن في صدر الاسلام وما بعده الى وقت ظهور تصانيف الشافعية بفقهاء مكة والمدينة)[1].

وتأثرت اليمن مذهبياً بالمذاهب المختلفة التي ظهرت في العالم الإسلامي، فكان أقدم المذاهب التي تأثرت بها اليمن، هو مذهب الإمام مالك الذي كان يدرس بها كتابه (الموطأ) ثم مذهب الإمام أبي حنيفة الذي كان مذهبه أكثر انتشاراً في القرون الثلاثة الأولى للهجرة[2]. وظل المذهبان المالكي والحنفي منتشرين في اليمن حتى القرن السابع الهجري[3]، أما المذهب الشافعي فقد أخذ في الانتشار في اليمن إبتداء من القرن الرابع الهجري[4]، وسوف نتحدث عن المذاهب تفصيلاً في الفصل التالي.

كذلك تأثرت اليمن بالمذهب الاباضي الذي ابتدأ يظهر من حضرموت ثم صنعاء منذ سنة

---

(1) ابن سمرة: طبقات فقهاء اليمن، ص:55.

(2) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص:96، الأجري: هو ابوبكر محمد بن الحسين الآجري البغدادي المتوفى سنة 360هـ، ابن سمرة، ص:65.

(3) ابن سمرة: نفس المصدر، ص:74

(4) ابن سمرة: نفس المصدر، ص:74، 80، د. محمد عبدالعال: الأيوبيون في اليمن، ص:25.

127هـ، عندما ثار طالب الحق عبدالله بن يحيى بن أباض الكندي ضد الأمويين[5]. وقد ظل مذهب الاباضية في هضبة شمال غرب صنعاء حتى القرن الخامس الهجري[6]. أما حضرموت فقد ظل بها حتى آخر القرن السادس الهجري[7].

كما تأثرت اليمن بمذهب الباطنية أو الإسماعيلية بقدوم ابن حوشب الكوفي وظهور علي بن الفضل في نهاية القرن الثالث الهجري[8]. وقد بلغ هذا المذهب أوج قوته أيام الدولة الصليحية في القرن الخامس الهجري، واستطاع أن يحكم اليمن سياسياً قرابة قرن من الزمن، ثم انتهى أمام كل من المذهب الشافعي في اليمن الأسفل والمذهب الزيدي في اليمن الأعلى.

وتأثرت اليمن بالمذهب الزيدي بدخول الأئمة الزيدية ابتداء من سنة 280هـ/ 893م عندما قدم إليها الإمام الهادي الى الحق يحيى بن الحسين[9]، كما تأثرت بدخول العديد من فقهاء الزيدية القادمين من خراسان مثل القاضي زيد البيهقي[10]. ومن جهة أخرى تأثرت الزيدية بمذهب الاعتزال باعتبار أن أغلب الزيدية هم تلاميذ المعتزلة أو بواسطة دخول كتب المعتزلة الى اليمن في القرن السادس الهجري بواسطة القاضي الزيدي جعفر بن عبدالسلام (ت. 573هـ/ 1177م)[11].

على إن أهم مذهب تأثر به اليمن هو مذهب الإمام الشافعي ابتداء من دخوله في القرن الثالث الهجري وظهوره بها في القرن الرابع[12]. وانتشر بعد ذلك انتشاراً واسعاً في أنحاء اليمن، وذلك لدراسة اليمنيين على تلاميذ الشافعي وتلاميذ تلاميذه في كل من مكة والمدينة وغيرهما، أو بقدوم الكثير من الشافعية الى اليمن مثل الفقيه المراغي الذي سكن سهفنة[13]، والفقيه ابن عبدويه

---

(5) ابن الاثير: الكامل في التاريخ، جـ5، ص:373، يحيى بن الحسين: غاية الاماني، جـ1، :124 - 125.

(6) مسلم اللحجي: شيء من اخبار الزيدية، صورة للمخطوط لدى الباحث، ق5، 20.

(7) يحيى بن الحسين: غاية الأماني، جـ1، ص:125، باوزير: معالم تاريخ الجزيرة العربية، ص:272.

(8) القاضي النعمان: رسالة افتتاح الدعوة، دار الثقافة، بيروت، ط1، 1970م، ص:32 - 47.

(9) الهمداني: الاكليل، جـ1، ص:329، د. أمين صالح: تاريخ اليمن الإسلامي، ص:149.

(10) يحيى بن الحسين: طبقات الزيدية، ق59، د. أيمن فؤاد سيد: تاريخ المذاهب الدينية في اليمن، ص:265.

(11) يحيى بن الحسين: طبقات الزيدية، ق64، د. أيمن فؤاد، تاريخ المذاهب الدينية في اليمن، ص:265.

(12) ابن سمرة: طبقات فقهاء اليمن، ص:55، د. محمد عبدالعال: الأيوبيون في اليمن، ص:25.

(13) ابن سمرة: نفس المصدر، ص:89.

الذي سكن جزيرة كمران[14]، وغيرهما، ومن ناحية ثالثة دخول الكثير من كتب الشافعية الى اليمن مثل (الرسالة) للشافعي و(المهذب) و (التنبيه) و (اللمع) للامام ابي اسحاق الشيرازي (ت. 476هـ/ 1083م) و (العدة) للحسين بن علي الطبري (ت 495هـ/1101م) وكتاب (الإبانة) و (شرح التلخيص) لابن علي السنجي (ت. 403هـ / 1012م) و (الشامل) لابن الصباغ (ت. 477هـ/ 1084م) وغيرها[15]، كذلك تأثر أهل السنة في اليمن وخاصة الشافعية بعقائد الإمام أحمد بن حنبل[16]، ثم بعده بعقائد الإمام أبي الحسن الأشعري[17].

وهكذا تأثرت اليمن بكثير من المذاهب المعروفة في العالم. ومن الملاحظ أن كل المذاهب التي دخلت اليمن لم تدخلها إلا بعد نصف قرن أو قرن من ظهورها. وهذا يعود الى بعد اليمن عن حركة النشاط الفكري، مما يؤدي الى تأخر دخول المذاهب اليها.

هذا من ناحية المذاهب الفقهية، أما من ناحية القراءات فنجد اليمن قد تأثرت بالقراءات السبع حيث دخلت فروع القراءات الى اليمن عن طريق الطلاب اليمنيين الذين رحلوا للدراسة الى مكة والمدينة وغيرها أو عن طريق العلماء الوافدين إليها.

فممن قدم الى اليمن من المقرئين عبدالله بن صالح بن غسان الكوفي (ت. سنة 204هـ/ 819م) سكن صنعاء وكان يجيد القراءة بحرف حمزة وحرف عاصم فنشرها في صنعاء[18].

وممن رحل من اليمنيين الى مكة والمدينة أبو قره موسى بن طارق اللحجي (ت. 203هـ/ 818م) الذي أدرك القارئ المشهور نافع بن نعيم المدني فأخذ عنه القراءة، فلما عاد اليمن نشرها في كل من عدن ولحج والجند وزبيد[19].

وفي القرن الرابع والخامس الهجريين كانت القراءة الشائعة في اليمن هي قراءة عاصم،

---

(14) ابن سمرة: نفس المصدر.

(15) ابن سمرة: نفس المصدر، ص:120، 176.

(16) ابن سمرة: نفس المصدر، ص:163.

(17) يحيى بن الحسين: طبقات الزيدية، ق56 ب، د. أيمن فؤاد: تاريخ المذاهب في اليمن، ص:73.

(18) الجندي: السلوك،جـ1، ص:152، حمزة: هو ابن حبيب الزيات أحد القراء السبعة (ت. 157هـ/ 773م)، الجندي: نفس المصدر والصفحة.

(19) ابن سمرة: طبقات فقهاء اليمن، ص:69، الجندي: السلوك، جـ1، ص:159، عاصم: هو ابن ابي النجود أحد القراء السبعة، (147هـ/ 744م)، الجندي: السلوك، جـ1، ص:152.

وقراءة عمرو بن العلاء[20]. فقراءة عمرو بن العلاء انتشرت في كل من صنعاء، وزبيد وأدخلها صنعاء أبو خليد بن ماجان[21]. أما زبيد فقد كان غالب القراء يقرءون بها أيضاً، وأوضح مثال لذلك عندما قدم عمارة اليمني من قريته في المخلاف السليماني الى زبيد للدراسة قرأ القرآن بحرف عمرو بن العلاء[22]. واستمرت هذه القراءة مستخدمة في زبيد في عهد النجاحيين[23].

وفي القرن الخامس والسادس الهجريين انتشرت قراءة أبي معشر الطبري في كل من مخلاف جعفر والجند والمعافر، فقد كان يقرأ بها كل من الإمام زيد اليفاعي والإمام زيد بن الحسن الفائشي (ت. 528هـ/ 1133م)[24].

وفي القرن السادس وبداية القرن السابع الهجريين انتشرت القراءات السبع في كل من زبيد وحضرموت وغيرهما، فكان يقرؤها في زبيد أبو عبدالله محمد بن أبي بكر بن أبي الحسين الزوقري الركبي[25]، ويقرؤها في حضرموت أبو أكدر[26] (ت. 575هـ/ 1179م) وهكذا انتشرت جميع القراءات في اليمن.

ثانياً: المراكز العلمية:

بجانب هذه المؤثرات الثقافية تعددت مراكز التعليم باليمن، وليس هنا مجال الحصر للمراكز العلمية في اليمن وإنما سيأتي ذلك عند توضيح العوامل التي أدت إلى نشأتها وهي تشمل عوامل دينية وجغرافية واقتصادية وسياسية.

العامل الديني: فكان العامل الديني أو العامل المذهبي هو العامل الأول في تأسيس المراكز العلمية في اليمن، حيث عملت الفرق المختلفة على نشر مذاهبها وهكذا تميزت تلك الفترة

---

(20) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص:96 ـ 97، د. أيمن فؤاد: تاريخ المذاهب الدينية في اليمن، ص:57.

(21) الأهدل: تحفة الزمن، ص:85.

(22) عمارة: المفيد، ص:214.

(23) بامخرمة: ثغر عدن، ص:78.

(24) ابن سمرة : نفس المصدر ، ص:155. ، الجندى: السلوك جـ1، ص:329 ـ 330 ، أبومعشر الطبرى، هو عبد الكريم بن عبدالصمد ابن محمد بن على القطان الشافعي شيخ أهل مكة، في عصره كان اماماً في القراءات (ت. سنة 487هـ/ 1094م) ابن سمرة: نفس المصدر، ص:155.

(25) الجندي: السلوك، جـ1، ص: 548.

(26) ابن سمرة: نفس المصدر، ص:220.

بالطابع المذهبي عند كل الفرق وصبغت المراكز العلمية في الحواضر بصبغة مذهبي ودخلت في صراعات فيما بينها، فعندما أسست الإسماعيلية ذي جبلة مركزاً لها سنة 448هـ/ 1056م اصبح فقهاؤها من الشيعة الإسماعيلية[27] أسس أهل السنة عدة مراكز علمية ودينية حولها مثل إب وذَلاَلَ في بَعْدَان وذي السُّفَال، وسَهْفَنَة والظُّرَافة، وظُبَاً وغيرها. إضافة الى احتفاظ أهل السنة بالجند كمركز علمي ومذهبي كبير لم تستطع الإسماعيلية التأثير عليه[28].

وعندما أنشأت المُطَرَّفِيَّة هجرة وَقَش وسَنَاع، أنشأت الزيدية المُختَّرعة مدرسة لها في سناع نفسها الى جانب المطرفية، كما أنشأ الإمام عبدالله بن حمزة مدرسة في كَوْكَبَان قريباً منهم[29]. كذلك أنشأ آل علوي بحضرموت مدارس لأهل السنة بجوار الأباضية[30]. من ذلك نجد أن العامل المذهبي أسهم في تعدد المراكز العلمية في اليمن.

العامل الجغرافي: كذلك لعب العامل الجغرافي دوراً بارزاً في تعدد المراكز العلمية في اليمن. ففي المناطق الجبلية كثرت بها المراكز نتيجة صعوبة المواصلات فيما بين المنطقة والأخرى. فمثلاً وجدت حول ذي جبلة العديد من المراكز[31]، بينما قلت في المناطق السهلية، فمثلاً قدم عمارة من المخلاف السليماني من منطقة الزرائب الى زبيد للدراسة بها[32] مما يدل على إنه لم يكن بذلك المخلاف مركزاً علمياً.

العامل الاقتصادي: وكان للعامل الاقتصادي أثره البارز في تعدد المراكز العلمية. فنجد أن المناطق التجارية والمناطق الاكثر خصباً، كانت أكثر سكناً فاستقر بها العلماء ووفد إليها الكثير من الطلبة مثل الجند، والمعافر، وذي جبلة وإب، وذي أشرق وظرافة وجبأ، وعدن، وزبيد، وكمران وغيرها، انتشرت بهذه البلاد أغلب المراكز العلمية في اليمن آنذاك، لتوفر الامكانات المالية بها لتمويل التعليم لأن التعليم آنذاك كان يموّل ـــ كما قلنا ـــ ذاتياً من قبل

(27) ابن سمرة: طبقات فقهاء اليمن، ص:234، الجندي: السلوك، جـ1، ص:470.

(28) ابن سمرة: طبقات فقهاء اليمن، ص:190.

(29) يحيى بن الحسين: طبقات الزيدية، ق64.

(30) باوزير: معالم تاريخ الجزيرة، ص:272.

(31) ابن سمرة: طبقات فقهاء اليمن، ص:94 - 102.

(32) عمارة: المفيد، ص:124 - 125.

المجتمع نفسه. فقد كان الكثير من المدرسين يحضرون إليها للتدريس. كما كان الكثير من الطلبة يذهبون إليها للتعلم ثم يعودون إلى مناطقهم، حيث توجد أراضيهم ليستقروا بها، فتوافد الطلاب والفقهاء إلى تلك المراكز من كل مكان[33]، بذلك أصبحت المناطق التجارية والزراعية الخصبة أكثر المناطق سكناً، كما أصبحت أماكن سكن المدرسين والعلماء والطلاب مراكز علمية.

العامل السياسي: ويظهر في تعدد الحواضر في اليمن بحسب تعدد دويلاتها واختلاف مذاهبها. فمثلاً كانت صعدة حاضرة للأئمة الزيدية، وكانت صنعاء حاضرة سنية في عهد بني يعفر، وإسماعيلية في عهد الصليحيين، وسنية في عهد الأيوبيين. وكانت ذي جبلة حاضر إسماعيلية منذ أن أسسها عبدالله الصليحي سنة 458هـ/ 1064م، ثم اصبحت سنية في عهد الأيوبيين[34].

ومن جهة زبيد فقد ظلت في أغلب فتراتها حاضرة سنية، رغم تأرجح السلطة فيها بين الصليحيين والنجاحيين وبني مهدي، وأما تعز فقد أنشأها الأيوبيون حاضرة سنية لهم. وكانت عدن حاضرة سنية في عهد آل معن، ثم إسماعيلية في عهد بني زريع، ثم سنية في عهد الأيوبيين، وكانت تريم وشبام في حضرموت حاضرتين للاباضية ثم اصبحتا حاضرتين للسنة في عهد آل علوي وآل راشد والأيوبيين[35]، وبالطبع كانت هذه الحواضر السياسية مراكز علمية.

وهكذا نجد أن تعدد الحواضر أدى الى تعدد المراكز العلمية بحسب المذاهب المسيطرة عليها. وأدت السيطرة على هذه الحواضر مذهبياً الى ترك بعض العلماء للسكن بها والذهاب الى القرى البعيدة، هروباً من الصراع المذهبي والسياسي.

وكانت الظروف السياسية لليمن أثناء القرنين الخامس والسادس الهجريين مليئة بالصراعات السياسية والمذهبية، فمثلاً كان الصراع حول زبيد على أشده فيما بين النجاحيين السنة، والصليحيين الشيعة الإسماعيلية. مما جعل الكثير من العلماء يتجنبون السكن بها، ويتجهون الى مناطق أخرى مثال الفقيه ابن عبدويه عندما اتجه من عدن بأمواله الى زبيد للسكن بها نهبت أمواله من قبل جند المفضل بن أبي البركات الحميري أحد قادة الصليحيين (سنة 497هـ/ 1103م).

---

(33) ابن سمرة: نفس المصدر، ص: 88، 92 - 102، 152، 190.

(34) انظر الباب الاداري.

(35) انظر الباب الاداري.

لذلك تجنب الفقيه السكن في زبيد وتحول الى السكن في جزيرة كمران[36].

كما وجد صراع سياسي فيما بين النجاحيين وابن مهدي حول السيطرة على زبيد ولما استولى عليها ابن مهدي سنة 554هـ/ 1159م هرب الكثير من فقهائها الى جبال اليمن الأسفل والى عدن والى مكة[37].

كذلك ساهم بعض الأمراء والحكام في استقطاب علماء ومدرسين فقهاء الى مناطقهم، مثل والي الجند، عبدالله الكرندي بداية القرن الخامس الهجري، والسلطان أسعد بن وائل الوحاظي وغيرهما[38].

وهكذا نجد أن العوامل السياسية ساهمت كثيراً في خلق مراكز علمية كثيرة في مدن اليمن وقراها.

ثالثاً: خصائص الحركة العلمية:

1 - شمولية المعرفة: كانت أهم خصائص الحركة العلمية في اليمن هي شمولية المعرفة مثلها في ذلك مثل بقية الأمصار الاسلامية. فقد كان الفقيه يجيد عدة علوم سواء كانت علوماً لغوية، مثل النحو واللغة والشعر والأدب، أو علوماً دينية مثل الفقه والحديث والتفسير والقراءات.

فمن كان يجيد الفقه والحديث معاً الفقيه أبو عبدالرحمن الحسين بن خلف المقيبعي (ت. سنة 560هـ/ 1164م) كان فقيهاً محدثاً والفقيه الحسن بن أبي بكر بن أبي اختيار (ت. سنة 583هـ/ 1187م) آخر من درس على ابن عبدويه، كان بارزاً في الفقه والحديث[39]. كذلك كان الفقيه آنذاك يجمع بين علوم اللغة والعلوم الدينية وقد يجمع بينها وبين علم الكلام،وقد يجمع بينها جميعاً.

فمن جمع بين علمي اللغة والكلام، الفقيه أبوالعباس أحمد بن بحارة الحنفي الذي كان مبرزاً في علم الكلام والأدب واللغة والشعر[40].

---

(36) ابن سمرة: طبقات فقهاء اليمن، ص:144، الجندي: السلوك، جـ1، ص:323.

(37) الجندي: السلوك، جـ1، ص:342، 375.

(38) الجندي: السلوك، جـ1، ص:332.

(39) ابن سمرة: طبقات، ص:243، 246، الأهدل: تحفة الزمن، ص:275، 276 - 277.

(40) عمارة: المفيد، ص:294، لم تحدد تاريخ وفاته وقد ذكر عمارة أنه لم يدركه عاصر القاضي =

ومن جمع بين الدين واللغة، الفقيه العلامة نشوان بن سعيد الحميري (ت. سنة 573هـ/ 1177م) الذي كان نحوياً لغوياً فقيهاً شاعراً[41]، وكان الفقيه أبو عبدالله محمد بن أبي بكر الزوقري الركبي من مواليد المائة السادسة الهجرية نحوياً فروعياً أصولياً فرضياً حسابياً[42].

ومن جمع بين علمي الدين والكلام الإمام أبو أحمد زيد بن الحسن بن محمد الفائشي الحميري المولود في (شوال 458هـ/ أغسطس 1066م) كان عرافاً بالدور (الهندسة أو الهيئة)، والحساب، والأصول، وعلم الكلام[43].

ومن جمع بين عدة علوم، الفقيه أبو العباس أحمد بن الفقيه محمد بن عبدالله البريهي السكسكي (ت. سنة 586هـ/ 1180م) كان عالماً بالنحو واللغة وأصول الدين والحديث، وتولى رئاسة الفقه والحديث في إب[44]. والفقيه أبو عبدالله محمد بن موسى بن الحسين بن أسعد العمراني (ت. سنة 558هـ/ 1162م) الذي كان أول من داوم في مجلس الإمام يحيى بن أبي الخير من سنة (517هـ/ 1123م) فكان عارفاً بالفقه والنحو واللغة والحديث والأصلين والفرائض والحساب والدور[45]. والفقيه ابو السعود بن خيران الذي ولد سنة 518هـ/ 1124م كان فقيهاً في فنون القراءات والفقه والنحو واللغة، وقد درس عليه عمر بن سمرة سنة 574هـ/ 1178م[46]، والفقيه إبراهيم بن علي بن عجيل، كانت وفاته لبضع وأربعين وستمائة كان عالماً بالفقه والنحو واللغة والأدب والفرائض وعلم الحساب[47].

وهكذا اتصف علماء اليمن آنذاك بإجادة عدد من العلوم، مما يدل على شمولية المعرفة وهي الصفة التي شملت العالم الاسلامي آنذاك.

= أبو الفتوح بن أبي عقامة.

(41) عمارة: نفس المصدر والصفحة.

(42) الجندي: السلوك، جـ1، ص:548.

(43) الجندي: السلوك، جـ1، ص:329 ـ 330.

(44) الجندي: السلوك، جـ1، ص:367، الأهدل: تحفة الزمن، ص:267.

(45) الأهدل: تحفة الزمن، ص:291 ـ 292.

(46) الجندي. السلوك، جـ1، ص:392.

(47) الجندي: نفس المصدر، ص:478 ـ 479.

2 ـ الرحلة في طلب العلم:

1 ـ الرحلة الداخلية: ومن خصائص الحركة العلمية في اليمن أيضاً الرحلة في طلب العلم اعتماداً على شهرة المدرس بالعلوم الدينية واللغوية وغيرها. فحيثما يستقر الفقيه العالم في أحد مناطق اليمن يرحل اليه الطلبة من كل مكان من أنحاء اليمن. وقد كثرت الرحلات الداخلية من والى أماكن متعددة في اليمن. ومن ضمن من اشتهر بالعلوم ورحل اليهم الطلاب نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر بعض الأجلة من العلماء منهم:

ابن عبدويه: فعندما استقر الإمام أبو عبدالله محمد ابن عبدويه 525هـ / 1130م بجزيرة كمران وشاع صيته وعلمه قدم إليه الطلاب من أنحاء مختلفة من اليمن. كالجندن وسهفنة[48]، وذي أشرق[49]، والمَلْحَمَة[50]، وأُحَاظَة[51]، والمُشَيْرق[52]، والمعافر، وأبين، وزبيد، والهومة[53]، وحَيْس[54]، والمَهْجَم[55]، وقد علل الجندي سبب ذهاب الكثير من الطلبة اليه برغم بعده عن مناطقهم، عدم وجود الإمام زيد اليفاعي (ت.بعد سنة 513هـ/ 1119م) في الجند آنذاك لذهابه الى مكة بسبب الخلاف الذي حدث بينه وبين المفضل بن أبي البركات[56].

البريهي: كذلك عندما اشتهر سيف السنة أبو العباس أحمد بن محمد البريهي (586هـ/ 1190م) وذاع صيته في علم الحديث، قام بتدريسه في كل من إب وذي جبلة، ثم نزل مدينة الجند للتدريس بها. فأرتحل اليه الطلاب لدراسة الحديث بها من أماكن متعددة من اليمن مثل (ظبا)[57].

---

(48) سهفنة: قرية قبلي الجند على ثلث مرحلة منها، الجندي: السلوك، جـ1، ص:264.

(49) ذي أشرق: قرية بوادي نخلان على نصف مرحلة من الجند، الجندي: السلوك، جـ1، ص:280.

(50) الملحمة: قرية بوادي السحول تحت الحصن المعروف بشواحط، الجندي: السلوك، جـ1، ص:277.

(51) أحاظة: ويقال لها وحاظة: قرية في جبل حبيش في بلاد السحول شمال إب، ابن سمرة: طبقات، ص:207.

(52) المشيرق: من بلاد بني حبيش من أعمال إب، ابن سمرة: طبقات، ص: 324.

(53) الهرامة: قرية من زبيد، هامش تحفة الزمن، ص:224.

(54) حيس: بلدة مشهورة جنوب زبيد وفرضتها الخوخة على ساحل البحر الاحمر، ابن سمرة: طبقات، ص:313.

(55) المهجم. بلدة في تهامة بوادي سردد ما بين جبل ملحان وبلدة الريدية، ابن سمرة· طبقات، ص· 324.

(56) الجندي. السلوك، جـ1، ص:303 ـ 308، 329 ـ 330.

(57) ظبأ. قرية ما بين السفال، وسهفنة: الجندي: السلوك، جـ1، ص:274

و(ذي اشرق) و (الشعبانية)[58] وأعمال الجند وغيرها[59].

ونذكر ممن اشتهر بالرحلة في طلب العلم والثقافة في الدين داخل بلاد اليمن:

1 - زيد بن الحسن بن محمد الحسن الفائشي (458 - 528هـ / 1065 - 1133م) وكان رحالاً في طلب العلم[60]، رحل الى مناطق كثيرة من اليمن للتفقه في الدين والعلوم، فرحل الى (المشيرق) فتفقه باسعد بن الهيثم، ورحل الى (سَيْر)[61] فتفقه بأبي إسحاق الصردفي ورحل الى (الظُرَافة)[62] فتفقه بالإمام أبي بكر بن جعفر المحابي، ورحل الى تهامة فتفقه بكل من يعقوب بن أحمد والإمام عبدويه، ودرس اللغة (بأحاظة) على الإمام عيسى بن إبراهيم الربعي عن كتابه (النظام) في اللغة، وتفقه (بذي أشرق) بكل من خيري بن يحيى بن ملامس ومقبل بن محمد بن زهير، وإبراهيم بن عباد في اللغة، وعندما أرتحل الى مكة تفقه بالحسين بن علي الطبري، وأبي نصر البندنيجي[63].

2 - عبدالله بن عبدالرزاق بن أزهر (ت. سنة 528هـ/ 1133م) دخل الى الصلو فأخذ ناسخ القرآن ومنسوخه للصفار عن بن أبي ميسرة، وذلك سنة 490هـ/ 1096م وتفقه بأبي بكر بن جعفر المحابي في الجند، ثم عاد الى (ذي اشرق) وتولى بها رئاسة التدريس والفتوى[64].

3 - ابو الحسن علي بن أبي بكر بن حمير العرشاني (494 – 557هـ/ 1100 – 1161م) أرتحل داخل اليمن في طلب العلم الى الفقيه زيد بن الحسن الفائشي (بأحاظة) وأرتحل الى (المشيرق) فأخذ عن أسعد بن ملامس، وأرتحل الى (ريمة)[65] فأخذ عن عبدالرحمن بن عثمان، وأبي بكر بن

---

(58) الشعبانية: صقع متسع فيه قرى كثيرة من أعمال تعز، الجندي: السلوك، جـ1، ص:415.

(59) ابن سمرة: طبقات فقهاء اليمن، ص: 190، الجندي: السلوك، جـ1، ص: 367/1

(60) ابن سمرة: نفس المصدر، ص:157.

(61) سير: قرية على مسافة نصف مرحلة من مدينة الجند، الجندي: السلوك، جـ1، ص:539.

(62) الظرافة: شرقي سهفنة، الجندي: السلوك، جـ1، ص:270.

(63) ابن سمرة: طبقات فقهاء اليمن، ص:156.

(64) الجندي: السلوك، جـ1، ص:319.

(65) ريمه: بلاد واسعة في الغرب الجنوبي من صنعاء على مسافة أربع مراحل، وهي مشرفة على تهامة من ناحية بيت الفقيه يمر وادي رمع من جنوبها ووادي سهام من شمالها، ابن سمرة: نفس المصدر، ص:316.

أحمد الخطيب والى (الجُوَة)[66] فأخذ عن القاضي مبارك وعن يحيى بن عمر الملحمي[67] وفي سنة 545هـ/ 1150م أرتحل الى مدينة (إب) فأخذ الحديث عن سيف السنة أحمد البريهي، ثم أرتحل إلى (عدن) فأخذ عنه القاضي أحمد القريظي[68].

وهكذا اتسعت حركة الرحلة الداخلية في سبيل طلب العلم الى مناطق كثيرة من اليمن.

2 ـ الرحلة الخارجية: بعد أن ذكرنا بعضاً ممن قاموا برحلات داخلية بين مدن اليمن من أجل طلب العلم والتفقه بالدين، يجدر بنا أن نذكر بعضاً ممن رحلوا خارج اليمن للهدف نفسه الى مكة والمدينة والعراق ومصر وغيرها من البلدان وليس هنا مجال لحصرهم، وإنما نذكر بعضاً منهم على سبيل المثال:

1 ـ خيري بن يحيى بن عيسى بن ملامس (ت. سنة 480هـ/ 1087م) رحل الى مكة وتفقه بأبي بكر محمد بن منصور السهروردي شارح المختصر، روى عنه كتاب أبي داود، كما روى (صحيح البخاري) عن الإمام الحافظ أبي ذر عبد بن أحمد الهروي، وروى عن أحمد بن محمد المكي البزاز (كتاب الشريعة) للآجري[69].

2 ـ أبو الطيب طاهر بن يحيى بن أبي الخير (518 - 587هـ/ 1124 ـــ 1191م) رحل الى مكة وذلك عندما عمت فتنة ابن مهدي على اليمن، فأرتحل بأولاده ونسائه ومكث سبع سنين، روى عن كبار المحدثين في الحرم منهم الشيخ الإمام أبي على الحسين ابن علي الانصاري والشيخ الإمام أبو حفص المانشي وعبدالدائم العسقلاني، ومقرئ الحرمين الشريفين أبي عبدالله محمد بن إبراهيم بن أبي مشيرح الحضرمي. ثم عاد الى اليمن في سنة 566هـ/ 1170م[70].

3 ـ الفقيه مقبل بن محمد بن زهير (ت. سنة 579هـ/ 1183م) أرتحل الى كرمان وتفقه بها على قطب الدين وبجماعة من فقهائها. ثم رجع اليمن وسكن في ذي أشرق رغبة بكتبها الموقوفة[71].

---

(66) الجوءة: على مرحلة من جنوب الجند تحت جبل وحصن الدملوة، الجندي: السلوك، جـ1 ، ص:279.

(67) بامخرمة: ثغر عدن، ص:168.

(68) الجندي: السلوك، جـ1، ص:315، بامخرمة: ثغر عدن، ص:168.

(69) ابن سمرة: طبقات فقهاء اليمن، ص:101.

(70) ابن سمرة: نفس المصدر، ص:187.

(71) ابن سمرة: نفس المصدر، ص:115، الجندي: السلوك، جـ1، ص:319.

4 ـ الفقيه الحافظ محمد بن يحيى بن سراقة العامري المعافري (ت. سنة 410هـ/ 1019م) أرتحل الى العراق حيث درس الفقه الشافعي في البصرة على أبي الحسين بن اللبان البصري (ت. سنة 430هـ/ 1038م) ودرس في بغداد على الشيخ أبي حامد أحمد بن أبي طاهر الاسفرائيني (ت. سنة 406هـ/ 1015م) ثم عاد الى اليمن وسكن المعافر[72].

5 ـ ورحل من الزيدية الى الجبل والديلم عبدالله بن علي العنسي فأحضر معه سنة 501هـ/ 1107م كتب المعتزلة والزيدية[73].

6 ـ ورحل إلى العراق والري من الزيدية (أيضاً) القاضي جعفر بن عبدالسلام (ت. 573هـ/ 1177م) فقرأ بهما الفقه الزيدي وعقائد المعتزلة ثم عاد إلى اليمن بكتبهم، واستقر بهجرة سناع يدرس المذهب الزيدي[74].

7 ـ ورحل إلى مكة أبو الوليد عبدالملك بن محمد بن ميسرة اليافعي 493هـ/ 1099م وذلك سنة 431هـ/ 1039م فأخذ عن سعد الزنجاني، ثم عاد إلى اليمن، فلقي أبا بكر بن أحمد بن محمد اليزدي بعدن فأخذ عنه الرسالة الجديدة للإمام الشافعي سنة 437هـ / 1045م[75].

8 ـ الفقيه عبدالله بن عمير العريقي، رحل إلى مكة فقرأ بها (المعتمد) عن البندنيجي[76].

9 ـ القاضي لمك بن مالك الحمادي، أرسله الداعي علي بن محمد الصليحي في رحلة إلى مصر لدراسة المذهب الإسماعيلي للدولة الفاطمية في عهد المستنصر بالله، فمكث في القاهرة يدرس بها المذهب حوالي خمس سنوات(454 ـ459هـ/1063 ـ1068م)[77] ولما مات علي الصليحي عادلمك إلى اليمن، فتولى قضاء المذهب الإسماعيلي في صنعاء وفي ذي جبلة[78]، إضافة الى توليه أمر

---

(72) ابن سمرة: طبقات فقهاء اليمن، ص:84، 86.

(73) يحيى بن الحسين: طبقات الزيدية، ق60، د. محمد الدجيلي: الحياة الفكرية في اليمن، ق6، ص: 97 - 99

(74) الجندي: السلوك، جـ1، ص:399، يحيى بن الحسين: طبقات الزيدية، ق64أ ، محمد الدجيلي: الحياة الفكرية في اليمن، ق6، ص: 95.

(75) بامخرمة: ثغر عدن، ص: 158 - 159.

(76) ابن سمرة: نفس المصدر، ص:54.

(77) الهمداني: الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن، ص: 175، د. أيمن فؤاد، تاريخ المذاهب الدينية في اليمن، ص:131.

(78) ابن سمرة: طبقات فقهاء اليمن، ص:134.

الدعوة الإسماعيلية في اليمن الى جانب المكـرم أى أن المكـرم كـان (داعـي السـيف) ولمـك (داعـي القلم)[79].

10 - يحيى بن الحسين بن عبدالله بن أحمد الهجيري (ت. رمضان 577هـ/ 1181م) رحل الى مصر فقرأ على الفقيه الشنتريني، ثم عاد الى اليمن وسكن هجرة وقش[80].

11 - محمد بن أحمد بن النعمـان الحضرمـي رحـل الى الاسكندرية كذلك فأخذ بها عن الحافظ أحمد بن محمد السلفي (ت. سنة 576هـ/ 1180م) والى أصبهان فاخذ عن أبي الفضـل محمـد بن عبدالواحد الشيلي الاصبهاني (الشمائل للترمذي) ولما عاد الى اليمن واستقر بعدن درس عنـده عمر بن سمرة، كما درس عنده كتاب (الشـمائل) أمـام مسـجد الشـجرة بعـدن ومحمـد بـن أحمـد القريظي وذلك في سنة 565هـ/ 1169م[81]. وهكذا أرتحل الكثير من اليمنيـين الى أمـاكن كثـيرة مـن العالم الإسلامي لطلب العلم.

وإذا كان اليمنيون قد أرتحلوا داخل اليمن وخارجه من أجل الحصول على العلم نجد من ناحية أخرى أنه قدم إلى اليمـن الكثير مـن الفقهـاء مـن أمصـار إسـلامية متعـددة، وقـد سـاهمت مجموعة منهم في النشاط التأليفي والحركة العلمية في اليمن. ومن ضمن من قدم منهم الآتي[82]:

1 - الحسين بـن جعفـر المراغـي (ت. سـنة 437هـ/ 1045م) لقيـه القاسـم الجمحـي وأحمـد الصعبي في حج سنة 388هـ/ 998م فاستدعياه للقدوم إلى اليمن فقدم إليهـا وسـكن بسـهفنة، وفيهـا أخذ المذكوران عنه مختصر المزني وسننه وسنن الربيـع ومؤلفـه في علـم الكـلام المسـمى (الحـروف السبعة في الرد على المعتزلة وغيرهم من أهل الضلال والبدعة)[83].

---

(79) الهمداني: نفس المرجع، ص:179.

(80) يحيى بن الحسين: طبقات الزيدية، ق 45أ.

(81) بامخرمة: ثغر عدن، ص:232 - 233.

(82) منهم معمر بن راشد البصري (ت. 153 هـ/ 770م) قدم من البصرة الى اليمن وسكن صنعـاء وهـو أول من ألف الكتب بها فصنف (الجامع في السنن وعرف باسم (جـامع معمـر) وهـو أقـدم مـن (الموطـأ) ابـن سمرة: طبقات، ص:66.

(83) ابن سمـرة: طبقـات فقهـاء اليمـن، ص:83، الجنـدي: السـلوك، جـ1، ص:265، الأهـدل: تحفـة الزمـن، ص:183.

2 ـ الحسين بن محمد بن الحسين بن حي التجيبي القرطبي (ت. 456هـ/ 1063م) قدم إلى اليمن من الأندلس سنة 442هـ/ 1050م فدخلها في عهد الدولة الصليحية واستقر بها الى أن توفي و(كان أديباً فاضلاً عالماً بالهندسة والهيئة) صنف (زيج مختصر على طريقة السند هند)[84].

3 ـ أبو عبدالله محمد بن عبدويه (439 ـ 525هـ/ 1048 ـ 1130م) قدم الى اليمن من العراق وسكن جزيرة كمران سنة 505هـ/ 1111م وصنف (الارشاد في أصول الفقه)[85].

4 ـ القاضي الرشيد أحمد بن علي بن إبراهيم بن محمد بن الحسين بن الزبير الغساني الأسواني (ت. 563هـ/ 1167م) وصفه بامخرمة بأنه (كان أوحد عصره في علم الشرع والشعر والرياضيات والأدب والهندسة) قدم الى اليمن رسولاً من الخليفة الحافظ عبدالمجيد الفاطمي (524 ــ 544هـ/ 1129 ــ 1149م) الى الداعي محمد بن سبأ الزريعي في عدن. وصنف باليمن (المقامة الحصيبية)[86].

وراثة الفقه: ومن ضمن الخصائص العلمية وراثة الفقه حيث اتصف العصر الذي ندرسه في اليمن والعالم الاسلامي بالاسلوب الوراثي لجميع أنواع الأعمال. فكان الآباء دائماً يحرصون على أن يرث أبناؤهم أعمالهم. وذلك يعود إلى أسباب عدم تكفل الدولة بمهام التعليم، وأن التعليم كان يعتمد على المجهود الذاتي لأفراد المجتمع وعلى رأسهم حملة العلم. لذلك كان الاهتمام قائماً على تلقين الآباء العلوم لأبنائهم وأقاربهم، فشملت الوراثة جميع أنواع الأعمال من حرف ومهن صناعية، وزراعية، وتجارية. إضافة الى أنواع العلوم والسلطة السياسية.

على أن التوريث في العلوم المختلفة والمهن كانت الصفة المقبولة لدى كثير من الناس،وهي الصفة الغالبة التي سادت العصور الإسلامية حينما كان التعليم قائماً على جهود أفراد المجتمع. لذلك ظهرت في اليمن الكثير من الأسر تورث العلوم ابناءها نورد هنا بعض منها على سبيل المثال:

منهم فقهاء بني ملامس: الذين سكنوا (المشيرق) أولهم الفقيه الإمام أبوالفتح يحيى بن عيسى بن ملامس (ت. بعد 420هـ/ 1029م)[87] وأورد عنه الأهدل قوله: (وتوارث ذريته العلم مدة

---

(84) ياقوت الحموي: معجم البلدان، جـ10، ص: 158 ـ 159

(85) ابن سمرة: نفس المصدر، ص:146، الجندي: السلوك، ص: 423 ـ 424.

(86) بامخرمة. ثغر عدن، ص: 36 ـ 37.

(87) ابن سمرة: طبقات فقهاء اليمن، ص:91، الجندي: السلوك، حـ1، ص:266.

ثم انقرضوا)[88]، فقد تفقه عليه ابنه الفقيه خير بن الإمام يحيى، وهذا تفقه عليه ابنه الفقيه أسعد بن خير بن يحيى، وهذا بدوره تفقه عليه ابناه محمد وعلي[89].

فقهاء بني عقامة: سكنوا زبيد، وظلوا يتوارثون القضاء والفقه بها منذ أن قدم جدهم محمد بن هارون التغلبي، الذي ينتسب اليه بنو أبي عقامة[90]. مع ابن زياد زمن الخليفة العباسي المأمون، إلى أن انتهت الدولة النجاحية من زبيد، وتولى الحكم بها بنو مهدي، أزالوا بني عقامة عن القضاء بها سنة 554هـ/ 1159م[91]، ثم أعادهم الأيوبيون.

فقهاء بني الهيثم: أولهم الفقيه أبوسعيد الهيثم بن محمد بن الحسين مولده سنة 369هـ/ 979م وصفه الأهدل بقوله: (كان فقيهاً مشهوراً بالعلم وله ذرية فيهم المعلم والتدريس والقضاء والفتوى بطناً بعد بطن)[92]، كما وصفه الجندي بقوله: (له ذرية بورك بها ما لم يبارك بها من ذراري الفقهاء لا تكاد تخلو من فقيه يفتي وحاكم يقضي ومدرس يقرئ)[93].

فقهاء بني عمران: سكنوا مصنعه (سير)[94]، وتولوا فيها التدريس، فصارت (سير) بقدومهم ملاذاً لطلاب العلم[95]، أولهم الإمام يحيى بن أبي الخير العمراني (ت. سنة 558هـ/ 1163م) ثم تلاه ابنه طاهر (ت. سنة 587هـ/ 1191م) تفقه بأبيه يحيى، ثم ابني طاهر محمد وأسعد تفقها بأبيهما طاهر[96].

فقهاء بني الإمام: سكنوا (ذي أشْرَق) ويرجع نسبهم إلى الفقيه الإمام محمد بن سالم بن عبدالله بن محمد بن سالم الشعبي (395 - 456هـ/ 1004 - 1063م) أصله من ذبحان تفقه بالقاسم بن

---

(88) الأهدل: تحفة الزمن، ص: 183، ترجم له الأهدل، ص: 182 - 183، وسماه أبو الفتوح علي بن عيسى بن ملامس.

(89) الجندي: السلوك، جـ1، ص:321.

(90) عمارة: المفيد، ص:45.

(91) الأهدل: تحفة الزمن، ص:110.

(92) الأهدل: نفس المصدر، ص: 183.

(93) الجندي: السلوك، جـ1، ص: 539.

(94) الأهدل: نفس المصدر، ص: 237.

(95) الجندي: السلوك، جـ1، ص:68.

(96) الأهدل: نفس المصدر، ص: 292 ، 337، محمد وأسعد لم يحقق الجند لاحد منهما تاريخاً.

محمد الجمحي استمرت أسرته تتوارث الفقه الى سنة 722هـ/ 1322م[97]. وهكـذا نجـد الكثير مـن الأسر في اليمن توارثت العلم.

رابعاً: حركة التأليف:

انتشرت حركة التأليف في اليمن منذ بدأت حركة تصنيف المؤلفات في العالم الاسلامي في منتصـف القـرن الثـالث الهجـري، في مختلـف العلـوم الدينيـة واللغويـة وكتابـة التـاريخ والجغرافيـا بالإضافة الى النشاط الأدبي وهو ما نعبر عنه بالحركة العلمية في اليمن.

1 ـ النشاط العلمي في تأليف الكتب في مجال العلوم الدينية واللغوية:

من رواد حركة التأليف من اليمنيين أبو قرة بن طارق اللحجي (ت. ســنة 203هـ/ 818م) ألف في علم الحديث كتابه (الجامع) واشتهر باسم (سنن أبي قرة)[98]، وقد وصفـه الجنـدي بقولـه: (لم يكن أهل اليمن يعولون في معرفة الآثار إلا عليه، وذلك قبل دخول الكتب المشهورة)[99]. كمـا أن له تواليف في الفقه استخرجها من فقه الإمام مالك، والإمام أبي حنيفة، ومعمر بن راشد، وابـن جريح، وسفيان الثوري، وسفيان بن عُيَيْنَة[100].

ومن ضـمن من ساهم في رواية الحديث والتصنيف فيه محمد بن يحيى بن أبي عمـر العدنـي (ت. سنة 320هـ/ 932م) صنف (المسند) في الحديث[101]، والفقيه علي بن أبي بكر العرشـاني (494 ـ 557هـ/ 1100 ـ 1161م) صنف كتاباً في الحديث سماه (الزلازل والاشراط)[102]، ومنهم الفقيه محمد بن سعيد بن معن القريظي (499 ـ 575هـ/ 1105 ـ 1179م) صنف في الحديث كتاباً سمي (المستصفى) في سنن المصطفى، ويعد كتابه هذا من الكتب المفيدة والمتداولة في اليمن[103].

---

(97) بامخرمة: قلادة النحر، حـ2، ص: 598.

(98) ابن سمرة: طبقات فقهاء اليمن، ص:69.

(99) الجندي: السلوك، جـ1، ص:159.

(100) ابن سمرة: نفس المصدر والصفحة.

(101) بامخرمة: ثغر عدن، ص:261.

(102) ابن سمرة: نفس المصدر، ص:172، الجندي: السلوك، جـ1، ص:351.

(103) الجندي: السلوك، جـ1، ص:433، بامخرمة: ثغر عدن، ص:250، بدأ تدوين الحديث والفقه والتفسير منذ عام 143هـ/ 760م، فصنف جرير في مكة، ومالك الموطأ في المدينة، والأوزعـي في الشـام وبشـر بـن أبـي عمر وحماد سلمه بالبصرة، ومعمر بن راشد وسفيان الثوري بمكة،يحيى بن الحسين: طبقات الزيدية، ق5.

ومن فقهاء الزيدية القاضي جعفر بن عبدالسلام (ت. سنة 573هـ) صنف في الحديث (تيسير المطالب من أمالي أبي طالب)[104]. والقاضي محمد بن حمزة بن أبي النجم صنف كتاباً سمي (درر الأحاديث)[105]. ومن الأئمة الزيدية الإمام أحمد بن سليمان (ت. سنة 566هـ/ 1170م) صنف كتاباً في الحديث سمي (أصول الأحكام في الحلال والحرام)[106]. والإمام عبدالله بن حمزة (ت. سنة 614هـ/ 1217م) صنف في الحديث (حديقة الحكمة النبوية في شرح الأربعين السلفية)[107].

كذلك نشطت حركة التأليف في الفرائض والمواريث ألف فيها. الفقيه محمد بن أبي سراقة (410هـ/ 1019م) الذي سكن المعافر والذي يعد من أوائل من ألف في علم الفرائض فله مؤلف سمي (كافية المبتدي)[108]، وأبو محمد الحسن بن أبي عقامة (480هـ/ 1087م) الذي سكن زبيد له مختصر سمي (مختصر في علم الفرائض والحساب) وآخر سماه (الملطف في علم المساحة)[109]، وإسحاق بن يوسف الصردفي (ت. سنة 505هـ/ 1111م) الذي سكن الصردف له كتاب سمي (الكافي في الفرائض)[110]، وقد وصفه الجندي بقوله: (ومنذ وجد كتابه لم يتفقه أحد من أهل اليمن في شيء من الفنون المذكورة إلا منه)[111]، وألف في الفرائض من الزيدية الفضل بن أبي السعد العصفيري عاصر الإمام عبدالله بن حمزة له (الفائض في علم الفرائض) فوق عشرة أجزاء، وله

---

(104) يحيى بن الحسين:طبقات الزيدية، ق64 ب،جمع فيه أمالي أبي طالب يحيى ابن الحسين الهاروني (ت. سنة 424هـ/ وقد ذكر معجزات النبي صلى الله عليه وسلم وفضائله وشمائله، الحبشي: مصادر، ص: 40.

(105) يحيى بن الحسين: نفس المصدر، ق67 ب.

(106) الحبشي: مصادر الفكر الاسلامي باليمن،منشورات مركز الدراسات اليمنية، صنعاء،ص:534، جمع فيه مايزيد على ثلاثة ألف حديث من أحاديث الاحكام وهو مرتب على أبواب الفقه، الحبشي: مصادر، ص:534.

(107) الحبشي: مصادر الفكر، ص:540، شرح فيه أربعين حديثاً جمعها الشريف زيد عبدالله السليفي، الحبشي: مصادر، ص:534.

(108) ابن سمرة: طبقات فقهاء اليمن، ص:107.

(109) الأهدل: تحفة الزمن، ص:197 - 198، وله كتاب سمي (جوهر الأخبار)، الأهدل: تحفة الزمن، ص: 197

(110) ابن سمرة: نفس المصدر، ص:107.

(111) الجندي: السلوك، جـ1، ص:284، الصردفي: أصله من المعافر وسكن الصردف ويورد صاحب =

(عقد الأحاديث في علم المواريث) في أربعة أجزاء كما له المختصر المفيد سمي (مفتاح الفائض في علم الفرائض)[112].

كذلك انتشرت حركة التأليف في الفقه وأصوله انتشاراً واسعاً فمن ضمن من ألف بها أو شرح أو اختصر كتباً في الفقه أو فروعه الآتي:

في المذهب الشافعي: يحيى بن عيسى بن ملامس (ت. سنة 420هـ/ 1029م) له مختصر مفيد اختصره من كتاب المزني سمي (مختصر المزني)[113]، والفقيه جعفر بن عبدالرحيم المحابي (ت. سنة 460هـ/ 1067م) له مصنف في الفقه سمي (الجامع في الخلاف) وله أيضاً كتاب (التقريب)[114]. والفقيه أبو الفتوح عبدالله بن محمد بن أبي عقامة (من علماء القرن الخامس الهجري) سكن زبيد صنف كتاب (التحقيق) وله (مختصر في أحكام الجنايات)[115] وصفه عمارة بقوله: (وصنف بالمذهب والخلاف لم يفقه أحد من أهل عصره بعد تصنيفها إلا منها)[116]. والفقيه أبو حفص عمر بن إسحاق المصوع (ت. سنة 477هـ/ 1084م) سكن ظبا ألف (المذهب) في فروع الفقه، وله أيضاً (الجامع)[117]، والفقيه أبو محمد عبدالله بن يحيى بن أبي الهيثم الصعبي (475 – 553هـ/ 1082 – 1108م) صنف (التعريف) في فقه الشافعي وله احترازات المهذب في الفروع وله كتاب سمي (عقيدة) على مذهب أبي حنبل[118]، كما أن له كتاب (الاختيار)، والفقيه زيد بن الحسن ابن محمد الفائشي (458 – 528هـ/ 1065 – 1133م) سكن أحاظة له (مختصر في فقه الشافعي سماه

= شذرات الذهب أنه توفي سنة 500هـ/ 1106م، شذرات الذهب، ص: 410.

(112) يحيى بن الحسين: طبقات الزيدية، ق70 ب، د. محمد رضا الدجيلي: الحياة الفكرية في اليمن ق6، ص:135.

(113) ابن سمرة: طبقات فقهاء اليمن، ص:91، الأهدل: تحفة الزمن، ص:182.

(114) الجندي: السلوك، جـ1، ص: 272.

(115) الأهدل: تحفة الزمن، ص:205، اليافعي: مرآة الجنان، جـ3، ص:325.

(116) عمارة المفيد، ص:289، الأهدل: تحفة الزمن، ص: 205.

(117) ابن سمرة: طبقات فقهاء اليمن، ص:96.

(118) ابن سمرة: طبقات فقهاء اليمن،ص:161 - 163،اليافعي: مرآة الجنان، جـ3، ص: 307، العامري: غربال الزمن، ص: 433.

(التهذيب))[119]. والفقيه أبو محمد عبدالله بن علي بن إبراهيم بن محمد الحربي (483 ـ 547هـ/ 1090 ـ 1152م) صنف كتاباً مفيداً سماه (الشروط)[120].

كذلك منهم الفقيه طاهر بن يحيى بن أبي الخير (518 ـ 587هـ/ 1124 ـ 1191) صنف (مقاصد اللمع) في أصول الفقه وله في علم الكلام (كسر قناة القدرية) (وحدة الفكر في الرد على المعتزلة في نفي القدر) وكتاب (مناقب الشافعي) وله (معونة الطلاب في شراح الشهاب). والفقيه كمال الدين مسعود المولود سنة (548هـ/ 1153م) له شرح (اللمع) سماه (الأمثال)[121]. وأحمد بن مقبل الدثيني (556 ـ 630هـ/ 1160 ـ 1234م) صنف كتاب الجامع في أربعة مجلدات كبار وله كتاب (الإيضاح) وله (شرح المشكل) من كتاب اللمع[122].

وألف في الفقه الحنفي محمد بن عوف الحنفي سكن زبيد له مصنف سمي (القاضي)[123]. كما صنف في فقه الحنفية أيضاً الفقيه أحمد بن حسين بن أبي عوف (ت. سنة 500هـ/ 1106م) سمي (شرح المختصر القدوري)[124].

وفي الفقه الزيدي ألف سليمان بن ناصر السحامي الذي درس على القاضي جعفر بن أحمد بن عبدالسلام (ت. سنة 573هـ/ 1177م) كتاباً سمي (النظام) وصنف كتاباً آخر سمي (شمس الشريعة) في الفقه الزيدي في ستة مجلدات استخرجها من (جامع آل محمد) وذكر فيها أقوالاً من علماء آل البيت وأقوالاً من المذاهب الأربعة. كما ألف فروع الفقه الزيدي أخوه علي بن ناصر السحامي كتاباً عرف (ببيان السحامي)[125].

وفي مجال اللغة وجد الكثير من اليمنيين من ألفوا فيها سواء أكانت تأليفياً أم شروحاً فمن

---

(119) ابن سمرة: طبقات فقهاء اليمن، ص:157 ـ 158، الأهدل: تحفة الزمن، ص:231.

(120) ابن سمرة: طبقات فقهاء اليمن، ص:164، الجندي، السلوك، ص:349 ـ 350.

(121) الأهدل: تحفة الزمن، ص:293، 335.

(122) الجندي: السلوك، ص:517.

(123) ابن سمرة: طبقات فقهاء اليمن، ص:103، الجندي: السلوك، ص:282 ـ 283، الفقيه محمد بن عوف عاصر الفقيه أبوبكر بن جعفر المخابي (ت. سنة 500هـ).

(124) الحبشي: مصادر الفكر الاسلامي، ص: 171، القدوري توفي سنة (428هـ/ 1036م) الحبشي، مصادر، ص: 171.

(125) يحيى بن الحسين: طبقات الزيدية، ق67أ ، ق68، د. محمد دجيلي: الحياة الفكرية في اليمن، ص: 135.

ضمن من ألفوا وشرحوا على سبيل المثال الآتي:

عيسى بن إبراهيم الربعي (ت. سنة 480هـ/ 1087م) سكن أحَاظة له كتاب (نظام الغريب) في اللغة وصفه الجندي بقوله: (وعليه يعول كثير من أهل اليمن من وقت وجوده الى هذا الزمن من لا يقرأه ويتكرر فيه لا يعده كثير من الناس لغوياً) ، وأخوه إسماعيل بن إبراهيم الربعي (ت. سنة 480هـ/ 1087م) سكن أحاظة له كتاب سمي (قيد الأوابد) في اللغة ويعتبر هذان الأخوان أمامي النحو والأدب في وقتهما في اليمن)[126].

كذلك الحسن بن أبي عباد له مختصر في النحو سمي (مختصر الحسن) وقد وصفه الجندي بأن (غالب فقهاء اليمن وأنحائها كل منهم لا يستفتح الأشتغال بصناعة النحو إلا به) وابن أخيه إبراهيم بن محمد بن أبي عباد (ت. سنة 553هـ/ 1158م) له (تلقين المتعلم) في النحو وله (مختصر كتاب سيبويه)[127]، ويعتبر الحسن وابن أخيه إبراهيم إمامين في النحو في اليمن في عصرهما، وإليهما أرتحل طلاب النحو من أنحاء اليمن. كان وجودهما أواخر القرن الرابع وبداية القرن الخامس الهجريين[127]، وأيضاً الفقيه أبوبكر بن أبي عبدالله بن محمد اليافعي (449 - 555هـ/ 1057 - 1160م) سكن الجند ألف مختصر في النحو يعرف (بالمفتاح) وهو من الكتب المفيدة عند أهل اليمن[128].

والأديب ابن أبي عمر الصنعاني عاصر الإمام أحمد بن سليمان، والإمام عبدالله بن حمزة ألف في اللغة (سقط الجواهر الأدبية في الغريب من ألفاظ اللغة العربية).

والحسين بن مسلم التهامي عاصر الإمام عبدالله بن حمزة أيضاً ودرس على الحسن الرصاص، له رسائل في علم الكلام رد على الأشعرية منها رسالة سميت (الكاشفة بالبرهان الصحيح واللسان الصريح)[129]. وهناك آخرون ممن ألفوا في اليمن في اللغة ليس هنا مجال حصرهم.

---

(126) ابن سمرة: طبقات فقهاء اليمن، ص:156 ـ 157، الأهدل: تحفة الزمن، ص: 229 ـ 230، الجندي: السلوك، جـ1، ص: 329.

(127) الجندي: السلوك، جـ1، ص:287، يحيى بن الحسين: طبقات الزيدية، ق29، يورد الحبشي أن وفاة الحسن كانت على رأس الخمسمائة ووفاة إبراهيم أوائل المائة الخامسة للهجري، الحبشي: مصادر، ص:369.

(128) الجندي: السلوك، جـ1، ص: 287 ، 354.

(129) يحيى بن الحسين: طبقات الزيدية، ق68 أ ، 70 أ.

2 ـ النشاط العلمي في التاريخ: بدأت ظهور المؤلفات التاريخية في اليمن منذ ظهور الدويلات المستقلة بها أواخر القرن الثالث الهجري. وقد أخذت كتابة التاريخ في اليمن الطابع المحلي، وغالباً ماكان تدوين التاريخ يساير امتداد السلطة السياسية. كما اتصف التاريخ اليمني بعدم تأثره بعلم الحديث، في تدوين الأحداث التاريخية وذلك بسبب تأخر نشأة الكتابة التاريخية في اليمن عن نشأته في العالم الإسلامي[130].

ونتيجة لتعدد وجود المذاهب في اليمن ما بين سنية وإسماعيلية وزيدية، تعددت كتابة التاريخ بحسب وجود هذه المذاهب[131]، كما وجدت عدة طرق وأساليب في تدوين التاريخ في اليمن[132]. مثل الكتابة بحسب السنين لحوادث اليمن، أو حسب الدويلات، أو حسب المذاهب، وسوف نستعرض هنا الطرق المختلفة في تدوين التاريخ اليمني خلال فترة الدراسة:

من أوائل ما ظهر في اليمن من الكتابة التاريخية في عهد الدويلات المستقلة هي الكتابة على شكل سير ذاتية لمؤسسي المذاهب أو الدويلات، ومن أوائل ماظهر في هذا الصدد (سيرة الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين) تأليف العلوي علي بن محمد ابن عبدالله العلوي المتوفى أواخر القرن الثالث الهجري[133].

واستمرت كتابة السير الذاتية وعلى الأخص عند الزيدية، فظهرت في القرن الخامس الهجري: (سيرة الأميرين الأجلين الشريفين الفاضلين القاسم ومحمد ابني جعفر بن القاسم بن علي العياني)[134]، تاليف مفرج بن أحمد الربعي من رجال القرنين الرابع والخامس الهجريين، ولهذه

(130) د. أيمن فؤاد سيد: مصادر تاريخ اليمن في العصر الاسلامي، ص: 8، 14.

(131) د. أيمن فؤاد: نفس المرجع، ص: 23.

(132) راضي دغفوس: مصادر تاريخ جنوب الجزيرة العربية، مجلة المؤرخ العربي، ص: 120.

(133) د. أيمن فؤاد: نفس المرجع، ص: 82 ـ 83، عبدالله الحبشي: مصادر الفكر الاسلامي، ص:403، هناك سيرة أخرى للهادي إلى الحق اسمها:(سيرة امام الهدى والصدق أمير المؤمنين الهادي الى الحق)تأليف أبي جعفر محمد بن سليمان الكوفي المتوفى بداية القرن الرابع الهجري، د. أيمن فؤاد: نفس المرجع،ص:83. وهناك سيرة أخرى للمنصور بالله اسمها:(سيرة المنصور بالله)ابن محمد القاسم بن علي العياني المتوفى سنة 393هـ/ تأليف الحسين بن أحمد ابن يعقوب المتوفى أواخر القرن الرابع الهجري،د. أيمن فؤاد: نفس المرجع. ص: 83 ـ 84؛ د. شاكر مصطفى: المرجع السابق، ص: 104.

(134) Wilfeed Madelung The Sirat Al - Amerayn Sources For The History Of Arabia, P. 69

السيرة أيضاً أسماء أخرى مثل اسم (سيرة الأميرين القاسم ومحمد ابنا الإمام القاسم بن علي العياني)[135]، واسم (سيرة في أحوال القاسم بن جعفر ابن علي العياني المتوفى سنة 468هـ وأحوال أخيه ذي الشرفين)[136].

ومن السير الذاتية للزيدية أيضاً في القرن السادس الهجري: (سيرة المتوكل على الله أحمد بن سليمان) الذي تولى إمامة الزيدية في اليمن الأعلى مابين سنة 533 ـ 566هـ/ 1138 ـ 1170م، تأليف سليمان بن يحيى الثقفي من علماء القرن السادس الهجري[137].

وكذلك (سيرة الإمام المنصور بالله عبدالله بن حمزة) الذي تولى إمامة الزيدية في اليمن الأعلى أيضاً ما بين 594 ـ 614هـ/ 1197 ـ 1217م تأليف علي بن نشوان بن سعيد الحميري (ت. سنة 610هـ/ 1213م) والذي عاصر الإمام عبدالله بن حمزة، وهي سيرة حافلة تقع في عدة مجلدات.

وللإمام عبدالله بن حمزة عدة سير أخرى منها (سيرة الإمام عبدالله بن حمزة) تأليف ركن الدين أبوفراس فاضل بن عباس بن علي دغثم كان متولياً كتابة الإنشاء للإمام عبدالله بن حمزة[138]، اختصرها من سيرة الإمام المنصور بالله لعلي بن نشوان في أربعة مجلدات[139] أو ستة أجزاء[140]. وأيضاً وجدت سيرة أخرى له باسم (سيرة الإمام عبدالله بن حمزة) تأليف محمد بن أحمد الانف (ت. سنة 623هـ/ 1226م)[141].

كذلك وجدت سيرة ذاتية لدى الإسماعيلية الصليحية وهي السيرة المشهورة باسم السيرة الصليحية واسمها (سيرة السلطان المعظم الأمير الأجل المكرم شرف الدولة عز الملك الصليحي منتخب الدولة وغرسها ذي السيفين الداعي الأريحي أحمد بن علي بن محمد الصليحي أعلى الله قدسه)[142].

---

(135) مخطوطة بدار المخطوطات اليمنية بصنعاء تحت هذا الاسم رقم 2573.

(136) د. شاكر مصطفى: التاريخ والمؤرخون في اليمن الاسلامي، حتى القرن السابع الهجري، ص: 104.

(137) د. شاكر مصطفى: نفس المرجع، ص: 109، الحبشي: نفس المرجع، ص: 406.

(138) عبدالله الحبشي: نفس المرجع، ص:109.

(139) يحيى بن الحسين: طبقات الزيدية، ق69 أ .

(140) د. شاكر مصطفى: نفس المرجع، ص: 111.

(141) عبدالله الحبشي: نفس المرجع، ص:409.

(142) الاسم نقل من صورة المخطوط وهي لدى الباحث.

كذلك وجدت كتابة تاريخية على شكل تراجم لطبقة معينة، وغالباً ما أخذ هذا الطابع الشكل المذهبي فكان كل مذهب يترجم لأهل مذهبه، أما تراجم لأهل اليمن جميعاً فقد ظهر متأخراً أي في عهد الدولة الرسولية وما بعدها. ومن ضمن الترجمات لأهل كل مذهب الآتي:

تاريخ مسلم اللحجي: وهو مسلم بن محمد بن جعفر اللحجي الشَّطِي المتوفى سنة 545هـ/ 1150م له تاريخ يسمى (تاريخ مسلم اللحجي وطبقات مشاهير اليمن) ذكر فيه أعلام علماء مذهب الزيدية المُطَرِّفِيَة، وقد رتبه على خمس طبقات هي:

1 ـ الطبقة الأولى: في أحوال ابني الهادي.

2 ـ الطبقة الثانية: في ذكر أحوال المختار وأولاده وبني الضحاك.

3 ـ الطبقة الثالثة: من أخذ عن الطبري مثل مُطَرِّف وابن أبي الفوارس.

4 ـ الطبقة الرابعة: من أخذ على مطرف بن شهاب مثل نهد الصباح.

5 ـ الطبقة الخامسة: من عاصر مسلم من العلماء المطرفية[143].

وله أيضاً كتاب (الأترجة في شعراء اليمن) وهو تاريخ الشعراء في اليمن في عصر الجاهلية والإسلام[144]. كذلك له كتاب (شيء من أخبار الزيدية)[145].

ومن كتب الطبقات أيضاً كتاب (طبقات فقهاء اليمن) للفقيه عمر بن علي بن سمرة الجعدي المولود سنة 547هـ/ 1152م والمتوفى بعد سنة 586هـ/ 1190م ويسمى ايضاً (كتاب طبقات فقهاء اليمن وعيون من أخبار سادات رؤساء الزمن، ومعرفة أنسابهم، ومعرفة أعمارهم، ووقت وفاتهم)[146]، كما يسمى أيضاً (طبقات فقهاء اليمن الأسفل) أو (طبقات الفقهاء في جبال اليمن من صنعاء الى عدن)[147]. وهو عبارة عن تراجم للفقهاء الشافعية في اليمن منذ ظهور الإسلام الى

---

(143) يحيى بن الحسين: طبقات الزيدية، ق58 أ ب ، د. أيمن فؤاد: مصادر تاريخ اليمن، ص:106، عبدالله الحبشي: مصادر الفكر في اليمن، ص: 405، د. محمد الدجيلي: الحياة الفكرية في اليمن، ق6، ص: 147 ـ 148.

(144) د. أيمن فؤاد: نفس المرجع، ص: 107، د. محمد الدجيلي: نفس المرجع، ص: 156.

(145) د. شاكر مصطفى: التاريخ والمؤرخون في اليمن، ق7، ص: 108.

(146) ابن سمرة: طبقات الفقهاء في اليمن، ص ط ، د. شاكر مصطفى: التاريخ والمؤرخون في اليمن حتى ق6، ص: 108.

(147) ابن سمرة: نفس المرجع. ص ط .

زمن المؤلف أي سنة 586هـ/ 1152م[148].

كما ألفت كتب تاريخية في اليمن تتكلم عن فرق مذهبية معينة سواء كان الغرض من التأليف إبراز مساوئ هذه الفرق أم محاسنها، ومن هذا النمط كتاب (كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة) تأليف محمد بن مالك بن أبي القبائل الحمادي والمتوفى نحو 470هـ/ 1077م، وهو فقيه تحول من الإسماعيلية الى السنة. تكلم عن أخبار الإسماعيلية الباطنية في اليمن وتاريخهم وعقائدهم فأبرز مساوءهم ونصح المسلمين عدم الالتزام بمذهبهم، وركز فيه على علي بن الفضل الداعي الإسماعيلي وعن قيام الدولة الصليحية[149].

ومنها أيضاً كتاب (تحفة القلوب وفرحة المكروب) أو (تحفة القلوب في ترتيب الهداة والدعاة في الجزيرة اليمنية) تأليف الداعي الإسماعيلي في اليمن حاتم بن إبراهيم بن الحسن بن المسعود الحامدي (557 - 596هـ/ 1161 - 1199م) وهو عبارة عن استعراض للعقيدة الإسماعيلية، وشرح أخبار إنتقال زعماء الدعوة المستعلية من مصر الى اليمن[150].

كما يدخل ضمن هذا النمط من كتب التراجم والفرق كتاب (الحدائق الوردية في مناقب الأئمة الزيدية) تأليف حميد بن أحمد المحلي المتوفى سنة 652هـ/ 1254م، ترجم فيه للأئمة الزيدية في اليمن حتى وصل إلى زمن الإمام المنصور بالله عبدالله بحمزة المتوفى سنة 614هـ/ 1217م[151].

كما وجدت كتب تاريخية الفت بأسماء مدن يمنية والدول التي حكمتها وعلمائها وغير ذلك، وهذه الكتب وإن كانت تحمل أسماء مدن محددة، إلا أنها تستعرض تاريخ معظم اليمن منها:

تاريخ مدينة صنعاء: تأليف أبوالعباس أحمد بن عبدالله الرازي الصنعاني المتوفى بعد سنة 460هـ/ 1068م، تحدث فيه عن مدينة صنعاء وعن جماعة من علماء أهل اليمن وأمرائها وغالبهم من

---

(148) د. أيمن فؤاد سيد: مصادر تاريخ اليمن في العصر الاسلامي، ص: 111، د. محمد الدجيلي: الحياة الفكرية في اليمن، ق6، ص: 156 - 157.

(149) د. أيمن فؤاد: نفس المرحع، ص:92، د. شاكر مصطفى: نفس المرجع، ص: 105 - 106.

(150) د. شاكر مصطفى: التاريخ والمؤرخون في اليمن حتى ق6، ص: 109، د. محمد الدجيلي: الحياة الفكرية في اليمن ق6، ص: 157.

(151) د. شاكر مصطفى: نفس المرجع، ص:111، عبدالله الحبشي: مصادر الفكر العربي الاسلامي في اليمن، ص:411.

أهل صنعاء والجند، إضافة إلى أنه ذكر أخباراً عن مختلف اليمن، ووصل فيه الى سنة 460هـ/ 1068م[152].

وكتاب (المفيد في أخبار زبيد) لنصر الدين جياش بن نجاح المتوفى سنة (500هـ/ 1107م)[153]. إلا أنه لم يعثر على هذا الكتاب، وربما استعرض امتداد الدولة النجاحية في اليمن، وقد استفاد منه عمارة وغيره في كتبهم.

وكتاب (المفيد في أخبار صنعاء وزبيد وشعرائها وملوكها وأعيانها وأدبائها)[154] لنجم الدين أبو محمد عمارة بن أبي الحسن بن علي بن زيدان الحكمي المقتول سنة 569هـ/ 1174م تحدث فيه عن أخبار اليمن جبالها وسهولها، وهو عبارة عن تاريخ عام لليمن منذ قيام الدولة الزيادية حتى نهاية الدولة الصليحية ـ عدا الزيدية ـ ويعد كتاب عمارة من أهم كتب التاريخ اليمني منذ قيام الدويلات المستقلة حتى القرن السادس الهجري[155]، ويحتمل أن له أيضاً كتاب (أنموذج ملوك اليمن)[156].

كذلك وجدت كتب في تاريخ اليمن العام، فهناك مؤرخ مجهول في القرن الخامس الهجري كتب تاريخ اليمن واسمه (تاريخ اليمن في الكوامن والفتن وملوك حمير وفي رجال الحديث من الصحابة والتابعين وتابعي تابعيهم ومن وفد على الرسول صلى الله عليه وسلم من أهل اليمن ومن خرج من العمال وما جرى في اليمن الى القرن الخامس الهجري المحمدية صلى الله عليه وسلم واله واصحابه الطاهرين اجمعين آمين)[157].

---

(152) د. أيمن فؤاد: نفس المرجع، ص: 104، عبدالله الحبشي: نفس المرجع، ص: 405، د. شاكر مصطفى: نفس المرجع، ص: 105.

(153) د. أيمن فؤاد: مصادر تاريخ اليمن في العصر الاسلامي، ص: 96 ـ 97، د. محمد الدجيلي: الحياة الفكرية في اليمن، ق6، ص: 153.

(154) هذا الاسم مكتوب على غلاف نسخ المفيد لعمارة تحقيق محمد الاكوع.

(155) د. أيمن فؤاد: نفس المرجع، ص:108 ـ 109، د. شاكر مصطفى: التاريخ والمؤرخون في اليمن حتى ق7، ص: 107 ـ 108، د. محمد الدجيلي: نفس المرجع، ص: 150 ـ 152.

(156) د. أيمن فؤاد: نفس المرجع، ص:108، د. محمد الدجيلي: نفس المرجع، ص: 151.

(157) مخطوطة تحت هذا الاسم بمعهد المخطوطات العربية بالقاهرة،ميكروفيلم رقم18،مصور عن مخطوطة الامبروزيانا.

كذلك كتب في تاريخ اليمن العام الفقيه، أحمد بن علي بن أبي بكر العرشاني (542 ـ 607هـ/ 1147 ـ 1210م) له كتاب سمي (تاريخ اليمن) وله أيضاً (مختصر) جمع فيه من قدم اليمن من الفضلاء، وله كذلك تذييلات منها (تذييل على تاريخ الطبري) و (تذييل على تاريخ القضاعي)[158].

كذلك وجد في اليمن تدوين التاريخ على حسب السنين وهو ما يسمى بالحوليات من ذلك ما كتبه طاهر بن يحيى بن أبي الخير العمراني (518 ـ 587هـ/ 1124 ـ 1191م) عرف باسم (تاريخ طاهر بن يحيى العمراني) رتبه على حسب السنين مبتدئاً من أول الإسلام حتى عصره[159].

وهكذا تنوعت كتابة التاريخ الإسلامي في اليمن بأساليب متنوعة كما أنها اقتصرت على حسب الدويلات والفرق والمذاهب الإسلامية التي وجدت بها.

3 ـ النشاط العلمي في الجغرافيا: وجدت كتابة الجغرافيا في اليمن وهو ماكان يطلق عليه (علم البلدان)، وأول من ألف في هذا الموضوع الهمداني: أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني المتوفى سنة (360هـ/ 970م) له كتاب (صفة جزيرة العرب) فهو يعطي تعريفاً عن الأماكن المختلفة في اليمن مع ذكر وديانها ومأتي هذه الوديان وبلدان اليمن وسلاسلها الجبلية[160]. وله أيضاً كتاب (المسالك والممالك في عجائب اليمن وجزيرة العرب وأسماء بلادها)[161] إلا أنه مفقود.

كذلك ساهم في التأليف الجغرافي عن اليمن أحد الوافدين إليها وهو ابن المجاور: ابن محمد بن مسعود بن علي بن أحمد بن المجاور المتوفى سنة (630هـ/ 1233م) له كتاب سمي (صفة بلاد اليمن والحجاز) وصف فيه بلاد اليمن ونواحيها وطرقها وأورد المسافات وذكر آثار كل منزلة كما تحدث عن عادات السكان وأخلاقهم[162].

---

(158) الجندي: السلوك، جـ1، ص: 422 ـ 423، د. شاكر الدجيلي: الحياة الفكرية في اليمن ق6، ص: 158 ـ 159.

(159) د. أيمن فؤاد: نفس المرجع، ص:112، د. محمد الدجيلي: نفس المرجع، للمزيد من معرفة مصادر تاريخ اليمن، انظر د. أيمن فؤاد سيد: مصادر تاريخ اليمن في العصر الاسلامي.

(160) د. أيمن فؤاد: نفس المرجع، ص: 72.

(161) د. شاكر مصطفى: التاريخ والمؤرخون في اليمن حتى القرن السابع الهجري، ص: 102.

(162) د. أيمن فؤاد: نفس المرجع، ص: 123.

خامسا: النشاط الأدبي في مجال الشعر:

انتشرت الحركة الشعرية في اليمن خلال فترة الدراسة انتشاراً واسعاً وظهر فيها نوابغ الشعراء والأدباء، ولهم شعر راق وجيد أغلبه بعيد عن التكلف والتصنع. وقد تنافس الشعراء في بلاط الأمراء والسلاطين الذين كانوا يشجعون الشعراء والأدباء فيجزلون لهم العطايا والهدايا الفاخرة ويبالغون في إكرامهم، والشعراء يبالغون أيضاً في مدح الحكام، مما جعل الكثير من الناس يتأثرون بهذا المديح فيؤيدون الحكام ويسلمون لهم بالطاعة، لأن الشعر آنذاك كان بمثابة الاعلام عن الحكام وأعمالهم، ولذلك ظهرت نهضة شعرية شاملة في اليمن(163).

وليس هنا مجال لحصر الشعراء ولا شعرهم وإنما لاعطاء فكرة عن الأغراض الشعرية للشعراء، وانتماءاتهم الفكرية ومستوياتهم وطبقاتهم.

ومن حيث أغراض الشعر في اليمن فقد اتصف في معظمه بالمديح للامراء والحكام والعلماء وغيرهم. كما شمل عدة أغراض اخرى منها الهجاء والغزل، والتهدد، والتوعد، والتأنيب، والرد والعتاب، والتوبيخ، والرثاء، والفخر، والتحريض على القتال، كما تحدث عن فلسفة بعض الشعراء وعقائدهم المذهبية(164).

وربما عبر الشعر عن قصة حياة الشعراء والأمراء والحكام وبلدانهم وقومهم. فيصف حياتهم ومعاركهم ضد القبائل الأخرى. وانتصاراتهم وهزائمهم. وعموماً قد يشير الشعر إلى أخبار هامة للتاريخ في فترات حياة الشعراء والأمراء والمعاصرين لهم ويوضح اسلوب حياة المجتمع الثقافية والاجتماعية والدينية(165).

وقد ظهر الكثير من الشعراء في اليمن من نوعيات مختلفة في المجتمع منهم شعراء أمراء وملوك وسلاطين ووزراء، وأدباء وفقهاء وقضاة وغير ذلك.

فمن الملوك والسلاطين والأمراء والشعراء الملك علي بن محمد الصليحي مؤسس الدولة الصليحية الذي كان شاعراً مجيداً(166). والملك أبو طامي جياش بن نجاح صاحب زبيد الذي كان

---

(163) إسماعيل قربان: السلطان الخطاب حياته وشعره، دار المعارف بمصر، ص: 26 - 27.

(164) إسماعيل باقر: نفس المرجع والصفحات.

(165) انظر أحمد محمد العقيلي: ديوان السلطانين، إسماعيل باقر حسن: السلطان الخطاب حياته وشعره، نشوان الحميري: شرح القصيدة الحميرية، عمارة: المفيد تحقيق محمد الاكوع، ص: 240 - 366.

(166) عمارة: المفيد، ص. 287، بامخرمة: ثغر عدن، ص: 195.

شاعراً فصيحاً بليغاً أديباً[167]، وهو من الشعراء المجيدين، له ديوان شعر في مجلد ضخم، وله ترسل جيد ومتوسط بعيد عن التكلفة، ومن الشعراء السلاطين السلطان عبدالله يعلي الصليحي صاحب حصن خدد، والسلطان حاتم بن أحمد ابن عمران (ت. سنة 556هـ/ 1160م) صاحب صنعاء، والسلطان الخطاب بن أبي الحفاظ الحجوري[168]، وأخوه السلطان سليمان، ومن المخلاف السليماني كان الأميران وهاس ودهمش شاعرين مجيدين[169].

ومن الوزراء الشعراء، الوزير خلف بن أبي طاهر الأموي وزير الملك جياش الذي كان حسب وصف بامخرمة له (أحد أفراد الدهر فضلاً ونبلاً ورئاسة وعقلاً)[170]. والوزير الحسين بن علي بن محمد بن القم (430 - 480هـ/ 1038 - 1087م) الذي تادب على أبيه علي[171]، وكان شاعراً أديباً من أفاضل المبرزين في اليمن في الشعر والنثر والكتابة[172]، كان يحاكي طريقة أبي مقلة في الكتابة[173]. وكان يكاتب عن السيدة الحرة الصليحية الى الديار المصرية والأقطار الخارجية الأخرى[174]، وقد هرب ابن القم من زبيد خوفاً من جياش بن نجاح إلى سبأ بن أحمد بن المظفر الصليحي في الجبال فمدحه بعدة قصائد[175].

أما الأئمة الشعراء فأبرزهم الإمام أحمد بن سليمان الذي تولى الإمامة الزيدية في (532 - 566هـ/ 1137 - 1170م) والإمام عبدالله بن حمزة الذي تولى إمامة الزيدية ايضاً سنة (594 - 614هـ/ 1197 - 1217م)[176].

---

(167) بامخرمة: ثغر عدن، ص:78.

(168) عمارة: المفيد، ص: 213، 250 - 251، 275 - 276، 278.

(169) د. شوقي ضيف: تاريخ الادب العربي، عصر الدول والامارات، دار المعارف بمصر، ص: 161.

(170) بامخرمة: ثغر عدن، ص:102.

(171) عمارة: المفيد، ص:241.

(172) ياقوت الحموي: معجم الادباء، دار المأمون، جـ1، ص:30.

(173) صلاح الدين خليل الصفدي: الوافي بالوفيات، دار النشر فرانز شتاينر بقيسباون، 1404هـ/1984م، جـ13، ص:6.

(174) عمارة: المفيد، ص: 241، الصفدي: نفس المصدر والصفحة.

(175) عمارة: المفيد، ص:243.

(176) يحيى بن الحسين: طبقات الزيدية، ق 60 - 61.

ومن الشعراء اللغويين نشوان بن سعيد الحميري الذي عاصر الإمام أحمد بن سليمان كان شاعراً كثير الافتخار بقحطان على عدنان(177).

ومن الشعراء الأدباء الذين كان لهم شعر جيد الشاعر أبوبكر أحمد العندي، وهو الذي تولى ديوان الانشاء ووزارة آل زريع في عدن، وكان الداعي محمد بن سبأ يستشيره ويثق بمشورته(178). وقد مدح من آل زريع الداعي محمد بن سبأ وابنه عمران. كما مدح الأيوبيين عندما دخلوا اليمن بشعر جيد، وقد نال جوائز ضخمة على شعره، ومن جوائزه أنه منح عن قصيدة مدح لعمران، وعاء من فضة فيه ألف وسبعمائة دينار، وخلعه من أبي السعود بن عمران وأضاف أبوه الداعي عمران إليه مكس أحد المراكب مقدار مكسه الفي دينار(179).

كذلك ساهم الشعراء الفقهاء في حركة الشعر، في اليمن بشعر جيد، فمن الفقهاء الشعراء الفقيه أبوالعباس أحمد بن بحاره الحنفي، كان شاعراً مبرزاً في الأدب واللغة وعلم الكلام، يحذو حذو طريقة أبي نواس في الاشتهار بالخلاعة(180).

كذلك ساهم القضاة في حركة الشعر في اليمن، فمن الشعراء القضاة بنو أبي عقامة في زبيد منهم القاضي أبو محمد بن أبي عقامة، كان شاعراً وفقيهاً وإماماً في اللغة العربية، قتله جياش بن نجاح في زبيد، بسبب فتواه التي تقضي بعدم زواج إحدى بنات أهل موزع لجياش إلا برضا أهلها جميعاً. ومنهم القاضي الشاعر ابن أبي الفتوح والي الأعمال المقاربة لزبيد مثل حَيْس وفَشَال، وهو يعد من الشعراء المجيدين المكثرين، ومنهم أيضاً القاضي أبو محمد عبدالله بن علي بن أبي عقامة، الذي كان من الشعراء المجيدين، والقاضي أبو عبدالله محمد بن عبدالله المعروف بالحفائلي الذي كان شاعراً مترسلاً(181).

كما اشتهر بالشعر من قضاة الإسماعيلية القاضي يحيى بن أحمد بن أبي يحيى الذى كان

---

(177) يحيى بن الحسين: طبقات الزيدية، ق 60 ـ 62.

(178) عمارة: المفيد، ص:326، 333، وانظر محمد سعيد جرادة: الادب والثقافة في اليمن عبر العصور، ص:151 ـ 162.

(179) بامخرمة: ثغر عدن، ص:69، 215.

(180) عمارة: المفيد، ص: 294.

(181) عمارة: المفيد، ص:288 ـ 291، الحفائلي لقب من القاب المكتب (الديوان)، عمارة: المفيد، ص:291.

مقيماً بصنعاء، كان من أشهر شعراء أهل الجبال، مدح الداعي محمد بن سبأ صاحب عدن عندما اتجه لاستلام ذي جبلة من الأمير منصور بن المفضل، فاجازه الداعي على مدحه الف دينار، وقد كانت نهاية هذا القاضي الذبح من قبل أصحاب ابن مهدي عندما هاجموا مخلاف جعفر[182].

كما اشتهر من الشعراء الاباضية الشاعر أبو اسحاق إبراهيم بن قيس الحضرمي، تولى زعامة الأباضية في حضرموت قبيل منتصف القرن الخامس الهجري أيام علي الصليحي مؤسس الدولة الصليحية، وقد استطاع أبو اسحاق هذا أن يقف حائلاً دون تحقيق أطماع علي الصليحي في احتلال حضرموت، ولأبي إسحاق هذا ديوان يصور فيه أحداث حياته تصويراً جيداً، كما أن له قصيدة يشيد فيها بالاباضية وأخلاقهم الفاضلة، ويوضح كيف أصبح إماماً عليهم[183]، ويعتبر ديوانه مرآة صادقة يحكي عن عقيدة الأباضية وجهاده في نصرة هذا المذهب.

كما اشتهر الكثير من الشعراء الذين يتكسبون بشعرهم، فكانوا يمدحون الأمراء والسلاطين والحكام ليتقاضوا من وراء ذلك بعض المال. ولهم في ذلك المديح شعر جيد، ومن هؤلاء الشعراء الذين كانوا يتكسبون بشعرهم:

الشاعر محمد بن زياد المأربي أصله من مدينة مارب[184]، درس الأدب على يد علي بن رزين في هجرة وقش. ثم اتجه الى الجبال وتهامة يمدح الملوك والأمراء فكسب منهم أموالاً جليلة[185]، قال عنه مسلم اللحجي: (ثم رغب محمد بن زياد الماربي في الشعر وقوله واتخذه صناعة يتكسب بها)[186]. فممن مدحهم المفضل بن أبي البركات الحميري، الذي وصله عن قصيدة مدحه بها بألف دينار، كما مدح أبا السعود بن زريع، والشريف عيسى ابن حمزة السليماني صاحب عثر فوصله على مدحه بصلات جزيلة[187].

ومن الشعراء الذين كانوا يتكسبون بشعرهم الشاعر عمارة اليمني أصله من بلاد حكم

---

(182) عمارة: المفيد، ص:321 - 322.

(183) باوزير: معالم تاريخ الجزيرة العربية، ص:266، د. شوقي ضيف: تاريخ الادب العربي، عصر الدول والامارات، ص: 174 - 177.

(184) عمارة: المفيد، ص:268.

(185) يحيى بن الحسين: طبقات الزيدية، ق44 أ .

(186) مسلم اللحجي: تاريخ مسلم اللحجي ق 121.

(187) عمارة: المفيد، ص:269 - 270.

بالمخلاف السليماني، درس في زبيد الفقه واللغة والأدب، ثم بـدأ يشتغل بالتجارة ما بين عدن وزبيد، وفي عدن بدأ حياته الشعرية عن طريق الأديب الشاعر أبي بكر أحمد العنـدي الـذي أشار عليه أن يقول شعراً يمدح فيه الداعي محمد بن سبأ حاكم عدن، وفي البداية عمل الأديـب العنـدي قصيدة شعر علـى لسـان عمـارة هنـأ بهـا عـرس الداعـي محمـد بـن سبأ علـى بنـت الشـيخ بـلال الحمدي[188]. بعدها أشار العندي على عمارة أن يطـالع كتب الأدب ويتوقـف عـن مطالعـة الفقـه فاشتغل عمارة منذ ذلك الحين بالشعر ومدح الملوك والأمراء ونـال الكثير مـن العطايـا والجوائـز، يدل على ذلك ما روي أن الداعي محمد بن سبأ استدعى إليه عمـارة وطلـب منـه أن يقـول شـعراً يمدحه، فلما أنشده عمارة شعره، اعجب به الداعي وقال له: (قد كنت أتيـت القـاضي بخمسـمائة وخلعة، وأنا أتيتك مما تحت يدك بمثل ذلك، وأميزك عنه في الخلعة بثيابي الـتي عَلَـيَّ)[189]. كمـا أنـه مدح بقية الزريعيين وخواص رجالهم مثل الأديب العندي وبلال الحمـدي وولـده ياسـر بـن بـلال، كذلك مدح آل أبي عقامة قضاة زبيد[190].

وعندما اتجه عمارة الى مصر سنة 552هـ/ 1157م جعلها دار أقامتـه، وفيهـا مـدح الخلفـاء والوزراء الفاطميين، مثل الملك الصالح طلائع بـن رزيـك[191]. ولعمـارة ديـوان شـعر جيـد ورائـق ومؤنق يمدح فيه الفاطميين[192]، أما شعره فيمن مدحهم من اليمن فمفقـود، وعلـى العمـوم فشـعر عمارة في أغلب ديوانه يدور حول مدح عظماء الفاطميين من الخلفاء والـوزراء والأمـراء وأربـاب السيوف والأقلام، وحَظِيَ بنو رزيك بأفخم مدائحه في ديوانه، وذلك يعود إلى أنه قال شعره ذلـك في مصر[193].

ومن الشعراء المداحين، أو شعراء التكسب بالشعر إن جاز التعبير، الشاعر المعروف بابن

---

(188) عمارة: المفيد، ص: 280، بامخرمة: ثغر عدن، ص: 197، د. ذو النون المصـري: عمـارة اليمـني، النهضـة المصرية، 1966م، ص: 108، وانظر محمد سعيد جرادة، مرجع سابق، ص:137 - 146.

(189) ذو النون المصري: نفس المرجع والصفحة.

(190) بامخرمة: ثغر عدن، ص:198، ذو النون المصري: نفس المرجع والصفحة.

(191) بامخرمة: ثغر عدن، ص:198، ذو النون المصري، عمارة اليمني، ص: 48، 115.

(192) بامخرمة: ثغر عدن، ص:198.

(193) ذو النون المصري، نفس المرجع، ص: 141 - 142.

عكرمان وهو من أهالي جبال برع، له قصيدة مدح بها الشريف الأمير غانم بن يحيى بن حمزة السليماني صاحب عثر فأثابه عليها بألف دينار وهي من الشعر الجيد والسلطان زكريا بن شكيل بن عبدالبحري من بني بحر مدح الملك جياش بن نجاح ملك زبيد[194].

ومن الذين مدحوا الداعي علي بن محمد الصليحي الشاعر عمرو بن يحيى بن أبي الغارات ومن الذين مدحوا علي بن مهدي صاحب زبيد وأولاده في تهامة بشعر جيد الشاعر ابن الهبيني[195].

ومن الشعراء المداحين القادمين من خارج اليمن الشاعر مواهيب بن جديد المغربي، مدح الملك المفضل بن أبي البركات الحميري في ذي جبلة سنة 503هـ وكسب منه ومن السيدة الحرة أموالاً كثيرة، ومن ضمن جوائزه أنه مدح المفضل بقصيدة نال عليها ألف دينار، وعندما خرج من اليمن إلى مصر نهبت أمواله في مصوع فذهب كل ماله[196].

ومن الأغراض الشعرية استخدم اليمنيون الشعر في تدوين الكتابة التاريخية فكتبوا عدة قصائد شعرية تاريخية بعضها افتخار قحطان على عدنان، وممن نهجوا هذا النهج الهمداني له: (قصيدة الدامغة وشرحها) رد بها معارضاً على قصيدة الكميت بن زيد الأسدي التي هجا بها قحطان ومدح معدا من عدنان، فالقصيدتان عبارة عن مفاخرة فيما بين قبيلتي عدنان وقحطان[197].

ومنهم ايضاً محمد بن عبدالله الكلاعي المتوفى أوائل القرن الخامس الهجري، له قصيدتان: أحدهما (قصيدة ذات فنون) وهي قصيدة رائية في ذكر أنساب حمير ومفاخرها نظمها في قصر كحلان من منطقة رعين سنة 404هـ/ 1013م. والأخرى (القصيدة الكلاعية أو القاصمة) ذكر فيها أمراء قحطان ووزرائهم وكبرائهم وعلمائهم وشعرائهم أوردها في حوالي أكثر من الف

---

(194) عمارة: المفيد، ص: 271، 292 - 293.

(195) عمارة: نفس المصدر، ص:277، 323.

(196) عمارة: نفس المصدر، ص:285.

(197) د. أيمن فؤاد سيد: مصادر تاريخ اليمن في العصر الاسلامي، ص: 74 - 75، د. شاكر مصطفى: التاريخ والمؤرخون في اليمن الاسلامي حتى القرن السابع الهجري، مجلة كلية الاداب والتربية، جامعة الكويت، (ع) 13، ص: 102.

بيت[198].

ومنهم خمرطاش، أبو الحسن بن خمرطاش الزبيدي المتوفى سنة 554هـ/ 1159م له (القصيدة الخمرطاشية) وهي في تاريخ اليمن القديم[199].

ومنهم كذلك نشوان الحميري: وهو نشوان بن سعيد الحميري المتوفى سنة 573 هـ/ 1177م له (القصيدة الحميرية) في ملوك حمير وأقيال اليمن وشرحها المسمى (خلاصة السيرة الجامعة لعجائب أخبار الملوك التبابعة) وله (قصيدة يائية في تاريخ أنسابه)[200]. وهكذا تنوع النشاط الأدبي.

سادساً: مقتطفات من شعر الفترة المحددة للبحث:

كان الشعر أحد المواضيع الأدبية الكبيرة التي القى فيها الشعراء قصائد كثيرة في أغراض الشعر المتعددة، وخاصة في مجال مدح الأمراء والحكام والسلاطين وغيرهم. وليس هدفنا هنا حصر ذلك الشعر، ولكن نورد نموذجاً شعرياً لبعض أشعار شعراء فترة الدراسة لأخذ فكرة عن شعرهم في الصفحات التالية:

1 ـ أبوعبدالله بن الحسين بن علي القمي: الذي ولد بزبيد وتأدب فيها: من شعره قوله:

الليل يعلم أني لست أرقده ... فلا يغرنك من قلبي تجلده

فإن دمعي كصوب المزن أيسره ... وأن وجدي كحر النار أبرده

لي في هوادجهم قلب أضربه ... قسموه وإلا قمت أنشده

وبان للناس ما قد كنت أكتمه ... من الهوى وبدا ما كنت أجحده

ومن مديحه في الداعي سبأ بن أحمد الصليحي قوله:

كريم إذا جادت فواضل كفه ... تيقنت أن البخل ما يفعل السحب

أجار فلا خوف وأحي فلا ردي ... وجاد فلا فقر ورام فلا صعب

---

(198) د. أيمن فؤاد سيد: نفس المرجع، ص: 76 ـ 77، د. شاكر مصطفى: نفس المرجع، ص: 105.

(199) د. شاكر مصطفى: نفس المرجع، ص: 107.

(200) د. أيمن فؤاد سيد، نفس المرجع، ص: 78 ـ 79، عبدالله الحبشي: مصادر الفكر الاسلامي في اليمن، ص: 407، محمد سعيد جراده: مرجع سابق، ص: 168.

ويثني على قصاده فكـــأنه | يجاد بما يجدي ويحبي بما يحبـــوا
كتبت إليـــه والمفاوز بيننـــا | فكان جوابي جود كفيه لا الكتب
وما كنت أدري قبل قطع هباته | إليّ الفيافي أن أنعمه ركـــب

وله من قصيدة يهني بها المكرم بن علي زوج الملكة الحرة بدخوله عليها:

وكريمة الحسبين يكنف قصرهـا | أسد تهاب الأسد من صولاتها
وتكاد من فرط الحياء تغض عن | تمثالها المرأي في مرآتهـــا
ظفرت يداك بها فَبُخٍ إنمـــا | لك تذكر العلياء مصنوناتهـا

وله يعاتب جياشاً:

يا أيها الملـــك الذي | كل الملوك له رعيـــة
إن كنت من خدامكم | فعلام لا أعطى جريـة
أو كنت من ضيفانكم | فالضيف أولى بالعطية

ومن مراثيه:

لهفي لفقدك لهفاً غير منقطـــع | ما كان أقرب يأسي منك من طمعي
إن تسترح فأنا المبلو بعدك بالأحـ | زان أو تسل إني دائم الـجـــزع
كيف التداوي بدنيا لست ساكنها | أو إغتباطي بعيش لست فيه مـعي

2 - ومن شعر محمد بن زياد الماربي: يمدح أبا السعود بن زريع قوله:

ياناظري قل لي تراه كما هـو | إني لأحسبه تقمـــص لؤلؤة
ما أن بصرت بزاخر في شامخ | حتى رأيتك جالساً في الدُّملُوة

3 - ومن شعر الملك جياش بن نجاح حاكم زبيد قوله:

إذا كان حِلْم المرء عون عـــدوه | عليه فإن الجهل أبقـــا وأروح
وفي الصفح ضعف والعقوبة قوة | إذا كنت تعفو عن كفور وتصفح

وكتب إليه الحسين بن علي القمي:

يا أيها الملك الذي جرت لـــه | غلب الملوك نواكس الأذقـــان
أترى الذي وسع الخلائق كلها | يا ابن النصير تضيق عن إلسان

فأجابه جياش:

لا والذي أرسا الجبال قواعدا ... ذي العزة الباقي وكل فانِ

ما إن تضيق برحبنا لك منزل ... ولو أنه في باطن الأجفـان

ولـه:

تذوب من الحيا خجلاً بلحظي ... كما قد ذبت من نظري إليكـا

أهابك ملأ صدري إذ فؤادي ... بجملته أسير في يديكـــا

4 ـ ومن شعر عمرو بن يحيى بن أبي الغارات الهيثمي شاعر الداعي علي بن محمد الصليحي قوله على لسانه:

سلي فرسي عني ودرعي وصعدتي ... وسيفي إذا ما المشرفية سـلت

أنا ابن الربيع المنشدين محمـد ... إذا المعطرات السود بالماء ضنت

وسميت في قومي علياً لأنـني ... علوت فاحذيت الكواكب همتي

وله على لسانه:

الحـزم قبل العزم فاحزم وأعـزم ... وإذا استبان لك الصـواب فصمم

واستعمل الرفق الذي هو مكسـب ... ذكر القلوب وجـد وأجمل واحلـم

واحرس وشن واشجع وصل وامنن ... وصل واعدل وانصف وارع واحفظ وارحم

وإذا وعدت فعد بما تقوى عـلى ... انـجـازه وإذا اصـطنعت فتمـم

5 ـ كما كان علي بن محمد الصليحي حاكم اليمن شاعراً ومن شعره قوله:

وألذ من قرع المثاني عنـده ... في الحروب ألجم ياغلام وأسرج

خيل باقصى حضرموت أشدها ... وزئيرها بين العراق فمنبـج

ومن شعره:

انكحت بيض الهند سمر رماحهم ... فرؤسهم عوض النثار نثار

وكذا العلا لا يستباح نكاحهـا ... إلا بحيث تطلق الأعمـار

6 ـ ومن شعر القاضي أحمد بن محمد العثماني قوله:

ان من يعرف أيام الصبـا ... صدَّ اذ أبصر شيبي وصبـا

والذي تعرف مهري أدهما ... أنكرته اذ رأته اشهبـا

فاصرفوا الهم عن أضيافكم وخذوا متن عيشنا ما وهبنا

ضم شمل الود منا مجلـــس ترقص الأركان فيه طربــا

كل سمح الكف لو تسألــه كلما يملك جوداً وهبـــا

رب شمطاء تركناها وقـــد ركد الليل وأرخى الطنبــا

قالت الطارق؟ من قلت أنا واصيحابي وقالت مرحبــا

7 - ومن مدح الشاعر مواهيب بن جديد المغربي للمفضل بن أبي البركـات الحمـيري قصيـدة نـال عليها ألف دينار قوله فيها:

هذي الخميلة للربيع المونـــــق من وشي ذاك البارق المتألـــق

فانظر إلى زهر الرياض وضحكهــا من فيض دمع غمامه المترقــرق

سكبت عليها السحب شملة مرعد وطفا مذهبه بقدحه مـــبرق

فكأنه الماء فيضي الحيـــــــــا متبجس من عسجدي مـحـرق

غمر الرياض فكل وشي قـــراره منه يزر على غدير متأنـــــق

وكأن جدوله المرقرق صفحــــة سيف تشرب من خلال الغلـفق

نشر الربيع عليه مطوى الثـــرى من سندس خضر ومن استـبرق

والطل يندو والظل من عذباتــه والورق تسجع في الأراك المورق

8 - مدح الشاعر أبو الفتوح بن قلاقس الداعي محمد بن سبأ بقصيـدة نـال فيها ألـف دينـار أولها قوله:

سافر إذا حاولت قدرا سار الهلال فصار بـــدراً

والماء يكسب ما جرى طيباً ويخبث ما استـــقر

وبنقله الدرر النفيســة بدلت بالبحر نـحـــرا

يا راوياً عن ياســـر خبراً ولم يعرفه خـــبرا

أقرأ بغرة وجهـــــه صحف المنى إن كنت تقرأ

والثم بنان يمينـــــه وقل السلام عليك بحـــرا

وغلطت في تشبيهــه بالبحر فاللهم غفـــرا

أو لست نلت بذا غنى جما ونلت بذاك فقـــرا

وعهدت هذا ولم يزل | مدا وذاك يعود جزرا

9 ـ كما مدح القاضي يحيى الداعي عمران بن محمد بن سبأ بقوله:

كرم المكرم يذهل المشتاق عـــن | أشواقه والصب عن أوطانـــه
كرم إذا أخبرته وخبرتـــــــه | حقرت قدر سماعه لعيانـــــه
ليس البحار ولا السحائب تدعي | بسماحهن الجرى في ميدانـه
يممته والدهر قد بـــــلغت إلى | أقصى المدى مني مدى حدثانه
فأجارني من جوره من لايـــرى | أن النجوم أعز من جيرانـــه
لا يطمع المخلاف في وأهلـــه | لا كنت بعد اليوم من سكانه

10 ـ كذلك مدح الأديب الشاعر أبوبكر العندي الداعي عمران بقصيدة أولها قوله:

فلك مقامك والنجوم كووس | بسعوده التثليث والتسديس

ومنهـــا:

والبدر وجهك طالعاً في دستـه | لا البدر أجلى وجهه الحنديس
ياداعي الدين الذي أنس العلا | في جنب مغنى منه فهو أنيـــس
ياواحد العرب الذي يسمو بها | يوم المفاخر بحده القـــدموس
يامن تطابق فعله ومقالـــــه | فسمى به التطبيق والتجنيـــس
حق الكواكب أن تكون مدايحاً | لك والبروج صحائف وطروس

وقولـــه:

حياك يا عدن الحيا حيـــــــاك | وجرى رضاب لماه فوق لماك
وافتر ثغر الروض فيه مضاحـــكاً | بالبشر رونق ثغرك الضحـاك
ووشت حدائقه عليك مطـــــارفاً | فاختال في حبراتها عطفـــاك
فلقد خصصت بفضل سر أصبحت | فيه القلوب وهن من أسـراك

ومنهـــا:

وعلام استسقى الحيا لك بعد ما | ضمن المكرم بالندى سقياك
وهمت مكارمه عليك فصافحت | عن كفه مغنى الغنا مغنـــاك
وتأرجت رياك مسكاً عندمـــا | عبقت بريا ذكره ريـــــاك

وتأرجحت رياك مسكاً عندمـــــا عبقت بريا ذكره ريـــــاك

ومنهـــا:

والجود مبتسم الثغور ببذله أبداً وبيت المال منه شــــاك

من دوحة الشرف الزريعي رسخت بأصل في المفاخر زاكي

ومن مدائحه فيه أيضاً القصيدة المشهورة التي أولها:

ذكر العذيب ومايلات قبابـــه وقف الفؤاد على أليم عذابه

للـه أيام العــــذيب وإن ثنت قلب المعنى المستهام لما بـــه

وسقى ندا كرم المكرم مــلتقى عقدات أجرعه وشم هضابـه

ملك لو استسقى الزمان بجوده أغناه من سقيا ملت سحابـه

ملك أفاض على الزمان بهـاؤه فأعاده في عنفوان شبابـــه[201]

كذلك مدح الشاعر أبوبكر العندي شمس الدولة تورانشاه عندما فتح عدن بقوله:

أعساكر أرسلتها وجنــــــودا أم أنجماً أطلعتهن سعـــودا

أم تلك ماضية العزائم أرهــــفت بالرأي منك وجردت تجريـداً

أم تلك أقدار الإله ونصــــــره رفعت عليك لواءها المعقـــودا

فسموت تطوى البيد متسقاً بهـــا حتى كادت أن تبيد البيــــدا

ونهضت لا الصعب المرام رأيتـــه صعباً ولا المرمى البعيد بعيـدا

واقتدتها قيد الأياطل غـــــادرت متن الفلاة بركضها معقـــودا

شعثاً يطير بها المراح كأنهـــــا العقبان تحمل في الحديد أسـودا

وشهرت نصرك والعائم فالتـــظت منها البلاد تلبها ووقـــــودا

بسيوف بأس لا تفل مضاربــــــاً وجياد ركض لا تجف لبـــودا

جردتها من أرض مصر ما ارتضت إلا ربا يمن لهن غمـــــــودا

حتى صدمت بها زبيد صدمـــــةً كادت تزول عن الوجود زبيدا

---

(201) انظر عمارة: المفيد، ص: 240 - 318، تحقيق الأكوع.

11 ـ ومن شعراء تلك الفترة الشاعر عمارة اليمني الذي مدح شمس الدولة تورانشاه بقصيدة وحرضه فيها على فتح اليمن أولها قوله:

العِلْم مذ كان محتاج الى العَلَم ... وشفرة السيف تستغني عن القلم
كم تترك البيض في الأجفان ظامية ... إلى الموارد في الأعناق والقمم
أمامك الفتح من شام ومن يمن ... فلا ترد رؤوس الخيل باللجم
فعمك الملك المنصور رسومها ... من الفرات الى مصر بلا سأم
فاخلق لنفسك ملكاً لا تضاف به ... الى سواك وأور النار في العلم
هذا ابن تومرت قد كانت بدايته ... كما يقول الورى لحماً على وضم
وقد ترقى الى أن امسكت يده ... من الكواكب بالأنفاس والكظم
حاسب ضميرك عن رأي أتاك وقل ... نصيحة وردت من غير متهم

وله من أخرى:

أفاتح أرض النيل وهي عظيمة ... على كل راج فتحها ومؤمل
متى توقد النار التي أنت قادح ... بغمدان مشبوباً سناها بمندل
وتفتح ما بين الحصين وأبين ... وصنعاء من حصن حصين ومعقل
وتملك من مخلاف طرف وجعفر ... نقيضين من حزن خصيب ومسهل
وتخلق ملكاً لا يخيل بفخره ... على أحد إلا على عزمك العلى

وله من أخرى:

قالوا الى اليمن الميمون رحلته ... فقلت مادونه شيء سوى السفر
سير يسر بني الدنيا وطيب ... وطول عمر كذا يحكي عن الخضر
لا تُوقدنَّ لها النار التي خمدت ... خفض عليك تنل ما شئت بالشرر
المال ملء يد والقوم ملك يد ... ولا أطيل وهذا جملة الخبر[202]

---

(202) ابن شداد: الروضتين، ص: 216 ـ 217

12 ـ ومنهم الشاعر الحسن بن محمد النساخ المُطَّرِفي الذي كتب رسالة إلى الخليفة الناصر العباسي يشكو فيها الإمام عبدالله بن حمزة ويطلب منه القدوم للسيطرة على اليمن، مطلعها يقول

فيا غادياً نحو العراق مجثحـــــــثاً رحيل زكاة والحياة نصــــــاب

إلى أن ترى بغداد والمنبر الـــــذي به نسب للهاشمي قـــــــراب

ألم بابراج الخليفة لاثمــــــــــاً عراصاً وما كل التراب تــــرابا

ثرى مسه العباس ثم رجالـــــــه هو المسك والكافور طاب وطابوا

وقل لإمام العصر يابن خلائـــــف هم حج محجوجة وكعــــــاب

مقام بني العباس مشنق نبعـــــــة وعن شيبة الحمد انتضاه نصـــاب

غدت ملة الإسلام مقصومة العـرى وعامر دين اللـه وهو خـــــراب

تذبح أبناء وتسبى عقائـــــــــل ضلال ترى في أرضنا وتبـــــاب

بنات رسول اللـه بين بيوتهـــــم سبايا من الستر الجميل ســـلاب

فدع عنك أرض الروم وانهض لمكة فيسفك فيه مضرب وذبـــــاب

فما في قتال الروم فخر وهــــذه بأظهركم ما في الكلام كـــذاب

يغبر ريب الدهر دين محمــــــد وما راب أديان اليهود مـــراب

ومما سبق نجد أن الحركـة العلميـة اتسـمت بالنشـاط المتزايد في مجـالات العلـوم المنتشـرة آنذاك وأهمها العلوم اللغوية والأدبية والعلوم الدينية واتسعت لتشمل اليمن كله. وكان لها الأثـر الكبير على حياة المجتمع اليمني السياسية والدينية والفكرية والحضارية.

الفصل الثالث

المذاهب الاسلامية في اليمن

مرت بلاد اليمن كغيرها من بلدان العالم الإسلامي بما يمكن أن نطلق عليه مرحلة ما قبل المذاهب واستمرت الى منتصف القرن الثاني الهجري، وقد بلغت اليمن آنذاك مبلغاً كبيراً في العلم، ذكر لنا ذلك الجندي في عبارته الموجزة بقوله: (كان العلم في اليمن أشهر من سواه) [1] فارتحل اليها لطلب العلم الكثير. منهم سفيان الثوري، وسفيان بن عُيَيْنَة، وابن مبارك وغُنْدَر وهشام بن عروة [2]. كما رحل اليها محمد بن إدريس الشافعي وأخذ عن هشام بن يوسف الابناوى قاضي صنعاء وغيره،[3] وأحمد بن حنبل الذي وصل الى عدن ليتلقى العلم على إبراهيم بن الحكم العدني.[4]

ويبدو أن الرحلة كانت نتيجة أن الكثير من اليمنيين كانوا سباقين للذهاب الى مكة والمدينة لقربهما اليهم، للتفقه على أيدي الصحابة والتابعين، وكانت صفة العلماء آنذاك هي الرحلة الى بلدان من أخذوا العلم عن الصحابة والتابعين. وخاصة بعد موت أكثر الصحابة.

المرحلة المبكرة للمذاهب في اليمن:

ثم بدأت تظهر المذاهب الاسلامية وتنتشر في الأمصار ومنها اليمن، وممن ساهم في دخول المذاهب الى اليمن، الإمام أبو قرة موسى بن طارق اللحجي الجندي (203 هـ/ 818م)[5] كان فقيهاً حافظاً (وإماماً لمعرفة السنن والآثار).[6] صنف كتاب (الجامع) في السنن المعروف بـ (سنن أبي قرة) يروي فيه عن أصحاب المذاهب. كما أن له تواليف في الفقه انتزعها من فقه

(1) الجندي: السلوك، جـ 1،ص: 138.

(2) ابن سمرة: طبقات فقهاء اليمن، ص:66.

(3) الجندي: السلوك، جـ1، ص:157، بامخرمة: ثغر عدن، ص: 34، د. محمد أمين صالح: تاريخ اليمن الإسلامي، ص: 217.

(4) ابن سمرة: نفس المصدر، ص: 66، د. محمد أمين صالح، نفس المرجع والصفحة.

(5) ابن سمرة: نفس المصدر، ص: 69.

(6) الجندي: السلوك، جـ1، ص: 159، أبوقرة اللحجي أصله من الرعارع في لحج سكن الجند، ابن سمرة، ص: 69، وقد ينسب اليه الزبيدي نسبة الى سكنه بها. الجندي: السلوك، ص: 159.

الائمة الذين لقيهم وأخذ عنهم وهم الإمام مالك، والإمـام أبـي حنيفـة، والإمـام سـفيان الثـوري، والإمام سفيان بن عيينة ومعمر وابن جريج، وكان أبو قرة كثير التردد فيما بين عدن ولحج وزبيـد ومكة، وله في كل بلد منها رواية وأصحاب، وكان أهل اليمن قبل دخول الكتب المشـهورة اليهـم من كتب أهل السنة لا يرجعون الا الى سنن أبي قرة وسنن معمر.[7]

بعد ذلك عم انتشار المذاهب الاسلامية في اليمن كلها، فأخذت كل منطقة بمذهب معين.

ففي القرن الثالث الهجري كان انتشار المذاهب الاسلامية في اليمن على الوجه التالي:

كان الغالب على منطقة ما بين صنعاء الى صعدة أول الأمـر مذهـب أبـي حنيفـة، وكـانوا متولين أمر الجوامع فيها، كذلك انتشر حـول صنعـاء مذهـب الاباضيـة، كمـا انتشـر شمـال غـرب صنعاء مذهب الباطنية الإسماعيلية، أمـا في أواخـر القـرن الثـالث منـذ سـنة 280هـ/893م والقـرن الرابع الهجريين فقد انتشر في صعدة مذهب الشيعة الزيدية. كذلـك انتشـر في نواحـي نجـد اليمـن مذهب سفيان الثوري، وفي المعافر انتشر مذهب أبي المنذر. وفي تهامة انتشر المذهب المالكي حيـث كان الاذان فيها يردد على مذهب مالك [8] كما انتشر مذهب مـالك في عـدن [9]، وأيضـاً كـانت تكبيرة العيدين في زبيد على أقوال أبي مسعود [10] ومع انتشار المذاهب المختلفة في اليمن، الا أننـا نجد أنه في القرن الثالث الهجري وبداية القرن الرابع (كان الغـالب في اليمـن مذهـب مـالك وأبـي حنيفة) وكان مذهب أبي حنيفة أكثر انتشاراً [11].

ويرجـع فضـل انتشـار المذاهـب في اليمـن الى إرتحـال التلاميـذ اليمنيين مـــن اليمـــن الى

---

(7) ابن سمرة: طبقات فقهـاء اليمـن، ص: 69، الجنـدي: السـلوك، جـ1، ص: 159، الاهـدل: تحفـة الزمـن، ص: 99.

(8) المقدسـي: أحسـن التقاسـيم، ص: 69، د. أيمـن فـؤاد: تـاريخ المذاهـب الدينيـة في اليمـن، ص: 57، أبـو المنـذر: هـو أبوبكـر محمـد بـن إبراهيـم بـن المنـذر النيسـابوري كـان إمامـاً مجتهـداً، تـوفي سـنة 319هـ/931م، الصفـدي: الـوافي بالوفيـات جـ1، ص: 336، د. أيمـن فـؤاد: نفـس المرجـع والصفحـة، هامش رقم (4).

(9) ابن المجاور: صفة بلاد اليمن، ص: 132.

(10) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص: 96.

(11) ابن سمـرة: طبقـات فقهـاء اليمـن، ص: 74 ــ 79، د. محمـد عبدالعـال أحمـد: الايوبيـون في اليمـن، ص: 25. د. أيمن فؤاد. نفس المرجع، ص: 58.

خارجها للدراسة على يد أصحاب هذه المذاهب، وبعودتهم الى اليمن نشر كل واحد منهم المذهب الذي تعلمه في منطقته: فمثلاً: أدخل مذهب مالك الى وَصَاب الفقيه يوسف بن موسى بن علي المعروف بالتباعي الحميري، الذي ارتحل الى المدينة، فأدرك بها مالكاً فأخذ عنه المذهب، ثم أدخله الى اليمن ونشره بها [12] كما يرجع فضل انتشار المذاهب أيضاً الى قدوم بعض أصحاب هذه المذاهب الى اليمن واستقرارهم بها. وسوف نستعرض مذاهب أهل اليمن الدينية خلال فترة الدراسة في الصفحات التالية:

أولاً: المذهب الشافعي:

أما عن المذهب الشافعي فقد بدأ باليمن بداية بسيطة في القرن الثالث الهجري [13] ثم ظهر أكثر وضوحاً إبان القرن الرابع الهجري [14]، مبتدئاً من المعافر والجند على يد عدة فقهاء أدوا دوراً بارزاً في تدريس الفقه الشافعي ونشره. وعلى رأسهم الفقيه المعافري موسى بن عمران الخداشي السكسكي (من أعيان القرن الثالث والرابع الهجريين روى كتاب (المنتقى في السنن)) عن مؤلفه موسى بن أبي الجارود المكي المتوفى في (القرن الثالث) والذي بدوره روى كتاب الأمالي عن الشافعي[15].وقد استقر موسى بن عمران المعافري يدرس مذهب الشافعي في قرية (المَلْحَمة) قرب الجند. فكان يتردد عليه الكثير من الطلاب من أماكن متعددة من اليمن، مثل المعافر والجند، ومخلاف جعفر، لدراسة الفقه [16]، مكن ذلك جماعة كثيرة منهم من دراسة مذهب الإمام الشافعي ثم نشره في اليمن.

ومن المتقدمين أيضاً في نشر مذهب الشافعي وقتذاك الفقيه عبدالله بن علي الزرقاني

---

(12) الاهدل: تحفة الزمن، ص: 299.

(13) احمد شرف الدين: تاريخ اليمن الثقافي، جـ4، ص: 40، د. محمد الدحيلي: الحياة الفكرية في اليمن ق6،ص: 21.

(14) د. محمد عبدالعال: الايوبيون في اليمن، ص: 25.

(15) ابن سمرة: طبقات فقهاء اليمن، ص: 80 - 81، الجندي: السلوك، جـ1، ص: 277، أحمد شرف الدين: نفس المرجع، ص: 51، د. محمد الدجيلي: نفس المرجع، ص: 21 - 22.

(16) الجندي: السلوك، جـ1، ص: 250، الاهدل: تحفة الزمن، ص: 171، أورد يحيى ابن الحسين في كتابه غاية الاماني اسماً آخر عن أول من نشر مذهب الشافعي في الجند ومخلاف جعفر في القرن الثالث الهجري، هو عمر بن محمد الحواشي السكسكي وربما حدث نوع من التصحيف فيما بين الحواشي والخداشي،جـ1، ص: 203. لم أعثر على ترجمة للحواشي في المصادر التي اطلعت عليها.

المتوفى في رجب 371هـ/ 981م ارتحل الى مكة سنة 353هـ/964م للدراسة بها، فأخذ مذهب الشافعي عن الأسيوطي عن الطحاوي المصريين عن المزني عن الشافعي [17]. ثم عاد الى اليمن وسكن قرية الصردف شرق الجند، فأخذ عنه المذهب كثير من اليمنيين. [18]

وممن ساهم في نشر المذهب الشافعي أيضاً في نهاية القرن الرابع وبداية القرن الخامس الهجريين الفقيه أبو عبدالله محمد بن يحيى بن سراقة العامري ت(410هـ/ 1019م) ارتحل الى العراق فأخذ عن ابن اللبان في البصرة علم الفرائض. [19] وتفقه في بغداد على أبي حامد الاسفرائيني، ثم ارتحل الى مكة ومنها عاد الى اليمن وسكن المعافر فألف كتاباً سمي (كتابة المبتدئ في علم الفرائض) وتتلمذ عليه الكثير من أهل اليمن في مذهب الشافعي منهم أبو الفتح يحيى بن ملامس. [20]

كما ساهم أيضاً في نشر مذهب الشافعي في زبيد في هذه المرحلة الفقيه أبو بكر ابن المُضَرَّب الذي تفقه بشافعي آخر هو ابن المثنى، وهذا بدوره تفقه عن المروزي. [21]

ثم تأتي مرحلة زيادة انتشار مذهب الشافعي في القرن الخامس الهجري على يد الفقيه القاسم بن محمد الجمحي القرشي المتوفى بسهفة (437هـ/1045م) وتلاميذه. والذي يعد من أهم الفقهاء الذين دَرَّسُوا مذهب الشافعي ونشروه في اليمن. فقد وصفه الجندي بقوله: (كان هذا القاسم من علماء اليمن وعظمائهم انتشر عنه المذهب انتشاراً كاملاً وطبق الأرض بالأصحاب حتى لم يكن لأحد في المتقدمين من أهل اليمن أصحاب كأصحابه كثرة وفضلاً [22])

---

(17) الجندي: السلوك، جـ1، ص: 253، الاهدل: تحفة الزمن، ص: 173.

(18) الاهدل: تحفة الزمن، ص: 172.

(19) الجندي: السلوك، جـ1، ص: 257، الاهدل: تحفة الزمن، ص: 174، د. محمد الدجيلي: المرجع السابق، ص: 22.

(20) ابن سمرة: طبقات فقهاء اليمن، ص: 91.

(21) ابن سمرة: نفس المصدر، ص: 88 ـ 89، المروزي: هو القاضي أبو حامد أحمد بن عامر بن بشر المروزي، نفس المصدر.

(22) الجندي: السلوك جـ1، ص: 265، كما وصفه ابن سمرة بقوله: (كانت الشفعوية وكتبها وشيوخها قبل القاسم بن محمد القرشي وأصحابه غير مشهورة في اليمن)، ابن سمرة: طبقات، ص:80.

تفقه القاسم باليمن على يد عبدالله بن علي الزرقاني، وتفقه بأبي بكر بن المضرب في زبيد (بمختصر المزني) وشئ من شروحه. كما تفقه بالفقيه عبدالعزيز بن يحيى (أوربحي في المعافر، ثم عاد الى سهفنة، فأسس فيها مدرسته الفقية). (23)

لم يكتف القاسم بما أخذه من العلم في اليمن بل ارتحل الى مكة سنة 388هـ/ 998م، فلقى بها الفقيه أبا بكر أحمد بن إبراهيم المروزي، فأخذ عنه كتاب (السنن لأبي داود) وأخذ عنه (موطأ مالك) وأخذ أيضاً (مختصر المزني) عن البردعي النيسابوري عن المزني، كما أخذ علم القرءات ومعاني القرآن عن أحمد المقرى النيسابوري. (24)

ولما عاد الى اليمن اصطحب مع زميله الفقيه أحمد بن عبدالله الصعبى الفقيه الحسين بن جعفر المراغي من مكة الى سهفنة باليمن، فأخذ فيها عن المراغي (سنن المزني) و (سنن الربيع) وتواليف المراغي في علم الكلام، لذلك جمع القاسم بين عدد من العلوم مثل الفقه والحديث وعلم الكلام وأصول الفقه وعلم القراءات ومعاني القرآن. (25)

وفي أثناء استقرار القاسم في سهفنة للتدريس (قصده الطلاب من أنحاء اليمن. من صنعاء ونواحيها، والجند ونواحيها، ومن عدن، وأبين، ولحج، ونواحيها، ومن المعافر، والسَّحُول، وأُحَاظَة، ومخلاف جعفر، كوادى ظُبَأ وشَقَب وبحرانه ونواحي هذه الأماكن). (26)

لذلك يعتبر القاسم أشهر من نشر مذهب الشافعي في القرن الخامس الهجري وقد عده ابن سمرة بأنه (إمام ائمة الشافعية من صنعاء وعدن)، كما وصفه بقوله: (وهذا الفقيه القاسم، هو الذي انتشر عنه مذهب الشافعي في مخلاف الجند وصنعاء وعدن ومنه استفاد فقهاء هذا المذهب في هذه البلاد) (27) فبواسطته وتلاميذه انتشر فقه المذهب الشافعي خلال القرن الخامس الهجري في عموم اليمن، في فترة معاصرة حكم الدولة الصليحية في صنعاء ثم ذي جبلة، وبني زريع في عدن.

---

(23) ابن سمرة. طبقات فقهاء اليمن، ص: 88 – 89، الجندي: السلوك جـ1، ص: 264، د. محمد الدجيلي: المرجع السابق، ص: 23 - 24.

(24) ابن سمرة: نفس المصدر، ص: 89 - 90، الجندي: نفس المصدر، ص: 265.

(25) ابن سمرة: نفس المصدر، ص: 90، الجندي: نفس المصدر، ص: 265.

(26) ابن سمرة: طبقات فقهاء اليمن، ص: 88، الجندي: السلوك، جـ1، ص: 264، الاهدل: تحفة الزمن، ص: 281.

(27) ابن سمرة: نفس المصدر، ص: 87 - 88.

ومن أهم تلاميذه الذين ساهموا في تدريس المذهب ونشره هم: من المعافر (إسحاق العشاري ت(460هـ/1067م)) ومن الظُرَافة (جعفر بن عبدالرحيم المحابي ت (460هـ/1067م)) ومن وادي ظبأ (عمرو بن إسحاق المصوع وأبو الخير محمد بن كديس ت (508هـ/1114م)) ومن الصَّلْو (عبدالملك بن محمد بن ميسيرة اليافعي المتوفى في رجب 493هـ/1099م) وغيرهم الكثير[28]

ومن تلاميذ تلاميذه من (الظرافة) أبوبكر بن جعفر المحابي ت (500هـ/1106م) تفقه بأبيه جعفر المحابي، ومن (الصردف) إسحاق بن يوسف بن يعقوب الصردفي ت (505هـ/1111م) تفقه أيضاً بجعفر المحابي [29] وغيرهما، فكان لهؤلاء وغيرهم مساهمة كبيرة في نشر وتدريس المذهب الشافعي في اليمن.

كما كان الإمام زيد بن عبدالله بن جعفر بن إبراهيم اليافعي المعافري ت (514هـ/1120م) من أهم من نشر فقه المذهب الشافعي في هذه الفترة، ويعد شيخ المصنفين وأحد أعيان علماء اليمن وشيخ أشياخ فقهاء الزمن [30].

تفقه باليمن بصهره الشيخ إسحاق بن يوسف الصردفي، فقرأ عليه علم الفرائض والمواريث والحساب، ثم قرأ عند الإمام أبي بكر بن جعفر المحابي كتاب (الفروع) لسليم ابن أيوب الرازي. ثم ارتحل الى مكة للمرة الأولى فدرس الفقه على الإمامين الفقيهين الحسين بن علي الطبري مصنف (العدة) وأبي نصر البندنيجي مصنف (المعتمد في الخلاف) كما درس عليهما مصنفاتهما ومصنفات شيخهما أبي إسحاق الشيرازي مصنف (المهذب) في فقه الشافعي[31].

ولما عاد الى (الجند) في عهد حاكمها من قبل الصليحيين الأمير المفضل بن أبي البركات الحميري. اجتمع اليه للتفقه في مذهب الشافعي الكثير من التلاميذ من نواح شتى من اليمن حتى

---

(28) ابن سمرة: نفس المصدر، ص: 94 - 97، الجندي: السلوك، جـ1، ص: 270 - 274.

(29) ابن سمرة: نفس المصدر، ص: 103، 106، 107، الجندي: السلوك، جـ1، ص: 282 - 283.

(30) ابن سمرة: نفس المصدر، ص: 119، الجندي: السلوك جـ1، ص: 203، الاهدل: تحفة الزمن، ص: 207، أصله من المعافر سكن الجند، قيل أنه توفي سنة 514 هـ/ 1120م وقيل أنه توفي سنة 515 هـ/ 1120م، الجندي: السلوك جـ1، ص: 310.

(31) ابن سمرة: نفس المصدر، ص: 119 ــ 120، الجندي: نفس المصدر والصفحة، الاهدل. تحفة الزمن، ص: 207 - 208.

تجاوز عددهم ما بين المائتين [32]، والثلاثمائة طالب [33]. لأنه كان يقوم بالانفاق على معظم طلابه، ويعتبر الإمام زيد اليفاعي أول من أدخل كتب الشيخ أبي إسحاق الشيرازي الشافعي الى اليمن مثل (المهذب) و (اللمع) و (التنبيه) [34].

ثم حدث خلاف مع شيخه الإمام أبي بكر الحابي في الجند حول تولى قضاء الجند وإمامة مسجدها، وذلك بسبب الفتنة التي أحدثها بينهما الأمير المفضل بن أبي البركات الحميري، فاضطر الى الرحيل عن اليمن للمرة الثانية الى مكة فمكث بها اثنتى عشرة سنة تولى خلالها رئاسة التدريس والفتوى بها، ثم عاد الى اليمن بعد موت المفضل وذلك سنة 512 هـ/ 1118م. [35]

وعقب عودته قدم اليه الكثير من التلاميذ من أنحاء اليمن للدراسة والتفقه في مذهب الشافعي، فاجتمع عنده ما يزيد على مائتي طالب من تهامة، وحضر موت، وعدن، ولحج، وأبين والمعافر، والسحول، ونواحي الجند، وغيرها [36]، وكان غالب تدريسه في هذه المرة في بيته نتيجة كبر سنة وشيخوخته. [37]

ومن ضمن من قدم الى اليمن لنشر المذهب الشافعي في هذه المرحلة الفقيه أبو عبدالله محمد بن عبدويه النهرواني (ت. 523هـ/ 1128م) تفقه في بغداد بالإمام أبي إسحاق الشيرازي بكتاب (المهذب) و (بمسائل الخلاف) و (في الأصول والجدل) ثم سافر من بغداد الى اليمن فسكن في عدن في عهد آل زريع ثم ارتحل الى جزيرة كمران[38].

ومن ضمن من ارتحل اليه لدراسة مذهب الشافعي، الفقيه عبدالله بن أحمد بن محمد الزبراني من زَبَرَان، ورافقه الفقيه عبدالله بن يحيى الصعبي من سهفنة، سنة 505 هـ/ 1111م،

---

(32) ابن سمرة: طبقات فقهاء اليمن، ص: 120.

(33) الجندي: السلوك جـ1، ص: 304، الاهدل: تحفة الزمن، ص: 208.

(34) الاهدل: تحفة الزمن، ص: 213.

(35) ابن سمرة: نفس المصدر، ص: 122، الجندي: السلوك جـ1، ص: 308، الاهدل: تحفة الزمن، ص: 212، قيل عاد الى اليمن من مكة في سنة 512 هـ/ 1118م، وقيل سنة 513 هـ/ 1119م، والاهدل: نفس المصدر، ص: 112.

(36) ابن سمرة: نفس المصدر، ص: 152، الجدي: السلوك جـ1، ص: 318.

(37) الجندي: السلوك، جـ1، ص: 309.

(38) ابن سمرة: طبقات فقهاء اليمن، ص: 144، الاهدل: تحفة الزمن، ص: 223.

ورحل اليه زيد بن الحسن بن محمد الفائشي من أُحاظـة، وعمـر بـن علـي بـن أسـعد السـلالي مـن نَخْلان، وعيسى بن عبد العزيز بن أبي قرة وأخوه عبدالله من أبين ولحج، وراجح بن كَهْـلان مـن زبيد [39]، كما رحل اليه من غيرهم الكثير.

كذلك كان يحيى بن أبي الخير العمراني (489 ـ 558 هـ/ 1095 ـ 1162م)، مـن بـين مـن اشتهروا بالفقه وعملوا على نشر مذهب الشافعي وقد بدأ حياته العلمية بقراءة القرآن الكريـم في بلده (سير) ثم تفقه على خاله أبي الفتوح بن عثمان بن أسعد ابن عمـران. فـأخذ عنـه (الكـافي في الفرائض) للصردفي [40]، ثم تفقه بموسى الصعبي فأخذ عنه (التنبيه) [41].

ولما قدم الى (سير) الفقيه عبدالله بن أحمد الزبراني باستدعاء من مشايخها أخـذ عنـه يحيى بن أبي الخير (المهذب) و (اللمع) لأبي إسحاق الشيرازي و (الملخص) و (الارشاد) لابـن عبدويـه، كما أعاد عليه (كافي الفرائض) للصردفي. [42]

ثم ارتحل يحيى بن أبي الخير الى الإمام زيد بن الحسين الفائشي بأحاظة فأخذ عنه (التعليـق) في أصول الفقه، و (الملخص) لأبي إسحاق، وفي اللغة أخذ عنه (غريـب الحديـث) لأبـي عبيـدة، و (مختصر العين) للخوافي، و (نظام الغريب) للربعي وغير ذلك في مسائل الدور والخلاف. ورحل الى ذي السفال فأخذ الفقه عن عمرو بن بيـش اللحجي، و (كـافي النحـو) لأبـي جعفـر الصفـار، و (الجمل) للزجاج. كما أخذ عنه علم الدور. [43]

وعندما وصل الإمام زيد اليفاعي من مكة الى الجند ارتحل اليه يحيى بـن أبـي الخـير كغـيره ممن ارتحلوا اليه من أهل اليمن، فسمع عنده كتاب (النكت) وأخذ عنــه (المهـذب) للمـرة الثالثـة. وبعد موت الفقيه زيد اليفاعي، انتقل يحيى الى سهفنة فقرأ عنـد القـاضي مسـلم بـن أحمـد الصعـبي

---

(39) ابـن سمـرة: نفـس المصـدر، ص: 149، الجنـدي: السـلوك جـ1، ص: 324، الاهـدل: تحفـة الزمـن، ص: 224.

(40) ابن سمرة: طبقات فقهاء اليمـن، ص: 174، الجنـدي: السـلوك جـ1، ص: 340، الاهـدل: تحفـة الزمـن، ص: 238.

(41) ابن سمرة: نفس المصدر، ص: 175.

(42) ابن سمرة: نفس المصدر، ص: 175، الجندي: نفس المصدر والصفحة، الاهدل: نفس المصدر والصفحة.

(43) ابن سمرة: طبقات فقهاء اليمـن، ص: 175، الجنـدي: السـلوك جـ1، ص: 340، الاهـدل: تحفـة الزمـن، ص: 238.

كتاب (الحروف السبعة) في علم الكلام والتوحيد وأصول الدين تأليف الشيخ الحسين بن جعفر المراغي. (44)

وفي سنة 517 هـ/ 1123م انتقل يحيى الى ذي أشرق فسمع بها (الجامع للسنن) تصنيف الترمذي عن الشيخ سالم بن أحمد بن سالم (45). كما سمع كتاب (التبصرة) في علم الكلام وأصول الدين تصنيف أبي الفتوح في مدرستي الشيخين الإمامين زيد بن الحسن الفائشي، وزيد اليفاعي، والمدرستان تنقلانه عن الشيخ أبي نصر البندنيجي. (46)

كذلك ابتدأ الإمام يحيى في سنة 517 هـ/ 1123م بمطالعة (شروح المزني) وكتب أخرى مثل (المجموع) للمحاملي و (الشامل) لابن الصباغ وكتاب (الفروع) لسليم الرازي، و (شرح المولدات) للقاضي ابن الطيب، و(العدة) للقاضي حسين الطبري و(الابانة) و (شرح التلخيص) لأبي علي السنجي. (47)

وفي سنة 521 هـ/ 1127م ارتحل الفقيه يحيى بن أبي الخير الى مكة للحج، فالتقى بها بالفقيه الإمام محمد بن أحمد العثماني الدمياطي، فناظره وذاكره في مسائل الفقه والأصول. ولما عاد الى اليمن استمر في تدريس فقه الشافعي في منطقة (سير) الى سنة 549 هـ/ 1154م .. وعندما حدث حرب وفتن فيما بين أهل (سير) تعذر عليه البقاء بها فانتقل الى ذي السفال، ثم الى ذي أشرق. وأقام بها سبع سنين، وفي أثناء وجوده بها انتقل اليه فقهاء تهامة هاربين من ابن مهدي. (48) فأقاموا عنده أياماً طويلة مطمئنين بوجودهم معه. الا أنه حدث خلاف بين فقهاء تهامة وفقهاء ذي أشرق بسبب مناظرة كلامية في المعتقدات أدت الى تكفير بعضهم البعض. (49)

وفي سنة 554 هـ/ 1159م قدم الى إب القاضي جعفر بن أحمد بن عبدالسلام المعتزلي الذي أحضر كتب المعتزلة من العراق بغرض مناظرة الشافعية في اليمن الأسفل، فأرسل اليه الإمام يحيى تلميذه علي بن عبدالله بن عيسى بن أيمن الهرامي لمناظرته.

---

(44) ابن سمرة: نفس المصدر والصفحة، الجندي: نفس المصدر والصفحة.

(45) ابن سمرة: نفس المصدر، ص: 175 - 176، الجندي: نفس المصدر والصفحة.

(46) ابن سمرة: نفس المصدر، ص: 177.

(47) ابن سمرة: نفس المصدر، ص: 176.

(48) ابن سمرة: نفس المصدر، ص: 177، 179، الاهدل: تحفة الزمن، ص: 240.

(49) الجندي: السلوك حـ، ص: 342 - 343.

فاجتمع معه في حصن شُوَاحِط [50]، فناظره الهرامي حتى قطعه في عدة مسائل [51]، فعاد الى صنعاء دون مقدرته من مناظرة الشافعية.

وعندما أغار عبدالنبي على الجند وبواديها سنة 557 هـ/ 1161م خرج الإمام يحيى من ذي أشرق خوفاً منه الى (ضَرَاس) ثم ذهب الى ذي السفال وبها توفي سنة 558 هـ/ 1162م [52].

ومن أعمال الإمام يحيى أبي الخير تصنيف الكتب، فقد أشار عليه الإمام زيد اليفاعي بمطالعة جميع الشروح واستخراج الزوائد منها عن (المهذب) بعد ذلك بدأ جمع كتابه (الزوائد) سنة 517هـ/ 1123م، وانتهى منه سنة 520هـ/ 1126م[53]. بذلك يكون الإمام يحيى قد بدأ في تأليف الكتب قبل ارتحاله الى مكة، مما يدل على أن اليمن آنذاك قد بلغت مرحلة متطورة في العلم.

وعندما عاد الإمام يحيى من مكة الى اليمن بدأ في تصنيف كتابه (البيان) في سنة 528 هـ/ 1133م وانتهي منه سنة 533 هـ/ 1138م، ورتبه على نمط ترتيب (المهذب)، وكان كتاب (البيان) من أشهر الكتب الفقهية في اليمن ويقع في حوالى عشرة مجلدات، وقد وصفه بعض المحققين له بقولهم: (إنه انتحل الشروح المفيدة والأدلة السديدة والمسائل العتيدة والأقيسة الأكيدة، وضمنه الكتاب المذكور.) [54]

كذلك اشتهر كتاب (البيان) خارج اليمن، فلما قدموا به الى بغداد، وضع في أطباق الذهب وطيف به مزفوفاً داخل العراق. وقد قال جماعة من أهلها عن الكتاب (ما كنا نظن في اليمن انساناً حتى قدم (البيان) بخط علوان) [55]. كما وصفه ابن سمرة بقوله: (فكان كتابه (البيان) كاسمه بياناً وللعلماء هدى وتبياناً). [56]

---

(50) ابن سمرة: نفس المصدر، ص: 180.

(51) الاهدل: تحفة الزمن، ص: 241.

(52) ابن سمرة: نفس المصدر، ص: 179.

(53) ابن سمرة: نفس المصدر، ص: 179، الجندي: السلوك جـ، ص: 341.

(54) الجندي: السلوك حـ1، ص: 345.

(55) الجندي: السلوك حـ1، ص: 345، الاهدل: تحفة الزمن، ص: 243.

(56) ابن سمرة: طبقات فقهاء اليمن، ص: 182.

وفي سنة 549 هـ/ 1154م صنف كتاب (مشكلات المهذب) [57] كما صنف كتاب (الانتصار في الرد على القدرية الأشرار) [58] وقد بالغ الإمام يحيى بالرد على المعتزلة والأشاعرة في هذا الكتاب [59]. وكان سبب تأليفه ما أثاره القاضي الزيدي المعتزلي جعفر ابن عبدالسلام من فتنة الخوض في علم الكلام في إب سنة 554 هـ[60].

وهكذا كانت حياة الإمام يحيى بن أبي الخير العلمية حافلة بالكثير من الأعمال في مجالي التدريس والتصنيف.

ومن أهم تلاميذ الإمام يحيى الذين عملوا على نشر مذهب الشافعي وتدريسه، ابنه الفقيه طاهر بن يحيى بن أبي الخير (518 - 578 هـ/ 1124 - 1191م)[61]. وكذلك الفقيه الأجل سيف السنة (زين الحنبلية) أحمد بن محمد بن عبدالله بن مسعود البريهي السكسكي (ت 585 هـ/1189م) الذي سكن إب. وقد تفقه بالاضافة الى الإمام يحيى بكل من الإمام زيد اليفاعي، والحافظ علي العرشاني[62]، ولما ارتحل سيف السنة أحمد البريهي الى مكة سنة 580هـ/ 1184م سمع فيها (صحيح مسلم) فلما رجع الى اليمن دَرَّسَه في كل من إب وذي جبلة، ولما نزل الجند اجتمع اليه الكثير من الطلاب لدراسة (صحيح مسلم) من ظبأ وذي أشرق، وأعمال الجند وغيرها.[63]

من خلال عرض مجموعة الفقهاء السباقين يتضح لنا كيف كان هؤلاء الفقهاء يدرسون العلوم ويُدَرِّسُونَهَا، والكتب التي كانت تُدَرَّس وطريقة التدريس، وطريقة نشر فقه ومذهب الإمام الشافعي في اليمن، كذلك كيف كان نشاطهم العلمي والتأليفي ورحلاتهم داخل وخارج اليمن وكيفية اجتماع التلاميذ حولهم وعلاقتهم ببعضهم البعض.

والجدير بالذكر أن حكام اليمن من الصليحيين والزريعيين أتاحوا الحرية الكاملة لأهل

---

(57) الجندي: السلوك جـ1، ص: 342، الاهدل: تحفة الزمن، ص: 243.

(58) ابن سمرة: نفس المصدر، ص: 180.

(59) الاهدل: تحفة الزمن، ص: 241.

(60) ابن سمرة: نفس المصدر، ص: 180، كما صنف الإمام يحيى في ذي أشرق كتاب (غرائب الوسيط)، و (مختصر من أحياء علوم الدين) ابن سمرة ص: 181.

(61) ابن سمرة: المصدر السابق، ص: 186 - 187.

(62) الاهدل: تحفة الزمن، ص: 266 - 267.

(63) ابن سمرة: طبقات فقهاء اليمن، ص: 190.

المذاهب السنية، أن يمارسوا نشاطهم المذهبي كيفما يشاءون، فلم يحاولوا العمل على محاربتهم من أجل تغيير مذهبهم، باعتبار أن مذاهبهم مذاهب إسلامية، ليسوا على خلاف كبير معهم من الناحية الدينية، ولكن الخلاف بينهم كان حول مفهوم السلطة والحكم، إذ أن لكل مذهب إسلامي مفهوماً سياسياً حول السلطة. كان هذا المفهوم أكثر شدة وارتباطاً بالمذهب عند الشيعة منه عند أهل السنة. لذلك ترك الصليحيون لأهل السنة الحرية في نشر مذهبهم بل والاستعانة بهم في تولي مناصب القضاء في كافة المناطق التي دخلت تحت سيطرتهم في اليمن [64]، أي أن السلطة الدينية في عهد الصليحيين كانت في يد أهل السنة، في حين كانت السلطة السياسية إسماعيلية. وذلك بسبب أن معظم السكان الذين حكمهم الصليحيون كانوا من أهل السنة. لذلك تركوا لهم الحرية الدينية يحلون مشاكلهم من واقع مذهبهم.

الشافعية والسلطة:

على أن الحال لم يخل من بعض الصدام بين فقهاء السنة الشافعية وأمراء الإسماعيلية من الصليحيين، فقد أقدم الفقيه عبدالله بن عمر بن المصوع على قتل الأمير خالد بن أبي البركات أثناء ولايته للتعكر في ذي جبلة[65]، وذلك بسبب الخلاف المذهبي فيما بينهما حيث كان الأمير خالد على مذهب الروافض وهم الإسماعيلية الباطنية [66]. ووجود القاضي الإسماعيلي لمك بن مالك الحمادي الذي درس المذهب الإسماعيلي بمصر مدة خمس سنوات، وعاد الى اليمن بمساعدة الوالي خالد، حيث تولى القاضي لمك آنذاك قضاء ذي جبلة[67]. بالاضافة الى انتشارسب السلف الصالح من الخلفاء الراشدين عند الشيعة الإسماعيلية في ذي جبلة وحراز، إذ أن اليمن كلها لم تعرف سب الخلفاء الصحابة الا في مركزي الإسماعيلية بكل من حراز وذي جبلة[68] فأثار ذلك غضب فقهاء السنة وعلى رأسهم الفقيه عبدالله بن عمر المصوع الذي أقدم على قتل والى التّعْكُر خالد بن أبي البركات. ولما خلفه أخوه المفضل في تولى حصن التعكر، قام بالثأر لأخيه من فقهاء الشافعية، فقتل

---

(64) عمارة: المفيد، ص: 121 - 123.

(65) ابن سمرة: طبقات فقهاء اليمن، ص: 96، الجندي: السلوك جـ1، ص: 276، الاهدل: تحفة الزمن، ص: 187 - 188.

(66) الاهدل: تحفة الزمن، ص: 187.

(67) ابن سمرة: نفس المصدر، ص: 234.

(68) الاهدل: نفس المصدر، ص: 73.

المذكور وصادر أمواله وسبا بنيه.[69] فأدى ذلك الى خوف الكثير من فقهاء الشافعية في ذي أشرق، وظبأ، ونخلان، فهرب بعضهم منه ومن ضمن من هرب من فقهاء الشافعية في ذي أشرق، الفقيه إبراهيم بن عباد والفقيه زيد بن الحسن الفائشي.[70]

ومن جهة أخرى حاول الأمير المفضل بن أبي البركات أن يدخل الفتنة فيما بين فقهاء الشافعية في الجند، والتي كان يوجد بها إمامان فقيهان لكل واحد منهما مدرسة ولكل مدرسة آراؤها الفقهية التي تمثل حزباً قائماً بذاته، وهما مدرسة الإمام زيد اليفاعي ومدرسة الإمام أبي بكر بن جعفر المحابي. فحاول الأمير المفضل في فتنته بينهما أن يولى مدرسة الإمام زيد قضاء الجند وإمامة مسجدها ونظر الأوقاف بها لمدة شهر ثم يعزلهم، ويولي مدرسة الإمام أبي بكر المحابي. وهكذا سار في التولية والعزل، حتى أدى ذلك الى نشوب الخلاف والفتنة فيما بين الإمامين والمدرستين. مما اضطر الإمام زيد اليفاعي الى الهجرة الى مكة للمرة الثانية، فمكث بها مدة اثنتي عشرة سنة تولى فيها رئاسة التدريس والفتوى. ثم عاد الى اليمن سنة 512 هـ/ 1118م بعد أن مات الفضل بن أبي البركات.[71]

كما استمر الصراع في عهد المفضل بن أبي البركات، حيث حاول فقهاء السنة الاستيلاء على حصن التعكر، وذلك في أثناء نزول المفضل الى زبيد لمساعدة أولاد فاتك النجاحي في استعادة سلطتهم على زبيد من أبناء عمومتهم. فلما علم المفضل باستيلاء الفقهاء على حصن التعكر بمساعدة بعض القبائل، عاد مسرعاً من زبيد الى ذي جبلة. ولكنه لم يتمكن من استعادة الحصن فقد مات عقب وصوله[72] مباشرة وقيل مات مسموماً[73] وربما يعود قتله بالسم من قبل رجال السنة انتقاماً منهم على ما فعله بفقهاء أهل السنة وعلى مخالفته مذهبهم.

كذلك ربما يرجع قتل السلطان أسعد بن أبي الفتوح الحميري ابن عم المفضل ابن أبي

---

(69) ابن سمرة: نفس المصدر، ص: 96، الجندي: نفس المصدر والصفحة، الاهدل: نفس المصدر والصفحة.

(70) ابن سمرة: نفس المصدر، ص: 156.

(71) ابن سمرة. نفس المصدر، ص: 121 ـ 122، الجندي: السلوك جـ1، ص: 308، الاهدل: تحفة الزمن، ص: 209 ـ 212، بامخرمة: قلادة النحر، جـ 1، ص: 664.

(72) عمارة. المفيد، ص: 158.

(73) ابن سمرة: نفس المصدر، ص: 97.

البركات في حصن صبر بتعز سنة 514 هـ/ 1120م، بسبب مخالفته مذهب أهل السنة وتأييده مذهب الإسماعيلية. [74]

وفي عهد بني مهدي عملوا على عداء المخالفين لهم فيما اتخذوه من مذاهب فحدث أن تعرض أهل السنة الى قتل وتشريد، فعندما استولى ابن مهدى على زبيد وتهامة سنة 554 هـ/ 1159م، هرب الكثير من فقهاء زبيد الى الجبال حيث استقروا في ذي أشرق عند الإمام يحيى بن أبي الخير الذي أكرمهم فأنِسُوا بالمكوث عنده. [75]

ومن ضمن من هرب منهم من زبيد الى عدن لنفس السبب الفقيه أبو عبدالله محمد ابن عبدالله بن قريظة. [76] والفقيه حسين المقيبعي [77] ، ومن هرب منهم متنقلاً من مكان الى آخر. الفقيه أبو الحسن على بن أحمد بن علي اليهاقري انتقل من الجند الى العوادر شرق الجند فمكث بها حتى توفي سنة 558 هـ/ 1162م [78]، والإمام يحيى بن أبي الخير انتقل من ذي أشرق الى ذي السفال، والفقيه طاهر بن يحيى بن أبي الخير ارتحل بأسرته الى مكة فمكث بها سبع سنين ثم عاد الى اليمن. [79]

وعندما قدم الأيوبيون الى اليمن سنة 569 هـ/ 1173م أزالوا كل الدويلات المذهبية في كل من عدن، وذي جبلة، وزبيد، وصنعاء. ومنذ ذلك الحين أصبحت السلطة السياسية لصالح أهل السنة في اليمن بالاضافة الى السلطة الدينية، ففي عهدهم دخل التعليم مرحلة جديدة وهي مرحلة الدراسة في المدارس فساهم ذلك في نشر مذهب أهل السنة في مناطق سلطة الأيوبيين السياسية في كل من تهامة والهضبة الجبلية ما بين صنعاء وعدن، التي انتهي منها مذهب الإسماعيلية، فلم يعد بعد ذلك لهم وجود في تلك المنطقة منها ذي جبلة التي كانت أحد مراكز الإسماعيلية الرئيسية حيث استقر بها في العهد الأيوبي الكثير من أهل السنة حتى أصبح غالب

---

(74) ابن سمرة: نفس المصدر، ص: 153.

(75) الجندي:السلوك جـ1ـ ص:342، د.محمد عبدالعال:الايوبيون في اليمن،ص: 59 - 67.

(76) الاهدل: تحفة الزمن، ص: 279.

(77) الجندي. السلوك جـ1، ص: 375.

(78) الجندي: السلوك جـ1، ص: 380 - 381، الاهدل: تحفة الزمن، ص: 277.

(79) ابن سمرة: نفس المصدر، ص: 179 - 187.

السكان بها في عهدهم من أهل السنة. [80]

ثانياً:المذهب الزيدي:

ارتبط نشر المذهب الزيدي في اليمن بالأئمة الزيدية أنفسهم أي أننا لا نستطيع فصل نشر المذهب الزيدي عن سيطرة الأئمة الزيدية على مناطق اليمن وتوسعهم فيها. أو عن تاريخهم السياسي وهذا موضوع طويل ليس هذا مجال البحث فيه ولكننا هنا نعطى أمثلة عن انتشار المذهب الزيدي عن طريق آئمته. وعلى ذلك فقد بدأ دخول المذهب الزيدي الى اليمن في أواخر القرن الثالث الهجري على يد الإمام الهادي الى الحق يحيى بن الحسين، عندما قدم اليها بناء على استدعاء من قبائل صعدة الموالين للعلويين. فقد كانت قبائل خولان صعدة منقسمة فيما بينها الى فريقين: الاكيليون وعلى رأسهم آل عباد كانوا موالين للخلافة العباسية، والفطيميون كانوا موالين للعلويين. وعلى أثر خلاف فيما بين القبيلتين ذهب الفطيميون الى المدينة المنورة لطلب الإمام الهادي الى الحق، فقدم الى اليمن سنة 280 هـ/ 893م وفي سنة 284 هـ/ 897م بايعوه إماماً عليهم وناصروه ، واستقر الإمام بصعدة وأصبح الفطيميون عماد دولته وأولاده من بعده، وعليهم كان قيام الدولة الزيدية وبدايتها نكاية منهم لأعدائهم الأكيليين أنصار الخلافة العباسية [81].

يتضح من ذلك أن الدعوة للإمام الهادي لم تكن صادرة من عامة قبائل اليمن، بل كانت من قبائل خاصة هم خولان صعدة [82] ، لذلك ظلت صعدة أهم مركز للزيدية، وفيها عمل الإمام على حل الخلاف فيما بين القبيلتين الكبيرتين من أهل خولان [83].

كما كان توسعه نحو نجران بنفس الطريقة بأنه عمل على حل الخلاف، فأصلح فيما بين (بني الحرث) من جهة و (شاكر) و (يام) و (الأحلاف) من جهة أخرى الذين كانوا على عداء مع بعضهم البعض. [84]

---

(80) الجندي: السلوك جـ1، ص: 356.

(81) الهمداني: الاكليل، جـ1، ص: 329،د.محمد أمين صالح: تاريخ اليمن الإسلامي، ص: 149، الفطميون من سعد بن سعد بن حولان، والأكيليون من الربيعة بن سعد من خولان، الهمداني: الاكليل جـ1، ص: 307، ص: 327.

(82) د. محمد أمين صالح: تاريخ اليمن الإسلامي، ص: 149.

(83) يحيى بن الحسين: غاية الأماني، جـ1، ص: 167، د. محمد أمين صالح: نفس المرجع والصفحة.

(84) يحيى بن الحسين: نفس المرجع والصفحة.

وهكذا كانت بداية وجود الزيدية في اليمن على يد الإمام الهادي الى الحق، عن طريق حل المشاكل القبلية، فأدى ذلك الى طاعة تلك القبائل له وتأسيس دولته التي استمرت طوال العصر الإسلامي، لأن الظروف كانت مناسبة لنجاح قيام الدولة الزيدية في اليمن آنذاك، فمن الناحية الخارجية سيطر الأتراك على أمر الخلافة العباسية (85)، واضطربت الأحوال فيها فضعفت (86)، وذلك نتيجة ظهور ثورتي الزنج في البصرة والقرامطة في البحرين فلم تستطع الخلافة العباسية أن تقدم لأنصارها في اليمن أي دعم أو مساعدة بسبب ما تعرضت له، فتركتهم يحلون مشاكلهم بأنفسهم.

ومن الناحية الداخلية كانت القبائل اليمنية في صعدة ونجران وغيرهما يسودها العداء والفتن والحروب لم تستطع حل مشاكلها، فكان ذلك فرصة مناسبة للإمام الهادي أن يدخل اليمن ويعمل على الصلح فيما بين قبائلها ويستقر بها. كما أن بني يعفر أعوان الخلافة العباسية في اليمن كانوا غير قادرين على منع الإمام من دخول اليمن بسبب الضعف الذي حل بهم. وذلك يتضح من خلال عدم مقدرتهم على حل مشاكل عداء القبائل مع بعضها البعض. إضافة الى ذلك ما ساد اليمن من قحط وجدب أثر في إمكانيات دويلاتها من عدم توفير الأموال اللازمة والجند لحماية البلاد. (87)

والزيدية هم (أتباع زيد بن علي بن الحسين بن علي ساقوا الإمامة في أولاد فاطمة عليها السلام ولم يجوزوا الإمامة في غيرهم) (88). ويتضح من ذلك أن مفهوم الزيدية السياسي هو أن يكون الإمام عدلاً فاطمياً أي من نسل كل من الحسن والحسين وفي نطاق بني فاطمة (89). ولا يتولى السلطة منهم الا من كان مجتهداً بلغ درجة الإمامة في العلوم الدينية. لذلك كان أغلب من يتولى الإمامة عند الزيدية علماء مجتهدون (90)، أما من لم يبلغ الإمامة وأعلن الخروج يعد محتسباً.

---

(85) د. محمد أمين صالح: تاريخ اليمن الإسلامي، ص: 149.

(86) محمد عبدالله ماضي: دولة اليمن الزيدية، المجلة التاريخية المصرية، 3، (1950م)، ص: 23.

(87) د. محمد أمين صالح: نفس المرجع، ص: 149 - 150.

(88) الشهرستاني: الملل والنحل، جـ1، ص: 207، د. محمد عبدالعال: الأيوبيون في اليمن، ص: 36.

(89) د. أمين صالح: تاريخ اليمن الإسلامي، ص: 148.

(90) محمد عبدالله ماضي: دولة اليمن الزيدية، ص: 22، د. محمد عبدالعال: الأيوبيون في اليمن، ص: 34 هامش رقم 2

ومن ضمن مفهوم الزيدية السياسي أيضاً أنهم يجوزون ولاية المفضول مع وجود الأفضل، اذا كان به مصلحة عامة للمسلمين. كما جوزوا خروج إمامين في وقت واحد، اذا كانا في بلدين متباعدين، أما عصمة الإمام والاعتراف بنظرية المهدي المنتظر فهم لا يقرون بها. (91)

ويطلق على الزيدية في اليمن (الزيدية الهادوية) نسبة الى الإمام الهادي الذي يعتبر عالماً مجتهداً في المذهب الزيدي، والذي أسس له مذهباً خاصاً به في الفروع، وقد (خالف جده الإمام زيد بن علي على ما في مذهبه ولم يتقيد بأقواله) (92). أي أن الإمام الهادي سار في الأصول على حسب مذهب الإمام زيد أما الفروع فقد اجتهد بها (93)، وهذا يرجع الى اشتراط الزيدية في الإمامة الاجتهاد وعدم التقيد بمذهب من سبقوهم. (94)

وقد تأثر الإمام الهادي والزيدية عموماً بآراء المعتزلة في أصول الدين وعلم الكلام، لأن الإمام الهادي نفسه كان تلميذاً للشيخ أبي القاسم البلخي المعتزلي المتوفى سنة 319 هـ/ 931م (95). كما تأثرت الزيدية بمذهب أبي حنيفة في الفقه وفروعه، فصار أقرب مذاهب أهل السنة الى الزيدية. (96) أو أن الزيدية صارت أقرب المذاهب الى أهل السنة.

وقد أدى الإمام الهادي ومن أتى بعده من الائمة دوراً بارزاً في نشر المذهب الزيدي في اليمن ابتداء من صعدة ونواحيها. وقد خاض رجال الزيدية معارك عدة مع كل من الأباضية والإسماعيلية في الهضبة الواقعة ما بين صعدة وصنعاء، حتى استطاعوا أن يحولوا معظمهم إلى مذهب الزيدية الهادوية تارة بالقوة وتارة بالتهديد وأخرى بالاقناع، أما بقية القبائل فقد اعتنقوا المذهب عن تعلمهم له.

غير أننا نجد في نهاية القرن الرابع وبداية القرن الخامس الهجريين أن الزيدية الهادوية في

---

(91) د. محمد أمين صالح: نفس المرجع، ص: 148.

(92) يحيى بن الحسين: طبقات الزيدية، ق 5أ.

(93) يحيى بن محمد المقرائي: نزهة الأنظار في ذكر ائمة الزيدية الاطهار، دار الكتب المصرية ميكروفيلم رقم 358، ق 16 أ.

(94) محمد عبدالله ماضي: دولة اليمن الزيدية، ص:21.

(95) يحيى بن الحسين: طبقات الزيدية، ق 5 أ.

(96) يحيى بن الحسين: نفس المصدر، ق 24 أ، محمد عبدالله ماضي: نفس المرجع والصفحة.

اليمن افترقت الى ثلاث فرق، فرقة سميت مُختَرِعة، وهي التي تقول باختراع الأعراض، وفرقة مُطرَّفِية، وهي التي تقول بحدوث العالم وأن العالم يحيل ويستحيل، وفرقة حسينية نسبة الى الحسين بن القاسم العياني (ت. 404 هـ/ 1013م) والتي ادعت أنه المهدي المنتظر، ونتيجة لهذا الإنقسام دخلت الزيدية المطرفية والزيدية المخترعة في صراع فكري حول العقيدة تلاه صراع عسكرى في عهد الإمام عبدالله بن حمزة، والذي أجبر الكثير من المطرفية على ترك مذهبهم والعودة الى مذهب الاختراع كما سيتضح فيما بعد.

قبيل قيام الدولة الصليحية عام 429 هـ/ 1037م خلت اليمن من أئمة زيدية، غير أنه قدم الى اليمن بداية قيام الدولة الصليحية إمام زيدي لنشر المذهب الزيدي بها هو أبو الفتح الديلمي، فحاول نشره في كل من البون شمال صنعاء وصعدة وصنعاء وذمار، الا أن الداعي علي الصليحي لم يترك له فرصة لاستمرار إمامته في اليمن، وجمع شمل الزيدية تحت لوائه. فاتجه اليه وقتله سنة 444 هـ/ 1052م بنجد الحاج في بلاد عنس. [97]

وكذلك عمل على نشر المذهب الزيدي في عهد الصليحيين كل من الشريف الفاضل وأخيه ذي الشرفين، وكان هذان الشريفان أهم من قاما بنشر المذهب الزيدي في هضبة شمال صنعاء في عهد علي الصليحي وابنه المكرم. وقد ظل الشريفان يصارعان الدولة الصليحية مدة حياتهما، فتارة يتصالحان معها وأخرى يدخلان في حرب معها، فلما سعى علي الصليحى لتكوين دولته نهض اليه الشريف الفاضل وأخوه وأبوهما بمساعدة بعض رؤساء همدان لمقاومة الصليحي، فخاضوا معه عدة معارك. كان آخرها المعركة التي حدثت في منطقة (الهرابة) انتهت بانتصار علي الصليحي[98]. بعدها توقفت الحرب بينهما الى أن قتل علي الصليحي سنة 559 هـ/ 1066م فعاود الشريفان الحرب مع الصليحيين في عهد المكرم على أثر قتل أبيه مباشرة، واستطاع الشريفان أن يسيطرا على بلاد وادعة وبكيل مما اضطر المكرم الى أن يعقد صلحا معهما بأن يكون نقيل عجيب الحد الفاصل بين الزيدية والإسماعيلية، وذلك بسبب اتجاه المكرم لاستخلاص أمه من أسر آل نجاح لها[99]، كذلك استطاع الشريفان أن يوجدا للزيدية مراكز هامة هي شهارة ، والجوف

---

(97) المحلي: الحدائق الوردية، ص: 104، ابن عبدالمجيد: بهجة الزمن، ص: 71 - 72.

(98) الربعي: سيرة ذي الشرفين ق 13 أ، حسين الهمداني: الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن، ص: 82.

(99) أحمد المطاع: تاريخ اليمن الإسلامي، ص: 185.

وصعدة[100]

وهكذا سيطرت الزيدية على معظم هضبة شمال صنعاء، برغم أن الصليحيين في بعض الأحيان كانوا يصلون الى صعدة والجوف ويحكمونها لبعض الوقت الا أن الزيدية سرعان ما تستولى عليها وتعيد سيطرتها على تلك المناطق.

وعندما سقطت الدولة الصليحية بموت السيدة الحرة سنة 532 هـ/ 1137م ظهر الإمام أحمد بن سليمان يدعو الى نفسه بالإمامة حسب مفهوم الزيدية، فبايعه الكثير منهم، وسيطر على كل من صعدة وأعمالها ونجران، والجوف والظاهر [101]، فساهم الإمام أحمد ابن سليمان مساهمة كبيرة في نشر مذهب الزيدية في هذه الأماكن، حتى أن بعض المؤرخين يعدونه مؤسس الدولة الزيدية الثانية باليمن [102]، كذلك ساهم في فترة الإمام أحمد بن سليمان في نشر المذهب الزيدي في شهارة الاشراف آل القاسم [103]، وبذلك أصبحت هضبة شمال صنعاء في عهد الإمام أحمد بن سليمان في الغالب تحت سيطرة المذهب الزيدي.

وممن قدم الى اليمن من فقهاء الزيدية الفقيه زيد بن الحسن البيهقي قدم من خراسان 540 هـ/ 1145م بدعوة من عُلَيْ بن حمزة السليماني، وذلك عندما ظهر باليمن مذهب المطرفية. كذلك قدم بعلوم أهل البيت من الزيدية من الجبل والديلم الفقيه عبدالله العنسي سنة 501 هـ/ 1107م وخاصة كتب الإمام المؤيد بالله أحمد بن حسين الهاروني (ت. 411 هـ/ 1020م) [104].

ومن أهم من ساهموا في نشر المذهب الزيدي من اليمنيين من غير الائمة الزيدية في عهد الإمام أحمد بن سليمان هو القاضي جعفر بن عبدالسلام (ت. 573 هـ/ 1177م) والذي يعد أهم علماء الزيدية الهادوية المخترعة. وقد كان أبوه عالم الباطنية (الإسماعيلية) وحاكمها، وأخوه عيسى شاعرهم، قتله ابن مهدي. وكان القاضي جعفر المذكور يميل أول الأمر الى المطرفية [105]، الى أن

---

(100) يحيى بن الحسين: غاية الأماني، جـ1، ص: 262 - 269.

(101) المحلى: الحدائق الوردية، ق 126، الخزرجي: العسجد، ص: 74.

(102) د. أيمن فؤاد سيد: تاريخ المذاهب الدينية في اليمن، ص: 265.

(103) الخزرجي: العسجد المسبوك، ص: 82، يحيى بن الحسين: غاية الأماني، جـ1، ص: 316 - 317.

(104) يحيى بن الحسين:طبقات الزيدية، ق 59، 60، د. أيمن فؤاد سيد: تاريخ المذاهب الدينية في اليمن، ص: 256 - 265.

(105) يحيى بن الحسين: نفس المصدر، ق 60، د. أيمن فؤاد: نفس المرجع ، ص: 265.

قدم القاضي زيد البيهقي سنة 540 هـ/ 1145م من خراسان الى اليمن فحوله من الزيدية المطرفية الى الزيدية المخترعة [106]، وقد أشار كل من الفقيه زيد والإمام أحمد بن سليمان على القاضي جعفر الذهاب الى العراق للتفقه بمذهب الزيدية وعلومهم، فرافق القاضي جعفر في رحلته الى العراق. وقد أوضح صاحب طبقات الزيدية أن سبب ذهاب القاضي جعفر الى العراق هو اختلاف اليمن الأعلى وافتراقها الى زيدية مطرفية وزيدية مخترعة.[107]

وعندما وصل القاضي جعفر الى العراق وجد من بقي من الزيدية بها قد صاروا على عقائد المعتزلة، وذلك لانتشار مذهب الاعتزال بها، وتقارب الأصول الاعتقادية فيما بينهم وبين الزيدية، فقرأ على المعتزلة كتاب البهشمية وغيرها من كتب الفقه والحديث، وعند عودته الى اليمن سنة 554 هـ/ 1159م اصطحب معه الكثير من كتب المعتزلة وبعض كتب الحديث مثل الأمالي في الحديث وأمالي أبي طالب الهاروني (ت. سنة 424هـ/ 1032م) وأمالي السيد المرشد بالله (ت. سنة 537هـ/ 1142م) ونحو ذلك من الكتب. ويعد القاضي جعفر أول من أخرج كتب المعتزلة إلى اليمن[108].

وبعد عودة القاضي جعفر من العراق دَرَّسَ بصنعاء ثم اتجه الى منطقة سَنَاع وهي قرية أكثر سكانها زيدية مطرفية، وذلك لتدريس المذهب الزيدي بها ونشره فوصله إليها الكثير من الناس من مناطق كثيرة يدرسون فقه المذهب الزيدي[109].

وقد حاول القاضي جعفر في مدرسة سناع مهاجمة عقائد المطرفية، فغضبت المطرفية لذلك، وكتبوا الى جميع أصحابهم بهجاء القاضي واتهموه بأنه باطني بن باطني، فطلب منهم المناظرة وقال لهم: (تعالوا الى المناظرة ويظهر كل منا ما عنده بين يدي حاكم، فقالوا ومن الحاكم؟ فقال لهم: إمام الزمان أحمد بن سليمان)[110]، فرفضوا المناظرة على اعتبار أن الإمام أحمد بن سليمان إماماً زيدياً لا يعترفون بإمامته، ولايمكن أن يكون حكماً فيما بينهم في عقائدهم المطرفية.

---

(106) د. أيمن فؤاد: نفس المرجع، ص: 256.

(107) يحيى بن الحسين: طبقات الزيدية، ق 64 أ، ب.

(108) يحيى بن الحسين: نفس المصدر والصفحة.

(109) يحيى بن الحسين: نفس المصدر والصفحة.

(110) يحيى بن الحسين: نفس المصدر والصفحة.

وعندما دخل الأيوبيون اليمن تمكنوا من القضاء على مذهب الإسماعيلية، والأباضية، وحاولوا القضاء على المذهب الزيدي. ولكن الزيدية حافظت على بقاء مذهبهم في اليمن بواسطة ظهور الأئمة الزيدية، في فترات ضعف الأيوبيين، فعندما توفي طغتكين الأيوبي سنة 593هـ/ 1196م ظهر الإمام عبدالله بن حمزة سنة 594هـ/ 1197م في (ثلا) داعياً الى نفسه بالإمامة، فبايعه الكثير من الزيدية(111)، فسيطر على صعدة وما حولها وعلى الجوف، وقد ساعد الإمام في بسط سيطرته على تلك المناطق تمرد الأيوبيين على المعز إسماعيل وانضمامهم إليه. فقد تمكن بواسطتهم دخول صنعاء في فترات صراعه مع المعز إسماعيل إلا أنه سرعان ما استعادها الأيوبيون.

خاض الإمام عبدالله بن حمزة عدة معارك شديدة مع والي صنعاء وردشار الأيوبي منها يوم نصف، الذي قتل فيه أخوه، إبراهيم بن حمزة، ويوم عقار في البَوْن الأعلي، ويوم في بلاد رَدْماد، الذي تمكنت فيه القوي الأيوبية من اجبار الإمام على المصالحة بدفع أتاوة مالية لهم مع وضع حدود فاصلة فيما بينهم هي البَوْن الأعلي والأسفل للأيوبيين، والظاهران والجَوف وصعدة للإمام عبدالله بن حمزة(112).

وهكذا استطاع الإمام الزيدي الاحتفاظ ببعض مناطق اليمن ليستمر فيها المذهب الزيدي، علاوة على التوسع في مناطق أخري في وقت ضعف الأيوبيين كما ذكرنا، فعندما توفي الملك الناصر سنة 611هـ/1214م سار الإمام إلي صنعاء وطرد الحامية الأيوبية منها، وفي عهد شاهنشاه الأيوبي وصل إلي ذمار(113)، وهكذا نجد الإمام عبدالله بن حمزة قد حاول التوسع في نشر المذهب الزيدي في العهد الأيوبي. وحدث العكس في عهد الملك المسعود الأيوبي، الذي تمكن من تقليل نفوذ الإمام الزيدي في صنعاء وما حولها، فاستولى على الكثير من مناطق الزيدية عدا منطقة صعدة، التي ظل الإمام مسيطراً عليها إلي وفاته سنة 614هـ/1217م، وبعد موته تمكن المسعود الأيوبي من دخول الجوف والظاهر ثم صعدة(114).

---

(111) الخزرجي: العسجد، ص:172، زبارة: أئمة اليمن، حـ1، ص:113، د. محمد عبدالعال: الأيوبيون في اليمن، ص: 159، محمد الحداد: تاريخ اليمن العام، حـ3، ص: 70.

(112) الخزرجي: العسجد، ص: 177- 178، ابن الديبع: قرة العيون، ص: 407 - 408.

(113) الخزرجي: العسجد، ص: 180، ابن الديبع: قرة العيون، ص: 411.

(114) الخزرجي: نفس المصدر،ص:182-183. د.محمد عبدالعال: الأيوبيون في اليمن، ص 159 وما بعدها.

ومن هذا كله يتضح لنا أن أهم منطقة انتشر فيها المذهب الزيدي آنذاك هي هضبة شمال صنعاء وخاصة صعدة. وقد ظلت الزيدية في أغلب فتراتها مسيطرة عليها ومحافظة على بقاء المذهب الزيدي في هذه المنطقة، كما حاول الزيدية مراراً نشر المذهب الزيدي خارج تلك المنطقة إلا أنها كانت فيما بين المد والجزر.

ثالثاً: المُطَرَّفِيَّة :

كانت بداية ظهور المُطَّرفيَّة المبكر هو أواخر القرن الرابع الهجري زمن أبي طالب الأخير وفي عهد القاسم العياني[115]، الذي أصبح إماماً للزيدية فيما بين (388- 393هـ/998 - 1002م) على أثر الخلاف الذي حدث فيما بين علي بن شهر أحد علماء الزيدية المخترعة، الذي كان يسكن (بيت أكلب) بجبال عيال يزيد[116]، وبين علي ابن حرب الذي كان يسكن(ريدة) والذي تربت على يديه المطرفية. وهو أن علي بن شهر كان يعتقد بأن الله يخترع الأعراض في الأجسام أي أن الله يخلق الأصول والفروع معاً، بينما يتعقد علي بن حرب بأن الله خلق الأصول وخلق فيها الطبائع وهذه الطبائع هي التي تغير نفسها بنفسها، أي أن الأصول تخلق الفروع عن طريق الإحالة والاستحالة[117].

أما ظهور المُطَرفِية بشكل أساسي كفرقة، فقد كان في بداية القرن الخامس الهجري بظهور مُطَرَّف بن شهاب الذي عمل على تأسيس فرقة المطرفية، وذلك حينما اتجه مع صاحبين له إلى (سناع) وبنيا فيها مدرسة لتدريس آراء المطرفية. ومن هنا بدأ تأسيس قواعد مذهبهم (بأن قالوا إن العالم يحيل ويستحيل) بعد ذلك بدأت المطرفية في الانتشار والتوسع حتى ضمت قبائل كثيرة في اليمن[118].

---

(115) يحيى بن الحسين: طبقات الزيدية، ق 41 أ .

(116) علي بن الحسين: ذوب الذهب ق140 أ ، يحيى بن الحسين: نفس المصدر والصفحة، علي بن شهر هو صاحب القول بالاختراع، مسلم اللحجي، ص: 29، وهو رئيس المخترعة وسموا مخترعة لقولهم باختراع الأعراض في الأجسام، يحيى بن الحسين: نفس المصدر، ق 37ب.

(117) يحيى بن الحسين: نفس المصدر ق 39 ب، علي بن حرب كان غزير العلم وهو القائل بأن العالم يحيل ويستحيل وهو مدرس مطرف بن شهاب الذي تنتسب إليه المطرفية، يحي بن الحسين: نفس المصدر ق 39 ب، 41 أ.

(118) يحيى بن الحسين: نفس المصدر ق 40 ب،د. أيمن فؤاد: تاريخ المذاهب الدينية في بلاد اليمن، ص: 346

أما عن مطرف بن شهاب العبادي نفسه الذي نسبت إليه الفرقة المطرفية فكان يسكن بيت حَنْبَص ونواحيه، ويعمل في حرث أرضه، ثم كره ذلك العمل فاتجه إلي طلب العلم مستعيناً بما لديه من مال فسار نحو صنعاء فتعلم بها علوم القرآن وعلم التجويد وغيرها من العلوم الدينية، ومن ضمن من تعلم عليه الفقيه علي بن حرب في (ريدة) كما أخذ الاعتقاد إلى الهادي عن علي بن محفوظ، وكان المطرف قد بايع الحسين بن القاسم بالإمامة (في دار معين) ثم اشترك معه في قتل رجل، بعدها أنكر مطرف هذا الفعل فرجع عن القول بإمامة الحسين بن القاسم[119].

فلما أراد علي الصليحي الذهاب إلى الحج في إحدى حجاته، أراد أن يأخذ معه مُطَّرَف بن شهاب، كما أخذ معه غيره من ذوي الجاهات والسلطان في اليمن، لأن الصليحي أراد في سفره ذلك (أن لا يترك أحداً من اليمن ذوي رئاسة يخشي منه إلا أخذه في صحبته). خوفاً من أن يثوروا بعده على السلطة، وكان مطرف أحد تلك الشخصيات التي كان يخاف منها. أرسل علي الصليحي رسوله زيد بن دغفان الشهابي إلى مطرف الذي كان آنذاك يسكن في (مَدَر)من مشرق حاشد. فاعتذر إلى الرسول وقال له: (اعتذر لي بما تراه) فعاد الرسول إلى الصليحي وقال له إن مطرف مريض. فقال الصليحي للرسول: (ارجع إليه وأحمله إليَّ مريضاً) فرجع الرسول إلى مطرف فقال مطرف له: (لا آتيه أبداً وليكن ما يكون) فرجع الرسول إلى الصليحي وقال له إن مطرف (مريض ثقيل المرض) لايقدر التحرك من فراشه[120]. من ذلك يتضح لنا مدى أهمية مطرف عند الصليحي وخوفه منه لتمتعه بسلطة سياسية واسعة عند المطرفية، كما تدلنا على كيفية تعلم مطرف الذي أصبح رئيساً للمطرفية كمذهب، وكيف بدأ بنشره.

وكان انتشار المطرفية في جهات (بني شهاب) و(وَقَش) و(هجرة قاعة)، و(سناع)[121]. كما انتشرت في بني الضُرَيْوه في (ثُلاء) على رأسهم الشيخ راشد بن الجني، و(الأهْنُوم) و(هجرة الظهراوين بشَظب) و(حَضُور)[122]. إضافة إلي (سودة شَظب) و(الرَّجْو). وهكذا انتشرت المطرفية في شمال غرب صنعاء أو مغارب اليمن الأعلي. وظلت المطرفية في عهد الدولة الصليحية تزداد

---

(119) يحيى بن الحسين: طبقات الزيدية ق 41 أ ب .

(120) يحيى بن الحسين: نفس المصدر والصفحة.

(121) يحيى بن الحسين: نفس المصدر، ق 57 ب .

(122) الربعي: سيرة ذي الشرفين، ق 96 .

انتشاراً في تلك المناطق، وذلك نتيجة عدم مقاومة الصليحيين لهم بتركهم الحرية لدينهم. وعدم وجود أئمة زيدية آنذاك تعمل على إقناعهم لترك مذهب المطرفية.

ولما تولى إمامة الزيدية المخترعة الإمام أحمد بن سليمان سنة 533هـ/ إلى سنة 566هـ/1137- 1170م، طلب عُلَيْ بن حمزة، القاضي زيد البيهقي القدوم من خرسان إلى اليمن لمجابهة المطرفية الذين كثر انتشارهم بها، وربما كان ذلك بايعاز من الإمام أحمد بن سليمان، فقدم القاضي زيد سنة 540هـ/1145م كما أشرنا سابقاً ودَرَّسَ في صعدة لمدة سنتين، ثم عاد إلى العراق، مصطحباً معه القاضي جعفر بن عبدالسلام لدراسة المذهب الزيدي والاعتزالي بها[123].

ونورد هنا بعض صراع المطرفية مع القاضي في سبيل نشر المذهبين. فلما عاد القاضي جعفر من العراق بكتب المعتزلة ودراسة المذهب الزيدي اتجه إلى مكان وجود المطرفية (بسناع) فأسس بها مدرسته الزيدية الإعتزالية. ومن هنا بدأ الصراع بين الزيدية المخترعة والزيدية المطرفية باعتبار (سناع) من أهم مناطق المطرفية، فقد حاولت مدرسة القاضي جعفر سب المطرفية، في حين سبت المطرفية القاضي جعفر واتهمته بأنه باطني بن باطني، ولما طلب منهم المناظرة تحت إشراف الإمام أحمد بن سليمان رفضوا المناظرة لأنهم لا يعترفون بإمامته[124].

ثم حدث صراع فيما بينهم في مدرسة (سناع) الذي كان مقرها الجامع، فقد قام بعض الأشراف ذات ليلة باطفاء سراج المطرفية، فقامت المطرفية باطفاء مصباح القاضي فتسبب هذا الحادث في مشاجرة كلامية بينهم، انسحب على أثرها القاضي من الجامع إلى بيته، فرجمت المطرفية بيته في الليل، فلما بلغ الإمام أحمد بن سليمان ما لقيه، القاضي جعفر من المطرفية، نهض يطوف البلاد وينهي الناس عن مذهب المطرفية، ويحذرهم عقابه لهم، فأثر ذلك على كثير من الناس فنفروا عن مذهب المطرفية[125]، وهكذا استخدم الإمام أحمد بن سليمان أسلوب الاقناع أيضاً عن طريق إبراز عقائد المطرفية وتوضيح بطلانها.

ويبدو أن استخدام مسجد المطرفية نفسه (بسناع) كمدرسة للمخترعة كان مقصوداً من قبل القاضي جعفر بغرض مجابهة المطرفية، أثار ذلك غضبهم باعتبار أن المسجد مدرستهم.

---

(123) يحيى بن الحسين: نفس المصدر ق 64 أ، د. أيمن فؤاد: تاريخ المذاهب الدينية في اليمن، ص:265.

(124) يحيى بن الحسين: نفس المصدر، ق 64.

(125) يحيى بن الحسين: نفس المصدر والصفحة.

واستمرت معارضة المخترعة للمطرفية يومية كما أن طلبهم المناظرة، أدي إلي بداية الصراع فيما بينهم. ولقد استفادت المخترعة بمساعدة السلطة السياسية لها، وهو الإمام أحمد بن سليمان لذلك لم تجرؤ المطرفية الدخول في المناظرة، لأنه بمجرد حدوث الخلاف في الرأي أيا كان الخلاف سيؤدي إلى صراع مؤكد وهذا في غير صالحهم.

واستمر أسلوب طلب المناظرة والاقناع بالحجة والبرهان والدليل فيما بين الزيدية المخترعة والمطرفية في عهد الإمام عبدالله بن حمزة الذي تولى إمامة الزيدية فيما بين 593-614هـ/1196- 1217م.. والذي كان في البداية لا يميل إلي تكفير المطرفية، فأنشأ مدرسة له في ذَمَرْمَر تدرس المذهب الزيدي. كانت تناظر المطرفية، فتطورت المناظرة إلى سباب فيما بين الطرفين. فقد كانت مدرسة ذَمَرْمَر تسب المخالفين لهم وعلى الأخص المطرفية وتؤذيهم مما أثار غضب المطرفية على الإمام، فأدى ذلك إلى التشاحن فيما بين الطرفين[126].

ثم رأي الإمام أن أسلوب المناظرة لم يعد كافياً لاقناع المطرفية لما تحتاجه المناظرة من وقت طويل في الاقناع[127]، فحكم بكفرهم وأباح دمائهم وأمر بقتالهم[128]، وبدأ ذلك بعد أن أجريت الهدنة فيما بين الإمام عبدالله بن حمزة والأمير وردشار والي صنعاء من قبل الأيوبيين سنة 599هـ/1202م[129] حيث أتاحت له تلك المهادنة فرصة التفرغ لجهاد المطرفية[130]، فاتجه الإمام إلى منطقة (مدرع) فجمع أهلها وأعلن ردة المطرفية وكفرهم[131]. وكان الغرض من عمله هذا إشعار القبائل بحكمه على المطرفية، لمنع أي فرد الدخول معهم أو مساعدتهم، وأن حربه ضدهم يعد واجباً دينياً.

بعد هذا التفكير للمطرفية جرت محاولة إقناع المطرفية باداء الطاعة للإمام فاتجهت جماعة من كبار أهل (مدرع) ومشايخهم إلى المطرفية بهجرة (قاعة) يعرفونهم بحكم الإمام ضدهم

---

(126) الربعي: سيرة ذي الشرفين، ق 88.

(127) يحيى بن الحسين: طبقات الزيدية ق 57 أ.

(128) د. محمد عبدالعال: الأيوبيون في اليمن، ص. 244، عبدالغني عبدالمعطي: عوامل الصراع السياسي المذهبي، مجلة الأكليل عدد2، السنة 5، 1408 هـ/ 1987م ،ص: 76.

(129) يحيى بن الحسين: طبقات الزيدية ق 57 أب، د محمد عبدالعال: الأيوبيون في اليمن، ص: 193.

(130) الربعي سيرة ذي الشرفين، ق 88 .

(131) يحيى بن الحسين: طبقات الريدية ق 57 أب.

وينصحونهم بطاعته والتسليم له قبل إعلان الحرب عليهم[132].

أما أهل هجرتي (وَقش) و(سَنَاع) فقد استنكروا إصدار الإمام حكم التكفير ضدهم فاتجهوا يحرضون أصحابهم على حربه[133]، فبايعوا الشريف يحيى بن منصور بن المفضل من أولاد الهادي من المطرفية إماماً عليهم، وذلك لمعارضة إمامة عبدالله بن حمزة وذلك سنة 599هـ/1203م إلا أنه سرعان ما مات سنة 600هـ/1203م في هجرة (وَقَش) فاختاروا أخاه بعده إماماً لهم. ففي سنة 610هـ/1213م تزعم المطرفية أخوه هذا وهو محمد بن منصور بن المفضل الهادوي الملقب بالمشرقي. وكان من أشد آل البيت تعصباً للمطرفية[134] فحرضهم على حرب الإمام، فأرسل الإمام لمحاربته أخاه يحيى بن حمزة[135]. ومع ذلك فقد أبدى الإمام استعداده للمناظرة بعد تكفيرهم، فدعا المطرفية من أهل هجرة (قاعة) للمناظرة عنده، وإن رفضوا المناظرة تركوا مذهب المطرفية ودخلوا مذهب أهل البيت[136].

لم تستطع المطرفية قبول المناظرة بعد تكفيرهم فهرب شيخ المطرفية الفضيلي إلى مسور عندما علم بقدوم الإمام إلى لبلاد الحمرية خوفاً من طلبه مناظرته أما كبار علمائهم الآخرين مثل الحملاني، وعلي بن يحيى فقد رفضوا أن يتقدموا للمناظرة وطلبوا من أهل (مدرع) أن يبعثوا جماعة منهم ممن هم على غير عداء مع الإمام ولا يخشون بطشه وسطوته عليهم للدفاع عنهم[137].

ولما عجزت المدافعة عنهم وعدم استطاعتهم للحضور لمناظرة الإمام لخوفهم من بطشه نتيجة إعلانه ردتهم وكفرهم، وأن الإمام مشدد عليهم بالمناظرة أو الاستسلام فقد أعلن أهل

---

(132) يحيى بن الحسين: طبقات الزيدية، نفس الصفحة.

(133) يحيى بن الحسين: غاية الأماني، جـ1، ص:397- 398، ومن ضمن من استنكر منهم أحد زعمائهم وهو راشد بن محمد الصفرى الجنبي وهو الذي نشر مذهب المطرفية في الأهنوم، وتولى أمرهم بها، وهو شيخ النفحة (الذين قالوا بأن الله خلق العالم نفحة واحدة وجعل بعضه يحيل بعضاً، ولم يبق له تدبير في خلق ولا نظر في بريته) فحث المطرفية على حرب الإمام، الربعي: سيرة ذي الشرفين، ق95، 97.

(134) الربعي: سيرة ذي الشرفين، ق 109.

(135) يحيى بن الحسين: غاية الأماني، جـ1، ص: 397- 398.

(136) الربعي: سيرة ذي الشرفين، ق 127.

(137) الربعي: نفس المصدر والصفحة.

هجرة (قاعة) الاستسلام له وخروجهم عن مذهب المطرفيـة، فبعث الإمـام القـاضي شـرف الديـن إبراهيم بن أحمد الفهمي وجماعة من الأشراف يشـهدون خروجهـم عـن مذهـب المطرفيـة[138]. ثـم دخل الإمام هجرة (قاعة) وأقام في التدريس بها الفقيه محمد بن أحمد الحلي وبذلك أصبحت هجرة (قاعة) تحت سيطرة الإمام وبدأت عملية إنهاء المطرفية[139].

كان أول ما بدأ الإمام بالقتل للمطرفية عندما وجد أحد شيوخ المطرفيـة وكبـارهم وهـو علي بن موسى الغيلاني، الذي كان يذهب إلى إنكار المفاضلـة فـادعى (أن اللـه سـاوى بـين النـبي واليهود وما اختص نبيه صلي اللـه عليه وسلم بفضل ولا اجتباه لرسـالة). أمـام ذلـك أمـر الإمـام بقتله، كما أمر بقتل أحد كبار المطرفية وهو حسان بن نعمة عندما قدم إلى حوث هارباً مـن مكـة والتي كان ينشر بها مذهب المطرفية. كما أن الإمام اتجه إلى إجبار المطرفية إلى البيعة له، وهي تعـني خروجهم عن مذهب المطرفية وتسليمهم بمذهب الإمام، فعندما قدمت جماعة منهم إلى حوث تريـد الحج سألهم الإمام عن معتقدهم فخافوا منه وأنكـروا مذهـب المطرفيـة، فأجـبرهم علـى البيعـة لـه، وعندما حاول رجل منهم رفض البيعة له قتله، فأشاعت المطرفية أنـه (نـاظر الإمـام فاستظهر عليـه فقتله)[140].

وتابع الإمام قتل المطرفية والتنكيل بهم فرادى وجماعـات، ففـي سـنة 611هـ/1214م قـام بهدم مساجدي المطرفية بسَنَاع وَوَقَش[141]، كما قام بهدم دورهم ومساكنهم والتي حملت أخشابها إلى قاهرة ظَفَار، وأخرج أهل وَقَش إلى بلاد أَنِـس وخـولان وذهبـوا كـل مذهـب[142]. ونتيجـة لما جرى للمطرفية من قتل وتنكيل أرسل أحدهم وهو ابن النساخ برسالة إلى الخليفة العباسـي: يخبره بما جري لهم من قبل الإمام ويطلب منهم المدد لانقاذ اليمن منه[143].

حاولت المطرفية الاستعانة بالقوى المعادية للإمام عبداللـه بن حمـزة فذهبـت المطرفيـة على رأس أحد كبار علمائهم وهو الشريف أبي الفتح بن محمد العباسي يطلبـون المسـاعدة ضـد الإمـام

---

(138) الربعي. نفس المصدر والصفحة، يحيى بن الحسين: طبقات الزيدية ق 57.

(139) يحيى بن الحسين: نفس المصدر، ص: 57 .

(140) الربعي: سيرة ذي الشرفين، ق 89، 93، 95.

(141) يحيى بن الحسين: طبقات الزيدية، ق 38 أ، علي بن الحسين: ذوب الذهب، ق 140 أ.

(142) يحيى بن الحسين: غاية الأماني، جـ1، ص: 400.

(143) د. محمد عبدالعال: الأيوبيون، ص: 244.

من وردشار الأيوبي، إلا أنه لم يقدم لهم أي مساعدة بسبب صلحه معه من ناحية وعدم ثقته بهم من ناحية ثانية. كما ذهبت المطرفية إلى السلطان بشر بن حاتم فحاول بشر أن يشجع المطرفية ضد الإمام واستمرارهم في الظهور عليه[144]. وهكذا كان العداء شديداً بين الإمام والمطرفية.

أما عن فكرة تكفير المطرفية فهناك رأيان: رأي يتزعمه الإمام عبدالله بن حمزة يري: (أنهم كفار تصريحاً ولا يفرق في ذلك بين دار الحرب ودار الكفر في حق المطرفية وأهل الجبر ونحوهم من المشبهة). بل زاد في حق المطرفية بأن قال إنهم (زادوا على كفار المجوس والنصارى وكذا المجبرة ويحكم عليهم حكم المحاربين وسار فيهم بذلك[145]).

وهناك رأي آخر قال به بعض الزيدية مثل الأمير المعتضد يحيىبن منصور بن مفضل وأخوه الأمير محمد بن منصور بن مفضل، وابنا أخيه والإمام يحيى بن حمزة والفقيه علي بن عبدالله بن أبي الخير الصائدي الذي يعد أحد علماء الزيدية المخترعة[146]. قال: (إنه ذهب إلى الرَّجْو وهو بلد المطرفية في ذلك الوقت وفيها كتب لهم هناك ففتشها فلم يجد منها ما يوجب الكفر)[147]. وهكذا كان صراع الزيدية المخترعة والمطرفية ومحالة الإمام عبدالله بن حمزة نشر المذهب الزيدي.

رابعاً: الأباضية :

الاباضية هم أحد فرق الخوارج الذين أجمعوا على إمامة عبدالله بن أباض، وحول مفهوم علاقتهم ببقية الفرق الإسلامية فإنهم كما تصف كَفَّروا مخالفيهم (وأجازوا شهادتهم وحرموا دمائهم سراً واستحلوها علانية، وصححوا مناكحتهم والتوارث منهم، واستحلوا من أموالهم الخيل والسلاح)[148]. كما أنهم (يرون أن مرتكب الكبيرة كافر للنعمة لا مشرك ويرون أن مخالفيهم من المسلمين دار توحيد ودار السلطان دار بغي)[149] على ذلك فإن حربهم موجه ضد السلطة باعتبار

---

(144) الربعي: سيرة ذي الشرفين، ق 93، 96 .

(145) يحيى بن الحسين: طبقات الزيدية، ق38 أ .

(146) يحيى بن الحسين: نفس المصدر والصفحة، علي بن الحسين: ذوب الذهب، ق 140 ب.

(147) يحيى بن الحسين: نفس المصدر، ق 38 ب.

(148) البغدادي: الفرق بين الفرق، ص: 87 ـ 88، الشهر ستاني: الملل والنحل، جـ1، ص: 134، د. صابر طعيمة: الأباضية عقيدة ومذهباً، ص: 83.

(149) الشهر ستاني: الملل والنحل، جـ1، ص: 134، القلقشندي: صبح الأعشى، جـ13، ص: 245، د. صابر طعيمة نفس المرجع، ص: 83.

أن شرعيته للسلطة غير صحيحة حسب نظرهم، أما مفهومهم السياسي حول الإمامة فهم يرون أن الإمامة جائزة في جميع الناس(150).

كانت بداية ظهور الأباضية في اليمن في أواخر الدولة الأموية، عندما أعلن زعيمهم عبدالله بن يحيى بن إباض الكندي الحضرمي الملقب (بطالب الحق) النهوض ضدهم مبتدئًا من حضرموت سنة 127هـ:744م حينما خرج بها عليهم طالباً البيعة له بالإمامة حسب مفهوم الأباضية، فبايعة الكثير من أهل حضرموت بالإمامة. بعدها سيطر على حضرموت كما استطاع أن يستولى على صنعاء ومكة والمدينة فيما بين سنة 127- 131هـ/744- 748م.

إلا أن الدولة الأموية وجهت إليه جيشاً كبيراً بقيادة عبدالله بن محمد بن عطية السعدي، تمكن من القضاء على الأباضية في تلك الأماكن وإعادة السيطرة الأموية عليها(151).

ومن خلال الانطلاقة السريعة التي قام بها عبدالله بن إباض الحضرمي للاستيلاء على اليمن نجد أنه قد ترك بها أثراً كبيراً، رغم أن سلطته السياسية لم تستمر طويلاً، فقد ظلت الأباضية منتشرة في كل من شمال صنعاء وحضرموت إلى ما بين القرنين السادس والسابع الهجريين، وسوف نستعرض هنا كمثل الانتشار الأباضية في هاتين المنطقتين خلال فترة الدراسة في القرنين الخامس والسادس الهجريين.

ففي حضرموت إزدادت الأباضية قوة خلال القرن الخامس الهجري فظهر بها أبوإسحاق إبراهيم بن قيس الهمداني الأباضي إماماً للأباضية وتزعم حركتهم وحروبهم ضد القرامطة والصليحيين مؤسساً دولة أباضية في حضرموت، ولجأ خلالها إلى حاكم عُمَان الأباضي الخليل بن شاذان يطلب النصر منه ضد أعدائه الصليحيين وغيرهم فأمده بالمال والسلاح فانتشرت الأباضية في حضر موت خلال حكمه، انتشاراً كبيراً(152)، كما ذكرنا.

---

(150) الربعي: سيرة ذي الشرفين، ق77.

(151) انظر: ابن الاثير: الكامل في التاريخ، جـ5، ص: 373- 392، يحيى بن الحسين: غاية الأماني، جـ1. ص: 124- 125، صلاح البكري: تاريخ حضرموت، مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ط2، 1375 هـ/ 1965م، ص: 66- 70، باوزير: معالم تاريخ الجزيرة العربية، منشورات الصبان، عدن ط2، 1385هـ/ 1966م، ص: 252، محمد الحداد، تاريخ اليمن العام، جـ2، ص: 58- 59 .

(152) باوزير: نفس المرجع، ص: 262، 264 - 265.

وقد استمر تواجد الاباضية بحضرموت إلى العهد الأيوبي حيث أوضح صاحب غاية الأماني عنهم قوله: (قال بعض المؤرخين:لم يزل أهل حضرموت على رأي الخوارج إلى خروج بني أيوب إلى اليمن فأظهروا مذهب الشافعي وعقيدة أهل السنة[153])

وقد انتشر الاباضيون في شمال صنعاء ونواحيها في (ناحية شَظَب وما يليها شمالاً وجنوباً، ومغرباً إلى ناحية حجة والشرف). كذلك تواجدت الاباضية في مخلاف (البياض) من بلد (قُدَم) [154] في حجة.

وفي القرن الرابع الهجري ظهر للاباضية عدة شخصيات منهم محمد بن أحمد الظلمي الذي كان رأساً من رؤوس الاباضية وعلماً من أعلامهم، إلا أنه لم يستطع تزعم الاباضية نتيجة استمرار محاربة الزيدية والإسماعيلية لهم. لذلك تحول كثير من (الاباضية إلى الزيدية الهادوية في عهد الناصر لدين الله بن الهادي منهم محمد الظلمي المذكور[155].

أما عن محاولة الاباضية الظهور وعن صراعهم مع الزيدية فقد ظهر واحد منهم هو موسى بن عيسى بن عبدالرحيم بن هارون داعياً إلى نفسه بالإمامة حسب مفهوم الاباضية، وكان ظهوره في منطقة عوف من أعمال شظَب، وكان يعد آنذاك من الناحية العلمية أوحد الاباضية علماً، ورأياً وتدبيراً، ومن الناحية القبلية وسيط البيت من بني هلان ابن جابر ورئيس الجابريين، فأجابه أهل شظب إلى المبايعة بالإمامة إلا أن أحد رجال الزيدية وهو عمرو القاضي ومعه أسدي من أهل (شظب)، أحدثا فتنة فيما بين القبائل التي اجتمعت لمبايعته ومناصرته في يوم سوقهم) بالكلائح بأن أثار عدوات قديمة لهم، فلم يجتمع رأي هذه القبائل بسبب هذه العداوة التي أثارها هذان الرجلان، فافترقت القبائل على عدائها القديم. ولم يتم للداعي الاباضي توحيد صفهم واستكمال البيعة له بالإمامة فبطلت دعوته[156].

وفي منتصف القرن الخامس الهجري ظهر ثانية أحد الاباضية وهو المحيط بن عبدالمجيد الاباضي فبايعه جميع الاباضية من أهل الشرف بحجة وغيرهم من المناطق المجاورة. وصادفت دعوة

---

(153) يحيى بن الحسين: غاية الأماني، جـ1، ص: 125.

(154) مسلم اللحجي: شئ من أخبار الزيدية، صورة لذي الباحث، ق 5، 20.

(155) مسلم اللحجي: نفس المصدر، ق 19، 25.

(156) مسلم اللحجي: تاريخ مسلم اللحجي، ق 28- 29، يحيى بن الحسين: طبقات الزيدية، ق 48 أ.

هذا الاباضي وجود الأمير الزيدي ذي لشرفين الذي أعلن نفسه محتسباً للإمامة الزيدية، فغضب لهذا التجمع الاباضي، فدعا الزيدية من القبائل المناصرة له إلى حربه، فاجتمع سنة 469هـ/1076م جميع الشرفاء والسلاطين والمقدمات إلى ذي الشرفين في منطقة شهارة فاتفق رأيهم على حرب الاباضي الذي بايعه أهل الشرف. لذلك اتجه ذو الشرفين إلى تجميع قواته من أنحاء المناطق المسيطرعليها في اليمن الأعلي، فوجه الشريف الأجل ناصر الدولة وعزها الحسن بن إبراهيم والسلطان يحيى إلى صعدة ونواحيها من بلد خولان، ووجه السلطان عبدالباعث ونشوان إلى ناحية البون والمشرق من بلد همدان ووجه رجالاً مع الشريف ليث الدولة وعضدها حميدان بن القاسم إلى بلد وادعه كما وجه الشريف الأجل سنان الدولة وركنها أحمد بن جعفر والسلطان الحسين بن إبراهيم إلى بلد بكيل. وواعدهم جميعاً الاجتماع عنده في العاشر من ذي القعدة سنة 466هـ/1077م[157]. يدل هذا الحشد الكبير الذي ذهب ذو الشرفين إلى تجميعه دلالة واضحة على مدى ما بلغته قوة الاباضية آنذاك في بلاد الشرف من حجة، كما يدل على قوة الصراع الذي دار فيما بين الزيدية والاباضية.

وأمام هذا التجمع الزيدي الكبير ضد الأباضية جمع إمام الأباضية جيشاً كبيراً من أصحابه لمواجهتهم، فاتجهوا للإستيلاء على الحصون المجاورة لهم استعداداً للقتال، فنزلوا جبل (المحطور) شمال حجة قرب حصن (الادن) وحول هذين الحصنين وفيهما دارت معركة شديدة بين الطرفين قتل فيها الكثير من الطرفين، وانتهت المعركة بانتصار الأمير ذي الشرفين وانهزام الاباضية وتخريب ديارهم، وعلى الأخص منازل أحد قادتهم الكبار وهو شرحبيل بن الحربي الاباضي الذي قتل في المعركة الشريف ناصر الدولة. [158]

وعلى أثر محاربة الزيدية للأباضية فقد فضل بعضهم التحول الى الزيدية، فتحول الكثير منهم، وعلى رأسهم العلامة إبراهيم بن علي الطامي الذي كان له الأثر الكبير في إخراج الكثير من أهل (شظب) عن مذهب الأباضية الى المذهب الزيدي[159].

كذلك حدثت عدة صراعات وحروب فيما بين الأباضية والباطنية الإسماعيلية، فقد كانت

---

(157) الربعي: سيرة ذي الشرفين، ق77، لايوجد تعريف لتلك الشخصيات في المصادر التي تحت أيدينا.

(158) الربعي: سيرة ذي الشرفين، ق 77 ب، 78 أ.

(159) يحيى بن الحسين: طبقات الزيدية، ق 48أ.

مخاليف البيـاض مـن بـلاد (قـدم) وبـلاد (الجـابرين) معتقديـن بمذهـب الاباضيـة. وعندمـا دخلـت الإسماعيلية اليمن بدأ بعض القدميين يميلون الى مذهبهم، مما أدى الى دخولهم مع جيرانهم الجـابريين الاباضية في صراع، فذات يوم حدث أن رجلاً من القدميين كان يتبع الإسماعيلية (القرامطة) خـرج إلى بلد الجابريين فقتله اثنان مـن الجـابريين الاباضيـة. ولمـا اشتدت الحـرب بـين الطرفـين نـاصرت الإسماعيلية فيه القدميين، إذ جاء على رأسهم عبد الحميد بن محمد المسوري بجيشه، فقاتل الاباضيـة من الجابريين حتى انتصر عليهم وقتل منهم الكثير، كما قام بتخريب بلادهم ونهب أموالهـم وقتـل أطفالهم.[160] مما أدى الى تحول الكثير منهم عن مذهبهم الاباضي.

من ذلك نجد أنه رغم تواجد الاباضية في اليمن وقبول أهلها لفكرهـم، الا أن الاباضيـة لم يستطيعوا الاستمرار في نشر مذهبهم الاباضي بها أو المحافظة على مذاهبهم، وذلـك بسـبب محاربـة بقية الفرق لهم.

خامساً: الدعوة الإسماعيلية في اليمن:

أطلق على الإسماعيلية عدة تسميات منهم القرامطة نسبة الى قرمط، الذي ابتدأ يدعـو الى الإسماعيلية فلما تولى أحد أتباعه وهو أبو سعيد الجنابي السلطة في البحرين استقل عنهم. والباطنيـة نسبة الى التـأويل بالبـاطن، واللإسماعيليـة نسـبة الى إسمـاعيل ابـن جعفـر الصـادق، كذلـك سميـت بالإمامية نسبة الى الائمة من آل البيت.

تميزت الدعوة الإسماعيليـة في اليمـن بثلاثـة أدوار رئيسـية وهـي: الـدور الأول وهـو دور الستر الذي كان قائماً قبيل الدولة الصليحية، وهو الدور الـذي ارتبـط دعاتـه بالإمـام الإسمـاعيلي الغائب، ثـم بالإمـام المهـدي بـالمغرب، والـدور الثـاني وهـو دور الظهـور، متمثـلاً بظهـور الدولـة الصليحية في اليمن وارتباطها بالدولة الفاطمية بمصر، والدور الثـالث وهـو دور العُودة الى السـتر مرة أخرى، وهي فترة ما بعد انتهاء الدولة الصليحية، وفي هذا الـدور انفصلـت اليمـن عـن مصـر ودعا دعاتها للإمام الطيب.

الإسماعيلية في دورها الأول:

بدأ نشر مذهب الإسماعيلية في اليمن سنة 268 هـ/881م على يـد رجلـين أحدهمـا كـوفي يسمى الحسن بن فرج بن حوشب بن زادان الكوفي، والآخر يمني يسمى علي بـن الفضـل الحدانـي

---

(160) مسلم اللحجي: شئ من أخبار الزيدية، ق20، 22.

الذي استقر في سروبافع من مخلاف الجند.[161]

أما الحسن بن حوشب فقد اتجه الى اليمن الأعلى الى بلدة لاعة من بلاد حجة ولقب بمنصور اليمن، فنشر مذهب الإسماعيلية في كثير من مناطق مغارب اليمن الأعلى مثل جبل تخلى، وحجة، ومخاليف البياض، وعزان، ومسور.[162]

واستمر منصور اليمن ينشر المذهب الإسماعيلي في اليمن الى أن توفي سنة 302 هـ/915م فاستخلف في رئاسة الدعوة عبدالله بن عباس الشاوري، وهو من جبل شاور من قدم في مخلاف البياض، وأوصى الى جانبه ولده الحسن بن الحسن بن منصور اليمن، الا أن الاثنين لم يتفقا حول رئاسة الدعوة، فقد كان الشاوري لا يريد أحداً بجانبه، وابن منصور اليمن كان يريد أن تكون له رئاسة الدعوة الإسماعيلية في اليمن بعد أبيه، فدب الخلاف بينهما، وكانت بداية الخلاف عندما بعث الشاوري الى المهدي في المغرب، بكتاب (يسأله فيه الولاية لنفسه وعزل أولاد المنصور) فاستجاب المهدي لطلبه، وعندما قدم ابن منصور اليمن الى المهدي في المغرب يطلب هو الآخر توليته على اليمن كان المهدي قد سبق توليتها للشاوري، فأمره أن يطيع الشاوري.[163]

لم يقتنع ابن منصور اليمن بهذا الوضع، فعندما عاد الى اليمن اضمر التخلص من الشاوري، ومن خلال عمل ابناء منصور اليمن كحجاب للشاوري استغل أحدهم وهو الحسن بن الحسن بن منصور اليمن الفرصة عندما حانت له فغدر بالشاوري فقتله، وتولى الأمر مكانه، وخرج عن مذهب الإسماعيلية الى مذهب أهل السنة، وتتبع الإسماعيلية أنصار أبيه بالقتل والتنكيل

---

(161) محمد بن مالك الحمادى: كشف أسرار الباطنية واخبار القرامطة، ص: 47، د. أمين صالح: تاريخ اليمن الإسلامي، ص: 165،د. محمد عبدالعال: الايوبيون في اليمن، ص: 27 - 31، قيل أن قرمط لقب لرجل بسواد الكوفة كان يحمل غلة السواد على أثوار له واسمه محمد بن الاشعث ويلقب بقرمط ثم فشا مذهب القرامطة بسواد الكوفة منذ سنة 278 هـ/909م، سهيل زكار: أخبار القرامطة، ص: 9، استطاع علي بن المفضل أن يكون دولة له في اليمن فيما بين سنة 298 هـ/303هـ.

(162) محمد بن مالك الحمادى: كشف أسرار الباطنية، ص: 47، مسلم اللحجي: شئ من أخبار الزيدية، ق21.

(163) محمد بن مالك الحمادي: نفس المصدر، ص: 75 ـ 76، د. أمين صالح: تاريخ اليمن الاسلامي، ص: 178، د. محمد عبدالعال: الايوبيون في اليمن، ص: 32 ـ 33، عن دخول ابن حوشب اليمن، انظر: افتتاح الدعوة للقاضي النعمان، ص: 32 - 46.

والابادة حتى أفنى الكثير منهم.(164)

وبهذا تكون الخلافة الفاطمية بالمغرب قد ساهمت في ايجاد خلاف في اليمن بين الحسن بن منصور اليمن ابن رئيس الدعوة الإسماعيلية السابق، وبين عبدالله الشاوري، المولى الجديد رئيساً للدعوة الإسماعيلية والتي لم يجزم في التولية لها منصور اليمن في وصيته لمن بعده، بل ترك أمر الوصية بها الى الخليفة الفاطمي، باعتباره هو الذي يملك هذا الأمر، وهي نظرة تتمشى مع أفكار الدعوة والمذهب الإسماعيلي، حيث وَلّى الخليفة الفاطمي المهدي رئاسة الدعوة في اليمن عبدالله الشاوري بدلاً عن الحسن بن منصور اليمن، مما أدى الى انشقاق الحسن عنهم وتحوله الى مذهب أهل السنة بل وتتبعه قتل الإسماعيلية باليمن.(165)

كما ساهم ايضاً في إيجاد الخلاف بين الإسماعيلية في اليمن اتجاه المهدي نحو المغرب بدلاً عن اليمن، فقد كانت الدعوة في اليمن تدعو الى أنه سيظهر بها، وكان أسلوب الدعوة الإسماعيلية اليه هي الدعوة السرية حيث إن الإسماعيلية كانت تجيز أن يستتر الإمام إذا لم تسنح له الفرصة في الظهور خوفاً عليه من الوقوع في أيدي أعدائه (166) فعندما اتجه الى مصر في نية الاتجاه الى المغرب أربك ذلك أمر الدعوة في اليمن. مما جعل الداعي ابن الفضل ينفصل عن الدعوة الإسماعيلية بالدعوة الى نفسه، وذلك بواسطة تحريض داعي دعاة المهدي وباب أبوابه (فيروز) الذي كان يرغب في اتجاه المهدي الى اليمن، فلما اتجه المهدي الى مصر، انفصل عنه فيروز واتجه الى اليمن، فأخبر ابن الفضل بخبر المهدي محرضاً اياه على الخروج، فاتفق رأيهما على الانشقاق عن الدعوة الإسماعيلية فانشق ابن الفضل عنها، بل وحارب زميله منصور اليمن، وبقدر ما كان لاتجاه المهدي الى مصر وعدم قدومه الى اليمن هو العامل المساعد على التأثير بخروج ابن الفضل عن الدعوة الإسماعيلية، فقد كان أيضاً لاعلان ابن الفضل الخروج عن الدعوة الإسماعيلية أثر في مواصلة المهدي لمسيرته نحو المغرب وعدم التفكير في الاتجاه نحو اليمن.(167)

---

(164) الحمادي: كشف أسرار الباطنية، ص: 77، حسين الهمداني: الصليحيون، ص: 51 - 52.

(165) حسين الهمداني: الصليحيون، ص: 49 - 51، د. أمين صالح: تاريخ اليمن الاسلامي، ص: 177.

(166) د. محمد أمين صالح، نفس المرجع، ص: 164.

(167) القاضي النعمان: رسالة افتتاح الدعوة، دار الثقافة، بيروت، ط1، 1970م، ص: 149 – 150، حسين الهمداني: الصليحيون، ص: 39 - 41، د. أمين صالح، تاريخ اليمن الاسلامي، ص: 172 - 174.

حاول ابن منصور اليمن أن يولي الى جانبه على (مَسْوَر) إبراهيم بن عبدالحميد السباعي من حمير، كما ولى مساعداً له على (عثر محرم بمسور) ابن العرجاء وهو موضع بني العرجاء وهم قوم من سلاطين مغرب همدان، الا أن ابن العرجاء لم يثق بابن منصور اليمن فغدر به فقتله عندما قدم الى عثر محرم. [168]

فلما سمع بذلك إبراهيم السباعي استقل بالأمر لنفسه، وأعلن موالاته لبني زياد في زبيد، الا أن بني زياد لم يثقوا به فحاولوا قتله، فلما أحس منهم الغدر به استقل عنهم، ثم عاد وتقاسم مغرب اليمن الأعلى مع ابن العرجاء واستمر السباعي في تتبع الإسماعيلية بالقتل في كل مكان حتى أباد أكثرهم. [169]

ورغم محاولة ابن منصور اليمن والسباعي في قتل الإسماعيلية والخروج عنها الى مذهب أهل السنة، الا أنه بقي بعض أفراد منهم يكتمون أمرهم، وممن تولى رئاسة الدعوة الإسماعيلية منهم في هذا الدور بعد الشاوري الداعي هارون بن محمد بن رحيم اللاعي من لاعة في مسور، تم تولى بعده الحسن بن المنتاب من حمير، ثم تولى بعده رئاسة الدعوة الإسماعيلية سليمان الزواحي من حمير أيضاً من ضلع شبام، بعدها سلم الزواحي أمر الدعوة الإسماعيلية الى علي بن محمد الصليحي من حزاز من همدان ودخلت في عهد الصليحي الدعوة الإسماعيلية دوراً جديداً هو دور الظهور[170]، وهكذا كان الدور الإسماعيلي الأولى.

الدور الثاني دور الظهور:

كان الدور الثاني من أهم الأدوار التي صادفت الدعوة الإسماعيلية في اليمن، فقد سَمَت فيه الدعوة حتى بلغت مبلغاً كبيرا لم تبلغه أغلب المذاهب التي دخلت اليمن آنذاك. ويبدو أن سليمان الزواحي قد تعمد اختيار أحد الزعامات القبلية لتحقيق قفزة بالدعوة الإسماعيلية من دور الدعوة السرية إلى دور الظهور عن طريق العمل العسكري والسياسي والديني للدعوة، إذ أن العامل القبلي له دور مهم في التأثير على الحياة السياسية في اليمن آنذاك. لذلك اختار علي بن

---

(168) محمد بن مالك الحمادي: كشف اسرار الباطية، ص: 48 ، 77.

(169) يحيى بن الحسين: غاية الأماني، جـ1، ص: 221، د. محمد عبدالعال: الأيوبيون في اليمن، ص: 33 ـ 34، 39 ـ 40.

(170) حسين الهمداني: الصليحيون، ص: 56 ـ 61، د. محمد عبدالعال: الأيوبيون في اليمن، ص: 43.

محمد الصليحي الذي كان أبوه محمد الصليحي ذا نفوذ قبلي كبير في بلدة حراز، حيث كان فقيها فيها، ويطيعه جميع أهل بلدته ولا يخرجون عن أمره، لذلك رأى الزواحي أن خير من يستطيع القيام بدور الظهور هو علي بن محمد الصليحي، فعكف على تلقينه مذهب الإسماعيلية حتى استماله إليه، وعندما قرب أجل الزواحي أوصى بجميع كتبه وأموال كثيرة كان قد جمعها من أهل مذهبه لعلي الصليحي. فعكف علي الصليحي على دراسة تلك الكتب حتى صار فقيها في مذهب الإسماعيلية كما صار مستبصرًا بعلم التأويل[171] ولما أحس الصليحي بمقدرته على النهوض، نهض من حصن مَسَار بحراز سنة 429هـ/1037م فاستولى عليه، فلما ظهر شأنه وصلته الشيعة الإسماعيلية من أنحاء اليمن مع ما جمعوا له من الأموال الكثيرة، وفي سنة 453هـ/1061م كتب علي الصليحي إلى الخليفة الفاطمي المستنصر بالله يستأذنه في إظهار الدعوة وتوليته على اليمن فأذن له في نشر الدعوة في اليمن وتوليته عليها، فازدادت أعماله العسكرية في الاتساع، فلم يأت عام 455هـ/1063م إلا وقد استولى على اليمن كله سهله ووعره، واستمر يحكم اليمن معلنا طاعته وولاءه للفاطميين بمصر ودعوتهم الإسماعيلية إلى أن قتل سنة 459هـ/1066م فتولى بعده ابنه المكرم ثم السيدة الحرة اللذين سارا على نهج علي الصليحي في الولاء والطاعة للإسماعيلية وللفاطميين كما سبق توضيحه.[172]

هذا وقد استعان الصليحيون في الدعوة الإسماعيلية بمن يدعى لمك بن مالك الحمادي وهو من بني حماد من همدان، أرسله علي بن محمد الصليحي إلى القاهرة سنة 454هـ/1053م لدراسة المذهب الإسماعيلي، فاستقبله الخليفة الفاطمي وأنزله في دار المؤيد في الدين هبة الله الشيرازي[173] فمكث لمك في القاهرة يتفقه في المذهب الإسماعيلي على يد المؤيد هبة الله الشيرازي لمدة خمس سنوات كان خلالها (لا يفارق المؤيد، بل ظل بين يديه يسأله ويأخذ عنه ويكتب ما استفاده منه إلى أن استوعب ما عنده)[174]. وعندما قتل الصليحي سنة 459هـ/1066م وتولى مكانه ابنه المكرم

---

(171) عمارة: المفيد، ص: 95 - 97، الخزرجي. العسجد المسبوك، ص 56 - 57، ابن الديبع: قرة العيون، ص: 242 - 243.

(172) عمارة : المفيد ، ص: 101 - 119 ، الخزرجي : العسجد المسبوك، ص: 56 - 58 ، ابن الديبع. قرة العيون ص: 243 - 246

(173) إدريس بن الحسن الأنف: نزهة الأفكار وروضة الأخبار، مخطوط رقم 2253، دار الكتب المصرية، ق:34.

(174) الهمداني . الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن ، ص: 176 .

أعاد الخليفة المستنصر الفاطمي لمك إلى اليمن ليساعد المكرم في الدعوة، وارسل معه رسالة يعزي بها المكرم في قتل أبيه . ولما وصل لمك إلى اليمن في حوالي سنة 460هـ/1067م استعان به المكرم في نشر الدعوة الإسماعيلية حسب توجيه الخليفة الفاطمي فجعله (داعي القلم) في حين تولى هو أمر الملك وسياسته، فجعل نفسه داعي السيف[175] كذلك تولى لمك قاضي قضاة الإسماعيلية في اليمن[176] ولما توفي المكرم وأصبحت السيدة الحرة أروى هي المسئولة عن الدولة الصليحية جعلت سبأ بن أحمد بن المظفر متوليا (داعي السيف) وابقت لمك الحمادي متوليا داعي القلم وقاضي قضاة الإسماعيلية في اليمن. ولقب في عهدها(بداعي البلاغ)[177] ومن هنا نرى أن لمك قد أدى دورا مهما في نشر الدعوة الإسماعيلية ومذهبهم في عهد المكرم وعهد السيدة الحرة وظل مخلصا للدعوة الإسماعيلية إلى أن توفي سنة 510هـ/1116م .

وبعد موت الخليفة المستنصر الفاطمي سنة 487هـ/1094م انقسمت الإسماعيلية في مصر إلى فرقتين: فرقة إسماعيلية نزارية نسبة إلى الابن الأكبر المستنصر، وفرقة إسماعيلية مستعلية نسبة إلى أحمد بن المستنصر، الملقب بالمستعلي، وهو الابن الأصغر للمستنصر، وادعت الإسماعيلية المستعلية أن المستنصر أوصى للمستعلي بالإمامة بعده، في حين إدعت النزارية أن نزار هو الأحق بالإمامة باعتباره الابن الأكبر[178] وتبعا لهذا الانقسام في مصر فقد اتبعت اليمن فرقة الإسماعيلية المستعلية، حيث إن السيدة الحرة والقاضي لمك قد أيدا الدعوة المستعلية وظلا مواليين لها. ويبدو أن هذا التأييد اليمني كان نابعا من إيمانهم بأن الإمامة تحصل بالوصية والنص عليها من الإمام السابق لمن يشاء من الأولاد حسب رأي المذهب الإسماعيلي، سواء كان الأصغر أو الأكبر.

وعندما توفي المستعلي سنة 495هـ/1101م تولى مكانه في حكم مصر الفاطمية ابنه الآمر بأحكام الله الذي كان لا يزال طفلا آنذاك فتولى أمر الدولة الأفضل شاهنشاه ابن بدرالجمالي،

---

(175) إدريس بن الحسن الانف : نفس المصدر، ق: 35 أ ، الهمداني : نفس المرجع، ص: 179 .

(176) إدريس الانف : نفس المصدر، والصفحة ، مصطفى غالب، أعلام إسماعيلية ، ص: 441 .

(177) إدريس الانف : نزهة الأفكار، ق: 35 أ ، مصطفى غالب : أعلام إسماعيلية، ص: 441 .

177) **Abbas Hamdani :** The Dai ' Hatım Ibn Ibrahım AL- Hamidi, (D 596 Hl 199 A.D.) and His Book Tuhfat AL- Qulub, P 261, ORIENS 23-24, (1970 - 71) .

(178) د. أيمن فؤاد سيد : تاريخ المذاهب الدينية في اليمن، ص: 154 .

فكاتب السيدة الحرة أروى بالدعوة للخليفة الجديد[179] فقامت السيدة بالدعوة للآمر بأحكام الله، يعاونها القاضي يحيى بن لمك الحمادي الذي خلف آباه في وظيفة قاضي قضاة المذهب الإسماعيلي باليمن وداعي القلم، فاستمر موالياً للدعوة الإسماعيلية الفاطمية الى أن مات سنة 520 هـ/ 1126م[180] . وبعد قتل الخليفة الفاطمي الآمر باحكام الله في ذي القعدة سنة 524 هـ/ اكتوبر 1130م، انقسمت الإسماعيلية في مصر الى فرقتين أيضاً، إحداهما: فرقة إسماعيلية حافظية، وهم أتباع أبي الميمون عبدالمجيد الملقب بالحافظ لدين الله، والذي نسبت اليه الدعوة الحافظية وهو من غير ولد الخليفة الفاطمي السابق، فسلمت مصر بهذه الدعوة. والأخرى: فرقة إسماعيلية طيبية نسبة الى أبي القاسم الطيب بن الآمر الذي قيل أنه ولد قبل موت أبيه بأشهر ونص عليه من بعده.[181]

وتمسكت السيدة الحرة أروى بنت أحمد بالدعوة للإمام المستور الطيب بن الآمر ابن المستعلي[182] ومن هنا بدأ دور انفصال الدعوة الإسماعيلية باليمن عن مصر، ويبدو أن اليمن سلمت بالدعوة الطيبية على اعتبار أنها امتداد للخليفة الإسماعيلي السابق وعلى اعتبار أنهم يؤمنون بالنص من الخليفة السابق وخاصة أن الحافظ لم ينص عليه الخليفة السابق نتيجة قتله، لذلك اعتبروا ابن الخليفة السابق وهو الطيب وريثاً له في الدعوة، وذلك خوفاً من انتقال الدعوة الى فرد آخر لم ينص عليه، وأول دعاة هذا الدور في اليمن هو الداعي الذؤب بن موسى الوادعي.

الدعوة الحافظية:

بعد موت السيدة الحرة أروى سنة 532 هـ/ 1137م ظهرت في اليمن الدعوة الحافظية الى جانب الدعوة الطيبية، فقد أرسل خليفة مصر الفاطمي عبدالمجيد الملقب بالحافظ، القاضي الرشيد بن الزبير الاسواني سنة 534 هـ/1139م، الى علي بن سبأ الزريعي يقلده أمر الدعوة الحافظية في اليمن فلما وصل القاضي الرشيد وجد علياً قد مات فقلد أمر الدعوة الحافظية أخاه محمد بن سبأ

---

(179) د. أيمن فؤاد . نفس المرجع ، ص: 159 .

(180) حسين الهمداني : الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن، ص: 181.

(181) د. أيمن فؤاد: تاريخ المذاهب الدينية في اليمن، ص: 171، هناك اختلاف حول ولادة هذا الطفل من حيث هو ذكر أم أنثى وهل ولد قبل قتل أبيه أم بعده وهل ولد له طفل أم لا، انظر د. أيمن فؤاد: نفس المرجع، ص: 171 - 173.

(182) د. محمد عبدالعال: الايوبيون في اليمن، ص: 49.

الزريعي ولقب بالمعظم [183] وانحصرت الدعوة الحافظية في نطاق نفوذ الزريعيين في عدن الذين استمروا موالين لها إلى نهاية دولتهم بقدوم الأيوبيين إلى اليمن سنة 569هـ/1173م الذي انتهت بوجودهم الدعوة الحافظية عن اليمن.

المرحلة الثالثة دور الستر وهي القيام بالدعوة الطيبية:

يعد الداعي الذوئب بن موسى أول دعاة الدعوة الطيبية في اليمن [184] الذي كان مقر إقامته في بلده بحوث من الظاهر والذي في عهده دخلت الدعوة الطيبية دور الستر [185]، ويعتبر الداعي الذوئب أول الدعاة الذين حصلوا على رتبة الداعي المطلق، بينما كان الداعي لمك (داعي البلاغ) [186] وفي هذه المرحلة استقلت الدعوة الطيبية عن كل من الخلافة الفاطمية بمصر وكذا عن الزريعيين اتباع الدولة الصليحية في اليمن. [187]

انحصرت الدعوة الطيبية في مغارب اليمن الأعلى أي في غرب وشمال غرب صنعاء في كل من حَراز وحُوْث وكوْكبان. واستخدم دعاة الدعوة الطيبية في هذه المناطق مساعدين لهم في نشر الدعوة، أطلق على كل واحد منهم رتبة مأذون، وهي رتبة بعد الداعي المطلق، كما استخدموا أحياناً رتبة المكاسر، وهي رتبة بعد المأذون. وسنورد دعاة الدعوة الطيبية ومساعديهم في هذه لمناطق .

الذوئب بن موسى:

ظل الداعي الذوئب يرأس الدعوة الطيبية كأول داع مطلق للدعوة الطيبية، يعاونه في رتبة المأذونية كل من الداعي الخطاب بن الحسن بن أبي الحفاظ الحجوري المتوفى سنة533هـ/1138م في

---

(183) بامخرمة: ثغر عدن، ص: 248، د. محمد عبدالعال: الايوبيون في اليمن، ص: 54 ــ 55، د. أيمن فؤاد: تاريخ المذاهب الدينية في اليمن، ص: 186.

(184) د. أيمن فؤاد،: نفس المرجع، ص: 190.

(184) Abbas Hamdani Arabian Studies, P. 95 ORIENS, p. 272

(185) إدريس: نزهة الأفكار، ق 35ب.

(186) د. أيمن فؤاد: نفس المرجع، ص: 193.

187) Abbas Hamdani: The Dai' Hatim Ibn Ibrahim Al- Hamidi (D. 596 H/1199A.D) And His Book Tufat Al- Qualub, P 271

منطقة الجَريب[188] والداعي إبراهيم بن الحسن الحامدي المتوفى سنة 554هـ / 1159م.[189]

إبراهيم بن الحسن الحامدي:

وعندما توفي الداعي الذوئب في المحرم سنة 546هـ/1151م تولى مكانه رئاسة الدعوة الطيبية مأذونة الداعي إبراهيم بن الحسن الحامدي كداع مطلق للإمام المستور الطيب بن الآمر لأحكام الله، وأقام الحامدي مساعداً له في رتبة المأذونية الداعي علي بن الحسن بن أحمد بن الوليد الأنف العبشمي القرشي، فعمل هذا المأذون على نشر الدعوة الطيبية الإسماعيلية حتى توفي في

---

(188) إدريس الأنف: نزهة الأفكار، ق: 36 أ ، قطب الدين سليمان: منتزع الأخبار، ق: 2/ وقد تمكن الخطاب بن الحسن بن أبي الخطاب الحجوري من أن يتولى السلطة السياسية في منطقة الجَريب إلى جانب الدعوة إلى الطيبية، وذلك على أثر صراع فيما بينه وبين أخيه سليمان، حيث كان أبوهما الحسن الحجوري يحكم الجريب وكان من القوة والمكانة مما جعل النجاحيين في زبيد يستعينون به في صراعهم ضد بعضهم البعض، فقد ذهب إليه إبراهيم بن جياش النجاحي في سنة 503هـ/1109م يستمده للقضاء على أخيه عبد الواحد الذي استولى على الحكم في زبيد ــ إسماعيل باقر: السلطان الخطاب، ص: 31 ، محمد العقيلي: ديوان السلطانين، ص: 23 ــ 24 ، وعندما مات الحسن الحجور حوالي سنة 503هـ/ 1109م وقيل 500/ 1106م تولى الحكم بعده ابنه الأكبر سليمان الذي كان يميل إلى مذهب أهل السنة، بينما أخوه الخطاب وأخته يميلان إلى الصليحيين والدعوة الإسماعيلية الطيبية، حيث إنه تولى رتبة المأذونية في الدعوة الطيبية للداعي المطلق الذوئب إدريس الانف: نزهة الافكار ق: 36 أ ، إسماعيل باقر نفس المصدر، ص: 40 ، وكان بداية الصراع فيما بين الأخوين عندما قتل أخوهما أحمد الذي يميل إلى مذهب السنة مع سليمان، اختهم التي تميل مع أخيها الخطاب إلى مذهب الإسماعيلية، فغضب لهذا العمل أخوه الخطاب فقام بقتل أخيه أحمد انتقاما لأخته ، من هنا بدأ الصراع العسكري والسياسي والديني فيما بين السلطانين الخطاب وسليمان، على أثر ذلك انقسمت حجور بين الأخوين فاستمرت الحرب بينهما أكثر من عشر سنوات استطاع الخطاب أن ينتصر على أخيه سليمان ويستولى على حكم منطقة الجريب في سنة 514هـ/ 1120م، استمر حتى سنة 533هـ/ 1138م، ومع ذلك فقد ظلت الحرب فيما بين الأخوين للمرة الثانية أثناء تولي الخطاب السلطة قرابة خمسة عشر سنة استطاع الخطاب قتل أخيه سنة 530هـ/ 1135م، بعدها تمكن أبناء سليمان الذين احتضنهم الخطاب من قتله غيلة على فراشه سنة 533هـ/ 1138م. إدريس الانف: نزهة الافكار، ق: 36 ــ 37 ــ قطب سليمان: منتزع الاخبار، ق: 3، الهمداني: الصليحيون ص: 200 ــ 203 ، إسماعيل باقر: السلطان الخطاب، ص: 36، 37 ، محمد العقيلي: ديوان السلطانين، ص: 29 .

(189) إدريس الانف : المصدر السابق، ق: 37 أ ، قطب سليمان : المصدر السابق، ق: 5 .

رمضان سنة 554هـ/1159م فأقام مكانه في رتبة المأذونية ابنه حاتم بن إبراهيم الحامدي الذي استقر في بعض أوقاته في صنعاء، وإلى جانبه جعل مساعدا له في رتبة المكاسر محمد بن طاهر الحارثي.[190]

حاتم بن إبراهيم الحامدي:

واستمر الداعي إبراهيم الحامدي يدعو للدعوة الطيبية إلى أن توفي في شعبان سنة 557هـ /1161م فتولى بعده رئاسة الدعوة الطيبية كداع مطلق ابنه حاتم بن إبراهيم الحامدي[191] الذي جعل مقر إقامته في حصن الخطيب في حراز[192]. وأقام في رتبة المأذونية في صنعاء الداعي محمد بن طاهر الحارثي.[193]

وفي عهد الداعي المطلق حاتم الحامدي دخلت الدعوة الطيبية في حروب طويلة مع السلطان علي بن حاتم اليامي حاكم صنعاء في كل من كوكبان والعروس وغيرهما. وذلك نتيجة معاداة السلطان علي بن حاتم للدعوة الطيبية.[194]

كذلك في أيام الداعي المطلق حاتم بن إبراهيم الحامدي ومأذونه الداعي محمد بن طاهر الحارثي، دخل الأيوبيون إلى اليمن، فاستمر المأذون الداعي محمد بن طاهر يدعو بصنعاء في عهدهم إلى وفاته سنة 584هـ/ 1188م فأقام الداعي المطلق مكانه بصنعاء في رتبة المأذونية الداعي علي بن محمد بن الوليد.[195]

علي بن حاتم الحامدي :

ولما توفي الداعي المطلق حاتم الحامدي في المحرم سنة 596هـ/1199م تولى مكانه في رئاسة

---

(190) إدريس الانف: نفس المصدر، ق: 37 أ - 38 أ ، قطب بن سليمان : نفس المصدر، ق: 4 .

(190) **Abbas Hamdani** : The Dai ' Hatım Ibn Ibrahim AL- Hamıdi, 272

(191) إدريس الانف: نفس المصدر، ق: 38 أ ، قطب بن سليمان : نفس المصدر، ق: 7 .

(191) **Abbas Hamdani** . The Daı ' Hatim Ibn Ibrahım AL- Hamidi, P. 287 .

(192) إدريس الانف: نفس المصدر، ق: 41 ب .

(192) **Abbas Hamdani** · The Dai ' Hatim Ibn Ibrahim AL- Hamidi, PP 286 - 287

(193) قطب محمد سليمان · نفس المصدر، ق: 10 .

(194) **Abbas Hamdani** Arabıan studies, P. 154 .

(195) إدريس الانف: نزهة الأفكار، ق: 42 أ ، قطب بن سليمان : منتزع الأخبار، ق: 10 - 11 .

(195) **Abbas Hamdani** . The Daı ' Hatim Ibn Ibrahım AL- Hamidi, P. 296

الدعوة الطيبية كداع مطلق ولده علي بن حاتم الحامدي[196] الذي أقام بصنعاء يدعو للطيبية في عهد الأيوبيين إلى وفاته في المحرم سنة 605هـ/ 1208م .[197]

علي بن محمد بن الوليد القرشي:

ثم تولى مكانه في رئاسة الدعوة كداع مطلق والذي استقر في صنعاء الداعي علي بن محمد بن الوليد القرشي، فاستمر في رئاسة الدعوة إلى أن توفي سنة 612هـ/1215م .

ابن حنظلة بن سالم المرادي:

ثم تولى بعده رئاسة الدعوة الطيبية في رتبة الداعي المطلق الداعي بن حنظلة بن سالم المرادي الذي استمر يدعو إلى سنة 626هـ/ [198]1228م.

وبالنسبة للعلاقة بين الدعوة الطيبية والأيوبيين فإننا نجد أن الأيوبيين قد تغاضوا عن وجود الدعوة الطيبية في اليمن، ولم يدخلوا في صراع معها[199] ، ويرجع ذلك إلى دخول الدعوة الطيبية في دور الستر من ناحية، ومن ناحية ثانية ترك رجال الدعوة الطيبية معترك السياسة، فقد أعلن حاتم بن إبراهيم عدم تدخله في سياسية الدولة[200] لذلك كانت الدعوة الطيبية على علاقة حسنة مع الأيوبيين .[201] وهكذا كان انتشار المذهب الإسماعيلي ومروره بالأدوار الثلاثة.

عقيدة ابن مهدي :

واستكمالاً لذكر انتشار المذاهب الدينية في اليمن فلابد لنا من ذكر مذهب ابن مهدي حيث كان مذهب ابن مهدي هو المذهب الحنفي في الفروع الفقهية، أما في أصول الدين فقد خالف فيه المذهب الحنفي،واتجه إلى مذهب الخوارج فاتخذه مذهباً له، فكان يكفر بالمعاصي ويقتل بها

---

(196) قطب بن سليمان : منتزع الأخبار ، ق: 12 .

(197) إدريس الانف: نزهة الأفكار، ق: 44 أ .

(197) **Abbas Hamdani** : The Daı ' Hatim Ibn Ibrahım AL- Hamıdı, P. 298 .

(198) قطب محمد بن سليمان : نفس المصدر، ق: 13 ، 17 .

(198) **Abbas Hamdani** The Daı ' Hatim Ibn Ibrahim AL- Hamıdı, P. 296 .

(199) **Abbas Hamdani** · Arabian studies, P 157

(200) د. مصطفي غالب : أعلام إسماعيلية ، ص: 87 .

(201) **Abbas Hamdani** Arabıan studıes, P 157

عن الدعوة الطيبية في اليمن انظر :

Abbas Hamdani: The Tayyıbi-Fatımid Communıty of the Yemen At The Time Of The Ayyubıd Conquest Of Southern Arabıa, PP 151 - 160

كذلك، يقتل من خالف اعتقاده من المسلمين، ويستبيح وطء سباياهم واسترقاق ذراريهم وجعل دارهم دار حرب.[202]

ويبدو أن الأصول الاعتقادية لابن مهدي كانت في البداية غير واضحة، فقد استخدم طريقة التصوف باتباع التنسك والتعبد منذ سنة 531هـ/1136م حتى سنة 536هـ/1141م فكان يخرج للحج في كل موسم ويعظ الناس في البوادي. لذلك أعفت الحرة علم أم فاتك بن منصور النجاحي، ابن مهدي وأصهاره ومن يلوذ إليه من خراج أراضيهم[203]. كذلك حاول التقرب إلى الإسماعيلية ومصاحبتهم ففي سنة 549هـ/ 1154م اتجه إلى محمد بن سبأ الزريعي الإسماعيلي في ذي جبلة يطلب المساعدة منه في القضاء على النجاحيين في زبيد فلم يجبه الزريعي لذلك.[204]

فلما لم تفده هاتين الطريقتين اتجه إلى استخدام فكر الخوارج في محاربة آل نجاح، ولما تمكن من القضاء عليهم، والاستيلاء على زبيد استمر على مذهبه الخارجي في محاربة جميع المذاهب فقد تتبع الإسماعيلية بالقتل، وممن قتل منهم القاضي الشاعر يحيى بن أحمد بن يحيى أخا القاضي جعفر الزيدي المعتزلي[205]. كما أحرق مسجد الجند بحجة أن الإسماعيلية الزريعيين أنجاس نجسوا الجامع حيث أورد ابن المجاور قوله عنهم:(فهم أنجاس ينجس الجامع بذكرهم. وكل من هو نجس طهر وقد طهرناه بالنار)[206]. كما تتبع أهل السنة بالقتل فقتل بعضهم وهرب منه البعض الآخر.

العقائد في اليمن:

انتشرت في اليمن الأسفل عقائد الحنابلة، أوضح ذلك ابن الأهدل بقوله:(وغالب فقهاء الجبال قديما وحديثا على معتقد الحنابلة)[207]. وكان بداية دخول عقيدة الحنابلة اليمن عندما دخلت كتبهم إليها وانتشارها مثل كتاب(الشريعة) للآجري، وكتاب(التبصرة) للشيرازي. كما

---

(202) عمارة : المفيد، ص: 236 ، الخزرجي : العسجد، ص: 140 ـ 141 ، ابن الديبع: قرة العيون، ص: 373، حمزة علي لقمان: تاريخ عدن وجنوب الجزيرة العربية ص: 62، د. أمين صالح: دولة الخوارج في اليمن، ص: 132 ، د. محمد عبد العال : الأيوبيون في اليمن، ص: 61 .

(203) عمارة : المفيد ، ص:230 ، الخزرجي: العسجد ، ص: 129 ، د. أمين صالح : نفس المرجع ، ص:128.

(204) عمارة : المفيد ، ص: 232 ، الخزرجي : العسجد، ص: 131 ، د. أمين صالح : نفس المرجع،ص: 131.

(205) ابن سمرة : طبقات فقهاء اليمن ، ص: 183 .

(206) ابن المجاور : صفة بلاد اليمن، ص: 165 ، د. أمين صالح: دولة الخوارج في اليمن، ص: 136 .

(207) الاهدل : تحفة الزمن، ص: 242 .

يرجع إلى وجود الفقيه المراغي في اليمن الذي استقر في سَهْفنة والذي دَرَّسَ كتابه الذي ألفه والمسمى (الحروف السبعة في الرد على المعتزلة وغيرهم من أهل الضلال والبدعة)[208]. كذلك كان الإمام يحيى بن أبي الخير رغم كرهه الخوض في علم الكلام يميل إلى عقيدة الحنابلة فقد ألف كتابا في الرد على الأشعرية وعلى المعتزلة سمي (الإنتصار في الرد على القدرية الأشرار).[209]

كذلك انتشر في هذه المنطقة مذهب الأشاعرة عندما دخلت كتب المعتزلة إلى اليمن مباشرة وذلك عندما قدم الأيوبيون إليها سنة 569هـ/1173م حيث اصطحبوا معهم كتب الأشاعرة منها(المقالة القدسية) و (أول أحياء علوم الدين في عقيدة الأشعري) فاعتنقها أكثر شافعية اليمن، فلم يأت نهاية القرن السادس إلا وقد عمت عقائد الأشعرية في اليمن الأسفل.[210]

أما اليمن الأعلى فقد دخلت إليه عقيدة المعتزلة بواسطة القاضي جعفر بن عبد السلام الذي ذهب إلى العراق لدراسة مذهبهم واحضار كتبهم إلى اليمن، فأحضرها في منتصف القرن السادس الهجري، وقد حاول القاضي جعفر نشر عقيدة المعتزلة في اليمن الأسفل فاتجه إليها لمناظرة فقهاء أهل السنة بها وعلى رأسهم الإمام يحيى بن أبي الخير، فلما صار في منطقة(إب) سنة 554هـ/1159م لقى بها سيف السنة أحمد البريهي فناظره سيف السنة وأسقط حجته[211]، وحذره من الاتجاه إلى الإمام يحيى إلى الجند وقال له:(إن نزلت لقيت البحر الذي تغرق فيه يحيى بن أبي الخير)[212] فلم يستطع القاضي جعفر الاتجاه نحو الإمام يحيى إلى الجند، وقد لقى القاضي جعفر في (إب) استنكارا بها فقد(هم أهل السنة به يضربونه فخرج هاربا)[213]. منها متجها إلى حصن

---

(208) ابن سمرة : طبقات فقهاء اليمن، ص: 124 .

(209) ابن سمرة : نفس المصدر، ص: 180 - 181 ، الأهدل : نفس المصدر ، ص: 241 - 242 .

(210) يحيى بن الحسين: طبقات الزيدية، ق: 56 ب . و د. أيمن فؤاد: تاريخ المذاهب الدينية في اليمن، ص: 73 ، كانت العقائد السائدة عند أهل اليمن في العهد الأموي هي مذهب أهل الجبر، والذي يقول:(إن الإنسان مجبر على أفعاله) وهو المذهب الذي كان الأمويون أنفسهم يميلون إلى الاعتقاد به وكان سائدا في دولتهم وفي عهد الخلفاء العباسيين ظلت اليمن على الاعتقاد بمذهب الجبر لأن العباسيين تركوا الناس على عقائدهم السابقة فلم يعملوا على تغيرها، أحمد الشرفي : عقائد أهل اليمن، ص: 52 ،67 .

(211) الجندي : السلوك ، جـ 1 ، ص: 399 .

(212) الجندي : السلوك، جـ 1 ، ص: 343 ، الأهدل : تحفة الزمن ، ص: 241 .

(213) الجندي : نفس المصدر ، ص: 399 .

شواحِط حيث لقى بها الفقيه على بن عبد اللـه الهرمي تلميذ الإمام يحيى بن أبي الخير الـذي كلفـه بمنـاظرة جعفـر عندمـا سمع بنزولـه إلى إب لمنـاظرة أهـل السـنة. فنـاظره الهرمـي(فقطعـه في عـدة مسائل)[214] بعدها عاد القاضي جعفر نحو صنعاء فاستقر في (سَنَاع) يدرس المذهب الزيدي وعقائد المعتزلة ويناظر المطرفية بها، وبذلك بـاءت محاولـة القـاضي جعفـر المعـتزلي في منـاظرة أهـل السـنة بالفشل، فلذلك انحصر مذهب الأشاعرة عند أهل السنة في اليمن الأسفل في حـين انحصـر مذهـب المعتزلة في اليمن الأعلى عند أهل الزيدية.

من خلال ذلك كله نجد أن المناطق اليمنية تمـيزت بعضهـا عـن بعـض في اعتنـاق المذاهـب الإسلامية، وأدى هذا التمايز إلى اختلاف تطورها المذهبي. فمناطق السهل التهامي سـادها مذهـب واحد هو مذهب أهل السنة أما منطقة نجد اليمن وهي الهضبة الجبلية لليمن يمكن أن نقسـمها بنـاء على هذا التمايز المذهبي إلى قسـمين وهمـا قسـم هضبـة جنـوب صنعـاء أو مـا يطلـق عليـه اليمـن الأسفل وقسم هضبة شمال صنعاء أو ما يطلق عليه اليمن الأعلى .

فهضبة جنوب صنعاء انتشر فيها مذهب مالك وهو المذهب الذي كان يعتمد على النص أكثر من اعتماده على الرأي، لأنه نشأ في الحجاز، وأكـثر أهـل الحجـاز رواة للحديـث باعتبـار أن المدينة ومكة داري الهجرة ومأوى الصحابة[215]. لذلك كان اعتماد أهل الحجاز كثيرا على النص، وعلى رأس مدرسة أهل الحجاز الإمام مالك بن أنس.[216]

وعندما قدم مذهب الشافعي إلى اليمن وهو المذهب الذي يجمع بين الرأي والنص، تأثرت به هذه المنطقة وأصبح منذ القرن الرابع هو الغالب بها[217]، أما اليمـن الأعلـى وهـو هضبـة شمـال صنعاء فكان الغالب عليها مذهب أبي حنيفة[218]. وهو المذهب الذي يعتمد على الـرأي أكـثر مـن الاعتماد على النص لأنه نشأ في العراق التي كان أكثر أهلها يعتمدون على الرأي[219] لبعدهم عـن مصدر الحديث وهي مكة والمدينة، وكان على رأس مدرسة أهل الرأي في العراق الإمام أبو حنيفـة

(214) الجندي : نفس المصدر ، ص: 344 ، الأهدل : نفس المصدر ، والصفحة .

(215) ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، ص: 797 .

(216) أحمد أمين : ضحى الإسلام جـ 3 ، ص: 151 .

(217) ابن سمرة : طبقات فقهاء اليمن، ص: 80 ، 87 ـ 88 ، الجندي : السلوك ، جـ 1 ، ص: 249 .

(218) المقدسي : أحسن التقاسيم ، ص: 96

(219) الخضري بك : تاريخ المذاهب الإسلامية ، ص: 139 .

النعمان[220]. وربما يعود انتشار مذهب أبي حنيفة بين صعدة وصنعاء إلى العلاقة التجارية التي كانت قائمة بين اليمن والعراق خلال القرون الهجرية الأولى، فقد كانت هناك طريق تجاري تربط بين البصرة وصعدة يبدأ من الركب شمال صعدة أو من نجران إلى البصرة عن طريق الرضراض[221]، كما كانت هناك أسواق تجارية للعراقيين بصنعاء[222] كما يعود إلى انتشار تدريس الفلسفة بهذه المنطقة.[223]

ونتيجة انتشار الفلسفة والاعتماد على الرأي بهذه الهضبة انتشر بها الكثير من الفرق الإسلامية والمذاهب مثل الأباضية، والإسماعيلية والزيدية، وربما يعود انتشار الزيدية بها. نتيجة للتقارب من الناحية الدينية فيما بين مذهب أبي حنيفة والمذهب الزيدي، فقد انتشر المذهب الزيدي في المناطق التي انتشر بها المذهب الحنفي ، وأيضا نتيجة للتقارب فيما بين المذهب الزيدي ومذهب الاعتزال في الاعتقادات الدينية، فقد انتشر مذهب المعتزلة في الأماكن التي تدين بالمذهب الزيدي. وهكذا نجد أن جميع المذاهب الفقهية التي اتفقت على ترجيح الرأي على النص انتشرت في هضبة شمال صنعاء. بينما المذاهب التي اتفقت على ترجيح النص أو تجمع بين الرأي والنص انتشرت في هضبة جنوب صنعاء .

وما يتضح لنا من خلال استعراض فصل المذاهب الإسلامية في اليمن أن مذهب أهل السُّنّة انتشر عن طريق العلماء وساد معظم اليمن. بينما انتشر المذهب الزيدي عن طريق الأئمة الزيدية. كما يتضح أنه نتيجة للتعدد المذهبي في اليمن الأعلى من زيدية مخترعة وزيدية مطرفية وإسماعيلية وأباضية أعاق ذلك تلك المذاهب من الانتشار في أنحاء اليمن. فقد ظلت تلك المذاهب تتصارع مع بعضها البعض في معظم أوقاتها. لم يؤثر ذلك الصراع على الجانب الديني لهم فقط. بل أثر على الجانب السياسي لتلك المذاهب. كذلك يتضح أنه على الرغم من أن المذهب الزيدي أكثر قرباً لأهل السُّنّة إلاّ أنه لم يتمكن من الانتشار في أنحاء اليمن. وذلك بسبب ذلك الصراع وبسبب إرتباط أئمة الزيدية بقبائل متعادية مع بعضها البعض فأثر ذلك على انتشار الزيدية الديني والسياسي.

---

(220) أحمد أمين : ضحى الاسلام ، حـ 3 ، ص. 151 .

(221) ابن المجاور . صفة بلاد اليمن ، ص: 214 - 217 .

(222) الرازي . تاريخ مدينة صنعاء ، ص. 105

(223) ابن المجاور : نفس المصدر ، ص. 192 .

الباب الرابع
الحياة الاجتماعية

الفصـل الأول: عناصر السكان

الفصل الثاني: طبقات المجتمع

الفصل الثالث: مظاهر الحياة الاجتماعية

الفصل الأول

عناصـــر السكـــان

عناصر السكان:

تعددت العناصر التي شكلت المجتمع اليمني، أهمها القبائل اليمنية التي شكلت الغالبية العظمى لسكان اليمن، وإلى جانبهم استقرت عناصر أخرى متعددة، منهم الأحبوش والفرس (الخرسانيون والطبرانيون) والغز(السلاجقة والأكراد والأتراك) والأيوبيون وغيرهم.

1 ـ القبائل اليمنية:

الظاهرة العامة التي تميز بها اليمن أن مناطقه سميت بأسماء قبائله المتعددة. فهي تتكون من عدة قبائل أهمها حِمْيَر وَكَهْلاَن ويتفرع منهما عدة بطون.

فحِمْيَر تنتشر أكثر بطونها في المنطقة الواقعة فيما بين عدن وصنعاء، ومن أهم تلك البطون ذو أَصْبَح(الأَصَابح) ولَحْج والمَعَافِر والسَّحُول وذو الكَلاَع ورُعَيْن ويَحْصِب وتستقر على امتداد وسط هضبة جنوب صنعاء إلى عدن. وفي شرق الهضبة توجد أَبْيَن ويافع ورَدَاع ورَدْمَان والأَوْزَاع وذَمَار وَعَنْس. وفي غرب الهضبة بنو مَجيد وشَرْعَب ووُصَاب وجبْلاَن وجُبْلان ريمة وألهَان وحَرَاز[1]. ومن أشهر قبائل حِمْيَر أيضاً خَوْلاَن التي تنقسم إلى قسمين هما خَولان قضاعة ومساكنهم في صعدة وخولان العالية ومساكنهم شرق صنعاء حتى مأرب .

أما كَهْلان فمن أهم بطونها هَمَدان، وتستقر في هضبة شمال صنعاء حتى صعدة وتنقسم إلى قسمين فشرق الهضبة لبَكِيل وغربها حاشد وتعتبر مدينة خَيْوان هي الحد الفاصل بينهما، غير أن هذا الفاصل لم يمنع من وجود بعض قبائل كل من حاشد وبَكيل في مناطق القبيلة الأخرى[2]. ومن قبائل هَمَدَان الهامة بالإضافة إلى حَاشِد وبَكِيل أَرْحب وَنِهْم وعذَر وَحجّور وقُدم ويَام وشاكر وَوادِعة[3] .

---

(1) الهمداني : صفة حريرة العرب، ص: 95 ـ 96، 190 ـ 209 ، الاكليل، جـ2 ، ص: 3، 86، 235ـ 236 ، 264 ـ 266 ، 363 ، د. نزار الحديثي: أهل اليمن في صدر الاسلام ، ص: 43 .

(2) الهمداني · صفة جزيرة العرب، ص: 217، ياقوت الحموي، معجم البلدان، جـ5، ص: 69 .

(3) الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص:145، 215، 217 ـ 227، د. نزار الحديثي: أهل اليمن في صدر الاسلام، ص:46 ـ 48.

ومن كَهْلان أيضا مَذْحج واستقرت شرق ذمار[4] وأشهر قبائلهــا بنــو الحــارث بــن كعـب وسعد العشيرة وجُعْفِي والنَخَع ومُرَاد وجَنْب وصُدَاء ورهاء وعَنْس[5]. والأَزْد وأهم منطقة لها هــي مأرب[6]. ومن أشهر قبائلها عك[7] ودوس وغامد، وبَارق وأحجن والجنادبـة وزهـران وغيرهـا[8] وكذلك كِنْده ومنطقتها حضرموت ومن أهم قبائلها تَجِيب السَكَاسِك والسُّكُون[9].

على أن القبائل اليمنية خالطت بعضها البعض وتداخلت مساكنها في بعض الأحيان، ففـي صعدة سكنت يرسم من ذي الكلاع من حمير[10]. وقبائل من همـدان الى جـانب خـولان قضاعـة. وفي المهجم سكنت في عاليتها قوم من خولان من حمير وفي أسـفلها قـوم مـن عـك مـن الأزد. وفي القحمة سكن الأشاعر من الأزد من كهـلان ومعهـم قـوم مـن خـولان وهمـدان[11]. وفي الكـدراء سكن خليط من عك ومن الأشاعر، وفي باديتهـا أغلبهـم مـن عـك وقليـل مـن خـولان. وفي رداع سكنها خليط من حمير وخولان، وفي حضرموت سكنها الى جانب كندة قـوم مـن حمـير. وفي الجنـد سكن الى جانب حمير قوم من السكاسك من كندة وفي المعافر سكن الى جانب حمير قوم من همدان هم بنو مران وقوم من السكاسك من كندة ومن بني وَاقِد. وفي نجران سـكنها قـوم مـن همـدان في شرقها وقبائل من مذحج في شمالها كما سكنها قبائل من حمير ومن كهلان[12].

وقد سيطر على كثير من القبائل اليمنية صـراع حربـي متعـدد تعـددت أغراضـه وأسـبابه منها صراع حول السيادة والسلطة بمحاولة بعض القبائل السيطرة على القبائل الاخرى سياسـياً أو السيطرة على أراضيهم الزراعية أو بسـبب العـداوات القديمـة القائمـة فيمـا بـين القبـائل وبعضهـا

---

(4) الهمداني: صفة حزيرة العرب، ص:179.

(5) ياقوت الحموي: معجم البلدان، جـ5، ص:89، الاكوع: البلدان اليمنية، ص:264.

(6) ياقوت الحموي: نفس المصدر، جـ5، ص: 34.

(7) الهمداني: الاكليل، جـ2، ص:238.

(8) ياقوت الحموي: نفس المصدر، حـ5، ص:90.

(9) الهمداني: صفة جزيرة العـرب، ص:95 ــ 96، 171، د. نـزار الحديثـي: أهـل اليمـن في صـدر الاسـلام، ص:51 ، 54.

(10) الهمداني: صفة جزيرة العـرب، ص: 224، يـاقوت الحمـوي: نفـس المصـدر، جــ ص: ، الاكـوع: نفس المرجع، ص:102، د. نزار الحديثي: نفس المرجع، ص:49.

(11) الهمداني. صفة، ص:96 - 97، 244.

(12) الهمداني: صفة ، ص:97، 99، 101، 118، 165، 224 - 231.

البعض[13].

فمن هذه الصراعات القبلية، فقد كانت المنطقة فيما بين مأرب والجوف لايزال القتال مستمراً بين أهلها[14]. كما حدث صراع قبلي بين أهل منطقة سهفنة قرية الشيخ أبي محمد ابن يحيى بن أبي الهيثم بن عبدالسميع الصعبي السهفني (ت. 503هـ/ 1109م) وبين بني مليك حيث أن الاملوك غزوا سهفنة ونهبوها وقتلوا بعضا من أهلها وأخرجوا بعضاً آخر، وكان الشيخ المذكور ممن تعرضوا للأذى في هذا الصراع[15].

كذلك حدثت حرب قبلية بمنطقة (سير) في مخلاف جعفر بين قوم الامام يحيى ابن أبي الخير (ت 558هـ/ 1162م) وبين من حولهم من العرب فخاف الامام من تلك الحرب فخرج هارباً منها الى ذي السفال[16].

كما حدث صراع قبلي سنة 560هـ/ 1164م في منطقة (ترن) على بعد ثلاثة فراسخ من العارة، حيث أن أهل (ترن) كانوا أهل (أنعام وخيل وزرع وضرع لما كثر المال عليهم وحسن الحال بهم) هجموا على الحجازيين المجاورين لهم فانتصروا عليهم فاستعان الحجازيون بالسكاسك فهجموا على اهل (ترن) واستولوا على أراضيهم[17].

وأوضح دليل على الصراع الذي عم اليمن وصنعاء ما أورده صاحب الأنباء بقوله: (من سنة 405هـ/ إلى سنة 448هـ عمَّ الخراب صنعاء وغيرها من بلاد اليمن لكثرة الخلاف والنزاع وعدم اجتماع المملكة الواحدة ... وأظلم اليمن وكثر خرابه وفسدت أحواله ... وكانت صنعاء وأعمالها كالخرقة لها في كل سنة أو شهر سلطاناً غالباً عليها، حتي ضعف أهلها وانتقلوا إلى كل ناحية)[17م].

---

(13) انظر الهمداني، الاكليل، جـ1، ص:208، 298، جـ2، ص: 119، د. محمد أمين صالح: تاريخ اليمن الاسلامي، فصل 5، 6.

(14) ابن المجاور: صفة بلاد اليمن، ص:200.

(15) الجندي: السلوك، حـ1، ص:334.

(16) الجندي: نفس المصدر، ص 342.

(17) ابن المجاور: نفس المصدر. ص:100 - 102.

(17م) الهمداني: الصليحيون. ص. 63، عن أبناء 1 - 27-28.

العناصر الأجنبيــــة:

كذلك استقرت باليمن الى جانب سكانها الأصليين عناصر أجنبيــة متعـددة، مثـل الفـرس والأحباش والصومال والبربر والهنود وغيرهم. ففي عدن مثلاً استقر بها كثـير مـن العنـاصر الانفـة الذكر لأغراض تجارية، وذلك بسبب أهمية عدن كمركز تجـاري آنـذاك، فاسـتقر بهـا عـرب مـن الاسكندرية ومصر، ومن غير العرب استقر بها الفرس والمقديشيون والأحباش والبربر والهنود[18].

وفي صعدة وصنعاء وذمار وجدت جماعات من الابناء[19]. كما استقر في زبيد جماعات من الخراسانيين قدموا ضمن جند ابن زياد حينما قدم من العراق الى اليمن. وعددهم حـوالي سبعمائة فارس من مسودة خراسان[20]. كذلك استقر في زبيد وتهامة الكثير من الأحبـاش والنوبيـين جلبـوا اليها كجند أو رقيق في عهد بني زيـاد والدولـة النجاحيـة[21]. كمـا اسـتقر بهـا جماعـات مـن الغـز السلاجقة في عهد النجاحيين[22].

كذلك استقر في اليمن لأغراض سياسية وعسكرية كثير مـن الأيوبيـين أو مـايطلق عليهـم صاحب السـمط (الغز) من الأكراد والاتراك والمماليك وقد تولت هذه العناصر حكـم اليمـن أثنـاء فترة الحكم الأيوبي لها 569 - 626هـ/ 1173 - 1229م.

وقد اختلطت هذه العناصر الأجنبية جميعاً في المجتمع اليمـني وذابـت أكثرهـا بفعـل عـامل الزمن، من ذلك ماقاله المكرم عن الاحبوش أورده عمارة بقوله: (واعلموا أن عـرب هـذه التهـائم يستولدون الجواري السود)[23].

أهــل الذمــــة:

وجد أهل الذمة في بعض مناطق اليمن. فالنصارى كانوا يوجـدون في نجـران، وفي جزيـرة

---

(18) ابن المجاور: صفة بلاد اليمن، ص:134 ، 146.

(19) الهمداني: صفة جزيـرة العرب، ص:100، 206، 224، الابنـاء هـم بقايـا ابنـاء الفـرس المسـتولدين في اليمن.

(20) عمارة: المفيد،ص: 46، اختلفت المصادر في عدد الخرسانيين، فابن المجاور يذكر عددهـم ألـف وسـبعمائة فارس، وابن الديبع والخزرجي يذكران عددهم تسعمائة فارس. قرة العيون، ص:39العسجد، ص:97.

(21) عمارة: المفيد. ص:67.

(22) انظر فصل العسكرية.

(23) عمارة: المفيد، ص:134.

سقطرى[24]. أما اليهود فكانوا يوجدون في مناطق كثيرة من اليمن مثل نجران[25] وصعدة وصنعاء وذي جبلة والجند وعدن.

وكان أهل الذمة يشتغلون بالتجارة كما كانوا يملكون أراض واسعة، من ذلك نصارى ويهود نجران كانوا يشترون الكثير من الأراضي الزراعية للمسلمين في نجران[26].

كذلك كان اليهود يشتغلون بالتجارة في عدن وخاصة أثناء نشاطها التجاري، حيث كان مضمون اليهودي وكيل تجار عدن وفي نفس الوقت رئيساً ليهود اليمن[27] في أيام الزريعيين. وورثه في العمل التجاري ابنه داود بن مضمون اليهودي الذي ساهم في حفر ثلاثة آبار مياه في عدن [28].

كذلك اشتغل اليهود في الصناعة حيث كانوا في ذي جبلة يصنعون الفخار[29]، وفي عدن كانوا يعملون في صياغة الذهب والفضة[30].

الرقيق:

انتشر الرقيق في اليمن حيث كان يجلب الغلمان والجواري من الهند[31] ويجلب الوصيفات والوصفان من الحبشة والنوبة، فكان يدخل اليمن في كل سنة ألف رقيق وخمسمائة وصيف وخمسمائة وصيفة حبشية ونوبية.[32]

وقد امتلأت أغلب قصور الأمراء والأثرياء بالرقيق والجوارى والوصيفات في كل من عواصم الدويلات اليمنية في كل من زبيد وذي جبلة وصنعاء وعدن، فكان في قصر علي بن محمد

---

(24) ابن المجاور: صفة بلاد اليمن، ص:209، 266.

(25) ابن المجاور: نفس المصدر، ص:209.

(26) سليمان الثقفي: سيرة الامام أحمد بن سليمان، ص:6.

(27) جواتيان: دراسات في التاريخ الاسلامي والنظم الاسلامية، ص: 281.

(28) ابن المجاور: صفة بلاد اليمن، ص:131.

(29) عمارة: المفيد، ص:138 - 139.

(30) ابن المجاور: صفة بلاد اليمن، ص:32.

(31) ابن المجاور: صفة بلاد اليمن، ص:143.

(32) عمارة: المفيد، ص:67.

الصليحي في صنعاء أربعمائة وصيفة[33] وكان في قصور فاتك النجاحي في زبيد أكثر من ألف جارية. وكانت قصور المفضل بن أبي البركات في ذي جبلة ملئة بالجواري. ففي أثناء صراع أهل الجبال معه عندما نزل لنصرة عبيد فاتك اتجه إبراهيم بن زيدان الى قصوره في حصن التعكر سنة 504 هـ/ 1110م وأخرج كل ما بها من خظايا المفضل من السرايا. وألبسهن أجمل الأزياء وأحسنها وجعل الطارات بأيديهن وأطلعهن على سقوف القصور يضربن ويرقصن ليشاهدهن المفضل بن أبي البركات فلما شاهدهن مات كمداً غيرة عليهن. [34]

ومن أشهر تجار الرقيق الشيخ حمير بن أسعد الذي تولى منصب كاتب الوزير مَنّ الله الفاتكي وغيره من وزراء آل نجاح. فكان يجلب الجواري من عدة أماكن ثم يقوم بتربيتهن في داره وتعليمهن الغناء والطبخ وخزن الثياب وعمل الطِّيب. ثم يبعهن. وقد كان عمله في البداية منادماً وخادماً لجماعة من ملوك الجبال ثم نزل تهامة واشتغل بتخريج الجواري والمغنيات، كما كان يتاجر ببيع السموم الذي يقتل به الملوك حيث إن كل من مات بالسم من ملوك بني نجاح ووزرائهم من سمومه [35]. وربما كان يستخدم ما يهاديه من الجواري أو من يبيعهن لبعض الشخصيات ليقمن بوضع السموم لمخدومهن.

ويشتهر سوق الجواري في عدن فكانت الجارية إذا أرادوا بيعها تبخر وتطيب وتعدل ويشد وسطها بمئزر ويطوف بها المنادي في الأسواق. وعندما يحضر التجار لشرائها يفحصونها فحصاً دقيقاً فيقلبون يديها ورجليها وفخديها وسرتها وصدرها ونهديها وشعرها وأسنانها ولسانها وغير ذلك من الأماكن الأخرى[36] فاذا أعجبته اشتراها. ويبدو أن هذا التفتيش الدقيق من أجل معرفة سنها وجمالها، وخلوها من العيوب. فكلما كانت الجارية صغيرة السن وجميلة أقبل الناس على شرائها. ويبدو أن بيع الجواري كان مرتفع الثمن وخاصة صغيرات السن، لذلك يدقق المشتري في التفتيش من أجل مبلغ الشراء ومعرفة صفر الجارية من كبرها.

---

(33) يحيى بن الحسين: انباء الزمن، ق40.

(34) عمارة: المفيد، ص: 158، 211.

(35) عمارة: المفيد، ص:217.

(36) ابن المجاور: صفة بلاد اليمن، ص:145.

الفصل الثاني

طبقـــات المجتمـــع

ذكر بعض المؤرخين أن المجتمع اليمني تمثل فيه عدة طبقات وتشمل الطبقة عـدة طوائـف، مثل طبقة الفقهاء فيها طائفة فقهاء الشافعية، وطائفة فقهاء المالكية، وطائفة فقهاء الحنفية[1]. وبنـاء على مفهوم المهنة الواحدة والتشابه في الناحية العلمية والمالية والسلطة للجماعات ومـا أشـار إليـه المؤرخون اليمنيون[2]. يمكـن تقسـيم المجتمـع في اليمـن في العصـر الإسـلامي موضـوع البحـث إلى قسمين أحدهما: الطبقـات الخاصـة، وتشـمـل طبقـة الحكـام، طبقـة العلمـاء، طبقـة كبـار المـلاك. والثاني: الطبقات العامة، وتشمل الجند والرعايا والفلاحين، وأرباب الحرف، وهذه الطبقات جميعا تتكون من جميع عناصر المجتمع اليمني سواء العناصر اليمنية أم العناصر الأجنبية .

على أن التشكيل الطبقي في المجتمع اليمني كان غير جـامد ولكنـه كـان متحـرك يسـمح بالتنقل من طبقة إلى أخرى بالصعود أو النزول. فالأرقاء الذين جلبـوا إلى المجتمـع اليمـني لم يظلـوا رقيقاً، بل أصبحوا كبار رجالات السلطة والثروة والجاه والعلـم. مثـل الحـال في الدولـة النجاحيـة التي كان الأمراء والوزراء ورجال الدولة وقادة الجند بها من الرقيق، فالأمـير نجـاح وأولاده تولـوا رئاسة الدولة في زبيد، وتولى عبيدهم الوزارة وقيادة الجند، كمـا كـانوا مـن كبـار المـلاك، كذلـك بلغوا مراتب كبيرة في العلم، فجياش بن نجاح كان شاعرا مؤرخـا إلى جـانب توليـه رئاسـة الدولـة النجاحية.[3]

ونستعرض هنا الطبقات الاجتماعية في اليمن من حيث التدليل على تواجد هذه الطبقـات في المجتمع اليمني في فترة البحث. وليس لاستعراض أعمال كل طبقة.

أولاً : الطبقات الخاصة

1 ـ طبقة الحكام :

وتشمل عدة فئات أو طوائف هم : الملوك والسلاطين والولاة وزعماء القبائل والوزراء

---

(1) عمـارة : المفيـد، ص: 226 ـ 223، الخزرجي : العسـجد المسـبوك، ص 126 ، ابـن الديبـع: قـرة العيـون، ص: 357 .

(2) المؤرخون اليمنيون هم ، عمارة ، الخزرجي ، ابن الديبع .

(3) انظر عمارة ؟: المفيد ، ص: 194 - 232، الخزرجي: العسجد المسبوك، ص:104 - 128، ابن الديبع: =

والقادة أو أرباب السيوف وكبار الموظفين وكل من يشترك معهم فيما يتعلق بالحكم . وقد تعددت عناصر الحكام في اليمن، فمنها الزعامات القبلية، والأشراف والأحبوش ثم الغز(الأكراد والأيوبيون) .

فالزعامات القبلية تعد من أهم العناصر التي تولت السلطة في اليمن مثل بني الكرندي من حمير، تولوا السلطة على مخلاف المَعافر ومخلاف الجند ومخلاف عُنّة (العدين) حتى ذي جبلة. وبني وائل بن عيسى من ذي الكلاع من حمير، تولوا مخلاف أحاظة التي من حصونها زهران ويَفُوز. وعزان وشعب ومن مدنها شاحط، كما تولى السلطان أبو عبد الله الحسين بن التبعي (ت. 478هـ/1085م) من حمير الحكم على حصن خدد والشوافي.[4] وإلى جانب أولئك فقد تولت السلطة في اليمن العديد من الزعامات القبلية الأخرى وأشهرهم آل الروية وآل أبي الفتوح الخولاني وبنو يعفر وآل شاور وآل الزواحي وبنو الصليحي وبنو زريع وبنو حاتم. مما يدل على أن العناصر القبلية كانت أهم العناصر الذين وصلوا إلى طبقة الحكام في اليمن آنذاك.

وقد تصارعت الزعامات القبلية حول السلطة في اليمن، فكان الصراع حول السيطرة على صنعاء بين قبائل همدان وخولان وحمير والأبناء وبني شهاب.[5]

وتولت الزعامات القبلية السلطة في اليمن بعضها بواسطة التأييد من الخلافة العباسية مثل آل يعفر من حمير في صنعاء، أو بتأييد من الخلافة الفاطمية مثل الصليحيين وآل زريع من همدان، وبعضها بواسطة القوة وعدم التبعية لإحدى الخلافتين العباسية أو الفاطمية مثل بني مهدي من حمير.[6]

ومن الذين حكموا مناطق من اليمن الأشراف، وهم ينتسبون إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ويعرفون بالسادة، وقد تنوعت مذاهبهم فمنهم من تمذهب بمذهب أهل السنة، ومنهم من تمذهب بالمذهب الزيدي .

فمن الذين اعتقدوا المذهب الزيدي باليمن الأئمة الزيدية وأولهم الامام الهادي إلى الحق يحيى

= قرة العيون ، ص: 351 - 359 .

(4) عمارة : المفيد ، ص: 87 ، 89 ، 90 - 92 .

(5) ابن عبد المجيد : بهجة الزمن ، ص: 64 ، ابن الديبع : قرة العيون ، ص: 231 .

(6) انظر فصل التبعية للخلافة من الباب الأول .

بن الحسين[7]. الذي قدم إلى صعدة من المدينة سنة 280 هـ/893م . بناء على استدعاء من قبائل خولان بصعدة له ليحل النزاع القائم فيما بينهم، فاستقر في بلادهم حاكما عليهم وظل يحكمهم هو وذريته من بعده[8] ومنهم أيضا الامام أبي الفتح الديلمي(ت. 444هـ / 1052م) الذي قدم إلى اليمن من بلاد الديلم، وهو أبو الفتح بن الناصر بن الحسين[9]. ومن السادة أيضاً الشريف الفاضل القاسم بن جعفر بن القاسم ابن علي العياني (ت. 468هـ/1075م) الذي قدم إلى اليمن من الحجاز[10] ومنهم كذلك الأشراف بنو حمزه نسبة إلى حمزه بن أبي هاشم (ت. 459هـ/1066م) الحسن بن عبد الرحمن بن عبد الله بن الحسن[11] .

ومن الأشراف الذين يعتنقون مذهب أهل السنة الأشراف السليمانيون الذين حكموا المخلاف السليماني، وكان أولهم غانم بن يحيى بن سليمان الذي طرد من مكة سنة 450هـ/1058م[12] وقد تولى حكم المخلاف من بعده أبناؤه: منهم الشريف قاسم بن غانم الذي

---

(7) يحيى بن الحسين : غاية الأماني جـ1، ص: 166 ، د. محمد أمين صالح: تاريخ اليمن الإسلامي ، ص: 147. هو يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن على بن أبي طالب نفسه

(8) يحيى بن الحسين : غاية الأماني، جـ1 ، ص: 167، د. محمد أمين صالح: تاريخ اليمن الإسلامي ، ص: 148 - 149 .

(9) زبارة: اتحاف المهتدين، ص: 51 ، هو أبو الفتح الناصر بن الحسين بن محمد بن عيسى بن محمد بن عبد الله بن أحمد بن عبد الله بن الحسن بن زيد بن علي بن أبي طالب .(نفسه) .

(10) زبارة: اتحاف المهتدين، ص: 49، هو القاسم بن جعفر بن القاسم بن علي العياني ابن عبد الله بن محمد بن القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن ابن الحسن بن علي بن أبي طالب .(نفسه) .

(11) الأشرف الرسولي عمر بن رسول: طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب، ص: 94، دمشق 1949م ، هو الحسن بن عبد الرحمن بن عبد الله بن الحسن بن القاسم بن إسماعيل بن إبراهيم طباطبا بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب (نفسه) .

(12) زامباور: معجم الأنساب والاسرات الحاكمة في التاريخ الاسلامي، جـ1، ص: 38، الاشراف السليمانيون كان مذهبهم مذهب أهل السنة، بدليل استنجادهم بالخلافة العباسية وصلاح الدين الأيوبي، عندما اتجه إليهم ابن مهدي لتقاتلهم وقتل وهاس بن غانم سنة 561هـ/1165م أخو حاكم المخلاف الشريف قاسم بن غانم. (الخزرجي : العسجد، ص: 147 - 148) ابن الديبع: قرة العيون، =

استقبل تورانشاه الأيوبي سنة 569 هـ/1173م[13] في حَرض وشكاله عن أعمال عبد النبي بن مهدي حاكم زبيد. وقد أبقاه تورانشاه على حكم المخلاف، ثم تولى حكم المخلاف بعده ابنه المؤيد بن قاسم السليماني. وفي عهده قدم الملك المسعود الأيوبي سنة 612هـ/ 1215م. فقدم له هذا الشريف فروض الولاء والطاعة [14] . ولذلك تركه المسعود مستمرا في حكم المخلاف، كما اقطعت له حَرَض والهَلّيَة [15] .

كما دخل العبيد الأحباش طبقة الحكام في تهامة اليمن، وكانوا يجلبون في عهد بني زياد على شكل وصفان من الحبشة والنوبة، يصل منهم في كل سنة ألف رأس للعمل كعبيد في القصر أو جند في الجيش. وبرزت منهم عناصر تولوا الوصاية والوزارة، ثم دلفت إليهم السلطة ممثلة في تولية بني نجاح. واستمر بنو نجاح في الاعتماد على العبيد، ففي أثناء صراع النجاحيين مع الصليحيين بعث سعيد الأحول بن نجاح إلى الحبشة لشراء عشرين ألف رجل ممن يجيدون الرمي بالحراب، لذلك امتلأت زبيد بالأحباش. فعندما نزل المكرم إليها سنة 461هـ/1073م اصتفت لمقاومته حوالي عشرون ألف رجل منهم .[16]

وكان الوصفان الأحباش يربون في زبيد تربية عسكرية في قصور وبيوت الحكام والأمراء، وكانوا يصعدون في الترقية الى المناصب العليا، فمثلاً لذلك كان سرور الفاتكي أحد الوصفان الذين اشترتهم الحرة الصالحة علم أم فاتك بن منصور بن جياش حيث (تربى في حجرها ولم يلبث أن ترعرع وبرع ثم ولته زمام المماليك وصرفت اليه الرياسة في القصر)ثم (ولي العرافة على طائفة من الجند ثم رقت به الحال الى أن ولي الخطابة بين السلطان وبين الوزراء الأكابر واستغنى

= ص: 376، د. محمد عبد العال: الأيوبيون في اليمن، ص: 72، د. محمد أمين صالح: دولة الخوارج في اليمن، بنو مهدي في زبيد، ص: 141، كما أنهم ظلوا موالين للنجاحيين السنة(عمارة: المفيد، ص:290 - 222) وأيضا والوا الأيوبيين ولم يوالوا الزيدية المجاورين لهم.

(13) ابن حاتم : السمط، ص: 16، د. محمد عبد العال: الأيوبيون في اليمن، ص: 83، هو غانم بن سليمان بن وهاس بن داود بن أبي الطيب بن عبد الرحمن بن عبد الله بن داود الحموي بن عبد الله بن موسى بن عبد الله بن سليمان بن موسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، (الرسولي : طرفة ، ص: 108) .

(14) ابن حاتم : السمط ، ص: 166 ، د. محمد عبد العال : الأيوبيون في اليمن ، ص: 83 .

(15) ابن حاتم : السمط، ص: 174 .

(16) عمارة : المفيد ، ص: 67 ، 131 ، 203 .

به عن الأزمة ... وترقت الحال بسرور حتي أخرج الوزير مفلح من زبيد) وتولى الوزارة مكانه[17].

وقد ظل الأحباش يحكمون في تهامة كأمراء ووزراء وقواد حتي أزالهم بنو مهدي عام 554 هـ/ 1159م.[18]

وقد اختلط الحكام الأحباش بالمجتمع اليمني وتزوجوا منه، مثل الأمير جياش بن نجاح الذى تزوج امرأة من أهل موزع [19]. كما كانوا يتقربون لأفراد المجتمع، فيزورون الفقهاء ويعودون المرضى ويحضرون عقد النكاح والولائم ويستجيبون للمتظلمين من الرعايا [20].

ومن طبقة الحكام في اليمن كذلك الأيوبيون ونوابهم، وهم من عناصر كردية وعناصر تركية وكانت بداية حكمهم لها سنة 569 هـ/ 1174م عندما اتجه توران شاه بجيشه لفتحها، وقد سيطر الأيوبيون على اليمن كلها عدا صعدة في بعض الفترات، وبعد توران شاه تولى السلطة فيها أخوه الملك سيف الاسلام طغتكين ثم ابناه المعز إسماعيل والناصر ثم شاهنشاه ثم الملك المسعود بن الكامل، وقد استمر الحكم الأيوبي لليمن حتي سنة 626 هـ/ 1229م [21].

وتعد طبقة الحكام من أهم الطبقات تأثيراً على المجتمع، فهي عامل مساعد على نهوض المجتمع أو ركوده، كما أن لها الدور الاكبر في استمرار الحكم لفترة طويلة أو انهياره بسرعة. فالحسن بن سلامة (ت. 426هـ / 1034م) تميز عهده بالأعمال الحسنة في اليمن، حيث أنه استطاع أن يعيد توحيد اليمن بعد أن كانت مناطق الجبال قد استقلت عن حكم بني زياد، وبنى عدة مدن ومهد الطريق عبر المناطق اليمنية من حضرموت إلى عدن ومنها إلى مكة وعلى امتداد هذه الطريق بين المسافة والاخرى انشأ بها الجوامع وحفر الابار[22].

بينما آل مهدي الذين حكموا زبيد منذ سنة 554هـ/ 1158م عملوا القتل والتخريب، فهرب منهم علماء زبيد الى كل من عدن والجبال ومكة، واحرقوا مسجد الجند سنة 558هـ/ 1162م بمن فيه من الضعفاء والعجزة والعاكفين وغيرهم، كما أنهم قتلوا الشريف وهاس ابن غانم

---

(17) عمارة: المفيد، ص: 224 - 225.

(18) عمارة: المفيد، ص. 209 - 233.

(19) الجندى: السلوك، جـ1، ص: 294 - 295.

(20) عمارة: المفيد، ص: 228.

(21) انظر، ابن حاتم السمط، د. محمد عبدالعال: الأيوبيون في اليمن.

(22) عمارة: المفيد، ص: 68 - 71.

السليماني أخو حاكم المخلاف السليماني[23]، لذلك لم تستمر سلطتهم غير خمسة عشر سنة من سنة 554هـ / 1158م حتي سنة 569هـ / 1174م.

كذلك المعز إسماعيل الأيوبي ظلم وأخاف الكثير من مماليك أبيه مما جعل الكثير منهم يهربون منه[24]، فقد قام بمجرد تولية السلطة بقتل واليين لأبيه هما القاضي الأسعد والي حرض، والهمام أباريا والي صنعاء سنة 594هـ/ 1198م[25]. كما قتل الكثير من غلمان أبيه[26]، لذلك تمرد عليه الجند فكثرت الفتن في عهده وفي النهاية قتل من قبل الاكراد في زبيد سنة 598هـ/ 1202.

وقد شكل الحكام أعلى السلم الطبقي في المجتمع اليمني، تمتعوا بسلطات واسعة مثل فرض الضرائب أو إلغائها[27]. وتعيين الوزراء أو عزلهم. كما تمتع هؤلاء الأمراء والوزراء بسلطات واسعة على من هم أقل منهم سلطة.

وحصلت هذه الطبقة على ميزات كبيرة في المجتمع من حيث بناء وسكن القصور الكبيرة والعديدة، من ذلك أن علياً الصليحي عندما جعل صنعاء مقراً له بنى بها عدة قصور كما بنى المكرم والسيدة الحرة قصرين لهما في ذي جبلة سمي كل منهما بدار العز[28].

وكان بعض الحكام ينعزلون في سكنهم عن أهل المدينة، من ذلك الائمة الزيدية في صعدة، يوضح ذلك ابن المجاور بقوله: (وأما درب الامام فهو حصن بناه أبو محمد ابن عبدالله بن حمزة ما بين الشمال والمشرق منفرداً بذاته لم يخالطه شيء قريب من البلد، لم يسكنه الا الامام وعترته).[29]

واحتوت قصور الحكام العديد من الجوارى. فقد كان المفضل بن أبى البركات الحميري والي حصن التعكر في ذي جبلة للسيدة الحرة يملك العديد من الحظايا والسراري. وكان منصور

---

(23) عمارة: المفيد، ص: 233 - 236، الجندي: السلوك، جـ2، ص.518 - 519، الخزرجي: العسجد، ص:136 - 145، ابن الديبع: قرة العيون، ص: 364 - 373.

(24) الخزرجي: العسجد، ص:174.

(25) ابن حاتم: السمط، ص:44 - 45.

(26) ابن عبدالمجيد: بهجة الزمن، ص 134.

(27) ابن المجاور: صفة بلاد اليمن، ص:80، 140.

(28) عمارة المفيد، ص:119 ، 142

(29) ابن المجاور نفس المصدر، ص:206

بن فاتك النجاحي يملك في قصره في زبيد أكثر من ألف سرية، كذلك كان بعض الحكام يملكون ثروة كبيرة، من ذلك الوزير النجاحي زريق الفاتكي كان يملك ثروة كبيرة احتار الفقهاء في قسمتها لكثرتها وكثر أولاده من بعده [30].

2 ـ طبقة العلماء

تشمل طوائف الفقهاء القضاة والمحدثين والقراء والمفسرين بالاضافة الى الأدباء والشعراء واللغويين وكل من يشترك معهم في الصفة العلمية.

وقد استأثرت طبقة العلماء بالكثير من وظائف الدولة وخاصةً الدينية مثل القضاء والفتوى، وكذلك الوظائف العلمية والادارية مثل التدريس والوزارة وأعمال الديوان.

ويعتبر العلماء من أهم الطبقات نفوذاً في الدولة وإجلالاً لدى الحكام الذين كانوا يحترمون العلماء ويبجلونهم، مثل السيدة الحرة الصليحية كانت تجل الامام الفقيه يحيى بن أبي الخير الذي قدم الى ذي جبلة (بشفاعة اليها بسبب أيتام كانوا تحت يده وعلى أرضهم جور، فوهبت ذلك للفقيه وكتبت للأيتام مسامحة جارية إكراماً لقدوم الفقيه)[31].

ساهمت طبقة العلماء في تأييد الطبقة الحاكمة أو معارضتها، من ذلك أن الفقيه الحسن بن أبي عقامة كان أحد المساهمين في إعادة السلطة في زبيد من الصليحيين الى جياش النجاحي، وذلك بسبب الاختلاف المذهبي، حيث أن الحسن بن أبي عقامة كان سني المذهب يرى أن النجاحيين المعتنقين لمذهب أهل السنة أولى بالسلطة في زبيد من الصليحيين الإسماعيلية[32]. كما قام الفقيه عبدالله المصوع السني المذهب بقتل خالد بن أبي البركات الذي مال الى المذهب الإسماعيلي[33]. كذلك استولى فقهاء الشافعية على حصن التعكر في ذي جبلة بمساعدة جماعة من الرعايا سنة 504هـ [34].

كان لطبقة العلماء أثر بارز على الحياة الاجتماعية في اليمن فقد كان لهم مساهمات

---

(30) عمارة: المفيد، ص:158، 211، 212 - 213.

(31) الجندي: السلوك، حـ1، ص:345.

(32) الجندي:نفس المصدر، ص:294.

(33) ابن سمرة: طبقات فقهاء اليمن، ص:96.

(34) ادريس عماد الدين: عيون الاخبار، حـ7، ق179. عمارة: المفيد، ص:158.

كبيرة في مجال تدريس العلوم والانفاق عليه وفي مجال النهضة العلمية والمذهبية[35]. فمثلاً الفقيه أبو العتيق أبوبكر بن الفقيه أبي عبدالله محمد بن عبدالله بن إبراهيم اليافعي الجندي(490هـ/ 1096م) (كان سخي النفس حسن الاخلاق موالفاً للأصحاب، عالي الهمة باذلاً لجاهه وماله في منافع الإسلام، استوهب خراج أراضي الفقهاء في الأجناد، ثم سئل التخفيف في ذلك من الأرض التي حول المدينة فجعل ذلك حيث يسمع الاذان)[36].

بلغ الكثير من طبقة العلماء مبلغاً كبيراً في النواحي العلمية، وقد أطلقت عليهم ألقاب متعددة تعبر على مقدار بلوغهم العلمي مثل إمام، وعالم ورئيس مذهب أو رئيس علم. وتولى الكثير منهم وظائف علمية هامة. من ذلك على سبيل المثال الفقيه أبو عبدالله محمد بن القاضي عبدالله ويعرف بالحفائلي تولى رئاسة طبقة فقهاء المذهب الشافعي أيام دولة بني نجاح[37] والفقيه محمد بن أبي بكر المدحدح تولى رئاسة طبقة فقهاء المذهب الحنفي أيام بني مهدي[38]. أما الفقيه إسحاق العشاري المعافري (ت. سنة 460هـ/ 1067م) فقد تولى رئاسة الفقه في بلدة المعافر، كما تولى رئاسة الفقه بالاجماع الفقيه يحيى بن أبي الخير (ت. سنة 558هـ/ 1162م)[39]. كذلك فان الفقيه محمد بن عبدالله (ت. سنة 590هـ/ 1193م) تولى رئاسة الفتوى بذي أشرق[40]. والفقيه أبوالخطاب عمر بن علي بن سمرة الجندي (547 - 586هـ / 1152 ـ 1190م) تولى رئاسة الفتوى بذي جبلة[41]. والفقيه إبراهيم بن إسماعيل بن حديق السكسكي تولى رئاسة علم في جَبَا[42]، والفقيه أبو العتيق أبوبكر بن الامام جعفر بن عبدالرحيم المحأبي (ت. سنة 500هـ/ 1106م) انتهت اليه رئاسة العلم باليمن[43].

---

(35) انظر الباب الخاص بالحركة العلمية والتعليمية.

(36) الجندي: السلوك، جـ1، ص:345.

(37) الجندي: السلوك، جـ1، ص: 440، الأهدل: تحفة الزمن، ص:339.

(38) ابن سمرة: طبقات فقهاء اليمن، ص:188، الجندي: السلوك، جـ1، ص:389.

(39) الجندي: نفس المصدر، ص:272، 343.

(40) الأهدل: تحفة الزمن، ص: 307.

(41) الجندي: السلوك، جـ1،ص: 538، بامخرمة: ثغر عدن، ص:310.

(42) ابن سمرة: طبقات فقهاء اليمن، ص:231.

(43) الجندي: السلوك، جـ1، ص: 282.

ومن كان إماماً في الحديث الفقيه أبوالوليد عبدالملك بن أبي ميسرة اليافعي (ت. سنة 473هـ/ 1080م) [44] والفقيه الحافظ علي بن أبي بكربن أحمد العرشاني (ت. سنة 557هـ/ 1161م)[45] أما الفقيه أبو محمد الحسن بن أبي عقامة المتوفى لبضع وثمانين وأربعمائة فقد كان إماماً في أنواع العلوم[46].

ومن تولى علمين معاً الفقيه أبوعبدالله محمد بن سالم بن زيد الأصبحي البعداني (475 ـ 577هـ/ 1084 ـ 1189م) تولى رئاسة التدريس والفتوى في (الملحمة في بعدان) والفقيه عبدالله بن عبدالرزاق بن حسن بن أزهر (ت. 528هـ/ 1133م) تولى رئاسة التدريس والفتوى في (ذي أشرق) وأبو محمد عبدالله بن أبي القاسم بن حسن الذي عرف بابن الآبار تفقه بابن عبدويه انتهت اليه رئاسة التدريس والفتوى بزبيد[47].

تنوعت الحالة المالية لطبقة العلماء فبعضهم كان فقيراً يدل على ذلك أن الوزير مَنّ الله الفاتكي (تصدق على مدارس الفقهاء الحنفية والشافعية بما أغناهم عمن سواهم من الأراضي والمرافق والرباع) . كذلك كان سرور الفاتكي يصرف لهم سنوياً اثني عشر ألف دينار يوضح ذلك عمارة بقوله: (رأيت جريدة الصدقات التي يدفعها عند دخوله إلى زبيد للفقهاء والقضاة والمتصدرين في الحديث والنحو واللغة وعلم الكلام والفروع اثني عشر ألف كل سنة)[48].

كما كان بعضهم أغنياء ورثوا الثراء والغنى من أسرهم، ومن هؤلاء الفقهاء الأغنياء على سبيل المثال. الفقيه أبو محمد عبدالله بن الفقيه عمر بن المصوع (ت. سنة 480هـ/ 1087م) كان يملك أراض كثيرة ورثها عن أمه وأبيه حيث كان غالب الصوافي القديمة بذي السفال ملك أبيه[49]. والفقيه أبوالفتح يحيى بن عيسى بن إسماعيل بن محمد بن ملامس (ت. سنة 420هـ/

---

(44) الأهدل: نفس المصدر، ص:188.

(45) ابن سمرة: طبقات فقهاء اليمن، ص:171.

(46) الجندي: السلوك، جـ1، ص:291 ـ 295.

(47) الجندي: السلوك، جـ1، ص:319 ـ 320، 377 ، 391 .

(48) عمارة: المفيد، ص:210، 227.

(49) ابن سمرة: طبقات فقهاء اليمن، ص:96، الجندي: السلوك، جـ1، ص:272 ــ 276، الأهدل: تحفة الزمن، ص: 185، 187، قام هذا الفقيه السني بقتل خالد بن أبي البركات الحميري فقتل وصدورت أمواله من قبل المفضل بن أبي البركات الحميري.

1029م) الذي سكن (المشيرق)[50]. والفقيه علي بن عباس بن عيسى بن مفلح المليكي (ت.بعد سنة 580هـ/ 1184م) الذي سكن (عدن)[51].

كذلك الفقيه أبو بكر بن الشيخ يحيى بن إسحاق بن علي بن إسحاق العياني السكسكي (عاصر ابن سمرة) حيث كان أبوه الشيخ يحيى الذي سكن (جبأ) من أعيان اليمن في الصلاح وثروة المال وفعل المعروف وكثر الحج (وكان يقوم بكفاية نحو مائة طالب من الطعام[52]) وغيرهم من الفقهاء.

3 ـ طبقة كبار الملاك:

وتشمل كبار ملاك الاراضي الزراعية وكبار التجار، فالمال كان له أثره الفعال في المجتمع اليمني حيث أنه جعل أصحابه طبقة متميزة في المجتمع، فقد ساهم أو ساعد في التحصيل العلمي لطبقة العلماء، كما ساهم في صعود بعض الزعامات القبلية الى السلطة. وتشمل هذه الطبقة نوعين من الملاك هما: ملاك الأراضي الزراعية والتجار.

فبالنسبة لملاك الأراضي الزراعية تملك كثير من اليمنيين أراضي زراعية واسعة، مثل الشيخ أحمد المعلم الذي (كانت أملاكه جليلة في أماكن كثيرة) وأغلبها في المجرعة (المقرعة) وذي جبلة وضراس، وذي أشرق [53]. كما كان من كبار ملاك الأراضي الزراعية بعض طبقة الحكام وبعض طبقة العلماء كما هو موضح سابقاً.

أما التجار فقد وجدوا في الكثير من مدن اليمن الرئيسية، حيث أن التجارة نشطت في اليمن في فترة البحث نشاطاً كبيراً فكانت عدن مركزاً رئيسياً في النشاط التجاري يربط بين الشرق والغرب. كذلك كانت زبيد وصنعاء وصعدة من المراكز التجارية الهامة في اليمن، وقد كسب التجار من وراء عملهم في التجارة مبالغ كثيرة، حيث كان الرجل منهم يملك الكثير من الأموال، ويوضح ذلك ابن بطوطة بقوله: (وللتجارة منهم أموال عريضة، وربما يكون لأحدهم المركب العظيم بجميع ما فيه لايشاركه فيه غيره لسعة ما بين يديه من الأموال[54]).

---

(50) الجندي: السلوك، جـ1، ص:266.

(51) ابن سمرة: طبقات فقهاء اليمن، ص:219، بامخرمة: ثغر عدن، ص:270.

(52) الجندي: السلوك، جـ1، ص:446 ـ 447.

(53) الخزرجي: العسجد، ص:170.

(54) ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة، ص:251

وقد كسب التجار حظوة كبيرة لدى الحكام فقربوهم اليهم، وكانوا يلجؤون اليهم في وقت الشدة لامدادهم بالمال، من ذلك أن الداعي سبأ بن محمد الزريعي أمير عدن عندما أفلس في حربه مع ابن عمه أبي العلاء اقترض من تجار عدن مبلغ ثلاثين ألف دينار قضاها عنه ولده علي بن سبأ فيما بعد[55].

كما كان بعض من الفقهاء يعملون بالتجارة الى جانب التدريس أو يشاركون غيرهم في التجارة بأموالهم مما يعود عليهم بكثير من الأرباح فيصرفون منها في المجالات العلمية. منهم الامام زيد بن عبدالله اليفاعي المعافري كانت له في بلده أموال كثيرة، فعندما ارتحل الى مكة للمرة الثانية سنة 500 هـ / 1106م والتي مكث بها مدة 12 سنة تولى خلالها رئاسة التدريس والفتوى بها [56]. حيث كانت ثمار أراضيه الزراعية تأتيه من اليمن الى مكة، فيعطي بعض هذا المال تجار مكة ليتاجروا له، حيث كانوا يسافرون للتجارة الى كل من عدن، وزبيد، ومصر، والعراق، فيعودون له بأرباح هذه التجارة فتجمعت له من تلك العملية ثروة كبيرة، وقد بلغ ماله منها حوالى أربعة عشر ألف مثقال، كان يصرفها في سبيل التدريس[57].

وممن استغل ماله في التجارة من الفقهاء الوافدين على اليمن الفقيه أبو عبدالله محمد بن عبدويه، كان من أبناء التجار المسافرين في البحار، وقد دخل اليمن آخر المائة الخامسة للهجرة، سكن عدن ثم رحل الى زبيد ومنها رحل الى جزيرة كمران واستقر بها. فأرسل عدداً من الرقيق يشتغلون في التجارة له الى كل من الحبشة، والهند، وعدن، ومكة، فكسب أمولاً كثيرة، وقد بلغت تجارته حوالي ستون ألف دينار وكان ينفق معظم هذه الأموال على الطلبة المتفرغين عنده للدراسة[58] وهكذا استغل بعض الفقهاء أموالهم في التجارة وإنفاقها على التعليم.

ثانياً: الطبقات العامة:

تعد هذه الطبقات من أهم الطبقات وأكثرها تعداداً وانتشاراً، وتشمل على الجند والرعايا والفلاحين وأرباب الحرف.

---

(55) الخزرجي: العسجد، ص:86.

(56) الأهدل: تحفة الزمن، ص:212.

(57) ابن سمرة: طبقات فقهاء اليمن، ص. 121.

(58) ابن سمرة: طبقات فقهاء اليمن، ص:144 ـ 145، الأهدل: تحفة الزمن، ص:223، العامري: غربال الزمان، ص:416.

1 - طبقة الجند:

تعتبر هذه الطبقة من الطبقات المميزة في المجتمع وخاصة كبارهم، باعتبار أنها الطبقة المحاربة، وأنهم يملكون القوة، بواسطتهم يتم فرض السلم والحرب.

ونتيجة لأهمية الطبقة العسكرية كان أول ما يقوم به الحكام هو استحلافهم للعسكريين بالطاعة لهم، من ذلك عندما مات علي الأعز الزريعي قدم أخوه محمد بن سبأ من ذي جبلة الى عدن لتولي السلطة بعد أخيه. فقام الوزير بلال المحمدي باستحلاف العسكر جميعاً بالولاء والطاعة له ثم سلّمه مقاليد الحكم في عدن[59]. كذلك عندما تولى غازي بن جبريل الأتابكية للملك الأيوبي جمع غازي اليه الأكابر من الأمراء والعسكريين فاستحلفهم للناصر وله[60].

وتنوعت عناصر الجند، فمنهم رجال القبائل اليمنية الذين ساهموا في إقامة الدولة الصليحية والزريعية والحاتمية والإمامة الزيدية ومنهم الطبريون الزيدية الذين قدموا من طبرستان الى اليمن لمناصرة الائمة الزيدية منذ عهد الامام الهادى الى الحق يحي بن الحسين[61] ومنهم الأحبوش الذين جلبوا كجند أو رقيق الى اليمن فكانوا عماد الدولة النجاحية [62]. ثم الغز (الأكراد والأتراك الذين قدموا مع الأيوبيين الى اليمن)[63].

وكان العسكريون من أكثر الطبقات صعوداً الى الطبقة الحاكمة، وقد اختلف صعود الطبقة العسكرية الى الطبقة الحاكمة من عنصر الى آخر. ففي القبائل اليمنية كان أهم الشخصيات صعوداً هم الزعامات القبلية أو من يقربون اليهم، لأن النظام القبلي يلزم أفراد القبيلة طاعة زعمائها، لذلك كان كبار القادة العسكريين في النظام القبلي زعماؤها.

ففي الدولة الصليحية كان أهم الشخصيات العسكرية التى اعتمدوا عليها آل الزواحي وآل الصليحي وآل أبي الوليد الحميري. فمن آل الزواحي عامر بن سليمان الزواحي الذي كان

---

(59) الخزرجي: العسجد، ص: 87 - 88، ابن الديبع: قرة العيون، ص:309. العبدلي: هدية الزمن، ص: 57/ محمد كريم: عدن، ص: 159.

(60) ابن حاتم: السمط، ص:148.

(61) يحيى بن الحسين: غاية الأماني، حـ1، ص:181 - 182.

(62) ابن الديبع: قرة العيون، ص:343، 345.

(63) ابن الديبع: قرة العيون، ص:404 - 406

متولياً حصون مغارب اليمن الأعلى [64]، ومن آل الصليحي عدة شخصيات أهمهم سبأ ابن أحمد بن المظفر الصليحي الذي كان متولياً حصن أشيح وهو الحصن المقابل لزبيد وأعمالها المسيطر عليها النجاحيون، لذلك كان سبأ بن أحمد الصليحي في صراع مستمر حول السيطرة على تلك المنطقة، وقد استمرت الحرب سجالاً بين الطرفين الى أن حدثت بينهما وقعة الكظائم على باب زبيد سنة 479 هـ/ 1086م والتي انتصر فيها النجاحيون وقتل من الصليحيين أغلب جيشهم المكون من ثلاثة آلاف فارس وعشر آلاف راجل.[65]

وعندما مات سبأ بن أحمد الصليحي سنة 492 هـ/1098م خرجت صنعاء عن طاعة الصليحيين [66].

أما آل الوليد الحميري فمنهم المفضل بن أبي البركات الذي تولى حصن التعكر المطل على ذي جبلة، وكان من أهم الشخصيات العسكرية للسيدة الحرة، غزا تهامة عدة مرات واسترجع لها خمسين ألف دينار من الزريعيين، وهو نصف المبلغ الذي كانوا قد تعهدوا على دفعه للسيدة سنوياً منذ توليهم عدن بعد أن كانوا قد امتنعوا عن دفعه لها. وقد علا شأن المفضل لدى السيدة فوصفه عمارة بقوله: (وهو رجل الدولة ومدبرها والمرجوع الى رأيه وسيفه والحرة لا تقطع أمراً الا به، فعظم بذلك، شأنه وعلت كلمته .. ولم يبق في اليمن من يساويه ولا من يساومه)[67]. وعند موت المفضل سنة 504 هـ/1110م ولت السيدة حصن التعكر وأمر الجند ابن عمه أسعد بن أبي الفتوح الحميري فاستمر الى أن قتله رجلان من أصحابه في حصن صبر في تعز سنة 514 هـ/ 1120م [68] وبعد قتله خرجت عدن عن طاعة الصليحيين.

أما عند النجاحيين والأيوبيين فقد كان العسكريون يصعدون في الترقية وفقاً للنظام العسكري الذي يستطيع الفرد من خلاله الترقي الى أعلى المناصب، من ذلك أن كبار القادة في أخريات الدولة الزيدية أصبحوا أمراء الدولة النجاحية، وكبار القادة في الدولة النجاحية، أصبحوا

(64) انظر ولاة الصليحيين فيما سبق.

(65) عمارة: المفيد، ص:149 - 150، الهمداني: الصليحيون والحركة الفاطمية، ص: 150 - 152.

(66) ابن الديبع: قرة العيون، ص:284.

(67) عمارة: المفيد، ص:155 - 156.

(68) الخزرجي: العسجد، ص: 274، ابن الديبع: قرة العيون، ص: 274.

وزراء في تلك الدولة [69]. كذلك كان الأتابك في النظام الأيوبي من كبار القادة الأيوبيين بالاضافة الى أن سلاطين وملوك بني أيوب هم أنفسهم كانوا من كبار القادة.[70]

2 ـ الرعـــاية:

هم (الذين عليهم راع يدير أمرهم ويرعى مصالحهم)[71] أي هم الطبقة المحكومة وهم عامة الناس، وهى أكثر الطبقات الاجتماعية عدداً وأكثرها اتساعاً. وتشمل أرباب الحرف والصناعات والفلاحين، وصغار التجار وصغار الموظفين، والحمالين والصيادين والحراس ومن يشاركهم في هذه الصفة من عامة المحكومين.

وقد نالت طبقة الرعايا لدى بعض الحكام قسطاً من العطف، ففي أثناء الصراع بين الصليحين والنجاحيين حول السيطرة على زبيد وأعمالها التهامية كانوا جميعاً لا يؤذون الرعايا ولا يظلمونهم. بل كان كل منهما يحسب للعمال ما أخذه الطرف الآخر من أموال الرعايا. فعندما كان سبأ بن أحمد الصليحي يسيطر على زبيد وتهامة ويقوم بعملية جباية أموالها خلال فصل الشتاء والربيع يحتسب للعمال ما يأخذه منهم جياش النجاحي والعكس عندما يسيطر جياش في فصل الصيف والخريف على تلك المنطقة يحتسب للعمال ما قبضه منهم سبأ الصليحي في شهور الشتاء والربيع.[72]

ساهمت الرعايا في الأحداث السياسية مع القضاة ضد الدولة الحاكمة من ذلك ما حدث في عهد الصليحيين أن فقهاء الشافعية في مخلاف جعفر اتفقوا مع الرعايا في القيام معهم للإستيلاء على حصن التعكر في ذي جبلة من واليها المفضل بن أبي البركات الحميري الذي كان يميل الى مذهب الإسماعيلية، فلما نزل هذا الوالي الى زبيد لمساعدة النجاحيين ضد بعضهم البعض، استغل فقهاء الشافعية هذه الفرصة فاصطحبوا معهم جماعة من الرعايا واستولوا على الحصن واشعلوا على رأسه النار اشارة الى الإستيلاء على الحصن، فلما قدم الصباح حضر لمساعدتهم عشرون ألفاً من الرعايا [73]. فأضطر المفضل بن أبي البركات للعودة سريعاً من تهامة لمواجهة ثورة

---

(69) انظر الخزرجي: العسجد، ص:105 ـ 128.

(70) انظر ابن الديبع: قرة العيون، ص:373 ـ 422.

(71) المعجم الوجيز، ص:569.

(72) عمارة: المفيد، ص:148 ، 149.

(73) ادريس عماد الدين بن الحسن القرشي: عيون الاخبار (خ) جـ7، ص: 179، عمارة: المفيد، ص:158.

الفقهاء في التعكر.

كما ساهمت طبقة الرعايا في الأحداث السياسية ضد الدولة في العهد الأيوبي. من ذلك عصيان أهل صنعاء سنة 599 هـ/1202م عندما خرج واليها وردشار الأيوبي الى كوكبان لاستخراج أموال بيت المال، استغل أهل صنعاء هذه الفرصة فأمسكوا أخاً له يلقب بشمس الدين وناصروا الامام فأقاموا الأذان (بحي على خير العمل) فعاد وردشار مسرعاً الى صنعاء وحاصرها وطلب منهم الصلح فلم يجيبوه وكاتبوا الامام أن يقدم اليهم ليساعدهم ضد واليها ويفرض عليه الحصار، بينما أرسل وردشار الى الأتابك سنقر في تعز يعلمه بما حدث في صنعاء، فطلع الأتابك سنقر مسرعاً الى صنعاء، فلما شاهد أهل صنعاء جيشه خافوا منه فطلبوا منه الأمان. أما هو فقد طلب منهم عشرة آلاف دينار وعشرة أفراس عقوبة لهم على عملهم، فقبلوا ذلك منه،فأمر سنقر وردشار أن يأخذ تلك الأموال التي فرضها عليهم، فبادر بالانتقام بتعذيب أهل صنعاء الرجال والنساء بأنواع العذاب مما اضطرهم الى بيع أراضيهم الزراعية وبيوتهم وتفرقوا في كل مكان. [74]

وقد أشار ابن حاتم الى أن أهل صنعاء كانوا مخطئين بذلك بقوله: (وقد كان عندهم من البطر ما يجاوز الحد حتي حملهم على الخلاف). [75]

كذلك ساهمت طبقة الرعايا من أهل وصاب في الأحداث السياسية، فعندما استولى الأشراف على أغلب اليمن الأعلى، أراد الأيوبيون أن يستولوا على وصاب ومخاليفها ثم صعده وأعمالها ثم يتجهون الى مكة لمحاربة الأشراف المكيين بها. فاتجه وردشار من صنعاء والأتابك سنقر من زبيد والتقوا في وصاب في موضع يقال له (الدعاري) ثم تقدم الأتابك سنقر فعسكر بالقرب من حصن الشريف وصاحبه يومذاك رجل يسمى محمد بن عيسى القراظي الذي حاول عن أهل وصاب أن يسلم رهينة للأتابك سنقر كدليل على الطاعة والولاء على أن يجنب مزروعاتهم من التلف، فرفض سنقر ذلك الطلب، فدارت الحرب بين الطرفين انضم خلالها مع أهل وصاب كثير من العرب انتصر خلالها أهل وصاب على الأيوبيين، فقتلوا منهم مائة وسبعين قتيلاً، بينما قتل من عرب وصاب جماعة كثيرة. [76]

---

(74) ابن حاتم: السمط، ص:100 - 101، محمد عبدالعال: الأيوبيون في اليمن، ص: 190 - 192.

(75) ابن حاتم: السمط، ص:101.

(76) ابن حاتم: السمط، ص:133 - 135، محمد عبدالعال: الأيوبيون في اليمن، ص:211.

أدركت بعض الشخصيات أن الأيوبيين سيقومون بالانتقام من أهل وصاب، فحاول أحدهم وهو أبو المعالي بن أحمد الحرازي من أهل ريمة الأشباط أن يصلح بين أهل وصاب والأتابك سنقر :(فتقدم الى وصاب بعد أن استصحب معه شيئاً من الأموال والكسوات أعطاه إياها الأتابك. فما زال بأهل وصاب يتلطف، وعظم عليهم هذا الأمر الذي كان منهم، وأعلمهم أن الغز لا يتركون لهم وتراً، وأنهم إن لم يستدركوا أمرهم بالتودي للأتابك والانطراح اليه، فانه غير تارك لهم) فاستجابوا له (ونزل منهم خمسون رجلاً الى زبيد، والأتابك يومئذ بها، فسألوه العفو فعفا وصفح وزاد بالاكرام، وضاعف الاحسان، وكتب لهم منشوراً بالصدقة عليه ببلادهم، وأن لا مطلب عليهم فيها، وعادوا الى بلادهم).[77]

كذلك حاول بعض طبقة العامة الاستفادة من مجالس العلماء فكان كثيراً منهم يجتمعون في مجالس الفقهاء وغيرهم بعد صلاة المغرب الى وقت صلاة العشاء الآخرة.[78] وهكذا كانت مساهمات الرعايا في الاحداث.

3 ـ الفلاحون:

وهم العاملون في الأرض، ويشكلون أغلب السكان، وكان حالهم مرة يرفق بهم الحكام ومرة يظلمون.

ففي عهد الدولة الأيوبية أوصى سيف الاسلام طغتكين بالعدل على أهل الحرث فقال: (إن الفلاح يحرث ويسقي ويبذر ويعزق ويذري في الهوى ويجد مشقة عظيمة فالواجب أن يرفق بهم). أما أهل النخل فقد أمر طغتكين أن يزيد الخراج على نخيلهم والسبب في ذلك أن أهل النخل كما يقول: (يجنون الثمر من العام الى العام بدون عناء ولا تعب) [79].

4 ـ أرباب الحرف والصناعات:

وجد في اليمن أنواع كثيرة من الحرف والصناعات حيث أن اليمنيين آنذاك اهتموا بالحرف والصناعات فكان منهم أربابها المتفننون فصنعوا الأردية من البرود التي يبلغ الثوب

---

(77) ابن حاتم: السمط، ص:134 ـ 135، محمد عبدالعال: الأيوبيون في اليمن، ص:212.

(78) ابن رسته: الاعلاق النفيسة، ص: 113 .

(79) ابن المجاور: صفة بلاد اليمن، ص: 80.

عندهم حوالي خمسمائة دينار [80] كما أتقن اليمنيون الصناعات الجلدية وصناعة المنسوجات والصناعات المعدنية.[81]

وكان الصناع والحرفيون عادة ما يكتبون أسماءهم على أعمالهم بالإضافة الى تاريخ الصنع ونوع الصناعة والبلدة التي صنع بها، سواء أكان في مجال العمارة أم المنسوجات أم المصنوعات المعدنية.

ففي مجال العمارة وجد في محراب مسجد العباس في قرية (أسناف بمنطقة خولان الطيال كتابة في المحراب عليه اسم الحرفي الذي عمله بالخط الكوفي المورق والمزهر يرجع تاريخه الى سنة 519 هـ/ 1152م واسمه محمد بن أبي الفتح بن علي بن أرحب. كذلك كتب اسم الحرفي الذي عمل محراب جصي لجامع الجند أواخر العهد الأيوبي في اليمن في سنة 618 هـ واسمه عبدالله بن أبي الفتوح.[82]

أما في مجال الصناعات المعدنية والمنسوجات فقد سبق الحديث عنها في فصل الصناعة.

كذلك عملت الرعايا في وظائف أخرى متعددة فكان منهم رعاة الماشية، والحمالين، وحراس ضيعات[83] وصيادين وغيره، فمثلاً كان أهل منطقة المنذرية في اليمن أكثر أهلها صيادين وحمارين [84]، وكان أهل عدن ما بين تجار وحمالين وصيادين للسمك.[85] وهكذا تنوعت طبقة أرباب الحرف والصناعات في اليمن.

ومن الملاحظ في تكوين الطبقات الاجتماعية في اليمن أنها كانت على أساس الإنتماء الوظيفي من حيث اشتراك أهل الطبقة الواحدة في وظيفة اجتماعية واحدة سواءً أكانت علمية أم مهنية أم حرفية أم إدارية وحكم. كما أن المجتمع كان مرناً في التنقل من طبقة إلى أخرى وذلك في

---

(80) ابن رسته: الاعلاق النفيسة، ص: 112.

(81) انظر فصل الصناعة.

(82) د. ربيع حامد خليفة: توقيعات الصناع والفنانين على الاثار والفنون اليمنية الاسلامية، ص: 83 – 84، مجلة الاكليل ع3، 4، خريف 1409هـ/1988م.

(83) عمارة: المفيد، ص:138 - 139.

(84) ابن المجاور: صفة بلاد اليمن، ص: 99.

(85) ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة، ص:251.

ظل استمرار وتزايد النشاط الطبقي المتعدد في المجتمع. أما إذا ظلت الطبقة الواحدة على جمودها ولم تنشط وتحاول الرفع من مستوى حياتها العلمية والمهنية وغيره، ففي هذه الحالة تظل الطبقة جامدة في أسفل السلم الطبقي لا تستطيع تغيير طبقتها إلاّ بذلك النشاط.

وبالنسبة لترتيب الطبقات فقد كان على أساس سلطانهم ونفوذهم ومستوى حياتهم الاجتماعية. وليس على أساس دور كل طبقة. إذ أن دور كل طبقة يقدره المجتمع نفسه. ويختلف من فترة زمنية إلي أخرى. وذلك وفقاً للعمل الذي تؤديه كل طبقة.

فقد تقوم طبقة الحكام بأعمال وأدوار أكثر أهمية بما يؤدونه من عمل فى تأمين المجتمع وتحقيق العدالة فيما بينهم. وقد تقوم طبقة العلماء بأدوار أكثر أهمية لما ينشرونه من علم ومعرفة. وقد تقوم طبقة التجار أو الرعايا بأدوار أكثر أهمية لما يقدمونه من خدمة للجمتع في جميع مجالات الحياة المعيشية والخدمية وغيرها.

ومهما يكن من أمر فإن لكل طبقة دور مهم فى المجتمع وإن اختلف مستواه من طبقة إلى أخرى وأن هذه الأدوار شيء ضرورى وحتمي داخل المجتمع.

الفصل الثالث

مظاهر الحياة الاجتماعية

تعددت مظاهر الحياة الإجتماعية في اليمن من زواج واحتفالات بالمواسم والأعياد، والعادات والتقاليد المختلفة. وقد اهتمت المصادر بإبراز مظاهر الحياة الإجتماعية للطبقة الحاكمة أكثر من غيرها من الطبقات الاخرى، ونوردها هنا على أساس الموضوع وليس على الأساس الطبقي. وذلك وفقاً لما أوردته المصادر عن فترة البحث.

1 ـ الزواج وإجراءاته:

(أ) الخطبة: كانت الخطبة من أهم المقدمات الأساسية للزواج وهي تبدأ بالتقدم وإبداء الرغبة في الزواج من فتاة بعينها، فيتقدم الشاب لأهلها لخطبتها وتبدأ بتعريف الخاطب وأهله لأهل الفتاة التي يرغب في خطبتها. فإذا ما تمت الموافقة على الخطبة، واستجاب الخاطب لمطالب أهل الخطيبة من كسوة وحلي وجهاز ومقدار المهر مقدمه ومؤجله وغير ذلك، كان ذلك إيذاناً بالعمل على استكمال مراسيم الزواج.

وفي حالة وجود فوارق إجتماعية تتمسك بها بعض الطبقات أو التزوج بأكثر من واحدة أو كبر السن كان بعض الناس يطلبون عند التقدم للخطبة موافقة جميع الأقارب من أخوال وأعمام وغيرهم إلى جانب موافقة الأبوين، من ذلك عندما طلب جياش بن نجاح أن يخطب امرأة من الفرسانيين من أهل موزع، فتوسط لذلك الطلب أحد فقهاء زبيد آنذاك وهو الحسن ابن أبي عقامة الذي كان يلتقي مع أهل موزع في النسب الى بني تغلب. فلما ذهب الفقيه إلى أهل موزع رفض بعضهم زواج جياش وقبل بعضهم، ولما استشار بعض أهل موزع الفقيه على الموافقة (فأشار عليهم بالترك خوفاً من السبه عليهم)[1]، وقال لهم (لا يصلح إلا برضى الكل فأصروا على الامتناع، فيقال إن ذلك كان بإشارة لعدم كفاءة جياش)[2]. فحاول جياش أن يسترضي

---

(1) الخزرجي: العسجد، ص: 111.

(2) ابن الديبع: قرة العيون، ص:348، يبدو أنه يقصد بعدم الكفاءة أما لكبر سن جياش عن الفتاة، أو للفوارق الطبقية فيما بين أهل موزع الذين ينتسبون إلى بني تغلب وجياش الذي ينتمي إلى الأرقاء من الحبشة وهو مفهوم غير إسلامي. ومن الواضح أنه يقصد بعدم الكفاءة فارق السن.

الممتنعين بالمال فأرضاهم حتى قبلوا زواجه[3]. وكثيراً ماكان لا يتم الموافقة على قبول الزواج بسبب السن أو الزواج بأكثر من واحدة.

وكانت بعض القبائل ترفض مصاهرة القبائل الأخرى لأسباب متعددة، أهمها العداء الواقع بينها أو للتمايز الطبقي، فتنظر بعض القبائل للبعض الآخر على أنها أقل رفعة وجاهاً. وقد أدى ذلك إلى حروب فيما بين القبائل اليمنية وإجلاء بعض القبائل عن بلدانها. من ذلك أن رجلاً من بني سعد بن سعد بن خولان من صعدة أراد أن يخطب واحدة من كرائم من بني حي بن خولان (فأكبروا أنفسهم عليه) ومنعوه من أن يتقدم عليهم، فألح الرجل عليهم بالطلب فخصوه، فغضب لذلك بنو سعد بن سعد بن خولان، فحاربوهم مدة حتى أخرجوهم عن صعدة فلحقوا بمصر وسكنوا صعيدها[4].

ومن التمايز الطبقي فيما بين القبائل في الزواج أن يحدث الزواج من نفس الطبقة. فبعض القبائل لا تقبل أن تزوج أي فرد من قبائل أخرى غير مكافئة لها. من ذلك أن بني مالك من بني حي من صعدة كانوا يعظمون بني حرب ويتزوجون منهم ومن العرب ولا يزوجون أحداً آخر، بينما (بنو حرب لا تزوج إلاّ رجلاً منها أو قرشياً)[5]. والواقع أم هذه النظرة الطبقية لمفهوم الزواج نظرة عصبية خارجة عن مفهوم الدين الإسلامي، مما يوحي أنهم غالباً ما كانوا يجهلون الدين ويتصرفون من وحي النظام القبلي.

ومن التمايز الطبقي أيضاً التنافس بين بعض الأفراد في خطبة إمرأة واحدة. وغالباً ما كان يحدث هذا التنافس فيما بين رجال السلطة من الأمراء والقادة، وبين رجال الثروة والمال، لما تتمتع به المرأة المتنافس عليها من جمال أو مكانة اجتماعية وسياسية. فقد تنافست مجموعة من قادة الدولة النجاحية في خطبة المغنية وردة مولاة عثمان الغزي لجمالها وصوتها الحلو، هذه المجموعة هم الوزير سرور الفاتكي، والقائد إسحاق بن مرزوق، والقائد إقبال الفاتكي، فكانت من نصيب سرور الفاتكي لعدم وجود زوجة آخرى له وتزوج الآخرين بأكثر من واحدة[6].

---

(3) الخزرجي: العسجد، ص:112، ابن الديبع: قرة العيون، ص: 348.

(4) الهمداني: الاكليل، جـ1، ص:208، 209.

(5) الهمداني: الاكليل، جـ1، ص:302.

(6) الوصابي: تاريخ وصاب، ص:60.

كما وجد آنذاك النوع المعروف بالزواج السياسي في عهد الصليحيين، وذلك عندما توفى المكرم أراد الداعي سبأ بن أحمد المظفر أن يتزوج بالسيدة الحرة أروى زوجة المكرم، وخاصة أنها تولت حكم اليمن نيابة عن ابنها الطفل. ففي بادىء الأمر رفضت الزواج منه، فجمع عسكره واتجه لحربها، وبالفعل حدثت الحرب بينهما عدة أيام آخرها تم تحكيم الخليفة المستنصر بالله الفاطمي، فأرسلا إليه رسولين هما القاضي الحسن بن إسماعيل الأصبهاني، وأبو عبد الله الطيب فرجع الجواب من المستنصر بالله يأمرها بالزواج من الداعي سبأ ابن أحمد فقبلت الزواج منه على مضض.[7]

وفي نطاق معرفة الفتاة قبل الزواج فهناك فرصة كي يتعرف الخاطب من أهل الريف في اليمن على جمال المرأة المخطوبة ونشاطها. فقد كانت أغلب فتيات البادية يعملن في الزراعة وبعضهن في التجارة فإذا أراد الرجل أن يخطب فتاة ريفية بدوية يدله الأب على السوق الذي تذهب إليه الفتاة للتجارة ليشاهد نشاطها وجمالها وبيعها وشرائها فإذا أعجبته تقدم لخطبتها.[8]

المهـــــر :

وكان المهر عادة ما يدفع بما يتفق والحالة الاجتماعية للزوج أو الزوجة، وبما يتناسب مع مكانة الأسرتين ومستواهما، وحتى في إطار الأسرة الواحدة، فقد كان والد العروس يطمع في أن يزوج ابنته من أحد أبناء الأسر الكبيرة أصحاب الثروة والجاه ، وهذا ما حدث عندما تقدم علي بن محمد الصليحي ليخطب ابنة عمه أسماء بنت شهاب الصليحي، إذ طلب أبوها مهرا كبيراً ليعجز ابن أخيه عن توفيره[9]. ولهذا سعى ليوفر القدر المطلوب، والسبب في ذلك أن شهاب الصليحي كان يريد أن يزوج ابنته أحد أصحاب الثروة والجاه من ملوك بني الكِرَنْدي في المعافر أو أحد ملوك همدان لجمال أسماء المنقطع النظير.[10]

---

(7) عمارة: المفيد، ص:150، د. محمد عبدالعال: بعض مظاهر العلاقة اليمنية المصرية في العصر الاسلامي، بحث قدم لندواة العلاقات المصرية اليمنية التي عقدتها لجنة تضامن الشعوب الأفريقية والآسيوية بالقاهرة.

(8) ابن المجاور: صفة بلاد اليمن، ص:191.

(9) عمارة : المفيد ، ص: 98 ، الوصابي : تاريخ وصاب ، ص: 31 .

(10) عمارة : المفيد ، ص: 98 - 99 .

وكانت ظاهرة المغالاة في المهر منتشرة في اليمن عند الأمراء والسلاطين وزعماء القبائل وأصحاب الثراء فيدفعون مبالغ ضخمة صداقا لزواجهم لا يقدر عليها الآخرون تعبيراً عن إظهار الأبهة والمقدرة والتفاخر بين الناس وعن مدى ما بلغوه من مكانة. من ذلك ما أعطى القائد فرج السحرتي من المال لعلي الصليحي ليقدمها لعمه شهاب وهي أضعاف ما طلب شهاب من الأموال مهراً لابنته.(11)

كذلك دفع المكرم أحمد صداق السيدة الحرة أروى بنت أحمد الصليحي مبلغ مائة ألف دينار، وهو مقدار مالية عدن آنذاك.(12) كما خصص لها مالية عدن سنويا لتصرفه في شئون قصرها، وأيضا بلغ مهر السيدة الحرة حينما زفت مرة أخرى إلى سبأ بن أحمد الصليحي بعد موت المكرم مائة ألف دينار عينا وخمسين ألف أصناف من تحف وطيب وكساوي .(13)

وهكذا كانت المغالاة في المهور عند أصحاب الطبقة العليا من زعماء القبائل وغيرهم، فأقل ما كان يدفع اللعويون والمرانيون وهم من حاشد من همدان من المهور المؤجلة ألف دينار وست جوار فرس وست جوار روم (14). وقد أدت ظاهرة إرتفاع المهور بهذا الشكل إلى الحد من الزواج في إطار تلك الطبقة .

---

(11) عمارة : المفيد، ص: 99 ، السحرتي نسبة إلى قبيلة من الأحبوش سكنت اليمن ولا يزال لها بقية في الحبشة، وفرج السحرتي كان قائداً لبني زياد في زبيد. (ابن الديبع : قرة العيون، ص: 354 هـ 1) وكان القائد فرج السحرتي يمثل القيادة السنية في زبيد ، وعلي الصليحي ابن الفقيه السني محمد الصليحي قاضي حراز، فعندما نزل علي الصليحي إلى زبيد قبل جهره بالدعوة الاسماعيلية، يبحث عن المال مهرا لزوجته أما قرضاً أو هبة. وهب القائد فرج المال الذي طلبه علي الصليحي من مهر وجهاز وهو أضعاف ما طلب شهاب. وخاصة عندما عرف فرج أن شهاب كان يريد أن يزوج ابنته لملوك بني الكرندي في المعافر أو ملوك همدان. وذلك على أساس أن علياً الصليحي كان أباه من أهل السنة وهو - أي فرج - لم يعرف ميله إلى الاسماعيلية بعد . انظر: عمارة: المفيد ، ص: 95 - 100 .

(12) عمارة : المفيد ، ص: 174 ، الوصابي : تاريخ وصاب ، ص: 38 .

(13) عمارة : المفيد ، ص: 151 ، الخزرجي : العسجد المسبوك ، ص: 65 ، الوصابي : تاريخ وصاب ، ص: 41 ، ابن الديبع : قرة العيون ، ص: 268 .

(14) الهمداني : الاكليل، حـ 10 ، ص: 32 ، د.محمد أمين صالح، تاريخ اليمن الاسلامي، ص: 209 .

أما في نطاق الطبقات الأخرى فقد كان المهر أقل من ذلك كثيرا. فعندما أراد أحد الرجال المحاربين الذين استعان بهم الداعي سبأ بن محمد الزريعي أن يتزوج ولم يكن ذا مال طلب الرجل من الداعي سبأ بن محمد الزريعي تكاليف الزواج له ولولديه وابنته مقابل ذهابه للقتال معه هو وولديه ، فأعطى كل واحد منهم مائة دينار .[15]

أما الطبقة الفقيرة في السلم الطبقي فقد كان المهر عندها قليلا جدا لا يكاد يذكر قياسا لما كانت تدفعه الطبقات العليا. ولم تشر المصادر إلى قيمته لضآلته وتناسبه مع حالتهم المالية، وقد أدت قلة المهور، أو الصدقات وخفتها إلى إقبال عامة الناس وشجعتهم على الزواج.[16]

ومن عادات بعض نساء زبيد وتهامة عدم أخذ المهور من أزواجهن مقدما بل يحبذن تأجيله، ويعتبر أخذ المهر بكامله مقدما عيب كبير على اعتقاد أن المرأة في هذه الحالة تريد الطلاق، يوضح ذلك ابن المجاور بقوله:(ونساء أهل هذه البلاد لم يأخذوا من أزواجهن المهر وأخذ المهر عندهم عيب عظيم، وكل امرأة تأخذ المهر من زوجها يسمونها مفروكة أي أن زوجها أعطاها مهرها وفركها أي طلقها) [17]. وكان هذا التصرف يؤدي إلى خوف الرجال من الزواج منها مرة ثانية حيث يقول الرجل عنها: (أخاف أن تأخذ مني المهر كما أخذت من غيري)[18]. وعلى ذلك فإنهم يؤجلون دفع المهور إلى زمن غير محدد، وقد يموت الزوج والمهر في ذمته، أو تموت الزوجة والمهر دين على زوجها. وطريقة تأجيل المهر تساعد أكثر الشباب على الاقبال على الزواج وخاصة متعسري الحال. ويكفي لزوجهم دفع مبلغ بسيط كمهر مقدما .

وكان تجهيز العرس بحسب المكانة التي تليق بالعروسين وفقا للحالة المالية والطبقة الاجتماعية التي ينتميان إليها. فمثلا أعطى القائد فرج السحرتي جهازا هبةً منه لعلي الصليحي وزوجته أسماء بنت شهاب، فكان أحسن جهاز يحتفل به الملوك لعقائلهم.[19] وذلك عندما نزل علي الصليحي للبحث عن مهر خطيبته لما اشترط أبوها في مهرها .

---

(15) عمارة : المفيد ، ص: 181، الخزرجي : نفس المصدر ، ص: 86 ، الوصابي : نفس المصدر ، ص: 65 ، ابن الديبع : نفس المصدر، ص: 308 .

(16) الهمداني : الاكليل ، جـ 10 ، ص: 32

(17) ابن المجاور : صفة بلاد اليمن ، ص: 85 .

(18) ابن المجاور : نفس المصدر ، ص: 85 - 86 .

(19) عمارة : المفيد ، ص: 99 ، انظر سبب منح السحرتي المال لعلي الصليحي فيما سبق هامش المهر .

كذلك كانوا يقدمونَ الكسوة والحلي بحسب ثرائهم ومقدرتهم ومكانتهم الاجتماعية، فقد دفع سبأ بن أحمد المظفر الصليحي مقدار خمسين ألف دينار من تحف والطاف وطيب وكساوي.[20]

وكانت تقام الولائم أيضا حسب حالة الزوج المالية والاجتماعية، فكلما كانت حالة الزوج والزوجة متيسرة كانت الولائم كبيرة وضخمة، وربما تستمر عدة أيام وقد تبلغ شهرا. من ذلك ما فعلته السيدة الحرة أروى بنت أحمد الصليحية عندما تزوجت الداعي سبأ بن أحمد الصليحي، فقد أولمت مدة شهر كامل كانت الضيافات خلاله تخرج من قصرها في ذي جبلة إلى مخيم الداعي سبأ بن أحمد الصليحي وعساكره يوميا، فانفقت مقدار ما دفع من مهر لها وهو مبلغ مائة ألف دينار .[21]

والواقع أنه لم يكن هناك حدا معينا لتحديد المهور أو تحديد نوعية الحلي والكسوة والجهاز الذي تجهز به العروس. كما أنه لم تحدد كيفية الوليمة التي تقام بهذه المناسبة، وترك أمرها لتتم وفقا للحالة المادية والمكانة الاجتماعية .

وإرتفاع المهور وضخامة تجهيز العروسين وكثرة الولائم تعبر عن مظاهر الثراء والسلطة ومظاهر الأبهة والعظمة التي تظهر بها الطبقة الثرية أو الحاكمة ، وهذا التصرف يعطيها قدراً من الفخر والاعتزاز بين الناس ثم هي أيضا أحد مظاهر التسلط والثراء في داخل المجتمع .

كما أن إرتفاع المهور وتفاوتها يعبران عن مدى الفرق بين الطبقات بحيث لا يستطيع أصحاب الدخول الصغيرة الزواج من الطبقة الثرية لذلك يظل الزواج محصورا بين الطبقة الواحدة،وقد يحدث المغالاة في المهور كوسيلة لرفض شخص ما لا توافق الأسرة على الارتباط به.

وكانوا عادة ما يهنئون العروسين عن طريق الشعر، فقد هنأ الشاعر العندي على لسان عمارة شعرا الداعي محمد بن سبأ الزريعي بعرسه على بنت الوزير بلال المحمدي .[22]

الطرح :

وهناك عادة في الزواج عند أهل اليمن يسمونها ((الطرح)) وهي مساهمة المدعوين

---

(20) عمارة : المفيد ، ص: 99 ، 151 ، الخزرجي : العسجد المسبوك ، ص: 65 .

(21) عمارة : المفيد ، ص: 152

(22) الوصابي : تاريخ وصاب ، ص: 72 .

للعرس بمبالغ من المال على قدر حالتهم، ويظل هذا المبلغ الذي قدمه المدعوون دينا على العريس يعيده فيما بعد في مثل هذه المناسبة من الزواج. فكان عندما يُقْدِم أحد الشباب على الزواج يدعوا أصحابه وأصدقاءه وزملاءه وأهله وعندما يحضر هؤلاء احتفال العريس، يكتبون اسماءهم في قرطاس موضحا أمام اسم كل منهم المبلغ الذي يقدمه إلى العريس.[23]

وقد تصل مبالغ ((الطرح)) لبعض الناس إلى مبالغ كبيرة سواء كانت نقدية أو عينية من ذلك لما تزوج الشاعر العندي بنت الشريف أبي الحسن علي بن محمد العمري بعدن سنة(505هـ / 1111 م) حمل الناس إليه مع اختلاف طبائعهم أموالا بلغت ألف دينار خارجا عن بقية الأصناف[24] وقد تساعد هذه المبالغ البعض في استغلالها في التجارة.[25]

كذلك كانت النساء أيضا يقدمن ((الطرح)) مثل الرجل وكان هذا المبلغ يرد إليهن في مناسبات مماثلة.[26]

ولم يقتصر ما يعرف((بالطرح)) على حفلات العرس فقط، وإنما كان يتم في كثير من المناسبات الأخرى ، مثل الاحتفالات بالمواليد وحفلات الختان، حيث كانت النساء يقدمن الهدايا والأموال وكانت كل هذه الأموال والهدايا يتم ردها في مثل هذه المناسبات التي قدمن فيها، ويعتبر عدم رد الطرح عيبا كبيراً، لأن هذا المبلغ يكون دينا لابد من الوفاء به .[27]

وكانت من عادة أهل اليمن في الزواج أن يتزين الرجال فيخضبون أيديهم وأرجلهم بالحناء [28] . كما كانت النساء في صنعاء يخضبن أرجلهن بالحناء [29]. إضافة إلى تزين النساء بأنواع الزينة في مناسبات العرس في عموم اليمن .

وكانت من عادة المناطق الشمالية لزبيد من أهل الزَرِيْبة والعَنْبَرة والهَرَمة والقُرَشِيَّة، عدم ظهور بناتهمَ قبل الزواج، فهم لا يسمحون للبنت بالخروج أو التزين (إلا إذا عقد نكاحها وقطع

---

(23) ابن المجاور : صفة بلاد اليمن ، ص: 72. (الطرح) يسمى في بعض المناطق (تجدود)

(24) الوصابي : تاريخ وصاب ، ص: 73 ، الجندي : السلوك ، جـ1، ص: 430 - 431 .

(25) ابن المجاور : نفس المصدر ، ص: 7 .

(26) ابن المجاور : نفس المصدر ، ص: 86 .

(27) ابن المحاور : نفس المصدر ، ص: 86 .

(28) ابن المحاور : نفس المصدر والصفحة .

(29) الهمداني : الأكليل جـ 2، ص: 177 .

مهرها وسلم دفعها) بعد ذلك (تظهر البنت بطبل وزمر على رؤوس الاشهاد بالمهادن والضيافات والطرح والتسليم).[30]

ويعلل ابن المجاور ذلك التصرف بأن أهلها كانوا يخافون اطلاع البنت وهي صغيرة على أعمال العرس أو الزواج من تزين وتجمل وتحسن ، لأن ذلك يجعلها عندما تكبر وتشب فتخرج عن الطريق الصحيح إلى غير الطريق .[31]

كذلك كان من عادة نساء زبيد أن يقبلن الزواج من أجنبي ويفضلنه، ولكنهن يرفضن الخروج عن اليمن مهما عرض لهن ، فإذا تزوجت إحداهن أحد الغرباء تقنع منه بالقليل من النفقة والكسوة ، وإذا سافر بغرض العودة تودعه وهي راضية وهي تتكفل بالنفقة عن أولادها حتى يعود ولا تطالبه بنفقة وكسوة عن الأيام التي غاب فيها عنها [32]

وكان بعض الأفراد في اليمن يتزوجون بأكثر من واحدة وخاصة الحكام والأغنياء. من ذلك أن جياش بن نجاح كان متزوجا امرأة هندية ، ثم تزوج عليها امرأة من أهل موزع[33] كما كان القائد إسحاق بن مرزوق متزوجا بأربع[34] وممن تزوج بأكثر من واحدة أيضا ابن أبي أسعد بن أبي الفتوح ، الذي كان له مالا كثيرا بلغ نصيب إحدى نسائه منه ثمانين ألف درهم من النقد ، ومطرف بن شهاب المطرفي الذي كان متزوجا بأربع نساء . [35]

2 ـ الأعياد والمواسم :

اعتاد اليمنيون شأنهم في ذلك شأن بقية المسلمين في البلدان الإسلامية الأخرى، أن يحتفلوا بالأعياد والمناسبات الدينية مثل ليالي رمضان وعيدي الفطر والأضحى وبالإضافة إلى المناسبات الدينية كانوا يحتفلون بمناسبة نضج النخيل في زبيد .

وتحتفل بعض مناطق اليمن بقدوم شهر رمضان، ويظل الاحتفال به طيلة الشهر.فكان في

---

(30) ابن المجاور : صفة بلاد اليمن ، ص: 239 .

(31) ابن المجاور : نفس المصدر ، والصفحة .

(32) ابن بطوطة : رحلة ابن بطوطة ، ص: 248 .

(33) الخزرجي : العسجد المسبوك ، ص: 110 .

(34) الوصابي : تاريخ وصاب ، ص: 61 .

(35) مجهول : تاريخ اليمن ، ق : 66 .

عدن قبل يومين من قدوم رمضان يزين أهلها أسطح منازلهم ويضربون عليها بالطبول(الدبادب) وإذا دخل رمضان عليهم اجتمعت مجاميع من الناس يدورون عند السحر يقرؤون القصائد إلى آخر الليل، وهكذا كل ليلة إلى نهاية الشهر. وكان الغرض من هذا العمل إيقاظ النائمين للقيام بإعداد طعام السحور وأكله وهي ما تشبه عمل المسحراتي. على أن هؤلاء المسحراتية كانوا يتقاضون مقابل عملهم هذا أموالا كانوا يجبونها من الناس قرب العيد.[36]

كذلك كان الناس في بعض المناطق يقيمون المطابخ في شهر رمضان ويدعون إليها عامة الناس. ففي المهجم شمال زبيد كان الوزير النجاحي سرور الفاتكي يتجه إليها ليقيم بها مطبخا طوال شهر رمضان يدعوا إليه كافة الناس ، حتى بلغت مصاريف مطبخه في كل ليلة حوالي ألف دينار [37]. أي ما يعادل ثلاثين ألف دينار طيلة شهر رمضان .

وفي عيد رمضان جرت العادة في غلافقة أن يقوم بعض أهلها بوضع الاسمطة الموائد بعد صلاة عيد الفطر، يدعون الناس إلى أكل ما بها من الطعام وقد أشار إلى ذلك ابن المجاور حيث ذكر أن عمرا بن القشري أمر أهله في ليلة عيد الفطر أن يطبخوا ويشووا، فعندما صلى الناس دعاهم عمرو إلى الأكل فدخل الناس إلى داره فأكلوا أطعمته وأشويته وشربوا من أشربته .[38]

أما عيد الأضحى فكان بعض الأفراد يضحون بأنواع الأضحيات فيذبحون الأبقار والماعز والضأن ويُعِدُون أنواع المأكولات ويلبسون أنواع الملابس الجديدة، فمثلا في هذه المناسبة طلب أحد العلماء وهو الشيخ (أحمد المقري) من أحد الأعيان وهو الشيخ علي ابن أحمد المعلم(ت. 596هـ/ 1199م) أن يعطيه هبة لأضحية عيده وكسوة وطعاما له ولاولاده فمنحه الثري الشيخ علي المعلم بقرة وضأن وماعز ومائة كيلجة بر ومائة كيلجة قمح وكسوة له ولأولاده .[39]

ومن عادة أغنياء أهل صنعاء في عيدي الفطر والأضحى آنذاك أن أهل الثراء منهم يأمرون عبيدهم وإمائهم فيكنس كل رجل منهم ساحة باب داره ويرشونها بالماء، ثم يفرشونها بالحصير وفوقه يفرش البساط الرومي والطرسوس والأرمني الأحمر والأرجوان، ثم يطرحون عليها

---

(36) المقدسي · أحسن التقاسيم ، ص: 100 .

(37) عمارة : المفيد ، ص: 226 .

(38) ابن المجاور : صفة بلاد اليمن ، ص: 241 .

(39) الخزرجي : العسجد المسبوك ، ص: 171 .

الريحان وغيره من الأزهار الطبيعية ويرشونها بالماء ورد الكثير والكافور ، كما يضعون المباخر يطرحون فيها العود الرطب وغيره ليشيع في الهواء الريح الطيب.[40]

ويهتم أهل اليمن بموسم أول جمعه من رجب في جامع الجَنَد من كل سنة. فمن أجل هذا اليوم كان يحضر الكثير من الناس من أهل الجند وما حولها فيجتمعون ويصلون في مسجدها صلاة الجمعة الأولى من رجب. ويرجع سبب احتفالهم بهذا اليوم إلى أن الصحابي الجليل معاذ بن جبل رضى الله عنه نزل (الجَنَد) في مثل هذا اليوم، فاتخذه أهل اليمن عيدا لهم. وهم يعتبرون الصلاة فيه في هذا اليوم تعادل عمرة أو أكثر[41] ويسمى هذا اليوم عندهم بالموسم لكثرة من يحضره من الناس .

3 ـ الاحتفالات :

وفي الاحتفالات في المناسبات والضيافات كان الأثرياء والأمراء والحكام يقدمون موائد واسعة تشتمل على العديد من الأسمطة فيها الكثير من الخراف المشوية، إضافة إلى أنواع المأكولات الأخرى والحلويات. من ذلك ما عمله عثمان الغزي حين قام بضيافة الوزير النجاحي مَنّ الله الفاتكي ، فقد قام بوضع أربعة أسمطة واسعة قدم في كل سماط منها ثلاثين خروفا مشويا، وثلاثين جاما من الحلاوة .[42]

أما ما يقدمه الأمراء والحكام من أطعمة فكما وصف ابن بطوطة يتكون من نوعين هما: (طعام العامة وطعام الخاصة ، فأما الطعام الخاص فيأكل منه السلطان وقاضي القضاة والكبار من الشرفاء ومن الفقهاء والضيوف، وأما الطعام العام فيأكل منه سائر الشرفاء والفقهاء والقضاة والمشائخ والأمراء ووجوه الأجناد ، ومجلس كل إنسان للطعام معين لا يتعداه ولا يزاحم أحد منهم أحداً).[43]

---

(40) الرازي : تاريخ مدينة صنعاء ، تحقيق د. حسن العمري ، ط2 ، 1401 هـ / 1981م ، ص: 91 ـ 92 .

(41) ابن المجاور : صفة بلاد اليمن ، ص: 166 .

(42) عمارة : المفيد، ص: 218، الخزرجي : العسجد المسبوك ، ص: 120 ، الوصابي: تاريخ وصاب، ص: 58 . عثمان الغزي هو أحد قادة الغز الذين جلبهم جياش لمحاربة الصليحيين وقد منحه وادي ذوال، إقطاعا له ، عمارة ص: 216 .

(43) ابن بطوطة : رحلة ابن بطوطة ، ص: 250 .

كذلك كانت تقام احتفالات خاصة في اليمن وخاصة في قصور الأمراء والأثرياء، تقام فيها حفلات غناء وجلسات الشراب ، حيث انتشر الغناء آنذاك في كثير من القصور ، فقد كانت قصور السيدة الحرة أروى الصليحية مليئة بالجواري المغنيات، كذلك كانت قصور أمراء زبيد مليئة بالمغنيات منهن جارية مولدة سميت أم أبي الجيش اتصفت بأنها فائقة الجمال والحسن وكانت حسنة الغناء، ومن الجواري المغنيات في زبيد الموصوفات بالجمال والحسن الحرة علم أم فاتك بن منصور النجاحي.[44]

وكانت تعقد في مجالس الأمراء وخاصة في زبيد مجالس للغناء والشراب، من ذلك أن الأمير عثمان الغزي كان قصره مليئا بالجواري المغنيات دعا الوزير النجاحي مَنَّ الله الفاتكي إلى عزومة أخرج فيها الوصيفات الساقيات الشراب والمغنيات للغناء ، فغنين فيهن المغنية وردة التي اتصفت بالجمال والحسن المنقطع النظير والصوت الحلو العذب، كذلك كان الوزير إقبال يملك عشرين مغنية.[45]

ومن الاحتفالات الشعبية الاحتفال بيوم نضج ثمار النخيل في زبيد حيث إن زراعة النخيل في زبيد كانت كثيرة، فكان فيها عشر قطع مزروعة بالنخيل كل قطعة عرضها وطولها ربع فرسخ بها ثلاثة أصناف من الرطب حماري وصفاري وخضاري ، فإذا حمل النخل يتقبله الناس كل على قدر طاقته، وفي موسم نضج ثمار هذا النخل وقطعها يتوافد اليمنيون على زبيد من كثير من أنحاء اليمن ليحضروا الاحتفال السنوي الكبير الذي يستمر لمدة شهرين أو ثلاثة أشهر حيث يختلط النساء والرجال ولاهمّ لهم سوى اللعب والضحك وشرب النبيذ الذي يسمى (الفضيح) والذي يعمل من التمر والبر والرطب .[46]

فإذا ما تم الانتهاء من جني ثمار النخيل يخرج الصغار والكبار والأبرار مع الفجار خلال يومي الإثنين والخميس إلى موضع اسمه (الفازة) بالقرب من غَلاَفِقَة بالطبل والزمر بجمالهم التي

(44) عمارة : المفيد ، ص: 156 ، 210 ـ 211 ، كانت الحرة علم جارية مغنية ثم أصبحت حرة بعد استولادها فاتك بن منصور بن فاتك بن جياش النجاحي الذي أصبح أمير الدولة النجاحية بعد أبيه منصور، وقد أطلق على الحرة علم ، الحرة الملكة، والصالحة ، والحجاجة (عمارة : المفيد ، ص: 211 ـ 224 ، 230).

(45) عمارة : المفيد ، ص: 215 ، 217 - 219 ، ص: 223 .

(46) ابن المجاور : صفة بلاد اليمن ، ص: 79 .

يلبسونها عدة تامة من الأجراس والقلاقل ويشدون في رقبتها المقالع والحلي، ويركبون على كل جمل أربعة أفراد، بينما يسير بقية الناس على الأقدام إلى البحر ليسبح الرجال والنساء عرايا مختلطين ، وهم في شرب ولعب ورقص ثم يرجعون إلى البلد بقية الأسبوع .[47]

وهناك احتفال آخر في زبيد بمناسبة أخرى للنخيل، وهي ما تسمى (بسبوت النخيل) وذلك أنهم يخرجون في أيام البسر والرطب في كل سبت إلى حدائق النخل، ولا يبقى بالمدينة أحد من أهلها ولا من الغرباء، ويخرج أهل الطرب وأهل الأسواق لبيع الفواكه والحلاوات.[48]

كذلك كان من العادات الجاهلية في اليمن تقديم أضحية المراكب للجبل في منطقة صيرة بعدن وهي ما تسمى بأضحية الجبل وهي عادة جاهلية، فإذا تأخرت المراكب عن المجيء إلى ثغر عدن عن موسمها يخرجون إلى جبل صيرة رؤوس من البقر عند إصفرار الشمس وتبقى تلك البقر في أماكنها حتى منتصف الليل ثم بعد ذلك ترد ست رؤوس منها إلى عدن ويبقى رأس واحد في مكانه في الجبل، فعندما يصبح الصبح يضحي بهذه البقرة في مكانها. وقد صارت هذه العادة متبعة في عدن منذ قديم الزمن حتى زمن بني زريع ثم بطل العمل بها [49] لأنها عادة جاهلية لا يقرها الإسلام .

ونذكر احتفالا سنويا للباطنية في اليمن يسمى ليلة الإفاضية، وهي اجتماع جماعة من الرجال والنساء في ليلة واحدة من السنة، فيطفئون الأنوار خلالها، وعندما يظلم المكان يأخذ كل واحد من الرجال ما صادفه من النساء فيحصل فيها الفساد لأنه قد يأخذ الرجل محرماته، وانتشرت هذه العادة السيئة عند الباطنية في كل من وادعة ويام بصعدة وقد خرج إليهم الامام أحمد بن سليمان سنة 549هـ/1154م فحاربهم وقتل الكثير منهم[50] كما انتشرت هذه العادة في بعض قبائل همدان مثل عذر والأهنوم في مغرب بلاد همدان.[51]

---

(47) ابن المجاور : نفس المصدر ، ص: 80 - 81 .

(48) ابن بطوطة : رحلة ابن بطوطة ، ص: 247 .

(49) ابن المجاور : صفة بلاد اليمن ، ص: 114 .

(50) المحلى : الحدائق الوردية ، ص: 205 .

(51) اللحجي : شيء من أخبار الزيدية ، ق: 16 .

4 ـ العادات والتقاليد :

لم تمدنا المصادر بالمعلومات الكافية وخاصة عن عادات وتقاليد أهل اليمن، وقد وردت بعض المعلومات ولكنها قاصرة على مناطق دون أخرى، فعن أهل زبيد قال ابن المجاور بأنهم ضعاف التركيب محلقين الرؤوس، وعن أخلاقهم وسلوكهم وآدابهم وصف ابن المجاور نساء أهل زبيد بأنهن خلقات رخوات التكك وفي كلا منهن غنج كثير، بينما وصف رجالها بأنهم يتشبهون بالنساء في بعض حركاتهم وغنجهم، واستطرد ابن المجاور في وصف نساء زبيد وقال:(ما رأيت في جميع اليمن سهلها وجبلها وجها حسنا يعتمد عليه النظر ولا فيهم ظرافة ولا لطافة ولا ملاحة ولا حلاوة)[52] في حين ذكر ابن بطوطة عن زبيد أن(لأهلها لطافة الشمائل وحسن الأخلاق وجمال الصور ولنسائها الحسن الفائق الفاتن).[53]

وفي الوقت الذي أورد فيه ابن المجاور بأنه لم ير في اليمن سهلها وجبلها وجها حسنا يعود ويذكر في موضع آخر أن منطقة الحليلة جنوب زبيد والخُوخَة قوله (ويكون فيها الصبايا الملاح والنساء الصباح)[54]ومع ذلك، فقد وصف المقدسي اليمنيين بقوله أنه(لا ظرف لأهل اليمن)[55] وهو ما يتفق مع قول ابن المجاور[56] أما أهل زبيد كما يصفهم المقدسي فإن لهم أدنى ظرف[57] كما يتفق مع ما ذكره ابن بطوطة في وصفه لأهل تعز، حيث ذكر أن (أهلها ذو تجبر وتكبر وفظاظة)[58] .

وعن الجواري في عدن وصفهن ابن المجاور بأنهن يمارسن البغاء علنا في الظاهر[59] وهو يتفق في ذلك مع قول المقدسي[60]. فابن المجاور يصفهن بأنهن مبتذلات الفروج وهن في حال هرج

(52) ابن المجاور : صفة بلاد اليمن ، ص: 70، 85، 246 .

(53) ابن بطوطة : رحلة بن بطولة ، ص: 247 .

(54) ابن المجاور : نفس المصدر ، ص: 92 .

(55) المقدسي : أحسن التقاسيم ، ص: 103 .

(56) ابن المجاور : صفة بلاد اليمن ، ص: 246 .

(57) المقدسي : نفس المصدر ، ص: 84 .

(58) ابن بطوطة : رحلة ابن بطوطة ، ص: 249 .

(59) ابن المجاور : نفس المصدر ، ص: 7 .

(60) المقدسي : نفس المصدر ، ص: 103 .

ومرج وأن هذا العمل عندهن ليس بعيب وليس بعار عند سُكّانها ، أهلها وغريبها يوضح ذلك بقوله:(فترجع الجارية ترجو الفرج أو تبذل الفرج للرجل ولاحرج. وإلى الآن هذا موجود في عدن من الغريب وأهلها، وليس هذا الفن عندهم عار)[61] .

ويبدو أن هذه الاباحة كانت منتشرة في غير المسلمين، في أوساط الجواري كما يصف حيث إن عدن سكنها بعض عناصر غير إسلامية عندما نشطت التجارة بها، من مقادشة وزيالع وأحباش وبربر[62] بالإضافة إلى الهنود وغيرهم . ولم توضح لنا المصادر عن أنهم أسلموا . ولذلك انتشرت في أوساطهم هذه العادة السيئة.

5 ـ المرأة :

وعن المرأة اليمنية فكانت ذات أهلية في المجتمع اليمني فهي سيدة بيت زوجها تقوم بمهامها المعروفة في بيتها، وتعمل على راحة زوجها وتربية أبنائها، وكان عليها عملية جلب الماء من الآبار والينابيع وغيرها. أما المرأة الريفية فتقوم بمشاركة زوجها في عمله في الزراعة فتساعده في البذر والحصاد ورعاية الزروع وغير ذلك من الأعمال الخاصة بها. وعن أعمال المرأة وخاصة الريفية أورد مسلم اللحجي قوله :(وإنما ينكح الزراع امرأة تطحن وتعجن وتخبز وتغزل وتقوم بخدمة كثيرة لزوجها وضيفه وولدها وخدمها وغير ذلك من رقع ثوبها وغسله وتنظيف بيتها وكنسه ونحو ذلك وسواه من الأعمال)[63] .

كما أن كثيراً من نساء اليمن يعملن في الغزل فهن يقمن بغزل ونسج أنواع الملابس ويوجد في اليمن نوعان من الغزل الذي تشتغل به المرأة وهما النوع الحميري والنوع الفارسي.[64]

كذلك كانت بعض النساء في اليمن وخاصة الريفيات يعملن بالتجارة في الأسواق إلى جانب الرجال، فالمرأة كانت تقوم بعملية البيع والشراء. وتحمل فوق رأسها قدر طاقتها من أنواع البضائع، وتذهب وهي محملة بالبضائع عبر مسافات طويلة تقطع كثيرا من الجبال والسهول

---

(61) ابن المجاور : نفس المصدر ، ص: 7 .

(62) ابن المجاور : نفس المصدر ، ص: 134 .

(63) مسلم اللحجي : تاريخ مسلم اللحجي ، ق: 278 .

(64) ابن المجاور : صفة بلاد اليمن، ص: 256، فالنوع (الحميري هو الذي يخرج الأصبع الوسطى على =

والأودية والشعاب كي تصل بها إلى الأسواق وتبيعها وتشتري ما تحتاج إليه، وكثيرا ما يستمر عملها هذا طيلة حياتها.[65]

على أن هذه الأسواق التجارية كانت تعقد أسبوعيا في كل مناطق اليمن وعادة ما تذهب النساء إلى سوق أو سوقين في الأسبوع من هذه الأسواق الأسبوعية، كما عملت النساء في الصناعة فقد عملت نساء عدن في صنع القفاع[66] والقفاع مفردها قفعة وهي الجُلّة بلغة اليمن يحمل فيها القطن.[67]

وعن كشف وجوه النساء وسترها كان معظم نساء اليمن كاشفات الوجوه وخاصة عند أهل البادية لأن معظمهن كن يعملن سواء بالزراعة أو التجارة أو غيره، يوضح ذلك ابن المجاور بقوله:(إذا خطب زيد بنت عمرو وأنعم له بذلك يقول زيد لعمرو: أريد أشاهد جمال كريمتك فيقول له عمرو: أقدم إلى السوق الفلاني فإنها تتوعد به شاهدها في بيعها وشرائها وجمالها)[68] مما يدل ذلك على أن نساء الريف كن كاشفات الوجوه .

أما المدينة فقد كانت بعض النساء بها يسترون وجوههن والبعض الآخر يكشفن وجوههن فقد كانت المغنيات في زبيد يغنين وهن كاشفات الوجه، كما أن عمارة يوضح أن أسماء بنت شهاب الصليحي لا تستر وجهها وتلك عادتها في أيام زوجها لسمو قدرها عمن تحتجب عنه النساء)[69] مما يدل ذلك على أن المرأة في المدينة كانت في حالة كشف الوجه وستره .

وبالنسبة للمرأة الجارية فقد كُنَّ يعملن في قصور الأمراء والحكام تحت مسميات عدة مثل خدم حواشي جواري سرايا حظايا وصيفات. وقد امتلأت قصورهم بهن. فمثلاً كانت قصور علي الصليحي بصنعاء يوجد بها أربعمائة وصيفة وقصور المفضل بن أبي البركات كانت مليئة بالحظايا والسرايا، وقصور فاتك بن منصور النجاحي في زبيد أكثر من ألف جارية.

الإبهام في العزل، والفارسي هو الذي تدخل الإبهام على الأصبع من فوق الغزل(نفسه) ويصعب تفسير هاتين الطريقتين.

(65) ابن المجاور: صفة بلاد اليمن ، ص: 191 - 192 .

(66) ابن المجاور : نفس المصدر ، ص: 137 .

(67) ابن منظور : لسان العرب ، (مادة قفع) .

(68) ابن المجاور : صفة بلاد اليمن ، ص: 191 .

(69) عمارة : المفيد ، ص: 133 ، 219 .

وكان للمرأة الجارية تجار يعملون على جلبهن وتدريبهن على الخدمة في القصور من ذلك الشيخ حمير بن أسعد الذي كان يقوم بجلب الجواري من أماكن متعددة ويقوم بتربيتهن تربية خاصة في داره للخدمة في القصور. فيعلمهن الغناء وفنون الطبخ وطرق خزن الثياب وعمل الطيب ثم يقوم ببيعهن.

كذلك ساهمت المرأة في اليمن في إدارة شئون الحكم سواءً إلى جانب أزواجهن أو أولادهن أو منفردات من ذلك الحرة أسماء بنت شهاب التي ساهمت مع زوجها علي الصليحي وابنها المكرم في السلطة والادارة. والسيدة الحرة أروى ساهمت مع زوجها المكرم وابنها علي بن المكرم ثم انفردت بالسلطة فحكمت اليمن. كذلك وصلت الجواري إلى المساهمة في السلطة من ذلك الجارية (علم) التي تزوجها منصور بن فاتك. فبعد قتل زوجها شاركت ابنها في السلطة. وكانت لها الكلمة المسموعة عند وزراء الدولة النجاحية مثل سرور الفاتكي. كما كان لها سلطة في إدارة الدولة. من ذلك أنها أعفت ابن مهدي من خراج أرضه وأصحابه كما أنه كان يحج في خفارتها الكثير من اليمنيين. وقد أُطلق عليها الحجاجة لكثرة استمرارها في الذهاب الى الحج. كما سبق ذكره.

عادات أخرى:

كذلك وجدت في اليمن عادة تسليف أنواع الحبوب وهي ما تسمى الطعام فكان بعض الناس يتسلفون الطعام (الحبوب) إلى وقت المحصول، ففي أحد السنوات قل المطر في اليمن في بعض جهاتها فاحتاج الناس إلى الطعام فقال أحد الفقهاء في تهامة للناس (من أراد منكم السلف إلى الخير طعام فليأت إلى القرية وكان متوجها إليها فوصلوا إليه وأسلفهم)[70].

ووجدت في اليمن بعض أنواع التسليات منها لعبة الشطرنج فقد كان جياش النجاحي يلاعب الشطرنج الحسين بن علي بن القم الذي كان حينذاك رأس طبقة أهل زبيد في الشطرنج.[71]

كذلك وجدت في اليمن عادات الكرم ومن جملة من شملهم الكرم آل الروية من مأرب

(70) المعلم وطيوط : تاريخ المعلم وطيوط ، مخطوطة رقم 161، دار الكتب المصرية ق: 4أ ، ولم نعثر على اسم القرية، ولكنها كما يبدو شمال تهامة .

(71) عمارة : المفيد ، ص: 205 .

والسخطيون من حمير، ويعفر بن عبد الرحمن في صنعاء من حمير[72] وغيرهم .

ومن ضمن العادات والتقاليد، فقد كانت بعض مناطق اليمن تفضل نظام العرف على غيره من الأنظمة، يوضح ذلك ابن المجاور بقوله:(وجميع عرب أهل هذه الأعمال، الجبال والتهائم إلى حدود الحجاز لا يقبل أحدهم حكم الشرع وإنما يرضون بحكم المنع، ولا شك أنه حكم الجاهلية الذي كانوا يتحكمون به).[73]

5 ـ المأكل والملبس :

أ ـ المأكل: صنع اليمنيون أنواعا مختلفة من الأطعمة، واختلف صنع الطعام من منطقة إلى أخرى، وذلك بحسب ما يتوفر لكل منطقة من المنتجات الزراعية، ففي المناطق الجبلية وخاصة المعتدلة والباردة كانوا كثيراً ما يزرعون بها القمح من البر والعلس والشعير فكان لذلك أغلب أكلهم منها. وفي صنعاء وما حولها استخدم أهلها خبز الرقاق الذي يتصف بالرقة والبياض وهو من البر، وخبز النسول من بر العلس وهو ألطفها خبزاً وأخفها ، والرغيف في صنعاء أغلبه لين ينعطف ولا ينكسر. ولهم ضروب كثيرة من أنواع الخبز، ويستخدمون في همدان ومشرق خولان وجَهْران من الألبان اللبن الرائب وهو أثخن من الزبدة في غير اليمن. وكذلك يستخدمون الزبدة التي تعد بمثابة الجبن الرطب. ولهم أيضا ألوان من الطعام والحلاوة والشربة (مثل ألوان السمائد وألوان اليُقط والكشك الشري وألوان الحلبة ومعقدات الأترج والقرع والجزع وقديد الخوخ والرنج واللـيِّ وغير ذلك) كذلك يوجد بها (الشهد الحضوري الماذي الجامد الذي يقطع بالسكاكين)[74] ومن مأكولات أهل صنعاء وذمار وشبام أيضا الحنطة والحلبة واللحم والشراب الذي لا يقطعونه جميعا صيفا ولا شتاء ضعيفا ولا قوي.[75]

وفي المناطق التهامية والجبلية الحارة يكثر بها زراعة الذرة الشامية والذرة الرفيعة والدخن لذلك يكثر استخدامهم للخبز المصنوع منه. ففي زبيد كانوا يعملون من الدخن والذرة الحفوش والكبان واللحم والفطير يأكلونه باللبن والسمك يسمونه(الملتح) وكذلك يأكلون الجبن والحليب

(72) الهمداني : الاكليل ، جـ 2 ، ص: 64 ، 66 .

(73) ابن المجاور : صفة بلاد اليمن ، ص: 7 .

(74) الهمداني : صفة جزيرة العرب ، ص: 315 ـ 316 ، اللّيّ : الدعبب .

(75) ابن المجاور : صفة بلاد اليمن ، ص: 192 .

والقند.[76]

كذلك يكثر أكل اللحوم في المناطق الجبلية مثل الجند وصنعاء[77] وذي جبلة وصعدة وقد يفضلون نوعا على آخر من ذلك أن أهل صنعاء يفضلون أكل لحم البقر على الضأن السمين[78] وفي بعض مناطق منها قد (يسلق اللحم بالماء والملح ويثرد الخبز ويقلب عليه السمن الكثير فيشرب اللحم المرقة ويفرق جميع اللحم على الثريد). بينما يكثر أكل السمك في مدن السواحل مثل زبيد وعدن والشحر وحضرموت والمنذرية.[79]

وأيضا تنوع استخدام الأطعمة بحسب بداوة المناطق وتمدنها فالمناطق الريفية كانوا يصنعون أكلهم من البر، والذرة والدخن مصحوبا بادام(سبغ) اللبن أو السمن[80] بينما تنوعت الأطعمة في مناطق المدن حيث توفرت لهم اللحوم والأسماك والمواد المجلوبة من الخارج مثل الأرز وأنواع البهارات وأنواع الحلويات .

كذلك اختلف استخدام تناول الأطعمة بين الطبقات المختلفة وذلك بحسب مراكزهم الاجتماعية وثرائهم. فكان رجال الطبقة العليا من الأمراء والوزراء ومن في مستواهم يتناولون أفخر المأكولات وقد يبلغ طول السماط خمسين ذراعا ويكثر عددها إلى أربعة أسمطة.[81]

وقد وصف القلقشندي طعام طبقة أصحاب الثراء وأصحاب السلطة بقوله:(إن لأهل اليمن سيادات بينهم محفوظة وسعادات عندهم ملحوظة ولأكابرها من رفاهية العيش والتنعم والتفنن في المأكل: يطبخ في بيت الرجل منهم عدة ألوان ويعمل فيها السكر والقلوب).[82]

ذلك وصف لمأكولات الطبقة الغنية والحاكمة، بينما كان رجال الطبقة الفقيرة لا يأكلون إلا ما تيسر من الطعام، فكان أهل الحرف من الصيادين والحمالين والزراع يتناولون طعاما بسيطاً حيث كان يشمل طعامهم على فطيرة خبز وقطيب أو رغيف خبز من علس أو بر وقطعة حلاوة

---

(76) ابن المجاور : صفة بلاد اليمن ، ص: 86 .

(77) الهمداني : صفة جزيرة العرب ، ص: 316 .

(78) ابن رستة : الاعلاق النفيسة ، ص: 112 .

(79) ابن المجاور : نفس المصدر ، ص: 86،99،137،222 - 223 ، 253 ، 265 .

(80) الهمداني : صفة حزيرة العرب ، ص: 316 .

(81) الوصابي : تاريخ وصاب ، ص: 58 .

(82) القلقشندي : صبح الاعشى ، جـ 5 ، ص: 7 .

يوضح ذلك ابن المجاور بقوله:(يقول زيد لعمر: ما تَصَبَّحْت اليوم؟ يقول فطير دخن وقطيب أو ملتح وسليط ويقول مضر لجعفر ما تَعَوَّفْت؟ يقول رغيف خبز بر بفلس وقطعة حلاوة بأربعة فلوس فصار المبلغ ستة فلوس، ويقول خالد لزيد: إني أكلت اليوم أكلة تكفيني ثلاثة أيام فطير وحليب وقند شرقي وترفت إلى أن شبعت).[83]

كذلك تنوع استخدام الأطعمة بحسب حاجات الناس لها من حيث المكوث والسفر، فصنعوا الأطعمة التي يستمر بقاؤها وقتا طويلا دون أن يصيبها التلف خبز الملة والكشك والمهادن، والخبز اليابس الذي لا يصيبه التغير حتى يتسنى لهم استخدامه في السفر. كما أنهم جففوا الأسماك واللحوم وأيضا كان لأهل صنعاء طريقة خاصة لحفظ اللحوم بعد طبخه، وذلك أنهم كانوا يطبخون اللحم بالخل وهذه الطريقة عندهم آنذاك كانت تجعل اللحم يمكث أكثر من شهر دون أن يتلف .[84]

وكان المسافرون يأكلون في أسفارهم الخبز الطري والخبز اليابس الذي لا يصيبه التغيير حيث كانوا يأكلون نصف طريقهم الخبز الطري ونصف طريقهم الآخر الخبز اليابس. وكان الخبز اليابس يدق ويطرأ باللبن أو السمن ثم يؤكل.[85]

وكانوا غالبا ما يصنعون خبزهم للأسفار مخلوطا بالسمن لأن السمن اليمني أجود من زيت السمسم. لذلك كانوا لا يصنعون حلوياتهم إلا بالسمن ولا يصنعونها بغيره.[86] وهكذا كانت أنواع المأكولات.

ب ـ الملبس : اختلف لباس الناس في اليمن من منطقة إلى أخرى وذلك بحسب العوامل الطبيعية من حرارة وبرودة وغيره، فكانت ملابس أهل الجبال غير ملابس أهل تهامة. ففي المناطق الجبلية مثل صنعاء والمناطق المجاورة لها كانوا يلبسون لباس الخام ليحميهم من البرودة، ولبسوا لباس(الفتوحي) وهي القمصان الواسعة التي يشد وسطها بحزام[87]. ولبسوا لباس الخز والكتان والرقائق، كما كانوا يلبسون البرود والصوف والمبطنات التي تحميهم من البرودة، ودواويح

---

(83) ابن المجاور : صفة بلاد اليمن ، ص: 86 - 87 .

(84) الهمداني : صفة جزيرة العرب ، ص: 315 - 316

(85) الهمداني : نفس المصدر والصفحات .

(86) الهمداني : نفس المصدر والصفحات .

(87) ابن المجاور . صفة بلاد اليمن ، ص: 188، 192، 253 .

الثعالب - وهو الفراء المدبوغ من جلد الثعلب[88] - كما لبسوا مدارع من صوف[89] وجباب وعمائم[90]. ومع وجود ملابس الشتاء الثقيلة أو الخام ولبسها في صنعاء إلا أنه كما يصف الهمداني قد يلبس الإنسان فيها في الشتاء ملابس الصيف ويلبس في الصيف ملابس الشتاء دون أن يصاب الإنسان فيها بضرر[91]. ولبس أهل صعدة الحرير والقطن.[92]

أما في التهائم فقد لبس فيها الحرير والقطن. ففي زبيد لبسوا الحرير ولبسوا القلنسوات المصنوعة من خوص النخل، ولبس أهل عدن الكتان والعمائم الملس، وسراويل[93]، ولبس في حضرموت القطن [94] ولبس أهل شبام وحضرموت لباسا ذا لون أزرق ومشوا حفاة مكشوفي الرؤوس[95] ولبس أهل ضَنْكان القمصان والأردية، وأهل السرين وحلْي وعثر لبسوا الرداء والأزر[96] أما أهل المخاء فكانوا يأتزرون بإزار واحد يلتف الرجل فيه.[97]

ومع تنوع ملابس أهل اليمن إلا أن الكثير ممن كانوا يعملون في الزراعة كانوا في الغالب يلبسون الإزار بلا قميص إلا القليل[98] وخاصة في موسم الحر. والإزار ثوب يحيط بالنصف الأسفل من البدن[99] كما لبسوا الأردية[100] وهي ما تلبس فوق الثياب كالجبة والعباءة، والثوب يستر الجزء الأعلى من الجسم فوق الإزار.[101]

---

(88) الهمداني : صفة جزيرة العرب، ص: 313 .

(89) يحيى بن الحسين: طبقات الزيدية ، ق: 43 أ .

(90) الهمداني : الدامغة ، ص: 123 .

(91) الهمداني : صفة جزيرة العرب ، ص: 313 ، الدامغة ، ص: 123 .

(92) ابن المجاور : نفس المصدر ، ص: 206 .

(93) ابن المجاور : صفة بلاد اليمن، ص: 68، 136، 139 .

(94) الشيلي : المشروع الروى ، ص: 156 .

(95) ابن المجاور : نفس المصدر ، ص: 253 .

(96) حمد الجاسر: كتب المنازل من روافد الداسات عن جغرافية جزيرة العرب،مصادر جزيرة العرب: 231/1

(97) المقدسي : أحسن التقاسيم ، ص: 100 .

(98) المقدسي : أحسن التقاسيم، ص: 99 .

(99) المعجم الوجيز ، ص: 15 .

(100) حمد الجاسر : نفس المرجع والصفحة .

(101) المعجم الوجيز، ص: 261 .

وكان الناس في اليمن مثل غيرهم في البلاد الاسلامية يلبسون الملابس بحسب ثرائهم وحالتهم الاجتماعية والسياسية ونوع عملهم. فكانت ملابس الأمراء والحكام غير ملابس الرعايا والجند فمثلا لبس المعز إسماعيل الأيوبي ملابس الخلفاء وهي عبارة عن قمصان بأكمام طويلة واسعة طول الكم عشرة أذرع أو ثمانية أذرع وتسمى الثمانية أو العشارية نسبة إلى طول الأكمام فيها، بحيث يرسل الملك أو الخليفة كمه فيقبل الناس كمه بدلا من يده[102] كما كان لأصحاب الحرف والمهن ملابس خاصة تتناسب ونوع عملهم وهكذا، ووجدت ملابس خاصة بالسلاطين وملابس خاصة بالمزارعين أو الدباغين وغيرهم، فمثلا عندما ذهب علي بن محمد الصليحي إلى (حيس) لبس ملابس سلاط[103] ليخفي مظهره الأميري حتى لا يتعرف عليه الناس الذين يعرفونه فيظهر أمره قبل تحقيق مطلبه .

واختلفت ملابس أهل المدن عن ملابس أهل البادية فغالبا ما يسود أهل المدن الترف ورغد العيش فيتأنقون في ملابسهم. فمثلا كان أهل مدينة زبيد يظهرون بالملابس النظاف[104] وأهل مدينة صنعاء يظهرون بأزياء حسنة[105] لأن أهل المدن عادة ما تتمركز بها أغلب أعيان الدولة وموظفيها، وأهل الثراء من التجار والملاك وغيرهم، حيث وجدت لديهم أنواع الملابس الجليلة على اختلاف أصنافها[106] .

أما أهل البادية فملابسهم غير ملابس أهل المدينة، لأن أغلب أهل البادية كانوا من الزراع أو رعاة الماشية لذلك كانت ملابسهم بسيطة كبساطتهم وغالبا ما كانت تشتمل على إزار[107] وستره أو مدرعة .

وفي نطاق تجهيز الملابس كان يوجد في اليمن أسواق لخياطة أنواع الثياب، فقد أمر علي بن محمد الصليحي بثياب كثيرة جدا فخاطوها قمصانا صغارا وكبارا ثم فرقها على الأيتام

---

(102) الخزرجي : العسجد المسبوك، ص: 174 ، محمد عبدالعال أحمد : الأيوبيون في اليمن، ص: 155 ، هـ7.

(103) عمارة : المفيد ، ص: 100 .

(104) ابن المجاور : صفة بلاد اليمن، ص: 7 .

(105) الخزرجي : نفس المصدر ، ص: 151 .

(106) عمارة : المفيد ، ص: 234 .

(107) المقدسي : أحسن التقاسيم ، ص: 99 .

والأرامل وفقراء المسلمين.(108)

أما نساء اليمن فقد لَبسن الملابس الجليلة على اختلاف أنواعها. ومن ملابسهن (الفتوحي) الذي لبسته نساء المسلمين، فقد كان يلبسه في بغداد وحضرموت وصنعاء وعموم اليمن، كما لبست نساء اليمن فاخر الحلل (109)، ولبسن الخلع واللجاع . والعبلات(العباءات) ولبسْن القناع، وكانت الجواري في عدن عندما يعرضن للبيع يشد وسطهن بمئزر.(110)

وفي نطاق التزين بالجوهرات لبستْ نساء اليمن أنواع الجوهرات مثل الخلخال والدُّمْلج والحجل(111) ، وأنواع المصوغات واللؤلؤ واليواقيت الفاخرة.(112)

كذلك تزينت نساء اليمن بأنواع الزينة فكن يتعطرن ويتكحلن، وكانت نساء حضرموت يظفرن شعر رؤسهن ويربطن شعرهن وسط رؤوسهن ويسمونه(الطُّرْطُر) ومثل ذلك يفعل الكثير من نساء اليمن. كذلك كانت نساء المحاليب شمال زبيد يطولن شعرهن ويربينه منذ الطفولة حتى الكبر، فيضفرنه ضفرا ملاصقا وهو ما يسمى(دبوقة) ويدهنّه ويسرحنه ويغسلنه بالسدر والطين.(113) وهكذا كان تنوع الملبوسات في اليمن.

العمران :

تعددت المنشآت المعمارية في اليمن في فترة البحث وفقا لأغراضها الدينية من بناء مساجد ومدارس، أو أغراضها المدنية من بناء قصور ومنازل، أو أغراضها الحربية من بناء الحصون والقلاع.(114)

وفي موضوعنا هذا سوف لا نستعرض فنون العمارة المختلفة من زخرفه ونقوش كما لا نتابع تأثراتها المتنوعة، فهذه لها دراسة أخرى ليس هنا مجالها . وإنما سنهتم بالفترات التي انشئت بها

(108) يحيى بن الحسين : طبقات الزيدية ، ق: 47 ب ، 48 أ .

(109) عمارة : نفس المصدر والصفحة .

(110) ابن المجاور: صفة بلاد اليمن، ص: 145 ، 189 ، 253 .

(111) ابن المجاور : صفة بلاد اليمن ، ص: 136، 145 .

(112) ابن المجاور : نفس المصدر ، ص: 136 .

(113) ابن المجاور : نفس المصدر، ص: 56، 136، 253، المحاليب بليده وناحية دون زبيد من أرض اليمن مراصد الاطلاع، جـ 3، ص: 1132 .

(114) انظر. د. مصطفى شيحة : مدخل إلى العمارة والفنون الاسلامية في ج.ع.ى، ص: 17 - 19 .

هذه المنشآت والأشخاص الذين ساهموا في بنائها أو تجديدها .

فالعمارة في اليمن تأثرت بعوامل البيئة من حرارة وبرودة واعتدال، فمثلا في المناطق الباردة كانت الغرف مفتوحة إلى حجرى مغطى، بينما في المناطق الحارة كانت الغرف مفتوحة إلى حجرى مكشوفة وكانت المنازل فسيحة.[115]

كما بنيت العمارة حسب توفر المادة الخاصة بها لكل منطقة في اليمن . فمثلا بنيت صنعاء بالحجر والرخام المنحوت والمنجور[116] بالإضافة إلى الآجر والجص.[117] بينما تهامة مثل السرين وحلي بن يعقوب بنيت بالخشب والحشيش، أما زبيد نفسها فقد كان أغلب بناؤها بالآجر.[118]

وكانت الأخشاب من أهم ما اعتمدت عليه العمارة في اليمن، حيث كانت تجلب من أودية كثيرة من اليمن منها: وادي ذُو آل ، ووادي نبع ، ووادي رَيمان، ووادي عرم، ووادي جابية المداراة ومن وادي زَبيد سخمل والفائشي ووادي نَخْلة ومن أودية الشام وادي رِمَاع، ووادي الكَدْرَاء ، ووادي سُرْدُد ، ووادي مَوْر.[119] وسنتحدث عن إهتمام الحكام في بناء المدن والمساجد والمدارس والقصور والحصون والطرقات.

أولاً : المدن .

بناء المدن من أهم مرتكزات قيام الدولة في العصور المختلفة ومنها العصر الإسلامي حيث اختطت المدن كعواصم أو مستقرات لحكومات متعددة، وقد كان بناء المدن في اليمن في الفترة الإسلامية لنفس الغرض، فعن مدينة زبيد يوضح المقدسي أنها (قصبة تهامة.... ومستقر ملوك اليمن) وعن عدن فهي (فرضة اليمن) وصنعاء (قصبة نجد اليمن)[120].

---

(115) ابن المجاور : صفة بلاد اليمن ، ص: 119 - 200 .

(116) ابن بطوطة : رحلة ابن بطوطة ، ص: 251 .

(117) عبد الله يوسف الغنيم: جزيرة العرب من كتاب الممالك والمسالك للبكري، ص: 134، حمد الجاسر: كتب المنازل من روافد الدراسات عن جغرافية جزيرة العرب، مصادر جزيرة العرب، جـ1 ،ص:231 .

(118) المقدسي : أحسن التقاسيم ، ص: 84.

(119) ابن المجاور : صفة بلاد اليمن ، ص: 63 .

(120) المقدسي : أحسن التقاسيم ، ص: 84 - 85 .

وكان يبنى في المدينة العديد من القصور[121] للأمراء والحكام وحواشيهم والعديد من المساكن للجند[122] ودور للإمارة[123] يقيم بها الجهاز الإداري من قضاة وعلماء وكتاب، كما يقام بها بيوت الأموال ومساجد وجوامع وأسواق ودكاكين وحمامات وآبار وغيره[124] بالإضافة إلى دور الصناعة[125] وسك العملة [126] .

وكانت المدن تخطط على شكل أحياء أو دروب يسكنها الناس مجتمعين على اختلاف طبقاتهم[127] أو متوزعين على شكل تجمع قبلي[128] أو توزيع طبقي.[129]

وكانت المدن تحصن بأسوار حولها، منها دائري كما هو في زبيد[130]. ومنها ما يناسب ظروف البيئة المحاط بها المدينة مثل عدن، والهدف من وراء ذلك حماية رجالات الدولة والجند وحماية بيت المال والتجار والموظفين وغيرهم. وكانت الأسوار تبنى حول المدينة عالية بحيث لا يستطيع العدو اختراقها بسهولة . كما كان يضاف عدة أسوار جديدة إلى المدينة في حالة توسيعها مثل زبيد. وكان يوضع على الأسوار عدة أبواب ضخمة بالإضافة إلى أبراج للمراقبة وحراس منوابين[131] كما سيتضح ذلك كله فيما سيأتي .

فالمدن اليمنية التي نستعرض الحديث عنها تشكل ثلاثة أنواع من المدن، النوع الأول مدن أنشئت منذ زمن قديم وجرى عليها التجديد والاصلاح عبر فتراتها الزمنية حتى فترة البحث مثل مدينة صنعاء وعدن. ومدن أنشئت في الفترة الإسلامية استمر التجديد عليها وترميمها من قبل

---

(121) عمارة : المفيد ، ص: 119، 207 .

(122) ابن المجاور : صفة بلاد اليمن ، ص: 74 .

(123) عمارة : المفيد ، ص: 120 .

(124) ابن المجاور : نفس المصدر ، ص: 130 .

(125) الإدريسي : نزهة المشتاق ، جـ 1 ، ص: 55 .

(126) الخزرجي : العسجد المسبوك ، ص: 114 ، 115 .

(127) ابن الديبع : قرة العيون ، ص: 357 .

(128) مسلم اللحجي : تاريخ مسلم اللحجي ، ص: 18 .

(129) ابن بطوطة : رحلة ابن بطوطة ، ص: 249 .

(130) الخزرجي : العسجد المسبوك ، ص: 97 .

(131) ابن المجاور : نفس المصدر ، ص: 74، 130 .

الحكام المتعاقبين عليها حتى فترة البحث مثل مدينة الجند وزبيد وصعدة. وأخيراً مدن أنشئت في فترة البحث مثل مدينة ذي جبلة ومدينة المنصورة .

النوع الأول : مدن قديمة .

1 ـ مدينة صنعاء : تعد مدينة صنعاء من أقدم مدن اليمن، يصفها ابن رسته بقوله :(وهي مدينة كثيرة الأهل طيبة المنازل بعضها فوق بعض إلا أنها مزوقة أكثرها بالجص والآجر والحجارة المهندمة فمنها ما أساسها من الجص والآجر، وسائرها حجارة مهندمة حسان وبعض أراضي بنائها الجص والآجر وبعضها بالجص وأكثر سطوحها مفروشة بالحصا لكثرة أمطارها)[132].

كما يضيف ابن رسته عن عمارة صنعاء أنه على ضفتي طريق السيل الذي يخترق صنعاء أقيمت(قصور مبنية من الجص والآجر والحجارة وعامة هذه القصور للدباغين)[133] . وفي عهد علي بن محمد الصليحي عندما استولى على صنعاء جعلها مقر حكمه، فبنى بها عدة قصور، إلا أن هذه القصور أهملت بعد أن انتقلت عاصمة الصليحيين إلى ذي جبلة في عهد المكرم، فتهدمت هذه القصور. وقد حكى محمد بن بشارة وهو من أهل صنعاء وذلك سنة 535هـ/1140م أنه لم يدرك قصور الصليحي إلا وهي متهدمة، وأن الناس لازالت تبنى من أنقاضها دوراً منذ أن تهدمت حتى وقته سنة535هـ[134] كما بنى في صنعاء العديد من الحمامات[135] وعن مياه أهل صنعاء فهم يفضلون مياه الآبار للشرب على العيون الجارية.[136]

أما عن سور صنعاء فيذكر ابن رسته أنه لم يكن لها سور في القديم. والذي بنى السور بها هو حاكمها آنذاك وذلك بعد فتنة ابن يعفر[137] (ت. 322هـ) وفي عهد علي بن محمد الصليحي أدار حولها سورا بالحجر والجص ووضع عليه سبعة أبواب[138] وفي عهد طغتكين الأيوبي تمت

---

(132) ابن رسته : الاعلاق النفيسة ، ص: 109 .

(133) ابن رسته : نفس المصدر ، ص: 110 .

(134) عمارة : المفيد ، ص: 119 ـ 120 .

(135) الرازي : تاريخ مدينة صنعاء ، ص: 114 .

(136) ابن رسته : الاعلاق النفيسة ، ص: 111 .

(137) ابن رسته : نفس المصدر ، ص: 110 .

(138) ابن المجاور : صفة بلاد اليمن ، ص: 179 .

الاعادة لسورها.[139]

وكان تخطيط مدينة صنعاء على شكل دروب توزع السكان بها قبليا حيث سكنت كل درب فيها قبيلة معينة، أوضح ذلك مسلم اللحجي بقوله:(وكانت صنعاء فيما بلغني دروبا مقسمة بين همدان وأعلاهم يومئذ آل الضحاك وآل حماد وآل دينج)[140] وقد تنازعت عدة قبائل حول السلطة على صنعاء عن ذلك قال ابن عبد المجيد:(وأقامت الفتنة على صنعاء بين همدان وخولان وحِمْير والأبناء وبني شهاب في كل شهر أمير، وعليهم رئيس وفي أكثر أوقاتها خالية من السلطان).[141]

2 ـ عدن : تعد عدن أهم فرضة في اليمن وهي مدينة قديمة يصفها القلقشندي بأنها(لم تزل بلد تجارة من زمن التبابعة إلى زماننا)[142] ويصفها المقدسي بأنها كثيرة القصور[143]. وقبيل عهد الزريعيين كان أهل عدن يسكنون على ذروة الجبل الأحمر وحُقّات وجبل المنظر وعندما هاجم عدن جند الجاشو من أهل جزيرة كيش(قيس) بغرض القضاء على ميناء عدن أيام سبأ بن زريع. وبعد انتصار الزريعيين على جند جزيرة قيس نزلوا هم وغيرهم من ذروة الجبال والحصون وسكنوا وادي عدن. وبنوا فيها الدور الجميلة بالحجر والجص. وهم كما يصف ابن المجاور أول من بنى الدور بالحجر والجص وذلك بعد أن ظهر لهم المقلع الذي يقطعون به الحجارة ، وأول من أظهر المقلع أبو الحسن علي بن الضحاك الكوفي ثم كثرت بعد ذلك المقالع في جبل عدن. وكان يجلب الحجر قبل وجود المقلع من أعمال أبين.[144]

وفي العهد الأيوبي في اليمن ازداد النشاط التجاري في عدن فبنى عثمان الزنجبيلي نائب تورانشاه الأيوبي على عدن قيصارية للتجار، كما بنى بها الأسواق والدكاكين، كذلك بنى بها الملك المعز إسماعيل بن طغتكين أو العزيز طغتكين بن أيوب قيصارية جديدة للعطارين جميعها

---

(139) ابن الديبع : قرة العيون، ص: 395 ، بامخرمة : ثغر عدن ، ص: 133 .

(140) مسلم اللحجي : تاريخ مسلم اللحجي ، ص: 18 .

(141) ابن عبد المجيد : بهجة الزمن ، ص: 64 .

(142) القلقشندي : صبح الأعشى ، جـ 5 ، ص: 11 .

(143) المقدسي : أحسن التقاسيم ، ص: 85 .

(144) ابن المجاور : صفة بلاد اليمن ، ص: 125 ـ 126 .

دكاكين بالباب والقفل تقفل بالليل وجددها المعتمد رضي الدين محمد بن علي التكريتي نيابة عن الملك المسعود الأيوبي.[145] كذلك بنيت في عدن حمامات عديدة إلا أنها رديئة كما يصفها المقدسي لأنهم يجلبون إليها الماء من على بعد مرحلة من عدن. لعدم وجود الماء بها لأن آبار عدن نفسها كانت آبار مالحة.[146]

ونتيجة لازدياد النشاط التجاري بعدن إزداد استقرار السكان بها فاستوطنها الكثير من الناس من كل مكان وبنوا فيها الدور والقصور، كما بنوا المساجد وأقاموا المنابر وحفروا الآبار، وبنو الحمامات وقد رجح ابن المجاور أن سبب إزدياد بناء عدن كان بسبب خراب فرضة أبين نتيجة لقدمها فانتقل التجار من أبين إلى عدن فبنيت المدينة وكثرت بها العمارة.[147]

وعن صهاريج عدن فقد ذكر ابن المجاور أن بداية بنائها كان في عهد الفرس في اليمن عند بئر زعفران، إلا أنها تخربت فبنيت ثانية في عهد بني زريع في نفس المكان على يمين الدرب في لحف الجبل الأحمر وكانت هذه الصهاريج تقوم بعملية خزن مياه الأمطار عند هطولها على جبل عدن.[148]

أما عن سور عدن فقد كانوا يهتمون بتسوير الجهة المطلة على البحر وهي الجهة الشرقية ذلك لأن عدن تحيط بها الجبال من جميع جهاتها عدا تلك الجهة المطلة على البحر، فعن تسويرها ذكر المقدسي أنه أقيم لعدن سور في جهة البحر من الجبل إلى الجبل ووضعوا فيه خمسة أبواب[149] وفي عهد بني زريع أداروا سورا مكان السور الأول من حصن جبل الأخضر إلى جبل حُقّات إلا أن هذا السور تهدم وارتدم لضعفه من دوام الموج عليه، فأقيم مكانه سور مشبك من القصب، وفي العهد الأيوبي أداروا سورا حول المدينة كلها من ساحل البحر ومن رؤوس الجبال بالحجر والجص فبنى عثمان الزنجبيلي التكريتي سورا على جبل المنظر إلى آخر جبل العُر ووضع عليه باب حقات ثم أداروا سورا ثانيا على الجبل الأخضر من حصن الأخضر إلى التعْكر (جبل جديد)

---

(145) ابن المجاور: نفس المصدر، ص: 130 ، بامخرمة: ثغر عدن ، ص: 254، ترجمة المعتمد انظر بامخرمة: ثغر عدن ، ص: 254 .

(146) المقدسي : أحسن التقاسيم ، ص: 85 .

(147) ابن المجاور : صفة بلاد اليمن ، ص: 130

(148) ابن المجاور : نفس المصدر ، ص: 132 .

(149) المقدسي : أحسن التقاسيم ، ص: 85 .

وأذار سورا آخر على الساحل من الصناعة إلى جبل حقات وركب عليه ستة أبواب هي : باب الصناعة، باب حومة، باب السكّة ، وباب الفرضة وباب مشرق، وباب البر.[150]

النوع الثاني : مدن أنشئت في العصر الإسلامي وهي .

1 ـ الجند : بنيت مدينة الجند عندما قدم الصحابي الجليل معاذ بن جبل رضي الله عنه إلى اليمن مرسلاً من قبل الرسول صلى الله عليه وسلم، وعندما تولى أمر اليمن سيف الإسلام طغتكين بن أيوب أدار عليها سورا من الحجر والجص وأعلاه بالطين واللبن سنة 593هـ/1197م (وركب على السور خمسة أبواب هي باب المنصورة، وباب الحديد بناه الملك المسعود يوسف بن محمد بن أبي بكر، وباب الأقطع، وباب السر ، ينفذ إلى باب البستان) كما بنى القصور والبساتين والمساجد.[151]

2 ـ زبيد: كانت بداية تخطيط مدينة زبيد عندما تقلد أمر تهامة ابن زياد من قبل الخليفة المأمون العباسي سنة 204هـ / 819م وكانت مستديرة الشكل يوضح ذلك الخزرجي بقوله:(وهي مدينة مدورة الشكل عجيبة الوضع على النصف فيما بين البحر والجبل)[152]. وكان سورها مبنيا بالطين وبه عدة أبواب وعدة حصون، يوضح ذلك المقدسي بقوله:(عليها حصن من الطين بأربعة أبواب: باب غُلافقة ، وباب عدن ، وباب هشام، وباب الشبارق)[153] ثم حدث أن بنيت عدة أسوار لزبيد في عهودها المختلفة فأول من قام ببناء سور لها بعد سورها القديم الحسين بن سلامة ثم أدار النجاحيون سورا آخر أداره مَنُّ الله الفاتكي وزير الأمير منصور بن فاتك بن جياش النجاحي(503 ـ 521هـ/ 1109 ـ 1127م) واستمرت عملية بناء السور لمدينة زبيد في عهد بني مهدي، حيث أدار عليها سورا ثالثا وفي عهد الملك سيف الإسلام طغتكين الأيوبي(579 ـ 593هـ/1183 ـ 1197م) أداروا سورا على مدينة زبيد بناه بالطين واللبن في عرض عشرة أذرع ووضع عليه أربعة أبواب هي باب غُلَافقة، وباب سِهَام، وباب الشُبارق، وباب القُرْتُب[154] كما وضع على السور

---

(150) ابن المجاور: صفة بلاد اليمن ، ص: 128 .

(151) ابن المجاور: صفة بلاد اليمن ، ص: 163 ـ 164 .

(152) الخزرجي: العسجد المسبوك، ص: 97 ، طاهر مظفر العميد : بناء مدينة زبيد في اليمن ، ص: 340 ، 343 .

(153) المقدسي : أحسن التقاسيم، ص: 84 ، ذكر في النص باب هشام والكن الذي يبدو أنه باب الشام .

(154) ابن المجاور: صفة بلاد اليمن، ص: 73 ـ 74، الخزرجي : العسجد المسبوك، ص: 101، ابن الديبع: قرة العيون، ص: 331، طاهر مظفر العميد: نفس المرجع ، ص: 353 .

عدة أبراج ذكرها ابن المجاور بقوله:(عددت أبراج زبيد فوجد بها مائة برج وتسعة أبراج، بين كل برج وبرج ثمانين ذراعا، ويدخل في كل برج عشرون ذراعا)[155]. وجعلوا على تلك البروج والأبواب حراسا مناوبين[156]. وبجانب ذلك السور ترك طُغتكين مساحة من الأرض ثم أدار سورا آخر بناه بالطين واللبن ذا طول كبير وسعة في العرض. وذلك لاسكان الجند فيما بين السورين بأموالهم ودوابهم، فلما فرغ من بناء السور توفي[157] قبل أن يسكن الجند به فسكنوا في عهد ابنه المعز إسماعيل بن طغتكين.

وكان الغرض من بناء مدينة زبيد لتكون مركزا للدولة محصنة من أي مخاطر عليها يستوطنها الحكام، ويوضح ذلك الخزرجي بقوله:(فجعلها ابن زياد دار ملكه ومستقر إقامته)[158].

وعن العمارة داخل مدينة زبيد فقد بنيت بها العديد من العمائر وكان (أكثر بنيانهم بالآجر ومنازلهم فسيحة) كما بنيت بها الأسواق إلا أنها ضيقة كما يصفها المقدسي، وبنى بها جامع نظيف بعيداً عن الأسواق وأيضا بنيت بها الحمامات النظيفة واستخرجت بها الآبار الحلوة.[159]

3 ـ صعده : كانت صعده مدينة قديمة خربت وتأسست كمدينة جديدة في عهد الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين حين قدم إليها وسكنها منذ عام 280هـ/ 893م فسكنت معه الكثير من الناس، فلما كثر السكان بها بنى أحد التجار مسجدا بها كما بنيت بها الأسواق والدور.[160]

وكان تخطيط المدينة على شكل أربعة دروب مدارة بالمدينة وهي الدرب العتيق ودرب القاضي، ودرب العز، بني في أيام سيف الإسلام طغتكين بن أيوب، ودرب القاضي ابن زيدان وحول هذه الدروب الأربعة أدير السور وركب في السور عدة أبواب هي باب الدرب العتيق ، وباب علي بن قاسم، وباب درب العز ، وباب درب القاضي ابن زيدان، وباب حوث ، أما درب الامام فقد كان منفرادا لوحده وخارجا عن الأربعة الدروب لم يسكنه إلا الامام وعترته، أما أهل

---

(155) ابن المجاور : صفة بلاد اليمن ، ص: 74 .

(156) الخزرجي : العسجد المسبوك ، ص: 102 .

(157) ابن المجاور : نفس المصدر والصفحة .

(158) الخزرجي : نفس المصدر ، ص: 97 .

(159) المقدسي : أحسن التقاسيم ، ص: 84 - 85 .

(160) ابن المجاور : صفة بلاد اليمن ، ص: 204 - 206 .

المدينة فلم يخالطهم. وعن شرابهم فقد كانوا يشربون من الأنهر الصغيرة والأعين.[161]

النوع الثالث : مدن أنشئت في زمن البحث وهي:

1 ـ مدينة ذِي جِبْلَة: كان بداية اختطاط مدينة ذي جبلة في عهد الصليحيين اختطها عبد الله بن علي الصليحي سنة 458هـ/1065م حينما ولاه أخوه علي الصليحي على حصن التعْكُر وأعمال ذي جبلة. وفي عهد المكرم أحمد وزوجته السيدة الحرة أصبحت ذي جبلة مقر حكم الصليحيين وعاصمتهم منذ عام 467هـ/1075م حيث اختط كل منهما دارا له سميت كل دار بدار العز، كما بنت السيدة الحرة فيها المسجد الجامع، بالإضافة إلى بناء حائط يطل على منبعين للمياه فيه بستان به أنواع كثيرة من الأشجار.[162]

2 ـ تَعِزّ : عندما قدم توران شاه الأيوبي إلى اليمن سنة 569هـ/1174م اختط مدينة تعز، وجعلها مقر حكمه[163] ثم أصبحت بعد ذلك عاصمة ملوك اليمن. وكان تخطيطها على شكل أحياء سكنية سكنها الناس بشكل طبقي، يصفها ابن بطوطة بقوله:(فتوجهنا إلى مدينة تعز حضرة ملك اليمن، وهي من أحسن مدن اليمن وأعظمها.. وهي ثلاث محلات: إحداها يسكنها السلطان ومماليكه وحاشيته وأرباب دولته، وتسمى باسم(المعزية) والثانية يسكنها الأمراء والأجناد وتسمى عدينة، والثالثة يسكنها عامة الناس وبها السوق العظمى وتسمى المحاليب).[164]

3 ـ مدينة المنصورة: وفي العهد الأيوبي بنى سيف الاسلام طغتكين مدينة المنصورة قبلي الجند سنة 592هـ/1195م كما بنى فيها قصرا كبيراً له وبيوتا للعساكر وحمامات[165] كذلك زرع بها أنواع المزروعات جلبت من أماكن متعددة.[166]

المساجد: اهتم الأمراء والحكام ببناء المساجد والجوامع الكبيرة اهتماما غير عادي في جميع العهود الإسلامية في اليمن، لأن بناء المساجد يعد أحد دعائم السلطة السياسية والدينية،

---

(161) ابن المجاور : صفة بلاد اليمن، ص: 204 ـ 206 .

(162) عمارة : المفيد، ص: 139 ، 142 .

(163) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون، جـ 5 ، ص: 648 .

(164) ابن بطوطة : رحلة ابن بطوطة، ص: 249 . زار ابن بطوطة تعز في عهد الدولة الرسولية.

(165) الخزرجي: العسجد المسبوك ، ص: 168 .

(166) انظر، ابن المجاور : صفة بلاد اليمن ، ص: 265 .

وإلى جانب كون المساجد مكان عبادة لجميع الناس يستخدم أيضا كمكان لتدريس العلوم وخاصة العلوم الدينية. كما جرت العادة أن يدعى في الخطبة للأمراء والحكام تعبيرا عن الطاعة والولاء لمن يدعى له .

ونجد أن هناك نوعين من عمارة المساجد في اليمن أحدهما مساجد بناها الأمراء والحكام وكان في الغالب لكل أمير مسجداً خاصا بناه باسمه والآخر جوامع كبيرة بنيت في فترات مختلفة وظلت ترمم وتجدد ويضاف إليها الزيادات من قبل أغلب الحكام. ومن أهم الجوامع التي رممت وعمل عليها الإضافات والزيادات الآتي :

جامع الجند: يعتبر جامع الجند أحد الجوامع الأولى التي بنيت في اليمن في فترة مبكرة من الإسلام فيعود بناؤه إلى فترة وجود الصحابي الجليل معاذ بن جبل رضى الله عنه حين بعثه الرسول صلى الله عليه وسلم سنة تسعة للهجرة[167] ولا خلاف في أن الذي بنى جامع الجند هو معاذ بن جبل[168]. وقام بإعادة تجديده الأمير الحسين بن سلامة[169] حيث قام بتجديد المقدم والجناحين ، أما المؤخر فقد بناه بعض القضاة من وفر المسجد[170]، وفي عهد المفضل بن أبي البركات الحميري أعاد تجديد المسجد سنة 480هـ/1087م بالحجر المنقوش واللبن المربع. ولما دخل ابن مهدي إلى مدينة الجند، قام بإحراق الجامع بالحجة التي يوضحها ابن المجاور عن ابن مهدي حينما سأله الناس عن سبب إحراق الجامع رد عليهم بقوله:(قد استوجب النار، قيل: ولم؟ قال: لأنه قد خطب على منبره الإسماعيلية يعني ملوك بني زريع ولاة عدن، فهم أنجاس ينجس الجامع بذكرهم وكل من هو نجس طهر وقد طهرناه بالنار).[171] ثم أعاد بنائه.

وفي العهد الأيوبي أعاد بناء مسجد الجند سيف الإسلام طغتكين وقد(رفع أسقفه بالآجر

---

(167) ابن المجاور: صفة بلاد اليمن، ص: 165، د. مصطفى شيحة: مدخل إلى العمارة الإسلامية في الجمهورية العربية اليمنية، ط 1 ، 1407هـ/1987م ، ص: 37 .

(168) الخزرجي : العسجد المسبوك ، ص: 14 .

(169) ابن المجاور : صفة بلاد اليمن ، ص: 165 .

(170) الجندي : السلوك، جـ 2 ، ص: 496 .

(171) ابن المجاور : نفس المصدر، والصفحة، د. مصطفى شيحة: مدخل إلى العمارة والفنون الإسلامية في ج.ع.ى، ص: 28 .

والجص بعد أن ذَهَّبه) وفي دولة الملك الناصر بن طغتكين أجراه بالذهب واللازورد سنة 603هـ/ 1206م[172].وبنى الأتابك سنقر للجامع الصفين والجناحين والمؤخرة[173] كذلك أمر الملك المسعود بإعادة تجديد الأروقة الثلاثة الشرقية والغربية والجنوبية فأكمل في عام 626هـ/ 1128م [174].

جامع صنعاء: أما جامع صنعاء الذي بنى بالحجر والجص[175] فقد اختلفت الأخبار والروايات فيمن بدأ بناءه فيقال إن أول من بناه هو وبر بن يحنس الصنعاني بأمر من رسول الله صلى الله عليه وسلم حين ولاه على صنعاء سنة ست للهجرة، حيث أمره أن يبني حائط بأذان مسجدا وقيل الذي بناه في نفس المكان، بأمر من رسول الله صلى الله عليه وسلم فروة بن مسيك المرادي، أو أبان بن سعيد أو المهاجر بن أمية الذين تولوا أعمال صنعاء في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وعهد أبي بكر رضى الله عنه[176] والذي يبدو أن بناء المسجد كان بعد العام الثامن للهجرة وهو بعد الفتح الإسلامي لمكة وأن بناءه كان على شكل مسجد صغير أما الجامع بشكله المتسع فقد كان بناؤه متأخراً حيث استمرت الاصلاحات والزيادات للجامع في مراحل كثيرة.

ففي العهد الأموي أمر الخليفة الوليد بن عبد الملك واليه على صنعاء أيوب بن يحيى الثقفي أن يزيد في الجامع فزاد فيه من الجهة القبلية[177]. وجدد في عهد الخليفة المهدي العباسي، وعُمِّر بعد خرابه بالسيل في عهد بني يعفر، كذلك أصلح الحسين بن سلامة الجامع أواخر القرن الرابع الهجري، وفي عهد السيدة الحرة أروى بنت أحمد الصليحية عملت على إصلاح زيادة في الجناح الشرقي للجامع سنة 525هـ/1130م، وفي العهد الأيوبي أمر الأمير وردشار والي صنعاء للأيوبيين بعمارة المنارة الغربية سنة 603هـ/1205م ، كما أمر بناء المطاهير وبئر بالجامع والبركة ومجرى من البئر إلى المطاهير.[178]

---

(172) ابن المجاور : نفس المصدر ، ص: 165 - 166 .

(173) ابن الديبع : قرة العيون ، ص: 409 .

(174) د. مصطفى سيحة : مدخل إلى العمارة والفنون الإسلامية في ج.ع.ى، ص: 38 .

(175) ابن رسته : الاعلاق النفيسة ، ص: 110 .

(176) الرازي : تاريخ مدينة صنعاء، ص: 75 ـ 82 ـ ابن عبد المجيد : بهجة الزمن، ص: 20 ، الخزرجي : العسجد المسبوك، ص: 14 ، الحجري : مساجد صنعاء، بيروت، ط2، 1398هـ ، ص: 23 - 24 .

(177) الرازي : نفس المصدر، ص: 85، 214 .

(178) الحجري : مساجد صنعاء ، ص: 23 - 28 .

جامع زبيد: وفي زبيد بنيت عدة جوامع فيها، منها جامع زبيد الذي يرجع تاريخه إلى بداية نشأة مدينة زبيد عند بداية الدويلات المستقلة. وفي عهد القائد الحسين بن سلامة(ت. 426هـ/1034م) قام بتجديد جامع زبيد بالإضافة إلى عدة جوامع أخرى بها. وفي عهد النجاحيين جددوا عمارة جامع زبيد المسمى الجامع القديم، وعندما تولى الحكم فيها بنو مهدي (554 ـ 569هـ/ 1159 ـ 1174م) أهملوا الجامع المذكور ومنعوا إقامة الخطبة فيه وبنوا جامعاً في زبيد سمي بالمشهد[179].

وعندما قدم الأيوبيون إلى اليمن أمر توران شاه بخراب جامع ابن مهدي وتجديد عمارة جامع زبيد المسمى القديم فبدأت العمارة فيه سنة 573هـ/1177م في عهد المبارك بن منقذ نائب توران شاه على زبيد الذي جدد مقدمة الجامع ، وأكمل بناء المؤخرة والجناحين الشرقي والغربي والمنارة سيف الإسلام طغتكين بن أيوب.[180]

ومن المساجد الأخرى التي بنيت أيضا في اليمن المسجد الجامع الذي بنته السيدة الحرة. بجوار دارها بذي جبلة[181]. وبنى عمران بن محمد بن سبأ الزريعي منبراً جميلا ونفيسا في جامع عدن[182] كما بنى عثمان الزنجبيلي مسجدا بعدن، وبنى سيف الدين سنقر جامع المعزية بتعز وأصلح منبره وبنى جامع خنفر في أبين[183]. كذلك بنى جوهر المعظمي جامع عمق بالصلو وبنى جامعا في منطقة(معبرة من بلاد الأشعوب، وجامعا ثالثا في منطقة الخناخن)[184]. وبنى المبارك بن منقد مسجد المناخ في زبيد[185]. وهناك العديد من الجوامع والمساجد الأخرى التي بنيت في اليمن.[186]

قصور: يصف ابن المجاور(601 ـ 690هـ)(1204 ـ 1291م) منازل أهل اليمن في كثير من جهاتها بقوله:(وبناء دورهم مربعة كل دار وحدها طبقتين الأسفل منهما مخازن والأعلى منهما

---

(179) ابن الديبع : قرة العيون ، ص: 385 .

(180) ابن الديبع: قرة العيون، ص: 386، بغية المستفيد ، ص: 75 .

(181) عمارة : المفيد، ص: 142 .

(182) الخزرجي : العسجد المسبوك، ص: 95، ابن الديبع : قرة العيون، ص: 319 .

(183) الخزرجي : نفس المصدر، ص: 178، ابن الديبع: نفس المصدر، ص: 409 .

(184) الجندي : السلوك ، جـ 1 ، ص: 444 .

(185) ابن الديبع : بغية المستفيد، ص: 70 .

(186) في الغالب كان تخطيط المسجد الجامع على شكل مستطيل يتوسطه فناء مكشوف وبه أربعة أروقة =

مجالس، وبناؤهم بالحجر والجص والخشب والملج والجص)[187] أما القلقشندي فقد وصف عمارة أهل اليمن بقوله:(ولهم الديار الجليلة والمباني الأنيقة إلا الرخام ودهان الذهب واللازورد فإنه من خواص السلطان لا يشاركه فيه غيره من الرعايا)[188] .

أما الأمراء والحكام فقد اتخذوا مساحات واسعة داخل كل مدينة فبنوا فيها الدار السلطانية وقصر الامارة وغيره. من ذلك بنى شُحَار بن جعفر دار الملك في زبيد أيام بني زياد جعلها كبيرة الطول والعرض، وبناها بالآجر والجص بناء محكما. وكان يسكن بها كل من يتولى زبيد، وقد جعل لهذا البناء باباً عاليا جداً ينظر منه من يقدم في الطريق إلى بعد فرسخين ، وقد بقى الباب سليما إلى أن هدمه الملك المسعود الأيوبي سنة 618هـ/1221م [189] .

كما أن الأمراء والحكام بنوا لهم ولأسرهم وحواشيهم قصورا ضخمة في بعض مدن اليمن تعبر عن الأبهة والفخامة، فمن بين من بنى دورا ضخمة، الوزير أنيس الفاتكي وزير منصور بن فاتك النجاحي فقد بنى دارا واسعة أقام به عدة حجرات واسعة، عرض كل قاعة ثلاثون ذراعا، وعرض كل مجلس فيها أربعون ذراعاً.[190]

وفي عهد الصليحيين عندما انتقلت السيدة الحرة إلى ذي جبلة بنت بها دار العز الأولى، ولما انتقلْ المكرم إليها بعد السيدة بنى دار العز الثانية في أرض بور جعلها مطلة على النهرين الصغيرين اللذين كانا يجريان على ذي جبلة ومطلة على دار السيدة.[191]

وفي عهد الأيوبيين في اليمن بنى سيف الإسلام طغتكين في عدن دارا تسمى دار السعادة مقابل الفرضة[192] كما بنى أيضا قصراً بصنعاء سميت دار السلطان[193] كذلك بنى ابن

= القبلة. انظر د. مصطفى شيحة: مدخل إلى العمارة والفنون الإسلامية في ج.ع.ى ،ص:38 وما بعدها.

(187) ابن المجاور : صفة بلاد اليمن ، ص: 137 .

(188) القلقشندي : صبح الأعشى جـ 5 ، ص: 7 .

(189) ابن المجاور : صفة بلاد اليمن، ص: 78، سميت دور الحكومة بعدة تسميات منها قصر الإمارة ودار الإمارة، ودار الخلافة ، ودار السلطانية، ودار العز ودار الملك.

(190) عمارة : المفيد ، ص: 210 .

(191) عمارة : نفس المرجع : ص: 139 ، 142 .

(192) ابن المجاور : صفة بلاد اليمن ، ص : 110 .

(193) ابن حاتم : السمط ، ص: 38 .

الحامين دارا في عدن تسمى دار الطويل على محاذاة الفرضة وأيضا بنى فيها الملك المعز إسماعيل بن طغتكين دارا على جبل حُقّات تسمى دار المنظر.[194]

بناء المدارس:

ساهم اليمنيون في بناء مدارس منذ منتصف القرن السادس الهجري في قرى يمنية متعددة، وذلك ضمن المجهود الذاتي للتعليم. من ذلك بنى الشيخ علي بن إبراهيم ابن أبي الامان سنة 558هـ/ 1162م مدرسة بذي جبلة. وبنى الشيخ الحسين بن عيسى بن عمران بن أبي النهي مدرسة في الشوافي، وبنى مشائخ بني حميد في صهبان مدرسة درس بها الفقيه أبو العتيق أبوبكر بن عبدالله بن محمد بن عمران الصفوي (ت. 660هـ/ 1261م). وبنى مشائخ بني وائل مدرسة الزواحي من أعمال بني حبيش في ذي جبلة. كذلك بنى علي بن محمد بن غليس العريقي الوصابي (ت. بعد 610هـ/ 1213م) ثلاث مدارس في وصاب[195]. ويبدو أن المدارس التي بناها اليمنيون لا تشتمل على أماكن إيواء للطلبة والمدرسين.

ثم بدأت المدارس النظامية في عهد الأيوبيين في اليمن والتي تجمع بين المدرسة والمسجد ولها حجرات لاقامة الطلبة والمدرسين [196]. وأول من بناها منهم المعز اسماعيل ابن طغتكين الذي حكم اليمن (593 - 598هـ/ 1196 - 1201م) بنى مدرسة الميلين في زبيد واشترى دار سنقر في تعز وجعلها مدرسة سميت المدرسة السيفية[197]. كما بنى الأتابك سنقر في زبيد المدرسة المعروفة بالعاصمية نسبة إلى مدرسها الفقيه الشافعي محمد بن عاصم، والمدرسة المعروفة بالرحمانية نسبة إلى مدرسها الفقيه الحنفي محمد بن الرحمانية[198].

---

(194) ابن المجاور : نفس المصدر ، ص: 111 .

(195) الجندي: السلوك، جـ1، ص:392، 394، 462، 497، الأكوع: المدارس الاسلامية في اليمن، ص: 15.

(196) بامخرمة: قلادة النحر، جـ3، ص:828، الأكوع: نفس المرجع، والصفحة. د. محمد سيف النصر: المدارس اليمنية، مجلة الاكليل، ع1 سنة 3، خريف 1406هـ/ 1985م، ص: 99، د. مصطفى شيحة: مدخل الى العمارة، ص: 85.

(197) الخزرجي: العسجد، ص:173. ابن الديبع: 1) قرة العيون، ص:403، 2) بغية المستفيد، ص: 76.

(198) الخزرجي: العسجد، ص:178، ابن الديبع: بغية المستفيد، ص: 77، يحيى بن الحسين: غاية الأماني، جـ1، 395، الأكوع: نفس المرجع، ص: 28، 31. كان تخطيط المدارس أحد المهام الدينية فهي تجمع بين المسجد كمنشأة دينية، والمدرسة كمنشأة تعليمية أيضاً، فيها فناء مكشوف وفي ناحية القبلة (الشمال) =

الحصون:

استغل الأمراء والحكام في العصور الاسلامية العوامل الطبيعيـة مثـل الجبـال الـتي يصعـب على الأعداء اجتيازها بسهولة، فأنشأوا عليها الحصون بقصد الدفاع، وحفظ خزائن المال ودواوين الدولة وغيرها.

وهناك الكثير من الحصـون بنيـت في اليمـن. ففـي عهـد الصليحيـين بنـى علـي بـن محمـد الصليحي حصن مسار بحراز، كما بنى عبداللـه بـن محمـد الصليحيـي حصـن التعكـر بـذي جبلـة وأيضاً بنى سبأ بن أحمد بن المظفر الصليحي حصن أشيح بألهان، كذلك بنى سـبأ بـن زريـع حصـن الدملوة بالصلو[199]. كما بنى اليـامي حـاكم صنعـاء عـدة حصـون في اليمـن الأعلـى مثـل بـراش المشرف على صنعاء وذمرمر وكوكبان والعروس وغيرها[200]. وبني ذو الشرفين حصن شهارة.

وفي العهد الأيوبي أعيد بناء الكثير من الحصون نتيجة تهدمهـا بسـبب الحـرب أو بسـبب قدمها، ومـن تلـك الحصـون الـتي بناهـا طغتكـين حصـن حَبٍّ وحصـن خِـدِدَ وحصـن التعكـر وغيرها[201]، كما أن معظم عمارة حصن تعز من عمارته، كذلك بنى حصن صغير على ذروة جبل المفاليس يسمى المصانع، كما بنى الأتابك سيف الدين سنقر عدة مباني ومناظر في حصـن الدُّمْلُـوة كانت أشكالها جميلة كتب اسمه على أبوابها[202]. كذلك أدار الملك المسعود سوراً ثانياً حول حصن الدملوة سنة 624هـ/ 1226م لاحكام التحصين به[203]، كما بنى الامام عبدالله بـن حمزة حصـن ظفار ذي بين وكحلان وتلمص وحصن الطويلة وغيرها[204].

= بيت للصلاة وقد تكون مغطى بقبة واحدة أوعدة قباب أو قد تغطى بسقف خشـبي، وفي الجنوب إيوان مفتوح على الفناء، أما الجناحان فهما يغطيان بسـقف خشـبي، وبهـا كذلـك أمـاكن لسـكن الطلبـة ومـا يتبعها من مرافق خاصة بهم مثـل الحمامـات والمطـاهر، وبـرك المـاء وغيرهـا، انظـر د. مصطفى شـيحة: مدخل الى العمارة والفنون الاسلامية في ج.ع.ى، ص: 85 وما بعدها.

(199) عمارة: المفيد، ص:117، 139، 146 ـ 147، 183 ـ 184.

(200) ابن الديبع: قرة العيون، ص:392.

(201) بامخرمة: ثغر عدن، ص:133.

(202) الخزرجي: العسجد، ص:149، 167، 178.

(203) ابن المجاور: صفة بلاد اليمن، ص: 154.

(204) يحيى بن الحسين: غاية الأماني، جـ1، ص:406.

ومن أهم الحصون التي بنيت في اليمن لحفظ أموال بيت المال الحصن المطل على تعز، بني بأسوار وثيقة بالجص والحجر، عليه أبواب محكمة، وصفه ابن المجاور بقوله: (ليس في جميع اليمن أسعد منه حصناً لأنه سرير الملك وحصن الملوك .. لأن أحوال جميع اليمن مكنوزة به)[205].

طـــرق:

كما اهتم الأمراء والحكام وأهل الخير في اليمن بإنشاء الطرق، فقد اهتم الحسين بن سلامة بالطرق الموصلة الى مكة لتسهيل طريق الحج وخاصة الطرق الممتدة من حضرموت الى مكة، حيث وضع الأميال والفراسخ والبرد على طول هذه الطريق، واستنبط الآبار في المراحل المختلفة[206]، وهكذا حقق هذا العمل عدة أغراض منها تسهيل سير الحجاج وتسهيل سير القوافل التجارية عبر اليمن وتسهيل سير الجند والبريد من مكان الى آخر وتسهيل حركة انتقال الناس داخل اليمن.

كما بدأ علي بن محمد الصليحي في انشاء الطريق من زبيد الى مكة ابتداءً من زبيد، غير أنه لم يكن البناء يصل به الى المهجم حتى قتل قبل أن يكمل مشروعه[207]، كما أن السيدة الحرة أروى بنت أحمد قامت ببناء طريق من نقيل صيد ـ سمارة ـ الى السياني على مسافة ثلاث مراحل[208]، أما نقيل صيد فقد بنى مدرجه الملك علي بن محمد الصليحي. كذلك بنى الملك المعز إسماعيل بن طغتكين الطريق من إب الى المغربة على مسافة فرسخين[209].

ولم يقتصر الاهتمام على الحكام إذ قام الشيخ أحمد الجنيد بن بطال وقيل الشيخ محمد بن سليمان بن بطال بإنشاء الطريق من المفاليس الى نقيل الحمر. يقدر بحوالي ثلثمائة منعطف (ملوى) وقد كلفه الانفاق على هذه الطريق مبلغاً كبيراً، حيث كان يذبح في كل منعطف رأس بقر وينفق ستة أحمال حنطة ويصرف ثلثمائة دينار[210]. كذلك بنى رجل جبلي سنة 500هـ/ 1106م قنطرة المكسر

---

(205) ابن المجاور: صفة بلاد اليمن، ص: 156.

(206) عمارة: المفيد، ص:71، بامخرمة: ثغر عدن، ص:92.

(207) ابن المجاور: صفة بلاد اليمن، ص: 75.

(208) د. حسن سليمان: الملكة أروى سيدة ملوك اليمن، نشر مكتبة مصر، دار الشتاء، ص: 93.

(209) ابن المجاور: نفس المصدر، ص:175 - 176، ص: 235.

(210) ابن المجاور: نفس المصدر، ص:150.

بعدن طولها ثلثمائة وستون ذراعاً[211].

الأوقاف وأثرها في الحياة الإجتماعيـــــة:

شكلت الاوقاف ظاهرة هامة في اليمن في العصر الاسلامي، وكان لها أثـر كبير في الحياة العلمية والاقتصادية والاجتماعية، فقد تعددت أغراضهـا وأنواعهـا فـأوقف النـاس أنواعـاً متعـددة على شكل أرض زراعية أو محلات أو دكاكين أو أسواق ، ومنها ما كانت علي شكل كتب فقهيـة ومصاحف وتعددت أغراض هـذه الوقفيـات بعضهـا لصـالح الفقـراء والمسـاكين، وبعضهـا لصـالح الطلاب الأيتام والقادمين من أماكن متعددة من اليمن لطلب العلم، وبعضهـا لصـالح المسـاجد مـن حيث إصلاحها وكفاية القائمين عليها، ومن هذا الشكل فقد كان للأوقـاف أكبر الأثـر في الحيـاة الاجتماعية.

وكانت الأوقاف غالباً ماتكفي للقيام بنفقات الغرض الذي حددت له فمثلاً كـانوا يبنـون مسجداً ويوقفون عليه وقفاً يكفي لاقامـة إمـام أو مـؤذن وأيتـام ومعلـم، أو كـانوا يبنـون مدرسـة ويوقفون عليها وقفاً جيداً يكفي للمدرس ولعدد من الطلاب والأيتام[212].

ونستعرض هنا بعض أنواع الأوقـاف الـتي خصصـت لأغـراض متنوعـة في اليمـن، فمنهـا ماكان لصالح الفقراء والمساكين مثل ما أوقفه الفقيه علي بن عيسى بن مفلح المليكي العدني الذي كان ذا مال وبنين وكتب كثيرة اسند وصيته الى الشـيخ الموفـق يحيـى بـن يوسـف المسـلماني سـنة 580هـ/ 1184م ولم يعرف عنه غير ذلك، وأنه وجدت بثغـر عـدن أراض تعـرف بتركـة المسـلماني وقف غالبها على الفقراء والمساكين[213].

ومنها ما كان لصالح الحرم المكي الشريف مثل ما أوقفه عثمـان الزنجبلـي نـائب تورانشـاه على عدن ، مابناه بها من الدور والدكاكين والأسواق وبعض العقارات لصالح الحرم المكـي، كمـا أوقف سوق البز بها لصالح مسجده بعدن[214].

كذلك أوقف طغتكين الأيوبي لصـالح الحـرم المكي وادي الجريـب والمسـلب وظـل يرفـع

---

(211) بامخرمة: ثغر عدن، ص:27.

(212) الجندي: السلوك، حـ1، ص:468.

(213) بامخرمة: تغر عدن، ص:270.

(214) ابن الديبع: قرة العيون، ص:384 - 385.

دخلها الى مكة إلى سنة 625هـ/ 1227م حينما حول الملك المسعود هذه الوقفية الى الديوان[215].

ومنها ما أوقف لصالح المتفرغين للدراسة والمسجد معاً، أوقف جوهر المعظمي لجامع عمق بالصلو وقفاً صالحاً يقوم بكفاية جمع من الطلبة الذين يدرسون في هذا المسجد[216].

ومنها ما أوقف لصالح المدارس التي بنيت في اليمن مثل ما أوقفه كل من الشيخ الفقيه علي بن محمد بن غليس العريقي المتوفى حوالي 610هـ/ 1213م أوقف وقفاً جيداً من ماله ومال أخيه عمر لصالح المدرسة التي بناها في وصاب[217]، والفقيه أبو عبدالله محمد بن أحمد بن محمد بن سليمان بن بطال المشهور ببطال الركبي من ركب الدملوة بالصلو المتوفى سنة 630هـ/ 1232م أوقف جملة من أراضيه وكتبه على المدرسة التي بناها بقرية (ذي يعمد)[218].

وفي العهد الأيوبي بنوا عدة مدارس متخصصة لتدريس العلوم الدينية المختلفة وأوقفوا عليها أوقافاً جيدة منها اشترى المعز إسماعيل دار سنقر بتعز وجعلها مدرسة سميت المدرسة السيفية أوقف عليها وادي الضباب[219]، جنوب تعز كذلك بنى المعز مدرسة الميلين في زبيد أوقف عليها أوقافاً جيدة[220].

وكانت الأوقاف إذا صرفت في غير الغرض الذي حدد لها الموقف تؤثر تأثيراً كبيراً على الطلاب المستفيدين منها وعلى المدرسين وغيرهم. فمثلاً كانت سهفنة أراضي كثيرة أوقفت لصالح المدرسين والطلبة، فقصدها الطلاب من كل مكان من اليمن حتى أنها (لم تكد تخلو عن فقيه مدرس وطلبة مجتهدين) حيث استمر الطلاب يقصدونها الى أن استولى على أوقافها بعض الصعبيين فصرفوا أوقافها عن غير الوجه الذي خصصت له. وهو الانفاق على المدرسين والطلاب، فانقطع عنها طلاب العلم والمدرسين فخرب مركزها العلمي[221].

---

(215) ابن المجاور: صفة بلاد اليمن، ص: 246.

(216) الجندي: السلوك، جـ1، ص:444.

(217) بامخرمة: قلادة النحر، مخطوط رقم 1184، اسماعيل الأكوع: المدارس الاسلامية في اليمن. ص: 23.

(218) بامخرمة: ثغر عدن، ص:232.

(219) بامخرمة: ثغر عدن، ص:136.

(220) ابن الديبع: قرة العيون، ص:403.

(221) الجندي: السلوك، جـ1، ص:264.

كذلك اهتم علماء اليمن وفقهاؤها بجلب الكتب الدينية واستنساخها ووقفها على المدرسين ليستفيد منها الطلاب والفقهاء من ذلك كانت في منطقة (ذي أشرق) الكثير من الكتب الموقوفة مما أغرى الفقهاء على الإقامة بالقرب من تلك المكتبات، وممن انتقل للإقامة فيها الفقيه مقبل بن زهير بن خلف الهمداني، رغبة في كتبها الموقوفة[222].

وفي قرية سودة بالجند أوقف الفقيه أبو عبدالله سليمان بن أسعد بن محمد الجدني الحميري (ت. 593هـ/ 1196م) كتبه لصالح الدارسين، وأوقف الفقيه مسلم بن أسعد (أخو عثمان بن أسعد) كتباً جليلة، كانت تحت نظارة القاضي طاهر بن يحيى (ت. 587هـ/ 1191م)[223].

وكان بعض الناس يقومون باستنساخ الكتب ووقفها، منهم جوهر المعظمي نسخ بيده القرآن عدة مرات وأوقفها في أماكن متفرقة من اليمن منها في جامع الجند ختمة كاملة (ثلاثون جزءاً)

ومن ضمن العلماء الذين استمروا ينسخون الكتب الفقهية المتعددة الإمام سيف السنة أحمد البريهي (ت. 586هـ/ 1192م)، فقد كان بجانب اشتغاله بالتدريس ينسخ الكتب، بعضها يوقفها لصالح الطلاب وبعضها تباع ويشترى بثمنها ورق مصري أو بغدادي فيستمر ينسخ الكتب ويوقفها وهكذا (حتى أنه كان ينسخ في كل عام نسخة بيان ونسخة المذهب ونسخة كافي الصردفي وربما التنبيه أيضاً)[225]، (وكان مهما حصل من كيلة المسجد أخذ به ورقاً وحبراً ونسخ به كتباً ووقفها على المسجد)[226].

وقد بلغت كتبه الموقوفة ما يزيد على المائة كتاب معظمها في مسجد مدينة (إب) وبعضها في مسجد الجند)[227]، وهكذا وجدت طريقة نسخ الكتب ووقفها.

وكان الفقهاء يكتبون على الكتب عبارات توضح اسم صاحب الوقف والأشخاص الذين

---

(222) ابن سمرة: طبقات فقهاء اليمن، ص:115، الجندي: السلوك، جـ1، ص:319.

(223) الأهدل: تحفة الزمن، ص:293، 315.

(224) الجندي: السلوك، جـ1، ص:444، الأهدل: تحفة الزمن، ص:343.

(225) الجندي: السلوك، جـ1، ص:371.

(226) الجندي: السلوك، جـ1، ص:371.

(227) الجندي: السلوك، جـ1، ص:372، الأهدل: تحفة الزمن، ص:267.

يحق لهم الاستفادة من هذه الكتب الموقوفة ومن يشرف على الوقف. فشيخ السنة أحمد بن محمد البريهي أوقف كتباً عديدة من خطه وضبطه. وكانت كتبه تخصص وقفها لصالح أهل السنة الشافعية في الفروع والحنابلة في المعتقد. فكان يكتب على كل كتاب هذين البيتين.

هذا الكتاب لوجه الله موقوف   منا الى الطالب السني مصروف

ما للأشاعرة الضلال في حسبي   حق ولا للذي في الزيغ معروف[228].

وإضافة الى تلك البيتين وجدت صيغة أخرى لوقفية كتبها على صحيح مسلم بخطه أوردها الجندي بقوله: (وقفه أحمد بن محمد بجميع الكتب المنسوبة إليه في الحديث والأصول والفروع والفرائض والتفسير واللغة والنحو وهي ثمانون كتاباً على أهل السنة يقوم فيها من يوجد فيه الشروط المذكورة ـ يعني بيتيه اللذين ذكرت ... من ذلك ذريته ـ أي يتقدم من وجد فيه شرط البيتين من ذريته ونسله وبنيهم ونسلهم ثم قراباته من عصاباته أي يتقدم من قراباته من عصباته فمن خرج عن الشرط ببدعة أو مايرد به الشهادة خرج من الوقف فان تاب عاد استحقاقه ولاحق في الوقف لمبتدع لعن الله من يتملكها، أو يملكها أو يسعى في فساد الوقف أو يكتمها على من يستحقها أن يغيرها من ينتفع بها إذا سئل بشرط الحفظ، كتبه أحمد بن محمد تقبل الله منه الوقف سنة أربعة وثمانين وخمسمائة[229]).

ويشرف على الأوقاف فقهاء يكلفهم أصحاب الأوقاف بهذه المهمة والعمل بتنفيذ شرط الواقف فكان فقهاء وعلماء كل قرية أو منطقة يسند إليهم نظارة الوقف الذي يقبلون الاشراف عليه وتوجيه ريعه للأغراض التي خصصت لها كما كان كل إمام مسجد أو مدرسة هو الذي يقوم بالإشراف على الأوقاف المخصصة لهذا المسجد أو تلك المدرسة، ويصرفه في أغراضه التي حددت له والتي كانت مخصصة للقيام بكفاية إمام المسجد والمؤذن والمقيم. وفي المدرسة كفاية الطلاب والمدرسين، فمثلاً في وصاب أوقف الشيخ علي بن محمد العريقي من ماله لصالح المدارس التي بناها بها وجعل نظارة الوقف الى الفقيه أحمد بن علي بن محمد بن يزيد من قرية بعدان[230].

---

(228) الجندي: السلوك، جـ1، ص:368، الخزرجي: طراز اعلام الزمن، ق78 ب.

(229) الجندي: السلوك، جـ1، ص:372، الخزرجي: طراز اعلام الزمن، ق78 ب.

(230) بامخرمة: قلادة النحر، ص:828، الأكوع: المدارس الاسلامية في اليمن، ص: 23.

واستمر اسناد الواقف أمر الوقف الى من يرى من الفقهاء والعلماء حتى نهاية العصر الأيوبي، غير أن الوضع قد تغير في عهد بني رسول وخاصةً ابتداء من عهد المؤيد الرسولي حيث أصبح السلطان هو ناظر الأوقاف في اليمن(231).

وما نستنتجه من فصل مظاهر الحياة الإجتماعية أن هذه المظاهر تحكمت فيها حالات المجتمع الطبقية والمادية من فقر وثراء وسلطة ونفوذ وعلمية وغيره. فعلى قدر مستوى الأفراد المادية والطبقية أو مستوى سلطاتهم ونفوذهم ومالهم وتدينهم وغيره. يتم إقامة الإحتفالات وإقامة الولائم والتفنن في الملبس والمأكل وبناء المنازل وغيره. كما يتضح أن بناء المساجد والمدارس والطرقات وأعمال الخير ساهمت فيه أغلب الطبقات الاجتماعية. بينما نجد أن بناء المنشآت الحكومية مثل دُور الإمارة وبيت المال وتسوير المدن وبناء القلاع والحصون اقتصر على الطبقة الحاكمة لأنها تخدم أهدافهم.

---

(231) الجندي: السلوك، جـ1، ص:333.

الخاتمـــــة

نخلص من هذا البحث أن تكوين اليمن الطبيعي من وجود سلاسل جبلية وسهول ووديان. ووجود مذاهب متعددة من شيعة وسنة وخوارج، بالإضافة الى وجود النظام القبلي كل ذلك ساهم في تعدد دويلات اليمن وتصارعها.

ففي صعدة وجدت دولة الأئمة الزيدية وظلوا في صراع مستمر مع جميع القوى التي كانت تسيطر على اليمن مثل الصليحيين الإسماعيلية والأيوبيين السنة، وغيرهم.

وفي تهامة كان النجاحيون يمثلون القوة السنية بها استمروا يصارعون الصليحيين حتى استطاعوا السيطرة على تهامة واستمرت السيطرة الى أن ظهر في زبيد علي بن مهدي الخارجي مزيلاً دولة آل نجاح سنة 554هـ مهدداً أهل السنة بها مما جعلهم يهربون منه إلى الجبال وعدن ومكة.

أما عدن فكان الزريعيون الإسماعيلية قد ورثوا رئاسة الدعوة الحافظية وأصبحوا يمثلون الخلافة الفاطمية. وانتهوا بسيطرة الأيوبيين على كل من مصر واليمن. هذه التعددية للدويلات أثرت في مظاهر الحضارة في اليمن سلباً وإيجاباً كما بينته الدراسة.

وعلى الرغم من ذلك التعدد لدويلات اليمن، إلاّ أنه سعت بعض دويلاتها على توحيد اليمن مثل الدولة الصليحية. ثم الأيوبية كما هو موضح سابقاً. وكانت اليمن أكثر استقراراً ومساهمة في مظاهر الحضارة أثناء توحيدها.

وبالنسبة للحضارة ففي مجال الاقتصاد نشطت الحركة التجارية البحرية في اليمن فترة البحث، فكانت عدن أهم مركز تجاري يربط بين المشرق والمغرب، كما نشطت اليمن في التجارة البرية مع كل من العراق وفارس والحجاز والشام ومصر.

وكانت اليمن تصدر الكثير من منتجاتها التي اشتهرت بها، وخاصة الأحجار الكريمة مثل العقيق اليماني، والكثير من الصناعات مثل صناعة السيوف وصناعة المنسوجات والصناعات الجلدية.

كما ساهمت اليمن في المجال الفكري في الكثير من العلوم وقد تميزت تلك الفترة بالعلوم التي كانت مهمة آنذاك وهي العلوم الدينية من تفسير وحديث وفقه، وعلوم اللغة من نحو وأدب، وبرز في هذه العلوم الكثير من اليمنيين.

كما تميز اليمنيون في تلك الفترة في السعي في طلب العلم في رحلات داخلية وخارجية. كان لها أثرها في إنشاء العديد من المراكز التعليمية في اليمن لنشر الدين والعلوم الدينية بين جميع اليمنيين.

وقد تميز اليمنيون بالحركة الفكرية فتقبلوا جميع المذاهب الإسلامية من شيعية وسنية وخوارج بفرقها المتعدد وساهموا في نشرها في اليمن بحماس كبير. وقد تعايشت هذه المذاهب في حرية وسلام من قبل أفراد الشعب اليمني أما من ناحية السلطة فقد كانت هذه المذاهب في صراع مستمر.

وفي المجال الاجتماعي فقد تشكلت طبقات المجتمع في اليمن من حكام وعلماء وكبار ملاك وتجار إلى جند ورعايا وفلاحين وأرباب حرف من جميع عناصر المجتمع سواء العناصر اليمنية أم العناصر الأجنبية. وساهم هؤلاء جميعاً في النواحي الحضارية لليمن.

وانتشر في المدن اليمنية ترف في العيش لدى طبقة الحكام فقد بنوا بيوتاً وقصوراً واسعة وامتلكوا الكثير من الجواري والمغنيات وأكلوا أفخم المأكولات. وكانت حفلاتهم الخاصة وحفلات الزواج أضخم الحفلات. بينما كان غالب القرى اليمنية وحال الناس بها على عكس ذلك.

والخلاصة أن هذه الدراسة التي اتشرف بتقديمها، قد أبرزت الحياة السياسية والكثير من مظاهر الحضارة خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين في اليمن.

نرجوا من الله سبحانه وتعالى التوفيق والعون والهداية

ملحق رقم (1)

الحصون :

ــ أشيَح: حصن منيع من جبال اليمن يقع في بلاد آنس.
(ياقوت معجم، جـ1، ص:، مراصد الاطلاع، جـ1، ص: 85، ابن سمرة، ص: 307، الحجري، ص: 82، الأكوع: البلدان اليمنية عند ياقوت الحموي، ص: 31).

ــ بَرَاش: حصن مطل على صنعاء من الشرق ويشرف على جبل نُقُم. (مراصد الاطلاع، جـ1، ص: 174، الأكوع: البلدان اليمنية، ص: 40).

ــ التَعْكُر : قلعة حصنية مكينة من مخلاف جعفر باليمن مطل على ذي جبلة، من الناحية الجنوبية. (مراصد الاطلاع، جـ1، ص: 265، ابن سمرة، ص: 309، الأكوع، ص: 61).

ــ حَبّ: قلعة مشهورة باليمن في جبل بَعْدَان من أعمال إب.
(مراصد الاطلاع، جـ1، ص: 375، الحجري، ص: 227).

ــ خَدَد: حصن في مخلاف جعفر باليمن، من ناحية بني حُبَيش من أعمال إب
(مراصد الاطلاع، جـ1، ص: 453، الحجري، ص: 305).

ــ الدُّملُوة: حصن عظيم باليمن، في منطقة الصِّلو جنوب الجَند بحوالي (ثلاثين كيلو متر. (مراصد الاطلاع، جـ2، ص: 534، الأكوع، ص: 117).

ــ ذَرْوَان: حصن باليمن جنوب صنعاء على بعد 145 كيلومتر من أعمال يريم
(مراصد الاطلاع ج2، ص 586، الأكوع، ص:122)

ــ ذمَرْمـر: من حصون صنعاء اليمن، من الناحية الشمالية على بعد عشرين كيلو متر من حصون بني حشيشن قبلي صنعاء. (مراصد الاطلاع، ص: 587، الحجري، ص: 350، الأكوع، ص: 123- 124).

ــ السمَدَان: حصن باليمن عظيم الخطر، يقع في المعافر جنوب تعز بحوالي 64 كليو متر (مراصد الاطلاع، جـ2، ص: 735، الأكوع، ص: 155).

- السَّـوَاء: حصن من أعمال تعز، من الناحية الجنوبية لها وهو وسطاً بين السمدان وتعز، (مراصد الاطلاع، ص: 749، الأكوع، ص: 156).

- صَبِـر: جبل شامخ عظيم، مطل على تعز من الناحية الجنوبية.
(مراصد الاطلاع، جـ 2، ص: 832، الأكوع، ص: 172- 173).

- الظَّفر: حصن من أعمال صنعاء، (مراصد الاطلاع، جـ2، ص: 905، الأكوع ص: 194).

- العَـرُوس: حصن مقابل لكوكَبَاب من الناحية الجنوبية من أعمال صنعاء.
(الأكوع، هـ ص: 207).

- عَـزَّان: حصن يطل على إب من الناحية الجنوبية الشرقية، (الأكوع،ص:207).

- الفَـصْ: من حصون اليمن وهو شمال صنعاء قرب حصن ذمرمر.
(مراصد الاطلاع، جـ3، ص: 1037، الأكوع، ص: 225).

- كوْكَبَـان: جبل قرب صنعاء في الشمال الغربي من صنعاء على بعد 40 كيلو متر
(مراصد الاطلاع، جـ1، ص: 1188، الأكوع، ص: 43).

- مَسَـار: قلعة من أعمال جبل حراز باليمن.

- وُصَـاب: جبل يحاذي زبيد باليمن فيه عدة قري وحصون شرق زبيد
(مراصد الاطلاع، جـ3، ص: 1439، الأكوع، ص: 300).

البلـدان :

- أبْيَـن: مخلاف باليمن منه عدن. ويقع شمال شرق عدن.
(مراصد الاطلاع، جـ1، ص:22، ابن سمرة، ص: 306، الأكوع، ص:16).

- أحَاظـه: في أعلا جبل حبيش من بلاد السحول بشمال إب.
ابن سمر، ص: 307.

- ألْهَـان: مخلاف باليمن في بلاد آنس.
(مراصد الاطلاع، جـ1، ص: 113، الحجري، ص: 89).

ـ الْبَـون: حقل واسع في بلاد همدان شمال صنعاء على مسافة يوم منها (ابن سمرة، ص: 308، الحجري، جـ1، ص: 130).

ـ جَبـأ : مدينة قديمة غربي جبل صبر جنوبي تعز، وهي مدينة المعـافر، وهـي بلـد كبـيرة خـرج منهـا جماعـة مـن الفقهـاء وهـي أكبر بلـد اليمـن فقهـاء ومتفقهين (الجنيدي: السلوك، جـ1، ص: 358، ابن سمرة، ص: 310، الحجري، جـ1، ص: 151).

ـ الجَعامِـي: قرية من أحاظة وهي قرية من معشار يفوز. (الجندي: جـ1، ص: 331، ابن سمرة، ص: 311).

ـ الجُـؤة: بلد قريب من الجند شرقيها. وهي قريب من الدُّمْلُوة بالصَّلو (مراصـد الاطـلاع، جـ1، ص:354، ابـن سمـرة، ص: 311، الأكـوع، ص:110).

حَـراز : بلد واسعة في همدان وهي غربي صنعاء على مسافة يومين، نيف وستين كيلو متر (ابن سمرة، ص: 312، الأكوع، ص:

ـ حُـرازة : قرية بالمعافر، وهي في عزلة الأيفُوع من الحجرية. (ابن سمرة، ص: 312، الأكوع، ص: 90 هـ 3).

ـ حَجُـور : بلد واسع من بلد همدان في الشمال الغربي من صنعاء. (الحجري، جـ1، ص: 240).

ـ الحُوْخَة (الحُوْهَه): قرية بساحل حيس. (الجنـدي: السـلوك، جـ1، ص: 479، ابـن سمـرة، ص: 314).

ـ دلال : عزلة من ناحية بعدان من مخلاف جعفر من أعمال إب. (ابن سمرة، ص: 314).

ـ ذُؤال : وأدي باليمن، أم بلاده القحْمة قريـب زبيـد، مراصـد الاطـلاع، جـ2، ص: 589، يقع بين وادي سِهام شمالاً ووادي رِمع جنوباً ويمر بجوار بيت الفقيه والمنصورة، الأكوع، ص: 124 هـ 5.

ـ ذي أشْرق : قرية كبيرة في وادي نَخْلان على نصف مرحلة من الجند تقريباً

(الجندي: السلوك، جـ1، ص: 280، ابن سمرة، ص: 315).

ـ ذي جبْلَة : مدينة باليمن شمال الجند يطل عليها جبل التعكر وهـي علـى بعـد ستين كيلو متر مـن صبر المطـل علـى تعـز (ابـن سمـرة، ص: 315، الأكـوع، ص: 71 هـ 4).

ـ ذي السُّفال : قرية على مرحلة من قبلي الجند وعلى نصـف مرحلـة مـن قبلـي سَـهْفنة (الجندي: السلوك، جـ1، ص: 272، ابن سمرة، ص: 315).

ـ رَيْمـــه : (بلاد واسعة في الغرب الجنوبي من صنعاء على مسافة أربع مراحل وهي مشرفة على تهامة من ناحية بيت الفقيه يمر وادي، رِمَع من جنوبها ووادي سهام من شمالها) ابن سمرة، ص: 316.

ـ زَبَـــران : قرية على أكمه مرتفعة من جهة يمن (جنوب) مغرب الجند.

(الجندي: السلوك، جـ1، ص: 328) وهـي علـى بعـد ثلاثـة أميـال مـن الناحية الجنوبية الغربية. هامش نفس الصفحة، ابن سمرة، ص: 317.

ـ سَبَـا : أرض باليمن مدينتها مأرب، بينها وبين صنعاء ثلاثة أيام

(مراصد الاطلاع، جـ2، ص: 687، الأكوع، ص: 143).

ـ السُّحُول: قرية من اليمن، وحقل يبـدأ مـن سـفوح إب الشـمالية ويمتـد شمـالاً إلى رحاب. وهو من أخصب حقول اليمن. (الأكوع، ص: 145 هـ 4).

وهو بين إب والمخادر (ابن سمرة، ص: 317).

ـ سَهْفَنـة : قرية قبلي الجند على ثلث مرحلة منها.

(الجندي: السلوك، جـ1، ص: 264، ابن سمرة، ص: 318).

ـ سَيْـر: بلد في شرق الجند.

(مراصد الاطلاع، جـ2، ص: 765، الأكوع، ص: 157).

ـ الشِّحْـر: صقع على بحر الهند من ناحية اليمن، بين عدن وعمان

(مراصـد الاطـلاع، جــ2، ص: 785، الأكـوع، ص: 163) ويمتـد مـن حضرموت إلى مهرة، الأكوع هـ1

ـ الشِّعْر : مخلاف واسع من ناحية النادرة شرقي إب.
(ابن سمرة، ص: 318).

ـ الشَّوافِـي : مخلاف من أعمال إب من الجهـة الغربيـة (ابـن سمـرة، ص: 319) وهـي غربي مدينة إب بمسافة فرسخ الجند السلوك، ص: 333 هـ4 .

ـ الصَّـرْدَف : هي قرية شرق الجند تحت الجبل المعروف بسورق.
(الجندي: السلوك، جـ1، ص: 252، مراصد الاطلاع، جـ2، ص:238، ابن سمرة، ص: 319، الحجري، ص: 465).

ـ صُهْبـان : مخلاف من أعمال ذي السُّفال (ابن سمرة، ص: 320).

ـ ضَـرَاس : قرية في جبال اليمـن في عزلـة نخلان من ذي السـفال مـن أعمـال إب مراصد الاطلاع، ص: 867، ابن سمرة، ص: 320.

ـ ظُبـا : قرية ما بين ذي السفال وسـهفنة: (الجنـدي: السـلوك، ص: 270، ابـن سمرة، ص: 320).

ـ الظُّرَافَة: قرية شرقي القرية التي تعرف بسهفنة (الجندي: السلوك،ص: 270، ابن سمرة، ص: 320هـ)

ـ عَرَشَـان: وهي بلدة في عزلة المكتب المتصلة بذي جبلة من الناحية الجنوبية.
الجندي: السلوك، ص: 350، هـ2.

ـ كِنْـده : مخلاف باليمن من حضرموت.

ـ مِرْبَـاط : فرضة مدينة ظفار بين حضرموت وعمـان على بعـد خمـس فراسـخ مـن ظفار، من أعمال الشحر شرقي حضرموت، ابن سمرة، ص: 323.

ـ المُشَيْرق : من بلاد بني حبيش من أعمال إب، ابن سمرة، ص: 324.

ـ مُقْرى : مخلاف قديم في عزلة أنس في الجنوب الغربـي مـن صنعـاء علـى مرحلـة منها، ابن سمرة، ص: 324.

ـ مَهَـرة : صقع واسع شرقي حضرموت، الأكوع، ص: 127 هـ.

ـ يَفَاعـة : قرية من المعافر (الجندي: السلوك، جـ1، ص: 303).

ـ يَفُـــوز : في عزلة بني عوض من الكلاع من العدين، بناه السلطان وائل بن عيسي الوائلي الكلاعي (ت. 515هـ) (المقحفي: المعجم، ص: 715)

ـ اليَهَاقِــر : قرية غربي مدينة الجند، (ابن سمرة، ص: 327).

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر المخطوطة

- ابن المهلا الشرفي: عبدالحفيظ بن المهلا (ت. سنة 1077هـ/ 1666م).
علم الافادة في تاريخ الشرف والسادة، دار المخطوطات بصنعاء 140 تاريخ.

- الأفضل بن رسول: عباس بن علي بن رسول (ت. سنة 778هـ/ 1376م)
العسجد المسبوك والزبرجد المحكوم (في أخبار الخلفاء والملوك)
دار الكتب المصرية (خ) رقم 1136.

- الأنـــف: عماد الدين إدريس بن الحسين بن عبدالله الأنف (ت. سنة 872هـ/ 1467م)
1) عيون الأخبار وفنون الاثار، الجزء السابع، اطلعت عليه من د. أيمن فؤاد سيد.
2) نزهة الأفكار وروضة الأخبار في ذكر من قام باليمن من الملوك الكبار والدعاة الأخيار، دار الكتب المصرية (خ) رقم 2253. ميكروفيلم.

- بامخرمـــة: أبو محمد عبدالله الطيب بن عبدالله بن أحمد بن علي بامخرمة (ت. 947هـ/ 1540م)
قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر،دار الكتب المصرية(خ)رقم 167.

- الثقفـــي: سليمان الثقفي (من علماء القرن السادس الهجري)
سيرة الامام أحمد بن سليمان، دار المحفوظات اليمنية بصنعاء (خ) رقم 2524.

- الجنداري: أحمد بن عبدالله (ت. سنة 1337هـ)
الجامع الوجيز في وفيات العلماء ذوي التبريز، مخطوط بدار المخطوطات اليمنية بصنعاء رقم 32 تاريخ.

ـ الحمزي: عماد الدين إدريس (ت. سنة 714هـ/ 1314م)
كنز الأخبار في معرفة السير والأخبار.
معهد المخطوطات العربية (خ) رقم 1184.

ـ الخزرجي: شمس الدين أبو الحسن علي بن الحسن بن أبي بكر بن الحسن (ت. سنة 812هـ/ 1409م)
1) العسجد المسبوك فيمن ولى اليمن من الملوك.
مخطوط مصور، دار الفكر، دمشق، صورة ثانية، 1401هـ/1981م، نشر في ج.ع.ى. وزارة الإعلام مشروع الكتاب 1/6.
2) طراز اعلام الزمن.
معهد المخطوطات العربية رقم 336.

ـ الربعي: مفرج بن أحمد الربعي.
سيرة ذي الشرفين، دار المخطوطات اليمنية بصنعاء (خ) رقم 2573.

ـ الروضي: حسام الدين محسن بن الحسن بن القاسم (ت. سنة 1170هـ/ 1757م)
ذوب الذهب بمحاسن من شاهدت في عصري من أهل الأدب.
معهد المخطوطات العربية رقم 1056.

ـ الشهاري: إبراهيم بن القاسم (ت. سنة 1153هـ/ 1740م)
طبقات الزيدية، دار الكتب المصرية (خ) رقم 211 ميكروفيلم.

ـ قطب بن سليمان: قطب بن سليمان برهانيوري.
منتزع الأخيار في أخبار الدعاة الأخيار، معهد المخطوطات العربية رقم 1261.

ـ اللحجي: مسلم بن محمد بن جعفر اللحجي (ت. سنة 545هـ/ 1150م)
1) تاريخ مسلم اللحجي
صورة لدى الباحث من صورة للدكتور/ عبدالرحمن شجاع.
2) شئ من أخبار الزيدية.
صورة لدى الباحث من صورة للدكتور/ عبدالرحمن شجاع.

ـ مجهول: تاريخ اليمن

معهد المخطوطات العربية رقم 968 تاريخ.

ـ مجهول: تراجم بعض أمراء اليمن.

معهد المخطوطات العربية (خ) رقم 990.

ـ مجهول: السيرة الصليحية

صورة لدى الباحث من صورة جامعة صنعاء.

ـ مجهول: سيرة الإمام عبد اللـه بن حمزة دار المخطوطات اليمنية بصنعاء رقم

ـ مجهول: نموذج ملوك اليمن

دار المخطوطات اليمنية صنعاء (خ) رقم 2428.

ـ المحلي: حميد بن أحمد الشهيد (ت. 652هـ/ 1254م).

الحدائق الوردية في مناقب الأئمة الزيدية، صورة للمخطوط بالأوفست، دمشق، 1402هـ/ 1982م.

ـ المقريزي: تقي الدين أحمد بن علي (ت. 845هـ/ 1441م)

الطرفة الغريبة في أخبار حضرموت العجيبة، جامعة القاهرة، (خ) رقم 26247/ 2 .

ـ الوزير: عبداللـه بن علي (ت. 1147هـ/ 1735م)

جامع المتون في أخبار اليمن الميمون أو الدر المنثور الجزء الأول

دار المخطوطات اليمنية بصنعاء رقم 2525 .

ـ وطيوط: الحسين بن إسماعيل البجلي المعروف بالمعلم وطيوط.

تاريخ المعلم وطيوط، دار الكتب المصرية (خ) رقم 173.

ـ يحيى بن الحسين: يحيى بن الحسين بن الامام المنصور باللـه القاسم بن محمد (ت. 1100هـ/ 1688م)

1) أنباء الزمن في تاريخ اليمن.

جامعة القاهرة (خ) رقم 26134 .

2) طبقات الزيدية المسمى الطبقات الزهر في أعيان العمر.

مخطوط لدى الباحث صورة من د. طه أبو زيد.

ـ يحيى حميد: يحيى بن محمد بن الحسن المذحجي (ت. 990هـ/ 1582م)
نزهة الأنظار في ذكر الأئمة الزيدية الأطهار، دار الكتب المصرية، رقم 358 ميكروفيلم.

ثانياً المصادر المطبوعة:

ـ أبوشامة: شهاب الدين أبو محمد عبدالرحمن بن إسماعيل المقدسي (ت. 665هـ)
الروضتين في أخبار الدولتين. تحقيق د. محمد حلمي، د. محمد مصطفى زيادة، وزارة الثقافة والإرشاد، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1962م.

ـ أبوعبيده: أبو عبيده القاسم بن سلام (ت. 224هـ/ 837م)
كتاب الأموال، تحقيق د. محمد عمارة، دار الشروق، بيروت، ط1 سنة (1409 هـ/ 1989م)

أبو يعلي الفراء: القاضي أبو يعلي محمد بن الحسين الفراء الحنبلي (ت. 458هـ/ 1065م)
الأحكام السلطانية، مطبعة الباب الحلبي، مصر، ط1، 1356هـ/1938م.

ـ أبو يوسف: أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم (ت. 182هـ)
كتاب الخراج، تحقيق إحسان عباس، دار الشروق، بيروت، ط1 سنة 1405هـ/ 1985م.

ـ ابن الأثير: عز الدين أبو الحسن علي بن محمد الشيباني (ت. 630هـ/ 1232م)
الكامل في التاريخ جـ 10، 11 ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، سنة 1407هـ/ 1987م.

ـ ابن بطوطة: أبو عبدالله محمد بن إبراهيم اللواتي (ت. 779هـ/ 1377م)
رحلة ابن بطوطة، دار صادر، بيروت، سنة 1384هـ/ 1964م .

ـ ابن تغري بردي: جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغر بردي (ت. 874هـ)
النجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة، جـ6، طبع دار الكتب المصرية، سنة 1355هـ/ 1936م.

ـ ابن جبير: أبو الحسن محمد بن أحمد بن جبير الكناني (ت. 614هـ/ 1217م)

رحلة ابن جبير، دار صادر، بيروت، سنة 1384هـ/ 1964م.

ـ ابن حاتم: بدر الدين محمد بن حاتم بن أحمد اليامي الهمداني (ت. بعد سنة 702هـ/ 1302م)

السمط الغالي الثمن في أخبار الملوك من الغز باليمن، تحقيق د. ركس سمث، طبع لندن، سنة 1974م.

ـ ابن حوقل: أبو القاسم محمد بن حوقل (ت. أواخر القرن الرابع الهجري)

صورة الأرض، طبع لندن طبعة بريل سنة 1967م.

ـ ابن خرداذبة: أبو القاسم عبيدالله بن عبدالله بن خرداذبة (ت. في حدود سنة 300هـ)

المسالك والممالك، لندن، مطبعة بريل سنة 1889م .

ـ ابن خلدون: عبدالرحمن بن محمد بن خلدون (ت. 808هـ/ 1406م)

تاريخ ابن خلدون، دار الكتاب اللبناني، بيروت، سنة 1982م.

ـ ابن خلكان: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن خلكان (ت. 681هـ)

وفيات الأعيان، تحقيق احسان عباس، دار الثقافة، بيروت، 1970م.

ـ ابن الديبع: عبدالرحمن بن علي بن الديبع الشيباني (ت. 944هـ/ 1537م)

1) بغية المستفيد في تاريخ مدينة زبيد ، تحقيق عبدالله الحبشي.

نشر مركز الدراسات اليمنية، صنعاء 1979م.

2) قرة العيون في أخبار اليمن الميمون اليمنية، صنعاء 1979م.

تحقيق محمد الأكوع، المطبعة السلفية، القاهرة، 1391هـ/ 1971م.

ـ ابن رسته: أبو علي أحمد بن عمر بن رسته (ت. 295هـ/ 890م)

الأعلاق النفيسة، طبع لندن، مطبعة بريل سنة 1891م.

ـ ابن سمرة: عمر بن علي بن سمرة الجعدي (ت. بعد 586هـ/ 1190م)

طبقات فقهاء اليمن، تحقيق فؤاد سيد، دار القلم، بيروت، د. ت .

ـ ابن شداد: بهاء الدين أبو عبدالله محمد الأنصاري (ت. 632هـ)

سيرة صلاح الدين، طبع في مطبعة الأدب والمؤيد بمصر سنة 1317هـ في ذيله منتجات من كتاب التاريخ لصاحب حماه: تأليف تاج الدين شاهنشاه بن أيوب.

ـ ابن عبدالمجيد: تاج الدين عبدالباقي بن عبدالمجيد (ت. 743هـ/ 1342م)
بهجة الزمن في تاريخ اليمن، تحقيق عبدالله الحبشي، محمد السنباني، نشر دار الحكمة اليمانية، طبع دار الفكر المعاصر، بيروت، ط1، 1408هـ: 1988م.

ـ ابن فضل الله العمري: شهاب الدين أحمد بن يحيى (ت. 749هـ/ 1349م)
مسالك الأبصار في ممالك الأمصار (ممالك مصر والشام والحجاز واليمن)، تحقيق ايمن فؤاد سيد، المعهد الفرنسي، القاهرة، د. ت.

ـ ابن الفقيه: أبوبكر أحمد بن محمد الهمداني المعروف بابن الفقيه
مختصر البلدان، طبع مدينة ليدن، مطبعة بريل سنة 1967م.

ـ ابن واصل: جمال الدين محمد بن سالم بن واصل (ت. 697هـ/1297م)
مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، نشر جمال الدين الشيال، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1957م.

ـ ابن المجاور: محمد بن مسعود بن علي بن أحمد البغدادي النيسابوري المعروف بابن المجاور (ت. بعد 630هـ/ 1232م).
صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز (المسمى تاريخ المستبصر) تحقيق أوسكر لوفغرين، طبع ليدن، مطبعة بريل سنة 1951م.

ـ ابن منظور: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور (ت.711هـ/1311م)
لسان العرب.

ـ الإدريسي: أبو عبدالله محمد بن محمد بن إدريس الحموي الحسني (ت. 560هـ/ 1311م).
نزهة المشتاق في إختراق الآفاق.
عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، 1409هـ/ 1989م.

ـ الأشرف عمر بن يوسف بن عمرو بن علي بن رسول (ت. 696هـ/ 1296م)
كتاب ملح الملاحة في معرفة الفلاحة، تحقيق محمد عبدالرحيم جازم نشر ضمن مجلة الاكليل اليمنية العدد الاول، السنة الثالثة، خريف 1406هـ/ 1985م، صنعاء.+ تحقيق عبد الله المجاهد.

ـ الاصطخري: أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفاسي (ت. في النصف الأول من القرن الرابع الهجري)
المسالك والممالك، تحقيق محمد جابر عبدالعال، محمد شفيق غربال، القاهرة، 1381هـ/ 1961م.

ـ الأنسي: عبدالملك بن حسين الانسي الصنعاني.
إتحاف ذوي الفطن بمختصر أنباء الزمن، منشورات جامعة صنعاء ملحق العدد الثالث من مجلة كلية الآداب سنة 1981م.

ـ الأنصاري: شمس الدين أبوعبدالله محمد الأنصاري (ت. 727هـ/ 1326م)
نخبة الدهر في عجائب البر والبحر. طبع مدينة بورغ، 1965م.

ـ الأهدل: بدرالدين أبوعبدالله الحسين بن عبدالله الحسين بن عبدالرحمن بن محمد الاهدل (ت. 855هـ/ 1451م)
تحفة الزمن في تاريخ اليمن، تحقيق عبدالله الحبشي، منشورات المدينة، دار التنوير للطباعة، بيروت، ط1، 1986م/1407هـ

ـ الأهدل: حسين ابن ابي القاسم الأهدل
كشف القناع في معرفة أحكام الزرع، تحقيق عبدالله الحبشي، نشر في مجلة الاكليل اليمنية، عدد (1) 1980م.

ـ بامخرمة: أبوالطيب عبدالله الطيب بن عبدالله بن أحمد أبي مخرمة (ت. 947هـ/ 1540م).
تاريخ ثغر عدن، دار الجيل، بيروت، دار عمار عمان، الطبعة الثانية، 1408هـ/ 1987م.

ـ البغدادي: عبدالقاهر بن طاهر أبي منصور البغدادي (ت. 429هـ/ 1037م).

مختصر كتاب الفرق بين الفرق، اختصار عبدالرزاق بن رزق الرسعني، نشر مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، المركز الإسلامي للطباعة، د. ت.

ـ البغدادي: عبدالمؤمن بن عبدالحق البغدادي (ت. 739هـ/ 1338م)
مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تحقيق علي محمد البجاوي، دار المعرفة، بيروت، ط1، سنة 1374هـ/ 1955م.

ـ البلاذري: أبو الحسن البلاذري، فتوح البلدان، تحقيق رضوان محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، سنة 1413هـ/ 1983م.

ـ الجرجاني: أبو الحسن علي بن محمد بن علي الجرجاني
كتاب التعريفات، دار الشئون الثقافية العامة ـ العراق ـ بغداد ـ د.ت.

ـ الجهشياري: أبوعبدالله محمد بن عبدوي الجهشياري
كتاب الوزراء والكتاب، تحقيق مصطفى السقا وآخرون، مصطفى الباب الحلبي، القاهرة، ط2، 1401هـ/ 1980م.

ـ الجندي: أبوعبدالله بهاء الدين محمد بن يوسف بن يعقوب الجندي السكسكي (ت. بعد 732هـ/ 1322م).
السلوك في طبقات العلماء والملوك، جـ1 ، 2.
تحقيق محمد الأكوع، نشر وزارة الاعلام اليمنية 1/20، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، ط1، سنة 1403هـ/ 1983م، جـ2، ط1، سنة 1309هـ/ 1989م.

ـ الحامدي: إبراهيم بن الحسين الحامدي (ت. 557هـ/ 1162م)
كنز الولد، تحقيق د. مصطفى غالب، دار الاندلس ط1، سنة 1979م.

ـ الحمادي: محمد بن مالك بن أبي الفضائل الحمادي (ت. 470هـ/ 1077م)
كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة، تحقيق د. محمد زينهم عزب، دار الصحوة للنشر، مصر، ط1، سنة 1406هـ/ 1986م.

ـ الرازي: أحمد بن عبدالله بن محمد الصنعاني (ت. بعد 460هـ/ 1067م).
تاريخ مدينة صنعاء، تحقيق د. حسين بن علي العمري، دمشق، ط2، 1401هـ/ 1981م.

ـ زبارة: محمد بن محمد زبارة
1) أئمة اليمن، مطبعة الناصر بتعز، ربيع الأول 1372هـ/ ديسمبر 1952م.
2) إتحاف المهتدين بذكر الأئمة المجددين ومن قام باليمن الميمون من قرناء الكتاب المبين، مطبعة المقام الشريف بصنعاء في شهر رجب سنة 1343هـ.

ـ الزبيدي: محمد مرتضي الزبيدي، تاج العروس.

ـ السجلات المستنصرية: سجلات المستنصر بالله الفاطمي الى دعاته في اليمن
تحقيق د. عبدالمنعم ماجد، دار الفكر العربي، القاهرة، 1957م.

ـ الشهرستاني: أبوالفتح محمد بن عبدالكريم (ت 548هـ/ 1153م)
الملل والنحل، تحقيق سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت.

ـ الشيلي: محمد بن أبي بكر (ت. 1093هـ)
المشروع الروي في مناقب السادة بني علوي.

ـ الصفدي: صلاح الدين خليل بن أيبك (ت. 764هـ/ 1363م)
الوافي بالوفيات ، الجزء الثالث عشر، تحقيق مجموعة، دار النشر فرانز شنابنر بقيسادن 1404هـ/ 1984م.

ـ العامري: يحيى بن أبي بكر بن محمد بن يحيى العامري (ت. 893هـ)
غربال الزمان في وفيات الاعيان، صححه محمد ناجي وعلي العمر، دار الخير للنشر والتوزيع، دمشق، مطبعة زيد بن ثابت، دمشق 1405هـ/ 1985م.

ـ عمارة اليمني: نجم الدين عمارة بن علي اليمني (ت. 569هـ/ 1174م)
تاريخ اليمن، تحقيق محمد بن علي الأكوع، مطبعة السعادة، ط2، 1396هـ/ 1976م.

ـ القاضي النعمان: النعمان بن محمد بن منصور بن حيون (ت. 363هـ/ 974م)
رسالة افتتاح الدعوة، تحقيق وداد الفضلي، بيروت، 1971م.

ـ قدامة بن جعفر: أبو الفرج قدامة بن جعفر (ت. بعد سنة 320هـ)
الخراج وصناعة الكتابة، تحقيق د. محمد حسين الزبيدي، دار الرشيد للنشر، العراق، 1981م، ج.ع. وزارة الثقافة، سلسلة كتب التراث (110).

ـ القزويني: زكريا بن محمد بن محمود (ت. 682هـ/ 1283م)
آثار البلاد وأخبار العباد، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت 1399هـ/ 1979م.

ـ القفطي: جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف (ت. 646هـ/ 1248م)
أنباه الرواة على أنباه النحاة، تحقيق محمد أبوالفضل إبراهيم، دار الكتب المصرية، القاهرة 1950 ـ 1973م.

ـ القلقشندي: أبوالعباس أحمد القلقشندي (ت. 821هـ/ 1481م)
صبح الأعشى في صناعة الانشاء، جمع دار الكتب المصرية، القاهرة، 1922م.

ـ الكبسي: محمد بن إسماعيل الكبسي (ت. 1308هـ)
اللطائف السنية في أخبار الممالك اليمنية، مطبعة السعادة، مصر، سنة 1983م.

ـ الماوردي: أبو الحسن علي بن الحسين (ت.450هـ)
الأحكام السلطانية، دار الفكر، ط1، سنة 1404هـ/ 1983م.

- المسعودي: أبو الحسن علي بن الحسين (ت.346هـ/950م)
مروج الذهب ومعادن الجوهر، دار المعرفة، بيروت، ط2، سنة 1403هـ/ 1983م.
- المقريزي: تقي الدين بن أحمد بن علي (ت. 845هـ/ 1441م)
السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق مصطفى زيادة، طبع دار الكتب المصرية، القاهرة، سنة 1934م.
- المقدسي: شمس الدين أبي عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر (ت. 380هـ/ 990م)
أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، طبع ليدن، مطبعة بريل، ط2 ، سنة 1909م.
- نشوان الحميري: نشوان بن سعيد بن سلامة (ت. 573هـ/ 1177م)
الحور العين تحقيق كمال مصطفى، بيروت.
- النويري: شهاب الدين أحمد بن عبدالوهاب (ت. 733هـ/ 1335م)
نهاية الأرب في فنون الأدب، مطبعة دار الكتب المصرية، 1345هـ/ 1926م.
- الهمداني: ابو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب (ت. 360هـ/ 970م)
* صفة جزيرة العرب، تحقيق محمد الأكوع، دار الأدب، بيروت ، ط2 1403هـ/ 1983م.
نشر مركز الدراسات والبحوث اليمنية.
* الإكليل جـ1 ، 2 ، 8 ، تحقيق محمد الأكوع، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، 1383هـ/ 1963م، جـ10، تحقيق محب الدين الخطيب، مطبعة السلفية، القاهرة 1367هـ.
* كتاب الجوهرتين العتيقتين المائعتين من الصفراء والبيضاء.
تحقيق د. كريستوفول ، ترجمة د. يوسف عبدالله، نشر ج.ع.ي، وزارة الإعلام، مشروع الكتاب، 3/15، طبعة ثانية سنة 1985م.

ـ الوصابي الحبشي: وجيه الدين عبدالرحمن بن محمد بن عبدالرحمن بن عمر الحبشي الوصابي (ت. 782هـ).
تاريخ وصاب المسمى الاعتبار في التواريخ والآثار، تحقيق عبدالله الحبشي نشر مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، طبع دار العودة، بيروت، ط1 ، 1979م.

ـ اليافعي: عبدالله بن أسعد بن علي (ت. 768هـ/ 1366م)
مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط2، سنة 1390هـ/ 1970م.

ـ ياقوت الحموي: ياقوت بن عبدالله الرومي (ت. 626هـ/ 1229م)
1) معجم البلدان، دار صادر، بيروت، سنة 1404هـ/ 1984م.
2) معجم الأدباء، جـ10، طبع دار المأمون، القاهرة.

ـ يحيى بن آدم: يحيى بن آدم القرشي (ت. 203هـ/)
كتاب الخراج، تحقيق أحمد شاكر، دار التراث، القاهرة، ط2.

ـ يحيى بن الحسين: يحيى بن الحسين بن القاسم بن محمد بن علي (ت. 1100هـ/ 1689م)
غاية الأماني في أخبار القطر اليماني، تحقيق د. سعيد عبدالفتاح عاشور، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، 1388هـ/ 1986م.

ـ اليعقوبي: أحمد بن علي بن أبي يعقوب بن واضح الكاتب المعروف باليعقوبي (ت.284هـ)
1) تاريخ اليعقوبي، مطبعة العربي، النجف، سنة 1358هـ
2) كتاب البلدان، ضمن كتاب الأعلاق النفيسة.

ـ الملك المظفر: يوسف بن عمر بن رسول (ت. 694هـ)
المعتمد في الأدوية المفردة، صححه وفهرسه مصطفى السقا، مطبعة البابي الحلبي، ط2، 1403هـ/ 1983م.

ثالثاً: المراجع العربية:

ـ إبراهيم أحمد المقحفي: معجم البلدان والقبائل اليمنية، نشر دار الكلمة صنعاء، مطبعة بساط بيروت، ط2، 1977م.

ـ إبراهيم علي طرخان: النظم الاقطاعية في الشرق الاوسط، دار الكتاب العربي، القاهرة، سنة 1388هـ/ 1968م.

ـ أحمد أحمد بن محمد المطاع:

تاريخ اليمن الإسلامي (من سنة 204هـ/ الى سنة 1006هـ)

تحقيق عبدالله الحبشي، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، ط1

سنة1986 ـ 1407هـ، منشورات المدينة.

ـ أحمد امين: ضحى الاسلام، جـ3، مكتبة النهضة المصرية، جـ3، ط6، سنة 1956م.

ـ أحمد فخري: اليمن ماضيها وحاضرها.

مطبعة الرسالة، القاهرة ، طبع سنة 1957م.

ـ أحمد حسين شرف الدين:

1) اليمن عبر التاريخ، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، ط2، 1384هـ/ 1964م.

2) تاريخ اليمن الثقافي، الجزء الرابع

مطبعة الكيلاني الصغير، مصر، سنة 1387هـ/ 1967م.

ـ أحمد فضل بن علي محسن العبدلي:

هدية الزمن في أخبار ملوك لحج وعدن، دار العودة، بيروت، ط2، 1400هـ/ 1980م.

ـ آدم متز: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري

ترجمة محمد عبدالهادي أبو ريده، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط2.

ـ إسماعيل بن علي الأكوع:

* المدارس الإسلامية في اليمن.

نشر جامعة صنعاء، طبع دار الفكر، دمشق، 1400هـ/ 1980م.

* البلدان اليمنية عند ياقوت الحموي

نشر مكتبة الجيل الجديد صنعاء، طبع مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1408هـ/ 1988م.

ـ إسماعيل قربان حسين: السلطان الخطاب حياته وشعره.
دار المعارف، القاهرة د. ت.

ـ أندريواطون: الإبداع الزراعي في بدايات العالم الإسلامي، انتشار المحاصيل والتقنيات الزراعية ما بين عامي 700 ـ 110 للميلاد ـ ترجمة أحمد الأشقر. منشورات جامعة حلب معهد التراث العلمي العربي.

ـ د. أيمن فؤاد سيد: * تاريخ المذاهب الدينية في بلاد اليمن حتى نهاية القرن السادس الهجري، الدار المصرية اللبنانية، ط1، 1408هـ/ 1988م.

* مصادر تاريخ اليمن في العصر الإسلامي، نشر المعهد الفرنسي بالقاهرة. سنة 1974م.

ـ بدر الدين حي الصيني: العلاقات بين العرب والصين، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط1، 1370هـ/ 1950م.

ـ م. ب. بيوتر وفسكي: اليمن قبل الإسلام والقرون الأولى للهجرة، تعريب محمد الشعيبي، دار العودة، بيروت، ط1، 1987م.

ـ د. توفيق سلطان اليوزبكي:
دراسات في النظم الإسلامية، جامعة الموصل، ط3، 1988م.

ـ د. جميل حرب محمود حسين:
الحجاز واليمن في العصر الأيوبي، نشر تهامة، جدة، مطبعة سحر، ط1، سنة 1405هـ/ 1985م.

ـ جورج فاضلو حوراني: العرب والملاحة في المحيط الهندي، ترجمة د. يعقوب بكر، مطابع دار الكتاب العربي، القاهرة، نشر مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، سنة 1958م.

ـ جوالياين: دراسات في التاريخ الإسلامي والنظم الإسلامية، ترجمة عطية القوصي، نشر وكالة المطبوعات الكويت، ط1، سنة 1980م.

ـ د. حسن إبراهيم حسن: اليمن البلاد السعيد، سلسلة، اخترنا لك عدد 52، دار المعارف بمصر، د. ت.

ـ حسن سليمان محمود: تاريخ اليمن السياسي في العصر الإسلامي، بغداد، ط1، سنة 1969م. ساعد المجمع العلمي العراقي على طبعه.

ـ حسن صالح شهاب: * أضواء على تاريخ اليمن البحري، دار العودة، بيروت، ط2، سنة 1981م.

فن الملاحة عند العرب، دار العودة، بيروت ، ط1، سنة 1982م.

ـ حسين بن أحمد العرشي:

بلوغ المرام في شرح مسك الختام في من تولى اليمن من ملك وامام، مطبعة البرتيري، القاهرة، سنة 1939م.

ـ د. حسين الحاج حسن: النظم الإسلامية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، سنة 1406هـ/ 1987م.

ـ حسين بن علي الويسي: اليمن الكبرى، مطبعة النهضة العربية، القاهرة، 1962م.

ـ حسين بن فيض الله الهمداني:

الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن، دار المختار للطباعة، دمشق، 1955م.

ـ حمزة علي لقمان: تاريخ عدن وجنوب الجزيرة العربية، دار مصر للطباعة، 1379هـ/ 1960م.

ـ ذو النون المصري: عمارة اليمني، مكتبة النهضة المصرية، سنة 1766م.

ـ زامباور، أدوردفون: معجم الأنساب والأسرات الحاكمة، ترجمة زكي محمد حسن، حسن أحمد محمود، طبع جامعة فؤاد الأول، 1951 ـ 1952م.

ـ سعيد الأفغاني: أسواق العرب في الجاهلية والاسلام، دار الفكر، بيروت، ط3، سنة 1394 ـ 1974م.

ـ سعيد عوض باوزير: 1) معالم تاريخ الجزيرة العربية، منشورات مؤسسة الصبان وشركاه، عدن، ط2، سنة 1385هـ/ 1966م.

2) صفحات من تاريخ حضرموت، مطبعة السلفية، القاهرة، 1378هـ/ 1959م.

3) الفكر والثقافة في التاريخ الحضرمي، طبع سنة 1381هـ/ 1961م.

ـ شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي عصر الدول والإمارات، دار المعارف، بمصر 1980م.

ـ صالح بن علي الحامدي: تاريخ حضرموت، نشر مكتبة الارشاد، جدة، سنة 1968م، طبع دار الكتب، بيروت، ط1، سنة 1388هـ/ 1968م.

ـ صلاح عبدالقادر البكري:

تاريخ حضرموت السياسي، مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط2، سنة 1375هـ/ 1956م.

ـ عارف تامـر: أروى بنت اليمن، سلسلة اقرأ، عدد (330) سنة 1970م.

ـ عبدالله أحمد الثور: هذه هي اليمن، مطبعة المدني، القاهرة، 1969م.

ـ عبدالله عبدالكريم الجرافي:

المقتطف من تاريخ اليمن، مؤسسة دار الكتب الحديث، بيروت، سنة 1984م.

ـ عبدالله عبدالوهاب الشماحي:

اليمن الانسان والحضارة، دار الهناء للطباعة والنشر، مصر، سنة 1972م.

ـ عبد الله المجاهد: انتاج المحاصيل

ـ عبدالله محمد الحبشي: مصادر الفكر العربي الاسلامي في اليمن، منشورات مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، د.ت.

ـ عبدالله بن محمد بن حاتم السقاف:

تاريخ شعراء حضرموت، جـ1، مطبعة حجازي القاهرة، 1937م.

ـ عبدالله يوسف الغنيم (محقق):

جزيرة العرب من كتب الممالك والمسالك لأبي عبيد البكري، الناشر: ذات السلاسل للطباعة والتوزيع، ط1، 1397هـ/ 1977م.

ـ عبدالفتاح أحمد فؤاد: الامام الزيدي أحمد بن سليمان وأراؤه الكلامية، دار الدعوة للطبع والنشر، مصر، سنة 1987م.

ـ عبدالواسع بن يحيى الواسعي:

تاريخ اليمن المسمى فرجة الهموم والحزن في حواديث وتاريخ اليمن، الدار اليمنية للنشر، ط4، سنة 1404هـ/ 1984م.

ـ عدنان ترسيسي: اليمن وحضارة العرب، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، د. ت.

ـ عصام الدين الفقي: اليمن في ظل الإسلام منذ فجره حتى قيام دولة بني رسول، دار الفكر العربي، القاهرة، سنة 1981م.

ـ علي حسين السليماني الناصري:

النشاط التجاري في شبه الجزيرة العربية، أواخر العصور الوسطى (1250 ـ 1517) مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، سنة 1981م.

ـ علي محمد زيد: معتزلة اليمن، نشر مركز الدراسات والبحوث اليمنية، صنعاء، دار العودة بيروت، الطبعة الأولى، 1981.

ـ عطية القوصي : تجارة مصر في البحر الأحمر منذ فجر الإسلام حتى سقوط الخلافة العباسية، دار النهضة العربية القاهرة، سنة 1976م .

ـ محمد أحمد الحجري: * مساجد صنعاء عامرها وموفيها، دار أحياء التراث العربي، بيروت ط2 سنة 1398هـ

*معجم بلدان اليمن وقبائلها، تحقيق إسماعيل الأكوع، نشر وزارة الإعلام اليمنية، مشروع الكتاب 1/16 طبع النفائس، بيروت، ط1 سنة 1404هـ / 1984م .

ـ محمد أحمد عيسى العقيلي:

*ديوان السلطانين، مطبوعات تهامة، ط2 سنة 1403هـ/1983م .

*المخلاف السلماني، دار الكتاب العربي القاهرة، د.ت.
ـ محمد أحمد بن عمر الشاطري:
أدوار التاريخ الحضرمي، نشر مكتبة الارشاد، جدة، طبع دار الكتب بيروت، 1381هـ / 1962م .
ـ محمد أبو زهرة: الامام زيد حياته وعصره أراؤه وفقهه .
ـ د. محمد أمين صالح: *تاريخ اليمن الإسلامي في القرون الثلاثة الأولى للهجرة(عصر الولاة) مطبعة الكيلاني، القاهرة ، ط1 سنة 1975م .
*النظام المالي والإقتصادي في الإسلام، المطبعة التجارية الحديثة، ط1 سنة 1404هـ/1984م .
ـ د. محمد جمال الدين سرور:
* النفوذ الفاطمي في جزيرة العرب، دار الفكر العربي، القاهرة سنة 1369هـ/ 1950م .
*سياسة الفاطميين الخارجية، دار الفكر العربي، القاهرة، سنة 1396هـ /1976م.
ـ د. محمد رضا الدجيلي: الحياة الفكرية في اليمن في القرن السادس الهجري، منشورات مركز دراسات الخليج العربي، بجامعة البصرة، شعبة دراسات العلوم الاجتماعية(78) ط1 سنة 1405هـ/1985م.
ـ محمد سعيد جرادة: الأدب والثقافة في اليمن عبر العصور، دار الفارابي، بيروت، سنة 1977م .
ـ محمد سعيد العطار: التخلف الإقتصادي والإجتماعي في اليمن، ط 1، سنة 1965م .
ـ محمد محمد سطيحة: اليمن شماله وجنوبه،معهد الدراسات الإسلامية، القاهرة، سنة 1972م.
ـ د. محمد ضياء الدين الريس:
الخراج والنظم المالية للدولة الإسلامية، دار التراث، القاهرة، ط5، 1985م.

ـ د. محمد عبد العال أحمد:
1) الأيوبيون في اليمن ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، فرع الاسكندرية، سنة 1980.
2) بنو رسول وبنو طاهر وعلاقات اليمن الخارجية في عهدها 628 ـ 923هـ/ 1231 ـ 1517م، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الاسكندرية سنة 1980 م.
3) البحر الأحمر والمحاولات البرتغالية الأولى للسيطرة عليه، الهيئة العامة للكتاب، الاسكندرية، 1980م .
4) مذكرات في التاريخ الإسلامي .
ـ محمد بن علي الأكوع:
اليمن الخضراء مهد الحضارة، مطبعة السعادة، القاهرة، ط1 سنة 1391هـ/1971م .
ـ محمد بن علي مسفر العسيري:
الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في اليمن في العصر الأيوبي 569 ـ 626هـ، دار المدينة، جدة ط1 ، سنة 1405هـ/1985م.
ـ د. محمد عيسى الحريري:
معالم التطور السياسي في دولة بني نجاح باليمن وعلاقتهما بالصليحيين دار القلم، الكويت، ط1، سنة 1404هـ/ 1984م .
ـ د. محمد كريم إبراهيم:عدن دراسة في أحوالها السياسية والإقتصادية 476 ـ 626هـ/ 1083 ـ 1228م منشورات العلوم الإجتماعية(77) سنة 1985م .
ـ د. محمد متولي : جغرافية شبه جزيرة العرب، الجزء الثالث جغرافية اليمن الشمالي، مكتبة الانجلو المصرية، ط2، سنة 1978م .
ـ محمد بن يحيى الحداد: التاريخ العام لليمن، اليمن في موكب الاسلام(1) دار التنوير للطباعة والنشر، ط1، سنة 1407هـ/1986م منشورات المدينة.
ـ محمود كامل المحامي: اليمن شماله وجنوبه، دار بيروت سنة 1968م .

ـ مجموعة : دائرة المعارف الإسلامية .

ـ د. مصطفى عبد الله شيحة :

مدخل إلى العمارة والفنون الإسلامية في الجمهورية اليمنية ، القاهرة، ط1، سنة 1408هـ/ 1987م.

ـ د. مصطفى غالب: أعلام الإسماعيلية، منشورات دار اليقظة العربية، دار النهضة العربية بيروت سنة 1964م .

ـ د. نزار عبد اللطيف الحديثي:

أهل اليمن في صدر الاسلام، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت.

ـ نقولا زيادة : الجغرافيا والرحلات. دار الكتاب اللبناني المصري، 1987م.

ـ نعيم زكي فهمي: طرق التجارة الدولية ومحطاتها، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، سنة 1973م .

ـ هادي عطية مطر الهلالي:

نشأة الدراسات النحوية واللغوية في اليمن وتطورها، منشورات مركز دراسات الخليج العربي بجامعة البصرة ، شعبة الدراسات الأدبية واللغوية(79) دار أفاق عربية للطباعة والنشر، بغداد، مطبعة جامعة البصرة، سنة 1404هـ/1984م.

ـ د. يوسف محمد عبد الله :

أوراق في تاريخ اليمن وآثاره بحوث ومقالات جـ1 ، منشورات وزارة الإعلام اليمنية، دار التنوير للطباعة، بيروت، ط1، 1406هـ/ 1985م.

الدوريات:

ـ د. محمد حطيط : الكارمية وتجارة الكارم في عصر المماليك، مجلة الفكر العربي، العدد 54 السنة 9، كانون الأول، ديسمبر 1988م .

ـ أحمد محرم : عملة عباسية في اليمن، الآثار الإسلامية في الوطن العربي، المؤتمر التاسع صنعاء 30 ربيع الأول ـ 6 ربيع الآخر سنة 1400 هـ الموافق

16 - 22 فبراير/ شباط 1980م ص: 226 - 228 طبع تونس سنة 1985م المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم .

ـ أيمن فؤاد سيد: دراسة نقدية لبعض مصادر جنوب الجزيرة العربية في العصر الفاطمي مصادر تاريخ الجزيرة العربية جـ1، ص: 245 - 252 .

ـ حمد الجاسر: كتب المنازل من روافد الدراسات عن جغرافية جزيرة العرب من كتاب المسالك والممالك للبكري، مصادر تاريخ الجزيرة العربية .

ـ راضي دغفوس: مصادر تاريخ جنوب الجزيرة العربية ، مجلة المؤرخ العربي، العدد(10) بغدادج سنة 1979م.

ـ رأفت النبراوي: دراسة لقطعتين نادرتين من المنسوجات الإسلامية في مصر واليمن، مجلة الدارة، عدد 2 أغسطس سنة 1987م .

ـ د. ربيع حامد خليفة: *مناسج الطراز الخاصة بمدينة صنعاء، مجلة الاكليل العدد الثاني، السنة السادسة، صيف 1408هـ/ 1988م .

*توقيعات الصناع والفنانين على الآثار والفنون اليمنية الإسلامية، مجلة الاكليل، العدد الثالث والرابع، خريف 1409هـ/1988م.

ـ زهران راضي : دولة حبشية في اليمن، المجلة التاريخية المصرية، مج 8، القاهرة سنة 1959م .

ـ سلطان ناجي : *الدولة القرمطية(3) (268 - 303هـ) (881-915م) مجلة الحكمة، العدد 24 السنة الثالثة، أغسطس 1973م .

*تاريخ اليمن الإسلامي مجلة الحكمة العدد 27، السنة الثالثة 1394 مارس 1974م .

ـ د. سيدة كاشف : دراسات في النقود الإسلامية، المجلة التاريخية المصرية، ع 12، سنة 1964 - 1995م.

ـ د. شاكر مصطفى : التاريخ والمؤرخون في اليمن الإسلامية حتى القرن السابع الهجري، مجلة كلية الآداب والتربية، جامعة الكويت، ع 13 يونيو 1978م .

ـ صبحي لبيب : التجارة الكارمية وتجارة مصر في العصور الوسطى، المجلة المصرية المجلد الرابع، العدد 2 سنة 1952م .
ـ طاهر مظفر العميد : بناء مدينة زبيد في اليمن ، مجلة كلية الآداب، بغداد ، العدد13 سنة 1970م مطبعة المعارف، بغداد، ص: 341 ـ 360 .
ـ عبد الرحمن شعيل: عمارة اليمني عند المؤرخين، مجلة العرب، جـ1، السنة 3 تشرين الأول 1968م الرياض .
ـ عبد الرحمن عبد الله الحضرمي:
زبيد العاصمة الأولى في اليمن بعد الإسلام، مجلة الحكمة عدد 15/ السنة الثانية، أغسطس 1972م/1392هـ .
ـ د. عبد الغني محمود عبد المعطي :
عوامل الصراع السياسي المذهبي، مجلة الاكليل ، العدد الثاني، السنة الخامسة، خريف 1408هـ/1987م.
ـ عبد الله الحبشي : المطرفية مذهب مجهول، مجلة اليمن الجديد، العدد 3 السنة6 نوفمبر/ ديسمبر 1976م والعدد(1) السنة 7/ يناير فبراير 1978م صنعاء وزارة الاعلام .
ـ فضيلة عبد الأمير الشامي :
إمارة آل زريع بعدن، مجلة كلية الآداب، ع 26 بغداد 1979م.
ـ كرستان رويان: التقرير الأولى للبعثة الأثرية الفرنسية عن منطقة ذي بين ج.ع.ى تعريب أحمد ناجي ساري، الآثار الإسلامية في الوطن العربي المؤتمر التاسع صنعاء 30 ربيع الأول 6 ربيع الآخر /1400هـ، الموافق 16ـ 22 فبراير/ شباط 1980م، طبع تونس، سنة 1985م، ص: 127 ـ 134، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم .
ـ د. محمد أبو الفرج العش:
المسكوكات العربية الإسلامية، الآثار الإسلامية في الوطن العربي المؤتمر التاسع سنة 1980م طبع 1985م تونس ص: 219 ـ 228،

مجلة الاكليل اليمنية العدد الخامس، سبتمبر1981م، ذو القعدة 1401هـ ص:41ـ45.

ـ د. محمد أمين صالح: *بنو نجاح في زبيد، مجلة(الغد) العدد الأول، السنة الثالثة مارس1977م ص: 101ـ 115، العدد الثاني السنة الثالثة، يونيو سنة 1977م ، ص:123 ـ 133 .

* دولة الخوارج في اليمن ـ بنو مهدي في زبيد(554 ـ 569) المجلة التاريخية المصرية مج 25 سنة 1978 ، ص: 127 ـ 128 .

*العلاقة بين دولة الصليحيين والخلافة الفاطمية، المجلة التاريخية المصرية، مج 26، سنة 1979م، ص: 61 ـ 84 .

ـ محمود ياسين التكريتي: الأيوبيون في اليمن تاريخهم السياسي(569/626هـ ـ 1174/1226م) مجلة أداب الرافدين، كلية الآداب، جامعة الموصل، العدد 12، سنة 1400هـ/ 1980م .

ـ محمد سعيد جرادة: *الخطاب شاعر الدولة الصليحية، مجلة الحكمة(ع) 14/ السنة الثانية يوليو سنة 1392هـ/1972م.

*سليمان الحجوري شاعر بني نجاح، مجلة الحكمة(ع15) السنة الثانية أغسطس 1392هـ/1972م .

*عمارة اليمن، مجلة الحكمة عدد 12/ السنة الأولى سنة 1392هـ/ 1972م .

ـ محمد سيف النصر: المدارس اليمنية تخطيطها وعناصرها المعمارية، مجلة الاكليل، العدد الأول، السنة الثالثة، خريف 1406هـ/1985م صنعاء .

ـ محمد عبد العال أحمد: 1 ـ دراسة حول أقوال المؤرخين عن الفتح الأيوبي لليمن، مجلة معهد المخطوطات العربية 13(1967م) ص: 319 ـ 338 .

2 ـ بعض مظاهر العلاقات المتنوعة بين اليمن ومصر في العصر الإسلامي بحث مقدم للندوة الثالثة للعلاقات المصرية اليمنية التي

نظمتها اللجنة المصرية المصرية للتضامن الافريقي الأسيوي، القاهرة فبراير 1990.

ـ محمد عبد الله قاضي : دولة اليمن الزيدية ـ نشأتها ـ تطورها ـ علاقتها، المجلة التاريخية المصرية، المجلد(3) عدد(1) مايو سنة 1950م .

ـ محمد علي الأكوع : دراسة لمخطوطة عن اليمن، مصادر تاريخ الجزيرة العربية .

ـ محمد علي مسفر : *العلاقات السياسية بين الحجاز واليمن في عهد الأيوبيين .

*مجلة كلية العلوم الإجتماعية، العدد الخامس، 1401هـ/1981م جامعة الملك محمد بن سعود الإسلامية ، الرياض .

ـ د. محمد عيسى الحريري :

تحقيق تطور المذهب الزيدي في اليمن، قطعة منتزعة من كتاب شفاه صدور الناس لاحمد بن محمد الشرفي. المجلة العربية للعلوم الإنسانية، مج 7 عدد 26 ، ربيع 1987م ، ص: 44 ـ 75 .

ـ د. مصطفى شيحة : دراسة زخرفية لسيوف يمانية، مجلة الاكليل، عدد(1) السنة الثالثة خريف 1406هـ/1985م .

ـ وفيه عزي : نماذج من الفنون الإسلامية في اليمن، مجلة المجلة العدد 71 ديسمبر سنة 1962

الرسائل العلمية :

ـ حسن سليمان محمود: الصليحيون في اليمن وعلاقتهم بالفاطميين في مصر رسالة دكتوراه، جامعة القاهرة، 1951 ـ 1952 م .

ـ حياة عبد القادر أحمد المرسى:

دور السيدة الحرة أروى بنت أحمد الصليحية في اليمن 473 ـ 532هـ/ 1080 ـ 1138م، رسالة ماجستير ، جامعة الملك عبد العزيز 1499 / 1400هـ ـ 1979 ـ 1980م .

ـ صلاح مهران محمد : الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في دولة الأئمة الزيدية باليمن 284 ـ 858 هـ 897 ـ 1454م ، رسالة دكتوراه، جامعة المنيا،1407 ـ1987م.

ـ عبد الرحمن عبد الواحد محمد : الحياة العلمية في اليمن في القرنين الثالث والرابع للهجرة، رسالة دكتوراه جامعة الأزهر 1406هـ/ 1986م .

ـ نصاري فهمي غزالي : العلاقات المصرية اليمنية على عهد الدولتين الفاطمية والأيوبية وتأثيرها السياسي والحضاري في اليمن، رسالة دكتوراه، كلية دار العلوم 1984م .

ثانياً: المراجع الأجنبيـــــة:

- Abbas Hamdani:
The Da'i Hatim Ibn Ibrahim-al-Hamidi .(D. 596 H/1199 A.D) and his book Tuhfat Al-Qulub - ORINENS, 23 - 24 - (1970 - 71), pp. 258 - 300.

- Abbas Hamdani:
Evolution of the organizational structure of the Fatimi Da' wah. The Yemeni and Presian Contribution, Arabian Studies III, 1976, pp. 85 - 114.

- Abbas Hamdani:
The Tayyibi - Fatimid community of the Yemen at the time of the Ayyabid conquest of Southern Arabia, Arabian Studies G.U. Vol. VII, 1985, pp. 151 - 160.

- Bikhazi, Ramzi, J.
Coins of Al-Yemen, 132-569 A.H., Al-Abhath, Vol. XXIII, Nos. 1-4 (Beirut - December, 1970), pp. 17 - 127.

- R.B. Serjeant:
Islamic textiles material for a history up to the Mongol conquest. Chapter XV. The textiles in the Yemen, Beirut, 1972.

- R.B. Serjeant, And Ronald Lewcock:
San's an Arabian Islamic City. Published in 1983 by the world of Islamic Festival turst, London.

- Ronald, Lewcock:

The old walled city of san' a, UNESCO, 1989, Printed in Belgium, published in 1986. By the United Nations educat. Scientific and Cultural Organization.

- Francinestone:

Studies on the Tihamah. The report of the Tihamam expedition, 1982 and related papers.

- Studies In The History of Arabia, University of Riyyadh:

Saudi Arabic, 23rd - 28th of April, 1977, press, 1399 A.H. 1979.

1 - I.K. Poonawala:

Ismaili sources for the history of South-West Arabia.

2 - G.R. Smith:

Ibn Hatim's , Kitab Al-Simt and it's place in Medical Al Yemenite Historiography.

3 - Michael, L. bates:

The chapter on the fatimid Da'a is in Yemen in the Ta'rikh of Umara Al-Hakami, (d 569/1174).

4 - Wilferd Madelung:

The Sirat Al-Amirayn Al-Ajallayn Al-Sharifayn Al-Fadilayn Al-Imam Al-Qasim B. Ali Al-Iyani As A Historical Source.

فهرس

الموضوعات

القسم الأول : التاريخ السياسي

الباب الأول

الدولة الصليحية

الباب الثاني

دويلات صنعاء وعدن وزبيد

القسم الثاني : مظاهر الحضارة

الباب الأول

النظم الحضارية في اليمن

الباب الثاني

الحيــــاة الإقتصاديــــة

الباب الثالث

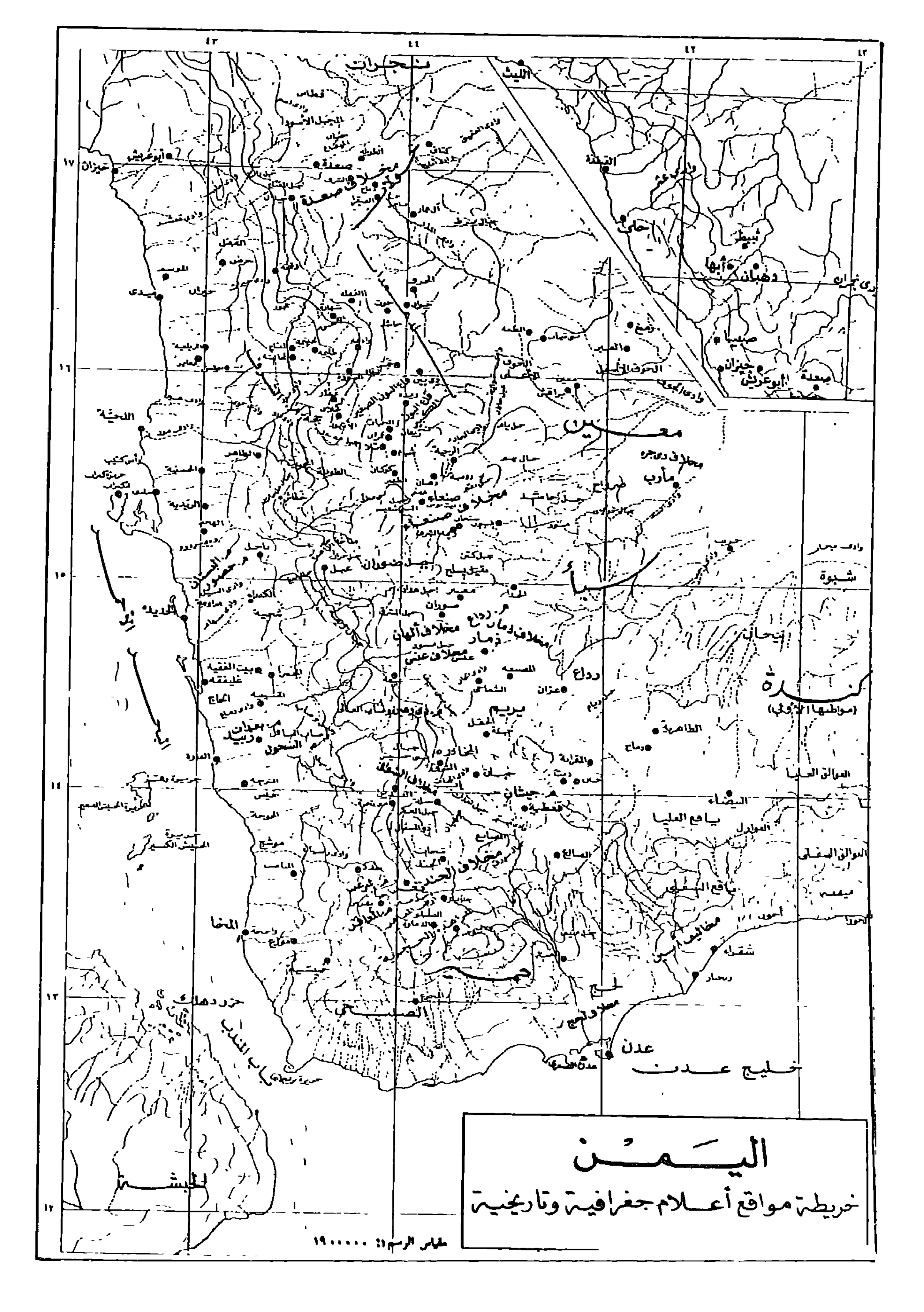
الحياة العلمية والتعليمية

الباب الرابع

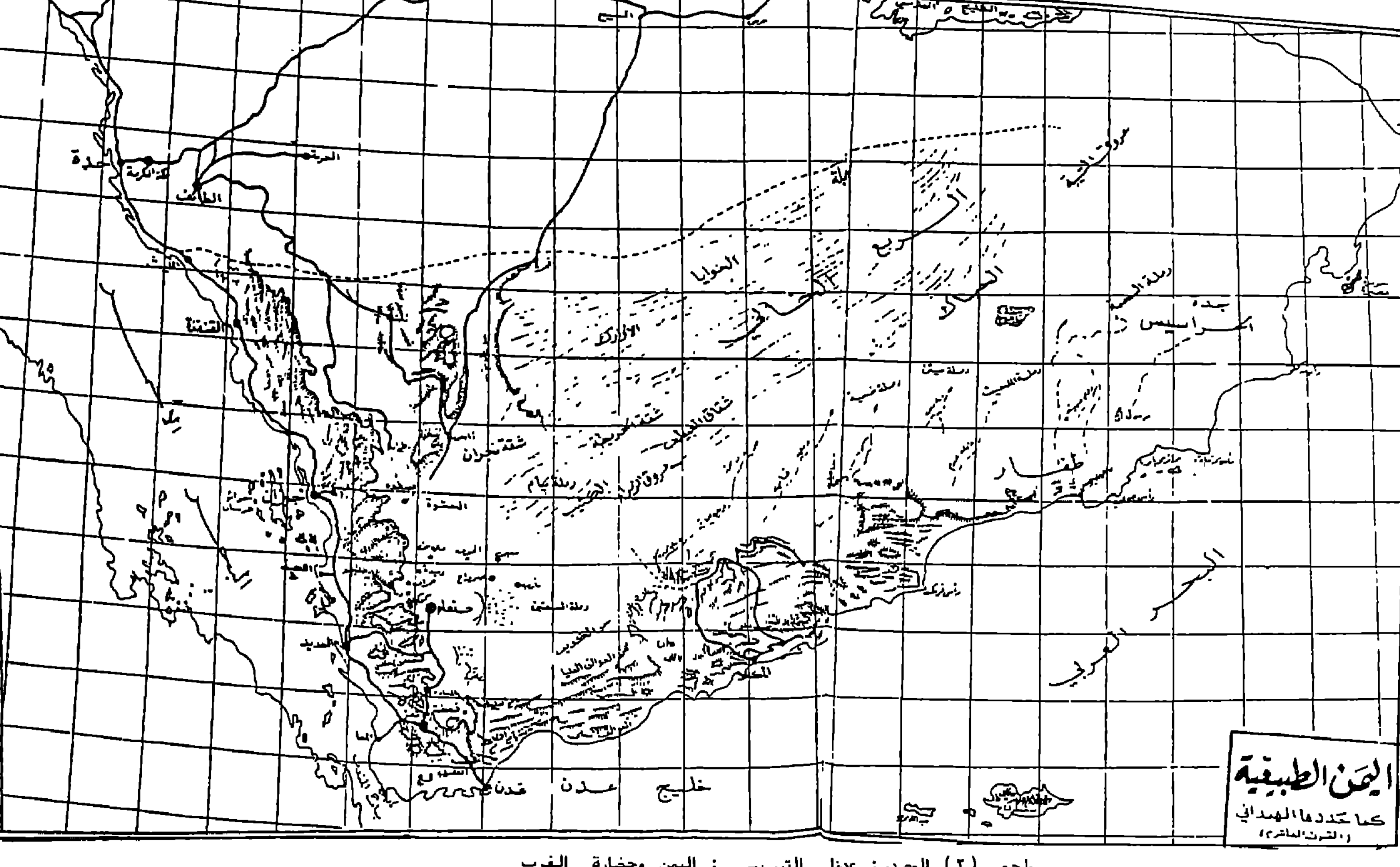
الحياة الإجتماعية

خريطة الجمهورية اليمنية

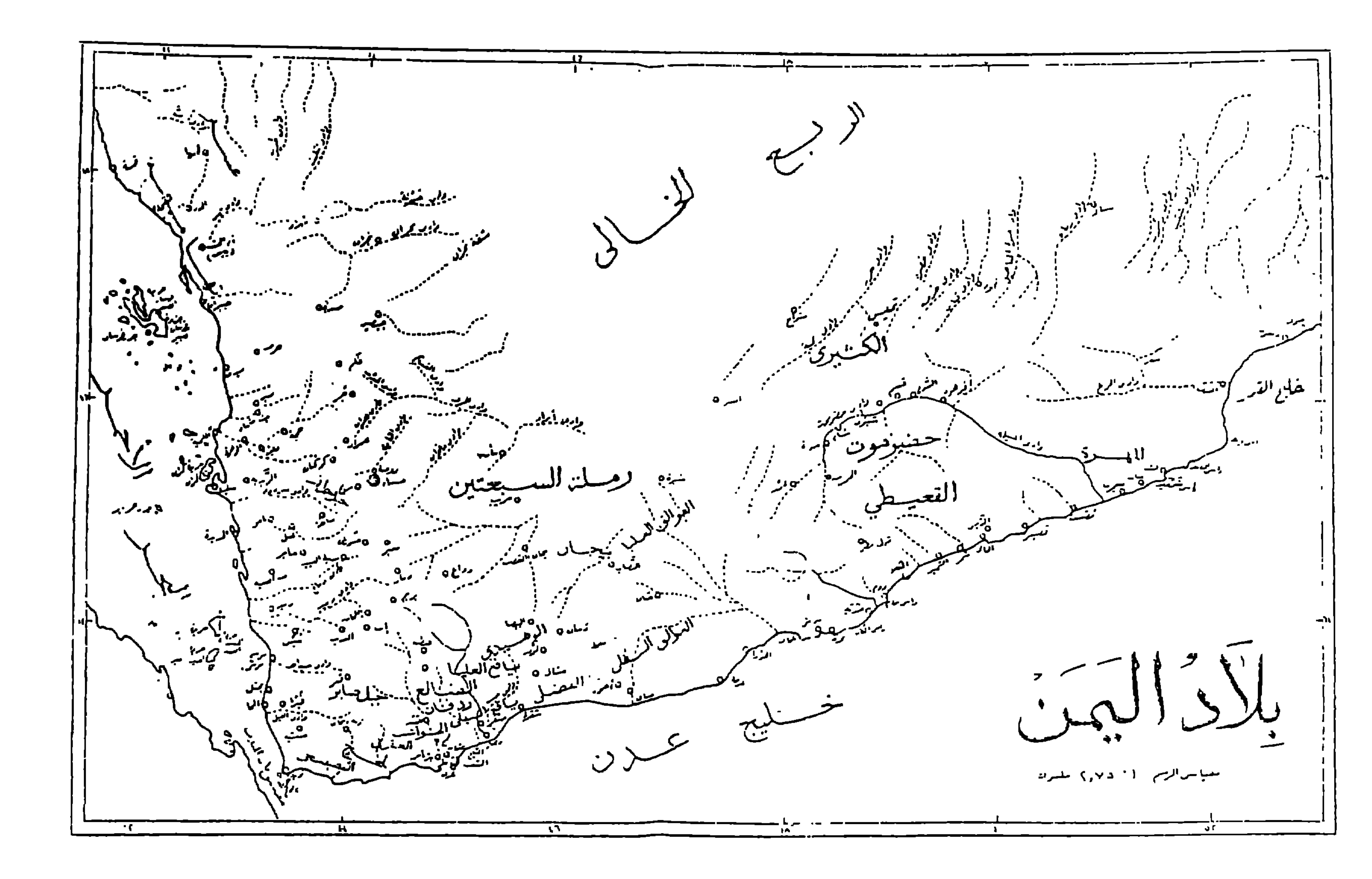
الربع الخالي
عمان
بحر العرب
خليج عدن
اثيوبيا
جيبوتي
جزيرة سقطرة
عدن
الحديدة
المكلا

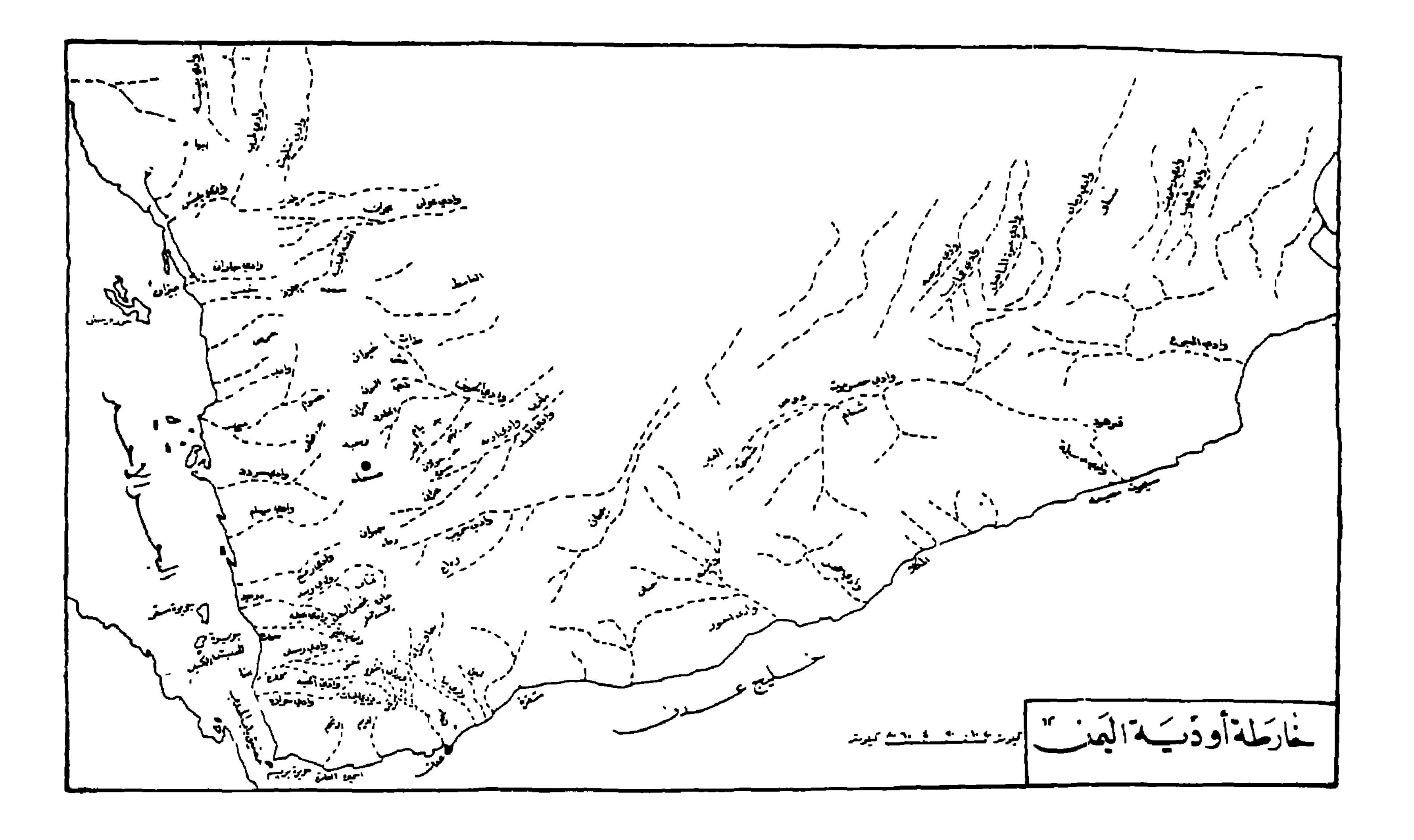


اليمن
خريطة مواقع أعلام جغرافية وتاريخية
مقياس الرسم ١: ١٩٠٠٠٠٠
نجران
الليث
معين
سبأ
حمير
كندة
(مواطنها الأولى)
شبوة
مأرب
صنعاء
صعدة
ذمار
يريم
رداع
زبيد
المخا
عدن
خليج عدن
الحبشة
أبها
جيزان
البيضاء
يافع العليا
الحديدة
بيت الفقيه
اللحية
الصبيحة
ميدي

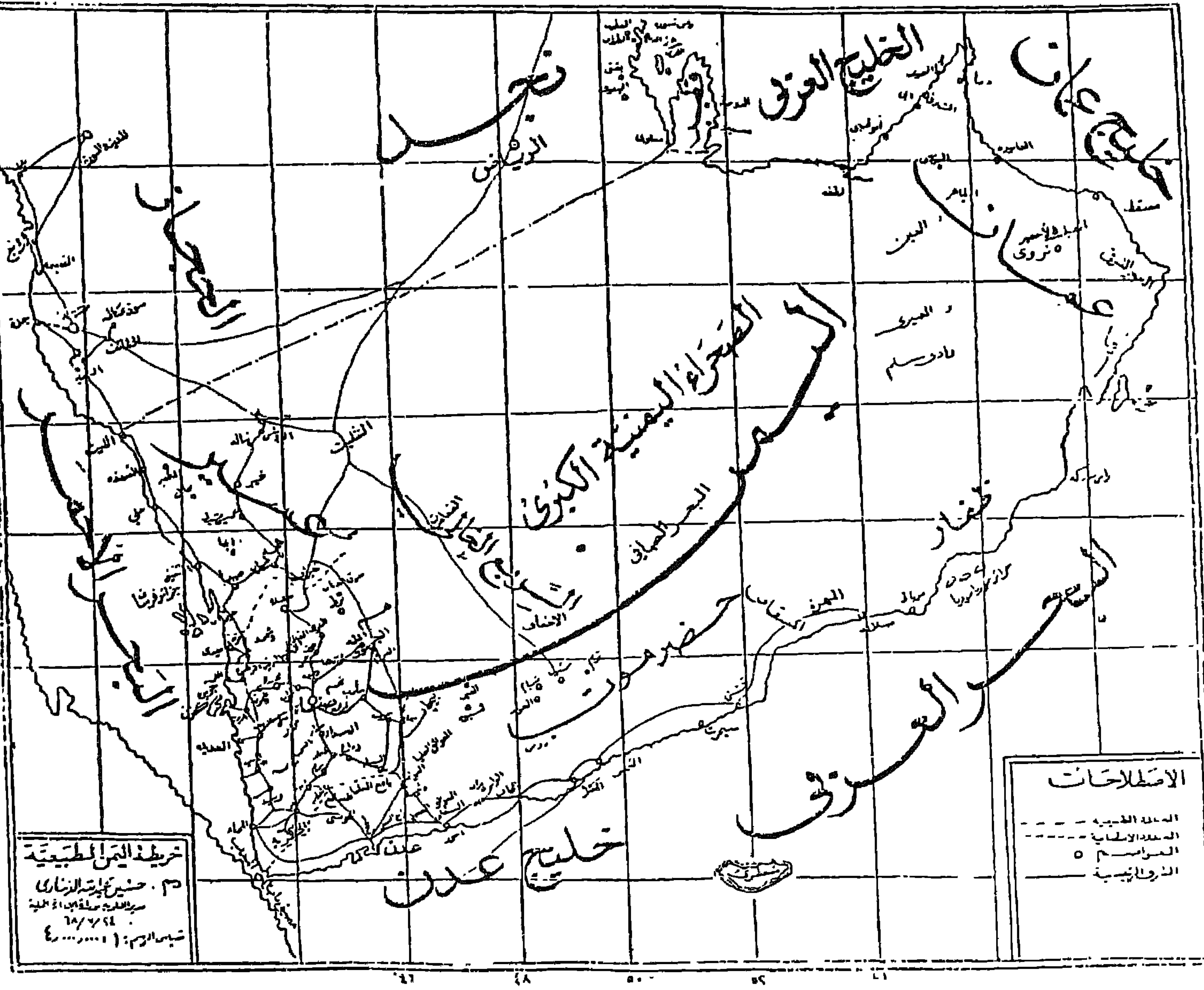


ملحق (٢) المصدر: عدنان الترسيسي : اليمن وحضارة العرب


بلاد اليمن
خليج عدن
الربع الخالي
رملة السبعتين
حضرموت
القعيطي
الكثيري
المهرة
خليج القمر
العوالق العليا
العوالق السفلى



خارطة أودية اليمن
خليج عدن
عدن
صنعاء
جيزان



ملحق (١) المصدر: عبد الله الثور : هذه هي اليمن

رقم الايداع بدار الكتب المصرية
١٩٩٧ /١٠٨٥١

الترقيم الدولى
I . S . B . N . 977- 13- 0220- 5

التوزيع

وكالة [illegible] للتوزيع

شارع الجلاء ـ القاهرة ـ ج . م . ع

هاتف : ٥٧٨٦٠٦٩

مطابع الأهرام بكورنيش النيل



